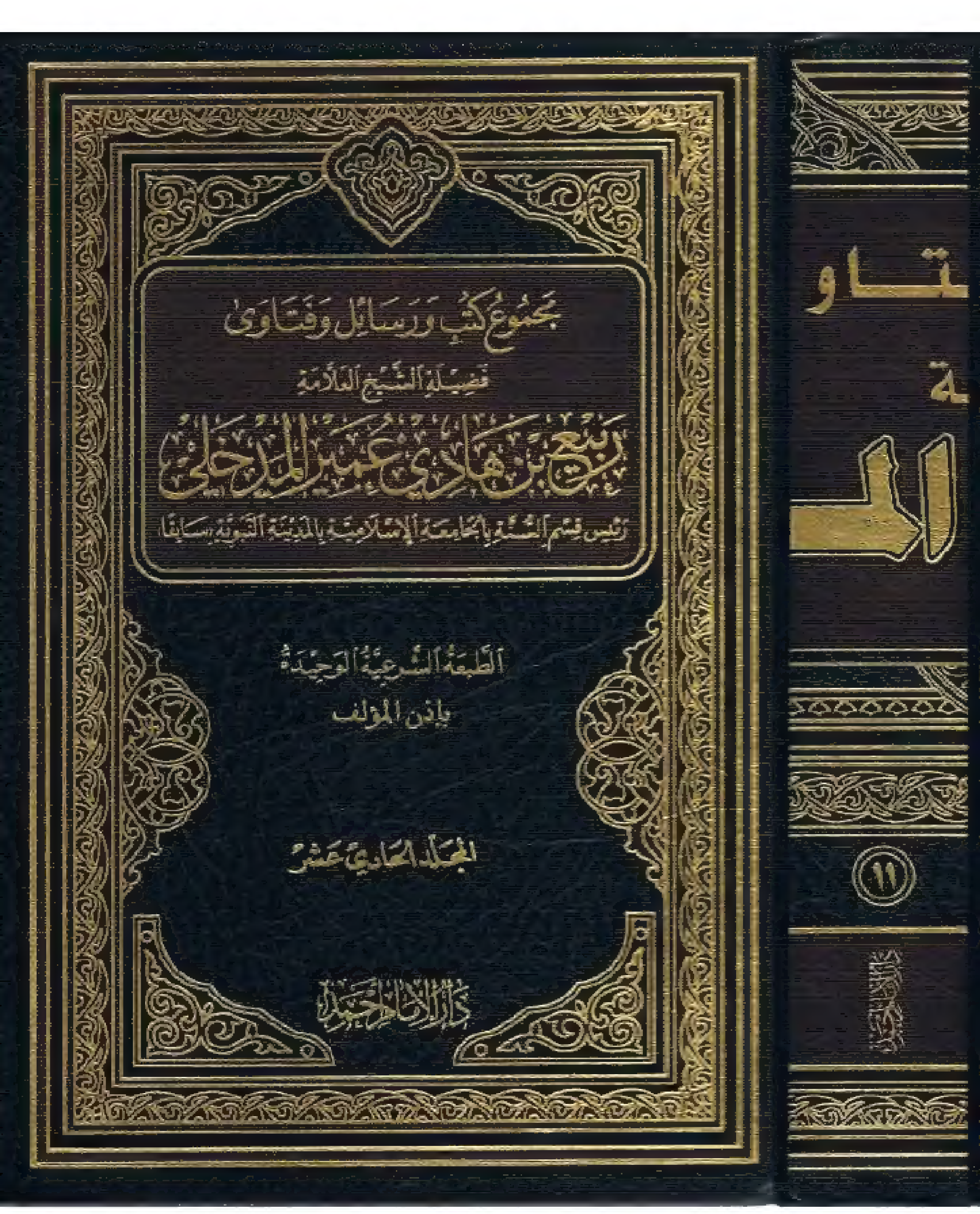

مجموع كتب ورسائل وفتاوى
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً
الطبعة الشرعية الوحيدة
بإذن المؤلف
المجلد الحادي عشر
دار الإمام أحمد
١١

موسوعة مؤلفات ورسائل وفتاوى

العلامة المحدث المجاهد ربيع بن هادي المدخلي

(١١)

١- انقضاض الشهب السلفية على أوكار عدنان الخلفية

٢- دفع بغي عدنان على علماء السنة والإيمان

٣- مآخذ منهجية على سفر الحوالي

٤- كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها

٥- أقوال علماء السنة في جماعة التبليغ

٦- كشف زيف التصوف وبيان حقيقة وحال حملته

٧- براءة الصحابة الأخيار من التبرك بالأماكن والآثار



انقضاض الشهب السلفيَّة

على أوكار عدنان الخَلَفيَّة

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول لله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فهذه نبذة مختصرة عن عدنان عرعور وفتنه وتقلباته.

فأقول مستعينًا بالله -جلّ وعلا-:

أولًا: كنّا نعدّه من جملة السلفيين بناءً على ما يظهر لنا من حاله آنذاك رغم قلة مجالستي له، لكن بناء في الوقت نفسه على ادعائه، وقول بعض السلفيين المخدوعين به.

إذ: (المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم).

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (من خدعنا بالله انخدعنا له).

ثانيًا: بدأ ينكشف لي بعض ما ينطوي عليه في إحدى زياراتي للرياض حيث بدأ يدافع ويناضل عن سيِّد قطب إذا انتقده بعض السلفيين؛ ويدعي له أنه صحيح التأصيل، وأن المنهج السلفي غير مؤصل، وأن السلفيين لا يؤصلون، ويخص منهم الشيخ ابن باز رأس السلفيين بأنه لا يؤصل، في نقاش وكلام طويل تظاهر فيه بالتراجع عن رأيه في تلك الجلسة ثم عاد لما كان عليه.

ثالثًا: لما قمت بنقد سيِّد قطب في أول كتاب من كتبي ألا وهو كتاب «أضواء إسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره»[1] وبدأ ينتشر أقضّ مضاجع أوليائه القطبيين

---

(١) وكنت قبل هذا - مع معرفتي بشيء من ضلاله - أحسن الظن به بسبب الدعايات الكثيرة التي كانت تسبح له، ومنها أنه قد رجع إلى منهج السلف، فلما تبين لي زيف هذه الدعايات، قمت بما يجب عليّ من بيان ضلاله نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعموم المسلمين وللشباب المخدوعين به.

فنهض عدنان عرعور لمقاومتي وحربي منذ بدأت بأول بيان وتحذير إلى يومنا هذا، يمدح سيِّد قطب، ويطريه، ويشيد بعقيدته ومنهجه وكتبه، والنقول الكثيرة عنه في العقيدة والمنهج، وهذا أمر واضح في كتبه وأشرطته، وكل ذلك منه بعدما تبين له أمر سيِّد قطب إلى أكبر من ذلك وأكثر، ويدعي الآن بأنه مظلوم وصابر؛ لأجل السلفية وخوفًا من الفتنة بين السلفيين، وهو المثير للفتن والمتمادي فيها، ومتبني بذاتها واتسلت.

- ولاسيما عدنان عرعور - فبدأ عدنان بالدفاع عن سيِّد قطب بطريقة ماكرة في غاية من المكر الذي لا يجيده إلا أمثاله.

فماذا صنع في أول جولة من جولات هجومه ودفاعه في آن واحد؟

لقد كنت افتتحت الكتاب ببيان إيذاء سيِّد قطب لنبي الله وكليمه موسى -عليه الصلاة والسلام-، إذ طعنه طعنات كثيرة وسخِر به في كتابه «التصوير الفني في القرآن».

ثمَّ ثنيت ببيان طعنه في الخليفة الراشد عثمان ﷺ إذ طعن فيه وفي خلافته طعنات كثيرة.

ومنها:

أنه تحطمت أسس الإسلام في عهده.

وتحطمت روح الإسلام في عهده.

وأن خلافته كانت فجوة.

وأنه مكَّن لبني أبي معيط من رقاب الأمة.

ومكَّن لمبادئهم المجافية لروح الإسلام من الإسلام، وباكر الإسلام بذلك.

وأنه قد تفشى الترف والفقر المدقع في الأمة نتيجة لسياسته.

ثم طعن في المجتمع العثماني عمومًا بما فيهم أصحاب رسول ﷺ، ونص على بعض أعيانهم كعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقَّاص والمقداد وغيرهم.

ثم أثنى على الخوارج تلاميذ ابن سبأ، وفضلهم على عثمان وعلى ذلك المجتمع.

ثم تعرضتُ لعقيدته في تعطيل صفات الله.

ثم عقيدته في الحلول ووحدة الوجود، والقول بخلق القرآن، وإنكار رؤية الله.

ثم تعرضتُ لتكفيره الباطل للمجتمعات الإسلامية، وسردت عددًا من نصوصه الواضحة في التكفير.

ثم ذكرت بقية ضلالاته.

فماذا صنع عدنان؟

لقد جمع كيده ثم أتى إلى نص مجمل وقاعدة من قواعد تكفيره، التي قد تخفى على مَنْ لم يدرس منهج سيِّد قطب وأقواله التكفيرية الواضحة، فعرض عدنان هذا النص المجمل على الشيخ الألباني ومنه:

«إن الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكامل، وليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمائر، وحدود الاعتقاد تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة».

فعلَّقتُ على هذا النص بقولي: «وفي هذا الكلام حق وخلط:

- أما أن العقيدة قاعدة لمنهج حياة متكامل؛ فمسلَّم.

- وأما أن حدود العقيدة تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة... إلخ؛ فهذا ما لم يدل عليه كتاب ولا سنة، ولا قاله علماء الإسلام، فهذا من شذوذات سيِّد قطب، ليوسع به دائرة التكفير لمن يخالف منهجه هو، وهو مع ذلك يحيد عن ذكر شرك القبور»(١).

ثم نقلت بعد نصه السابق النص الآتي:

«إن عبادة الأصنام التي دعا إبراهيم ﷺ ربه أن يجنبه هو وبنيه إياها لا تتمثل فقط في تلك الصور الساذجة، التي كان يزاولها العرب في جاهليتهم، أو التي تزاولها شتى الوثنيات في صور شتى مجسمة في أشجار أو أحجار أو حيوان أو طير أو نجم أو نار أو أرواح أو أشباح.

إن هذه الصور الساذجة كلها لا تستغرق صور الشرك بالله، ولا تستغرق كل صور العبادة للأصنام من دون الله، والوقوف بمدلول الشرك عند هذه الصور الساذجة، يمنعنا من الرؤية الصحيحة لحقيقة ما يَعْتَوِر البشرية من صور الشرك والجاهلية الجديدة.

---

(١) أضواء إسلامية (ص ١٠٩-١١٠).

ولا بد من التعمق في إدراك طبيعة الشرك وعلاقة الأصنام بها، كما أنه لا بد من التعمق في معنى الأصنام وتمثل صورها المجردة المتجددة مع الجاهليات المستحدثة».

فعلَّقتُ على هذا النص بقولي:

«وفي هذا الكلام:

أولًا: تهوين من دعوات الأنبياء التي ركزت على عبادة الأصنام والأوثان.

وقد ضج من أسلوب سيِّد قطب هذا كل من يفهم حقيقة التوحيد والشرك، بل ضج منه المتساهلون في موضوع التوحيد والشرك من أصدقائه مثل أبي الحسن الندوي وعلي جريشة وغيرهما، وأدركوا أن هذا تهوين من دعوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- ....

إلى أن قلت:

ثالثًا: فيه خلط بين قضايا الشرك الأكبر وبين قضايا الشرك الأصغر وبين المعاصي صغيرها وكبيرها، فإذا كانت العقيدة تترامى حتى تشمل كل جوانب الحياة، وصور الشرك عند سيِّد لا نهاية لها، فكل معصية وكل مخالفة صغيرة كانت أو كبيرة تعتبر شركًا عند سيِّد إلا الشرك بالقبور الذي لم يذكره سيِّد هنا، ولم يذكره ولم ينتقده في كل موضع يتحمس فيه للعقيدة وللتوحيد ولـ (لا إله إلا الله) وكل موضع يتحمس فيه ضد الشرك.

قلت هذا بعد دراسة طويلة لمنهج سيِّد وأقواله.

ومن الصور التي يعتبرها شركًا وكفرًا: الأخلاق والتقاليد والعادات والأزياء المخالفة لشرع الله، وضرب أمثلة للأصنام بالقومية، والوطن والشعب والطبقة والاصطلاحات من غير صنع الله.

وقد يكون من هذه الأمور ما هو من المباحات، فيجعلها سيِّد قطب من صور الشرك، وفي الوقت نفسه لا يعبأ بشرك القبور الموجودة لدى الروافض وغلاة الصوفية من شتى الطرق».

لا أذكر الآن ما الذي قرأه عدنان عرعور من هذه النصوص على الشيخ

الألباني، ولا ماذا قرأ عليه من تعليقاتي.

المهم أنه خرج بنتيجة هي موافقة الألباني لسيِّد قطب[1] في أن العقيدة تتسع وتترامى حتى تشمل جوانب الحياة، فتعلَّق عدنان بهذه النتيجة ونشر الشريط الذي سجِّل فيه هذا اللقاء، وتوسع القطبيون في نشره، ونسجوا حوله الدعايات ضدي وضد كتابي مما أدى إلى انحراف كثير من الشباب وسقوطهم في أحضان الحزبية القطبية.

ثم أراد عدنان أن ينقذ نفسه من هذه الورطة الكبيرة والفعلة الشنيعة وأراد أن يغطي سوءته أمام السلفيين ولعل له أهدافًا أخرى، فكتب إليَّ اعتذارًا باردًا ميتًا لا يساوي الحبر الذي كتب به، ولهوانه وسقوطه وركته لم أحفل به فلا أدري أأعاده الرسول لصاحبه أو بقي عندي؟ والغالب أن الكتاب قد ضاع ولو وجدته لفضحته به.

رابعًا: ثم دعيت إلى الرياض والخرج لإلقاء بعض المحاضرات عام ١٤١٥هـ، فدعاني الأخ الدكتور باسم الجوابرة إلى منزله، ودعا بعض الأساتذة مع الأسف وكان معظمهم من القطبيين، فأثار بعضهم النقاش حول رموز الحركة الإسلامية كما يزعم ومنهم سيِّد قطب، ولمز من ينتقدهم وهو يقصد بذلك الشيخ ربيع، فاضطررت للرد عليه واحتدم النقاش الذي خلطوه باللغط وسوء الأدب في مقابل إدانة سيِّد قطب بالحجج الدامغة.

ولما خرجنا قال لي عدنان: هذا يكفي؟ أشار إلى شيء من تمويهاته في المجلس.

فقلت له: هذا لا يكفي ولا بد من أن تخرج شريطًا تدين فيه سيِّد قطب بالبدع والضلال تكفيرًا عن شريطك الذي فعلت فيه ما فعلت، ثم أكدتُ هذا الطلب في لقاء آخر في مجلس في بيت الأخ إيهاب نادر الفلسطيني فأكد التزامه بذلك.

ثم طالبه بعد هذا عدد من السلفيين بالبيان المذكور على امتداد سنوات وهو

---

(١) مع أن الألباني يطعن سيِّد قطب سابقًا ولاحقًا ولم يبرئه من البدع، وأخيرًا وبعد هذا الموقف من الشيخ الألباني قام بقراءة كتبي وأيدها تأييدًا مطلقًا كتابة بخطه وكلامًا في أشرطته في عدة مناسبات، وهذا أمر اشتهر وانتشر ثم يغالط فيه عدنان وأمثاله، فلم يعجبه هذا التأييد بل هيجه، وأثار حقده وغثه.

يعدهم وعودًا عرقوبية بالبيان ثم لا يفي بهذه الوعود.

خامسًا: فاجأنا والناس بعد وعوده الكثيرة بضدِّ ما كان يعد به، وذلك بإصدار أربعة كتب محاورها - في العقيدة والمنهج منهج ما يسميه بالطائفة المنصورة - أقوال سيِّد قطب، مخالفًا بذلك وعوده مستهترًا بأهل السنة ومراغمًا لهم ومحاربًا ربيعًا وكتبه في نقد سيِّد قطب بأسلوب في غاية المكر.

ثم بعد كل هذه الألاعيب ظهر علينا هذه الأيام بدعاوى في غاية الدجل والكذب بأنه مظلوم وأنه صابر من أجل السلفية والسلفيين، وأنه كتب لي عدة رسائل يبين فيها ضلالات سيِّد قطب بالتفصيل، وكتب يطلب فيها التحكيم خلال خمس سنوات، وأراجيف أخرى يبثها في دول أوربا هولندا وفرنسا وأسبانيا وغيرها.

سادسًا: لما استفحل شرُّ هذا الرجل وامتد إلى بلدان كثيرة، يقصد بشره وفتنه الشباب السلفي السائر في وئام ووفاق على منهج الله الحق؛ ليبدعهم ويفرق شملهم لأهداف وغايات منها الواضح ومنها الخفي.

اضطررت للرد عليه وقمع فتنته بعد سكوت طويل فعلًا وصبر مديد فعلًا.

فكان أول رد عليه في شهر ذي الحجة من عام ١٤١٩هـ، فلم يرتدع فهاج وماج وأقام الفتن ولم يقعدها.

فاضطررت مرة أخرى إلى بيان حاله وقمع فتنه وأباطيله في ثلاثة فصول:

الأول: في بيان قصده بالمنهج الذي ملأ به الآذان ضجيجًا ودعاوى هنا وهناك، حيث يفسره تفسيرًا جديدًا، ظنًّا منه أنه سينطلي تلاعبه وتمويهاته على الناس، وسيأتي توضيح ذلك.

والثاني: يتضمن نقاشًا لخطابه الذي أصدره قريبًا، لإخوانه المسلمين ولبَّس عليهم فيه، وادعى فيه دعاوى باطلة.

والثالث: يتضمن مناقشة لما ورد في الشريط، الذي سُجِّلَتْ فيه أقواله وأباطيله في الجلسة التي دارت بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي في أسبانيا (الأندلس) قريبًا، خلال دورة فتنة أقامها عدنان في البلد المذكور.

والله أسأل أن ينفع المسلمين بما تضمنته هذه الفصول من بيان وتوضيحات ونصح إن ربي لسميع الدعاء.

وكتب ذلك وفرغ منه
ربيع بن هادي عمير المدخلي
في يوم الثلاثاء
الموافق الثالث عشر من شهر جمادى الأولى
من عام١٤٢٠هـ.

الفصل الأول: في بيان مراده بالمنهاج

من بوائقه الكبرى في مرحلته الأخيرة أنه سئل في دورته في فرنسا كما في الشريط الأول من أشرطته المسماة بالبراءة:

«قولكم ما أعلم أحدًا تكلم في المنهاج على وجه الأرض مثل سيِّد قطب».

فأجاب: «هذا كلمة المنهاج هاهنا أقصد بها قضايا التغيير الانتخابات، الاغتيالات، المظاهرات الانقلابات الفوضى المواجهات.

أنا دائمًا إذا قلت كلمة المنهاج هكذا أقصد بها هذا، لا معارضة في الاصطلاح.

النقطة الثانية: أقصد في زمانه في وقته في الخمسينات هو بدأ الكلام في هذه القضية ما تكلم في هذا وقتئذٍ، وأقول: لا الشيخ ابن باز ولا الشيخ ناصر[1]؛ لأن هذه القضية ما كانت مثارة وقتئذٍ في سوريا ولا في المملكة العربية السعودية كما تعلمون دولة مسلمة، وفي سوريا ما كان الوضع يتطلب الأمر، إنما كانت الفتن في مصر، فما تعرضوا لهذه القضية إطلاقًا أعطوني الكتاب الذي تكلم فيه الشيخ ابن باز والشيخ ناصر»[2].

---

(١) قال في إسبانيا كما في شريط جلسة بين عدنان والمغراوي. «لكن كنت أن أظن أن قضايا المنهج مقصود «الانقلابات، كلما أطلقت هذه العبارات أعني تلك القضايا قضايا المنهج».

بل قال في الشريط المذكور في أوله أيضًا: «لكن كنت أرى أن قضايا المنهج أصاب فيها مسائل لانتخاب وهو الذي كنت أراه ومازلت أرى بعضه مسألة الانتخابات و. . و. . هو يقول في رفضها وأنها من الطاغوت»

وكل هذا من تمويهاته، وسيأتي في البحث ما يكشف عن هذا التمويه.

(٢) وهذا العذر يشبه تمامًا عذر عبد الرحمن عبد الخالق، حينما طعن في علماء المنهج السلفي، ثم قال: «هذا كان قبل ثلاثين سنة، «أتوني بكتاب من سلفي واحد كتب فيه عن «الإلحاد» أو كما قال.

ولا أدري أيهما يلقن الآخر مثل هذه الأعذار، أو تشابهت قلوبهم.

أيا عدنان أكان علماء المنهج السلفي يعيشون في القماقم، فلا يعرفون الواقع، ولا يدرون ما دار في مصر؟ والعرب والعجم والنساء والأطفال يعلمون ما دار فيها. =

وأقول: وكلامه غير صحيح.

أولًا: أنه قد عَرَّفَ المنهاج في أشرطته وفي كتابه «التيه والمخرج»، وادعى أن علماء الأمة لم يقوموا بتأصيل المنهاج، الذي ضلت بسبب فقدانه الأمة، وانطلاقًا من هذا الوهم دندن حول المنهج وتأصيله.

فمما قاله: «اعلم أن المنهاج قسم من أقسام الدين، وهو محوره الذي يجب السير عليه قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾».

وقال معرِّفًا به:

«والمنهاج هو الطريق والسبيل الذي تسير عليه الجماعة المسلمة، لتحقيق أمر العقيدة في القلب، وإقامة شرع الله في الأرض».

ثم قال عقب هذا الكلام:

«والذي يظهر أنه لن يمر كبير وقت على هذه الصحوة إلا ويعتقد معظمها عقيدة السلف إن شاء الله تعالى».

وقال في هذا الكتاب:

«خلاصة أصل الأصول، مما سبق يتبين أن أصل الأصول في دين الإسلام بعد الكتاب والسنة هو التزام منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان في الفهم والسلوك، وبهذا يضبط الفهم، ويزول كثير من الخلاف، فتوحد الأمة، وتنجو من التفرق، الذي هو بليّة البليّات وسبب الفشل والنكبات، وعندئذٍ يزول سبب ضعفها، فتقوى وتمكّن في الأرض.

= ألم يكن في سوريا أحزاب لعلها قامت فيها قبل مصر؟ ألم يكن هناك حزب للإخوان المسلمين بقيادة مصطفى السباعي، وكان الألباني يعايشهم ويتغلغل فيهم لينتشلهم من أباطيلهم ويخالفهم في أساليب التغيير بما فيها الانتخابات؟

واعتقد أن الألباني وإخوانه أول من خالف الإخوان وغيرهم في أساليب التغيير، ومنهم استفاد الناس ذلك لا من سيِّد قطب، الذي يخطط للاغتيالات والتفجير ونسف المنشآت، كما في آخر كتبه ألا وهو كتاب «لماذا أعدموني» الذي يدعي له عدنان زورًا وبهتانًا أنه عالج قضايا المنهاج، ثم يسدل الستار على هذه البوائق في هذا الكتاب.

لماذا تنكر فضل أهل العلم والفضل ومنهم الشيخ الألباني الذي تمسح به كثيرًا وتنسب الفضل لغير أهله؟

وإن أصل الضلال وسبب الانحراف في هذه الأمة مخالفة منهج السلف والعدول عن طريقهم، فيختلف الفهم، فتختلف الأمة، فتضعف وتتهاوى فيتكالب عليها»[١].

وعرف المنهاج في محاضرة في الكويت سماها «معرفة قواعد الحق» فقال:

«**المنهج لغة هو الطريق، وشرعًا: هو الطريق والقواعد التي تسير عليها الجماعة المنصورة**[٢]، الجماعة الناجية لتحقيق أمر الله ﷻ المطلوب من هداية الناس والتمكين في الأرض».

وأشاد بالمنهج كثيرًا في كتاباته وأشرطته، ووضع له أصولًا يدعي أنه استخرجها واستلخصها من الكتاب والسنة، وأن علماء الأمة لم يقوموا بهذا الواجب الذي أدى إهماله إلى ضلال الأمة.

ثانيًا: رأيت عدنان في هذه المرحلة التي أحرج فيها يتلاعب في تواريخ مواقفه ومقالاته، وسأوضح ذلك في حينه.

ثالثًا: أن عدنان لم يقتصر في النقل عن سيِّد قطب في قضايا الاغتيالات والانتخابات... إلخ، ولو كان نقله عنه في هذا المجال فقط لكفاه أن ينقل عن سيِّد قطب بضعة أسطر.

رابعًا. أنه لم يقتصر على مدح سيِّد في هذا المجال وغيره، بل مدح كتبه كالظلال والمعالم، وخصائص التصرر و لماذا أعدموني، ونصح الشباب بقراءتها، كما سيأتي الكلام على هذا.

خامسًا: أنه قد أكثر النقل عن سيِّد قطب في مجال العقيدة عقيدة التوحيد بأنواعها؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وأثار بسبب سيِّد قطب فتنًا ومشاكل، زلزلت الشباب السلفي في كل مكان.

---

(١) انظر: التيه والمخرج (ص ٢١، ٣٥- ٣٦).

(٢) والذي ظهر لي من تتبعه أنه يقصد بالطائفة المنصورة الجماعة التي سينشئوها على أصوله وأصول سيد قطب، ولا يقصد بها ما هو معروف لدى أهل السنة أنهم أهل الحديث ومن سار على نهجهم

سادسًا: أن قوله هذا الذي سئل عنه قريب عهده بعد أن أثار المشاكل حول سيِّد قطب، وقد تكلم العلماء في هذه الفتن، وخاصة الشيخ الألباني، فلماذا يجحد فضلهم وينسب الفضل لسيِّد قطب وهو الذي كان يدرب على الاغتيالات ويخطط لتفجير المنشآت، كما في كتابه «لماذا أعدموني» الذي يمدحه عدنان ويحض على قراءته.

سابعًا: نقوله عن سيِّد قطب، وهي كثيرة ننقل منها ما يتيسر:

١- قال في كتابه التيه والمخرج (ص ٥٨ - ٦٣):

«الأصل الثاني: الدعوة إلى التوحيد».

ثم قال كلامًا جيدًا حول التوحيد، لعله نقله عن بعض أهل التوحيد، وذكر نقاشًا دار بينه وبين رجل لم يسمه في التوحيد في كلمة: «أين الله»، ويقول: إن هذا الرجل بهت بجوابه، ولعل هذه القصة من نسجه.

ثم قال: «وإن الذين لا تعنيهم أسماء الله وصفاته... لم يفهموا التوحيد، ولم يدركوا الإسلام، ولم يتدبروا القرآن، إذ ما من سورة، بل ما من صفحة من كتاب الله إلا وفيها ذكر لأسماء الله وصفاته، ودعوة للإيمان بها والعمل بها.

ثم قال: ألم يكفر اليهود، لأنهم وصفوا الله بما لم يصف به نفسه أو رسله ألم يكفر النصارى... إلخ.

ثم قال: قال سيد: «وكذلك حكى القرآن الكثير من انحرافهم وسوء تصورهم لله سبحانه وشركهم ووثنيتهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾».

ثم قال عدنان: فهذا حكم من اعتقد أن لله يدًا، ولكنها مغلولة... فما حكم الذين قالوا: يد الله معدومة».

فماذا يريد عدنان من نقله هذا الكلام عن سيِّد قطب، وهو يذمُّ من عطَّل أسماء الله وصفاته؟

يريد أن يموه على الشباب الغرّ، ويوهمهم أن سيِّد قطب من أئمة التوحيد، وأنه يثبت الأسماء والصفات، فاستشهد بقوله، وترك أئمة التوحيد والسنة.

إن سيِّد قطب من أشد الناس تجهُّمًا وتعطيلًا لصفات اللّه، ومنها: الاستواء على العرش، وصفة اليد اللتين ذكرهما عدنان خلال نقاشه واستدلاله ضد المعطلين للأسماء والصفات.

أليس هذا تنفيذًا لمكر كُبَّار، وتخطيطًا رهيبًا يستهدف به أتباع المنهج السلفي وخاصة شبابهم الذين لا يعرفون عقيدة سيِّد قطب ومنهجه إلا من خلال هذا العرض الماكر.

٢- وقال في (ص ٦٥) من الكتاب المذكور:

«التوحيد النقي الخالص:

إن التوحيد الخالص: هو فهم توحيد الربوبية واليقين به، وإدراك توحيد الألوهية والتزامه، والإيمان بصفات اللّه على ما وصف وأخبر، وعندئذٍ تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

إن التوحيد النقي هو التزام كلمة «لا إله إلا الله»، من حبٌّ لله تعالى ولشرعه وتحكيمه، وحبٌّ لرسول اللّه ﷺ وهديه والسير عليه، حبٌّ لصحبه وأتباعهم والمؤمنين جميعًا، ونصرة دينه والمؤمنين، والبراء من الشرك وأهله وكراهيتهم ومعاداتهم».

ثم تحدث عن نواقض التوحيد، ونقل عن الإمام محمد بن عبد الوهاب الناقض العاشر.

ثم ذكر أن معظم المسلمين المعاصرين لا يفهمون معنى لا إله إلا اللّه على حقيقتها، بل معظمهم يفهمها على معنى توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون.

ثم نقل كلامًا عن الإمامين ابن القيم وابن عبد الوهاب في تقرير توحيد الإلهية، والعمل بمقتضى «لا إله إلا الله» ولوازمها.

ثم نقل عن سيِّد قطب الكلام الآتي:

«نحن اليوم نعيش في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس، وعقائدهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وموارد ثقافتهم، وفنونهم، وآدابهم، وشرائعهم، وقوانينهم، حتى الكثير مما نسميه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيرًا إسلاميًّا، هو كذلك من صنع الجاهلية».

علق عدنان على هذا النص بتعليقين:

١- أحدهما قال فيه:

«الظلال (١٧) ظلل اللّٰه صاحبه بعرشه، وأدخله جنته وعفا عنه في زلاته».

٢- وثانيهما قوله:

«اعترض بعض الأفاضل على هذا التعبير، والصواب أن يقال: إن عني بالجاهلية التكفير فلا.

وإن عني ما يعيشه المسلمون في واقعهم من أمور جاهلية فحق لا ريب فيه[1]».

ثم ذكر ما يعيشه كثير من الناس من معاص وبدع وشركيات.

ثم قال: «واللّٰه إن لم تكن هذه هي الجاهلية، جاهلية الأعمال، وبعضها جاهلية القلوب[2]، فلا جاهلية على وجه الأرض.

وهذا هو الذي أراده الرجل... بدليل تصريحه بعدم تكفيره للناس في مواضع تأتي... وهذا مقتضى الإنصاف... أن يحمل المبهم على الصريح والمجمل على المفصل، ومن الإنصاف ألا يبخس الناس صوابهم».

ومن المآخذ على عدنان في هذا التصرف:

أ - استدلاله بكلام سيِّد قطب في سياق تقرير توحيد الألوهية مقرونًا بإمامين

(١) هل عقائد أهل السنة والحديث وتقاليدهم وآدابهم وشرائعهم... إلخ جاهلية؟ بل هل كثير من الطوائف حالهم ما سلمت به؟

(٢) نريد أن يبين لنا عدنان مراده بالجاهلية.

عظيمين من أئمة التوحيد ليوهم الشباب الغر بأن سيِّد قطب من أئمة التوحيد، وهو لا يعرف توحيد الألوهية، ولا يفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، بل يفسر كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» بتوحيد الربوبية

فقد فسر قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1] بقوله: «أي لا شريك له في الخلق والاختيار».

وفسر قول الله تعالى: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ من سورة الناس بقوله: «هو المستعلي المستولي المتسلط».

وقال سيِّد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية»[2]:

«إن الأمر المستيقن في هذا الدين: أنه لا يمكن أن يقوم في الضمير عقيدة، ولا في واقع الحياة دين، إلا أن يشهد الناس أن لا إله إلا الله أي لا حاكمية إلا لله حاكمية تتمثل في قضائه وقدره، كما تتمثل في شرعه وأمره».

وهو يكفِّر المجتمعات الإسلامية قطعًا، لكن بالجانب التشريعي القانوني الذي فرض عليهم فيه مخالفة الإسلام، وفي الوقت نفسه لا يرى أي ملاحظة عليهم في الجانب العقائدي والعبادي، أي لا يرى تعطيل صفات الله ولا شرك القبور ولا غير ذلك من العقائد والأعمال الباطلة أنه ينافي لا إله إلا الله[3].

فقد وضع عنوانًا هو «لا إله إلا الله منهج حياة»، تكلم عن معنى هذه الكلمة العظيمة كلام من يجهل معناها فعلًا، يمزج فيه ما ورثه من فلسفة بما يفسره من الآيات التي ينحى فيها إلى التكفير، مفرقًا بين المجتمع المسلم الذي يؤصل لإنشائه وبين المجتمعات الجاهلية.

ثم اتجه إلى تعريف المجتمع الجاهلي فقال:

«ما هو المجتمع الجاهلي، وما هو منهج الإسلام في مواجهته؟

---

(١) سورة القصص الآية ٧٠.

(٢) ص. ١٨٢.

(٣) انظر معالم في الطريق (ص ٩٠) وما قبلها وما بعدها.

إن المجتمع الجاهلي : هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم .

وإذا أردنا التحديد الموضوعي قلنا : إنه كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشعائر التعبدية وفي الشرائع القانونية .

وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلًا .

١- تدخل فيه المجتمعات الشيوعية . . . أولًا بإلحادها في الله ﷻ .

٢- وتدخل فيه المجتمعات الوثنية ، وهي ما تزال قائمة في الهند واليابان وإفريقية ، تدخل فيه . . . أولًا بتصورها الاعتقادي القائم على تأليه غير الله معه أو من دونه .

وتدخل فيه ثانيًا : بتقديم الشعائر التعبدية . . . .

٣- وتدخل فيه المجتمعات اليهودية والنصرانية ، وتدخل فيه هذه المجتمعات أولًا بتصورها الاعتقادي المحرف الذي لا يفرد الله سبحانه بالألوهية ، بل يجعل له شركاء في صورة من صور الشرك سواء بالبنوة ، أو بتصوير الله سبحانه على غير حقيقته ، وعلاقة خلقه به على غير حقيقتها . . . .

وتدخل فيه كذلك بشعائرها التعبدية ومراسمها وطقوسها المنبثقة من التصورات الاعتقادية المنحرفة الضالة .

ثم تدخل فيه بأنظمتها وشرائعها . . . .

٤- وأخيرًا يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات ، التي تزعم لنفسها أنها مسلمة .

وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله .

ولكنها تدخل في هذا الإطار ، لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها ، فهي وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله تعطي أخص خصائص الألوهية لغير

الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها، وكل مقومات حياتها تقريبًا.

والله يقول عن الحاكمين. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ويقول عن المحكومين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ إلى أن يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾»[1].

أ- والمتأمل لكلام هذا الرجل يجد فيه أنه لم يفهم معنى لا إله إلا الله حق الفهم، ولم يفهم ما ينافيها من الشرك والضلال، وأنه غلا غلوًّا في الحاكمية، إذ جعلها أخص خصائص الألوهية، ثم كفَّر بها المجتمعات الإسلامية ظلمًا ومجازفة كبيرة.

فهي في هذا الجانب السياسي ليست كما صورها، فهي لا تدين بالعبودية لغير الله في نظام حياتها، ولا تتلقى من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها . . . إلخ.

بل هي مفروضة عليها بالحديد والنار.

ب- ولم يفهم معنى لا إله إلا الله ولا أخص خصائص الألوهية حيث لا يرى الانحراف الكبير في توحيد الألوهية، وتقديم الشعائر التعبدية لغير الله انحرافًا من قريب ولا من بعيد، فهو لا يرى الاستغاثة بغير الله والذبح لغير الله والطواف بالقبور والخنوع والخضوع والتذلل لأهلها، وما يدور في هذا الفلك من تشييد القبور، وبناء المساجد عليها، وشد الرحال إليها وإقامة الأعياد لها، وكل ما جرى هذا المجرى، لا يرى شيئًا من ذلك منافيًا لمعنى «لا إله إلا الله».

ج- ولا يرى تعطيل صفات الله ولا الاعتقاد في أهل البيت النبوي وفي الأولياء أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، والاعتقاد في الأقطاب والأوتاد والغوث، لا يرى شيئًا من ذلك ينافي توحيد الربوبية ولا توحيد الأسماء والصفات، ولا يرى أن هذه الأمور مجتمعة تنافي التوحيد بأنواعه، ولا يراها مخلة بعقائد

(١) انظر: معالم في الطريق (ص ٨٣ - ٩٠).

المجتمعات الإسلامية، بل يكاد أن يعطيها في هذه الجوانب صكوك غفران.

في الوقت الذي يحملها أوزارًا المسئول عنها فئة منحرفة في الحاكمية، لا المجتمعات التي كفرها حاكمين ومحكومين.

فنقول: إنه فعلًا حكم على هذه المجتمعات سلبًا وإيجابًا بغير ما أنزل الله، فتنطبق عليه وعلى أمثاله، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ﴿هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، ﴿هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾، ولولا جهله لكان أحق الناس بالدخول في المجتمعات الجاهلية التي يكفرها.

ولكن لجهله نعذره كما نعذر غيره لجهلهم حتى تقوم الحجة على الجميع.

فنقول: يا عدنان ما هذه المغالطات؟ الرجل يقعِّد ويؤصل لتكفير المجتمعات، ويصرح بذلك صراحة منقطعة النظير، ونشأ على تقعيده وتأصيله وتصريحاته بالتكفير جماعات، فتغالط في هذه الأمور البدهية وتـسفسط فيها، لتحارب من ينكر هذا المنكر الكبير من أهل السنة، ومنهم ربيع الذي جعلت حربه من أجل سيِّد قطب من أعظم أهدافك.

لقد أكَّد سيِّد قطب تكفيره السابق للمجتمعات الإسلامية بقوله:

«وإذا تعين هذا فإن موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة:

أنه يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات وشرعيتها في اعتباره أن الإسلام لا ينظر إلى العنوانات واللافتات والشعارات التي تحملها هذه المجتمعات على اختلافها.

إنها كلها تلتقي في حقيقة واحدة... وهي أن الحياة فيها لا تقوم على العبودية الكاملة لله وحده، وهي من ثَمَّ تلتقي مع سائر المجتمعات الأخرى في صفة واحدة... صفة الجاهلية»[1].

فماذا تريد بعد هذا؟

---

(١) انظر: معالم في الطريق (ص ٩١ - ٩٢).

ويؤكد هذا وذاك أنه قد شحن كتابه الظلال بالتكفير الواضح، حتى وصل به الأمر فيه أن يكفر المسلم بالطاعة لغير الله في جزئية واحدة.

قال سيِّد قطب:

«ومعنى عدم الاستسلام لهذه الشريعة واتخاذ شريعة غيرها في أية جزئية من جزئيات الحياة هو - قبل كل شيء - رفض الاعتراف بألوهية الله وربوبيته وقوامته وسلطانه... ويستوي أن يكون الاستسلام أو الرفض باللسان أو بالفعل دون القول، وهي من ثَمّ قضية كفر أو إيمان، وجاهلية أو إسلام، ومن هنا يجيء هذا النص: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾... ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾... ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾»[1].

وقال أيضًا:

«إن من أطاع بشرًا في شريعة من عند نفسه، ولو في جزئية صغيرة، فإنما هو مشرك، وإن كان في الأصل مسلمًا ثم فعلها، فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضًا... مهما بقي بعد ذلك يقول: أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه، بينما هو يتلقى من غير الله ويطيع غير الله.

وحين ننظر إلى وجه الأرض اليوم في ضوء هذه التقريرات الحاسمة، فإننا نرى الجاهلية والشرك، ولا شيء غير الجاهلية والشرك إلا من عصم الله، فأنكر على الأرباب الأرضية ما تدعيه من خصائص الألوهية، ولم يقبل منها شرعًا ولا حكمًا... إلا في حدود الإكراه»[2].

ويعني بقوله: «في حدود الإكراه» نفسه والطليعة التي يربيها على التكفير والدمار.

وأما المجتمعات فهي كلها راضية في نظره بما يراه كفرًا وشركًا، فهي كافرة في حكمه الجائر.

---

(١) انظر: الظلال (٢/ ٨٨٩).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١١٩٨).

أيا عدنان أتقرن هذا الجاهل الضال بأئمة الإسلام في تقرير التوحيد بأنواعه، وتدافع عنه بالباطل، وتحارب من ينتقده بالحق والعلم والحجة والبرهان لتوهم الناس بذلك أنه من أئمة التوحيد، ولا تدافع عن أحد من أئمة السنة الماضين والحاضرين من الطعون الفاجرة الظالمة التي سددت إليهم.

ومنهم من تزعم أنهما شيخاك اللذان لا يضاهيك أحد في الأخذ عنهما، إذ وُجِّهتْ إليهم سهام الروافض والخوارج والصوفية وأدعياء السلفية، فلم تدفع عنهما بسهم واحد.

٣- قرن بين ابن تيمية وسيِّد قطب في تقرير توحيد الألوهية.

قال عدنان:

«فالإله: هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكرامًا، والله ﷻ له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله»، وأحال على الفتاوى (١/ ٢٦٥).

ثم نقل عن سيِّد قطب قوله الآتي:

«وبالتالي فإن ثمرة التوحيد: «إسلام العباد لرب العباد وإخراجهم من سلطان العباد في حاكميتهم وشرائعهم وقيمهم وتقاليدهم إلى سلطان الله وحاكميته وشريعته وحده في كل شأن من شؤون الحياة»»، وأحال إلى معالم في الطريق (ص٤٦)[1].

فعل هذا ليوهم الناس أن سيِّد قطب وابن تيمية أخوان في التوحيد، وشتان بين الرجلين، وأين الثرى من الثريا، وأين من يقرر في أبواب التوحيد الحلول ووحدة الوجود، ويعطل صفات الله، ولا يعد الشرك الأكبر منافيًا لـ «لا إله إلا الله» إلى آخر ضلالاته الكبيرة، من إمام عبقري في التوحيد بأنواعه، الذي لم يسبق ولم يلحق في تقريره، بعد رسول الله ﷺ وأصحابه وأئمة الهدى، وإمام في السنة وعلومها والتفسير وعلومه والفقه والأصول، وأين هذا من جاهل ضال لا يساوي

---

(١) انظر: التيه والمخرج (ص ٧٠).

كبير شيء في هذه المجالات.

ثم إن شيخ الإسلام ابن تيمية يقرر التوحيد في هذه الفقرة على طريقة الأنبياء والصحابة العظام والسلف الكرام، وسيّد قطب يقرر توحيد الحاكمية، أي الجانب السياسي والتشريعي من الإسلام، والذي لم يفهمه، فيجعله أخص خصائص الألوهية، وليس الأمر كما يفهم، بل هو من حقوق «لا إله إلا الله» كغيره من الشرائع الإسلامية بعد التوحيد.

ولم يفهم عدنان هذا الفارق الكبير بين التقريرين.

٤- ونقل عن الإمام ابن القيم كلامًا قيّمًا رائعًا في توحيد الألوهية وثمراته.

ثم نقل عقبه الكلام الآتي عن سيّد قطب:

«قال سيّد رحمه الله:

«إن الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكامل، وليس مجرد عقيدة مستكنّة في الضمائر وحدود العقيدة أبعد كثيرًا من مجرد الاعتقاد الساكن، إن حدود الاعتقاد تتسع وتترامى حتى تتناول كل جوانب الحياة»».

وعلق على هذا النص بالكلام الآتي:

«كنت قد نقلت كلام سيّد هذا في كتابي هذا مستشهدًا به ثم رأيت أحد الإخوة قد خطّأ سيد قطب في هذا بل وضلله....

فعرضت هذا الكلام على شيخنا العلامة الألباني حفظه الله بحضور بعض من انتقد هذا النص، ليكون حكمًا مرتضى... فأيد الشيخ حفظه الله كلام سيّد وأعجب به.

وقال: هذا هو المعنى الصحيح للعقيدة... واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة، منها:

(إن الإيمان بضع وسبعون شعبة... وأدناها إماطة الأذى عن الطريق).

وقال -حفظه الله-:

إذا لم يدخل في عقيدة المرء أن إماطة الأذى من الإيمان، فليس له أجر إن

عمل هذا العمل. . . ثم استغل بعضهم لقائي هذا مع الشيخ ناصر ليوهم: أن الشيخ وأنا معه، لا نرى وقوع سيِّد في أخطاء والتنبيه إليها، وأننا نخطِّئ من يرد على سيِّد[1].

وليست المسألة كذلك، واعلم أنه ليس في هذا أي انتقاص للمتقدين ممن هم أعلم وأقوم سبيلًا، كما أن العصمة ليست لسيِّد ولا للمتقدين ولا لأحد بعد الرسل. . . نسأل الله ﷻ العون على الإنصاف.

والمتأمل المنصف لكلام الداعية سيِّد -رحمه الله تعالى- هذا والذي بعده، يجد أنه موافق لمذهب السلف، ولكلام الإمامين ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله تعالى-.

والظاهر أن سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ قد تأثر في آخر حياته بهذا المنهج، منهج أولوية العقيدة، ودعوة الناس إليها وتربيتهم عليها، وسلك سبيله وترك ما عداه، وقد أخبرني أخوه الأستاذ الفاضل محمد -حفظه الله- بذلك، وكتبه الأخيرة تؤكد ذلك»[2].

وعلى عدنان في نقل هذا النص والتعليق عليه مآخذ:

١- قرنه بين الإمام ابن القيم فارس ميدان العقيدة والتوحيد والعلم والسنة وسيد قطب الذي يعدّ رأسًا في الضلال في هذه المجالات وغيرها.

٢- من الأهداف السيئة التي قادته إلى إيراد هذا النص بعدما سبق، تبرئة ساحة سيِّد قطب من التكفير ومن البدع والضلالات.

٣- الذب عنه وشنّ الحرب على ربيع بعد تعهده بإدانة سيِّد قطب بالبدع والضلال.

---

(١) من هو هذا المستغل الذي سوى بينك وبين الألباني؟!
ومعروف عن الألباني أنه يدين سيِّد قطب بوحدة الوجود والجهل، وكفى بهما إدانة.
ثم أيَّد ربيعًا فيما كتبه عن سيِّد قطب وجهل سيد قطب في الأصول والفروع، بينما عدنان مجنون سيد قطب يدعو إلى أصوله، ويحارب عنه.

(٢) انظر: التيه والمخرج (ص ٧٢).

٤- إمعانه في المغالطات والمكر برفع سيِّد إلى قمة السلفية :

أ - بجعله من أقران ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب .

ب - بقوله : «والظاهر أن سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ قد تأثر في آخر حياته بهذا المنهج ، منهج أولوية العقيدة ودعوة الناس إليها» .

ج- «وسلك سبيله» .

د- «وترك ما عداه» (أي ترك البدع والضلال) في نظر عدنان .

هـ- «وقد أخبرني أخوه بذلك» .

و- «وكتبه الأخيرة تؤكد ذلك» .

ز- وانظر إلى قوله : «المنصف» ، ليشعر بأن ربيعًا ظالم لسيد قطب ، وعدنان هو المنصف .

وأقول : ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ .

فهذه شهادات زور ، قالها حربًا ونكايةً بأهل السنة ومنهم ربيع ، وخُلْف منه لوعوده العرقوبية ، وتغرير بالشباب الذين اتجهوا إلى المنهج السلفي .

يفعل كل هذا بعدما وضح ربيع في كتابه «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» بلايا سيد قطب ، ولو كان قبل هذا لالتمسنا له العذر ، ولكنه مع الأسف يقول هذا مكابرة وعنادًا ، بل وإمعانًا واستمرارًا في الحرب التي بدأها ، ولم يهدأ أوارها ، بل لا يزيدها على مر الأيام إلا إلهابًا وإشعالًا ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ .

٥- ونقل نصًا آخر لعله يقصد بيان تفوق سيد قطب على من سبق نقله عنهم تغطيةً وتلبيسًا ، وإلا فالهدف الحقيقي هو الإشادة بسيّد قطب ، وإبرازه إمامًا في التوحيد لا يشق له غبار .

فقال :

«وقال : «والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشري ، وهي قاعدة «شهادة أن لا إله إلا الله» ، أي إفراد اللَّه سبحانه بالألوهية والربوبية ، [ووصفه بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ﷺ إثباتًا

وتنزيهًا]، والقوامة والسلطان والحاكمية، إفراده بها اعتقادًا في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة»[1]».

علق عليه عدنان في الحاشية بقوله: «ما بين القوسين زيادة من عندنا».

ونسأله هل هذا من التحذير من ضلالات سيد قطب التحذير الذي تقول أنك تحذر الناس من ضلالاته من خمس وثلاثين سنة؟

وهل سيِّد قطب ممن يثبت الصفات فسها هنا عن ذكرها فقمت أنت باستدراك شيء من عقيدته أذهله عنها روعة الموقف؟

أهذا من غيرتك على التوحيد والسنة فتندفع بهذه الغيرة فتقوم بالترقيع والتلميع لرأس من رءوس الضلال؟!

وهل أنت تؤمن بتفسير سيِّد قطب لشهادة أن لا إله إلا الله على هذا الوجه الغريب: الخلط بين معاني الربوبية والألوهية «الألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية»؟

أو أنت لا تؤمن بهذا التفسير وما شاكله وتتقصد تزيين باطله؟

ألا تدري أن مثل تفسير سيِّد قطب يؤدي إلى إنكار توحيد الألوهية أو على الأقل إلى الجهل به، كما حصل هذا فعلًا لأهل الكلام والتصوف وغيرهم.

والذي يترجح لي أن عدنان على طريقة سيِّد قطب في تفسير «لا إله إلا الله».

٦- ويريد أن ينفي عن سيِّد ما هو واضح في كتاباته كالشمس، ألا وهو التكفير المدمِّر، فقال:

«قال سيد: «إننا لم نكفر الناس، وهذا نقل مشوّه»[2]، إنما نحن نقول: إنهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة، وعدم تصور مدلولها الصحيح، والبعد عن الحياة الإسلامية، إلى حال تشبه حال المجتمعات الجاهلية، وأنه من أجل هذا

(١) التيه والمخرج (ص ٧٣).

(٢) والحقيقة أنه ليس هناك نقل مشوّه، وإنما هذا تهرب من سيد قطب من عقيدته التي قررها كثيرًا، ودان بها الكثير.

لا تكون نقطة البدء في الحركة هي قضية إقامة النظام الإسلامي، ولكن تكون إعادة زرع العقيدة، والتربية الأخلاقية الإسلامية، فالمسألة تتعلق بمنهج الحركة الإسلامية أكثر ما تتعلق بالحكم على الناس».

علق عدنان على هذا بقوله:

«لماذا أعدموني (ص ٣٨)، وهذا من الأدلة الصريحة رحمه الله على عدم تكفيره للناس جملة».

وكل عاقل يفقه ما يقول الله؛ إذا قرأ نصوص سيد قطب في الظلال والمعالم والعدالة، لا يشك ولا يتردد في أن سيد قطب يكفر المجتمعات الإسلامية تكفيرًا صريحًا واضحًا، كالشمس ليس دونها سحاب.

فمن المغالطات إنكار سيد قطب لما قرره وكرره كثيرًا، وقعَّد له القواعد، وأصله في كتبه.

ومن المغالطات الشنيعة ما يقوله عدنان ليدفع معرة ذلك عن سيد قطب، وعن نفسه.

ولقد قامت جماعات على هذا المنهج التكفيري الغليظ، وشهد بذلك أولياء سيد وخصومه.

وأخيرًا فهذه ستة نصوص ينقلها عدنان في كتابه «التيه والمخرج» في العقيدة والتوحيد بأنواعه مع عدم صلاحيتها، ومع ما فيها من الجهل بالتوحيد وتعطيل صفات الله ﷻ، ومع ما في كلام عدنان من المجازفات والمغامرات، ومع القصد السيئ من رفع سيد من حضيض البدع والضلال، كالقول بالحلول ووحدة الوجود، إلى أوج السنة وطهرها، وفي مصاف كبار أئمة السنة والتوحيد.

ومتابعة نقوله ومناقشتها في ضوء منهج السلف أمر طويل واسع، يحتاج إلى زمن واسع وفراغ.

★ إيهامه أن سيد قطب من كبار المحاربين للبدع:

١- وتحت عنوان: «كيف أتجنب البدع وأكون متبعًا»، ساق عدنان[1] نصًا من القرآن ونقلًا عن ابن عمر وقولًا لأحمد، ثم قال:

«قال سيد رَحِمَهُ اللَّهُ الظلال (٥/ ٢٨٢٣): «لا يملك أي مسلم أن يقول كلمة، أو يتحرك حركة، أو ينوي نية، أو يتصور تصورًا غير محكوم في هذا كله بعقيدته»».

أقول: لقد حذف عدنان من هذا النص قول سيد: «إن كانت هذه العقيدة حقيقة واقعة في كيانه».

ونسأل عدنان:

ما هي عقيدة سيد قطب الحقيقية الواقعة في كيانه، التي سجلها في هذا الكتاب الظلال بالذات وفي غيره؟

أليس هو من المعطلين لصفات الله في هذا الكتاب.

أليس قد قال بالحلول والجبر ووحدة الوجود في هذا الكتاب.

ألم يقل بأزلية الروح في هذا الكتاب.

ألم يقل بأن القرآن مصنوع في هذا الكتاب.

ألم يقل مهوّنًا من شأن معجزات الرسول الكثيرة:

«إن معجزة الرسول الوحيدة هي القرآن».

فهو يهوّش على معجزات الرسول بما في ذلك معجزة انشقاق القمر.

ألم يردد عقائد الخوارج التكفيرية الظالمة في هذا الكتاب وغيره.

ألم تزخر كتبه بالبدع الكبيرة بما في ذلك: الطعن في أصحاب محمد ﷺ.

ألا يحق لمن يتأمل أهداف نقلك عن هذا الرجل أن يصدع بأنك مدلس غشاش للإسلام والمسلمين، تشبع سيد قطب بنقيض ما هو عليه، وما هو بعيد عنه كبعد الثرى عن الثريا.

---

(١) صراع الفكر والاتباع (ص ٦١).

أتقرن قول أشد الناس انغماسًا في البدع الغليظة بقول الله وقول الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - الذي خرج من المسجد من أجل قول المؤذن: الصلاة قد قامت الصلاة، وسيد لا يستنكر الشرك الأكبر ولا بناء المساجد على القبور؟

أتقرن إمامَ ضلالات بإمام من أئمة السنة، بل إمام أهل التوحيد والسنة إلى يومنا هذا؟

كيف يعظم عدنان سيد قطب ويبالغ في الدعاء له بما لم يدع لأحد بمثله، فيقول بعد أن نقل عنه نصًا من نصوص التكفير للمسلمين ظلمًا متأولًا لنصه الواضح: «الظلال (١٧) ظلل الله صاحبه بعرشه وأدخله جنته وعفا عنه في زلاته»!!!

ومعلوم أن سيدًا لا يدري ما هو العرش ولا....

٢- وتحت عنوان: «من الطوائف المبتدعة»، قال عدنان[1]:

«وهذه الطائفة - أي الطائفة الفكرية - وليدة المعتزلة عباد العقل، ومن قدم عقله على شرع الله فقد عبد عقله.

وقد رد عليهم كثيرون، ومنهم سيد قطب في خصائص «التصور الإسلامي» وغيره، فأجاد وأفاد طيب الله ثراه، وغفر له خطاياه، وجعل الجنة مأواه، قال في رده على محمد عبده: «... حتى صرح - أي محمد عبده مراتب وجوب تأويل النص ليوافق مفهوم العقل، وهو مبدأ خطر»».

ثم ذكر ابن تيمية وكتابه درء تعارض العقل والنقل بعد سيد قطب.

وأنا أسأل عدنان، لماذا آثرت ذكر سيد قطب على الكثير من أئمة الإسلام والسنة حقًا، ومنهم مالك وأحمد والأوزاعي والشافعي والآجري واللالكائي وابن خزيمة وابن جرير وعبد الغني المقدسي وابن القيم وابن عبد الهادي ومحمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وتلاميذه والشيخ السعدي والشيخ ابن باز وإخوانه والألباني والشوكاني والصنعاني ومحمد حامد الفقي وعبد الرحمن الوكيل

---

(١) صراع الفكر والاتباع (ص ٨٤).

ومحمد خليل هراس وعبد الرزاق حمزة وأبو السمح وعلماء أهل الحديث في الهند وباكستان وغير هؤلاء من أهل السنة المحضة؟

لماذا آثرت سيد قطب على هؤلاء، وهو من كبار من يقدمون عقولهم على نصوص الكتاب والسنة، ومن كبار أهل البدع والضلال، بل هو ممن يرد أخبار الآحاد المتلقات بالقبول لدى الأمة، بل ويرد المتواترات في أبواب العقيدة؟

ولماذا تميزه بهذا الإسهاب في الدعاء، ولا تسهب لمثله لا لأهل السنة ولا لأهل البدعة؟

وإذن فإن من وراء هذه الأساليب لأسرارًا منها ما يمكن اكتشافه، ومنها الخفي الغامض لا يعرفه إلا اللَّه، ثم صاحبه عدنان.

٣- نقل عن سيد نصًا من الظلال في عدم الاندفاع والحماس، ثم قال عدنان[1]:

«فأنبئونا - أيها الإخوة - بعد كلام هذا الداعية المجرب والخريت الصادق على أي طريق تسيرون . . . ؟ وفي أي اتجاه تسلكون».

٤- وهو يسير في هذا على طريقة سيد قطب ومحمد، وهو يرى - أي عدنان - الخروج ولكن بعد الإعداد، ولهجه بالتربية إنما هو من منطلق بني قطب، فقد نقل عن سيد قطب أيضًا في عدم الحماس، ثم قال بعده:

«قلت: واللَّه لقد عرفت فبينت، ونصحت فأصبت، ووعظت فصدقت، ولكن لا حياة لمن تنادي». (الطائفة المنصورة ص ٧٢).

وعدنان يعني بالطائفة المنصورة غير ما يقصده أهل السنة، وكم له من التشويه والطعن في السلفيين كما سيأتي بيانه.

*** إشادته بسيِّد قطب وكتبه ومنهجه.**

- سئل عدنان: ما قرأتم؟

(١) صفات الطائفة المنصورة (ص ٨٩).

فأجاب: «كتاب واقعنا المعاصر عالج القضايا المنهجية وسيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ».

فقال السائل: وكتاب التصور الإسلامي ومقوماته.

فقطعه بقوله: «أحسنت هذا الكتاب عظيم جدًا، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته كتاب عظيم جدًا، وننصح به، عالج القضايا المنهجية [معالجة] رائعة.

الظلال عالج القضايا المنهجية، معالم في الطريق عالج القضايا المنهجية، هو ممن كتب في هذا العصر في قضايا المنهاج، ومعظم ما كتبه كان مصيبًا فيه رَحِمَهُ اللَّهُ، وأحلى كتاب له في المنهاج كتابه «لماذا أعدموني»».

وقال - أيضًا - بصوت الغاضب المتحمس:

«أضرب مثالًا في رجل مظلوم جعله الله شهيدًا من شهداء الإسلام، ألا وهو سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ، فالويل لي إن استشهدت بكلام سيد قطب عند بعض الناس.

لِمَ؟

الرجل له ما له وعليه ما عليه، فإنه تكلم في قضايا المنهاج، لا أعلم أحدًا على وجه الأرض تكلم في قضايا المنهاج بمثل ما تكلم بها سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ، ووضع النقاط على الحروف، ووصف الوضع المكي، ووصف الوضع المدني، ووصف التربية، ووصف الجماعات المسلمة في بعض كتبه وحلّل.

ومن أعظم كتبه «معالم في الطريق»، و(«لماذا أعدموني»، وتصوره عن المجتمعات الإسلامية، وما تكلم فيها».

وفي شريط «معالم في المنهج» (رقم: ٢)، قال بعد كلام في بعض الجماعات وفي الخروج على المجتمعات قبل الخروج على الحكام....

قال:

«حتى أكوّن لك قاعدة، وهذا الكلام ليس بدعًا مني، فإذا كنتم لم ترضوا بسيرة الرسول ﷺ، فإن أبدع من كتب في هذا في عصرنا هو سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه فسيح جنته، فقد لفت لفتات عجيبة وغريبة في هذه المقامات، ذكر هذا، وذكر مسألة التأصيل، وكما سمعتم بالأمس، وبخاصة في كتاب «لماذا

أحدموني»، وعند قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾، وعند قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾».

ولإكبار عدنان لسيد قطب وتعظيمه والغلو فيه، تجده يخصه بدعوات ما رأيته يدعو بمثلها لأحد من الصحابة ولا التابعين ولا لأحد من أئمة الهدى، مثل هذا الدعاء، ومثل قوله: «ظلل الله صاحبه بعرشه، وأدخله جنته، وعفا عنه»، ومثل قوله: «والله لقد عرفت فبينت، ونصحت فأصبت، ووعظت فصدقت، ولكن لا حياة لمن تنادي»[1]، ويمدحه بما لا يمدح به أحدًا مثل: «الداعية المجرِّب والخرِّيت الصادق»[2].

وفي هذه النصوص:

١- مدح لكتاب «واقعنا المعاصر» لمحمد قطب، وهو غير مقصور على القضايا المنهجية.

٢- ومدح لكتاب «الظلال»، وهو غير مقصور على القضايا المنهجية، بل فيه من العقائد الضالة كالحلول ووحدة الوجود ووحدة الفاعلية (أي عقيدة الجبر)، والقول بخلق القرآن، وإنكار رؤية الله، والتهوين من شأن معجزات الرسول ﷺ، ويرى أن معجزة الرسول ﷺ الوحيدة هي القرآن، وفيه بعض خرافات التصوف الفلسفي.

وفيه دندنة حول الاشتراكية إلى جانب التكفير للمجتمعات الإسلامية، وتحريف دعوة الأنبياء وبدع كثيرة، استقصاها أو قارب الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله.

وناقشتُ كثيرًا منها في كتابي «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره».

٣- ومدح لكتاب «معالم في الطريق»، وفيه قضايا منهجية وعقائدية في غاية الضلال.

---

(١) صفات الطائفة المنصورة (ص ٧٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٨٩).

٤- ومدح لكتاب «خصائص التصور الإسلامي»، سلك فيه مسالك أهل الفلسفة، وفيه بدع ناقشتُها في كتابي «الحد الفاصل».

٥- وفيها مدح لكتاب «لماذا أعدموني» ووصفه له بالحلاوة، وفي هذا الكتاب قضايا التفجير، والتدريب على الاغتيالات وصنع المتفجرات.

٦- وفيها النصح المطلق بقراءة هذه الكتب دون التحذير من شرورها.

٧- وفيها الشهادة لسيد قطب بأن الله جعله شهيدًا.

٨- وفي قوله: «أضرب مثالًا في رجل مظلوم جعله الله شهيدًا من شهداء الإسلام، ألا وهو سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالويل لي إن استشهدت بكلام سيد قطب عند بعض الناس».

في هذا القول دليل واضح على قرب العهد بهذا الكلام في هذا الشريط، وأنه بعد مطالبات ربيع والسلفيين له بإدانة سيد قطب بالبدع والضلال تكفيرًا عن جده في الانتصار لسيد قطب والذب عنه، وأن ادعاءه أنه من قبل «ست أو سبع أو عشرة أو خمس عشرة سنة»[1] من الأباطيل والتمويهات التي مرد عليها.

فهذه ثمانية نصوص ينقلها عدنان ستة منها في كتابه «التيه والمخرج» في العقيدة والتوحيد بأنواعه مع عدم صلاحيتها، ومع ما فيها من الجهل بالتوحيد وتعطيل صفات الله ﷻ، ومع ما في كلام عدنان من المجازفات والمغامرات، ومع القصد السيئ من رفع سيد من حضيض البدع والضلال والحلول ووحدة الوجود إلى أوج السنة وطهرها، وفي مصاف كبار أئمة السنة والتوحيد.

ومتابعة نقوله ومناقشتها في ضوء منهج السلف أمر طويل واسع يحتاج إلى زمن واسع وفراغ.

ولم يكتف عدنان بهذه الأعمال، بل استمر في أعماله وحركاته في الأذى والسعي في إثارة الفتن بين السلفيين في مدن المملكة وخارج المملكة، فلا يلتقي بالشباب السلفي الذين أصبحوا هدفه الوحيد إلا وأحدث فرقة وفتنة بأفكاره

---

(١) في كلامه اضطراب منشؤه كذب القائل لا ضعف حفظه.

وأصوله ومنهجه، وأفكار سيد قطب بأساليب ماكرة، وربيع المستهدف بالأذى في الدرجة الأولى ساكت غافل ومتغافل عنه، لم يصدر ضد عدنان أي مقالة ولا محاضرة ولا كتاب.

حتى سئل عن عدنان فأجاب السائل بما أوجب الله عليه من النصيحة والتحذير، فهاج عدنان يعقد ندوة هنا، ويقيم دورة هناك، وينشر في مجلة البصائر مقالات، ويلقي المحاضرات.

هذا عدا جلساته السرية.

فلما اشتد أذاه وبلغ السيل الزُّبى رددت عليه في شهر ذي الحجة من عام ١٤١٩ هـ في شريطين، دحضت فيهما بعض أباطيله، جعلاه بحمد الله يترنح ويتخبط، للخروج من المآزق التي زج بنفسه فيها.

* * *

الفصل الثاني: في الجواب على خطابه الذي أصدره قريبًا إلى إخوانه المسلمين

ماذا في هذا الخطاب الهام الذي وجهه عدنان إلى إخوانه المسلمين؟

الذي لم يصدر إلا بعد اللتيا والتي وبعد ضغوط شديدة ومطالبات أكيدة.

إنه لو كان سلفيًا صادقًا أو من أهل الصدق في الجملة لحل هذا الخطاب المشاكل، وقضى على الفتنة التي أثارها هو، ولا يزال يؤججها.

كان ينبغي أن يكون مشتملًا على البيان والتفصيل الشافي الكافي، الذي طالما انتظره منه السلفيون.

ولكنه مع الأسف الشديد يصدق عليه المثل: «تمخض الجبل فولد فأرًا»، وبدل أن يكون تعبيرًا صادقًا عن ندمه وتوبته من أفاعيله الشنيعة عبر سنوات من كيله المديح لسيد قطب وكتبه وعقيدته ومنهجه، والادعاءات العريضة له بما لا يقتصر على دعوى أخذه بمنهج السلف، بل يتجاوز ذلك بأنه يحله عدنان ويبوءه مكان الإمامة والقيادة للطائفة المنصورة، ويجعل من أقواله أصولًا في العقيدة والمنهج، ويقرنه بابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب في هذه الأمور العظيمة التي يقوم عليها الإسلام، وتقوم عليها الطائفة المنصورة، إلى غير ذلك من التصرفات والمواقف التي مارسها عدنان، ذبًا عن سيد قطب، وحربًا متواصلة في غاية المكر والكيد والتشويه والتلبيس على من ينتقده ويبين فساد عقائده ومنهجه.

ماذا في هذا الخطاب مرة أخرى؟

فنقول وبالله الاستعانة:

أولًا: قوله عن سيد قطب:

«وقع في ضلالات وأخطاء، وسقط في ألفاظ، لو مات وهو يعتقدها، فهو أكفر من اليهود والنصارى».

أقول: هذا كلام في غاية الإبهام والإجمال كعادته، فلا يدري القارئ

والسامع، ما هي هذه الضلالات والألفاظ والأخطاء التي لو مات عليها فهو أكفر من اليهود والنصارى.

أما وحدة الوجود فقد ميعها وضيعها هنا، وفي شريط البراءة، ولم يكتف بهذا التمييع والتضييع، بل تجاوز ذلك إلى إرهاب ربيع وإلزامه بتكفير سيد قطب، وإلزامه بما يلزم سيد قطب، ويتحمل مسؤليته لا ربيع.

ثانيًا: قوله: «ولقد كنت ولله الحمد من أوائل من نصح العباد، وحذر من ذلك، وكان ذلك قبل خمس وثلاثين سنة، وما زلت على ذلك».

فنقول: هذه فرية كبرى تكفي لإسقاطه لدى السلفيين وأهل البدع.

ومن أوضح ما يكذبه أعماله الشنيعة وخصومته الشديدة منذ عام ١٤١٤هـ، وقت خروج كتابي «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره».

إذ من ذلكم الوقت هبَّ مذعورًا يحارب هذا الكتاب وصاحبه بأسلوب ماكر في كتبه «التيه والمخرج» و«الطائفة المنصورة» و«الواقع المؤلم»[1]، التي أطرى فيها سيد قطب وعقيدته ومنهجه، ورفعه ورفع عقيدته إلى مصاف الأئمة الكبار وعقائدهم، يدفع بكل ذلك في صدر ربيع ونحره، الذي بيَّن عقائد سيد قطب الفاسدة ومنهجه الضال، يفعل كل ذلك عدنان ليقول لربيع ولأهل السنة: لا لا لا، إن عقيدة سيد قطب ومنهجه وحاله بخلاف ما يقول ربيع المتحامل الظالم الذي لا يعرف الإنصاف، فأنا الصادق وأنا المنصف، وسيد قطب هو الداعية، والخريت والمجرّب والصادق والمخلص... فلا تلتفتوا إلى ما يقوله ربيع ولا تصدقوه.

هذه الأفاعيل التي ارتكبها عدنان تدينه بأنه قد أتى إفكًا عظيمًا في هذه الدعوى الكبيرة التي لا يسندها أدنى شيء من سيرته وواقعه وأعماله ومواقفه.

ثالثًا: قوله: «وأرى وجوب التحذير من ذلك».

أقول: وهذا يكذبه أفاعيله التي ذكرت بعضها أيضًا.

---

(١) انظر: ما نقلناه عنه (من ص ١٣ - ٣٣)

فلو كان يرى حتى جواز التحذير لما فعل تلك الأفاعيل، ولا حارب ربيعًا وكتبه تلك الحرب الضروس، التي لم يفعلها غلاة القطبية.

أفمن يرى وجوب التحذير أو على الأقل جوازه يفعل تلك الأفاعيل ويسلك تلك المسالك الملتوية؟

رابعًا: قوله: «وكتبت هذا وسجلته أكثر من مرة منذ خمس سنوات، وسُلِّم الشيخ ربيع منه نسخة خطية، ونسخة مسجلة قبل سنتين ونصف تقريبا».

وهذه فرية قد نسج حولها أكاذيب:

أ - فإذا كان قد كتب هذا وسجله أكثر من مرة، فمن منعه من نشره وهو النذير العريان منذ خمس وثلاثين سنة؟

من منعه من نشره في العالمين وفي إخوانه المسلمين؟

ولماذا يتباكى ويقول: إن ربيعًا أخفى ذلك.

وإذا كان حظ ربيع من ذلك نسخة، فأين ذهبت تلك النسخ[1]؟

إنه لو كان ناصحًا ومحذرًا ومنذرًا من ضلالات سيد قطب لملأ بها الدنيا.

ولو كان صادقًا لما نشر ضد ذلك في عدد من كتبه مغريًا ومحرضًا ومادحًا ومروِّجًا وذابًا ومحاريًا.

ب - وقوله: «ونسخة مسجلة قبل سنتين ونصف تقريبًا».

وهذه أكذوبة عجيبة، فهل ناولني هذه النسخة يدًا بيد، أو أرسلها لي مع ثقة مأمون، وأخذ مني استلامًا بتلك النسخة.

أتدرون قصة هذه النسخة؟

إنها من الأدلة الواضحة على أنه من كبار المزيفين.

فرسالته ليس فيها أي بيان، وإنما ملأها بالأباطيل، والتجني عليّ، ودعوة إلى التحاكم بأسلوب سخيف، بدل أن يقوم بالبيان الواضح، الذي يطالبه به ربيع وعدد

(١) سيأتي دعوى أنه كتب أربع رسائل أو خمس تبين ضلالات سيد قطب بالتفصيل، فاعجب لهذا التطور.

كبير من الإخوة السلفيين.

وقد ارتكب فعلة شنعاء لا يفعلها إلا أمثاله، ألا وهو تزييف تاريخ هذه الرسالة.

فقد كتب في آخرها:

«وكتبه عدنان العرعور في تاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٤١٨» هكذا.

بينما هي لم تصلني إلا في مساء (٢٣/ محرم/ ١٤٢٠ هـ).

فأي مكر وتزييف هذا؟

وقد سجل فاكسي المرسل إليه تأريخ وصول هذه الرسالة كما يأتي:

am22: 09 1999 09 may

ثم سلك في هذه الرحلة هذا المسلك السيئ في تقديم وتأخير التواريخ لكلامي وكلامه.

فمثلًا: يقول عن شريط له مدح فيه سيد قطب وأطراه ومدح كتبه وحض عليها ومدح قضاياه المنهجية التي لا يعرف أحدًا على وجه الأرض بينها مثل سيد قطب.

قال إنه تكلم بهذا الكلام قبل الفتنة بست أو سبع أو عشر أو خمس عشرة سنة أو عشرين سنة، أيام شبابه وحماسه ضد الأحزاب والانتخابات.

يرتكب هذا التزييف ليخرج نفسه من المآخذ التي تأخذ بخناقه وتجعله من غلاة القطبية[1].

بينما الشريط يفضحه إذ هو يقول فيه: «يا ويلي إن استشهدت بكلام سيد قطب عند بعض الناس، لماذا؟ لأنه رجل مظلوم جعله الله شهيدًا».

فهذا يدل أنه تفوه بهذا الكلام بعد تصديه لمحاربة ربيع ومطالبة ربيع وسائر إخوانه عدنان ببيان المآخذ على سيد قطب، واستنكار ربيع غلوّ عدنان في سيد

---

(١) وإذا فرضنا صدقه في هذا العذر فإنه لا يفيده شيئًا، بل يدينه بأنه غارق في القطبية منغمس فيها من عهد بعيد، وغلوائه بسيد قطب في كتبه التي طبعت في عام ١٤١٦ هـ، وبعد وعوده بالرجوع عن باطله، يؤكد أنه ما زال غارقًا في هذه الدوامة الخطيرة.

قطب وتعلقه به ومحاربته من أجله.

ثم هب أن هذا الشريط قاله من زمن بعيد، فنسأله: من كان يعارضك في ذلك الزمن البعيد؟

ثم ماذا يقول في قوله في شريط معالم في المنهج رقم (٣):

«وإنما نقول: إن هذه المجتمعات ابتعدت عن ربها ابتعادًا كبيرًا، فلابد من الخروج عليها أولًا قبل الخروج على الحكام.

حتى أكوّن لك قاعدة، وهذا الكلام ليس بدعًا مني، فإذا كنتم لم ترضوا بسيرة الرسول ﷺ، فإن أبدع من كتب في هذا في عصرنا هو سيد قطب -رحمه الله وأسكنه فسيح جنته-، فقد لفت لفتات عجيبة وغريبة في هذه المقامات، ذكر هذا، وذكر مسألة التأصيل، وكما سمعتم بالأمس، وبخاصة في كتاب «لماذا أعدموني»، وعند قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾، وعند قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾».

فمن يفوق أو يلحق عدنان في هذيانه بسيد قطب وتأصيله، وما رأيناه يدعو لأحد مثل ما يدعو له، ولا يمدح أحدًا وكتبه مثل مدحه.

ثم ماذا يقول عن نقوله الكثيرة عن سيد قطب في كتبه؟

التي لم تصدر إلا في عهد قريب أي عام ١٤١٦ هـ، والتي ينقل فيها عن سيد قطب في أهم أصول الإسلام، بل في أصل أصوله، وهو التوحيد توحيد الألوهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، الذي رقع فيه كلام سيد قطب ليخدع به الناس.

وقرنه في هذه الكتب والموضوعات بابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، وشهد له بأنه موافق لمذهب السلف وأنه سلك سبيله، وترك ما عداه، وكتبه الأخيرة تؤكد ذلك[1].

فماذا يقول عن هذا النقل والثناء والشهادة في هذا التأريخ؟

---

(١) انظر: كتابه التيه والمخرج (ص ٧٢) المطبوع في عام ١٤١٦ هـ.

بعد حربه لي ولكتبي التي أولها الأضواء الذي صدر عام ١٤١٤ هـ، والذي جعله منطلقًا لحربه وذبه عن سيد قطب، وافتعاله له العقائد الصحيحة والقضايا المنهجية التي يصفها بالصحة إلى الآن، ويشهد لمعظم ما كتبه بأنه مصيب فيه.

ثم بعد ذلك يقول: إنه من أقل الناس قراءة لكتب سيد قطب، فلم يقرأ من الظلال إلا عشر صفحات، ولم يقرأ من العدالة إلا نصف صفحة، وقرأ المعالم ولماذا أعدموني أو تصفحهما أو كما قال، في أحد أشرطة البراءة.

ولا ندري ما جوابه عن تلك التزكيات والشهادات التي لا يصدرها مسلم عاقل إلا بعد دراسة شاملة واعية!!

خامسًا: قوله: «ولقد كنت أستشهد ببعض كلامه الصواب في قضايا المنهج حجة على أتباعه مما شهد كثير من العلماء بصحته، وكذلك شهد الشيخ ربيع إذ قال في كتابه منهج الأنبياء (ص ١٣٨):

«رحم الله سيد قطب لقد نفذ من دراسته إلى عين الحق والصواب، ويجب على الحركات الإسلامية أن تستفيد من هذا التقرير الواعي... لقد وصل في تقريره هذا إلى عين منهج الأنبياء...».

وفي هذا عصمة شاملة لسيد حاشانا أن نقول بها.

فهل يلام من استفاد من هذا التقرير الواعي، وهو يعتقد ضلاله في أمور أخرى».

أقول: وفي هذا النقل عني ونسبة هذا الكلام إليَّ بهذا الأسلوب فجور عظيم في الخصومة.

وذلك أنني استشهدت بكلام سيد قطب قديمًا فعلًا لأسباب منها:

١- أنه كان هناك إعلام ضخم يشيد بسيد قطب وينسج حوله الهالات العظيمة وحول تضحيته بنفسه في سبيل الإسلام وصدقه وإخلاصه في البحث عن الحق، الذي قاده إلى معرفة معنى «لا إله إلا الله» وفهم دعوة الأنبياء.

٢- وجاء في كلامه ما ظاهره يوافق منهج الأنبياء في البدء بدعوة الناس إلى توحيد الله ﷻ وتربية الناس على ذلك.

٣- بالإضافة إلى استنكاره ما تقوم به الحركات الإسلامية من اهتمام بالسياسة والبدء بذلك شغلها عن دعوة الناس إلى الحق، وأنا حينذاك أتحدث عن منهج الأنبياء في ضوء الكتاب والسنة، فأعجبني هذا الكلام من رجل يصفه ذلك الإعلام الضخم بتلك الأوصاف وغيرها.

فنقلت عنه ذلك الكلام، الذي ظاهره حق وصواب، وظاهره يوافق منهج دعوة الأنبياء، في البدء بدعوة الناس إلى التوحيد.

ولو كانت عقيدة سيد قطب ومنهجه يوافقان ظاهرًا وباطنًا وحقيقةً توحيد الأنبياء ومنهجهم، لما جاز لأحد أن يقول في هذا الكلام غلو لا في سيد قطب ولا في كلامه.

ولو كان كاتبه موحدًا سلفيًا حقق أنواع التوحيد قال مثل كلام سيد قطب، لما جاز لأحد أن يخطئه فضلًا عن أن يرميه بالغلو، واعتقاد العصمة الشاملة لسيد قطب.

ثم لو قال فيه مسلم: إن هذا الكلام موافق لمنهج الأنبياء، أو وصل فيه قائله إلى عين الحق والصواب، أو وصل إلى عين منهج الأنبياء، لما جاز لمن يعرف التوحيد أن يقول له أخطأت في هذا التعبير.

لأن الذي لا يأخذ بعين ما جاء به الأنبياء من التوحيد والدعوة إليه، لابد أن يكون ضالًا مخالفًا لما جاء به الأنبياء، ولا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا إلا إذا أصاب عين ما جاء به الأنبياء.

ومن هنا قال النبي ﷺ في حق الفرقة الناجية: «هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي»، لأنهم أصابوا عين ما جاء به خاتم الأنبياء وأكرمهم على الله محمد ﷺ.

وأصابوا عين ما عليه أصحابه من عقيدة ومنهج واتباع.

وقال بعض الفضلاء: إن الإمام أحمد قام مقام الأنبياء.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

قال الإمام ابن القيم في تفسير هذه الآية: «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبع لهم... وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو.

ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس.

وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه»[1].

فَعَدُّه العلماء الدعاة إلى السنة ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل فوق قولي - في كلام ظهر لي في ذلك الوقت أنه حق - وأكبر.

والحقيقة أنه لا يكون الإنسان على الحق إلا إذا وافق عين ما جاء به أنبياء الله، ولا يخالفهم في التوحيد والمنهج إلا أعداؤهم.

٤- فلما تبين لي ضلال سيد قطب ولاسيما في طعنه كليم الله ورسوله العظيم موسى، وطعنه في عثمان، وإسقاطه لخلافته، وطعنه الشديد الكثير فيه وفي مجتمعه من الصحابة وخيار التابعين، وضلالات أخر، شمرتُ عن ساعد الجد في نقده، وتحذير الناس منه.

ومن بلغني بهذا النشاط، نشط عدنان من بين القطبيين والإخوان جميعًا[2]، نشط لحربي ومقاومتي سرًّا وعلانية، ونشط للدعوة إلى كتب سيد قطب ومنهجه، وللذبِّ عنه.

نعم إنه أصاب بقوله: هذا عين الصواب، وإنما عيبه أنه لا يفهم التوحيد، ولا يفهم معنى لا إله إلا الله، فيفسره تارة بالحاكمية، وتارة بتفسير المتكلمين: لا خالق، لا مستعلي، لا مسيطر إلا الله.

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٤/ ١٠٣).

(٢) قام بهذا النشاط عدنًا على منهج وفكر سيد قطب أن يسقط، فبذل هذه الجهود كلها على امتداد العالم لإحكام ربط شباب الأمة بهذا الرجل وفكره ومنهجه، كل ذلك بطرق ماكرة.

فلما تبين لي أنه قالها بغير فهم ولا يقصد ما يقصده الأنبياء من كلمة «لا إله إلا الله» حذفت تعليقي عليه.

وعلقتُ على ما أبقيت من كلامه بثلاثة تعليقات تبين حاله، وألفتُ بعد ذلك أربعة كتب في بيان ضلاله.

وأزيدك بأنه لو قال يهودي أو نصراني: يجب على الناس أن يبدءوا قبل كل شيء من دينهم بقول لا إله إلا الله، وفهمها حق الفهم وتربية الناس عليها، فقال له مسلم: إنك أصبت عين منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، لما جاز لمسلم أن يقول: إنك أعطيته عصمة شاملة أو قلت باطلًا.

لكن يقال لهذا اليهودي أو النصراني: أصبت عين منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فعليك أن تسلم وتتبع الأنبياء.

فتبين من قول عدنان هذا أنه لا يفهم، ويحمل الكلام ما لا يحتمل بأسلوب فريد، لا يلحق فيه، وأنه يتنزه عن قول الحق.

وإذا لم يصب المؤمنون في عقيدتهم عين ما جاء به الأنبياء فهم ضالون.

وأزيد مثالًا آخر:

لو قال إنسان: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره، فقال له إنسان آخر: صدقت وأصبت عين ما جاء به الأنبياء.

فماذا في هذا الكلام؟!

أما أهل العلم والصدق والعدل فلا ينكرون ذلك، بل يقولون له: صدقت وبررت.

وأما عدنان فنخاف أن يقول له: حاشانا أن نقول هذا الكلام، وأن هذا الكلام فيه عصمة شاملة.

ومن قال يا عدنان إن كل شيء عند سيد قطب باطل، فاليهود والنصارى عندهم الحق والباطل، والله يقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾، ومع ذلك أنكر رسول الله ﷺ على عمر أن يأخذ الحق من عندهم.

وأهل البدع كلهم عندهم حق وباطل، ومع ذلك فقد حذر السلف من مجالستهم وسماع كلامهم، والنظر في كتبهم، من باب سد الذرائع، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح.

فكيف لا تفقه هذا يا عدنان وتزعم أنك تعمل بفتوى ابن باز والألباني[1]؟

فأين منهج السلف إن كنت تعلمه؟

وأين قاعدة: «كل يؤخذ من قوله ويرد»؟

أهكذا يربى الشباب على العناد والمغالطات ونسيان القواعد والمناهج الصحيحة التي يسير عليها السلف وأتباعهم ومنهم الشيخان المذكوران!!

٥- وقول عدنان: «وفي هذا عصمة شاملة للسيِّد (هكذا) حاشانا أن نقول بها» كذب واضح.

فأنا لم أقل هذا إلا في نص معين، فمن أين له هذا الشمول؟

وأين ادعاء العصمة؟

فهل قلت: إن كل أقوال سيد قطب في جميع كتبه وفي حياته كلها نفذ إلى عين الحق... إلخ.

أما ترى أني لم أقل هذا إلا في نص واحد.

أين العدل والإنصاف وقواعد الإنصاف التي تطالب فيها بإنصاف اليهود والنصارى والروافض وكل أهل البدع؟

وانظروا كيف يتعالى ويتنزه عما افتراه عليَّ من الشمولية والتعصيم.

ولا أجاريه فأقول: هو الذي يعتقد عصمة سيد قطب، ولكني أقول: هو الذي غلا في سيد قطب، ورفع سيد قطب إلى مصاف الأئمة، وغلا في الذب عنه،

---

(١) مع أنه يتبجح بقوله: «أنا سمعت من شيخي ابن باز والألباني، إني أعتز بالدراسة عليهما، ولا بأس أن أذكر كلمة، وهي -إن شاء الله- تكون لدفع الفتنة، ما أحد درس عليهما مثلما درست عليهما أبدًا، لا أعلم أحدًا درس على الاثنين مثلما درست، أعني بهذا سمعت منهما وواحد كان في الشمال والجنوب ومتفردين».

ومحاربة من ينتقده بحق، نصحًا للإسلام والمسلمين، ولقد ارتكب في هذا السبيل من الغش والتلبيس ما يخجل منه غلاة القطبية وغيرهم ممن يتصف بأدنى قدر من النصيحة للمسلمين.

وهاكم نص كلام سيد قطب وتعليقي عليه:

«ولا بد إذن أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة، وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول، وتربية من يقبل هذه الدعوة، وهذه المفهومات الصحيحة تربية إسلامية صحيحة، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولة فرض النظام الإسلامي، عن طريق الاستيلاء على الحكم... إذ إن الوصول إلى تطبيق النظام الإسلامي، والحكم بشريعة الله ليس هدفًا عاجلًا، لأنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها أو جملة صالحة منها، ذات وزن وثقل في مجرى الحياة العامة إلى فهم صحيح للعقيدة الإسلامية، ثم للنظام الإسلامي، وإلى تربية إسلامية صحيحة على الخلق الإسلامي مهما اقتضى ذلك من الزمن الطويل والمراحل البطيئة.

هذا الظرف كان يحتم علي أن أبدأ مع كل شاب وأسير ببطء وحذر، من ضرورة فهم العقيدة الإسلامية فهمًا صحيحًا قبل البحث عن تفصيلات النظام والتشريع الإسلامي، وضرورة عدم إنفاق الجهد في الحركات السياسية المحلية الحاضرة في البلاد الإسلامية للتوفر على التربية الإسلامية الصحيحة لأكبر عدد ممكن، وبعد ذلك تأتي الخطوات التالية، بطبيعتها بحكم اقتناع وتربية قاعدة في المجتمع ذاته... واليوم يجب أن تبدأ الحركة والدعوة من نفس النقطة التي بدأ منها الإسلام، وأن تسير في خطوات مشابهة مع مراعاة بعض الظروف المغايرة».

ولما كان هذا الكلام في ظاهره صحيحًا موافقًا لمنهج السلف، ولما يقوله علماء المنهج السلفي في العصر الحاضر.

وكان موافقًا لمضمون كتابي منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله في البدء بالدعوة إلى التوحيد لا بالسياسة، ولا بالتصوف ولا بغيرهما.

وكان هذا الكلام مخالفًا ومضادًا لأعمال ومناهج ومواقف ما يسمى

بالحركات الإسلامية ذات الانحراف عن منهج الأنبياء، وعلى رأسها دعوة الإخوان المسلمين، فرحتُ به وسجلته في كتابي منهج الأنبياء.

ثم علقت عليه بقولي: «رحم الله سيد قطب لقد نفذ من دراسته إلى عين الحق والصواب، ويجب على الحركات الإسلامية أن تستفيد من هذا التقرير الواعي، الذي انتهى إليه سيد قطب عند آخر لحظة من حياته بعد دراسة طويلة، ولقد وصل في تقريره هذا إلى عين منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-».

وقد قرأ كلامي هذا وسمعه علماء المنهج السلفي، ومنهم المتخصصون في العقيدة، ومنهم الشيخ صالح الفوزان، وأقروه، ولم يعترضوا عليه، لأنه مبني على كلام لسيد قطب ظاهره حق قوي موافق لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، الذين يبدءون أول ما يبدءون دعوتهم لأقوامهم إلى التوحيد، وإلى تحقيق كلمة «لا إله إلا الله».

وموافق لما قرره وكرره علماء المنهج السلفي من البدء بالدعوة إلى التوحيد.

والمسلم إنما عليه أن يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذه، فإنما هو قطعة من النار».

فإذا كان أعلم الخلق وسيد الرسل يحكم على نحو مما يسمع، وقد يكون الواقع في الباطن بخلافه، فماذا عسى أن يكون غيره؟

إنه لا مؤاخذة عليَّ فيما علقته في ذلك الوقت على كلام سيد قطب الذي يظهر لأي مسلم أنه حق وصواب وموافق لمنهج الأنبياء ومنهج السلف الصالح.

ثم لمَّا تبين لي من دراسة عقائد سيد قطب، ومن تفسيره الفاسد لدعوات الأنبياء، التي أخبرنا الله عنها في الكتاب العزيز، ومن تفسيره الفاسد لكلمة «لا إله إلا الله» التي جاء بها الرسل جميعًا، وتبين لي مخالفاته الكثيرة والعميقة، شمَّرتُ عن ساعد الجد لبيان ما عنده من الضلالات.

فبدأت بحذف هذا التعليق، لأنه مبني على ظاهر كلامه، وقد تبين لي أنه

لا يقصد بما يسميه العقيدة الإسلامية الصحيحة عقيدة الأنبياء وعقيدة السلف الصالح.

وإنما يقصد ما يراه هو صحيحًا من تعطيل صفات الله، وما يعتقده هو صحيحًا من تفسيره «لا إله إلا الله» بالحاكمية، والاستعلاء، والسيطرة، والخلق، إلى آخر تفسيراته الفاسدة.

حذفتُ هذا التعليق من أجل هذا وغيره من أول فرصة سنحت لي في الطبعة الثانية لكتابي «منهج الأنبياء» عام ١٤١٤ هـ.

وعلقتُ على ما بقي من كلامه في الطبعة الثانية بقولي في صلب الكتاب (ص ١٨٤ من سطر ٥ - ٩)

«وهذا الكلام من سيد وغيره مما أصابوا فيه كلام جيد، وهو تراجع عن الانهماك في السياسة، ولكن وللأسف لم يتراجع سيد وغيره عن الأخطاء العقدية والفكرية التي ما زالت تقرأ وتدرس... وكل ذلك استدعى منا أن ننبه على تلك الأخطاء الفكرية والعقدية من سيِّد في بحث خاص يسر الله طبعه».

وهذا إشارة إلى أول كتاب من ردودي على سيد قطب، ألا وهو كتاب «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره».

ومع الأسف فإن أول من واجه هذا الكتاب المبين لضلالات سيد قطب غاية البيان إنما هو عدنان عرعور، ولا يزال يواجهه، ويواجه مؤلفه بحرب ضروس في كتبه وأشرطته وسره وعلانيته وحضره وسفره، مواجهة لم يعملها غلاة القطبية.

ولماذا يعنتون أنفسهم بذلك، وقد كفاهم مئونة الردود عدنان عرعور وأمثاله من اللابسين للسلفية، وهم جنود مخلصة للقطبية، وأشد هذه الجنود استماتة في الدعاية والذب في آن واحد هو عدنان عرعور.

ثم علقتُ على ما بقي من كلامه في الطبعة الثانية نفسها على قوله: «لأن المجتمعات البشرية اليوم بما فيها المجتمعات في البلاد الإسلامية قد صارت إلى حالة مشابهة كثيرًا أو مماثلة لحالة المجتمعات الجاهلية يوم جاءها الإسلام» (ص١٨٣) بالحاشية رقم (١)، فقلت:

«يظهر من هذا أن سيد قطب لا يزال مصرًّا على ما قرره في كتبه كـ«الظلال» و«معالم في الطريق» و«العدالة الاجتماعية» بأن المجتمعات الإسلامية مجتمعات جاهلية، وأن الإسلام يرفض الاعتراف بشرعيتها وإسلامها، واستشهادنا بكلامه هذا بالنظر إلى ما توصل إليه من أن الانهماك في السياسة يضر شباب الإسلام ولا ينفعهم».

ثم ألفتُ ثلاثة كتب أخرى في بيان ضلالات سيد قطب والتحذير منها.

فلم يرتدع عدنان عن غلوائه في سيد قطب، بل ازداد عنادًا ومكابرة ومراغمة للسلفية والسلفيين، فيؤلف الكتب، وينقل فيها من أقوال سيد قطب ما يوهم الناس به أنه صحيح العقيدة والتوحيد سالك منهج السلف ويقرنه وأقواله بابن تيمية وابن عبد الوهاب وابن القيم في تقرير التوحيد بأنواعه، ويدعي له موافقتهم في العقيدة والمنهج.

وإذا وجه الشباب إلى تعلم العقيدة والمنهج جعل كتب سيد قطب في كتب العقيدة والمنهج[1]، ويذب عنه، ويغمز ويلمز من ينتقده بأنه غير منصف، وأن الإنصاف الذي يتمتع به عدنان هو الذي ينبغي أن يعامل به سيد قطب.

ويفعل مثل ذلك في بعض أشرطته مضادَّة ومحاربة لمن ينتقد سيد قطب ويبين ضلاله، وربيع يطالبه وغيره يطالبه بما يبين حال سيد قطب، فيأبى إلا المضي قدمًا في باطله وغلوائه، ودعوته إلى منهج سيد قطب وكتبه، وتمجيد شخصه يصاحب ذلك تلبيس وتمويه وخيانة في نقل نصوص سيد قطب، لا يرتكبها إلا أمثاله.

وأخيرًا ظهر بشكاوى وأنه هو المظلوم، وهو الصابر، وهو الذي يكره الفتنة.

وهو - والله - الظلوم المثير للفتن والشغب والمتمادي فيها، وغيره المظلوم الصابر الكاره حقًّا للفتن.

عدنان هو الذي يحارب ربيعًا والسلفيين ظلمًا وعدوانًا وانتصارًا لأهل البدع،

---

(١) كما فعل في كتابه الأول: السبيل (ص ٥٠ - ٥٢)، حيث ذكر الظلال في كتب التفسير والمعالم في الطريق، وكتاب لماذا أعدموني في كتب العقيدة، وهذا في غاية المكر بطلاب العلم.

يؤلف في ذلك الكتب، ويعقد الدورات والمحاضرات، ويملؤها بالظلم والافتراء والتمويهات والمغالطات والتأصيلات الباطلة لحماية نفسه وسيد قطب وأهل البدع من نقد أهل السنة، ويسمي نقدهم المنطلق من النصيحة والمواجهة للبدع، والأباطيل الواضحة من نصوص أهلها الواضحة الصريحة، فيصفها بالظلم، وأنها ظنون واتهامات.

فهذه كتب ربيع بدأت بنقد سيد قطب من عام ١٤١٤ هـ، وهذه أشرطته ومحاضراته إلى شهر ذي الحجة من عام ١٤١٩ هـ، فليأت عدنان بكتاب أو شريط تكلمت فيه على عدنان ولو بحق.

مع أن حربه لي بدأت من ١٤١٤ هـ حين صدور كتابي «أضواء إسلامية».

لقد أعطى ربيع لعدنان مهلة طويلة للتراجع عن باطله، وهو لا يزداد على مر الأيام إلا عتوًا واندفاعًا في باطله وسعيًا حثيثًا في أمور لا يحسن ذكرها هنا وهناك، ولا يزال إلى يومنا هذا.

ويبدو أن هذه المواعيد العرقوبية و لمماطلات كلها حيل ومناورات إلى أن يقوي ساعده، ثم بعد ذلك يعلن حربه، وقد حصل له ذلك، وفعل.

وتراجعه دعاوى كاذبة، وإذا أتى ببعض الألفاظ المجملة أتبعها بما يميّعها، ويرفقها بالطعن والتشويه والافتراءات بما لا يصدر إلا من أمثاله، فليس هنا رجوع إلا ما ذكرناه، يرافقه التبجح والتعالي والتهوين من أخطائه الجسيمة حتى كأنها ذباب يمر بأنفه، فيقول بيده هكذا، ويفتعل خلال ما يدعيه من رجوعه المزيف للأبرياء ذنوبًا من لا شيء، ويجعلها عظائم تتضاءل أمامها العظائم.

فلا يجوز في دين الله وعدله ولدى العقلاء مؤاخذة إنسان بذنب رجع عنه، فكيف يؤاخذ بغير ذنب؟

بل كيف يرمى بالغلو في شخص مثل سيد قطب؟

وقد أَلَّف في بيان ضلاله أربعة كتب، وعلق عليه ثلاثة تعليقات، لا خروجًا من ذنب، وإنما للنصح والبيان والتحذير.

إلى جانب هذا فإن عدنان يبني ذلك على الخيانة والبتر والمغالطات في

التاريخ والتجاهل للواقع.

فأعماله ومواقفه الحديثة جدًّا يجعلها قديمة جدًّا أيام شبابه وحماسه، وأعمال غيره البريئة الشريفة يجعلها حديثة جدًّا، وقبيحة عظيمة جدًّا.

أي أن ربيعًا وقع في الغلو في سيد قطب بعد كتابته فيه وتحذيره منه، وبعد معرفته به حق المعرفة.

وكل ذلك من عدنان قلب للحقائق وسفسطة بعيدة المدى.

ومع ذلك يلقى كل حفاوة واحترام، ويدلل تدليل المحبوبين من الأطفال، لدى من يجب عليهم إهانته وإذلاله ومنابذته وقمعه.

فأي خير يرجى من وراء من حاله أسوأ مما ذكرناه شب عليه وشاب، وشره أخطر وأعمق مما كشفناه وكشفه غيرنا.

فهل آن للمخدوعين به أن يضعوا حدًّا لهذا الانخداع؟

وأرجو من كل سلفي ولاسيما أعيانهم وأهل الصدارة منهم أن يراجعوا أحكامهم على هذا الرجل وخصومه، وأن يعيدوا النظر في مواقفهم والتأمل في عواقبها ومآلاتها، التي نرى أنها خطيرة، بل قد ظهرت آثارها هنا وهناك، وإذا كان هناك حرص على الرجال، فليبحثوا عن غير هذا النمط.

و«الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» حديث صحيح.

وكما قيل: «وإنك لا تجني من الشوك العنب» مثل عربي.

سادسًا: قوله: «فهل يلام من استفاد من هذا التقرير الواعي وهو يعتقد ضلاله».

لا نصدق أن عدنان يعتقد ضلال سيد قطب، بل هو يعتقد أنه على هدى ويحارب من يعتقد ضلاله أشد الحرب، بل إن عدنان ليجعله في مصاف أئمة التوحيد الكبار، وأنه يوافق مذهب السلف، وأن كلامه في التوحيد مثل كلام ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، و«أنه سلك سبيله» أي سبيل السلف و«ترك ما

عداه» أي ترك ما يخالفه من ابدع.

وأن كتبه الأخيرة تؤيد ذلك.

انظر التيه والمخرج (ص ٧٢) وما قبلها وما بعدها لترى هذا الكلام، وكم له من النقول عن سيد قطب في كتبه والإشادة به وبكتبه ومنهجه.

أمن يفعل هذا يعتقد ضلال سيد قطب؟

إنك يا عدنان لا تدعي دعوى باطلة - وما أكثر دعاواك - إلا ونجدك أول المكذبين لنفسك.

سابعًا: قوله: «وقد أفتاني بجواز الاستشهاد بكلامه كل من شيخيّ الإمامين الألباني وابن باز -حفظهما الله-، وفتو هما مسجلة لمن أرادها، فمن لم يستشهد بكلامه فلا حرج، ومن استشهد بكلامه الصواب فلا حرج، ولكن الحرج من ضلل من اتبع هذين الإمامين».

فنقول: في هذا النص أشياء:

١- نريد أن نسمع فتوى الشيخين.

٢- قوله: «شيخيّ» هذه الإضافة الخاصة لها مغزاها، وقد صرح بذلك في محاضرة له مسجلة باسم قواعد الإنصاف في هولندا عام ١٤١٩ هـ، وذلك أنه قال: «إنه ما أحد أخذ العلم من الشيخين مثله، وإنهما لم يجتمعا لأحد مثله».

وهذه دعوة عريضة:

أ - فهذه تراجم الشيخين موجودة فلم يذكره أحد في تلاميذهما، ولو كان الأمر كما ذكر لكان يذكر في أوائل تلاميذهما.

ب - وتلاميذ الشيخين الملازمين لهما لا يعرفون هذا لعدنان، وقد أنكر الشيخ الألباني هذه الدعوى، فقال: هذه مبالغة.

ولو كان الشيخ ابن باز حيًا لأبطل هذه الدعوى، وقد أنكرها خواص الملازمين للشيخ ابن باز.

وهاكم ما توصل إليه الشيخ عبد القادر الجنيد:

قال بعد استنكاره هذه الدعوى من عدنان، وذكر عددًا من تلاميذ الشيخ، ومنهم الآن شيوخ أجلاء، قال -وفقه الله-:

١- «وقد سألت الشيخ عبد العزيز الراجحي -حفظه الله-، وهو ممن لازموا الشيخ عبد العزيز بن باز ملازمة طويلة، ومن أكثر طلابه أخذًا عنه عن الأستاذ عدنان عرعور، فقال: «ما أذكر أنه قرأ على الشيخ ابن باز، وكان حضوره قليلًا»».

٢- «وقرأت هذا الكلام على الشيخ عبد العزيز بن ناصر في مكتبه بدار الإفتاء بالطائف في تاريخ ٨/ ٤/ ١٤٢٠ هـ.

وهو ممن لازموا الشيخ طويلًا في دروسه وفي بيته وفي مكتبه بدار الإفتاء، وبدأت هذه الملازمة من عام (١٣٧١ هـ) إلى قبيل وفاة الشيخ بساعات، أي نحو تسع وخمسين سنة، ومما قرأه على الشيخ صحيح مسلم بشرحه ثلاث مرات، وتفسير ابن كثير.

حيث قال في شأن كلام عدنان: «ليس بصحيح حضر عند الشيخ قليلًا، أما كونه جلس على الشيخ وقرأ كتابًا، ولازمه ملازمة فلا أحفظه»».

٣- وقرئ هذا الكلام على الشيخ محمد بن سعد الشويعر كاتب الشيخ ابن باز ومستشاره، فقال: «كنت عند الشيخ من ثماني عشرة سنة ملازمًا له، وما رأيت هذا الشخص، ولو رأيته الآن ما عرفته، وعملي مع سماحة الشيخ بدأ من مطلع شهر شعبان ١٤٠٢ هـ، ولم أره، وقد يكون درس على الشيخ قبل أن ألتحق بالعمل عنده».

هذا ولا يعرف لعدنان هذا اللهج بالشيخ ابن باز إلا في هذه الأيام، وأما في السابق فلا، بل كان يتنقصه ويدعي أنه لا يؤصل، وأنه لم يستفد منه قاعدة واحدة، ومن سمعه مستعد للمباهلة، ومنهم الشيخ ربيع وعبد القادر الجنيد.

٣- هب أن الشيخين أجازا لك النقل عن سيد قطب.

فهل أجازا لك أن تنقل عنه في التوحيد بأنواعه، وأن ترقع كلامه، وأن تمدحه، وتشهد له بأنه يوافق منهج السلف، وأن تمدح كتبه ومنهجه، وأن تذب عنه وعن باطله، وأن تحارب أهل السنة من أجله؟

فلو اقتصرت على الاستشهاد ببعض كلامه الذي ترى أنه صواب، ثم وقفت عند هذا الحد لاحتمل أهل السنة ذلك.

أما أفاعيلك هذه المشار إليها التي تفعلها مراغمة لأهل السنة، فلا يفتيك بها الشيخان ولا غيرهما من أهل السنة، ونعيذهم جميعًا من ذلك، وننزههم من ذلك.

وهذه فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نريد من عدنان أن يستفيد منها، وأن ينوه بها، وأن يطبّقها على نفسه إن كان عنده شيء من العدل والإنصاف:

فقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ حال شرحه لكتاب «فضل الإسلام» وذلك في شريط مسجّل بهذا الاسم عمن يثني على أهل البدع ويمدحهم: هل يأخذ حكمهم؟ فأجاب:

(نعم، ما فيه شك؛ من أثنى عليهم ومدحهم هو داع لهم، يدعو لهم، هذا من دعاتهم، نسأل الله العافية!).

فخذ بهذه الفتوى العظيمة التي تطابق فتاوى السلف الصالح ومنهجهم؛ لأنك إلى الآن تخالف منهج السلف في هذا الباب العظيم والأصل الكبير، بل تذهب إلى أكثر من ذلك، فتحارب من ينتقد أهل البدع!

* * *

الفصل الثالث: في التعقيب على شريط فيه جلسة بين عدنان وبين الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي في اسبانيا (الأندلس)

وفيه مآخذ على عدنان عرعور كثيرة جدًّا، بل عليه مآخذ في كل ما ورد في هذا الشريط؛ لكننا سنجتزئ ببعضها:

أولًا: سأله الشيخ محمد المغراوي عن قوله: لا أعلم أحدًا على وجه الأرض بيَّن قضايا المنهج مثل سيد قطب؟!

فأجاب عن هذا السؤال بمقدمة ورد فيها:

«ثم نزغ الشيطان بيني وبين أخي الشيخ ربيع، ومكثت صامتًا خمس سنوات حرصًا على مصلحة الدعوة، وحرصًا على مصلحة السلفيين أن يشمت بهم الأعداء؛ لكن كما يقولون بلغ السيل الزبى، وكان الآن لزامًا علينا أن نجيب عن هذه الشبهات لعل الله ينهي هذه الفتنة».

وهذا كلام لا يصح، فهو الذي بدأ الفتنة، وهو الذي لم يهدأ عن إثارة الفتن هنا وهناك، ويكتب ويتكلم، وغيره - وهو ربيع - ساكت عنه وعن حركاته وأعماله.

ثانيًا: وقال: «وهذا كلام قديم، وأرجو التنبه وليس فيه تزكية عامة لسيد، لا أرى هذا ووالله وبعض هؤلاء القوم لا يصدقون؛ لا بالشهود ولا باليمين.

وهذا مذهب اليهود الذي لا يصدِّق باليمين ولا بالشهود».

وقد جعل مذهب من يشير إليهم هنا[1] شرًّا من الروافض والنصارى، وشبه مذهبهم بمذهب اليهود في أحد أشرطة البراءة، فهل بمثل هذه الأساليب تنتهي

(١) وهم ربيع ومن لهم موقف صحيح من عدنان، وكيف يصدِّقون الأكاذيب الواضحة، ولا ندري مَن هم شهوده العدول وبماذا شهدوا؟

الفتنة - أي فتنة هو؟ وهل عند خصومك شبهات؟

إنما الشبهات والتلبيسات عند عدنان وأمثاله!

ثالثًا: قال في سياق كلامه في أوائل هذا الشريط:

«لكن أنا كنت أظن أن قضايا المنهج مقصود الانقلابات، أطلقت هذه العبارات أعني تلك القضية: قضايا المنهج، أنا لم أذكر قط في حياتي أن سيد سلفي بعامة؛ لكن أنا عندي عموم: أحيانًا أطلقه لا أحبه، وعندما أسمع محاضراتي أندم بسبب الحماس، بسبب العجلة، بسبب الارتجال».

هذا الاعتذار غير صحيح، فقد عرَّفتَ المنهج بقولك: «المنهج: هو لطريق، وشرعًا: هو الطريق والقواعد التي تسير عليها الجماعة المنصورة، الجماعة الناجية[1]؛ لتحقيق أمر الله ﷻ المطلوب من هداية الناس، والتمكين في لأرض» (شريط: قواعد معرفة الحق - الكويت).

وقد قلتم ما يأتي عن القضايا المنهجية:

١- كتاب «واقعنا المعاصر» عالج القضايا المنهجية.

قال السائل: وكتاب «التصور الإسلامي ومقوماته»؟ فقطعه عدنان بقوله: أحسنت! هذا الكتاب عظيم جدًّا.

٢- «خصائص التصور الإسلامي ومقوّماته» عظيم جدًّا، وننصح به، عالج القضايا المنهجية [معالجة] رائعة.

٣- «الظلال» عالج القضايا المنهجية.

٤- «معالم في الطريق» عالج القضايا المنهجية.

هو ممن كتب في هذا العصر في قضايا المنهاج، ومعظم ما كتبه كان مصيبًا فيه رحمه الله.

٥- وأحلى كتاب له في المنهاج: كتابه «لماذا أعدموني»

---

(١) أي حزبه الذين يسيرون على منهجه الذي يؤصل له، ويضع له القواعد.

والكتاب الأخير فيه تدريب لصناعة المتفجرات والاغتيالات، وعلى تفجير المؤسسات.

والكتب قبله من الخصائص» إلى «الظلال» إلى «المعالم» لا تعالج قضايا الانتخابات ولا الانقلابات، بل فيها التكفير والشحن وغيرهما من المؤديات إلى أسوأ من الانقلابات.

وإذا كنت تصاب بالحماس والارتجال والعجلة حال الحديث عن سيد قطب، فلماذا لا تلزم بيتك وتحبس لسانك وقلمك عن التمجيد لسيد قطب وكتبه ومنهجه وعقيدته وغير ذلك من التُّرَّهات؟

وإذا كنت تندم على ما تقوله في هذه الأحوال فلماذا تنشر أشرطتك وكتبك؟

فإن نشرت فلماذا لا تبين للناس أنك تتكلم في حالة الهستيريا؟!

حتى لا يقع الناس في الفتنة بسببك.

وقولك: «قلتها في الستينات» عجيب وغريب!!

أليس هذا يؤكد قولك إن المنهج السلفي غير مؤصَّل، وإن شيوخ المنهج السلفي لا يؤصِّلون! ولماذا لم تكتف بتأصيل سيد قطب؟

وذكر قبل التعريف السالف الذكر أن العلماء قد أصَّلوا للعقيدة والفقه، ثم قال: أما قضايا المنهج فهي التي سيكون الصراع عليها مريرًا وطويلًا؛ لأنها لم تضبط، ولم تقعَّد كما قعدت قواعد الفقه وقواعد العقيدة.

وصرَّح بأنه استخلص هذه القواعد والباقات العطرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في شريط آخر.

وقال في شريط الطائفة المنصورة رقم (٣) بعد أن هوَّل وهوَّل: «لابد أن نقعد القواعد، ونؤصل أصولًا، وفي هذه الأصول نعرف الطريق حتى نسلكه ونحن آمنون ومطمئنون، لقد ضلَّ مَنْ ضَلَّ من تلك الطوائف بسبب أن لم يكن بين أيديهم أصول، فتارة يقولون مثل الخوارج وغيرهم قولًا، فيرجعون عنه غدًا أصلًا، ويقولون القول في المساء ويعدلون عنه في الصباح.

فهل لك أن توصل لنا أصولًا كتلك التي أصَّلها أهل العلم الدنيوي، فلا نحيد عنها؟ إن الإسلام أحرى وأولى بتلك القواعد من قواعد الفيزياء والكيمياء.

لقد أصلوا أصولًا لا يستطيع عاقل أن يحيد عنها».

أيجوز السكوت أيها المسلمون على مثل هذا الباطل الكبير؟

أيجوز لكم أيها السلفيون السكوت عن هذا الدجال؛ يتقصَّد الشباب السلفي في كل مكان، فيمزقهم، ويغرس بذور الفتن والشقاق والصراع فيما بينهم بمثل هذه التهاويل والتمويهات؟!

وله ادعاءات كثيرة جدًا، ونسَجَ الهالات الكبيرة حول شخصيته الفذَّة الفريدة المنقذة للأمة بهذه التأصيلات الباطلة المتهافتة!

نرجع لهذا الإنسان الأسطوري، فنقول له: لا تتلاعب بعقول الناس.

(فإن بني عمّك فيهم رماح).

ونقول: لا تريد بالمنهج الذي تنسبه لسيد قطب ما ذكرته هنا وفي أشرطة البراءة، وإنما تقصد به هذا الذي نقلناه عنك، وتقصد به منهج سيد قطب الذي قلت عنه: «أضرب مثالًا في رجل مظلوم جعله الله شهيدًا من شهداء الإسلام، ألا وهو سيد قطب -رحمه الله تعالى-.

فالويل لي إن استشهدت بكلام سيد قطب عند بعض الناس!

لِمَ؟

الرجل له ما له، وعليه ما عليه؛ لا أعلم أحدًا على وجه الأرض تكلم في قضايا المنهاج بمثل ما تكلم به سيد قطب رحمه الله، ووضع النقاط على الحروف، ووصف الوضع المكي، ووصف الوضع المدني، ووصف التربية، ووصف الجماعات المسلمة في بعض كتبه وحلّل.

ومن أعظم كتبه «معالم في الطريق»، و«لماذا أعدموني»، وتصوره عن المجتمعات الإسلامية، وما تكلم فيها».

فهل هذه المجالات كلها، وهذه الكتب كلها ليس لها موضوعات

إلا الانتخابات، والانقلابات، والإضرابات؟!

يا للسخرية والتلاعب بالعقول!

رابعًا: قال: «لكن أنا إذ قلتها وما زلت أرى أن سيد عنده ضلالات، وصرحت لأخينا ربيع في شريط مسجَّل بيني وبينه، وأنا أطالبه الآن بإظهاره منذ ثلاث سنوات، وكتبت له رسالة من سبع صفحات أبين له.

فلماذا لا يُظهر الشريط؟ ولماذا لا يُظهر الرسائل؟

كتبت أكثر من أربع رسائل، خمس رسائل كتبتها بالتفصيل».

أقول: أنا لا أعرف شريطًا بيني وبينك فيه ما ذكرت، ولماذا تطالبني به على فرض صدقك؟ فليس فيه ما يدعو إلى المطالبة؛ لأن فيه كلمة مجملة: «عنده ضلالات»، كما صرَّحت أنت بذلك هنا، ألا تكتفي برسائلك الخمس المفصلة؟

لماذا لا تنشر هذه الخمس الرسائل المفصلة حتى تلقم ربيعًا وكل من يطالبك بالبيان المفصل عن سيد قطب تلقمهم أحجارًا، وتُسكتهم راغمين مدحورين؟!

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾!

وسوف أظهر ما عندي من رسائلك؛ ليعلم العقلاء مدى ما تتمتَّع به من الصدق أو عكسه، وإن الله لك بالمرصاد، فلا يهديك إلى حجة، ولا إلى اعتذار صحيح يقنع العقلاء المنصفين.

وأعرض لك الآن اضطراب حديثه عن الأشرطة الوهمية:

أ - قال في خطابه إلى إخوانه المسلمين: «وأرى وجوب التحذير من ذلك، وكتبت هذا وسجَّلته أكثر من مرة منذ خمس سنوات، وسُلِّم الشيخ ربيع منه نسخة خطية، ونسخة مسجَّلة قبل سنتين ونصف تقريبًا».

ب - أما الشريط أو الأشرطة فاستمعوا لعدنان؛ كيف يتحدث عنه أو عنها؟ ففي هذه الجلسة يقول: «وصرحت لأخينا ربيع في شريط مسجل بيني وبينه، وأنا أطالبه الآن بإظهاره».

ج- ويقول في شريط البراءة الذي سجله في باريس قبل هذه الجلسة بفترة

وجيزة، يقول: «ثم جاءني أحد الإخوة قال: نريد أن نفترق قبل أن تتفاقم المسألة بعد تقريبًا سنة من الرسالة أو أقل أو أكثر.

قلت: نعم.

قال: نسجل شريطًا كالعادة، ضيَّعنا الوقت.

وسجَّلنا شريطًا من ساعة ونصف تقريبًا، وذكرت مواقفي كما يقولون من العرعورية والسرورية والعفريتية والشيطانية، وما تركت شيئًا إلا وبينت رأيي، ثم بينت رأيي في سيد، ومواقفي من سيد وكلامه، ثم ما أدري ماذا حصل بالشريط، لا أدري فعلًا، راح، ذهب الشريط، ثم بعد سنة التقينا مع الشيخ في الرياض، في بيت الدكتور باسم، وفيه عشرة دكاترة من الجامعة، وسجلنا شريطًا وخرجنا راضين، وتعانقنا مع الشيخ ربيع، وما فرحت يومًا؛ فتحوا المسجل: ما رأيي ما رأيك؟ ما رأيي ما رأيك؟ والحمد لله».

د- وفي خطاب له وصلني في: ٢٢/ ٤/ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م؛ يقول فيه بعد حديث عن المراسلة وطلب المحاكمة: «بينت وأقررت بأخطاء سيد في رسالتي الأولى لك، والتي سلمكها الأخ إيهاب، فحبذا لو تراجعها.

بينت وأقررت بأخطاء سيد في الشريط الذي سجله معي الأخ إيهاب نادر، قبل أربع سنوات، وبحضورك، وفي شريط الأخ إيهاب، وفي شريط سجله أبو طلحة اليماني، فحبذا لو تظهر هذه الأشرطة، فحينئذٍ يظهر هل بينت وأقررت أم لا؟».

فانظر إلى هذا التفاوت في الأخبار عن بيانه حول سيد قطب:

١- فمرة يقول: في شريط مسجَّل بيني وبينه.

٢- وتارة يقول: أعطيته نسخة خطية، ونسخة مسجلة.

وهذا كلام غامض، فما هي هذه النسخة المسجلة؛ أهي شريط مسجل أو رسالة مكتوبة؟

٣- وتارة يقول: جاءني أحد الإخوة لنسجل شريطًا كالعادة، وذكر فيه مواقفه كلها؛ من السرورية، ومن الشياطين... إلخ

٤- ويذكر في هذه المناسبة شريطًا سجل في بيت باسم، بحضور عشرة من الدكاترة.

٥- وفي خطابه الأخير يذكر شريطًا حضر تسجيله ربيع وإيهاب.

٦- ويذكر شريط أبي طلحة اليماني.

أفلا ترى أيها العاقل هذا التفاوت والاضطراب الناشئ عن خيالاته وتلفيقاته، وكل ذلك أباطيل؛ لا يصح منه شيء، إلا شريطًا ذكر إيهاب أنه سجله عدنان قبل اللقاء به في بيت باسم، ويقول إيهاب أن فيه كلامًا مجملًا، وأنا لا أذكره، ولكن إيهاب عندي ثقة، وقد نفيت هذا الشريط في كلامي في شريط (انقضاض الشهب السلفيَّة)؛ لأني لا أذكره من قريب ولا من بعيد، ثم بعده سألت إيهابًا عنه فأفاد بما ذكرته سابقًا فليعلم هذا.

وعلى كلٍّ فإني طالبته بعده وطالبه غيري بالبيان وإلى الآن لم يبين البيان الصحيح.

خامسًا: قال له الشيخ محمد المغراوي:

س: «قلتَ لي في رمضان عندما التقينا في مكتبك وركبنا في السيارة: إن سيد قطب ضال مضل، وبلغت هذه العبارة إلى كل الإخوة في المغرب».

قال عدنان: «هذا لا خلاف فيه؛ لا بيني ولا بين الشيخ ربيع، ولا بين أحد أنه سقط في ألفاظ لو مات عليها كان أكفر من اليهود والنصارى، نبيع ديننا؟ لكن كنت أرى أن قضايا المنهج أصاب فيها: مسائل الانتخابات، و...و... هو يقول برفضها وأنها من الطاغوت».

أقول: الخلاف بينك وبين ربيع شديد في سيد قطب، وفي وحدة الوجود بالذات.

فربيع يرى أن سيد قطب صرَّح بوحدة الوجود في قصيدته «الشاطئ المجهول» ضمن ديوانه الشعري، في عام ١٩٣٥م.

وصرَّح بمدح عقيدة النيرفانا الهندوكية في كتاب «كتب وشخصيات» الصادر في حدود ١٩٤٦م أو ١٩٤٧م، وهي تشمل عقيدة الحلول، ووحدة الوجود،

ووحدة الأديان، وعقيدة التناسخ.

وصرَّح في كتابه «الظلال» بوحدة الوجود والحلول، في تفسير سورة الحديد، وتفسير سورة الإخلاص، في أواخر الخمسينات أو أوائل الستينات، ومات وهو ينشر هذه الكتب، ويعلن عنها عند طبع كتبه إلى أن مات.

وفي كتاب «لماذا أعدموني» الذي هو في آخر حياته يفتخر بكتابه «الظلال»، وأنه سمير عبد السلام عارف الذي كان في سجن عبد الكريم قاسم، ثم صار حاكمًا للعراق.

وعدنان يدافع عنه بالباطل ويقول: وقع في ألفاظ، وقع في ألفاظ.

ويقول خلال حملاته على ربيع في أوربا، وفي هولندا عام ١٤١٨هـ، وفي بيت أحمد سلام أبي صهيب:

«لماذا يُقبَل تراجع ربيع - أي عن مدح الإخوان المسلمين - ولا يقبل تراجع سيد قطب بخصوص وحدة الوجود».

ثم يغالط الحضور، فيقرأ عبارات لسيد قطب في تفسير سورة الجن؛ يدّعي فيه أنه سيرجع عن أخطائه، ولم ينص سيد على وحدة الوجود.

ولو كان يريدها فلماذا أقرَّ بها في تفسير سورة الإخلاص وهي في آخر المصحف بعد سورة الجن؟

ولماذا لم يحذفها من كتبه؟

ولماذا لا يعلن تراجعه عنها وعن غيرها في كتبه التي ألفها بعد كتابه «الظلال» وخاصة «المعالم» و«لماذا أعدموني»؟

ودافع عنه عدنان في خطابه إلى إخوانه المسلمين الذي صدر قريبًا، ودافع عنه في أحد أشرطة «براءة» الأول أو الثاني، وألزم ربيعًا بتكفيره وشدّد عليه.

وادعى على ربيع أنه قال: إن سيد قطب ماسوني (أي كافر).

ويدافع عن تكفيره للمجتمعات الإسلامية.

وتكفيره لها واضح صريح في «الظلال» وفي «المعالم» وفي كتاب «العدالة».

وانظر كتابه «التيه والمخرج» (ص٧٢-٧٣).

ويقرنه بأئمة عظام من أئمة الهدى والتوحيد في تقرير عقيدة التوحيد بأنواعها؛ كما في كتابه «التيه والمخرج» (ص٦٣-٧٢).

وادعى له أنه موافق لمذهب السلف، وأنه يوافق الإمامين ابن القيم وابن عبد الوهاب.

وقال: «والمتأمل المنصف لكلام الداعية سيد -رحمه الله تعالى- هذا والذي بعده يجد أنه موافق لمذهب السلف ولكلام الإمامين ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله تعالى-، والظاهر أن سيد ﷺ قد تأثر في آخر حياته بهذا المنهج؛ منهج أولوية العقيدة ودعوة الناس إليها، وتربيتهم عليها، وسلك سبيله، وترك ما عداه، وقد أخبرني أخوه الأستاذ الفاضل محمد - حفظه الله - بذلك، وكتبه الأخيرة تؤكد ذلك»[1].

كل هذا يفعله مراغمة لأهل السنة ولربيع بالذات، وكل هذا بعد إثارته لهذه الفتنة، وبعد وعوده والتزاماته بنقد سيد قطب، وبيان ضلالاته بالتفصيل، فكيف يقول الآن: وهذا لا خلاف فيه بيني وبين الشيخ ربيع؟

والخلاف عميق، وحربه على ربيع شديدة متواصلة في غاية المكر والكيد، ويبرز نفسه في هذه الجلسة سلفيًا عظيمًا لا يبارى.

ويبرز ربيعًا في هذه الجلسة شديد الخطر، شديد الغلو في سيد قطب، ويبرز نفسه في غاية البراءة، وأخطاؤه ضئيلة كمر الذباب على الأنف، وأنه الصابر الساكت خلال خمس سنوات أو ثلاث على حسب كلامه المضطرب في هذا الشريط وهذه الجلسة وغيرها.

وهو أبو بجدة الفتن ومثيرها ومؤججها في أوربا والجزيرة وغيرهما، وهو الغالي في سيد قطب دعوة إلى منهجه وكتبه، وذبًا ومحامات عنه، منذ خرج أول كتاب لي ينتقد سيد قطب إلى هذه الجلسة، التي أبرز نفسه فيها على غير صورته

(١) انظر: التيه والمخرج (ص٧٢).

وحقيقته، وأبرز الأبرياء المناضلين عن السنة والقامعين للبدع وأهلها في غير صورتهم الحقيقية.

فإن لم تكن هذه الأعمال الخطيرة وقلب الحقائق كذبًا وسفسطة، فلا وجود للكذب ولا للسفسطة.

وقول عدنان: «قضايا المنهج الانتخابات».

هذا من التمويه وإلا فالحقيقة أنك تنقل عنه وتسرف في النقل في غير هذا المجال ولاسيما في العقائد والمناهج، وهذا من الأدلة أنك تستخف بعقول الناس حتى عقول من تحرص على صداقتهم وكسبهم، فأرجو أن يتنبهوا لهذا الاستخفاف المزعج.

سادسًا: قال عدنان: «أنا لم أقل ما قال ربيع في كتابه «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» (ص ١٣٨) بالحرف الواحد يقول: «لقد أصاب سيد قطب عين الحق والصواب، ويجب على الحركات الإسلامية أن تستفيد منه هذا التقرير الواعي».

فقد أصاب به «عين» هكذا الآن أمامي: «رحم الله سيد قطب لقد نفذ من دراسته إلى عين الحق والصواب، ويجب على الحركات الإسلامية أن تستفيد منه هذا التقرير الواعي، والصواب من هذا التقرير الواعي، لقد وصل في تقريره هذا إلى عين منهج الأنبياء».

أليس هذا الكلام مثل كلامي تقريبًا؟

بل هو يقول: «عين منهج الأنبياء»، أنا ما قلت: ما تكلم على وجه الأرض يومئذ في الستينات، ما كان أحد يتكلم في الانتخابات، و، وغيره».

أقول: أولًا: لماذا تتعمد النقل من نسخة طبعت سنة ١٤٠٦ هـ، وتترك نسختين طبعت إحداهما سنة ١٤١٤ هـ، وثانيتهما سنة ١٤١٨ هـ؟

ألا يدل هذا التصرف منك على غاية لا تلحق فيها من الغش والخيانة والبعد السحيق عن العدل والإنصاف، اللذين شغلت الدنيا بالضجيج بهما: العدل والإنصاف لليهود والنصارى وإخوانك من أهل البدع.

ما هذا اللدد في الخصومة؟

ومن علامات النفاق: (وإذا خاصم فجر).

وأقول لداعية العدل والإنصاف لأهل الباطل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وثانيًا: لا سواء، فأنت افتريت لسيد قطب ما هو بضده، فما تأصيله إلا للبدع والدمار.

ومنها التكفير والتخريب والتفجير في الكتب التي تحيل الشباب إليها، وتمدحها وتشهد لصاحبها زورًا، بأنه ما أحد على وجه الأرض بين قضايا المنهج مثله، وتفسر ذلك الآن كذبًا بالانتخابات والانقلابات.

لماذا نسيت علماء السنة الذين هم عقيدةً ومنهجًا وواقعًا أعظم الناس تأصيلًا صحيحًا، وأعظم الناس وقوفًا في وجه ما تذكر، ومنهم الشيخ العلامة الألباني، فهو الذي علم الناس فعلًا الحرب على الانتخابات والانقلابات والإضرابات، لا سيد قطب ولا غيره من أهل البدع، وما عرفنا الألباني إلا وهو ضد هذه الضلالات.

الحق يا عدنان أنك لا تريد بقضايا المنهج إلا غير ما تدعيه الآن، وقد عرّفته وتبجحت به كثيرًا وكثيرًا.

أقول لك: لا سواء، لأنك افتريت هذا لسيد قطب بعد أن تبين للناس ضلاله، وتبين لك أنت أكثر من غيرك هذا الضلال الكبير الكثير.

وأنا نقلت كلامه الذي ظاهره الحق، وظاهره موافقة منهج الأنبياء، وكنت حينذاك في وسط الدعايات الكبيرة له، أعتقد أنه يعتقد ما يقوله، ولو كان كذلك لأبقيت تعليقي عليه ولم أحذفه.

فلا تستخدم هذا الأسلوب الإرهابي الممقوت، وارجع إلى استدلالي لموقفي هذا[1].

---

(١) انظر: ص ٣٩ وما بعدها في هذا الكتاب.

سابقًا: قال: «مع ذلك، قلت لك: لو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت ما قلت ذلك، فلماذا تذكر كلمتي ولا تذكر كلمة ربيع[1]؟

لماذا يقبل تراجع ربيع ولا يقبل تراجعي؟

مع أن هناك فرقٌ كبيرٌ (كذا)».

الجواب: أنك أنت لم تتراجع إلى الآن، فحتى هذه المقولة التي تتظاهر بالندم منها لم تتراجع عنها، لأنك إلى الآن تصر أن كلامه في قضايا المنهج صحيح، وتخفي نقولك الكثيرة عنه في العقيدة والمنهج، مما يدل على خداعك وتمويهك في هذه التوبة.

أما ربيع:

١- فلم يكذب لأحد.

٢- ولم يصرَّ - والعياذ بالله - على باطل.

٣- ولما تبين له أن سيد قطب لا يعني ما يقول، وتبين له أنه لا يعتقد العقائد الصحيحة، ولا يفهم معنى «لا إله إلا الله»، ويفسرها بتفسير أهل البدع والضلال، حذف تعليقه على كلام سيد قطب، فلم يره أحد في الطبعتين الأخيرتين، لأنه حذفه بدافع من دينه.

أما عدنان فلم يحذف حرفًا واحدًا من نقوله الكثيرة عن سيد قطب، التي ينقلها للتلبيس والخداع، ولذا يلجأ الآن إلى التلفيق تارة، وإلى الكذب أخرى، ويفعل هذه الأفاعيل عنادًا وتمرُّدًا على أهل الحق والسنة، ومراغمة لهم، فلا توقف عن الباطل، ولا تراجع عنه.

فكيف يقبل شيء معدوم، ويسكت عن باطل موجود منشور معلن؟

فهذا من الفروق الكبيرة حقًّا بينك وبين ربيع.

ولو كان ما فعلتُه ذنبًا فعلًا لما جاز لمسلم أن يخاصمني به بعد أن طوحت به بعيدًا، اللهم إلا على مذهب من هو أسوأ مذهبًا من الخوارج، إذ الخوارج يرون

(١) يعني أن ربيعًا أعظم وزرًا فيما يتعلق بسيد قطب من عدنان، وهذا نهاية الدجل وقلب الحقائق.

قبول توبة التائبين، فكيف وأنا لم أرتكب ذنبًا؟

ثامنًا: قال عدنان: «هذه انظرها بعينك في كتابهم، وليس في كتابي: «يجب» الواجب ما أوجبه الله ورسوله، لا الواجب أن نتبع سيد، هذه الكلمة عظيمة لا نقبلها أبدًا، فلماذا يغضون الطرف عن هذه الكلمة، وأنت سمعت الشريط، ونحن سمعناه عشر سنوات ربيع في الإخوان المسلمين كان[1] لإصلاحهم كان كان، المهم تراجع يتراجع من عشر سنوات، وأنا ما كنت يومًا من دهري في الإخوان المسلمين، أو كنت في القطبية[2]، أو في . . . في . إلى غير ذلك.

هل عالم يقول: يجب علينا أن نستفيد من زيد أو عمرو بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والسلف الصالح».

أقول: مسكين عدنان يهرف بما لا يعرف، ويتعلق بأوهى من خيوط العنكبوت.

أولًا: أتحاسبني الآن على ما تراه أنت أنه خطأ، وقد أرحت نفسي والناس منه منذ سبع سنوات؟

أتحاسبني من منطلق إسلامي أو منطلق أحط من الجاهلية الأولى[3]؟

ثانيًا: أنا لم أقل في هذا الشريط: يجب على الإخوان . . . إلخ، إنما قلت:

«ولهذا لو يسمع الإخوان نصيحته لانتهت الخلافات بينهم وبين السلفيين».

فقوله تعليقًا على هذه الفرية: «فهو يوجب على الجماعة أن يطيعوا سيد . . .

(١) ربيع لم يكن إخوانيًا قط، وإنما مشى معهم مدة بشرط أن يخرجوا أهل البدع من صفوفهم، وبشرط أن يربوا شبابهم على المنهج السلفي، وكان يمشي مع من ينتسبون إلى المنهج السلفي لا مع أهل البدع منهم، وقد فعل مثل هذا بعض السلفيين، ومنهم الشيخ الألباني، فهل تقول يا عدنان إن الألباني كان إخوانيًا أو في الإخوان؟ وهل تطالبه بالتراجع؟

(٢) من أي منطلق تفعل هذه الأفاعيل من أجل سيد قطب؟ ومن أي منطلق تجعل كتب الإخوان من المراجع السلفية؟ ومن أي منطلق تحارب السلفيين؟ ومن أي منطلق تضع القواعد لمحاربة المنهج السلفي وحماية أهل البدع؟ ووالله لو كنت إخوانيًا لحسب لهان أمرك، ولكن وراء الأكمة ما وراءها.

(٣) لأن في أهل الجاهلية من يتنزه عن الكذب والافتراء، وعن محاسبة غيره بغير ذنب، ويأنف من ظلم الأبرياء.

إلخ» فرية أخرى.

ثالثًا: فإذا دعا إنسان الناس إلى القيام بواجب أوجبه الله أو نهى عن منكر حرمه الله، ولاسيما إن دعا إلى التوحيد أو نهى عن الشرك، فحرام في مذهب عدنان أن يستجيبوا لهذه الدعوة، ويجب عليهم عصيانه، ورفض ذلك الأمر الواجب وارتكاب ذلك المنكر.

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾؟

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إعلام الموقعين (١/ ٩):

«... القسم الثاني: فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء؛ بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾».

ثم ساق أقوال المفسرين فيها.

وتفسير أهل العلم أن أولي الأمر هم العلماء أو الحكام أو كلاهما.

أتدعو إلى قواعد تخترعها، وتدّعي أنها تضبط الأمة، وتحطم نصوص القرآن والسنة والقواعد المستنبطة منهما، فتحرم على المسلم أن يقول: يجب أن نستفيد من زيد أو عمرو؟

أهذا شيء تخص به ربيعًا أو سيد قطب أو هو حكم عام في الناس جميعًا بعد السلف الصالح؟

فإذا دعا ابن تيمية ومن قبله ومن بعده إلى التوحيد فيجب على الناس عصيانهم

على مذهب عدنان!

تاسعًا: قال عدنان: «ثم لماذا؟ عن ماذا تراجع ربيع؟ لماذا تراجع عن هذه الشهادة؟ هذه بس من أجل عدنان، هذه واحدة».

أقول: قد بينت سبب حذفي لهذه الشهادة، وأنه لخلل في اعتقاد سيد قطب، فهو قول صحيح؛ لكن لا واقع له، وهي كلمة حق أراد بها باطلًا، أراد ما يعتقده هو، لا عقيدة الأنبياء ومنهج الأنبياء فعلًا، ولو كان هذا الكلام صادرًا من شخص على عقيدة الأنبياء ومنهجهم حقيقة وواقعًا لما حذفت هذه الشهادة.

ثم بعد هذه الشهادة علَّقتُ على كلامه بثلاثة تعليقات تبين عقيدته وحاله، وأتبعت تلك التعليقات بأربعة كتب ما أقضت مضجع أحد مثل عدنان، ولا قاومها مقاومة أئمة مثل عدنان، والآن هو يفر وينهزم من هذه الجيوب التي أعدها لمقاومة الحق، فالحمد لله على توفيقه ونصره على دعاة الباطل وأنصاره، والذابِّين عنه.

وقولك: «بس من أجل عدنان» فبئس ما قلت! وأعوذ بالله أن أعمل من أجل أحد من البشر، وأسأل الله أن يحفظني من ذلك، فلا قبول باطل، ولا رفض حق لأجل أحد.

عاشرًا: قال عدنان: «ثم أنا سأسمعك الآن بأذنك بأن الشيخ ربيعًا يقول، ومن قريب، بدليل ذكره لصدَّام بعد حرب الخليج، وبذكره للشايجي الذي ردَّ على الشيخ ربيع، ثم ذكر أربع نقاط:

١- أن سيد كان يدعو إلى العقيدة الصحيحة.

٢- أن سيد كان يحث على كتب محمد بن عبد الوهاب.

٣- أن سيد كان سلفي.

٤- أن الإخوان المسلمين لو أطاعوا سيد.

فهو يوجب على الجماعة أن يطيعوا سيدًا».

أقول: إني كنت أنا وغيري كثير من العلماء وطلاب العلم نعيش في جو إعلامي رهيب لسيد قطب ولمنا وللإخوان المسلمين، ولا نصدق كل شيء من هذا

الإعلام، وقد نصدق بعضه، ومنه ما كان يقال عن سيد قطب: إنه رجع إلى منهج السلف بعد دراسة، وجاء من كلامه في جريدة «المسلمون» ومن كتاب «لماذا أعدموني» ما يؤكد هذا الإعلام، فأنا ناقل لأخبار ظاهرها الصحة المؤكدة، والعلماء ينقلون مثل توبة الجويني والغزالي والرازي بدون أسانيد معتمدة، وعن طريق وسائل إعلامية لا تبلغ عشر معشار إعلام الإخوان المسلمين.

والمؤرخون والمترجمون - ومنهم أئمة - ينقلون في أخبارهم وفي تراجم الناس - ومنهم الفقهاء والمفسرون وأئمة الحديث - أخبارًا وأقوالًا في التراجم لا تثبت على محك النقد، وقد يتبين للناقد ضعفها أو نكارتها، ولا يرجف عليهم ويهول عليهم وينتقصهم ذو دين وعقل.

والذي نقلته ينقل مثله أو دونه أئمة لا يخدش كرامتهم إلا جاهل صاحب هوى.

فهذا حال ما قلته لو كان على الوجه الذي نقله عدنان، فكيف الحال وقد ارتكب عدنان في نقله التمويه والخيانة والبتر؟!!

أما التمويه؛ فقوله: «ومن قريب بدليل ذكره لصدام بعد حرب الخليج، ويذكره الشايجي الذي رد على الشيخ ربيع».

فَذِكْرُ الشايجي في الشريط المشار إليه وهو الموسوم بـ«جلسة في مسجد الرضا» كذب مكشوف، يريد به أن يؤكد به قرب زمن هذا الكلام.

وما أدري ماذا يريد من هذا التقريب وهو يؤاخذ ربيعًا بالكلام الذي قاله من زمن بعيد وقد حذفه، ويحاسبه على الكلام الذي يؤكد قربه بالكذب، وهو يعفي نفسه من كلام كله قريب بعد أزمة الخليج، وبعد كتابة ربيع في سيد قطب، وكشفه الواضح الجلي لعقائد سيد قطب وأفكاره الفاسدة، ويكذب في تقديم زمانه، ويحيطه بهالة من الإرجاف، فيقول: حماس، ارتجال، عجلة؛ حتى ليخيل له الشيطان أن باطله قد انقلب إلى حق لدى الناس؟!

فصار القرب والبعد لعبة من ألاعيبه، وحبلًا من حبال تمويهه.

هناك أشرطة كانت في جلسات معي في الكويت كانت بعد افتراءات الشايجي

عليّ وعلى السلفيين؛ ذُكِرَ فيها عبد الرحمن عبد الخالق وسيد قطب، وانتقدت سيد قطب في مناسبتين في شريطين من جملة خمسة أشرطة نقدًا قويًا، ولا أدري أذكر فيها الشايجي أم لا؟ وأنا لا أستبعد أن هناك علاقة قوية بين عدنان وبين الشايجي وأمثاله، وبين عدنان والعصابات التي تحارب ربيعًا ومنهج السلف، وألمس آثار هذه العصابات - التي احترفت السطو على النصوص والبهت للأبرياء - في خصومة عدنان.

والله أسأل أن يكشف هذه الحقائق للمؤمنين.

الحادي عشر: قال عدنان: «وتفضل اسمع بأذنك - يعني كلامًا منسوبًا لربيع وهو الآتي: «ولكن أنا أقول إن سيد قطب كان ينشد الحق، ولهذا لو يسمع الإخوان نصيحته لانتهت الخلافات بينه وبين السلفيين، هذا الرجل بإخلاصه وحبه للحق توصل إلى أن لابد أن يربى الشباب على العقيدة قبل كل شيء والأخلاق، العقيدة الصحيحة، وأظن قرأت في كتابة زينب الغزالي هذه - والله أعلم - إن كنتم قرأتم لها، أنه كان يرشدهم إلى كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب الحركة السلفية، وأنا قرأت له، وأنا قرأت يعني أربعين سنة يعني صرفها في حقول المعرفة الإنسانية، وغبشت على تصوري، وأنا -إن شاء الله- إذا وجدت الحق واتضح لي آخذ به.

فالرجل بحسن نيته -إن شاء الله- يعني توصل إلى أن المنهج السلفي هو المنهج الصحيح، الذي يجب أن يأخذ به الشباب، وأن يتربوا عليه، وعرض هذا المنهج على الموجودين في ذلك الوقت من الإخوان، ناس وافقوه، وناس عارضوه، ثم غلب هذا الجانب المعارض على الجانب الموافق، واستمرت دعوة الإخوان على ما هي عليه، الروافض إخوانهم، وصدام يقفون إلى جانبه، هذا كله من فساد العقائد ومن الخلط، لو كان هناك عقيدة صحيحة فيها الولاء والبراء ما يقفون لا مع خميني ولا مع صدام، ولا مع كلام فارغ»».

وكان عدنان قد مهد لهذا النص الذي عزاه لي بقوله:

«نعم أخطأت في التعميم، حماس في الشباب، لأني كنت ضد الانتخابات،

وضد البرلمانات، وضد الانقلابات، فانظر أنا ضد هذه الأمور، فمعنى منهج سلفي أخطأت في التمثيل، أخطأت في التعبير، أخطأت في شبابي، شريط منذ سنين أكثر من ١٥ سنة أو قبل سنة، تراجعت عن هذا العموم، لا يقبل الشيخ ربيع، اسمعوا يقول: أنا ما أقول سيد قطب سلفي، والله في حياتي ما قلتها ولا أقولها ولا أعتقدها، كيف تزل لسان ربيع، ويقول: سلفي هو».

أقول: لو قال عدنان: قلت هذا في زمن الطفولة، لكان أنفع له وأعذر عند من يصدقون الكذابين.

ولو قال: قلتها ضد من ينتقد سيد قطب لكان صادقًا عند العقلاء، أما قبل خمس عشرة سنة فالواقع والشريط يكذّبه.

والنص الذي خان في نقله - مع أنه أنهكه بالخيانة - فإنه يشهد على عدنان بأنه افترى على الشيخ ربيع هذه المقولة: «إن سيد قطب سلفي»، فليس هذا القول في هذا النص.

وقوله: «أنا ما أقول سيد قطب سلفي والله في حياتي» هذه يمين فاجرة غموس، فإنه أعطى سيد قطب منزلة فوق السلفية، وهي الإمامة في العقيدة والمنهج، وقد تقدم هذا قبل قليل، فتذكر.

وإليك نص كلامي من شريط (جلسة في مسجد الرضا) إبان أزمة الخليج:

سئل الشيخ ربيع المدخلي عن قراءة كتب الإخوان فإن من الناس من إذا قرأ كتبهم اتخذ منهم موقفًا.

فقال الشيخ: «أنا ابتليت بقراءة كتبهم، لكن أنا أميِّز بين الحق والباطل، أنا في الظلال أنا قرأته، وأنا في الثانوي، وأعرف الأخطاء التي فيه، أعرفها والله وأنا في الثانوي، عرفنا أخطاءه في الصفات، أخطاءه في العلوم الكونية، أخطاءه في النواحي السياسية والاقتصادية، كلها عرفناها ونحن في الثانوي عرفناها.

ما أدري شبابنا إذا قرءوا هذه الكتب يميزوها وإلا لا يميزوها، والله نحن ميزناها ونحن في الثانوي.

لكن أنا أقول: إن سيد قطب كان ينشد الحق، ولهذا لو يسمع الإخوان نصيحته

لانتهت الخلافات بينهم وبين السلفيين، هذا الرجل بإخلاصه وحبه للحق توصل إلى أن: لابد أن يربى الشباب على العقيدة قبل كل شيء والأخلاق، العقيدة الصحيحة، وأظن قرأت في كتابة زينب الغزالي هذه، والله أعلم إذا كنتم قرأتم لها: أنه كان يرشدهم إلى كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتب الحركة السلفية.

يقول: أنا قرأت أربعين سنة صرفتها في حقول المعرفة الإنسانية، وغبشت على تصوري، وأنا -إن شاء الله- إذا وجدت الحق واتضح لي آخذ به.

فالرجل بحسن نيته -إن شاء الله- توصل إلى أن المنهج السلفي هو المنهج الصحيح الذي يجب أن يأخذ به الشباب، وأن يتربوا عليه.

وعرض هذا المنهج على الموجودين في ذلك الوقت من الإخوان، ناس وافقوه وناس عارضوه، ثم غلب هذا الجانب المعارض على الجانب الموافق، واستمرت دعوة الإخوان على ما هي عليه، روافض إخوانهم، وصدام يقفون إلى جانبه، هذا كله من فساد العقائد ومن الخلط، لو كان هناك عقيدة صحيحة فيها الولاء والبراء ما يقفون لا مع خميني ولا مع صدام ولا مع كلام فارغ.

وبعدين الذي نأخذه على إخواننا السلفيين الذين يتعاطفون معهم أنهم ما يتقدون، والله إنه كان الواجب ينفضون أيديهم منهم، عرفنا حقيقتكم، خلاص اليوم آخر يعني هو الفيصل بيننا وبينكم، هذا الذي يجب.

بعدين الأمور تكشف لهم، وربما يأتي اليوم هذا الذي يقفون هذا الموقف».

ثم سأل السائل: بالنسبة لكتاب «ظلال القرآن»؟

فأجاب الشيخ: «فيه أخطاء كثيرة، هو ما دخل في التنظيم، لكن هو يؤيد فكرتهم وماشي عليها كان، وبعدين هم التفوا عليه وربى أناس منهم، ثم هم استفادوا منه، فامتلكوا مشاعر وعقول البلد، هذا بسيد قطب وكثير منهم يكره سيد قطب، ويكره منهجه ويحاربه، ولكن من ناحية مادية وسياسية استغلوا سيد قطب استغلالًا فظيعًا.

الرجل غفر الله له إن شاء الله، قصده الحق، نسأل الله أن يرحمه، ولكن

أخطاؤه يجب التنبيه عليها، ولا يجوز الدفاع عنها.

لا يجوز الدفاع عن أخطاء ابن تيمية وأحمد بن حنبل ولا صحابي ولا أحد، لا يجوز أن تدافع عن أخطاء أحد ما دام هذا الخطأ ينسب إلى الله وإلى الإسلام لا يجوز.

يجب أن نقول للخطأ خطأ وللحق حق، وللباطل باطل مهما كان.

ثم بعد ذلك نفرق بين العالم المجتهد الذي يكون خطؤه نتيجة لاجتهاد فهو مأجور، ولا يجوز أن نذمّه، ولا نشير إلى ذمّه من قريب ولا من بعيد، وبين أن يكون المخطئ مبتدع، فالأصل في أهل البدع أنهم متهمون، الله اتهمهم وكشف نواياهم، خلافهم قائم على البغي والعدوان، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ هذه تهمة أخرى...

المخطئ السلفي يجب أن يناقش أكثر من غيره، لأنه ينسب خطأه هذا للمنهج السلفي».

لقد قلتُ هذا الكلام في أزمة الخليج مصدقًا للدعايات الضخمة لسيد قطب وأنه توصل إلى أن منهج السلف هو الحق، وأنه يوجه الناس إلى العقيدة الصحيحة، وإلى كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب.

ومع ذلك فقد ذكرت فساد عقيدته، وذكرت أن أخطاءه كثيرة.

وقلت: «إن أخطاءه كثيرة، ولا يجوز الدفاع عنه، ولا يجوز الدفاع عن أخطاء ابن تيمية وأحمد بن حنبل ولا صحابي ولا أحد، لا يجوز أن تدافع عن أخطاء أحد ما دام هذا الخطأ ينسب إلى الله وإلى الإسلام لا يجوز».

فماذا صنع عدنان بهذا الكلام؟

لقد سلك أسوأ مسالك الخيانة، بتره وحذف منه أوله وآخره، الذي يدين سيد قطب بالبدع والأخطاء.

فماذا في هذا النص الذي سطا عليه عدنان داعية العدل والإنصاف والأخلاق؟

انظر كيف صدرت هذا النص ببيان أخطاء سيد قطب :

١- في الصفات.

٢- وفي العلوم الكونية.

٣- أخطائه في النواحي السياسية.

٤- أخطائه في النواحي الاقتصادية.

ثم بقي له عندي شيء من حسن الظن به، فقلت: «كان ينشد الحق، ولهذا لو يسمع الإخوان المسلمون نصيحته. . . » إلخ.

نعم لو أخذوا بظاهر كلامه لاستفادوا، لأن ظاهر كلامه يشبه دعوة الأنبياء ومنهج السلف، وهذا الكلام مأخوذ من كلامه الذي ذكرته في «منهج الأنبياء» مبنيّ ولا يزال على الدعايات، وعلى كلامه الذي نقلته في المنهج، إضافة إلى منهج الموازنات الذي كان سائدًا آنذاك، ولاسيما في الجامعات وفي مناقشات الرسائل والبحوث.

ثم تبين لنا بطلانه وخطره، فكتبت فيه بفضل الله كتابين «منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف» وكتاب «المحجة»، وخلال ردودي على دعاة الباطل.

ثم ذكرتُ حكاية مصدرها الإخوان المسلمون.

- ثم سئلت عن كتاب «في ظلال القرآن» لسيد قطب، فأجبت: «فيه أخطاء كثيرة».

ثم قلت: «الرجل غفر الله له -إن شاء الله-، قصده الحق، نسأل الله أن يرحمه، ولكن أخطاءه يجب التنبيه عليها، ولا يجوز الدفاع عنها، لا يجوز الدفاع عن أخطاء ابن تيمية وأحمد بن حنبل ولا صحابي ولا أحد ما دام هذا الخطأ ينسب إلى الله وإلى الإسلام لا يجوز».

وسبحان الله كأن هذا الكلام موجه إلى عدنان عرعور، وقد وفقني الله للقيام بهذا الواجب بعد أن عرفتُ جديدًا من بدع سيد قطب، ولاسيما طعنه في نبي الله

موسى، وفي أصحاب محمد ﷺ، وتكفيره للمجتمعات الإسلامية من قرون.

وما كنتُ أعرفه سابقًا، ولكن كنتُ متوقفًا فيه، كقوله بخلق القرآن، وبأزلية الروح.

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: من انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام.

- ثم قلت: «هذا الرجل بإخلاصه وحبه للحق توصل إلى أنه لابد أن يربى الشباب على العقيدة قبل كل شيء والأخلاق، العقيدة الصحيحة».

وقلت: «الرجل بحسن نيته -إن شاء الله- توصل إلى أن المنهج السلفي هو المنهج الصحيح، الذي يجب أن يأخذ به الشباب، وأن يتربوا عليه».

وكان هذا مني بناء على ما تناقله الناس وتلقوه من دعايات الإخوان، وبناء على كلامه هو، وبناء على حسن الظن به، ولم أقل: «إنه سلفي»، وكيف أقول ذلك، وقولي هذا محفوف ببيان خطئه في مجالات، ومنها العقيدة في صفات الله.

أما التوصل أن المنهج السلفي هو الحق فليس وصفًا له بأنه سلفي، فالشيطان يعلم أن الأنبياء على الحق وأن الإسلام هو الحق، ومع ذلك فهو إمام أهل الكفر، وفرعون وأبو جهل وأبو لهب يعرفون الحق وأن موسى ومحمدًا - عليهما الصلاة والسلام - على حق، ومع ذلك فهم أئمة الكفر.

وأسأل عدنان: لماذا تبتر هذا النص الذي يشتمل على بيان أخطاء سيد قطب في العقيدة وغيرها، وأنه يجب بيان هذه الأخطاء، بل وأخطاء غيره، ولا يجوز الدفاع عنها... إلخ؟

ولماذا تحمل ما اختطفته من هذا النص المبين لواقع سيد قطب ما لم يحتمل، فتقول زورًا عن ربيع إنه قال: «سيد قطب سلفي»! وفي كلامه ما يبطل ما افتريته عليه: من نصه على الخطأ في الصفات وغيرها مما ينافي السلفية؟

أتظن أن ربيعًا مثلك يقول: السلفية أمر نسبي من تسعين في المائة إلى واحد في المائة؟!

أتظن أن ربيعًا مثلك يدافع عن أهل البدع، ويخترع الأصول الفاسدة،

لحمايتهم والذب عنهم، ويفتعل التهم لثلب أهل السنة ويجند نفسه أو يجَنَّد لحربهم؟

فأي إفك وخيانة ارتكبها هذا المبطل الفتان؟

وماذا يستحق من الجزاء عند الله؟!

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

(... ومن خاصم في باطل وهو يعلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال).

أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم[1].

وأما أهل السنة فيجب أن يعاملوه بما يستحق من الإهانة والهجر وحماية الدعوة السلفية وأهلها من كيده ومكره وفتنته وأضاليله في النقل والتأصيل الفاسد المضاد المحارب لمنهج السلف.

فلو لم يفعل إلا ما ارتكبه في هذين النصين في منهج الأنبياء، وفي شريط جلسة في مسجد الرضا لكفاه جرمًا وخيانةً وسقوطًا عند السلفيين الشرفاء النبلاء.

الثاني عشر: قال عدنان مخاطبًا الشيخ محمد المغراوي:

«أعلم والله من شبابي منك ما شاء الله قول الحق، وتسمع أنت أي كلام بالله عليك، احكم بالحق أي كلام أخطر كلامي أم كلامه؟».

قال الشيخ محمد: «كلام الشيخ ربيع خطير».

وأنا أعتب على الشيخ محمد أشد العتب في إصدار هذا الحكم مع رجاء أن يعيد النظر في هذا النص بالذات:

١- فالناقل وهو عدنان كذوب، فكيف يحكم عليَّ بناء على نقل كذوب.

٢- ليس في النص المبتور على علاته ما نسبه إليَّ عدنان من القول بأن عقيدة سيد قطب صحيحة حتى يرتب عليه هذا الحكم.

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (حديث رقم ٤٣٨).

٣- وكان على الشيخ محمد استحضار كل ما انتقدتُ فيه سيد قطب، واستحضار تأريخ هذا القول، وتأريخ كتاباتي في نقد سيد قطب.

٤- وإعادة النظر في كل ما قاله عدنان في سيد قطب في كتبه ومواقفه وأشرطته مع معرفة تواريخ هذه الأقوال، هل هي حقًّا قديمة أو حديثة، ثم بعد ذلك يحق له أن يصدر الحكم، الذي يبين المحق من المبطل، والظالم من المظلوم، ومن يسير على منهج أهل السنة والجماعة في نقده ومواقفه، ومن يسير على أصول فاسدة ومناهج ضالة، فيكون هو الخطير وقوله هو الخطير.

الثالث عشر: قال عبد القادر الشوعة موجهًا الكلام إلى الشيخ محمد المغراوي -وفقه الله-:

«سؤالي كالآتي وأقدمه لشيخنا -حفظه الله- الشيخ المغراوي:

بعد الحج ببعض الأيام زرتُ الدكتور ربيع، ثم أسمعني شريط للشيخ عدنان، وهو الكلام الذي تعلمونه، وقد سمعتموه في الشريط نفسه الذي قاله الشيخ عدنان زمان.

ولكن المشكلة عندي الآن أو الإشكاليات التي ما فهمتها كيف لما زرتُ الشيخ ربيع، وإذا به يضع لي كلامًا للشيخ عدنان قديمًا[1]، مع أن الشيخ عدنان قد تراجع[2]، ثم بعد ذلك يلزمني أن أقول ما قاله الدكتور في الشيخ عدنان صحيح أو غير صحيح، أنا لما سمعت الشريط، وكأن الشريط لما وضعه لي كأن الكلام هذا جديد، لأنه الآن يريد أن يثبت ضلالات الشيخ عدنان مما يعلمه هو.

ثم أن يلزمنا أيضًا نحن أن نقبل هذا الكلام الذي يقوله الدكتور ربيع في الشيخ عدنان ولا يزال يقوله.

فالآن كلمتي أو سؤالي للشيخ: موقفي أنا لما سمعت الشريط نفسه، والكلام الذي قيل في ذلك الشريط، والشيخ ربيع وضعه لنا، يريد منا أن نقول كلمة، هل بعد ما سمعنا ذاك الشريط، هل الآن يكون لنا موقف أن نقول الكلام قديم، وكما

---

(١) أين الأدلة على قدم كلامه.

(٢) و أين الأدلة على تراجعه.

سمعتم من الشيخ عدنان قد تراجع أم نأخذ بطريقة أخرى أن نبدأ ننشر أشرطة الدكتور ربيع في الكلام الذي قاله في الشيخ عدنان، لأنه يستدل بالشريط والكلام الذي قاله قديمًا الشيخ عدنان، أرجوك أن تبينهما -وجزاك الله خيرًا-».

أجابه الشيخ محمد بجواب صدره بقوله:

«نحن نرجو إصلاحه».

ثم دعا إلى الصلح واحتج بالآيات القرآنية في الدعوة إلى الصلح، ورجا أن يكون عدنان في المستقبل ممن يصلح أخطاءه التي وقع فيها... إلخ

والذي أريد أن أنبه إليه الأخ عبد القادر ما يأتي:

أنك قد أصدرت الحكم على الشيخ ربيع في أحد أشرطة البراءة، فقلت: «إن ربيعًا لبس عليك، وأنه ظلم عدنان، وأين أنه حامل لواء الجرح والتعديل، أين هو عالم وأنه... إلى غير ذلك حتى يأتي بعض طلبته ثم يدلس عليهم» في كلام طويل انتصارًا لعدنان الظالم المبطل، أصدرت هذا الحكم بناء على دعاوى عدنان وغيرها.

ومن الدعاوى أن عدنان كتب لي رسائل أو كتبًا وأخفيتها عنك، ولم أخبرك بها، وكل هذه المعلومات باطلة، فكان الواجب عليك أن تتثبت وتتروى، وتطلب منه هذه الرسائل [1] وتقرأها بتأمل وتجرد، وتقرأ كل ما كتبه عدنان في كتبه، وقاله في أشرطته، وتنظر في الأمر جديًا هل حقًا عدنان رجع عن أخطائه ومدحه وتزكياته لكتب سيد قطب وحضه عليها ونصحه بقراءتها، ومدحه لمنهجه، وإيهام الناس بأن سيد قطب من طراز الأئمة الذين تنقل أقوالهم في عقيدة التوحيد بأنواعها، ومن

---

(١) وهذه الرسائل لا أعرف منها أيام زيارتك إلا خطابًا واحدًا لا يساوي حبره، ولو سألتني عنه لأجبتك بالحقيقة.

ثم وصلني منه خطابان في (٢٢/ من شهر محرم عام ١٤٢٠هـ)، أي بعد زيارتك لي بحوالي شهر، فهل أنا أعلم الغيب فأخبرك بما لم يقع؟!!

ثم وصلني منه هذه الأيام خطاب، وكلها موذية لا رجوع فيها، ولا تغني من الحق شيئًا، فهل أزاحت هذه الإشكالات؟ وهل ستندم على مواقفك وحكمك الجائر أو لا؟

الأئمة الذين تنقل أقوالهم في المنهج وغيره بكثرة، وهل له الحق أن يذب عنه وعن كتبه ومنهجه، ويخاصم أهل السنة من أجله، وتنظر في دعواه أن الشريط هذا قديم جدًا من خمس عشرة سنة أو عشرين سنة؟

وما هي أدلته على هذا القدم؟

أو أنه قاله إبان نشاطه في حملاته على ربيع، الذي انتقد سيد قطب، وأنه قاله حديثًا، لا من زمن بعيد.

إذ يقول عدنان في الشريط: «ويا ويلي إن استشهدت بأقوال سيد قطب»، فمن كان يهدده قبل خمس عشرة سنة أو عشرين سنة إذا استشهد بأقوال سيد قطب.

وأسألك لماذا أصدرت الحكم على ربيع في أحد أشرطة البراءة قبل هذه الجلسة؟

ثم أنت الآن تقول: إن الأمر مشكل عليك، وتستفتي الشيخ محمد في حل هذه المشكلة، وتستفتيه في نشر أشرطة الشيخ ربيع، التي ليست قاصرة على نقد ما في الشريط، بل تشتمل على نقد أمور نشرت في مجلتكم البصائر، وعلى دفع ظلم عدنان لي في ندوتكم، التي تديرها أنت، ولا تستفتيه في نشر أشرطة عدنان، ولا في نشر أقواله في مجلتكم، وهي تشتمل على الباطل والظلم، وتشاركه في هذه الجلسة التي ملأها عدنان بالأكاذيب والظلم.

أليس كل هذه البلايا والفتن التي تجري الآن من ثمار أعمال عدنان المضادة لمنهج السلف؟

من قواعد فاسدة لحماية أهل الباطل، وأكاذيب وأقوال باطلة وظلم، وافتراءات على السلفية والسلفيين.

ألم أحذرك يا شرعة أنت وأستاذك أو زميلك أحمد سلام من فتنة عدنان؟

ألم أنصح لكم نصيحة مخلصة تحميكم وتحمي المنهج السلفي من فتنة عدنان القطبي وخطره، بل قد تجاوز شره القطبية؟

والذي أحبه الآن منكم الرجوع إلى الله وإلى الحق من مشاركتكم لعدنان في أمور ظلمه فيها واضح وفتنته كبيرة مستطيرة، ومن المجازفة في أحكامكم

ونصرتكم وولائكم.

وأقول لكم: لا تستعجلوا في قولكم إن عدنان قد رجع، وما يدعيه من الرجوع ليس حقًّا، وأنه محفوف بالكبرياء والغطرسة، والذب بالباطل عن سيد قطب، والافتراء إلى الآن على من ينتقده.

إن من شروط التوبة النصوح الندم على ما فعل، والإقلاع عما فعل، والعزم الأكيد على ألا يعود، واستحلال المظلوم، ولم يظهر شيء من ذلك على عدنان، والله ﷻ يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وعدنان لم يصلح ولم يبين، والقرائن تدل على أنه لم يتب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾.

وإنني والله أترفق بكم وأدعو الله لكم بالتوفيق والثبات على جادة السلف عقيدةً ومنهجًا ومواقف.

وأرجو الوعي لمنهج الإمام أحمد وإخوانه، وموقفهم من أهل البدع، ومن أمثال عدنان، الذي لو عاصر أحمد لعامله أشد مما يعامل به أهل البدع.

والذي فعله عدنان ليس بالقليل، وهذه أشرطته وكتبه وما كتبه وقيل عنه موجودة متوفرة لا يجوز لناصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم تجاهلها، ولا غض الطرف عنها، فضلًا عن إجلاله وإكرامه والذب عنه، بل والتعاون معه على ظلم الأبرياء الذابين عن الحق وأهله.

الرابع عشر: قال عدنان: «كان الأولى هم يكتبون، أنا كتبت للشيخ ربيع الملاحظات، وأنا أجيبك عليها، فإن لم يتبين لنا وجه الاتفاق لجأنا إلى التحكيم منذ خمس سنوات يا شيخ محمد، وأنا أدعوهم إلى التحكيم، رسالة تلو رسالة، ورسول تلو رسول، ولا أريد أن أطيل عليكم، أكتب رسالة، بل أتصل بالهاتف مع الشيخ ربيع، وأقول: يا شيخ ربيع أكثر من مرة.

ولكن لعل هذا الاتصال، وهذه الرسل، وهذا الصمت، وهذه الرسائل ظنوا أني ضعيف، ولم يتنبهوا إلى المسألة أني أريد المصلحة للسلفيين، أريد دفع

الخلاف، وإلا سنضطر بعد ذلك إلى ذكر ما نذكره دفاع عن أنفسنا».

أقول: أولًا:

كتب الشيخ عبد الحميد في كتاب سماه «وقفات مع عدنان عرعور» فلم يتنازل للرد عليه، لأنه جاهل في نظره، بل وصفه بالخبث وغيره.

وانتقده الفارسي في أشرطة فلم يرد عليه ردًّا علميًا.

والناس يرون انحرافه، ويطالبونه بالرجوع إلى الحق، والبيان بشأن سيد قطب ولم يفعل شيئًا.

بل هو يتمادى في غيه وبغيه على السنة وأهلها، فيمدح ويمجد سيد قطب وكتبه ومنهجه، ويضع القواعد الباطلة لحماية سيد قطب، والذب عنه وعنهم.

وربيع صابر متغافل عنه إلى أن بلغ السيل الزُّبَى، فبلغ بعدنان الأمر أن يعقد فيها ندوة، وأقام قبلها دورة استهدفتا ربيعًا ومنهج الجرح والتعديل، وأسيء جدًّا إلى ربيع.

وعقدت محاضرة استهدفت فيها ربيعًا، وقعدت فيها القواعد الباطلة، لرد منهج السلف في الجرح والتعديل، بأسلوب ماكر، الذي كتب فيه ربيع كثيرًا منافحًا في كلٍّ عن عقيدة السلف ومنهج السلف ورجال السلف والسلفيين المعاصرين.

سئلت مرة عن عدنان، وأظن السائل من فرنسا، فأجبت ببعض ما علمتُ فيه، فأقام الدنيا وأقعدها، وفعل من أجل ذلك الأفاعيل.

وهو الذي بدأ بالفتنة، وبدأ بالحرب، ولم يقف أبدًا بل هو مستمر في ذلك بشكل منقطع النظير، ثم يدّعي مع كل ذلك أنه ساكت صابر.

ثانيًا: يقول عدنان: «إنه منذ خمس سنوات يدعو إلى التحكيم رسالة تلو رسالة، ورسول تلو رسول».

انظروا وافهموا ما يقول هذا الرجل الآن في الجلسة في الأندلس (أسبانيا) منذ خمس سنوات تدعونا إلى التحكيم في الرسالة تلو الرسالة والرسول تلو الرسول.

وقبلها بقليل في تاريخ (١/ ١٤٢٠ هـ) قال:

«ولقد كنت -والحمد لله- من أوائل من نصح العباد وحذر من ذلك، وكان ذلك قبل خمس وثلاثين سنة، وأرى وجوب التحذير من ذلك، وكتبت هذا وسجلته أكثر من مرة منذ خمس سنوات، وسُلِّم الشيخ ربيع منه نسخة خطية، ونسخة مسجلة قبل سنتين ونصف تقريبًا، وإن سيد قطب ليس أهلًا للاستفتاء، ولا يعني هذا أن كل شيء عنده باطل».

انظروا إلى تلون هذا الرجل في كلامه في فترة وجيزة:

أ- ففي هذه الجلسة في الأندلس يقول: «منذ خمس سنوات يدعو إلى التحكيم رسالة تلو الرسالة ورسول تلو الرسول».

فالله أعلم كم بلغ عدد الرسائل وعدد الرسل وعدد الاتصالات.

ب- وفي تلك الرسائل يزعم أنه يحذر من سيد قطب ويرى وجوب التحذير من ذلك، وهو كلام مجمل، فإن كان يريد وحدة الوجود، فهو ينسبها إلى ألفاظه، ويدافع عنه بشدة، ويرمي من ينسبها إليه بأنه يكفره.

وعلى كل حال مضمون رسالته في أول هذا العام تتضمن التحذير المجمل، وأنه كتب هذا التحذير المجمل وسجله أكثر من مرة.

ج- وجلسته في الأندلس يدعي أنه يدعوني إلى التحكيم منذ خمس سنوات، في رسالة تلو رسالة، ورسول تلو رسول.

د- وفي أول شريط الجلسة في الأندلس ما يأتي:

«وما زلت أرى أن سيد عنده ضلالات، وصرحت لأخينا الشيخ ربيع في شريط مسجل بيني وبينه، وأنا أطالبه به الآن بإظهاره منذ ثلاث سنوات، وكتبت له رسالة من سبع صفحات أبين له، فلماذا لا يظهر الشريط؟

لماذا لا يظهر الرسائل؟

كتبت أربع، خمس رسائل كتبتها بالتفصيل».

يعني رسائله ورسله خلال خمس سنوات يدعوني فيها إلى التحكيم.

هـ- وفي الجلسة نفسها يقول: «وما زلت أرى أن سيد عنده ضلالات

وصرحت لأخينا الشيخ ربيع في شريط مسجل بيني وبينه».

وفي أحد أشرطة البراءة يقول - عن هذا الشريط: «في بيت باسم وكان بحضور عشرة من الدكاترة.

ويقول: وكتبت له رسالة من سبع صفحات، فلماذا لا يظهر هذا الشريط؟».

و- وفي أول أشرطة البراءة التي ألقاها في فرنسا قبل هذه الجلسة بمدة وجيزة، قال - بعد أن ادعى مكالمة بيني وبينه عبر الهاتف: «مع ذلك ما قصرت، لأني كتبت رسالة مفصلة موقفي من سيد قطب، قبل أربع خمس سنوات، يقول للناس ما بينت رأيي... كتبت رسالة بسبع صفحات، وأرسلتها مع الأخ يقال: اسمه إيهاب معروف في الرياض من الإخوة، وقلت: يا إيهاب - والله - ما عندي صورة، أرجوك رجاء أخوي تصورها، ثم تسلمها للشيخ، وهو كنت أحسبه معتدلًا بيننا، وما كنت أظنه قلبًا وقالبًا مع هؤلاء، فهذا لا يهمني، فجاءني بعد يومين من رجوعه من المدينة، وإذا الرسالة يسلمها للشيخ ربيع، ولم يأتني بصورة منها، هذا الرجل موجود، يا أخ إيهاب الصورة من الرسالة، أنا ما عندي وقت أكتب مرة ثانية سبع صفحات، ليست سهلة بترتيب.

قال: والله أنا أعطيتها للشيخ ربيع.

قلت: أنا أعطيك تذكرة على حسابي ترجع بكرة على حسابي بالطائرة تأتيني بالصورة منها، لأن هذه حجة لي، ذهبت الرسالة ودفنت، هذه أخلاق المسلمين، وأخلاق الدعاة».

وانظروا كيف يتباكى على هذه الرسالة في دورته في فرنسا، لأنها وحيدة، وكيف أهمته، وأنه بذل للأخ إيهاب تذكرة بالطائرة، ليذهب إلى المدينة ليأتي بصورة من هذه الرسالة سبع صفحات، لأنها حجة له، ويدعي أنه ما عنده وقت ليكتب هذه الرسالة مرة ثانية، ثم يقول: «ذهبت الرسالة ودفنت».

ثم يطعن فيقول: «هذه أخلاق مسلمين وأخلاق الدعاة».

وله أقوال متضاربة في هذه الأشرطة.

ثم لماذا هذا التباكي على هذه الرسالة، وقد كتبت بدلها أو زيادة على ما فيها

في أربع رسائل؟

أكل هذا من كمال أخلاقك؟

ومنها البهت والتناقض القائم عليه، أليس هذا من البراهين الواضحة على خذلان الله لك ومكره بك؟

والجزاء من جنس العمل.

والله يا عدنان لو كنت تكره الفتنة وتصبر لدفع الفتنة ما دخلت فيها، ولو وقعت فيها لبادرت إلى الخروج منها بدون تلاعب طول هذا الزمان.

ولما تماديت في تمجيد سيد قطب وتزيينه وتزيين منهجه وكتبه خلال الخمس السنوات، التي تدعي أنك صابر فيها، لمصلحة السلفيين ولدفع الفتنة؟

بل أنت أبو الفتنة تركض بها في مشارق الأرض ومغاربها مؤصلًا لها، ولحماية البدع وأهلها.

والدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

ومما يكذب دعاواه في كثرة الرسائل والرسل خلال خمس سنوات ما كتبه في هذا العام، فقد وصلني منه خطاب في تاريخ (٢٣ / محرم / من هذا العام ١٤٢٠ هـ)، خطاب مليء بالكذب، والتبجح الباطل، وكتب تأريخه مقدمًا إياه تزويرًا وتلبيسًا، إذ أرخه بـ (١٤١٨ هـ) هكذا، ليبني عليه دعاواه الكاذبة، لكن جهاز الفاكس سجل تأريخ وصوله الذي ذكرته لكم.

ثم تلاه منه خطاب آخر في ليلة (٢٤/ محرم / ١٤٢٠)، أي بعد الخطاب الأول بليلة واحدة، والفاكس سجل ذلك، يقول فيه:

«أما بعد: فهذه الرسالة الثالثة.

فالأولى والثانية ما أخبرتكم عنها، وبين الثانية والثالثة ليلة واحدة.

لماذا تترك النصيرية والصوفية والقبورية والروافض، وتقدم لهم ما عندك من الخير إن كنت مخلصًا، وتريح السلفيين من فتنتك وتمويهاتك وأصولك الأمور التي لا تورث إلا الشرور والفرقة والقيل والقال؟

أهذا أمر مقصود؟

ولقد قلتَ - في شريط الأخطار الحقيقية التي يتعرض لها المسلمون بعامة وشباب الصحوة بخاصة في (١/ جمادى الأولى / ١٤١٨ هـ) في مدينة دنهاخ هولندا: «حفر فخ باسم الدعوة إلى منهج أهل السنة والجماعة وتجريح العباد والطعن لكلمة زلت أو لعبارة غامضة، وفخ اسمه الحكام».

وأنت تقصد بهذا الكلام أهل السنة حقًّا، لتصديهم لأهل البدع والضلال بالحجج والبراهين والعدل والإنصاف، ونخشى أن تكون من أخطر هذه الفخاخ.

فأنت تجرحهم وتشوههم بالباطل ظلمًا وبغيًا وعدوًا بغير حق.

وتهديدك هذا لا يخيفنا، وإذا كان كل ما تخاصمنا به أباطيل، فما ستأتي به سيكون أشد بطلانًا وشرًّا.

أليس من الخير لك أن تترك هذه الدعاوى الباطلة وتخلص نفسك، وتخلص من أوقعتهم في حبائل كتب سيد قطب ومنهجه؟

قال تعالى في دعاة الباطل: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه إلى يوم القيامة، لا ينقص من أوزارهم شيئًا».

فتخلص مما أوقعت نفسك وأوقعت الناس فيه.

الخامس عشر: قال عدنان: «ثم إني بدي أن الشيخ ربيع يعطيك الرسالة قبل خمس سنوات، سيتبين لك تراجعي منذ خمس سنوات، لماذا يخفيها الشيخ ربيع؟

أنا أطالبه بها، أوصلها إليه الأخ إيهاب نادر وسلمها له، وقال لي: سلمتها للشيخ ربيع، وهو من أكبر أنصاره.

لماذا أخفى الشريط الذي جرى بيني وبينه؟».

أقول: لماذا لا ترحم ربيعًا فتطالبه بإلحاح أن يظهر هذه الرسالة، وعندك ما يغنيك عنها أربع رسائل خمس رسائل مفصلة؟!

والرسالة التي تطالب بها لا ندري أين هي، وليس فيها تفصيل بل فيها مهازل.

ولماذا بخلت بهذه الرسائل المفصلة على من أوقعتهم في حبائل سيد قطب، وهم بأشد الحاجة إليها؟

وأنت لا تقدم لهم في كتبك إلا ضد هذا البيان من مدح وتمجيد لسيد، وتعد أقواله مقرونة بأقوال أئمة التوحيد.

ولماذا يطالبك الناس بالبيان وأنت تَعِدُهم به، ولا تقدم لهم هذه الرسائل المفصلة، بل ولا تخبرهم عنها؟

وإذا كانت قد ضاعت عليك، وهي بهذه المنزلة من الأهمية، فكيف تطالب ربيعًا برسالة واحدة لا قيمة لها عنده؟

وكيف تجمع بين الرسالة تلو الرسالة والرسول تلو الرسول والمكالمات الهاتفية إلى التحكيم، وبين هذه الرسائل المفصلة؟

وهل كنت ترسل هذه الرسائل المفصلة مع رسائل ورسل التحكيم أو كنت تعاقب بينها؟

وإذا كان ربيع قد أخفى الرسالة العظيمة، أفلا تذكرت قول الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»، فكان ينبغي أن تحافظ على رسائلك المهمة فتضعها في براويز، وتنشرها في الناس، فتبرأ بها ذمتك، وتدفع بها عن عرضك، وتكون حجة قاصمة لظهر خصمك؟!!

ولماذا تطالب بالشريط والرسائل تغنيك عنه؟

وعفوًا فهذا الشريط لا لك ولا عليك، وإنما دار فيه نقاش بيني وبين إخوانك القطبيين، وكان نشره يفضحهم، فترجاني الجوابرة ألا أنشره، فأكرمته بعدم نشره.

وطالبتك عقب هذه الجلسة في الشارع بالبيان عن سيد قطب، وأكدت هذا الطلب في منزل الأخ إيهاب، وأنت تعدني بالقيام بذلك، ولا زال أهل الفضل يطالبونك بالبيان إلى يومنا هذا، ولا يرى الناس منك إلا ضده وإلا جملًا مبهمة تميعها وتحفها بدعاوى كاذبة ظالمة، تدل العاقل أنك غير صادق ولا نادم على ما

ارتكبت من خيانة في حق المنهج السلفي، ولا نادم على حربك التي تشنها من سنوات على من يذب عن هذا المنهج، ويقمع أحبابك وسادتك من أهل البدع، ولعلك إلى الآن تدافع عن القواعد الباطلة التي وضعتها لحمايتهم.

أما دعوتك لي إلى التحاكم فمهزلة نسجتَ حولها الأساطير، ولم تتحدث عنها حديث الرجال الصادقين الأمناء.

السادس عشر: قال عدنان: «لماذا يا شيخ يقبل تراجع الشيخ ربيع عما هو أخطر من كلامي وهو قريب، وكلامي بعيد، قوله: «عين منهج الأنبياء»، «يجب عين الحق والصواب»، «سيد قطب سلفي»، «عقيدة صحيحة»؟

أنا لا أقوله، والله ما قلته، ولا أقول.

وأعلم وأنا صغير يوم كان الشيخ ربيع منتسب للإخوان المسلمين أن عقيدة سيد قطب لا في الصفات ولا في كذا ولا في كذا، وفي إنكاره لسحر النبي -عليه الصلاة والسلام-، ومع ذلك يقول: كان يدعو إلى العقيدة الصحيحة.

ألا يجب عليك وعلى أمثالك من الإخوة الذين نحسبهم مخلصين لهذه الدعوة أن يطالبوا ربيعًا بمثل ما يطالبون به عدنان، هل لأن عدنان سكت صار ضعيفًا، ولأن ربيعًا يتكلم صار قويًا؟

أنتم مطالبون أمام الله، وأحملك أنت وإخواننا، وعلى رأسهم محمد عيد عباسي وأخونا الشيخ علي عبد الحميد وأنت والإخوة البارزون في هذه الدعوة أن تطالبوا ربيعًا بمثل ما تطالبونني بهذه أن على ربيع أن يعلن تراجعه عن هذا القول، ستقول: ألف كتب، يقول مثل ما تطالبوني به.

قلت: صحيحة سلفية للأسف الشديد أن يصدر مثل هذا الكلام الذي كان ينبغي أن يثبت».

أقول: قد أجبت عن هذه الدعاوى الباطلة.

وأقول: إن ربيعًا لم يقع فيما يستوجب المطالبة، وأن عدنان هو الذي وقع فيما يستوجب المعاقبة والإهانة، لاستهتاره بالمنهج السلفي وأهله.

والمطالبات الكثيرة لم تجد فيه، وأنه ما زاد إلا عتوًا وبغيًا، وهذا العتو

والبغي إنما هما امتداد للحرب التي بدأها هو من أجل سيد قطب.

وانظر كيف يتباكى من القول الذي افتراه على الشيخ ربيع؟!

كأنه هو الرجل الوحيد الذي يغار وينافح عن العقيدة الصحيحة السلفية، ويذب عن حماها، وهو الذي يصدق عليه المثل: «حاميها حراميها».

سبحان الله سنوات طويلة تحامي عن سيد قطب، وقد قال بالحلول، ووحدة الوجود، والجبر، وعطل الصفات، وقال بخلق القرآن، وإنكار رؤية الله في الدار الآخرة، وطعن في أخبار الآحاد، بل هو يرد المتواترات في أبواب العقيدة، وقال بأزلية الروح، وطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم عثمان.

ورمى بعضهم بالنفاق كأصحاب النبي ﷺ من بني أمية، وكفر الأمة ظلمًا وعدوانًا، وغير ذلك من الضلالات.

فكنت الرجل الأول والأخير في حرب ربيع الذي بيَّن للناس هذه الفواقر، ولا تزال تفتري على ربيع وتخاصمه من أجل هذا البيان، ولا تزال تتأول لسيد قطب، وتلزم ربيعًا بتكفيره، وتطالبه بالإجابة عن لوازم قول سيد قطب، ويطالبك الناس بقولة الحق في سيد قطب، فتماطل وتراوغ في وعودك التي فُقْتَ فيها عرقوبًا، ولم تفعل ما يغسل عنك هذا العار إلى الآن.

ثم تتباكى من قول أفكته على ربيع، وتطلب من الناس أن يطالبوا ربيعًا أن يرجع عن هذا القول الذي افتريته أنت عليه.

فمن يصدِّق من هذا حاله؟

لقد هزلت حتى بدى من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

السابع عشر: قال عدنان: «بقي مسألة أثرتها معي بالأمس، يا أخي الكريم، قلت مرارًا وتكرارًا: أنا لي أسلوب، وهو ذكر كلام الخصم للرد عليه بالاستهزاء دون أن أقول: «يقول الإخوان المسلمون، ويقول التبليغيون، ويقول التحريريون».

هذا ما كنت أتصور في ترصد، أتصور أن الناس يفهمون، وأنا أقول أخطأت في هذا الأسلوب.

متى كان المخطئ في الأسلوب يخرج من السلفية إلا عند أصحاب الأهواء؟

متى كان الخلاف في عين رجل، اختلفت أنا وأنت في شخص، واتفقنا في التأصيل؟

قلت لي: فلان الغزالي تاب قبل موته.

قلتُ لك: ما تاب، لكن نحن متفقان على ما ضل به.

فالخلاف في عين أو جزئية لا تخرج من سلفية، فبأسلوبي أقول: التوحيد قبل كل شيء كلام واضح أوضح من الشمس، ثم أنا أقول: التوحيد قبل كل شيء، بتقول ليه قبل الإعداد قبل التنظيم السياسي قبل، قبل، قبل، لانقبل هذا الكلام.

أنا أجعل المحاورة بيني وبين الآخرين على لسان واحد، وهو السائل، وأنا الآن أقول: التوحيد قبل كل شيء، والمحاضرات الأخرى، ومئات المحاضرات في الدعوة إلى التوحيد، وكتاب السبيل التوحيد أولًا التوحيد، هكذا بالنص، هذا يا شيخ كذلك من الظلم أن يؤتى بالعبارة مبهمة متشابهة، ويترك الكتاب مكتوب: التوحيد أولًا، ثم أذكر أمور مثلًا الآن عندي عبارة من تلك العبارات.

أقول: إن للأخلاق منزلةً في تماسك المسلمين، لم أقل في الدين، ومع ذلك، ومع ذلك أتراجع عن كل عبارة.

أقول: التوحيد قبل كل شيء، وبعد كل شيء، وفوق كل شيء[1]، وتحت كل شيء، أخاف يقولون: فوق الله، وتحت الله.

هكذا نطلق ألفاظًا.

إذن التوحيد دعوتنا نموت ونحيا عليها، غضب الغاضبون، وحسد الحاسدون[2]، وانتقم المنتقمون، ديننا، فليفعل الأحزاب الأخرى وأصحاب... ما يفعلون.

لكن أنا أتكلم في تماسك المسلمين يتماسك المسلمون بالتوحيد

---

(١) أي توحيد سيد قطب.

(٢) ما أظن أن توحيدك يُغضِب أحدًا أو يثير عليك حسدًا.

والأخلاق[1] في التماسك لا أقول في العموم.

ومع ذلك متراجع عن هذه العبارة، أقول: التوحيد في تماسك المسلمين ثم الأخلاق، لكن ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

يقول إن توحيد النبي ﷺ وتوحيد الصحابة إذا لم يضيفوا له الأخلاق... هذا قصدي أخطأت في التعميم.

كذلك أقول: بل هما متلازمان كتلازم الماء والشجر، أنا متراجع عن هذه العبارة، وسأمسحها[2] من السيل، دفعًا للريبة لقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»).

أقول: هذا الكلام وغيره يفيد أن بينه وبين أهل السنة والتوحيد خصومة شديدة، ومن استقراء كلامه ومواقفه هنا وهناك لا يرى خصومة ولا مشاكل بينه وبين الجماعات أو الأحزاب الإسلامية، بل ولا بين أهل البدع عمومًا.

فما سر هذا الخصام، وهذا الوئام أو على الأقل عدم الخصومة؟

هذه أسرار وألغاز من جهة، وأمور واضحة توجب الخصومة بينه وبين أهل التوحيد، لقد مر وقت طويل على عدنان يكفيه لو كان صادقًا في سلفيته، وصادقًا في رغبته في القضاء على الفتنة وأسبابها، فلم يبذل شيئًا من الأسباب الحاسمة للفتنة والقاضية على أسبابها.

بل هو يتمادى ويتمادى في إثارة الفتن وأسبابها فيما بينه وبين السلفيين، وأسباب الوئام بينه وبين خصوم السلفية والسلفيين.

فهو ليِّن الجانب حسن الظن جدًّا بأهل الأهواء حتى العلمانيين يتورع عن اتهامهم وإساءة الظن بهم، ولكنه جريء جدًّا على الطعن في السلفيين وتشويههم وإعلان الحرب عليهم.

يضع القواعد للتصحيح وعدم التجريح لأهل البدع، فلا يجرحهم ولا يصحح لهم، ويجرح أهل السنة، ويحارب تصحيحهم للعقائد والمناهج الفاسدة.

---

(١) من يخالط عدنان يعرف أخلاقه.

(٢) وما مصير أباطيلك الكثيرة في كتبك وأشرطتك؟!!!

ليس سبب الخلاف بينك وبين السلفيين في الأسلوب، وإنما هو في صميم المنهج وفي القواعد الباطلة، في أصل أصيل من الإسلام وهو الولاء والبراء، فأنت توالي أهل البدع ومن يشتم الأنبياء والصحابة و. . . و. . . ، كما ذكرنا ذلك بالتفصيل غير مرة، وتستميت في الذب عنهم ومحاربة من ينتقدهم بحق وبالحجج والبراهين.

فدع التمويه والتلبيس، وليس الخلاف بينك وبين من تحاربهم في جزئية، وإنما هو في أمور جسيمة، وجنايات كبيرة، وتمويهات، وتلبيسات، تجعل أهل العظائم من أهل البدع أئمة يحتج بهم مع الأئمة الكبار في أبواب التوحيد بأنواعه، ويذب عنهم أكثر مما يذب عن أئمة السنة.

بل إن عدنان لينتقص هؤلاء الأئمة، ويحارب أتباعهم، كما سيأتي بيان ذلك.

ثم إن عدنان ليورط نفسه في أمور عظيمة، ثم يلتمس لنفسه مخارج متعنتة يعبر عنها بعبارات مميعة.

كقوله: «خطأ في التعميم، حماس هذا قلته في شبابي، حماس الشباب»، مع لعن من يخاصمه في هذه القضايا الجسيمة، وتكليه ويشبهه باليهود، وإظهاره في أسوأ من صور أهل البدع، وأسوأ من النصارى، وإظهار نفسه في القمة من التوحيد والأخلاق والحماس للعقيدة.

لكني أقول: لا تعرف الدعوة السلفية خصمًا افتتنت به في غربتها وتكالب أعدائها عليها وعلى أهلها مثل عدنان وأعوانه الذين يشابهونه في الأساليب والكيد والدس مع التظاهر بالسلفية، والغيرة عليها، ويزداد العبء ويثقل جدًا أن يجد هذا الصنف أنصارًا وأعوانًا ومتعاطفين من أناس لا يتهمون في دينهم، ولا في عقيدتهم، ولكن يصدق عليهم قول الله تعالى في الأبرياء، وحسني النيّة، ولكنهم يخدعون بهذه الأصناف الكائدة الماكرة، قول الله ﷻ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾، لكن هؤلاء المخدوعون من المؤمنين حين نزول هذه الآيات وما شاكلها من آيات سورة براءة، استيقظوا لدس ومكائد خصوم دينهم ودعوتهم، ووضعوا حدًّا لهذا الانخداع والسماع.

ونرجو من كل سلفي مخلص انخدع بهذا الإنسان الكائد الماكر، أرجو منهم أن يضعوا حدًّا لهذا الانخداع والسماع، كما فعل أسلافهم.

وبهذا الموقف الحازم تنتهي المشاكل والفتن التي أثارها ولا يزال يثيرها هذا الفتان الماكر، فإن لم يفعلوا بعد هذه البيانات المتتالية عن حال هذا الرجل ومكائده، وفساد منهجه، وتقصده الحرب للسلفيين، والطعن في السلفيين، والتشويه للسلفيين، مع تلميع أهل البدع والتفاني في الذب عنهم، ووضع القواعد والأصول لهذا الذب، والدفاع عنهم إلى آخر طوام هذا الرجل، فلتقل على السلفية السلام، وليتحملوا مسئولية كل ما يترتب على موقفهم هذا أمام الله ﷻ، وأمام الأجيال والتاريخ كما يقال.

وأسأل الله الكريم ألا يخيِّب آمال السلفيين الغيورين المواجهين لهذه الأصناف الماكرة.

وأقول لهم: انظروا بعين البصيرة واليقظة والانتباه، كيف يواجه هذا الرجل فظائعه بالاستصغار والاستخفاف، حتى كأنها ذباب يمر على أنفه، فيقول بيده هكذا، ويحوّل ما يظهر منها - وكم وكم يخفي من فظائعه وطوامه - إلى زلة لسان، أو سبق قلم، أو غفلة إنسان، أو أنه قصد أمرًا خاصًّا فعمم، أو تحامل حاسد، أو إلزام غير لازم، ثم يلعن نفسه ويلعن من كذبه، أو حماس شباب، أو فعل هذا من قديم.

هذه هي أعذاره عما اقترفه ومارسه حربًا على من يذب عن الحق، وعن منهج السلف، وعما يفتريه لسيد قطب من مدح وتمجيد له، وتعظيم لكتبه، واعتبارها من كتب عقائد التوحيد، ومن مناهج أهل التوحيد، وذمه لمن يخاصمه من أهل الحق الذابين عن السنة، وافتعاله له التهم الكاذبة، وتضخيمها والتهويل بها، والتباكي منها، كما مر بكم في هذا البحث.

وتشويه السلفيين عموما، وإهانتهم وإشمات الأعداء بهم، كما عرف ذلك من قرأ الخلاصة عن أعماله القبيحة، وكل أعماله هذه المخزية مخرجة من السنة عند أهل السنة حقًّا.

وبعد فأقول لعدنان: من قال إننا متفقون في الأصول، وقد انفردت بأصول فاسدة لحماية البدع وأهلها؟

تضخم هذه الأصول وتدعي أن الأمة ضلت بفقدانها، فنحن لا نؤمن بهذه الأصول والأمة من قرون لا تعرفها بما فيها أهل الحديث الطائفة المنصورة.

فنحن الآن وهم من قبلنا وشيوخ السلفيين المعاصرين بما فيهم الألباني وابن باز ضالون بفقدان هذه الأصول، لأنهم لم يعرفوها ولا حاولوا إخراج الناس من الضلال بهذه الأصول، إن كانوا فهموها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لكنهم كتموها.

أليست هذه الدعاوى تفوق دعاوى الجهمية والمعتزلة والصوفية وغيرهم من أهل البدع.

وقولك يا عدنان: «إن السلفية ليست حكرًا على أحد يدخل ويخرج منها» أو كما قلت.

ثم قولك: «إن السلفية أمر نسبي ٩٠٪، ٧٠٪، ٦٠٪، ٥٠٪، ١٥٪، ١٪».

كيف تعرف هذه النسب وكلها أو جلها أمور غيبية لا يعلمها إلا الله.

فمَن مِن الفرق كلها على ضلالها أفرادًا وجماعات لا يكون سلفيًا على تأصيل عدنان؟

ومن هنا يرى عدنان أن الخلافات بين الجماعات الإسلامية ليست في العقيدة ولا في المنهج، ولو رأينا ذلك لأخرجناهم من الإسلام.

ومن عجائب عدنان أنه يرى أن فرق الضلال كلها من الطائفة المنصورة.

فقد سئل: «هل الطائفة المنصورة هي جماعة بعينها أو أفراد ملتزمون بمواصفات الجماعة في أوساط الناس والجماعات؟ وهل أنا محاسب على اتباع الجماعة أم الالتزام بشرع الله؟ وهل إذا كنت فعلًا مع جماعة تنطبق عليها الجماعة المنصورة سيكون ذلك شفيعًا لي عند الله؟».

فأجاب: «هذا سؤال من أهم الأسئلة ووددت لو أني خرجت منه، لقاعدتي أو

للقاعدة التي قلناها: «إذا حاكمت حوكمت وإذا دعوت أجرت»، الأصل في هذه الطائفة أن تكون جماعة متجمعة، والواجب على المسلمين جميعًا أن يكونوا معها، بل لا أقول: أن يكونوا معها، لأنهم منها، لا أقول معها، وأنا أراجع كلامي، لا أقول: يجب أن يكونوا مع الطائفة المنصورة، لأنهم ولدوا فيها، أقول: لا تخرجوا منها»[1].

فهو يجاري أهل البدع الغليظة الذين لا يرفعون رأسا بحديث: (افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة).

أيا عدنان حتى الجهمية والروافض والخوارج وصوفية القبور والحلول ووحدة الوجود من الطائفة المنصورة؟!!

فترى أن عدنان قد احتكر السلفية والطائفة المنصورة لنفسه ولكل الفرق، فلا يخرج منها أحد.

فإرجاع أباطيلك وترهاتك وطعونك في السلفيين وهجماتك إلى الأسلوب تمويه كبير ومغالطات لا يجيدها سواك.

ووالله إن أحمد بن حنبل وإخوانه ليخرجون من السنة إلى البدعة بل إلى الزندقة من يفعل أو يقول بعض أقوالك وأفعالك.

لقد روى الحاكم وغيره بالإسناد الصحيح «أنه بلغ أحمد أن ابن أبي قتيلة يقول: إن أهل الحديث قوم سوء.

فقال: زنديق، زنديق، زنديق».

فعلى منهجك يكون هذا من ابن أبي قتيلة خطأ في الأسلوب، حماس، زلة لسان، ويكون أحمد بن حنبل من أهل الأهواء.

واعجبًا لك على كل أفاعيلك هذه لا تزال تتشبث بالسلفية، ثم تخرج غيرك منها:

---

(١) شريط الطائفة المنصورة (رقم ٢).

- تارة تقول فيهم: «حفر فخ باسم الدعوة... الدعوة إلى منهج أهل السنة والجماعة وتجريح العباد والطعن بالعباد لكلمة زلت أو لعبارة غامضة، وفخ اسمه الحكام»، والحكام عندك طواغيت أي كفار، فقدمت عليهم من هم شر منهم في نظرك، والحافر هذه الحفرة وتلك هم أعداء الإسلام.

- وتارة تصفهم إذا انتقدوك بحق بـ«أهل أهواء».

فهل أهل الأهواء سلفيون عندك؟

الجواب: لا، لأنك حتى مَنْ عنده ١٥ ٪، أو ١ ٪، لم تطلق عليهم أهل الأهواء!!!

وأخطاؤك في الحديث عن الأخلاق واضحة جدًّا، وعلاجها الصحيح الاعتراف الواضح بالخطأ الفادح فيها.

لا بهذا الأسلوب المستهتر المتعالي!!!!

وقد بينت ذلك في شريط «الردع المنصور».

الثامن عشر: قال عدنان: «لكن هنا عبارة، وأعلم أن حسن الخلق آية على صدق دينك، وعلامة على حسن نيتك، لا يفسده خلاف، ولا يبطله نزاع، فإن تنازعت أنا وأنت ليس بالضرورة أن يسوء خلقي ويسوء خلقك».

ثم قال: «ما أدري فيه عليها ملاحظة؟».

فكلمه شخص بكلام لم نستطع أن نسمعه لشدة خفائه، لكن سمعت منه ذكر الشيخ ربيع، ثم ذكر شيخ الإسلام، ثم ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب.

فقال عدنان: «هذا كذب».

والظاهر أنه يقصد تعليقي عليه في شريط «الردع المنصور»، إذ بينت فيه الخطأ الفادح في هذا الكلام، وما يترتب عليه من المفاسد.

فقال عدنان: «هذا كذب، هذا من باب حكاية قول الخصم، كقولي: السلفية بدعة، قولي عن بعض السلفيين أحيانا، أذكر بعض العيوب، هو حكاية قول الخصم، الواجب على المسلم أن يتثبت، نعم أذكر أحيانا أنني من باب الحث

للسلفيين أقول: فيهم كسل، فيهم كذا، أذكر عيوب أحمد بن حنبل على رأي المعتزلة: بدوي التفكير، مثل ما قالوا في الشيخ ابن باز، يقولون: بدوي التفكير مفتي النبراء[1]، فنحن نعلم هذا، فأنا أقول قول الخصم، فالإخوة إما أنهم لا يفهمون، أو أن فيهم خبث، فإن كانوا لا يفهمون يستفسرون، يا أخي الكريم.

أنت ماذا تقول مثل ما يقال في الشيخ محمد بن عبد الوهاب: إنه كذا وكذا، فأنا أنقل قول الخصم، ثم بعد ذلك أكر عليه، فلماذا ينسون الكرَّ؟

تجد الأشرطة جدًّا في مثل هذا الإمام الذي كتب الله لنا الهداية على يده وعلى يد كتبه ويد كتب شيخ الإسلام نحن في الشام، فالله ﷻ كتب لنا الهداية على يد الشيخ ناصر وكتب الشيخ محمد وصلتنا سرية، ممنوعة كتب شيخ الإسلام، وتربينا عليها، لكن هؤلاء الإخوة كان لو كانوا أتقياء ويريدون الإنصاف كتبوا لنا ماذا تقول في كذا، وماذا تقول في كذا».

أقول كلامه عن حسن الخلق واستدلاله به على صدق دين صاحبه وحسن نيته، قد بينت فساده وبطلانه في شريط «الردع المنصور».

وانظر إليه إلى الآن يستفهم، وما يدري أنه عليه فيه ملاحظة!!!

ولا أدري ماذا يقصد بهذا التكذيب أهو لي حيث بينت ما فيه من الباطل، فإن كان الكلام قبل هذا التكذيب غير واضح؟

فإن كان يقصدني ويقصد كلامي بهذا التكذيب، فهذا عجز عن مقارعة الحجة بالحجة، وإن كان التكذيب يتعلق بأمر آخر فما هكذا الأخلاق الحسنة، ولاسيما والكلام يتعلق بالأخلاق الحسنة، التي لا ينكر منزلتها مسلم ولا كافر، وإنما المنكر هو الغلو فيها إلى درجة أنها بمنزلة التوحيد عند عدنان.

وأما قوله: «هذا من باب حكاية قول الخصم كقولي: السلفية بدعة».

فلخفاء الكلام لا أدري ماذا يقصد به أحديثه عن الأخلاق أم يريد شيئًا آخر؟

وأما قوله عن السلفية: «إنها بدعة» وهو من باب حكاية قول الخصم.

---

(١) وأنت ممن يشوه الإمام أحمد وابن عبد الوهاب وابن باز، وتشوه أتباعهم على السنة.

فلا يظهر هذا من كلامه، بل يظهر أنه يستنكر هذه التسمية، ثم هو كثيرًا ما يخاطب أعاجم وعوام وصغار الطلبة في أوربا وأمريكا، فلماذا تستخدم هذا الأسلوب المزعوم؟

وكم قد لامه الناس على هذا الأسلوب الذي يدعيه؟

وكم أوقع الناس في حيرة؟

والغالب - والله أعلم - أنه يقصد بكلامه ما يفهمه الناس منه، ثم يتستر بمثل هذا التأويل، ويجعل منه جنَّة يستر بها عورته، التي طالما انكشفت لذوي الحجا.

وأما شتمه للسلفيين وإساءته إليهم فكثير مكشوف لا غبار عليه، ولذا إذا أتى بمثل هذه المعاذير الباطلة لا يقبلها منه العقلاء، وكان الواجب عليه الابتعاد عن هذا الطعن، وإذا أوقعه هواه، وحقده على السلفيين، فالطريق السليم أن يعتذر الاعتذار الواضح الشافي، وهنا يقال: «والعذر عند كرام القوم مقبول».

أما أن يسلك هذه الطرق الملتوية في أعذاره، فإن ذلك لا يزيده عند الناس إلا مقتًا.

ثم إذا كان هذا حاله فلا يجوز له أن يرميهم بالخبث أو عدم الفهم، وعليه أن يحاسب نفسه، وأن يتهمها بالشر، وسوء الفعال والمقال، وسوء المقصد والحال.

التاسع عشر: قال عدنان: «وأما حثي على كتب سيد، نعم هو وقع مني خطأ مثل ما وقع من ربيع، مثل ما وقع من علي حسن، مثل ما وقع من سليم الهلالي».

سبحان الله أنت من أشد الناس دعوة إلى كتب سيد قطب وغلوًا فيها، ومن ذكرتَ - وخاصة ربيع - من أشد الناس تحذيرًا من كتب سيد قطب ومقتًا لها وتنفيرًا منها وبيان ما فيها من ضلالات.

فلست أنت وهؤلاء سواء، فهذه المساواة من أعظم الظلم، ومن أعظم المغالطات والتلاعب بالعقول.

فربيع قد رد على سيد قطب في أربعة كتب، وأنت لم ترد على سيد قطب في سطر واحد إلا في هذه الأيام من باب: «مكره أخاك لا بطل»، بل تمدحه وتمدح

كتبه، وتدافع عنه كأشد ما يكون الدفاع بالباطل، وتحارب عنه سنين طوالاً، وغيرك ينتقده، ويحذر من كتبه، وأنت تدعو إلى كتبه ومنهجه، فالفرق بينك وبين ربيع كالفرق بين الثرى والثريا، والبون بينك وبين باقي من ذكرت شاسع، فلا مماثلة ولا مشابهة بينك وبينهم من قريب ولا من بعيد.

* طعونه في السلفيين وأئمتهم ومنهجهم:

وهنا لابد من أن نسوق بعض طعونه في السلفيين وأئمتهم طعونًا واضحةً بعيدةً كل البعد عما يدعيه من أن كلامه المبهم إنما هو من باب حكاية قول الخصم ثم يكر عليه بالرد.

١- قال عدنان في شريط بعنوان «أنواع الخلاف» (٢٩/ ربيع الثاني/ ١٤١٨هـ - أمستردام / هولندا):

«هل هناك أعظم من فتوى التكفير؟ هل يوجد أعظم من فتوى التكفير؟

لا يوجد، ومع ذلك لا نلوم الإمام أحمد في تكفير تارك الصلاة، لماذا؟

لأن المسلمين صاروا ٩٠٪، منهم على مذهب أحمد كفار[1].

فلماذا يلام سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ إذا صدر منه بعض العبارات العامّة، ونقول: هذا يكفر المجتمعات - مع التفصيل ولا أريد الخوض في هذا الموضوع كمثال - ولا يلام الإمام أحمد وقد حكم على هذه الشعوب كلها بالكفر، وبالتالي فإن مصر وسوريا والشام وباكستان كلهم شعوب غير مسلمة وصارت المجتمعات مجتمعات دار حرب كلهم كفار إلا المصلين[2]؟

كم نسبة المصلين في ألبانيا؟

والله ما تجد ١٠٪، ٢٠٪ في بعض البلدان، خاصة المدن الكبيرة التي يُحارب فيها الله ورسوله جهارًا نهارًا، لا لوم.

لاحظوا كفَّر الآن ٨٠٪ من المسلمين، يعني كم مليون؟!!

(١) الرجل يدعو الناس إلى توجيه اللوم إلى الإمام أحمد مع تبرئة ساحة سيد قطب من وصمه بالتكفير.

(٢) كل هذا تأكيد لصب اللوم على الإمام أحمد.

الصين نسبة المصلين فيها إما ٣٪ أو ٤٪، نسبة المصلين في ألبانيا أظنّ يا إخوان أظنّ في تيرانا ٥٠٠، وبقية المدن ٥٠٠، يعني ألف، ألفين، ثلاثة آلاف، من كل بلد، يعني أظنّ واحد من كل عشرة آلاف مصلي، إذن هذا مجتمع كافر كله، ومع ذلك نقول: يجوز التخطئة ويحرم الطعن».

أقول: يريد عدنان بهذا الأسلوب الماكر دفع تهمة التكفير عن سيد قطب، وإلصاقها بالإمام أحمد، وتوجيه اللوم إليه، والواقع أن سيد قطب يكفر المجتمعات الإسلامية كلها ظلمًا وعدوانًا، وعلى رأسهم الموحدون المصلون.

وأحمد وجمهور الصحابة وأهل الحديث إنما يكفرون من يترك الصلاة من أفراد المسلمين، لا يكفرون المجتمعات مثل سيد قطب، الذي يدافع عنه عدنان، ويمدحه ويلوث هذا الإمام ويصوّره بهذه الصورة الظالمة الشوهاء من أجل سيد قطب، الذي غلا فيه وسلك السبل الواضحة الباطلة في الذب عنه وسلك السبل الملتوية، ومنها هذا الأسلوب الماكر.

وكل أهل السنة يعلمون منهج الإمام أحمد، وأنه من أشد الأئمة تمسكًا بالسنة، وأنه يحارب الخوارج المكفرين الذين هم أسلاف سيد قطب، بل زاد عليهم في الغلو في التكفير.

٢- وقال عدنان عرعور في شريط «الطائفة المنصورة (٤٢)»، بعد كلام على الطائفة المنصورة:

«هل لك بعد هذا الإسهاب والاستفصال أن تعطينا صفات لهذه الطائفة؟

قد ذكرت الأصول والمفاهيم والقواعد والأسس وما ذكرناها وعرضنا عنها لضيق الوقت، هل لك أن تذكر لنا صفات نستطيع أن نتميز بها؟.

ثمة صفات كثيرة، ربما لا يسعني الوقت إلى أن أذكر واحدة بس، أول صفة من هذه الطائفة تعلمها هي على الحق أم لا أن لها صفة الاستمرارية.

ماذا أعني بالاستمرارية؟

أعني بالإنجليزي ولا أجيده (كونتي نوس)، يعني: أن تستمر هذه الدعوة بعقيدتها ومنهاجها من يوم ولادتها إلى يوم وفاتها ولا تنقطع أبدًا، فالجماعات إما

أن تكون جماعة مبتورة، وإما أن تكون جماعة مقطوعة»[1]

«أما الطائفة التي استمرت بعقيدتها ومناهجها من يوم ولادتها إلى يوم وفاتها فهي الطائفة المنصورة، تستمر برجالها، بمقوماتها، بأسسها، بمفاهيمها، مات أبو بكر ﷺ جاء عمر، مات عمر، جاء علي، جاء عثمان، جاء عبدالله، جاء أبو حنيفة، جاء الشافعي، جاء مالك، جاء أحمد جاء . . . ، جاء . . . ، هذه السلسلة الذهبية.[2]

من هنا ننصح إخواننا ألا يقولوا: دعوتنا أسست منذ عشر سنوات منذ خمسين سنة، منذ مائة سنة، هذا ليس في صالحهم»[3].

«إنَّ بعض الناس، قرأت في بعض كتب المفكرين يقولون: إن لدينا التراث الكامل فالرجل الفلاني ووالله أحبه ولا أريد أذكر اسمه، إن لديه من العلم والفكر ما نستطيع أن نستغني به عن غيره، إيه كنّا في المذهبية ما انتهينا منها حتى جئنا في الانتمائية، كيف خرج هذا الكلام من فم هذا الرجل؟.[4]

يقول: عندنا رجل أسس الدعوة من عشرين، سبعين، خمسين سنة.

ثم الأجمل من هذا أن بعض الجماعات تحتفل بميلادها وهو دليل على عدم استمراريتها فهو من فيك أدينك[5] بحيث أنك تقول: جماعتك من خمسين سنة

---

(١) يكثر عدنان من التهويل في محاضراته بالتأصيل والقواعد والأسس وقد تبين للناس جهله وضلاله في هذا التأصيل.

(٢) كأنه يفهم ويُفهّم الناس أن الطائفة أفراد متتاليون على هذا المنوال الذي صوره، وله تخبطات يشذ بها على أهل العلم والسنة.

فهل كان أبو بكر في زمانه هو الطائفة المنصورة، فلما ذهب جاء بعده عمر وكان وحده، في زمانه هو الطائفة المنصورة إلى آخر من ذكر على تشويش في ترتيبه.

(٣) لا ندري من هم إخوانه الذين يوجه إليهم هذه النصيحة، فإذا كانوا من فرق الضلال وأخذوا بنصيحته، فهل سيكونون بذلك من الطائفة المنصورة ولا يستبعد هذا من عدنان، فقد رأيت له كلامًا مفاده: أن الأمة كلها من الطائفة المنصورة.

(٤) لا ندري من هو هذا الرجل الذي يحبه وهذا حاله.

(٥) فقد فهم بعض الأذكياء الذين يعرفون رمزية عدنان أنه يريد بهذه الجماعة الجماعة السلفية، وأنه يشير إلى أسبوع الإمام محمد بن عبد الوهاب ولا يستبعد ولاسيما عدنان يتعاطف مع الجماعات التي تردد مثل هذا الهراء والتشويه.

وقبل خمسين سنة كانت أمة الإسلام ليس فيها أحد.

ماذا تفعل بحديث الرسول ﷺ وهو دليل الاستمرارية، يقول -عليه الصلاة والسلام-: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة»، على اختلاف الروايات، إذن صفة الاستمرارية فأنت تنظر إلى الجماعة من متى أنشأتم، قال: أنشأنا من يوم أبي بكر وعمر، وإيش منزلة عمر عندكم؟ مجدد.

وما منزلة محمد بن عبد الوهاب؟ مؤسس؟. لا، خذها، أنت ودعوتك ودعوة كل أهل نجد ارميها برّى، ما نريدها إذا كان مؤسس.

لا، هو عالم جليل، شوف كتابه التوحيد ما فيه شيء قاله، يقول: قال الله، قال رسول الله، إيه تقبل هذا!! قال عمر، قال علي، إذن هذه دعوة صحيحة.

معليش، قال أنتم ماذا قال: لا نحن ملتزمين بكتب فلان ولا نخرج عنها، إيه بارك الله لكم في كتبكم، تولّه ما تولى، فهذه قاعدة استمرارية، تحتاج إلى شرح كثير، لكن انتهى الوقت فعلًا».

التعليق:

١- أنت تتحدث عن الطائفة المنصورة وصفاتها، فلماذا لم تذكر أن الإمام محمدًا من أعلام وأئمة هذه الطائفة، وأن دعوته هي دعوتهم، وأنه وأتباعه حلقات من هذه السلسلة، وأنهم امتداد صحيح لهذه الطائفة وما هم عليه من عقيدة ومنهج وعمل ودعوة، كل ذلك يؤكد استمرارية هذه الطائفة، فلو كنتَ ممن يعترف بهذا ويعتقده لصرحتَ به، ولكن وراء الأكمة ما وراءها.

٢- وصفتَ الخليفة الراشد عمر بأنه مجدد، وهو فوق هذه المنزلة؛ إذ هو خليفة راشد خلافته خلافة نبوة، ولم يكن الإسلام قد درس في عهد الخليفة الراشد أبي بكر حتى يقال: إنّ عمر جدد دينًا قد درس، ثم إن الحديث في التجديد ينص على أنه يبعث الله على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها، وعمر كان مجيئه قبل المائة الأولى بثمانية وثمانين عامًا.

٣- عند ذكر الإمام محمد ذكرتَ التأسيس ولم تذكر التجديد ولا صفات

الطائفة المنصورة فلماذا تستخدم مثل هذا الأسلوب؟!، فهل هو ادَّعى أنه مؤسس؟!، وهل ادَّعى أحد من أنصاره أنَّه مؤسس؟!، وعندما نفيت عنه التأسيس فما الذي منعك من وصفه بالتجديد؟!، لا في جانب واحد بل جوانب الإسلام كلها، ما الذي منعك من هذا إن كنت تعتقده؟!.

٤- افرض أن بعض النَّاس قال عن الإمام محمد: إنه مؤسس، فمن حقك أن تردَّ قوله، ثم تقول في الإمام محمد ما هو جدير به من أنه مجدد فعلًا، أليس في تهرّبك ما يدل دلالة واضحة أنك لا تعتقد فيه أنه مجدد ولا أنه من الطائفة المنصورة فضلًا عن أن يكون من أئمتها.

٥- ما هذا الأسلوب القبيح الذي استخدمتَه، تدعي على لسان غيرك أنه قال: إنه مؤسس، ثم تجعل من ذلك مسوغًا لأن ترمي دعوته ودعوة أهل نجد برّى هكذا بهذا الأسلوب الموحي بعدم احترام هذا الرجل.

فالذي يحترم هذا الإمام لا يقول مثل هذا فيه وفي دعوته، بل يردّ الخطأ إن كان قد حصل وينصف هذا الإمام ودعوته ويضعها في موضعها، لاسيما والحديث في استمرارية الطائفة المنصورة.

٦- إذا كان هناك مجال للطعن فمن المعقول أن تذكر إمامًا من أئمة الضلال تنفي عنه التأسيس وتبعده عن الطائفة المنصورة وترميه وترمي دعوته الضالة ودعوة أتباعه برّى على حد تعبيرك، فتكون قد وضعت الأمور في نصابها فلا يسع المنصف إلا الثناء عليك وتأييدك.

أما أن تسلك هذه الطرق الماكرة الملتويَّة للنيل من هذا الإمام والحطّ منه ومن دعوته، فلن تجد والله إلا سهام الحق مشرعة في نحرك.

٧- ثم من باب «يعض ثم ينفخ» جاء بهذا الكلام الذي لا يقال في إمام مجدد، ويصلح لأن يقال لمدرس عادي في مدرسة أو مسجد، فهل الإمام محمد رَحِمَهُ اللَّهُ مجرد ناقل للنصوص بلا فقه ولا تجديد ولا جهاد بكل أنواعه؟.

وهل هو لم يؤلف إلا كتاب التوحيد فقط، فأين مؤلفاته العظيمة الدالة على تجديده، ثم ألم يملأ هذا الكتاب العظيم بالاستنباطات العقدية والفقهية

والمنهجية الدالة على عبقريته ونبوغه وأنه من كبار المجددين، وإمام عظيم من أئمة الطائفة المنصورة، ولو كنت تعتقد هذا لكان هذا مجاله وميدانه.

٣- قال عدنان في شريط «كلمات في المنهج» - الوجه الأول:

«الخلاصة في هذه القضية أن الطائفة المنصورة هي الفصل بين المسلمين، وهي التي أكد عليها رسول الله ﷺ، وهي التي يجب أن نفكر فيها ليلًا ونهارًا في صفاتها، يا جماعة الخير، دعونا من درس، دعونا من محاضرة، إيه إذا متنا وحضرنا بين يدي الله ﷻ، مين قال: إن الوهابية هي الفرقة الناجية، عندهم دليل من الكتاب والسنة أن الوهابية هي الفرقة الناجية، يعني لأنه من نجد، ولأنه ولد في نجد، ولقن في البرنامج المدرسي، أنه يصبح وهابي، صار وهابي، معنى ذلك: كما لقنت أنت في نجد، كمان لقنا نحن في الشام تمامًا المسألة سواء، وكمان لقن الهندي، ولقن. . . ، فليس علماؤك بأفضل من علمائنا كلهم سواء، إلا من اهتدى إلى الصراط المستقيم.

فإذن حتى نتخلص من هذه الأمور، دعونا من وهابية، ومن سلفية، ومن حزبية، إلى غير ذلك، ولنعتصم بما اعتصم به سلفنا الصالح.

بعبارة أخرى يا جماعة الخير ألا تعتقدون أن الشيعي الذي قاتل، وأن الشيعي الذي يفعل، هو عند ما يموت يظن نفسه على خير، إي لا ريب في هذا ولا شك، بل شهد الرسول ﷺ بالإخلاص للخوارج - والله - بعد أن رأيت هذا الأمر، ورأيت أن الخوارج شهد لهم رسول الله ﷺ بهذا الأمر، أنا ما عاد بفكر لا وهابي، ولا بسلفية، عاد أفكر أستطيع أقف أمام الله، وأقول: هذه حجتي، لكن لا أستطيع أن أقول: يا رب شيخي في بلدي، هو الذي قال لي كذا وكذا، فيقول لي: روح أنت وشيخك، وخلي شيخك هو ينجيك من النار.

إن ولادتك في نجد ليست دليلًا شرعيًا أنك من الطائفة المنصورة».

أقول: فأين ما يدعيه عدنان أن كلامه على السلفيين إنما هو من باب حكاية كلام الخصم ثم يكر بالرد عليه؟

فهو يركز على الوهابية ويتخلص منها بأسلوبه الماكر، ويقرنها هي والسلفية

بالحزبية والشيعة أي الروافض والخوارج، ويدعي كذبًا أن رسول الله ﷺ شهد للخوارج بالإخلاص، وأن الشيعي عندما يموت يظن نفسه على خير.

فما الذي يدريه بحال هذا الرافضي عند موته، خاصة إذا كان هذا الرافضي ممن يكفر أصحاب رسول الله ﷺ، ويلعنهم، ويطعن في زوجات الرسول ﷺ، ويرى أن القرآن قد حرف، فزيد فيه ونقص، ويؤله أهل البيت، ما يدريه أن هذا في هذه الحال يكشف له ضلاله، وأنه يرى مقعده من النار؟!!!

كلامه كله باطل في باطل وخاصة تخلصه من الوهابية والسلفية، وحماسه ضدهما بهذا الأسلوب.

أليست الوهابية كما تصفها هي السلفية، وهي التي تربي الناس على الحجة والبرهان، وتحارب أهل البدع والضلال، الذين من أعظم حججهم التعصب الأعمى لشيوخهم.

لماذا هذا التحامل والتعالي بالباطل؟

أهي دعوة جديدة إلى بدعة جديدة تقوم على أصول باطلة، تسمي نفسها كذبًا بالطائفة المنصورة، ومن أهم أهدافها: محاربة الطائفة المنصورة حقًا - وعلى رأسهم من تسميهم بالوهابية.

الطائفة المنصورة هم أهل الحديث كما شهد لهم الواقع، وشهد لهم أئمة الهدى على امتداد التاريخ، لا العدنانية القائمة على الدجل والتأصيل الباطل، وحرب أهل الحق، والذب عن أهل البدع والدعوة إلى منهجهم الضال.

ومع هذه الأفاعيل الشنيعة تراه كثيرًا ما يتعلق هذا الرجل بالسلفية ويلهج بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح، ولاسيما أمام السلفيين ليتمكن من خداعهم.

٤- وفي شريط بعنوان: «الدعوة السلفية أمام التحديات» (رقم ٢) سئل عدنان عرعور هذا السؤال: «من التحديات وجود جماعات معاصرة، ما هو رأي السلفيين تجاه هذه الجماعات؟».

فقال: «واجب السلفيين المقصرين، والله الذي لا رب سواه أكثر الجماعات تقصيرًا هم السلفيين، شئتم أم أبيتم، لكن أنا خائف أخرج من ها المولد

بلا حمص، يعني لا مع السلفيين، ولا مع غيرهم، إيه أقول: الواجب على هذه الجماعات الجماعة السلفية تبلغ ما هي السلفية لا تفهم السلفية كما هو مفهوم الآن، هذا هو الواجب السلفية هي الوحيدة، أقول: السلفية، ولا أقول: السلفيين -بارك الله فيكم-، السلفية هي المبدأ، الصراط، السبيل الوحيد الذي يمكن أن يدخل كافة الجماعات فيهم، لكن نعكس ندخل أحمد بن حنبل مع محمد بن عبد الوهاب ثقيلة شوي، يعني جيب أحمد بن حنبل وابن تيمية وأبو حنيفة، هلول كلهم ندخلهم مع واحد ولد بعدين اسمه محمد بن عبد الوهاب، ندخلهم بالوهابية، والله غرابة، مسألة لا تعقل، تدخل الأئمة الأربعة كلهم في واحد ولد في آخر القرن أو من ثلاثة قرون، أو من أربعين خمسين ستين سنة، تبغي تحصر كل ها الأئمة وتقطع أولها وتوصله بهذا الرجل، أعتقد لا يمكن، لكن العكس يمكن، إن هذه الجماعات التي نشأت يمكن أن تسلك سبيل السلف الصالح وانتهت المسألة».

أقول: طعن هذا التائه على حملة الدعوة السلفية ويسهل إساءته على أئمتهم، ولاسيما شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - كما يرى القارئ-.

ثم من قال إن الأئمة المذكورين تابعون للإمام محمد اللهم إلا على مذهب من يقول من أعداء دعوة التوحيد: إن ابن تيمية وهابي.

ولا ندري ما هي أهداف عدنان من حملاته على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؟

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾، وساء ما يكتمون ويظهرون من الباطل.

٥- جاء في شريط «الطائفة المنصورة» (رقم ١) وفيه:

موقفه من منهج الموازنات وطعنه في السلفيين، أي ظلمهم بذكر السلبيات وعدم ذكر الإيجابيات على منهجه ومنهج الموازنات.

السؤال: «قد ذكرتم حسنات الدعوة، ولم تذكروا سلبياتها، ومن العدل ذكر الحسنات والسيئات[1]».

فأجاب عدنان:

---

(١) وهذا من الأدلة على أنه يؤمن بمنهج الموازنات.

«إن فُهم من كلامي أن هذه الطائفة المنصورة إحدى الطوائف، فقد أخطأ اليوم المتكلم المحاضر خطأً فادحًا، ولم يستطع أن يوصل المطلوب أو المقصود.

ليست الطائفة المنصورة إحدى هذه الطوائف بحال من الأحوال، هي الأم والآخرون هم الذين انفصلوا عنها، أتريد أن أقول سلبيات الصحابة، أترى أن أقول سلبيات الدعوة السلفية؟

يجب أن نفرق بين رجال الدعوة، والدعوة نفسها، لابد أن نفرق.

أما سلبيات السلفيين فلا يعدّها إلا الله:

- أول سلبية تقصيرهم في الدعوة إلى الله ﷻ.

أما الدعوة التي كان أصحاب[1] رسول الله ﷺ فمن الذي يجرأ أن يقول: إن في الدعوة نفسها هناك سلبيات.

أتريد أن تقول: سلبيات أبي بكر وعمر، وسلبيات عقيدتهم؟

لا يا عبد الله لكن اختلط الأمر بين سلبيات الدعاة القائمين على هذه الدعوة الكسالى، الذين لا يؤدون حق هذه الدعوة دعوة الطائفة المنصورة لينشلوا الناس من تلك الطوائف.

نعم سلبيات أختصرها بثلاثة:

١- عدم فهم الدعاة هذه الدعوة حتى السلفيون الذين يقومون بهذا، لا يفهمون حقيقة هذه الدعوة.

٢- تقصير شديد في الدعوة.

٣- هذه تعجب شيختنا، ودائمًا يندندن عليها بالحكمة، شيخنا أبو بكر، سوء في العرض سوء منكر، لا تعرض الدعوة حتى عرضها لا يبدأ بالتربية بالقلوب».

أهذا تشويه أم مدح؟!!

---

(١) انظر إلى الرجل فهو لا يعترف بأهل الحديث، لاسيما عند ذكر الطائفة المنصورة، ويربط الطائفة المنصورة بالصحابة فقط، فهو الذي يسد هذه الثغرة بطائفته القائمة على أصوله المعروفة.

وأين الكر عليه؟!!

٧- وقال عدنان في الواقع المؤلم[1]:

«إن أخطر ما نعانيه هو انفصال الدعاة عن مجتمعاتهم والعلماء عن طلابهم إننا نريد ألا يغادر الخطيب المنبر إلى بيته، والمدرس الكرسي إلى مكتبه، والواعظُ اللاقطَ إلى عمله تاركًا الناس... بلا توجيه ودون تربية تمارس.

ماذا نفقد؟

وبكل صراحة نفقد المربي الواعي المجرّب، المربي المخالط».

أقول: فالعلماء والدعاة ليس فيهم واع ولا مجرب.

وما ندري ماذا يريد من العلماء وهم يدرسون في المساجد ويقفون في الإذاعات وفي مكاتبهم وبيوتهم وعلى تليفوناتهم؟

وماذا كان يصنع سيد قطب الخريت المجرب؟

هل يريدهم مثل الحواضن مع الأطفال؟

وأنا أسأل عدنان هل كل هذا انطلاقًا من فتوى ابن باز والألباني؟

وهل تؤمن بفتوى ابن باز بأن من يثني على أهل البدع فهو منهم؟

وهل تؤمن بقول أحمد فيمن طعن في أهل الحديث؟

وهل تؤمن بإطباق السلف على أن من انتقص صحابيًا فهو زنديق؟

٨- وقال عدنان في شريط «الأخطار الحقيقية التي يتعرض لها المسلمون بعامة وشباب الصحوة بخاصة» (١/ جمادى الأولى / ١٤١٨هـ - مدينة دنهاخ / هولندا):

«حُفِر فخٌ باسم الدعوة إلى منهج أهل السنة والجماعة وتجريح العباد والطعن بالعباد لكلمة زلّت أو لعبارة غامضة، وفخٌ اسمه الحكام».

أقول: ١- وهذا من أخطر الكلام ودليل أنه يرفض نقد أهل البدع، ولاسيما

---

(١) ص (٧٤).

سيد قطب، ويسمي نقد السلفيين الذابين عن السنة تجريحًا وطعنًا، مخالفًا في ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التحذير من البدع وأهلها، وبيان ما فيها، وفي أهلها من الشر والفساد.

٢- بل هو دليل على أنَّه لم يضع قواعده الباطلة إلا لمحاربة منهج أهل السنَّة والجماعة في النقد ولاسيما نقد أهل الأهواء، ودليل على كذبه في قوله: إنَّه ما وضع هذه القواعد إلا لردع الصغار عن التكفير.

ولا شكَّ أنه يقصد ردود أهل السنة على أهل البدع ونقدهم إياهم في السابق واللاحق، ولاسيما على سيد قطب وعبد الرحمن عبد الخالق وعلى أهل البدع عمومًا.

٣- ولا ندري من يقصد بحافري هذا الفخّ الذي يدافع عن الحق والسنة أهم اليهود والنصارى أو غيرهم؟!!

٤- ولا شك أن هذا أسلوب يستخدمه أعداء السنة لتشويه دعاة المنهج السلفي، فاحذروهم.

٩- وقال عدنان في شريط «قواعد معرفة الحق»:

«القاعدة الأخيرة: رجل لا يحب أحد شيوخ هذا المنهج، هذا يخرج من السلفية؟ من قال: أنا لا أحب فلان من الناس سواء كان شيخًا كبيرًا أو شيخًا صغيرًا، قال: لا يحبه لمشكلة بينه وبينه حتى ولو كان إمامًا، لا لأجل منهجه لأجل شخصه، تعامل معه معاملة مادية وجده غير جيّد أو لأمر ما لا يحبه، هذا خارج عن السلفية؟ لا يخرج من السلفية.

ثم واصل كلامه إلى أن قال:

كثير من الناس في عهد السلف الصالح كانوا لا يحبون إمامًا وهم عقيدتهم صحيحة ومنهجهم صحيح، فامتحان الأشخاص ليس بسليم، طيب أضرب لكم مثال: رجل سلفي العقيدة سلفي المنهج عايش في تركيا هداه الله بالكتاب والسنة وبأمرهما إلى سلامة العقيدة سلامة المنهج، سألناه ما رأيك في ابن تيمية؟ قال: «ضال» عن جهل، هذا يخرج من السلفية؟! هذا أفضل أم رجل وجدناه في الهند

يحب شيخ الإسلام ابن تيمية جدًا لكن يطوف بالقبور، أيهما أفضل؟ الأول.

هل يقول واحد لماذا تضرب أمثلة خيالية، لا سيدي أمثلة حقيقية، بس أنت قابع في بيتك تحت مكيّفك وراكب سيارتك، وما أراك فاهم شو جاري بين الدعاة».

أقول: ما هو هدف عدنان من هذا التمييع؟ فهل إذا طعن رجل في أحد الصحابة يبقى سلفيًا؟

وإذا طعن في أحد التابعين كسعيد بن المسيب وأمثاله، تقول له: أنت سلفي؟

وقد أطبق السلف على أن من انتقص صحابيًا فهو زنديق، وقالوا أيضًا: فهو رافضي.

وقال الإمام أحمد: ﷺ «إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديدًا على المبتدعة»[1].

وهذا الكلام الذي يقوله عدنان فيمن يضلل ابن تيمية ومن يحبه من اختراعه، فهو يفوق ابن بطوطة في الاختراعات، ولا يقبل مثل هذه الاختراعات إلا أهل الخرافات، وكيف يحب ابن تيمية الطوافون بالقبور؟!!

أمن أجل أنه يهدم القبور؟!

وكيف عرف هذا التركي الأعجمي منهج السلف من الكتاب والسنة؟!

إنه لا يضلّل ابن تيمية وأمثاله إلا ضال، وما هكذا يربى الشباب على الاستهانة بشيخ الإسلام وأمثاله والدفاع عن سيد قطب.

العشرون: قال عدنان: «ليس المقصود الآن الدفاع عن النفس بقدر بيان أن على الإخوة لو كانوا يريدون الحق أن يتثبتوا، ثم يا شيخ محمد لا يوجد في الدنيا شيخ إلا الشيخ ربيع، لماذا يقبلون توبة ربيع ولا يقبلون تراجع عدنان، تقبلون تزكية الشيخ ناصر في ربيع، ولا تقبلون تزكية الشيخ ناصر في عدنان، تقبلون كلام الشيخ في ربيع، ولا تقبلون كلام الشيخ ابن باز في عدنان لماذا؟».

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٠).

أقول: إن ربيعًا لم يقع فيما يستوجب الرجوع، وأما أنت فقد وقعت في عظائم تستوجب الرجوع الواضح المفصل منك، وتفتح أمام السلفيين الأبواب لاتخاذ مواقف منك في ضوء المنهج السلفي، وتحتم عليهم مطالبتك بالتوبة النصوح.

وما تطالب أنت فيه ربيعًا بالرجوع إنما هو محض افتراء منك، وقد بيناه بيانًا شافيًا فيما سبق[1].

الحادي والعشرون: حقيقة المطالبة بالمحاكمة.

تشدق عدنان كثيرًا بقصة المطالبة بالمحاكمة، وكذب كذبات في عرضها على الناس، وفي تصويرها على خلاف حقيقتها وواقعها، وزيف فيها هنا وهناك.

والقصة طويلة يعرفها الواسطة بيني وبينه، وأنها أخذت مراحل من ضمنها أنه استعد لكتابة ما أريد، ومن ذلك تردده في المحاكمة إلى الفوزان والعباد.

ثم استقر رأيي وترجح لي أنه من غير اللائق الدخول مع هذا الملبس المموه في محاكمات، وكتبي قد حكم فيها العلماء وأيدوها.

فمن السخف إدخالها في متاهات ودهاليز لا نهاية لها، وقد حسم فيها الأمر.

فما على عدنان إلا أن يسير وراء العلماء، ومنهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تأييدها، واعترافه بخطئه.

***سقوط القواعد التي يريد عدنان أن يقيم عليها الطائفة العدنانية القطبية التي يسميها ظلمًا بالطائفة المنصورة ويريد بها أن يقيم عليها الدولة الإسلامية.**

وقد ساق الله عدنان إلى القول بأنه يرضى التحاكم إلى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، حيث قال في شريط الجلسة في أسبانيا مع المغراوي:

«أرضى الشيخ ابن عثيمين، نذهب إليه مباشرة الآن، أقطع زيارتي ودوراتي في أوربا، وأذهب إلى الشيخ نحتكم.

أقول: أنا قلت نصحح ولا نجرح، أنا قصدي تربية الشباب ألا يدخلوا في

---

(١) انظر: ص ٧٧ - ٧٨.

التجريح، لأنه ليس هذا سبيل».

ثم ساق الله بعض الشباب الذين يعيشون في أوربا، فوجه أسئلة إلى الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن بعض قواعد عدنان، ومنها قاعدة «نصحح ولا نجرح»، فأجاب الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله بما يهدمها ويستأصل شأفتها.

وإليكم نص الأسئلة:

قال السائل:

١- ما قيل في أخطاء أهل البدع: «نصحح ولا نجرح».

فأجاب الشيخ -حفظه الله-: هذا غلط بل نجرّح من عاند الحق.

٢- «من حَكَمَ حُكِمَ عليه».

فأجاب -حفظه الله-: هذه قواعد مداهنة.

٣- «لا علاقة للنية بالعمل لا من قريب ولا من بعيد».

فأجاب -حفظه الله-: هذا كذب، لقول النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات).

٤- «يشترط بعض الناس في جرح أهل البدع وغيرهم أن يثبت الجرح بأدلة قطعية الثبوت».

فأجاب -حفظه الله-: هذا ليس بصحيح.

٥- «يشترط بعضهم فيمن يسمع من شخص خطأ أو وقف على أخطاء في كتاب أن يستفصل أو ينصح قبل أن يحكم، وقبل أن يبين هذه الأخطاء، وقال: من خالف هذا فقد اتصف بصفة من صفات المنافقين».

فأجاب -حفظه الله-: هذا غلط.

٦- «أنه من العدل والإنصاف عند النصيحة والتحذير أن تذكر حسناتهم إلى جانب سيئاتهم».

فأجاب -حفظه الله-: أقول لك: لا، لا، لا، هذا غلط، اسمع يا رجل: في مقام الرد ما يحسن أني أذكر محاسن الرجل وأنا رادٌّ عليه، إذن ضَعُفَ ردّي.

قال السائل: حتى ولو كان من أهل السنة شيخنا؟

فأجاب - حفظه الله-: من أهل السنة وغير أهل السنة، كيف أردّ وأروح أمدحه، هذا معقول؟!!!

انتهى كلامه -حفظه الله-[1].

وبهذا انهارت القواعد الباطلة التي اخترعها عدنان عرعور، لحماية البدع وأهلها، ولمقاومة أهل السنة وكمّ أفواههم بها، وانهار كذلك ما بني عليها.

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

والغريب أن هذه القواعد ينشئها من يتظاهر بوجوب اتباع سبيل المؤمنين ويجعله أصل الأصول، ثم يقعِّد هذه القواعد الباطلة التي قيَّض الله لها من أئمة السنة من يهدمها، ويبين زيفها، والحمد لله رب العالمين.

فهل يسلم عدنان بأحكام الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ويريح الناس من شرِّه وفتنته، ويكفّ لسانه عن التبجح بقضية التحاكم.

ولقد قال عدنان أبو الفتن والشغب على السلفية والسلفيين بعد ذكر رسائله المزيفة:

«وبدأت الدعوة السلفية في حماة من بيتنا، وما زلنا -والحمد لله- على العهد والوعد، لخلافات شخصية بيني وبين ربيع نشق السلفيين، نعم أقوله: شخصية، لماذا لا يرضى التحاكم؟ ودعوته لا يريد المباهلة لا يرضى لماذا؟

أربع رسائل، أقول: تعال نتباهل، فلا يتباهل.

الآن يموت عدنان وأهل عدنان وذرية عدنان وآل عرعور كلهم يموتون أحب إليّ من أن يشق السلفيون، يقبل.

---

(١) مفرّغ من شريط مسجل بصوته.

وقال: وما يحصل بينهم للأسف الشديد من الانشقاقات».

وردد كثيرًا نحو هذا الكلام.

أقول: وما أكذبه، فما ديدنه إلا إثارة الفتن في الشرق والغرب، ثم يتباكى تباكي التماسيح.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

ولقد تبين للقارئ الكريم الكثير من أكاذيب هذا الرجل، وتبينت له خيانته وبتره وتلاعبه في النصوص، وتلاعبه في التواريخ وما يجري من فتن وأحداث.

وهذا من مصداق ما وعد الله به من حفظ هذا الدين ونصرته، ونصرة أهله.

فله الحمد والمنة على نصرة دينه وإهانة أعدائه وفضحهم وكشف عوارهم، كما قال -عز شأنه-: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، و﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

دفع بغي عدنان

على علماء السنة والإيمان

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فالمآخذ على عدنان عرعور كثيرة وخطيرة، وله تقلبات حول قضايا يخالف فيها دين الله الحق ومنهج السلف، فإذا أخذ في قضية من جهة قفز إلى جهة أخرى، فإذا أخذ من الجهة الأخرى فرَّ إلى جهة أخرى جديدة.

ولنضرب مثلًا لتقلبه وتلونه في بيان أسباب وضعه لبعض القواعد التي شغب بها على المنهج السلفي وأهله، فلقد انتحل لأمثال هذه القواعد عددًا من الأسباب منها الكلام الآتي:

١- في شريط «الطائفة المنصورة» لعدنان عرعور قال:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. في خضم هذه الأحداث المتوالية على أمّة الإسلام وفي لجيج هذه الأعاصير التي عصفت بأمّة الإسلام يمخر الإسلام في عباب البحر الهائج بين هذه الأمواج أو بين أمواج الفكر المتلاطمة وتناحر الفرق الإسلامية وكيد أعداء الأمة المحمدية هذا الإسلام في هذا العباب الهائج ينادي أصحابه النجاة النجاة إننا نخطئ كثيرًا حين نظن أن ما أصاب المسلمين هو من كيد أعدائهم فحسب إننا نخطئ الخطأ الجسيم عندما نظن أن ما أصيبت به أمّة الإسلام من كوارث و هو بكيد أعدائها فحسب إنما أصاب أمّة الإسلام أو إنما تحطمت عزة المسلمين على صخرة التفرق بمعاول الكيد والخيانة والغدر والخديعة فتعاونت صخرة التفرق من تلك المطرقة اللئيمة فتحطمت عزة المسلمين وأمطرت السماء وابلًا من الذل على أرض ترابها الغيبة والنميمة والتفرق والتشاحن والتباغض فنبتت أمة هزيلة منكوسة يأتيها الموت من كل مكان وما هي بميتة وأنّى لها أن تموت ومحال عليها أن تموت وقد وعدها الله ﷻ بالتمكين في الأرض ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

ٱلْأَرْضِ﴾[1] والله ﷻ لا يخلف الميعاد ثم صحا شباب هذه الأمة الهزيلة يسألون ما السبيل ما الطريق مَثلهم كمثل قوم ضلوا طريقهم في الصحراء فوجدوا أمامهم ثلاثًا وسبعين طريقًا كل طريق من هذه الطرق كتب عليه من هنا النجاة كل طائفة تنادي عندي النجاة وأنا السبيل، ولكن العاقل والواعي يقف وقفة المتأمل ليفتش عن الطريق قبل سلوكه فإنه من الصعب على النفس أن تتراجع بعد السلوك، فبحثنا ومحاضرتنا اليوم على طول مني وصبر منكم بما أعتقد في نفسي أن في مثل هذا خيرًا عظيمًا للمسلمين لابد من أن نقعد قواعد ونؤصل أصولًا وفي هذه الأصول نعرف الطريق حتى نسلكه ونحن آمنون مطمئنون، لقد ضلّ من ضل من تلك الطوائف بسبب أن لم يكن بين أيديهم أصول فتارة يقولون مثل الخوارج وغيرهم قولًا فيرجعون عنه غدًا أصلًا ويقولون القول في المساء ويعدلون عنه في الصباح..

فهل لك أن تؤصل أصولًا كتلك التي أصّلها أهل العلم الدنيوي فلا نحيد عنها.

إن الإسلام أحرى وأولى بتلك القواعد من قواعد الفيزياء والكيمياء، لقد أصلوا أصولًا لا يستطيع عاقل أن يحيد عنها، هي أهم بكثير، أصول الإسلام أصول هذا الطريق أهم من ($H_2O = H_2 + O$) بكثير جدًّا أهم من ٤ + ٤=٨ أهم من المعادلات الكيمياوية، ثمة قواعد ومفاهيم وأصول وأسس وصفات ومميزات لهذا الطريق لعلي أستطيع أن آتي ببعضها -إن شاء الله عز وجل- بين يدي محاضرتي أو كلمتي وسؤال هل هناك من خطورة للخروج عن منهاج في أهل السنة والجماعة إنكم تفخمون المسألة أكثر من حقها إنكم تجعلون أنفسكم وبأيديكم مفاتيح الجنة وكل الناس في النار لعلي أضرب مثالين أشعركم بهما بخطورة الخروج عن المنهاج. ثم ذكر المثالين».

انتبه أيها القارئ الكريم للأسباب التي ذكرها عدنان هنا لوضع القواعد وتأصيل الأصول ألا وهي قوله: «في خضم هذه الأحداث المتوالية على أمّة الإسلام وفي لجيج هذه الأعاصير التي عصفت بأمّة الإسلام بمخر الإسلام في عباب البحر الهائج بين هذه الأمواج...» إلخ، والتي بأسبابها وآثارها تحطمت

(١) النور: ٥٥.

عزة المسلمين .

فلهذا قعد قواعد وأصل أصولًا أمتن من قواعد وأصول العلوم الدنيوية الفيزياء والكيمياء فلا يستطيع أحد أن يحيد عنها إلى آخر الدعاوى التي تراها في هذا المقال .

فقواعده وأصوله حسب دعواه لإنقاذ الأمة كلها وإخراجها من خضم هذه الأحداث إلى آخر دعاواه العريضة .

افهم هذه الأسباب التي ادعاها لوضع القواعد والأصول وقارن بينها وبين ما يدعيه من أسباب في مقالات ومحاضرات أخر لترى التلاعب والتناقض والتباين الشديد بين هذه الأسباب .

٢- تحدّث عدنان في شريط ليس له عنوان في موعظة عن اهتمامه بوحدة الأمة وجده في ذلك ثم قال خلال حديثه :

«فالدواء موجود في الكتاب والسنة فليرجع إلى هذا الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي ﷺ من الأسس والصفات ما ذكر ولها من المميزات .

وبالمناسبة فقد عكفت على هذا الأمر - هذا أمر خاص ولا أريد أن ينتشر بين الناس بهذا الأمر لأني كنت تواق إلى توحيد الأمة الإسلامية وهكذا كل مسلم، لكن عكفت على الكتاب والسنة باستخراج صفات. . - كيف توحد الأمة، فرأيت ألا سبيل إلا بما ذكره النبي ﷺ في أمر الطائفة المنصورة، فبدأنا نستخلص منها الأصول ونتبع القواعد، ونستلهم من الكتاب والسنة الأسس فخرجت معنا باقات عطرة عليها أدلة عظيمة من الكتاب والسنة، إذا بها تصل إلى عشر أصول وقواعد كثيرة ومفاهيم التغيير، هل نغير بانقلاب عسكري أم نغير بمظاهرة سياسية، أو برلمان يصوت فيه على دين الله ﷻ، أم بسياسات خفية وتكتيكات شيوعية ما أنزل الله بها من سلطان، قد بيّن هذا أوضح بيان. الحقيقة أنا في صدده. انتهيت من خمسة أجزاء ذكرت فيها مفاهيم وضوابط أرجو الله ﷻ التوفيق» .

فهذه القواعد والباقات العطرة استنبطها من الكتاب والسنة لأجل التغير السياسي في حياة الأمة كلها .

٣- في شريط أطلق عليه اسم: استفسارات وجهت له في مرسيليا في فرنسا:

قال: «لأني رأيت كيف جُرِّح النووي والعسقلاني وصلوا للذهبي وصلوا الخبيث الحداد إلى. . ، ما أقول خبيث لكن غبي وصل إلى ابن تيمية والذهبي جرّحهم فقلت في هذه المناسبة خلاف معتبر «نصحح ولا نجرح» عمد السائل الخبيث لمّا سأل الشيخ بن عثيمين، قال له الشيخ: «نصحح ولا نجرح» ايش يقصد أوكذا؟

قال: يقصد أهل البدع.

ما شاء اللّه فضلًا عن التحريف والافتراء والكذب والخيانة صار يعرف النيات - السائلون المجهولون -».

أهكذا يكون التقعيد؛ تقعّد للشباب فقط، أليس النساء أكثر أهل النار، ألسن يحتجن إلى تقعيد فهل نضع لهنّ قواعد أخرى، أليس الشيوخ والآخرون والكهول بحاجةٍ إلى قواعد أتتركهم هكذا وأنت مسؤولٌ عنهم أتتركهم مفلوتين بدون قواعد؟ وتختار الشباب فقط، مهما عللت وبررت فإنها تعليلات باردة، مرة تقول أيضًا تريد أن تكبح بها جماح الذين يقاومون الحكام من الشباب.

ما قلت هذا بالنص، ولكن بمعناه بفحواه قلت هذا الكلام، وتأتي بتبريرات، والصحيح أنك ما تريد إلا مقاومة السلفيين وإيذاءهم كما آذيتهم سابقًا وإلى الآن لا تزال تؤذيهم، وكنت تتحاشى من أمورٍ الآن جهرت بها.

فأهنت العلماء وبعد إهانتهم ترى أنه لو يأتي مئات منهم لا يمكن أن تقبل كلامهم، وتقول إنك صاحب الدليل ونحن أهل الدليل، فإذا جاء الحق عليك ولو قرره مئات العلماء لا ترفع لكلامهم رأسًا تهينهم فإذا جاء كلام أحدٍ مثل الألباني أو ابن باز كما تزعم - وهم واللّه ليسو معك - فإذا زعمت أنهم معك رفعت من شأنهم، قالاّشيخي وشيخي وقال شيخاي وسألت شيخي وإلى آخره!!!.

فإذا جاء من يقول بالحق والدليل وخالفك هجت وثرت عليه وزمجرت وفعلت الأفاعيل.

أهكذا الدعاة إلى اللّه - تبارك وتعالى -؟

٤- في شريط بعنوان: «الاختلاف، أنواعه، وأحكامه»:

«وقبل أن أخوض في الأنواع لابد من الإشارة إلى النقاط التالية:

أولًا: أن المسلم يبقى مسلمًا مهما فجر، ومهما فسق، ومهما ابتدع، وأن الأخوة لا يبطلها مبطلٌ إلا الكفر.

لو أن شباب الصحوة الإسلامية ومن معهم من الكبار والصغار أدركوا هذه القضية الجديرة بالاهتمام: أن المسلم مهما كان فاسقًا فاجرًا، فله عليك حق الأخوة بقدر ما قدّر الشرع، من الضوابط التي وضعها العلماء وليس الآن محل ذكر - محل ذكرها، أخوك رغم أنفك، مادام في دائرة الإسلام الواسعة.

وللأخوة حقوق منها:

١- الإنصاف، بل قد علمنا الله ﷻ الإنصاف حتى مع أعداء الله، وقال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[1].

فإنه قد بلغ عن بعض المسلمين من العداوة ما تبلغ هذه العداوة بينه وبين الكافرين، ويذهب ليسم أخاه المسلم المخالف بأبشع أنواع الشتم والقذف، بينما يتبسم في وجه الآخرين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2].

«المسلم أخو المسلم». مادام مسلمًا لم يكفر فهو أخوك.

٢- إن لهذه الأخوة حقوقًا ضيعها كثير من المسلمين، ومن أهم هذه الحقوق «التناصح لا التفاضح»[3].

فالواجب على المسلمين أن يتناصحوا، لا أن يتفاضحوا، أن يستر بعضهم على بعض، لا أن يشهر بعضهم ببعض، الأمر غير ذلك تمامًا.

---

(١) الأعراف: ٨٥، هود: ٨٥.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) يعني أن أخاك مهما كان فجوره ولو أعلنه أو بدعته ولو رفضًا يدعو إليه، فلا يجوز نقده؛ لأن تلك من التفاضح، وليس هذا من دين الله في شيء ولا يعرفه السلف الصالح، ويمكن أن نسمي هذا منهج المداهنة، وقد يكون من مناهج المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

٣- ينبغي أن ننطلق من حسن الظن، لا من سوء الظن.

المشكلة التي أنا لا أعرف حلًّا لها: أن هذه المحاضرات تتكرر وتتكرر وتتكرر وتسمعون في خطب الجمعة حسن الظن، ونسمع في المحاضرات حسن الظن، ونقرأ في الكتب حسن الظن، ويأمرنا الله بحسن الظن، ويقول -عليه الصلاة والسلام-:

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[1] ومع ذلك لا ننطلق إلا من سوء الظن».

هذا الكلام من عدنان يدل أنه سائر على منهج الإخوان المسلمين السياسي الذي يجمع كل الطوائف تحت راية واحدة، الرافضي، والباطني، والصوفي الغالي القبوري، والزيدي، والإباضي، وغيرهم وكل من يدخل تحت الإسلام، وأن لهم حقوقًا مهما بلغوا من الفجور والبدع والضلال؛ كالرفض، ومذهب الخوارج، والمعتزلة، وغلاة المرجئة، إلى آخره.

وسيأتي استكمال التعليق على هذا في الإجابة على السؤال الحادي والعشرين -إن شاء الله-.

* * *

---

(١) وعدنان من أسوء الناس ظنًّا وطعنًا في أهل الحق السلفيين، بل هو من أشد الناس حربًا عليهم ودفاعًا عن أهل البدع



الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى[1].

أما بعد:

فهذه أسئلة مهمة نوجهها إلى شيخنا ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- حول بعض ما قاله عدنان عرعور في رده على فتاوى علماء أهل السنة في إبطال القواعد التي عرضها عليهم أحد الشباب من بعض دول أوربا.

وحول طعنه في الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وغيره من السلفيين[2].

نسأل الله أن يسدد الشيخ في الإجابة التي يدفع الله بها الفتنة عن الشباب الذين يحبون الحق وينشدونه بتلهف وأن تكون الإجابة شافية كافية ولاسيما حول هذه القواعد التي وضعها عدنان وأبطلها العلماء وعلى رأسهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ صالح الفوزان.

* * *

(١) هذه الصفحات تفريغ لأشرطة تضمنت إجابات لأسئلة وجهت للشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي - حفظه الله - سميت بـ «دفع بغي عدنان على علماء السنة والإيمان».

(٢) إن طعون عدنان وردوده على علماء السنة والإيمان التي سيجدها القارئ في هذا المؤلف والتي تم بالتعليق عليها الشيخ ربيع المدخلي - حفظه الله - هي من كلامه المستخرج من الأشرطة التالية: الشريط «جلسة مع عدنان عرعور في أمريكا ١٤٢١هـ» الشريط الثاني والثالث: «أسئلة شباب دربان ١٤٢١هـ» الشريط الرابع «أبو رافع وعدنان عرعور لقاء في كندا ١٤٢١هـ» الشريط الخامس: «لقاء مع عدنان في متشجن في أمريكا ١٤٢١هـ» الشريط السادس والأخير: «استفسارات» في فرنسا» وليس لهذا الشريط تاريخ

السؤال الأول:

من قول عدنان الآتي:

«﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ﴾[1] فهذا الرجل الذي يسأل الأسئلة على الهاتف مجهول غير معروف عند العلماء. فكيف أفتى العلماء في عينٍ بناءً على مكالمة من مجهول. لكن لي معهم موقف بين يدي الله ﷻ فهذه الفتنة لم تغبر ظفري، ولكن غبرت المسلمين وغبرت المراكز الإسلامية، وأحدثت فتنة بين الشباب ووصلت إلى حد الضرب كان سببها الشيوخ وهذا الكلام مسجل فليسمعه من يسمعه ليه كان سببه الشيوخ؛ لأنهم ما تثبتوا. لو أنهم تثبتوا. قالوا - أين قال هذا - كيف قال هذا هو موجود».

الجواب:



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإني أسأل الله - تبارك وتعالى - التسديد والتوفيق لقول الحق ورد الباطل.

الذي أسأل الله - تبارك وتعالى - أن ينفع عباده المؤمنين الذين يتطلعون إلى معرفة الحق وإلى التميز بين الحق والباطل في أقوال الناس.

أرى هذا الكلام الذي عرضته عليَّ: أن عدنان يشترط على المفتي إذا جاءه سؤال أن يتثبت: أين قال هذا؟ ومن قال هذا؟

وهذا لا يُعرف، والتثبت موضعه غير الاستفتاء.

ربنا قال للجاهلين: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

(١) الحجرات: ٦.

(٢) النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧.

والعالم إذا جاءه سؤال بأي صيغة من السائل لا يلزمه أن يتثبت ويقول: من قال هذا الكلام؟ وأين قائل هذا؟ وأين قيل هذا الكلام؟ ومتى قال هذا الكلام؟ لا يلزمه هذا.

هدف السائل الاستفادة من إجابة هذا العالم في أمرٍ ألتبس عليه ويجهل أحق هو أم باطل؟ أصواب أم خطأ؟

فوظيفة العالم أن يجيب على السؤال الذي طُرح فيه هذا الكلام المعين.

يجيب لا يشترط أن يتثبت: أهذا الكلام قاله فلان أو ما قاله فلان، ولا يجب أن يعرف السائل.

فعدنان يرى أنه لابد من معرفة السائل وهذا الذي سأل العلماء هم لا يعرفونه، فقد جانبوا الصواب في نظره من ناحيتين:

من ناحية عدم التثبت.

ومن ناحية أن السائل مجهول.

وهذا كلام لا يقوله أحد: فهذا الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - يُسأل في كثير من المناسبات، فلا يأتي هنا بمبدأ التثبت، مبدأ التثبت في غير هذه المواطن ولكل مقام مقال.

تسأل امرأة: إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا أفأحج عنه؟

قال: «نعم».

المرأة خثعمية لا يعرفها رسول الله ﷺ ولا يعرف أباها، هل هو فعلًا لا يستطيع الحج ولا يثبت على الراحلة أولا يثبت ولا شيء لم يستفصلها.

أجابها؛ يعني: على مقدار سؤالها - عليه الصلاة والسلام -.

ما قال: من أنت؟ تعرفون هذه المرأة؟ تعرفون أباها؟ هل أبوها صحيح يعني أنه مريض لا يستطيع أن يثبت؟ ما قال هذا الكلام كله.

ويأتيه الأعرابي يسأله، ويأتيه الناس في حجة الوداع وفي غيرها، وتنهال عليه الأسئلة من هنا وهناك.

وشأن قضايا المناسك. أفعلُ قدمتُ وأخرتُ.

ويجيب لا حرج لا حرج، لا يقول من أنت؟ من هذا وهل صحيح قدمت وأخرت وهل وهل وهل؟

فهذا الكلام الذي يقوله عدنان كلام لا يقوله أهل العلم وشرط أو شروط لم تخطر ببال العلماء، والعلماء من عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا ما يشترطون مثل هذه الشروط.

الصحابة يُسألون، يسألهم الأعراب، يسألهم الناس من مشارق الأرض ومغاربها في أيام الحج، فيجيبون السائل ويحلون مشكلته، وقد يكون السائل مغالطًا، وقد يكون يكذب، وقد يفترض أشياء غير موجودة، وهذا لا يهمهم وإنما يجيبون على هذا السؤال ويحلون للسائل فيما يظهر لهم من إشكال.

فهذه أسئلة أو شروط ما أنزل الله بها من سلطان.

والحق أن عدنان ضخم هذه الأمور وضخم كتاباته، واشترط شروطًا ما أنزل الله بها من سلطان، وأصلها أنه يريد أن يُسكت الناس عن نقده يدرك الرجل أن عنده أخطاء ويدرك - والله أعلم - أنه جاهل غير عالم، وفي كتاباته وفي كلامه يقع في مشاكل وفي بلايا.

ولكن يريد أن تمشي رغم أنوف الناس، فيطرح مثل هذه التهاويل لإسكات الناس، هذا أسلوب كما يقال: أسلوب إرهابي - والعياذ بالله -.

ولما رأى إجابات الشيخ ابن العثيمين على أسئلة سأله السائل، طرح عدنان هذه التهاويل في صور وأشكال من هذه الصور يعني اشترط في بعض أجزاء كتابه السبيل.

قال السائل:

«يشترط بعضهم فيمن يسمع من شخصٍ خطأً أو وقف على أخطاء في كتاب أن يستفصل أو ينصح قبل أن يحكم وقبل أن يبين هذه الأخطاء، وقال من خالف هذا فقد اتصف بصفة من صفات المنافقين».

أقول: فشروطه هنا في التثبت والكلام الذي يقوله حول إجابة المشايخ تدندن

حول هذا الأصل الفاسد وغيره من أصوله الفاسدة.

أجاب الشيخ ابن عثيمين على هذا السائل بقوله:

لا هذا غلط، هذا غلط.

أقول: ولا شك أن هذا غلط.

فقوله: ما تثبتوا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[1].

هذا استدلال بالآية في غير موضعها.

واشتراطه أن يكون السائل معلومًا لدى العلماء ويقول إنه مجهول ويسألهم على الهاتف كل هذا كلامٌ باطل، وقد تقدم الكلام فيه.

والعلماء لا يزالون في كل زمان ومكان تأتيهم الأسئلة ممن لا يعرفون فيجيبون على أسئلتهم.

وكم من الأسئلة تنهال على الشيخ ابن باز وعلى أعضاء هيئة الإفتاء كل يوم، تنهال مئات الأسئلة من رجال ونساءٍ من الجزيرة ومن غيرها، والشيخ الألباني تنهال عليه الأسئلة من أناس لا يعرفهم فيجيب على مقدار السؤال ولا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها.

ولو طبقنا هذا الشرط فمؤداه تكليف الله الناس فوق طاقتهم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، ولضاعت مصالح الناس إذا كان كل سائل يسأل ونأتي بأناس يزكونه وأناس يعرّفونه لنا، فكم يلحق الناس من الحرج، وكم تتعقد مشاكلهم فلا تنحل، ولا تأتي الإجابة على الأسئلة ويدخل الناس في متاهات لا أول لها ولا آخر.

وعلى كل حال فمقتضى هذه الشروط التي يشترطها عدنان أن فتاوى العلماء التي لا تتوفر فيها هذه الشروط التي يقولها من التثبت ومن نفي الجهالة عن السائلين على قوله تبطل أكثر فتاوى العلماء؛ لأنها تجاوب وإجابات لا توجد فيها هذه الشروط.

نعم.

---

(١) الحجرات: ٦.

السؤال الثاني:

فضيلة الشيخ: وما رأيكم في كلام عدنان الآتي:

«من القضاء الذي أجمعت عليه الأمم يهود ونصارى ومجوس وأحكام و.. أنه في حالة القضاء الحكم الدعوى والقضاء يجب السماع من الطرف الثاني، يمكن ما قصد هذا، يمكن ما أراده، يمكن زلة لسان، يمكن تعبير شامي يختلف عن التعبير السعودي، يمكن تعبير مغربي يختلف عن التعبير المشرقي.

فقضوا دون أن يسمعوا من الطرف الثاني بكفر- كيف بكفر؟ يعني عندما ينكر رجل النية في الإسلام.

شو حكمه؟ شو حكمه عندك؟ ينكر النية، شو حكمه؟ كافر.

فكيف قضوا ورضوا وقبلوا أنه إنسان ينكر النية في الإسلام لمجرد أنه واحد مجهول الهوية على الهاتف.

ما شاء الله ما شاء الله على العلم وعلى التقوى، ما شاء الله على الفهم، واحد بالهاتف من أوربا يتكلم في عينٍ معلومةٍ معروفةٍ سباقةٍ إلى الدعوة تسكن بين أظهرهم، فما الذي منعهم أن يتثبتوا من هذه القضية؟».

الجواب:

إنا لنعجب أشد العجب من خلط هذا الرجل في كلامه عن العلماء، وفي إهانته لهم، وفي تعظيم نفسه في هذا المقام، نعجب أشد العجب، ونعجب أشد من هذا أنه يخلط بين القضاء وبين الفُتيا.

فتارةً يعتبر إجابتهم من الفتاوى، وتارةً يعتبرها من باب القضاء وهذا خلطٌ غريب ومغالطة شنيعة منه، مع الأسف وضع نفسه موضع الموجه لعلماء كبار أعضاء هيئة كبار العلماء الذين أفنوا حياتهم في العلم وفي الفتيا وفي القضاء، ويعرفون ما يلزمهم عندما يسألهم السائل وعندما يقضون في القضايا.

وعلى كل حال يُفهم من كلامه في حالة القضاء: أنه لا يجوز القضاء على الغائب في أي حال من الأحوال.

وهذا كلامٌ باطل؛ فهناك أحوال كثيرة يجوز فيها القضاء على الغائب

ولا يشترط حضوره، ولا يلزم القاضي أن يسمع من الطرفين، وهذا أمرٌ مقرر ودليليه أن هند بنت عتبة قالت للنبي ﷺ: «إن أبا سفيان رجلٌ شحيح وإنه لا يعطيني ما يكفيني وولدي أفآخذ من ماله؟

قال: خذي من ماله ما يكفيك وولدك».

ما قال: أين أبو سفيان؟ أين هو ائتوني به: حتى يسمع هذا الكلام، حكم عليه رسول الله ﷺ وهو غائب، أجاز لهذه المرأة زوجة أبي سفيان أن تأخذ من ماله ولو لم يرضَ، فهذا حكم على الغائب.

وفي المذاهب مذهب أحمد والشافعي ومالك وغيرهم من علماء الأمة: أنه في الحقوق - في حقوق العباد وفي المعاملات يجوز القضاء على الغائب.

فهنا أنا أسوق ما قاله البخاري:

* قال: «باب القضاء على الغائب» وروى بإسناده إلى عروة عن عائشة ﵂: أن هندًا قالت للنبي ﷺ: «أن أبا سفيان رجلٌ شحيح فأحتاج أن آخذ من ماله، فقال ﷺ: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

فهذا الإمام البخاري يرى جواز الحكم على الغائب.

* قال الحافظ في «الفتح» في [الجزء ١٣ صفحة ١٧١]:

(قوله على الغائب):

أي في حقوق الآدميين دون حقوق الله بالاتفاق حتى لو قامت البينة على غائب بسرقة مثلًا حكم بالمال دون القطع.

* قال ابن بطال: أجاز مالك والليث والشافعي وأبو عبيد وجماعة؛ الحكم على الغائب.

* وقال ابن عبد البر في «الكافي» [الجزء ٢ صفحة ٩٣١]:

«باب جامع القضاء في الدعوى»:

يقضى على الغائب في الحقوق كلها والمعاملات والمداينات وسائر الحقوق إلا العقار وحده فإنه لا يحكم عليه فيه إلا أن تطول غيبته ويضر ذلك بخصمه، فإن

كان كذلك؛ حكم عليه فيه، هذا تحصيل مذهب مالك.

وإذا جاز القضاء على الميت كان القضاء على الغائب أجوز.

* وكذلك يجوز القضاء على الغائب في مذهب الإمام أحمد.

انظر المغني [الجزء ١٤ صفحة ٣١-٤١].

وحكى صاحب المغني الخلاف في ذلك، ورجح الجواز واحتج بحديث عائشة في قصة هند، وألزم أبا حنيفة بالتناقض.

عدنان لا يعرف قدر العلماء، ولا يعرف قدر العلم، ولا يعرف شروط الإفتاء، ومع ذلك يتطاول على العلماء، ويجعلهم أجهل الناس، فالأمم كلها تشترط في القضاء والدعوى أن يسمع القاضي من الطرفين هذا يعرفه الأمم كلها، اليهود والنصارى والمجوس، وهؤلاء العلماء يجهلون هذه الأمور التي يعلمها أمم الكفر بما فيهم اليهود والنصارى والمجوس في نظر عدنان.

ما الداعي لمثل هذا الكلام؟

هب أنك عالم ناقشهم بأدب، وأظنك تعرف كثيرًا بأدب الخلاف، فهل هكذا يناقش العلماء؟

لو كنت على صواب وعلى علم وبصيرة لما جاز لك أن تهين العلماء هذه الإهانة وتجعلهم في مرتبةٍ أدنى من مرتبة الأمم الكافرة بما فيهم اليهود والنصارى والمجوس.

أهذه هي الأخلاق التي تنادي بها يا عدنان؟

«إنا لله وإنا إليه راجعون».

ولا أطيل الكلام والمقصود حاصل وتأسف أشد الأسف:

أنه في الموقف الذي يهين فيه هؤلاء العلماء، يتعالى بنفسه ويشمخ بها ويتطاول مع الأسف، وهذا مجانب للآداب الإسلامية والأخلاق الإسلامية التي تدعوا إلى الأدب وإلى التواضع وإلى احترام الآخرين ولاسيما علماء كبار، يكبرونه علمًا وسنًا ومنزلةً في أعين الناس وعند الله - تبارك وتعالى - إن شاء الله.

جزاكم الله خيرًا.

السؤال الثالث:

حفظكم الله ما رأيكم في كلامه السابق الذي قال فيه:

«يمكن ما قصد هذا، يمكن ما أراده، يمكن زلة لسان، يمكن تعبير شامي يختلف عن التعبير السعودي، يمكن تعبير مغربي يختلف عن التعبير المشرقي.

فقضوا دون أن يسمعوا من الطرف الثاني في كفر كيف في كفر يعني عندما ينكر رجل النية في الإسلام؟».

الجواب:

باسم الله:

هذا الرجل جعل لنفسه منزلة وجعل لكلامه منزلة لم يسبق لأحد أن وضع نفسه أو وضع غيره فيها، فالعلماء يسمع كلام العالم أو غيره فيتبين له أنه خطأ فيوجه إليه النقد، يروي حديثًا يغلط فيه يقول أخطأ فلان، ووهم فلان، فلان كثير الخطأ فلان منكر الحديث، ما يستدعي هذا الراوي ويقول يمكن قصدت كذا، أخبرني ماذا أردت لعلك قصدت كذا قلت كذا قلت كذا، يحكم على كلامه بالخطأ، ويقرأ كتابًا فيجد فيه أخطاء فيؤلف عليه مجلدات يناقش هذا العالم فيما يرى أنه خطأ، ولا يقول أحد مثل هذا الأسلوب الذي يقوله عدنان.

ناقش الشافعي مالكًا، ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في كلمات قالوها وفي أحكام أصدروها، وما أحد قال له لماذا ما ذهبت إلى محمد بن الحسن، لماذا ما ناقش مالكًا في حياته لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

ما قال هذا إلا الجهلة والأغبياء الذين يقولون مثل هذا الكلام ويعترضون مثل هذه الاعتراضات.

وكان السلف ينتقدون الناس في عقائدهم في أقوالهم وفي أعمالهم ويعتبرون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفتون فيما يصلهم من الأقوال، ولا يقول أحد لماذا ما استدعيتم القائل وقلتم ماذا أراد كذا - أو أراد كذا.

إن عدنان بهذه الأساليب يعني يهدف قصدًا أو بغير قصد إلى إبطال مدلولات

اللغة العربية؛ فإن اللغة العربية كما عرفها أهلها لها دلالات، دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، ودلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام إلخ، فيأتون إلى كلام الله فيفسرونه بهذه الدلالات، ويأتون إلى كلام الرسول ﷺ فيفسرونه بهذه الدلالات، ويأتون إلى كلام العلماء فيفسرونه بهذه الدلالات؛ فهل يعني، أن عدنان له منزلة تفوق القرآن والسنة، وتفوق كلام العلماء، ثم العلماء يُنتقدون وأبناؤهم وإخوانهم وأقاربهم ما يغضبون من هذا النقد.

وانتقد البخاري، انتقده الدارقطني، وانتقد مسلم انتقده الدارقطني، وانتقد غيره وغيره من الأئمة الكبار الفحول، ما أحد يغضب مثل هذا الغضب، ويهين العلماء ويدوسهم بأقدامه.

فهل تبطل دلالة اللغة من أجل أمثال عدنان وسيد قطب؟ وهل تبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنقد العلمي.

أنا لمّا يأتيني سؤال:

يقول: ما رأيكم في قول القائل: نصحح ولا نجرح «أجيب بأن هذه قاعدة باطلة تخالف نصوص الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وقد ألف العلماء كتبًا في الجرح فقط وكتبًا في الجرح والتعديل معًا وفي النوعين تجريح الألوف بالكذب والبدع والأخطاء دون تعرض لما يسميه عدنان بالتصحيح جاءتني هذه القاعدة بكلام عربي لايختلف فيه كلام مشرقي أوكلام مغربي، فلا يلزمني أن أقول يمكن قصد كذا يمكن زلة لسان كلام مشرقي أو كلام مغربي.

قاعدة تضعها تقول زلة لسان ما هذا الكلام !.

قال: ما رأيكم فيمن يقول: «لا علاقة للنية بالعمل».

هذا ورد إن لم يكن نص كلامك فهو بمعناه والرواية بالمعنى تجوز، وأنا كنت أتمنى أن السائل أخذ قاعدتك في النية وكل ما دار حول النية من كلامك.

ووالله لو اطلع العلماء على كلامك في النية لأدانوك بأكثر مما أدانوك به على الكلام الذي نقله هذا الشاب.

وأنا الآن سأعرض كلام عدنان بنصه وحروفه لا أخرم منه شيئًا من شريط

«الطائفة المنصورة» رقم [١] ليرى العلماء وطلاب العلم هل ظلم السائل عدنان وحرّف كلامه وخان فيه وكذب وافترى عليه كما ادعى عدنان، وهل لو سمع العلماء كلامه برمته أكانوا يحكمون بصحة كلامه وسلامته وقوة تقعيده، أم أنهم سيدينونه بالجهل والتخبط، ويدينون كلامه وتقعيده بالركة والبطلان.

وهذا نص كلامه:

«أما تخشى أن تأتي الله يوم القيامة فإذا الله ﷻ يقول:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١].

وهاهنا أقتطع محاضرتي بين قوسين لأبين قاعدةً من قواعد معرفة الحق التي سمعتم بعضها ألا وهي:

«أن الحق لا يتعلق بالنيات، الحق لا يتعلق بالنيات لا من قريب ولا من بعيد».

كيف هذا؟

مهما حسنت نية الفاعل لا يقبل منه العمل ما لم يكن عمله مصيبًا.

فالآية تقول:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾؛ والأخسرين: اسم تفضيل؛ أي: أخسر الناس يوم القيامة عملًا أولئك الذين جاءوا مطمئنين أنهم على الهدى والسداد حتى ما إذا وقفوا بين يدي الله ﷻ جعل الله عملهم هباءً منثورًا، لا ينفعهم وقتئذٍ أن يقولوا: يا رب سُجِنَّا عشر سنوات، يا رب نيتنا صالحة، يا رب جاهدنا عشرين سنة، يا رب ألّفنا خمسين كتاب، لا ينفعهم ذلك إذ لم يكونوا في الطريق الصحيح وهو طريق الطائفة المنصورة.

نختم القوس: فلأرجع إلى محاضرتي، النية إذن لا تقدم ولا تؤخر في العمل الفاسد شيء، إذا فسد العمل لم يعد للعمل، إذا فسدت النية لم يكن للعمل الصالح

---

(١) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

لم يكن للعمل، إذا صلحت النية، آسف، لم يكن للعمل أيُّ أهمية سواءٌ صلح العمل أم فسد العمل، ولا أريد أن أدندن حول هذه الناحية؛ لأن الوقت دون ذلك».

● التعليق على هذا الكلام:

الرجل في أثناء محاضرته وفي خلال الكلام على الطائفة المنصورة خطر بباله قاعدة، والله أعلم.

فقال: «وأنا هاهنا أقتطع محاضرتي بين قوسين لأبين قاعدةً من قواعد معرفة الحق التي سمعتم بعضها».

ثم ساق ما يزعم أنه قاعدة فقال:

«ألا وهي أن الحق لا يتعلق بالنيات، الحق لا يتعلق بالنيات لا من قريب ولا من بعيد».

ثم تسائل وذهب ليبين للناس ويدلل على وجهة نظره وما يؤكد به صحة هذه القاعدة، فتخبط في الكلام! إلى أن جاء بعبارةٍ أخرى ثانية فقال:

«النية إذن لا تقدم ولا تؤخر في العمل الفاسد شيء».

ثم قال مرةً أخرى:

«إذا صلحت النية لم يكن للعمل أي أهميةٍ سواءٌ صلح العمل أم فسد العمل».

فهل هذه العبارات الثلاث؛ هي القاعدة التي وعد بها، أم هي قواعد كل واحدة تكمِّل الأخرى، أم هي قواعد متضاربة.

ففي العبارة الأولى:

«أن الحق لا يتعلق بالنيات لا من قريب ولا من بعيد».

وفي العبارة الأخيرة:

«إذا صلحت النية لم يكن للعمل أي أهميةٍ سواءٌ صلح العمل أم فسد».

ألا ترى هذا التضارب، وهذا الكلام الركيك.

أهذا يصلح أن يكون تقعيدًا يغلط به شباب الأمة، أم أنه يجعلهم في متاهات

وضياع وبلبلة.

وهل قواعده المزعومة تخص الشباب فقط، فهل هكذا يعمل العلماء؟

نأتي إلى هذه العبارات واحدةً واحدة لنبين مدى صحتها من فسادها.

أولًا: العبارة الأولى:

«أن الحق لا يتعلق بالنيات لا من قريب ولا من بعيد».

ما المراد بالحق هنا الذي نفى تعلق النيات به من قريب ومن بعيد.

فالله حق، والنبيون حق، والكتب حق، والجنة حق، والنار حق، والملائكة حق، وخلق الله السموات والأرض بالحق، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالحق.

كيف تصور أن معرفة هذا الحق وذاك لا يتعلق بالنيات لا من قريب ولا من بعيد.

إذا تعلم إنسان أدلة معرفة هذا الحق يريد بذلك وجه الله وجزاءه العظيم في الآخرة، هل لا تنفعه هذه النية لا من قريب ولا من بعيد كما يقول هذا الرجل، تعلُّم العلم الشرعي حق فللنية بهذا التعلم ارتباط قوي، فإن صلحت النية بأن أراد بهذا التعلم وجه الله نفعه ذلك ورفعه به درجات وبسطت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع، وإن أراد بذلك أن يقال عالم أو قارئ أو أراد بذلك الدنيا أو غير ذلك من الأغراض الدنيئة؛ أثرت هذه النية في عمله فأفسدته، فيقول الله له في الآخرة: إنما تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ وقد قيل، ثم يُؤمر به فيسحب على وجهه في النار، وهذا يدل على شدة ارتباط النية بالعمل وبالحق، والعمل جزءٌ منه سلبًا وإيجابًا ضرًّا ونفعًا، وهكذا يقال في الجهاد والإنفاق والبذل والبر والإحسان، فإن مدار كل هذا وغيره على النية، فإن صلحت وصحت، صلحت وصحت الأعمال، وإن فسدت فسدت الأعمال.

على كل حال هذه العبارة باطلة، وإن قصد بها ما قصد، ولنصحح هذا المعنى الذي يهدف إليه هذا الرجل.

إنه يريد فيما يبدوا أن يجعل موافقة العمل الشَّرعي شرطًا في قبول العمل.

فيقال: إن لقبول العمل شرطين:

الإخلاص: وهو إرادة وجه الله بهذا العمل.

والثاني: موافقته للشرع.

هذا نظنُّ أن الرجل يريده، لكن لا يصح أن نعبر عن هذا ونحن نعلِّمُ الناس معرفة قواعد الحق لا ينبغي أن نعبر بمثل هذه العبارات الركيكة الباطلة.

فالعبارة الصحيحة عن هذا المراد أن يقال: إن للعمل شرطين.

هما الإخلاص، والمتابعة.

وهذا أمرٌ معروفٌ لدى السلف، وقد نقلوا عن الفضيل بن عياض أنه قال في قوله - تبارك وتعالى -: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

قال: أخلصه وأصوبه.

قيل يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

هذا هو الفقه الصحيح والتعبير الصحيح.

وكذلك فهم العلماء من قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2]:

أن الإخلاص وموافقة الشرع شرطان في قبول العمل.

فترك عدنان منهج السلف وتعبيرهم واستدلالهم فكانت النتيجة لهذا السلوك هذا التعبير الفاسد الباطل: «أنَّ الحق لا يتعلق بالنيات، الحق لا يتعلق بالنيات لا من قريب ولا من بعيد» فأبعد النجعة.

---

(١) الملك: ٢.

(٢) الكهف: ١١٠.

وكل مسلم وخاصةً العلماء وطلاب العلم يؤمنون بالارتباط الوثيق بين النية والعمل، بين النية ومعرفة الحق وطلبه، وأن النية أهم من العمل، وقد تنفع صاحبها وإن لم يعمل نتيجة عجزه عن العمل وصدق نيته.

فعن جابر ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاةٍ فقال:

«إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم المرض»[1].

وعن سهل بن حُنيف أن النبي ﷺ قال: **«من سأل اللَّه الشهادة بصدق بلّغه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**[2].

ويكتب للمريض والمسافر مثل ما كان يعمل في صحته وإقامته بنيته الصادقة.

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثلما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»**[3].

فهذا يمكن أن نقوله في تصحيح هذه العبارة أو بيان فسادها، وتصحيح التعبير الذي ينبغي أن يقوله المسلم وهو يعلّم عوام المسلمين.

وقوله: «النية إذن لا تقدم ولا تؤخر في العمل الفاسد شيء».

هذه عبارةٌ ركيكة بعيدة جدًا عن تقعيدات العلماء وعباراتهم، فالعمل لا يحكم عليه بالفساد تلقائيًا وإنما يحكم عليه بالفساد لتخلف شرط أو شروط من شروطه، أو لوجود مانع يمنع من صحته، فهذا حكم على العمل بالفساد تلقائيًا، ثم ادعى أن النية لا تقدم ولا تؤخر فيه شيئًا.

والعلماء لا يقولون مثل هذا الكلام لا يحكمون على العمل بالفساد إلا إذا اختل شرط من شروطه أو شروط وإلا إذا وجد مانعٌ يمنع من صحته، هذا شيءٌ.

والشيء الثاني:

---

(١) رواه مسلم، ورواه البخاري من رواية أنس.

(٢) مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٣) رواه البخاري.

نحكم على العمل بالفساد لتخلف شرط من شروطه هنا وهو النية، فإذا تخلفت النية أو فسدت النية حكمنا على العمل بالفساد والبطلان.

أو لم يوافق العمل ما شرعه الله بأن كان مبتدعًا نحكم عليه حينئذٍ بالفساد؛ لأنه لم يوافق شرع الله - تبارك وتعالى -.

فالعبارة فاسدة لاسيما وهو يقول: «إن النية لا تقدم ولا تؤخر».

وقد تبين للسامع يعني فساد هذه العبارة وأنها بعيدة عن تقعيدات العلماء وعن تعبيراتهم العلمية.

وقوله في العبارة الثالثة:

«إذا صلحت النية لم يكن للعمل أهمية سواءٌ صلح العمل أم فسد».

ما معنى هذه العبارة مع الأسف؟ هي مناقضة لكلامه الأول؛ فإنه في كلامه الأول ضيّع مكانة النية وأهميتها، وهنا في هذه العبارة ضيّع أهمية العمل، فبأي العبارتين نأخذ؟ وأيهما؟ هي القاعدة التي وعد بإسدائها وإزجائها إلى الشباب؟ وهذا لا يحتاج إلى كثير كلام فإنه واضح الفساد والبطلان.

إذا صلحت النية لم يكن للعمل أهمية؛ كيف هذا؟ صلح العمل أم فسد.

إذا صلح العمل ماله قيمة ليس له وزن عند الله - تبارك وتعالى - في نظر عدنان، والله ﷻ يقرن العمل الصالح بالإيمان في عشرات الآيات من القرآن الكريم ويشيد بمكانته وبالعاملين للصالحات.

والنجاة ما كتبها الله - تبارك وتعالى - والسلام من الخسران لعباده إلا لمن يأتي بالإيمان والعمل الصالح فقد ضيّع العمل هنا وضيّع النية هناك.

فهل آية الله التي احتج بها تدل على هذا التناقض، وهذا التهافت، وهذا الاضطراب، وهذا الضياع - نسأل الله العافية - إلى جانب معانٍ أخرى فاسدة حمّلها هذه الآية الكريمة.

ومنها حكمه على من عدا الطائفة المنصورة بأن أعمالهم تذهب هباءً منثورًا.

فهل كذلك حكم الله على أهل البدع لاسيما إذا جاهدوا لإعلاء كلمة الله -

جل وعلا - مثلًا، وعندهم نية خالصة فيها وأوذوا في الله ﷻ، أيحبط الله أعمالهم ولا يبقي لهم شيئًا وتذهب هذه الأعمال هباءً منثورًا، أو أن الله - تبارك وتعالى - لا يرد من أعمالهم إلا فيما خالفوا فيه الشرع، وهناك لهم أعمال أخرى صالحة وافقت الشرع يقبلها الله - تبارك وتعالى - وينقذهم بإيمانهم وبما صلح من أعمالهم ينقذهم من النار.

على كل حال حكم عليهم حكم الكفار، ومعنى ذلك - والله أعلم - أنهم إذا ذهبت أعمالهم هباءً منثورًا أنهم من الخالدين في النار، إلى غير ذلك من الفساد والركة في التعبير وما شاكل ذلك من الأقوال التي يدركها العاقل النبيه.

فهل يستحق سؤال الطالب الذي وجهه إلى العلماء يستحق هذه الضجة، وإهانة العلماء هذه الإهانة التي لم نسمعها من خصوم الدعوة السلفية، فقد خاصم البوطي والغزالي والتلمساني وغيرهم من أهل البدع تكلموا على أهل السنة وأساءوا إليهم، ولكن في نظري ما بلغوا في الإساءة والإهانة لأهل السنة والحق إلى هذه الدرجة التي أهانهم بها هذا الرجل المغرور المسكين.

وهل إذا تأمل السامع الحصيف النبيه عبارة الطالب التي يسأل عنها العلماء وهي هذه: «لا علاقة للنية بالعمل لا من قريب ولا من بعيد».

إذا وقف عليها المنصف ووقف على عبارة عدنان أيحكم عليه بأنه خائن؛ كما قال عدنان وكاذب ومفترٍ، أو أنه سينحي باللائمة على عدنان ويعفي الطالب، فإن أمامه عبارات مهلهلة مضطربة متناقضة فعبّر عنها بهذا المعنى الذي لا يعتبر فيه تجنيًا على عدنان ولا ظلمًا له.

هل يستحق ما عمله الطالب كل هذه الضجة الكبرى التي أهان فيها العلماء، وأهان فيها الطالب، وأهان من أجله السلفيين عمومًا؟

لو كان مصيبًا ولم يخطئ وأخطأ عليه الطالب فعلًا لما كان له أن يرتكب هذا؛ فكيف وهو المخطئ والمتجني على كلام الله، وهو المفتري على الله - تبارك وتعالى -، والقائل عليه ما يرده ﷺ وما يتنزه عنه - جل وعز - وينزه عنه كلام الله، فهو الذي يستحق التأديب ويستحق الزجر والإهانة لا الطالب السائل الذي تحيّر

من هذا الكلام واضطرب أمامه فعبّر عن قاعدة عدنان بما لا يبعد عن عبارة عدنان.

وعلى كل حال على العلماء أن ينظروا في جناية هذا الرجل على السلفية والسلفيين وعلى العلماء، وليدركوا أهدافه وأغراضه، وإن أوّل وتأول ومدح نفسه بالباطل.

جزاكم الله خيرًا.

* * *

السؤال الرابع:

حفظكم الله ﷻ: ما تعقيبكم على كلام عدنان الآتي هل هو صواب أو غلط - أحسن الله إليكم -:

قال: «إني رأيت كيف جُرّح النووي والعسقلاني وصلوا للذهبي وصلوا الخبيث الحداد إلى. . . ، ما أقول خبيث لكن غبي وصل إلى ابن تيمية والذهبي جرّحهم فقلت في هذه المناسبة خلاف معتبر «نصحح ولا نجرح» عمد السائل الخبيث لمّا سأل الشيخ ابن عثيمين، قال له الشيخ: «نصحح ولا نجرح» أيش يقصد أو كذا؟

قال يقصد يقصد أهل البدع.

ما شاء الله فضلًا عن التحريف والافتراء والكذب والخيانة صار يعرف النيات - السائلون المجهولون -».

الجواب:

لعرض السؤال والجواب يتبين هل كلام عدنان خطأ أو صواب؟ وسوف نعلق بعد ذلك بما ييسره الله - تبارك وتعالى - ويلهمنا إياه، ونسأله تعالى أن يوفقنا لقول الحق والصواب.

وإليك أسئلة السائلين الذين سألوا ابن عثيمين من أوربا، وجواب الشيخ ابن عثيمين لهذا السائل:

قال المقدم: فهذه مجموعة أقوال مشايخ الدعوة السلفية في إبطال قواعد ومقالات عدنان عرعور الردية، سائلين الله تعالى أن ينفع بهذه المادة.

والآن مع الكلمة الأولى لسماحة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله تعالى -:

يقول السائل: نحن مجموعة من الطلاب ونريد أن نتعلم دين الله الحق الذي كان عليه رسول الله وأصحابه، وتابعهم عليه علماء السنة والهدى، وقد تلتبس علينا بعض الأمور خاصة التي يطرح بعض المنتسبين للعلم المعاصرين، وخاصة ما يتعلق بالأصول والقواعد مثل القواعد الآتية:

الأولى: ما قيل في أخطاء أهل البدع والرواة يقول:

«نصحح ولا نجرح».

جواب الشيخ: هذا غلط، بل نجرح من عاند الحق.

السائل: بارك الله فيكم.

الشيخ: نعم.

السائل: طبعًا القاعدة الثانية شيخنا تقول: «من حَكم حُكم عليه».

جواب الشيخ: أبدًا هذه قواعد مداهنة.

السائل: بارك الله فيكم.

السائل: شيخنا قاعدة ثالثة تقول:

«لا علاقة للنية بالعمل لا من قريب ولا من بعيد».

جواب الشيخ: هذا كذب؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

الشيخ: نعم.

السائل: القاعدة الرابعة شيخنا يقول:

«يشترط بعض الناس في جرح أهل البدع وغيرهم أن يثبت الجرح بأدلة قطعية الثبوت»؟

جواب الشيخ: هذا ليس بصحيح.

السائل: طبعًا مازال قاعدتين شيخنا فقط:

القاعدة الخامسة تقول:

«يشترط بعضهم فيمن يسمع من شخص خطأ أو وقف على أخطاء أو بدع في كتاب أن يستفصل أو ينصح قبل أن يحكم، وقبل أن يبين هذه الأخطاء والبدع».

وقال الشيخ: هذا صحيح.

السائل: لكن شيخنا قال:

«ومن خالف هذا فقد اتصف بصفة من صفات المنافقين».

جواب الشيخ: هذا غلط.

السائل: نعم.

السائل: القاعدة الأخيرة شيخنا السادسة يقول:

«أنه من العدل والإنصاف عند النصيحة والتحذير من البدع وأهلها: أن تذكر حسناتهم إلى جانب سيئاتهم».

جواب الشيخ: أقول لك: لا، لا، لا هذا غلط.

السائل: طبعًا شيخنا تبعًا لهذه القاعدة يقول:

«إنك إذا ذكرت محاسن أهل السنة إنه من العدل والإنصاف أن تذكر مساوئهم إلى جانب حسناتهم»؟

الشيخ: اسمع يارجل، اسمع يارجل:

في مقام الرد ما يحسن أني أذكر محاسن الرجل، إذا ذكرت محاسن الرجل وأنا أرد عليه ضعُف ردي.

السائل: حتى من أهل السنة شيخنا.

جواب الشيخ: أهل السنة وغير أهل السنة.

السائل: نعم؛ بارك الله فيكم.

الشيخ: أرد عليه؛ كيف أرد عليه وأروح أمدحه؛ هذا معقول!!!.

السائل: خلاص يا شيخ.

قال المقدم: كانت هذه بعض انتقادات لقواعد عدنان عرعور، لفضيلة الشيخ العلامة الفقيه الأصولي محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله تعالى -.

قال المقدم: والآن مع الكلمة الثانية لسماحة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله تعالى -:

الشيخ: نعم.

السائل: السلام عليكم.

الشيخ: وعليكم السلام.

السائل: الشيخ محمد بن عثيمين.

الشيخ: نعم.

السائل: عندنا أسئلة من هولندا يا شيخ.

الشيخ: حياكم الله - تفضل.

السائل: بعض المقالات لو تفضلتم يا شيخ بالتعليق عليها، وهل هي موافقة لما عليه أهل السنة والجماعة.

الشيخ: نعم.

السائل: يقول:

«ومن تتبع أسباب الانشقاقات التي حصلت في الجماعات الإسلامية يُعد معظمها أسباب أخلاقية لا عقدية ولا منهجية».

فما قول سماحتكم؟

الشيخ: هذا غير صحيح - هذا غير صحيح - بل هي عقدية ومنهجية؛ الخوارج لهم منهج والشيعة لهم منهج وهكذا.

السائل: أثابكم الله - وقال:

«اختلافات الجماعات اختلافات اجتهادية وأنا مقرٌّ بذلك وإن لم تكن كذلك لأخرجناهم بسهولة من دائرة الإسلام[1]».

فما قول سماحتكم؟

جواب الشيخ: هو لا شك أن بعضها اجتهادي وبعضها عنادي واستكبار، فما كان الحق فيه واضحًا فالمخالف معاند مستكبر، وما كان مشتبهًا فهو محل اجتهاد.

(١) مَنْ قال مِنَ العلماء إن الاختلافات غير الاجتهادية تخرج المختلفين عن دائرة الإسلام؟! إن هذا الرجل يتكلم بجهل شديد، فكم من أقوال أهل الأهواء ما هو قائم على الهوى وليس من أبواب الاجتهاد، ومع ذلك لم يكفرهم أهل السنة.

السائل: أثابكم الله.

السائل: يقول:

«إذا كانت المسألة دراسة لعين الرجل فلابد من ذكر الحسنات والسيئات حتى نخرج بنتيجة الذي يعمل هذا هو الذهبي وكذلك أصحاب الجرح والتعديل».

فهل صحيحٌ: أن علماء الجرح والتعديل إذا تعرضوا لذكر حال الرواة يذكرون الحسنات والسيئات معًا؟

جواب الشيخ: إيه، لا، لا، شوف - بارك الله فيك - هذا إذا كنا نريد أن نرد على شخصٍ فهذا لا نذكر حسناته؛ لأن هذا يُضعف جانب الرد، وإذا أردنا أن نذكر حياته كترجمة فلابد من ذكر الجميع.

السائل: أثابكم الله.

السائل: ما قول سماحتكم في رجل ينصح الشباب السني بقراءة كتب سيد قطب؟ ويخص منها «في ظلال القرآن» و«معالم في الطريق» و«لماذا أعدموني»، دون أن ينبه على الأخطاء الموجودة في هذه الكتب؟

الشيخ: أنا رأيي - بارك الله فيك -: أن من كان ناصحًا لله ورسوله وللمسلمين أن يحث الناس على قراءة الأقدمين في التفسير وغير التفسير، فهي أبرك وأنفع وأحسن من كتب المتأخرين.

وأما تفسير سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ففيه طوام، لكن نرجو الله أن يعفو عنه، فيه طوام كتفسير الاستواء وتفسير سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وكذلك وصفه لبعض الرسل بما لا ينبغي أن يصفه به.

السائل: أثابكم الله.

الشيخ: بس.

السائل: طيب يا شيخ سؤال أخير لو تفضلتم؟

الشيخ: نعم.

السائل: هذه المقالات موجودة في كتب وأشرطة رجل يدعى عدنان عرعور،

فهل تعرفونه سماحتكم؟ وما قولكم فيه؟

الشيخ: ما نعرفه - ما نعرف إلا أن له كتابًا أظنُّ في المواقيت - مواقيت الحج، منعت دار الإفتاء من تداوله لما فيه من الأخطاء، أما غير هذا ما أدري عنه شيئًا.

السائل: أثابكم الله.

الشيخ: بارك الله فيك.

السائل: جزاكم الله خيرًا.

الشيخ: آمين.

السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال المقدم: والآن مع الكلمة الثالثة لسماحة العلامة الشيخ محمد ابن عثيمين - حفظه الله تعالى -.

الشيخ: نعم.

السائل. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يا شيخ.

الشيخ: وعليكم السلام.

السائل: يا شيخ محمد.

الشيخ: ورحمة الله وبركاته.

السائل: هذه بعض أسئلة يا شيخ لو سمحت أطرحها عليك -إن شاء الله- ما قولكم يا شيخ في المقالة التالية:

«بعد عشر سنوات يصبح الناس كلهم موحدين، فلا نحتاج إلى دراسة كتب العقيدة مثل «الطحاوية» و«الواسطية» و«الحموية» و«التدمرية» و«جوهرة التوحيد»».

الشيخ: نعم.

السائل: إي نعم شيخنا.

الشيخ: هذا، هذا يتمنى أن يكون، وإلا يخبر أن يكون.

السـائل: هو، هو الآن يقول بعد عشر سنوات يصبح الناس كلهم موحدين فلا نحتاج إلى هذه الكتب التي طرحتها عليك.

الشيخ: أقول؛ قوله هذا: هل هو يتمنى على الله أن يكون الناس بعد عشر سنين موحدين، أو يخبر خبر جازم؟

السـائل: والله يا شيخ هو الآن طرح هذا الكلام ما ندري ماذا يقصد - ماذا يقصد بهذا.

الشيخ: المهم لابد من دراسة العقيدة.

السائل: الله أكبر، نعم، نعم، معنى هذا، هذا الكلام غير صحيح يا شيخ؟!

الشيخ: غير صحيح؛ لأن الناس الآن بحاجة.

السائل: نعم، نعم.

الشيخ: ما أكثر الزائغين في باب العقيدة.

السائل: نعم، جزاكم الله خيرًا، في كذلك سؤال ثاني يا شيخ، يقول كذلك: «إذا حكمت حوكمت، وإذا دعوت أجرت».

فما هو قول سماحتكم في هذا؟

الشيخ: وإيش المعنى؟

السائل: هو قال: «إذا حكمت حوكمت، وإذا دعوت أجرت».

الشيخ: ها؟

السـائل: هذه قاعدة هو قعدها.

الشيخ: «إذا دعوت أجرت» هذا صحيح.

السائل: نعم، قال: «حكمت حوكمت، وإذا دعوت أجرت».

الشيخ: أقول: «إذا دعوت أجرت»، هذا صحيح.

السـائل: نعم.

الشيخ: ولكن وأيش معنى: «إذا حكمت حوكمت».

السائل: نعم، نعم.

الشيخ: ها.

السائل: نعم، هو ربما يقصد في هذا إذا حكمت على أشخاص فسوف تحكم، هذا ربما قصده في هذا الكلام.

الشيخ: إذا كان يريد أن يخوفكم من الرد على أهل البدع.

السائل: نعم.

الشيخ: فلا يُهمنكم.

السائل: الله أكبر، حياكم الله يا شيخ.

الشيخ: نعم.

السائل: حياكم الله، يا شيخ - بارك الله فيكم - هذا هو يا شيخنا نسمع منكم هل هذا الكلام صحيح أو لا؟

الشيخ: ها.

السائل: فنحن موجودون في أوربا واستشكل علينا الأمر على هذا الكلام.

الشيخ: أنا ودي - بارك الله فيك -.

السائل: نعم.

الشيخ: لو كان عندك مسجل تسجله.

السائل: نعم - خير إن شاء الله - طيب، طيب هو مسجل على كل حال هذا الكلام يا شيخ، وحتى موجود في بعض كتبه.

الشيخ: لا، لا، لا، ما تسجل كلامه تسجل كلامي أنا.

السائل: كلامك مسجل - إن شاء الله - يا شيخ.

الشيخ: الآن مسجل الآن؟

السائل: مسجل الآن، الحمد لله.

الشيخ: الحمد لله.

السائل: حياكم الله وبارك فيكم يا شيخ.

الشيخ: حياك.

السائل: - حياك الله - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

والآن وبعد عرض أسئلة السائلين التي وجهت للشيخ ابن عثيمين، وعرض إجاباته على هذه الأسئلة يتبين:

أن ابن عثيمين لم يسأل السائل عن قصد عدنان من قاعدته «نصحح ولا نجرح»، وأن السائل الأول حين سأل بين أنّ قصد عدنان أهل البدع والرواة، فلم يخصص القاعدة بأهل البدع.

فهل يصح رمي عدنان للسائل بالتدخل في النيات ورميه بالخيانة والافتراء إلى آخر دعاوى عدنان.

وتبين أن عدنان هو الظالم المفتري على السائل.

وتبين أن ابن عثيمين أبطل كل قواعد عدنان دون أن يستفسر أي استفسار ولا لوم عليه فقد سلك الطريق الشرعي في الإجابة عما سمعه من القواعد الباطلة، وفي الإجابة على الأسئلة في المرة الثانية لم يذكر السائل قاعدة «نصحح ولا نجرح» ولا قاعدة «إذا حكمت حوكمت» إلى آخره، ولم يسأله ابن عثيمين أي سؤال، فما هو ذنب السائل؟ لا شيء، وأين الخيانة والافتراء وسائر دعاوى عدنان؟ لا ذنب على السائل إلا أنه سأل عن قواعد عدنان الفاسدة فبين ابن عثيمين فسادها وهذا لا يرضي عدنان فقال ما قال، وفي المرة الثالثة سُئل عن قاعدتين واستفسر عن كل واحدةٍ منهما، استفسر الشيخ عن كل واحدةٍ منها وأجاب في النهاية بأنه لابد من دراسة العقيدة، وبأنه إذا كان القصد من قاعدة «إذا حكمت حوكمت» التخويف من الرد على أهل البدع فلا يُهمنكم ذلك، قال هذا بفهمه لا أن السائل تدخل في نية عدنان، وما فهمه الشيخ هو المتبادر من هذه القاعدة ولم يرد أي سؤال في هذه المرة عن قاعدة «نصحح ولا نجرح» فبطل قول عدنان: أن ابن عثيمين سأل عن القاعدة فتدخل السائل في نية عدنان وحملها على أهل البدع.

السؤال الخامس:

نرجو منكم التعليق بما ترونه حول قاعدة عدنان «نصحح ولا نجرح» هل هي صحيحة كما يرى هو في دفاعه عنها، أم هي غير صحيحة من الناحية الشرعية.

الجواب:

باسم الله.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

هذه القاعدة «نصحح ولا نجرح»، وإن خالفت قاعدته الثانية «إذا حكمت حوكمت»، أو حكمت لفظًا فالمؤدي والمقصود واحد وهو إسكات السلفيين عن إبراز ما عندهم من حق وإبطال ما عند غيرهم من الباطل، ولإسكاتهم عن نقد أهل البدع والضلال.

وعلى كل حال فمهما كان قصده فهي باطلة صيغةً ومقصدًا، ولم نسمع له دليلًا عليها إلى الآن، ولو استدل لها لوقع في المجازفات، وبطلانُها واضحٌ من نقد القرآن الكريم في آيات كثيرة وفي سورٍ كثيرة، لأهل الباطل نقدًا مجردًا ليس فيه إلا ذلك النقد والتجريح لأعداء الله من الكفار والمنافقين وغيرهم.

ونقد الرسول ﷺ، ونقد السلف الصالح، وكتب الجرح والتعديل وخاصةً الكتب التي خصصت للجرح، فإن كل ترجمةٍ وردت في كتب الجرح الخاص تردُّ هذه القاعدة الفاسدة وتبطلها.

ومن تلكم الكتب التي خصصت للطعن في المجروحين كتاب «الضعفاء» للبخاري، وكتاب «الضعفاء والمتروكين» للنسائي، وكتاب «الضعفاء» للعقيلي، وكتاب «المجروحين» لابن حبان و«الضعفاء والمتروكين» للدارقطني، وكذلك كتب الجرح والتعديل المشتركة مليئة بالنقد المجرد الذي ليس فيه إلا الجرح فقط.

ويكفينا من ذلك نقد النبي ﷺ لأناس مكتفيًا بذكر العيب فقط؛ كقوله للخطيب: «**بئس خطيب القوم أنت**»[1].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجمعة حديث (٨٧٠).

وكقوله ﷺ: «بئس أخو العشيرة، - أو - ابن العشيرة»[1].

وكقوله ﷺ: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فضرَّابٌ للنساء - أو - لا يضع عصاه عن عاتقه»[2].

وكقوله ﷺ لمن أراد إسقاط دية الجنين: «إنما هذا من إخوان الكهان»[3].

فماذا يقال لمن يريد إسقاط منهج النقد بقواعده الفاسدة، وإسقاط منهج النقد إسقاطٌ لأصل عظيم لا يقوم الإسلام إلا به.

* * *

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب حديث (٦٠٣٢)، من حديث عائشة ﵂.

(٢) صحيح مسلم (١٨ كتاب الطلاق ١٤٨٠)، من حديث فاطمة بنت قيس.

(٣) البخاري في الطب حديث (٥٧٥٨) ومسلم في القسامة (١٦٨١).

السؤال السادس:

جزاكم الله خيرًا.

ما رأيكم في قول عدنان حول قاعدته «إذا حكمت حوكمت» من كلامه الآتي بصوته - أحسن الله إليكم -:

«هذه القاعدة «إذا حكمت حوكمت» الذي يعارضها يستتاب عندي، الذي يعارض هذه القاعدة يستتاب ثلاثًا وإلا يموت كُفرًا.

نقول: إذا حكمت على العباد ستتحاكم أمام الله - من يخالف هذا؟

هؤلاء قومٌ عطلوا عقولهم - ياخي كلام عربي مبين «حكمت حوكمت» مبني للمجهول.

إذا كذبت على واحد، إذا حكمت على واحد، إذا ظلمت واحدًا، ماذا سيكون مصيره؟

المحاكمة أمام الله - يعني هذا الكلام ما يختلف عنه:

إما زنديق، وإما متعجل عنصري، وإما حمار.

نقول يا عباد الله أطلقوا ألسنتكم في الحكم على العباد ستتحاكمون أمام الله».

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فكلام عدنان على من خالفه في هذه القاعدة، وإصداره هذه الأحكام على من يخالفه يناقض فيه هذه القاعدة، فإنه يحكم بالزندقة على من يخالفه، وينادي باستتابته، والاستتابة لا تكون إلا من ردة، إلى آخر الأحكام عليهم بأنهم حمير.

بل لماذا نذهب بعيدًا وهو يقول: يستتاب ثلاثًا وإلا يموت كفرًا، وأكد ذلك بالحكم بالعنصرية والزندقة.

هذه أحكام يا عدنان أترهّب الناس من الظلم والحكم الخاطئ وتقع فيما ينقض قاعدتك هذه، العلماء وطلاب العلم والمسلمون جميعًا لا ينكرون أن اللّٰه يحكم بين عباده فيما تظالموا فيه ولو في مثقال ذرة، لا ينكر أحدٌ من العلماء ولا من غيرهم من المسلمين هذه العقيدة العظيمة التي لا يكون المرء مسلمًا إلا إذا دان اللّٰه - تبارك وتعالى - بها، العلماء وطلاب العلم، إنما أنكروا صيغتك هذه في مواجهة المنهج السلفي، وفي الدفاع عن أهل البدع.

وأنا إلى يومي هذا لا أرى أحكامك وخصومتك وحربك إلا على السلفيين، وما رأينا منك مثل هذه الأحكام على أهل البدع الكبرى ولا حتى على العلمانيين، هذا شيء.

الشيء الثاني: وردت نصوص في الحكم بغير ما أنزل اللّٰه، ووردت نصوص في القضاة وأنواعهم وأن بعضهم إلى النار وبعضهم إلى الجنة، وورد وعيد شديد على من يجاهد وهو لا يريد وجه اللّٰه ﷻ وعلى من يتعلم ولا يريد بها وجه اللّٰه - تبارك وتعالى -، فلا يصح أن نأتي إلى المجاهدين ونقول: إياكم والجهاد؛ لأن رسول اللّٰه ﷺ توعد من جاهد لا يريد بذلك وجه اللّٰه.

ولا نأتي إلى طلاب العلم والعلماء ونقول: لا تتعلموا لأن في هذا خطرًا؛ لأن الرسول ﷺ قال كذا فيمن لا يطلب العلم لوجه اللّٰه.

فاعتراضك على من ينتقد أهل البدع، وعلى من يحكم عليهم مثلًا بأنهم مبتدعة مثل اعتراضك على من يجاهد بمثل هذه النصوص، وعلى من يتعلم بمثل هذه النصوص التي ورد فيها مثل هذا الوعيد، وعلى من يصلي بنصوص من يصلي رياءً.

إذا وضع إنسان قاعدة إذا صليت هلكت، وراح يشيع هذه القاعدة، فإذا سئل يقول: أنا أريد قول اللّٰه - تبارك وتعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1]، وساق نصوصًا فيمن يصلي رياءً.

ولو وضع إنسان قاعدة للمجاهدين، فقال: إذا جاهدت حوسبت.

---

(١) الماعون: ٤-٥.

إذا وضع إنسان قاعدةً للمتعلمين، فقال: إذا تعلمت حوكمت.

ووضع قاعدة للمنفقين أموالهم فيما يبدوا للناس في سبيل الله، وضع قاعدة وقال: إذا أنفقت هلكت أو حوسبت.

أو قل ما تشاء من عبارات التنفير والتحذير، فإذا اعترض على قواعده جاء مثلًا في قضية المجاهد، وقضية المنفق، وقضية المتعلم، جاء بقول النبي - عليه الصلاة والسلام: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجلٌ استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكن قاتلت ليقال إنك جريءٌ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكن تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

فما الفرق بين هذه القواعد التي يمكن أن يضعها رجل مثل عدنان، وبين قاعدة عدنان: «إذا حكمت حوكمت أو إذا حكمت حُكمت».

ما الفرق بينها إذا جاء يستدل بحديث: «القضاة ثلاثة: قاض في الجنة وقاضيان في النار»[2] وساق الحديث، قابله من وضع القاعدة في منع الجهاد، ومنع طلب العلم، ومنع الإنفاق والبذل في سبيل الله، قابله بهذا الحديث، ما الفرق؟

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي والحاكم، انظر الإرواء حديث رقم (٢٦١٤).

ذاك فيه ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة، وهؤلاء ثلاثة كلهم في النار، ما الذي يسوغ لعدنان أن يقعّد على هذه الطريقة، ويحرم على الآخرين التقعيد على نفس الطريقة.

كذلك لو أن إنسانًا أكد على الناس التحذير من الإنفاق، وقال: إذا أنفقت هلكت، وساق قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[1]، فهذا المرائي الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يقبل الله منه.

فهل نمنع الناس من الإنفاق في سبيل الله، ونضع لذلك القواعد مثل قواعد عدنان، ونحتج ونستدل بمثل احتجاجات واستدلالات عدنان، هل هذا يسوغ في الإسلام؟ وهل يقره من له عقل ودين؟!

أنا سقت هذه النصوص والنصوص كثيرة في بطلان قاعدة عدنان على هذه الطريقة في التقعيد.

عدنان يقعّد لمنع السلفيين من الحكم على أهل البدع.

ما هكذا يكون النهي يا عدنان والتقعيد بهذه الطريقة، لا يكون بهذا أبدًا، بل تسلك مسلك السلف في التحذير من البدع، وتحثُّ الناس على أن يحذروا منهم وأن ينصّوا على أعيان دعاة أهل البدع فيحذّروا منهم ويذموهم وينفروا منهم كما فعل السلف الصالح ولو تكلموا في العصاة وتكلموا في غيرهم وفسّقوا مثلًا، تقول: إن الله حرم الفسق وحرم الظلم وحرم المعاصي و . . . و . . . إلى آخره، ولا تضع القواعد لمنع الناس أن يتكلموا في هذا الباب ويحذروا.

هذه الطريقة من طرق التقعيد على هذه الأسس المتهاوية، هذا فيه هدم لقواعد الإسلام ذاتها، ورد للنصوص الشرعية التي تأمر مثلًا بالجهاد، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونقد أهل البدع والكلام عليهم، والتحذير منهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلو جئت تقول مثلًا لهؤلاء الذي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

---

(١) البقرة: ٢٦٤.

ويحذرون من البدع، جئت بقاعدة - إذا أمرت بالمعروف هلكت، وفي النار برحاك درت، ما هذه القاعدة؟، هذا غلط يقول لك يا فلان.

قلت لا ما هو غلط، أنا أقصد الحديث حديث أسامة بن زيد الذي رواه البخاري وغيره، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»**.

فلو وضع إنسان قاعدة لتحذير الشباب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأطلقها هكذا: إذا أمرت بالمعروف هلكت وفي النار برحاك درت، ورحت تهيج بهذه القاعدة وتشرق بها وتغرب بها فإذا نوقشت في ذلك هجت على العلماء وطعنت فيهم وجهلتهم وسفهتهم، وسفهت وأهنت من يسألهم ورميته بالتحريف والتبديل.

فإذا قيل: ما الدليل؟

قلت: القضاء ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار.

فما رأيك يا عدنان: لو أن إنسانًا وضع قاعدةً يقول فيها: إذا صليت حوسبت، وأرسلها هكذا، وخاف الناس منها وما عرفوا مقصوده منها وماذا ترمي إليه.

فإذا اعترض معترضٌ على هذه القاعدة قلت أو قال من وضعها، قال رسول الله ﷺ: **«أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم: الصلاة، يقول ربنا ﷻ للملائكة وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم»**[1].

فانظروا هذا شأن من يصلي لابد أن يحاسب، فهل نضع قاعدةً على الوضع الذي ذكرته لك ونشيع هذه القاعدة في الناس على إطلاقها ويكون مقتضاها

---

(١) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة.

الترهيب من الصلاة، فإذا جاء إنسان وقال: هذه القاعدة غير صحيحة فإنها تفيد التنفير والتحذير من الصلاة، جاء الذي وضع هذه القاعدة وجاء عدنان إذا كان وضعها وساق الحديث لتصحيح قاعدته.

أيقول الناس إن هذه القاعدة صحيحة؟، ويستدل أيضًا بقول النبي ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء»[1].

فيؤكد قاعدته بهذا النص أيضًا.

حديث ثالث:

«أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»[2].

أليس هذا الذي يسوق هذه الأدلة كلها لقاعدته: إذا صليت حوسبت، أو حوكمت، أو هلكت، أو إلى آخره، أليس له أدلة أقوى من أدلتك على قاعدة: إذا حكمت حوكمت.

فانظر ماذا يئول إليه تقعيدك، وكيف يفتح الباب على مصراعيه للتلاعب بالنصوص، والتحذير من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الصلاة والصيام والزكاة وهكذا.

هكذا يستطيع كثيرٌ من الناس أن يجروا على منوالك في التقعيد، فيأتون بمثل هذه القواعد، فإذا ضيقوا وحوسبوا على فساد تقعيداتهم جاءوا بمثل ما تستدل به أو أقوى منه، وهل يسلِّم لهم؟ وهل العلماء يسكتون عن مثل هذه التقعيدات.

هذه القاعدة أيضًا بالإضافة إلى ما سبق من بيان فسادها تزداد فسادًا إذا كان هناك أحاديث تبطل هذا العموم والإطلاق فيها.

فمن ذلكم قول النبي ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا من غير حساب

---

(١) رواه النسائي وابن نصر في الصلاة وابن أبي عاصم في الأوائل والطبراني في الكبير، انظر الصحيحة للألباني (١٧٤٨) عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه).

(٢) رواه النسائي والطبراني في الأوسط وابن نصر في الصلاة والضياء في المختارة ورواه أحمد أيضًا، انظر الصحيحة (١٣٥٨).

ولا عذاب»[1].

وورد في بعض الأحاديث وقد صحت أنه يضاف إلى كل ألف سبعون ألفا[2].

ويرد عليه حديث النبي ﷺ قال: «من حوسب يوم القيامة عذب، فقالت عائشة: أليس قال الله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، فقال: ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عُذب»[3].

وفي لفظ لمسلم: «ليس من أحد يحاسب إلا هلك».

فأولى الناس بهاتين المكرمتين هم أولئك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحذرون من البدع وأهلها، ويتحمّلون ألوان الأذى من أهل البدع ومن أعوانهم وممن يدافع عنهم، أولى الناس بهذه المكرمة -إن شاء الله- الذين يتبنون منهج السلف في النقد القائم على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وإن عارضهم من عارض، إن شاء الله يرجى لهؤلاء أن يدخلوا في هذه النصوص وهم -إن شاء الله- من أحق الناس بهذا الوعد العظيم، فلا يحاسبون ولا يعذبون، أو لا يحاسب الكثير منهم.

فما بقي لهذه القاعدة يا عدنان؟ ما الذي بقي لها؟

العلماء الذين انتقدوك على علم وعلى بصيرة، وأدركوا فسادها بأي صيغة وردت، والشروط التي اشترطها من التثبت الذي وضحته في غير موضعه ومن، ومن، ومن، كلها شروط باطلة تريد بها إبطال الحق وإهانة أهله ومصاولتهم ومحاربتهم.

والله ما وجدنا حربًا على السلفيين مثل حربك وحرب أمثالك، وكل هذا تفعله تحت شعار السلفية.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٦٦)، والطبراني (١٠٠٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٣٤) عن ابن عباس ﵄.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في كتاب البعث (٤١٦).

(٣) رواه البخاري في مواضع ورواه مسلم.

فيا عدنان: إن قواعدك باطلة، إن قواعدك باطلة، إن قواعدك فاسدة، وأهدافها فاسدة، وما افتعلته من مبررات لها كل ذلك من التلبيس يا عدنان كل ذلك من التلبيس، فأنت تارة تقول: إنك وضعتها للشباب- أهكذا يكون التقعيد - تقعّد للشباب فقط، أليس النساء أكثر أهل النار، أليس يحتجن إلى تقعيد فهل نضع لهنّ قواعد أخرى، أليس الشيوخ والآخرون والكهول بحاجةٍ إلى قواعد أتتركهم هكذا وأنت مسئولٌ عنهم أتتركهم مفلوتين بدون قواعد؟ وتختار الشباب فقط، مهما عللت وبررت فإنها تعليلات باردة، مرة تقول أيضًا تريد أن تكبح بها جماح الذين يقاومون الحكام من الشباب.

ما قلت هذا بالنص، ولكن بمعناه بفحواه قلت هذا الكلام، وتأتي بتبريرات، والصحيح أنك ما تريد إلا مقاومة السلفيين وإيذاءهم كما آذيتهم سابقًا وإلى الآن لا تزال تؤذيهم، وكنت تتحاشى من أمورٍ الآن جهرت بها.

فأهنت العلماء وبعد إهانتهم ترى أنه لو يأتي مئات منهم لا يمكن أن تقبل كلامهم، وتقول إنك صاحب الدليل ونحن أهل الدليل، فإذا جاء الحق عليك ولو قرره مئات العلماء لا ترفع لكلامهم رأسًا تهينهم فإذا جاء كلام أحدٍ مثل الألباني أو ابن باز كما تزعم - وهما والله ليسا معك - فإذا زعمت أنهما معك رفعت من شأنهما، قائلًا شيخي وشيخي وقال شيخاي وسألت شيخي وإلى آخره.

فإذا جاء من يقول بالحق والدليل وخالفك هجت وثرت عليه وزمجرت وفعلت الأفاعيل.

أهكذا الدعاة إلى الله - تبارك وتعالى -؟!

أنت تستحق والله يا عدنان غير هذا الكلام - والله ما أحد آذى المنهج السلفي وأهله مثلك - فاتق الله.

تحاربهم بشتى الأساليب وتقعُد لحربهم وتضع القواعد الشيطانية لمحاربتهم وتؤيد منهج الموازنات - وتأتي بأدلةٍ تبالغ فيها أكثر مما يبالغون.

ثم إذا قيل لك إنك تقول بمنهج الموازنات؟

تقول: أنا ما أقول بمنهج الموازنات، أنا على طريقة شيخي ابن باز والألباني[1]، الآن تقلد، فإذا جاء الحق عليك فيما ترى أنت رفضته ومع ذلك تدعو إلى التحاكم تدعو إلى التحاكم إلى أناس ثم صرت تسبهم وتشتمهم وتؤصل القواعد لحربهم، وإذا رأى من تحاربهم وتفتري عليهم أنه لا داعي للتحاكم؛ لأن الحق لهم ولا يجوز لهم أن يحاكموك؛ لأن الحق لهم، وهم متنازلون عن حقهم، تسبهم، وهذا يبلغهم من زمن قديم، حتى أنك تسبهم بألفاظ لا يقولها السوقة، كالكلب، والحمار و. . . و. . . إلى آخره، وقد أعلنت مثل هذا كما سبق قريبًا؛ بل وتكفر، ومع ذلك فإني لما دعوت إلى التحاكم، لبَّيت هذه الدعوة، وبلغتها لباسم، ودعوت إلى المباهلة، فوافقت على المباهلة ثم نظرت في الأمر، فقلت: إن الخصام بيني وبينه في سيد قطب وفي غيره من المسائل العظيمة، وقد أيدني العلماء فيما كتبت، فلنترك قيل وقال، وليكتب عدنان موافقة العلماء فيما أيدوا فيه ربيعًا يؤيد مثل العلماء، ما هو بعالم ولكن نريد أن نستريح من شره.

والآن قد تبين لك أيها السامع الكريم فساد القواعد الثلاث وغيرها مما ناقشناه من قواعد عدنان وكلامه، ومن تلكم القواعد التي انتهينا الآن من مناقشتها وهي قوله: «إذا حَكَمْتَ حُكمت -أو- حوكمت»، كما قالها بلسانه، تبين لك فسادها وفساد ما مرَّ.

والآن نريد أن نسوق كيف وجهت الأسئلة إلى العلماء وبأي الصيغ صيغت هذه القواعد، لترى كما قررنا بطلانها في ضوء الأدلة وكما أدرك العلماء بطلانها.

سُئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، أول مرة عن ست قواعد من قواعد عدنان فأبطلها كلها، ومن هذه القواعد قاعدة: «إذا حَكَمْتَ حُكمت» بصيغة من حَكَمَ حُكم عليه، فقال: «هذه قواعد مداهنة».

---

(١) مع أن الشيخين قد اختلفت وجهة نظرهما فابن باز لا يرى الموازنات، والألباني صرح بأن منهج الموازنات بدعة وكرر ذلك، لكنه يرى أنه في حال الترجمة تذكر الحسنات والسيئات، والصواب مع ابن باز والأدلة وكتب الجرح تؤيده، فظهر لك بطلان تعلق عدنان بالشيخين لأنه لا يعرف مذهب الرجلين وإنما يجازف كعادته.

يقصدها وما معها من القواعد التي سُئل عنها .

وسُئل مرةً أخرى من هولندا عن هذه القاعدة وغيرها من أقوال عدنان، وكانت صيغة هذه القاعدة في هذا السؤال: «إذا حَكَمْتَ حُكِمْتَ، وإذا دعوت أجرت»، فسأل الشيخ السائل بقوله: «وأيش المعنى»، فأجابه: بأنها قاعدة قعدها، فسأله مرة ثانية عن معناها، فأجابه السائل بقوله: هو ربما يقصد يا شيخ بهذا إذا حكمت على أشخاص فسوف تُحكم هذا ربما قصده بهذا الكلام.

فقال الشيخ ابن العثيمين: «إذا كان يريد أن يخوفكم من الرد على أهل البدع، فلا يُهمنكم»، وقال قبلها: «أقول وإذا دعوت أُجرت صحيح».

وأقول أنا ربيع: وهذه أيضًا تحتاج إلى تفصيل، فإن كانت الدعوة إلى حق وصاحبها مخلص في دعوته فهو مأجور، وإذا كانت الدعوة من مبتدع أو إلى بدع فهو مأزور، وقد يكون من الدعاة على أبواب جهنم.

وسُئل الشيخ ابن العثيمين عن عدنان، فقال: «ما نعرفه، إلا أنّ له كتابًا أظنه في المواقيت - هكذا حدَّ - منعت دار الإفتاء من تداوله، لما فيه من الأخطاء، وأما غير هذا فلا أدري عنه شيء»[1].

فالشيخ ابن العثيمين لا يعرف هذا الرجل إلا عن طريق هذا الكتاب الذي صدرت فتوى من دار الإفتاء رقم [١٩٢١٠، وبتاريخ ٢/ ١١/ ١٤١٧هـ]، وعليها أسماء اللجنة الدائمة للإفتاء، ومن ضمنهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورد في هذه الفتوى قول هيئة كبار العلماء، وبعد دراسة اللجنة للإفتاء أجابت بما يلي:

سبق وأن صدر من سماحة المفتي العام، بيان حول الكتاب المذكور، هذا نصه:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن رسول الله ﷺ قد بين مواقيت الإحرام، التي لا يجوز بمن مرّ بها

---

(١) صدر ردي هذا في حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، في أشرطة مسموعة بعنوان «دفع بغي عدنان على علماء السنة والإيمان».

يريد الحج أو العمرة تجاوزها بدون إحرام - ثم ذكر المواقيت ذا الحليفة والجحفة، ويلملم، وقرن المنازل، ومن كان منزله دون هذه المواقيت فإنه يحرم من منزله - ثم قال -: والذي أوجب نشر هذا البيان أنه قد صدر من بعض الإخوة في هذه الأيام كُتيب اسمه «أدلة الإثبات على أن جُدة ميقات» يحاول فيه إيجاد ميقات زائدٍ على المواقيت التي وقتها رسول الله ﷺ، حيث ظن أن جدة تكون ميقاتًا للقادمين في الطائرات إلى مطارها، أو القادمين إليها عن طريق البحر أو عن طريق البر، فلكل هؤلاء أن يؤخروا الإحرام إلى أن يصلوا إلى جدة، ويحرموا منها لأنها بزعمه وتقديره تحاذي ميقاتي السعدية والجحفة، فهي ميقات وهذا خطأ واضح يعرفه كل من له بصيرة ومعرفة بالواقع؛ لأن جدة داخل المواقيت، والقادم إليها لابد أن يمر بميقات من المواقيت التي حددها رسول الله ﷺ، أو يحاذيه برًا أو بحرًا أو جوًا، فلا يجوز له تجاوزه بدون إحرام إذا كان يريد الحج أو العمرة لقوله ﷺ، لما حدد هذه المواقيت: «هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن يريد الحج أو العمرة»، فلا يجوز للحاج والمعتمر أن يخترق هذه المواقيت إلى جدة بدون إحرام ثم يحرم منها؛ لأنها داخل المواقيت، ولما تسرع بعض العلماء منذ سنوات إلى مثلما تسرع إليه صاحب هذا الكتيب -يعني عدنان- فأفتى بأن جدة ميقات للقادمين عليها، صدر عن هيئة كبار العلماء قرار بإبطال هذا الزعم وتفنيده - وذكروا الأدلة على بطلان قوله، ثم قالوا -: ولواجب النصح لله ولعباده رأيت أنا وأعضاء اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، إصدار هذا البيان حتى لا يغتر أحد بالكتيب المذكور، وبالله التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

نائب الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

- ثم ذكر الأعضاء فقال -:

عضو: عبد الله بن عبد الرحمن الغديان.

بكر بن عبد الله أبو زيد (عضو).

صالح الفوزان الفوزان (عضو)».

فهذه سابقة لعدنان، فلا ندري أيعتبرها تزكيةً من الشيخ عبد العزيز بن باز، فإذا كان يعتبرها تزكية فليعتبر انتقاد العلماء لقواعده تزكية، ولا سيما أن ثلاثة منهم من هيئة كبار العلماء، وهم: العثيمين، والغديان، والفوزان، وإن كان يراها جرحًا فعليه أن يهجم على ابن باز، ومن شاركه في إصدار الفتوى ضد كتيب عدنان.

أما الشيخ صالح بن فوزان الفوزان فقد سئل عن قواعد عدنان، ومن ضمنها هذه القاعدة بلفظ: «إذا حَكَمْتَ حُكِمْتَ، وإذا دعوت أجرت»، فأبطل القواعد التي سئل عنها كلها، وقال عن هذه القاعدة: محدثة مالها أصل، وحذر من عدنان.

وسُئل ابن غديان عن بعض قواعد عدنان ومن ضمنها هذه القاعدة بلفظ: «من حَكَمَ حُكِم عليه»، فبين ما فيها من خلل وحذر من عدنان.

وسُئل الشيخ عبد المحسن العباد عن بعض أقوال عدنان، ومن ضمن ما سُئل عنه هذه القاعدة بلفظ: «إذا حَكَمْتَ حُكِمْتَ»، وقاعدة: «نصحح ولا نجرح»، فذكر عدنان بسوءٍ وحذر منه.

وسُئل الشيخ أحمد بن يحيى النجمي مرتين عن قواعد عدنان وبعض أقواله، ومن ضمن ما سُئل عنه هذه القاعدة مرةً بلفظ: «من حَكم حُكم عليه»، ومرة أخرى بلفظ: «إذا حَكمت حُوكمت، وإذا دعوت أجرت»، فأبطل ذلك وحذّر من عدنان.

وسُئل الشيخ زيد بن هادي المدخلي - حفظه الله -:

قال السائل: القاعدة الأولى: «نقول نصحّح ولا نجرح» فما قول سماحتكم في هذه القاعدة؟

فأجاب الشيخ - حفظه الله -: هذه القاعدة ليست من قواعد أهل العلم ليست من قواعد العلماء الربانيين الذين يعتدّون بعلمهم وإنما قواعد العلماء سابقًا ولاحقًا: التصحيح لمن يستحق التصحيح والتجريح لمن يستحق التجريح، وعلى هذا مشى أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم إلى يوم الدين، وما كتب

الجرح والتعديل عن الأذهان ببعيد، وهذه من المغالطة، صاحبها إما أن يكون جاهلًا وإما أن يكون ملبِّسًا ومضللًا للناس فحسبه الله.

ونسأل الله أن يهديه ويرده إلى الحق ردًا جميلًا.

قال السائل: بالنسبة للقاعدة الثانية تقول: «إذا حكمت حوكمت وإذا دعوت أجرت» فما هو تعليق سماحتكم على هذا الكلام؟

فأجاب - حفظه الله -: وهذا أيضًا، وهذه قاعدة خاطئة باطلة، قد يكون المراد منها الترهيب لمن يتصدى لرد الخطأ وبيانه للناس لئلا يرتكس فيه من يجهل، والترهيب لمن ينصر السنة وينشرها ولا يتم نصر السنة ونشرها على الوجه الأكمل إلا بدحض البدع التي تحارب السنن وتريد أن تحلّ محلّها، فهذه قاعدة أيضًا كسابقتها قاعدة خاطئة لا تصدر إلا من إنسان يريد أن يغالط نفسه ويُخشى عليه أن [يتلقها] وكذلك يريد أن يغالط غيره سواءً بعلم أو بجهل فإذا كان بعلم فقد ارتكب مأثمًا عظيمًا وإن كان بجهل فقد ارتكب أيضًا خطأً كبيرًا لأنه لا يجوز لأحد أن يقول على الله أو على رسوله ﷺ إلا بعلم مُتيَقّنٍ كالشمس في رابعة السماء، أمفهومٌ هذا؟

قال السائل: أثابكم الله.

وهناك علماء سئلوا عن بعض أقوال عدنان، فما يُعرض عليهم شيء من أقواله أو قواعده إلا وبينوا فسادها، وكل هذا حصل من العلماء بغير تواطؤ، وذلك لأنهم ينهلون من منهل واحد، فتشابهت فتاواهم، ينهلون من كتاب الله ومن سنة رسول الله ومن منهج السلف الصالح ومن أصولهم وفقههم، فلم يظلموا عدنان، وكلما جاءت هذه القاعدة في صيغة من الصيغ، بينوا فسادها وبطلانها؛ لأنه لا يسمعها إنسان عرف منهج السلف وعرف طرفًا من العلم إلا وتبين له فسادها وبُطلانها، صياغةً واستدلالًا إذا ساق عليها الأدلة، فإنه لو ساق الأدلة التي قالها مؤخرًا لما قبل ذلك منه العلماء، كما سيرفضون القواعد التي تُنسج على منوال قواعد عدنان وتجري في مجرى قواعده، كمثل القواعد التي افترضناها وبينا أنه لا فرق بينها وبين قاعدة عدنان، مع أنها من حيث الاستدلالات أقوى من استدلال عدنان، ولو اتسع المقام لسقنا لكم كلام العلماء الذي تضمن إبطال قواعد وأقوال

كثيرة لعدنان؛ لأنه - والله أعلم - غير موفق في أقواله سواءً كانت تقعيدًا، أو بأي أسلوب كانت.

فالرجل مسكين غير موفق في أقواله، وعباراته تأتي معضلة، وتأتي ملتبسة، وتُريك السامعين، وقد بينوا له هذا وشكوا له هذا الأسلوب، وهو قد يعترف أحيانًا بأن هذا الأسلوب أسلوب غير سليم.

ومن هنا أنا نصحته بأنه يترك الدعوة إلى الله - تبارك وتعالى - حسب ما يدعي؛ لأن ما يُفسد أكثر وأكثر أضعافًا مضاعفة مما يُتصور أنه يصلح، فالشر غالب على أسلوبه ومنهجه وتقعيده وما رجح فساده حَرُمَ لرجحان فساده على ما يتصور أنه سيصدر عنه من إصلاح.

وأعيد له هذه النصيحة بعد سبه للعلماء وإهانته لهم، وبعد ردي هذا عليه وإبطال هذه القواعد مرةً أخرى بالأدلة الواضحة، وبيان فساد ما يُماثلها من القواعد، فنصيحةً لهذا الرجل لسلامة نفسه ولسلامة شباب الأمة من بلبلته وفتنته، أن يلزم بيته، وعلى ماذا يحسده ربيع. أعلى الكذب؟ أعلى هذه القواعد الفاسدة؟ أعلى سبه لعلماء المنهج السلفي؟ على أي شيء تحسد يا عدنان، والله إن بعض أعمالك لتجعل الإنسان يخجل أمام الله وأمام الناس أن يكون منافسًا لك فيها، ونعوذ بالله أن نافسك أو ننفس عليك أو نحسدك على شيء، فإن هذا شيء لا تحسد عليه، والعاقل المسلم يسأل الله العافية ويضرع إلى الله - تبارك وتعالى - أن يُعافيه مما ابتلاك به من البلايا المدمرة، فافهم هذا أنت وغيرك ولا تلبس على الناس، فإننا لا نحسد والله أحدًا يقدم خيرًا للإسلام، ونُدين الله بأن الحسد من خصال اليهود، ونبرأ إلى الله مما رميتنا به، وقد يكون هذا داؤك وقد تكون حركاتك هذه حربًا لربيع في الدرجة الأولى، وفي الدرجة الثانية حربًا لغيره من السلفيين، فلو كان هناك مجال للرمي بالحسد، لكنت والله الأولى أن ترمي بهذا الداء، أما أنا فأشهد الله أنني أتمنى رجالًا كُثرًا في العالم الإسلامي لا من مثل عدنان ولا مثل ربيع، بل أتمنى من أمثال ابن تيمية وأحمد ابن حنبل، وأمثال هؤلاء أن يكثروا وينتشروا في العالم الإسلامي لإنقاذ كثير منهم مما وقعوا فيه من البدع والضلال، وما وقعوا فيه من الانحراف.

فمعالجة أمثال عدنان لمشاكل المسلمين لا تزيدهم إلا بلاءً ودمارًا، فيا ويل

الأمة إذا تصدى لهدايتها وإصلاحها من أمثال هذا الرجل، يتصدى لإصلاحها أمثال مشايخ العلم الموجودين ومن هو أكبر منهم كأمثال ابن تيمية، ونحن نتمنى أن يزيد اللَّه العلماء الموجودين من العلم، يزيدهم العلم الكثير وأن يرزقهم الجاه والقبول لدى الأمة حتى ينتشر فيهم الحق والخير، وحتى ينكشف عنهم ما نزل بهم من الكوارث، وما نزلت بهم من البلايا.

أما هو فقد عرف منهجه، وعُرفت أخلاقه، وعرفت سيرته وعرفت مقاصده من خلال مواقفه وتصرفاته، ولاسيما إذا بُين له خطؤه، لا يعالج ولا يراجع العلماء على أسلوب المتواضعين، بل يراجع ذلك على أسلوب الاستهانة والتحقير وأسلوب التعالي والترفع، فيقول: هذه الفتنة ما غبرت ظفري، ولكنها غبرت المسلمين وغبرت المراكز الإسلامية.

ما شاء اللَّه يا عدنان إلى أي درجة وصلت من القوة والعظمة والشجاعة، إنني أعتقد أنك لا تملك الحد الأدنى من القوة والشجاعة وإنك لترتعد من الإجابة على أضعف الأسئلة، فتقول غير مرة: أنا صعلوك أنا لي أطفال، ولكن السر في أن الفتنة لا تغبر ظفرك؛ لأنك مجند لإثارتها فهي تسرك وتفرحك ولا تضرك.

كيف تضع نفسك في هذه المنزلة العظيمة، وتضع العلماء في أخس المنازل، تحت اليهود والنصارى والمجوس، فلا علم، ولا تثبت، ولا ورع، ولا تقوى ولا، ولا، ولا، أمثل هذا الرجل يصلح لحمل العلم ونشره؟ - نسأل اللَّه العافية-.

أعيد لك النصيحة يا عدنان، لقد واللَّه تورطت تورطات كبيرة، في تقعيدك وفي محاربتك العلماء بهذا الأسلوب الذي لا يعرف حتى من أشد أهل البدع على أهل السنة، فنصيحتي لك مرةً أخرى أن تلزم بيتك، وتريح الناس والعلماء والسلفيين والمنهج السلفي من أفكارك وقواعدك الباطلة التي تحامي بها عن أهل البدع والضلال، وما أنشأتها إلا لهذه الأهداف شئت أم أبيت، وقد عرفنا ذلك - والحمد لله - ما نتهمك وإنما عرفنا ذلك من حرب طويلة ومن مواقف كثيرة ومن تقلبات ومن وعود كاذبة عرفها ربيع وغيره، ومن تصرفات سيئة، عُرفت عنك في بشاور، وعرفت عنك في غيرها، فافهم هذا واستفد منه فإنه خير لك.

جزاكم اللَّه خيرًا.

السؤال السابع:

حفظكم المولى، ما تعليقكم على كلام عدنان الآتي - أحسن الله إليكم -:

«عمد السائل الخبيث، لما سأل الشيخ ابن عثيمين قال له الشيخ: تصحح ونجرح، أيش يقصد أو كذا، قال يقصد أهل البدع، ما شاء الله فضلًا عن التحريف والافتراء والكذب والخيانة صار يعرف النيات، السائلون المجهولون، وإذا سقط الجاهلون سقطت أجوبة الشيوخ معهم، لماذا؟ لأن أجوبة الشيوخ كانت على أسئلة مجهول ثبتت الآن لدينا خيانته تحريفه كذبه دخوله في النيات».

الجواب:

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن كلام عدنان هذا عليه مآخذ من جهات:

الأولى: أنه يوهم السامعين أن السؤال ما صدر إلا من سائل واحد، والأمر الواقع بخلاف ذلك، فإن الأسئلة صدرت عن عدد من السائلين، ثلاثة أو أكثر.

ثانيًا: يوهم أن السؤال ما كان إلا بصيغة واحدة، بينما هناك أسئلة كانت بصيغ مختلفة، منها ما هو بالمعنى الذي لا يجوز أن يسمى تحريفًا ولا كذبًا ولا خيانة، فإن الرواية بالمعنى أمر جائز - ولله الحمد - فإذا عبر عن حديث رسول الله بالمعنى تعبيرًا صحيحًا قُبل منه الحديث بالمعنى، فإذا عبر أحد عن كلام شخص من البشر تعبيرًا صحيحًا بالمعنى قبل منه، ولا يجوز لمسلم أو لا يقول مسلم إنه كذب أو خيانة.

وهذا السائل الذي سأل ابن عثيمين، سأل بصيغة من صيغ عدنان عرعور، فإن له صيغتين كما ذكرنا، صيغة: «إذا حَكمتَ حُوكمتَ»، وصيغة: «إذا حَكمت حُكِمتَ»، فالسائل في هذه المرة سأل ابن عثيمين بهذا اللفظ: «إذا حَكمت حُكِمت».

ثالثًا: لما سأله ابن عثيمين لم يجب بما قاله عدنان «يقصد أهل البدع» وإنما أجابه بقوله: «إذا تكلم في أشخاص أو حكم على أشخاص» ولم يقل أهل البدع

ولا غيرهم، ومع ذلك فإن ابن عثيمين، أجاب بما يفهمه من كلام عدنان، أنه يقصد الدفاع عن أهل البدع، فقال من قبل نفسه بعدما سمع إجابة الطالب بأنه يقصد أشخاصًا ولم ينص على أهل البدع، أجاب من عند نفسه قال: «إذا كان يقصد الترهيب أو التحذير من نقد أهل البدع أو كما قال فلا يهمنكم»، هذا قول ابن عثيمين، فالطالب لم يحرف ولم يخن ولم يفترِ ولم يكذب.

وبالمناسبة أحب أن أذكِّر القراء بأن الشيخ ابن العثيمين سُئل عن قاعدة عدنان هذه بصيغتين:

الصيغة الأولى: كان السائل قد سأل بالمعنى فقال: «من حَكم حُكم عليه»، فأجابه الشيخ - دون أن يسأله - بما يُدين هذه القاعدة.

وفي المرة الثانية: لما سُئل بلفظ: «إذا حَكمت حُكِمتَ»، سأل؟ فأجابه السائل بما سمعتم ولم يعين أهل البدع، وابن عثيمين من عند نفسه حَكم على هذه القاعدة بهذا اللفظ، بمثل ما حكم عليها باللفظ الأول بالمعنى.

وإذن؛ فالطالب مرةً أخرى لم يكذب ولم يحرف ولم يخن ولم يرتكب شيئًا يستحق به الذم، وأما كونه مجهولًا فهو معروف عند غير عدنان، فلا يجوز أن يُطلق عليه الجهالة، وهو معروف عند غيره، فإذا كان هو يجهله أو يتجاهله فإنه معروف عند غيره هذا شيء، وقد قدمنا فيما سلف في هذه المناقشة لعدنان أنه لا يشترط في السائل أن يكون معلومًا، وضربنا عددًا من الأمثلة من الأسئلة التي وجهت لرسول الله ﷺ، والسائلون غير معروفين، فأجابهم - عليه الصلاة والسلام -، ولم يسألهم عن أعيانهم وعن أشخاصهم وعن تزكياتهم وعن أماناتهم وصدقهم لم يسأل عن ذلك، فأجاب على السؤال الذي وجّه له بالحكم الشرعي الذي تتطلبه إجابة هذه الأسئلة.

فقول عدنان: إنه سقط هذا الجاهل فسقطت أحكام العلماء التي بنيت عليه، كلام باطل - كلام باطل؛ لأنه أولًا: لم يكذب ولم يحرف.

وثانيًا: لا يشترط في السائل أن يكون معلومًا، والعلماء هم أعرف بهذه القضايا وعدنان لا يعرفها، أو يعرفها ويُلبس على الناس بهذه الأساليب، فثبت

هذه الأجوبة من العلماء؛ لأن السائل كان أمينًا ودقيقًا في نقله، والسائل لم يتدخل في النيات كما زعم عدنان، ولم يحرف ولم يُبدل، فالسؤال سليم صحيح، والإجابات من العلماء الذين وردتهم الأسئلة بثلاث صيغ وكلها تتفق، لفظان من صياغة عدنان ولفظ بالمعنى، وأجابوا على هذه القاعدة بإسقاطها، فسقطت قواعد عدنان التي تناهض منهج السلف، وتخالف النصوص، وطريقه في هذا التأصيل طريقة أهل البدع.

وإليكم سؤال السائل الذي وجه له عدنان هذه الاتهامات، وهذا الشتم الشنيع، ومنها رميه بالخبث والكذب.

إليكم صيغة السؤال الذي وجهه إلى ابن العثيمين، وسأله عن قصده، فأجابه بخلاف ما ينسبه إليه عدنان:

السائل: في كذلك سؤال ثاني يا شيخ، يقول كذلك:

«إذا حكمت حوكمت، وإذا دعوت أجرت».

فما هو قول سماحتكم في هذا؟

الشيخ: وإيش المعنى؟

السائل: هو قال- «إذا حكمت حوكمت، وإذا دعوت أجرت».

الشيخ: ها؟

السائل: هذه قاعدة هو قعدها.

الشيخ: «إذا دعوت أجرت» - هذا صحيح.

السائل: نعم، قال: «إذا حكمت حوكمت، وإذا دعوت أجرت».

الشيخ: أقول: «إذا دعوت أجرت»، هذا صحيح.

السائل: نعم.

الشيخ: ولكن وإيش معنى: «إذا حكمت حوكمت»؟

السائل: نعم، نعم.

الشيخ: ها.

السائل: نعم، هو ربما يقصد في هذا إذا حكمت على أشخاص فسوف تحكم، هذا ربما قصده في هذا الكلام.

الشيخ: إذا كان يريد أن يخوفكم من الرد على أهل البدع.

السائل: نعم.

الشيخ: فلا يُهمنكم.

السائل: الله أكبر، حياكم الله يا شيخ.

الشيخ: نعم.

* * *

السؤال الثامن:

ما ردّ فضيلتكم - حفظكم الله - على كلامه الآتي:

«الآن لنري من هو الكاذب الآن، أدعوه عند الشيخ ابن العثيمين طيب انتهت المشكلة، فإذا أبى ثبت أنه لا يرضى التحاكم إلى الكتاب والسنة، أو يأبى التحاكم إلى الكتاب والسنة، وثبت أنه يكذب، هذا الشيخ ابن العثيمين الآن حي، ولا أتصور أنه بعد ستين ثلاث -أطال الله في عمره- لو توفي يقول: دعاني إليه وهو مريض».

الجواب:

إن جرحك يا عدنان لربيع ورميه بالكذب، لا يضر ربيعًا -إن شاء الله-؛ لأنه معلوم مقرر عند أهل السنة والجماعة وغيرهم: أن طعن الكذابين، وأهل البدع، فيمن عرفوا بالصدق والأمانة لا يضرهم أبدًا، فألف عدنان من أمثالك من أهل الكذب والتحريف والتلبيس لا يزيد ربيعًا -إن شاء الله- عند العقلاء إلا ثقةً وطمأنينةً؛ لأن ربيعًا لا يكره شيئًا أكثر من الكذب ولا يُبغض أكثر من الكذابين، وهو يحارب الكذب ويربي أبناءه وإخوانه وتلاميذه على الصدق بكل صراحة، وهذا شيء معروفٌ عنه.

وأما تلفيقاتك لتبين منها أن ربيعًا يكذب، فهذا من تلفيق الأفاكين، برأ الله منه عباده المؤمنين المناضلين عن منهج السلف، الذي تحاربه يا عدنان بشتى الطرق الملتوية، فأنت ما تحارب ربيعًا إلا لأنه -إن شاء الله- رفع راية السنة في مواجهة أهل الباطل، فأنت تحاربه من هذا المنطلق ولا يستبعد من أمثالك أن يرموا ربيعًا بالكذب، فلك أسلاف رموا الأنبياء بالكذب والسحر والكهانة وما ضر ذلك أولئك، ورموا أئمة الإسلام والمصلحين بمثل هذه الاتهامات، ولكن ذلك لا يضيرهم، فأنت لا يضرنا دعواك أننا نكذب -إن شاء الله-، لا يضيرنا، ولا يزيدك عند الله - تبارك تعالى - وعند المؤمنين إلا سقوطًا، فإلى الهاوية يا عدنان -إن شاء الله تعالى- لا أقول هاوية النار، ولكن الهاوية في الدنيا إلا أن

تتوب، فإنك هويت وسقطت بهذه المقاومة وعرف الناس أنك كذاب ملبس، ألست الذي تدعي أنك أكثر الناس دراسةً على الشيخين، وقد كذبك الشيخ الألباني نفسه فقال: «هذه مبالغة»، وكذبك سليم الهلالي، وكذبك خير الدين الوائلي الذي يعتبر أول أو من أوائل طلاب الشيخ الألباني، فقال: إنه لا يعرفك ولا يعرف هذا عنك، كذبك تلاميذ الشيخ ابن باز جلساؤه والموظفون معه، وتبين هنا افتراؤك على المسائل ومجازفاتك، كما وضحنا ذلك آنفًا.

والأخ عبد القادر جنيد في كتابه «عدنان عرعور وبعض انحرافاته» في ص [١٩] قال: «وقد سألت الشيخ عبد العزيز الراجحي - حفظه الله - وهو ممن لازموا دروس الشيخ عبد العزيز بن باز - رَحِمَهُ اللهُ ملازمةً طويلة، ومن أكثر طلابه أخذًا عنه، عن الأستاذ عدنان عرعور، فقال: «ما أذكر أنه قرأ على الشيخ ابن باز، وكان حُضوره قليلًا».

وقال عن كلامه هذا ليس بصحيح يريد دعواه أنه أكثر الناس أخذًا ودراسة عن الشيخ ابن باز، وقرأت هذا الكلام على الشيخ عبد العزيز الناصر في مكتبه بدار الإفتاء بالطائف، وهو ممن لازم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ طويلًا في دروسه في بيته وفي مكتبه بدار الإفتاء وبدأت هذه الملازمة من عام ١٣٧١هـ إلى قبيل وفاة الشيخ بساعات أي نحو تسع وخمسين سنة، ومما قرأه على الشيخ ابن باز كتاب «صحيح مسلم» مع شرحه للنووي ثلاث مرات، فقال لي في حق هذا الكلام: «ليس بصحيح، حضر عند الشيخ قليلًا، أما كونه جلس على الشيخ، وقرأ كتابًا ولازمه فلا أحفظه»، وقرأت هذا الكلام على الشيخ محمد بن سعد الشويعر في مكتبه بدار الإفتاء بالطائف، فكتب لي: «كنت عند الشيخ من ثمان عشرة سنة، ملازمًا له وما رأيت هذا الشخص ولو رأيته الآن ما عرفته، وعملي مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ بدأ من مطلع شهر شعبان سنة ١٤٠٢هـ ولم أره، وقد يكون درس على الشيخ قبل أن ألتحق بالعمل عنده» اهـ، وقرأته أيضًا عبر الهاتف على الشيخ سعد بن عبد الله الحصين، فقال لي: «هذا الكلام غير صحيح».

أما أنا فأقسم بالله العلي العظيم، فاطر السموات والأرض أنه جمعني لقاء بالأستاذ عدنان عرعور في منزل أحد الإخوان وبتنا عنده سويًا فقال لي: إنه درس

على الشيخ ابن باز تسع سنين ولا يومًا استفاد منه قاعدة واحدة كما استفادها من الشيخ الألباني، ومن يومها وأنا كلما قابلته أو سمعت عنه ذكرتها وكأنها للتو، وكان ذلك في العام الموافق ١٤١٣ هـ أو ١٤١٤هـ.

أما بالنسبة للشيخ العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - فقد أرسلت إليه هذا الكلام عن طريق أحد طلابه، وعبر الفاكس، فكتب عليها الشيخ بخط يده وبالقلم الرصاص «فيها مبالغة»، وقرأت هذا الكلام على الشيخ علي بن حسن عبد الحميد عبر الهاتف فقال لي: «إن الشيخ الألباني له في الأردن نحو عشرين سنة ولم يحضر إليه عدنان عرعور إلا نحو ثلاث مرات، وذلك فيما يذكر» انتهى.

فهذا الادعاء العظيم الذي يدعيه عدنان، بالنسبة لدراسته على الشيخين، كل العقلاء يعرفون أنه كذب، وسمعتم شهادات هؤلاء في تكذيبهم له، ولكنه يسلك مسالك الصوفية الباطنية في التأويلات، فكل باطل من أباطيله له تأويل فيخرج في زعمه بهذه التأويلات من المآزق الخطيرة التي يقع فيها، ولكن عند من يخرج؟ عند أمثاله من الملبسين والمراوغين، وأما عند العقلاء والمنصفين فلا يفيده ذلك عندهم شيئًا.

أما ما يتعلق بالمطالبة بالمحاكمة عند ابن عثيمين، فقد طلب هذا منه وأرجف عليه إرجافًا شديدًا وتظاهر بأنه مظلوم وأنه ظلمه ربيع و.. و إلى آخره، فاتصل علي ابن العثيمين يعرض علي المحاكمة، فأقنعته بأن هذه الأمور لا يحاكم فيها، فإن هذا دافع عن أهل البدع ووضع قواعد فاسدة بدعية وفعل وفعل وفعل، ثم هل عندك استعداد أن تدرس كل ما دار بيني وبين عدنان في الكتب والأشرطة؟ قال: لا، ما عندي استعداد، قلت: إذن أولًا يعني تعرف أنت أن أمثال هذا الرجل لا يحاكم ولا يستجاب لدعواه هذه؛ لأنه هو المبطل وهو الجاني على منهج السلف وهو كذا وكذا وكذا، فأرى أنك تنصحه بأن يتوب إلى الله ويرجع، فاقتنع بهذا ابن العثيمين، وهو حي الآن اسألوه.

أما قوله. أنا لم نرض بالتحاكم إلى الله، فهذا باطل، وأبرأ إلى الله من هذا، وأعوذ بالله من ذلك، وأنا والله داع بصدق، داعٍ له ولغيره إلى الاحتكام إلى

الكتاب والسنة، فهل هو يحتكم إلى الكتاب والسنة، هل حكَّم كتاب الله وسنة الرسول في قواعده، هل حكَّم الله في مواقفه من سيد قطب، هل أنصف ربيعًا فيما يقوله فيه منطلقًا من أحكام الله ﷻ هو مخالف لأحكام الله ﷻ، ولا يرضى الرجوع إليها وهذا أمر واضح، هذه كتبه موجودة، وهذه أشرطته موجودة، وما يبهتنا به، نحن برآء إلى الله منه، فلو أني ظلمته ودعاني إلى التحاكم، وأبيت وأني افتريت عليه كما يقول وأبيت، كان ممكن أن يكون له مجال، لكن هو الذي بدأ بالظلم، هو الذي انفرد بالافتراء، هو الذي أشاع الافتراء، هذا الذي تنسبه إليّ أخرِجْهُ من كتبي ومن أشرطتي أخرجه، ثم ننظر فيه هل هو يستحق هذا الكلام، وإلا هو زور وبهتان، كما يُزور علينا ويبهتنا.

ودعاوى هذا الرجل كثيرة جدًّا يصعب استقصاؤها، وأباطيله كثيرة، وقد كتب الناس وتكلموا على انحرافاته، ولم يرجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله - عليه الصلاة والسلام -، هؤلاء ناقشوه من منطلق سلفي وعلى ضوء الكتاب والسنة، فلو كان صادقًا في دعواه إلى التحاكم لحكَّم أولًا العلماء الذين لم ينطلقوا إلا من منهج سلفي وهم على الصواب ولم يخالفوا كتاب الله وسنة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - ولحكَّم كل هؤلاء الذين انتقدوه، ولرجع عن أخطائه وانحرافاته التي ناقشوه فيها، ولكن رأيتم أنه من بيَّن له الحق يسبه ويشتمه ويتهمه بهذه الاتهامات والتجهيل وإلى آخره، كيف يُصدَّق هذا في دعواه إلى التحاكم وأنه راض بحكم الله.

* * *

أحسن الله إليكم.

السؤال التاسع:

ما تعليقكم أيضًا على كلامه الآتي -سدد الله خطاكم على الخير والهدى-:

قال: «عندي جواب على أن تقول لي أنت قلت كذا أو كذا، وأما هؤلاء في بعضهم يؤسفني أن أقول لك: كتبت لهم رسالة، بعض هؤلاء الشيوخ، ممن صرح أن عندي أخطاء، فقلت له: أرسل لي الأخطاء فما أرسلها ومنهم العيلان، وأنا متعجب جدًا، قلت لأخينا، كتبت له رسالة، قلت سمعتك في الشريط تقول عدنان عنده أخطاء، اكتب لي الأخطاء فما كتبها، فلا أدري لماذا لم يكتبها لأنه ما وجدها أو كِبرًا، في ناس من منطقة معينة مشهورون معروفون بالكبر فما كتب، ليش ما يكتب، هذا من الظلم أن تقف على المنبر وتقول: عدنان أو زيد عنده أخطاء، فجاءك زيد فقال أعطني أخطائي أصححها».

الجواب:

عدنان يدعي في هذا الكلام أنه طلب من الشيخ العيلان أن يكتب له أخطاءه فلم يستجب، ونقول لعدنان: القوم الذين كتبوا لك، وبينوا أخطاءك في كتب، وتكلموا في محاضرات سجلت في أشرطة، وبينوا أخطاءك، هل استفدت من هذه الملاحظات ومن بيان الأخطاء التي ذكرت في ردودهم عليك، أو الأمر بالعكس لم تستفد، وأهنتهم وذهبت توزع لهم الاتهامات بالجهل وهذا حمار وهذا جاهل وهذا كذا، والآن أنت تشتم العيلان وتتهمه بالكبر، ولم تقتصر على ذلك بل وسعت دائرة الاتهامات إلى قومه وعشيرته، فهل هذا شكر منك لحسن الجوار فتقدم لهم هذه الهدية شكرًا لهم على حسن جوارهم لك، - لا حول ولا قوة إلا بالله -.

على كل حال أنت لم تستفد من الملاحظات فلو كتب لك كتابًا وبيّن فيه انحرافاتك لسببته وشتمته، كما شتمت من هو أكبر منه من علماء هذه الأمة، فالحمد لله الذي حماه من شرّك وكفاه أن يكتب لك ما كتبه غيره وما قاله غيره؛ لأن هذا من فروض الكفايات لا من فروض الأعيان، ولو كتب لك الآن من جديد عند سماع كلامك هذا، كتب لك أخطاءك وقدمها لك، هل أنت مستعد للرجوع إلى الحق؟ ما أظن هذا وما أبعده.

أحسن الله إليكم.

السؤال العاشر:

ما رأي فضيلتكم في قول عدنان الآتي بصوته - أثابكم الله -:

«هنا سؤال أتى من أحد الشباب يقول: في هذا الشهر المنصرم، هل هو صحيح أن الشيخ عدنان قد التقى بالشيخ محمد الصالح بن عثيمين -حفظه الله وأطال في عمره-، وكانت هنالك تزكية لك، فهل هذا صحيح يا شيخ؟

ما بالك تسأل عن التأصيل، ثم أنت دخلت في التمثيل، هذا من التمثيل سواء فيه تزكية أو غير تزكية، يعني هو يلزم الشيوخ الذين تكلموا في الشريط بعضهم معظمهم يحتاجون تزكية مني، يعني هم يحتاجون تزكية، ما نعرفهم في الدعوة السلفية، أنت تعرف واحد اسمه عُبيد الله في الدعوة وطاف عندكم ودعا إلى الدعوة السلفية، أنت بتعرف واحد اسمه كذا وكذا وكذا، طاف في هذه البلاد وعرف بالدعوة السلفية قبل عشرين سنة، هاذو لا في بعض يحتاجون يقدموا أوراقهم حتى نحن نصادقهم عليها مش العكس».

الجواب:

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا الكلام يكفي العاقل سماعه والحكم على قائله، ثم هؤلاء العلماء الذين ينتقصهم، ويحط من قدرهم، هم أفضل منه ولا نسبة بينه وبين أي واحد منهم، لا في الصدق ولا في العلم والفضل، ولا أيضًا في غير ذلك من الأخلاق والصفات التي هي من مقومات الدعاة إلى الله - تبارك وتعالى -.

فهل يقول مسلم عاقل مثل هذا الكلام في أناس انتقدوه بحق، الرجل لا يريد نقدًا أبدًا، فلهذا يقابلهم بهذه الأساليب، لو أنهم أخطئوا عليك وناقشتهم مناقشة علميةً -في زعمك- لهان الأمر ولو كنت على باطل، وأما وأن يبلغ بك التطاول والتعالي إلى هذه الدرجة، وأنه ما يعرفون، وأنك أنت المعروف لأنك تطوف في الدنيا، وفلان هل تعرفونه، الحق أن هؤلاء معروفون عند الناس بالفضل والعلم والمنزلة، التي تليق بالدعاة وحملة العلم الشرعي، وهل تطوافك هذا على أهل

البدع والأحزاب ونخالات الأحزاب يرفعك عند الله وعند الناس؟! ولو كان أحدهم لا يعرف، -إن شاء الله- أنه صدق عليه قول النبي ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الخفي**»، فلو لم يعلموا وهم أتقياء - إن شاء الله - لكانوا أعلى منزلةً عند الله منك؛ لأن هؤلاء ما عُرفوا إلا بالمنهج السلفي ولكثير منهم - ولله الحمد - اتصال بالعالم، فهو في بيته تأتيه الأسئلة ويلقي المحاضرات مثل الشيخ عيد الذي نصصت عليه، يلقي المحاضرات في العديد من دول أوروبا، ولعله في أمريكا وله صيت طيب مشهور بالعلم والفضل، بخلاف عدنان ولو جال وجاب الأقطار وطاف هنا وهناك فإنه لا قدر له عند أهل الحق، وقد يكون ليس له منزلة حتى عند أهل البدع الذين تربطهم به روابط يعلمها الله -تبارك وتعالى- فما يغني عنك هذا التطواف.

الشيخ ابن باز ما طوف، الألباني ما طوف، ابن تيمية ما طوف، وانتشر صيتهم في الدنيا، فهل أنت أفضل منهم لأنك تطوف، وتتجارى بك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه كما وصف الرسول ﷺ أمثالك، هل ينفعك هذا عند الله أو عند العقلاء، ليتك يا عدنان ما تقول مثل هذا الكلام، وترىأ بنفسك عنه، ولكن مع الأسف لا حياة لمن تنادي.

* * *

جزاكم الله خيرًا.

السؤال الحادي عشر:

كذلك ما تعليقكم - بارك الله فيكم - على كلامه الآتي:

«لماذا يلام سيد قطب ولا يلام الإمام أحمد قبل هذه كلمة قلت: الإمام أحمد من أئمة الدين و. . . و. . . و. . . وأنا يريدون أن يعرفونني بالإمام أحمد، قلت: لا يلام أي إمام في كل خطأ، هو نفسه على رأسهم، ما يلام ليه؛ لأن اللوم يعني أنه عن غير علم أو عن غير إخلاص، ثم على أسلوبي قلت: فكيف يلام سيد ولا يلام الإمام أحمد فكيف، فأخذوا هذا وجعلوه من قولي، مثل قالوا: إن الله يقول عن الأنبياء أنهم مجرمون: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾[1]».

الجواب:

هذا كلام باطل جرى فيه عدنان على عادته من تخليص نفسه من الورطات، وتوجيه اللوم والاتهامات إلى من يبين أخطاءه، فالذين نسبوا إليك الكلام في الإمام أحمد، أخذوا كلامك بنصه لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا، ولم ينسبوا إلى عدنان شيئًا لم يقله، فهذه الاتهامات التي يوجهها لهم اتهامات باطلة، قائمة على الظلم وقائمة على هذا المنهج الفاسد الذي يسير عليه عدنان، فهو لا يعترف بخطئه أبدًا، لا يعترف على طريقة علماء السنة، لا يجري على الفطرة في الاعتراف بأخطائه إن حصل بأندر من النادر اعتراف بالأخطاء الخفيفة، أما الأخطاء الغليظة فلا يرجع عنها، بل يصب اللوم والتشويه والطعون إلى من يُبين خطأه.

وإليكم نص كلامه الذي قاله في هذا الشريط ولم يسبق منه ثناء على الإمام أحمد على النحو الذي قاله، ولم يقل كلمةً في الإمام أحمد بصفة خاصة من الثناء الذي يدعيه، فاسمعوا كلامه الآن لتروا أنه هو الظالم الذي يفتري على الناس ويُقَوّلهم ما لم يقولوا، ويشبّه أقوالهم بأقوال الكفار في الأنبياء، فيرفع من مكانة نفسه ويحط من الآخرين، بهذا الأسلوب السيئ.

---

(١) سبأ: ٢٥.

واسمعوا كلامه الآن من شريط «أنواع الخلاف» المؤرخ بـ [٣٠ ربيع الثاني ١٤١٨] من أعوام الهجرة:

«القاعدة الأخيرة في هذا الخلاف: لا لوم هناك لا إنكار، لا لوم على أحد المجتهدين، أقول: لا لوم يعني معناه ما في سوء خلق وسوء أدب، مهما كانت الفتوى؟ نعم، مهما كانت الفتوى لماذا؟ لأنك أقريت أن هذا عالم وعالم معتبر، أقريت أنه عالم وعالم معتبر.

القاعدة السابعة والأخيرة: يجوز التخطئة ويحرم الطعن، ولو كان في المسجد، ما دام شعار هذه المحاضرة محاضرة تربوية عن كل يوم يومين ثلاث يكتبون قاعدة من هذه القواعد ويتدربون عليها[1]، هذه هي التربية فإذا اختلف أو كتب كل فإذا اختلف الناس في المسجد طبعًا أنا أعرف مسجد كم ما يختلف، فإذا اختلفوا يشير إلى القاعدة خلاص يكفي هذا طيب ولو كانت في فتاوى عظيمة طيب، هل هناك أعظم من فتوى التكفير يوجد أعظم من فتوى التكفير؟ لا يوجد ومع ذلك لا تلوم الإمام أحمد في تكفيره لتارك الصلاة لماذا؟ لأن المسلمين صار ٩٠٪ منهم على مذهب أحمد كفار، فلماذا يُلام سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ إذا صدرت منه بعض العبارات العامة وتقول هذا يكفر المجتمعات مع التفصيل، ولا أريد الخوض في هذا الموضوع، كمثال، ولا يلام الإمام أحمد وقد حَكَمَ على الشعوب كلها بالكفر، وبالتالي فإن مصر وسوريا والشام وباكستان كلهم شعوب غير مسلمة، وصارت المجتمعات مجتمعات دار حرب كلهم كفار إلا المصلين، كم نسبة المصلين في أوطاننا والله ما يزيد ١٠، ٢٠٪ في بعض البلدان، خاصة في بعض المدن الكبيرة التي يُحارب فيها الله ورسوله جهارًا نهارًا، لا لوم، لا حظوا كم كفر ٨٠٪ من المسلمين يعني كم مليون؟ الصين نسبة المصلين فيها أظن إما ٣٪ أو ٤٪ نسبة المصلين في ألبانيا يا إخواننا أظن في تيرانا ٥٠٠ وبقية المدن ٥٠٠ يعني ألف ألفين ثلاثة آلاف من كل بلد، يعني أظن واحد في العشرة آلاف إذا هذا مجتمع كافر كله، ومع ذلك نقول: يجوز التخطئة ويحرم الطعن، صار أنا عندي مثال حساس بس لا أريد أخلي المحاضرة ماشية بشيء من الهدوء والنظام، مهما كانت فتوى العالم تقول له أخطأت».

---

(١) أتربي الشباب على قواعدك الباطلة؟! إن هذا لهو السعي في الأرض بالغش والفساد!!

أقول: إن سياق هذا الكلام الذي يقرن فيه سيد قطب بإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ تبارك وتعالى - مقارنة باطلة؛ لأن سيد قطب:

أولًا: من أهل البدع والضلالات الكبرى وليس من أهل السنة، وهو قد قرر في قواعده: أن من شروط الخلاف المعتبر أن يكون صاحبه عالمًا، وأن تكون أصوله صحيحة، وألا يكون من أهل البدع، وسيد قطب ليس بعالم وأصوله فاسدة، وهو ليس من أهل السنة أبدًا من بدء حياته إلى أن مات، في عقائده وفي منهجه وفي تصرفاته وفي... إلى آخره، فهل يليق أن يقرن هذا الجاهل الضال، بإمام أئمة السنة؟!.

ثانيًا: سياقة هذا الكلام على النحو المندد بالإمام أحمد، والمهول عليه، هذا لا يصدر من إنسان يعرف مكانة هذا الإمام.

ثالثًا: هو قال في شريط آخر وهو كما أعتقد «قواعد الإنصاف أو قواعد معرفة الحق» إنه هذا للمرة المائة يذكر الإمام أحمد يعني يسوقه في هذه السياقات - والله أعلم - التي تحط من قدره سواء قصد ذلك عدنان أو لم يقصد هذا السياق الذي ساق فيه حكم أحمد على تارك الصلاة أنه كافر ساقه سياقًا ظالمًا في غاية الظلم، ويبرز الإمام أحمد في أخس الصور؛ لأنه هول وقال: «هل هناك أعظم من التكفير هل هناك أعظم من التكفير»، هذا تهويل على أحمد وإرجاف عليه وتهويل عليه لصرف الأنظار عن التكفير القائم على وجه الأرض من سيد قطب ومن أتباعه، وتحويل أنظار الناس إلى الإمام أحمد بأنه أكبر مكفر لماذا؟؛ لأنه يكفر ٩٠٪ بالمائة ومرة ٨٠٪، ومرة قال المجتمعات كلها، هذا إرجاف على الإمام أحمد، لا يقبل من عدنان أي عذر خاصة وهو يعتذر بمثل ما سمعتموه من التمويه والتلبيس، هذا الكلام يجب أن يبكي منه عدنان، وأن يُعلن خطأه وانحرافه وجنايته على الإمام أحمد.

أنت تقول: أن أحمد يكفر المجتمعات كلها ويعتبر بلدان المسلمين دار كفر، مصر، باكستان، البلد الفلاني، البلد الفلاني، كلها دار حرب عندك، هذا قول الإمام أحمد في تكفير تارك الصلاة؟! أحمد حكم على أفراد يُخلُّون ويهدمون ركنًا

من أركان الإسلام العظيمة، كأفراد فقط، تركت سيد قطب وهونت من تكفيره الصريح للمجتمعات الإسلامية، وحولت جريمته إلى هذا الإمام العظيم الذي يحارب التكفير، جريمة التكفير التي يتعمدها سيد قطب ويشحن بها كتبه، حولتها إلى الإمام أحمد، سيد قطب هو الذي يكفر المجتمعات، وليس عنده عبارات عامة، عنده نصوص واضحة كالشمس في تكفير المجتمعات الإسلامية شعوبًا وحكامًا، وقد شحن كتبه بهذا «الظلال» و«العدالة» و«معالم في الطريق»، هذا فرق كبير جدًا جدًا جدًا.

لا يجوز المقارنة بين إمام يحارب التكفير، ويحارب الخوارج، ويحارب البدع، ويُكفر تارك الصلاة مشاركًا لغيره من أئمة الإسلام من الصحابة وغيرهم، تخصه من بين العلماء السابقين واللاحقين والموجودين الذين يكفرون تارك الصلاة، وتركز على الإمام أحمد لماذا؟ لماذا؟، ما السر في التركيز على الإمام أحمد.

ثم إنك في هذا السياق أعطيت سيد قطب منزلة عظيمة لا يستحقها، وتجعل - والله أعلم - ضلالاته كلها من الخلافات المعتبرة، من الخلاف المعتبر تجعل طعنه في الصحابة والقول بالحلول ووحدة الوجود و. . و. . إلى آخره، وكثيرًا ما تقول إنها أخطاء، وما تقول إنها بدع وضلالات وكفريات إلا إذا ضُويقت تقولها كذبًا وتخلصًا.

أما الذي تدندن حوله فإنه ما عنده إلا أخطاء، وأحيانًا ترجع عن الأخطاء وتقول أنه عاد إلى منهج السلف، وتفتري ذلك وتتكلفه وتتصنعه وتفعل وتفعل وتفعل إجلالًا لسيد قطب، وتعظيمًا له وتنويهًا بشأنه بدل أن تذكر فضائل الإمام أحمد ومنزلته وتشيد بها وتدعو الشباب إلى أن يجعلوا منه أسوة، وقدوة حسنة، تأتي بمثل هذه الأشياء في سياق التكفير والتضليل، هذه والله جناية على الإمام أحمد، وما يسمعها مسلم صادق إلا ويقشعر جلده ويستنكر هذا الكلام ويستقبحه ويستقذره إلا من مرض قلبه من أمثالك فإنه قد يهون عليه هذا التشويه للإمام أحمد، ولكن ويضره أن يمس سيد قطب من قريب أو بعيد.

وأخيرًا؛ ورد في عبارة عدنان كلام يتهرب به من مسئوليته في تهويله على الإمام أحمد قوله: «ثم على أسلوبي قلت: فكيف يلام سيد ولا يلام أحمد فكيف، فأخذوا هذا وجعلوه من قولي، مثل قالوا إن الله يقول عن الأنبياء أنهم مجرمون: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾[1]».

ماهو أسلوبك الذي تميزت به عن علماء الأمة وطلاب العلم، وهل يجوز لك هذا الأسلوب الغريب، أسلوب أيش؟ أسلوب الحداثيين هذا؟، أسلوب الرمزيين من الفرق الضالة، أي أسلوب هذا؟ لماذا ما تتكلم بالكلام الواضح البين؟ أتجعل من أسلوبك هذا الملتوي مبررًا لك بأن تقول الباطل ثم تبحث لك من مخارج وتقول أسلوبي؟

* * *

(١) سبأ: ٢٥

جزاكم الله خيرًا.

السؤال الثاني عشر:

أيضًا فما تعليقكم يا شيخنا -أظهر بكم الحق- على كلامه وعذره الآتي:

«لم أقل هذا يا أخي وإنما قلت: لا أعلم أحدًا تكلم في المنهج، ما قلت عالم ولا سلفي ولا غيره، لا أعلم أحدًا تكلم في المنهج عفوًا في قضايا المنهج مثل سيد، أما المعنى الذي قصدته فأنا ما زلت عليه، وأما هذه العبارة فأعلنت تراجعي عنها لأنه فَهِمَ الناس خطأً، يعني الاغتيالات والانقلابات والمظاهرات».

الجواب:

بسم الله، الجواب على هذا من وجوه:

الأول: أنه لم ينقل نص كلامه بأمانة.

ثانيًا: بيانه عن المنهج وتفسيره لما يقصده بالمنهج، كلام باطل، فإن نص كلامه الذي قاله سابقًا يدل أنه ما يريد بالمنهج الاغتيالات وما شاكلها، بل يريد ما هو أوسع من ذلك.

وثالثًا: إن كتاب «لماذا أعدموني» الذي يلح عليه ويركز عليه؛ فيه حث على قضايا الاغتيالات والتفجير والتخريب وصنع المتفجرات، فتزكيته لهذا الكتاب سابقًا ولاحقًا دليل على عدم صدق عدنان وعلى عدم نصحه للإسلام والمسلمين، وفي كلامه الذي أخذ عليه سابقًا ونوقش فيه نسب قضايا المنهج إلى كتب لسيد قطب لم تعالج قضايا المنهج على غرار ما يقوله عدنان من تفجير وما شاكل ذلك، فلا ذكر في «الظلال» ولا في «المعالم» ولا في «الخصائص» ولا في «المقومات» لا ذكر حسب اطلاعي لهذه الأشياء التي يعتذر بها عدنان فيؤخذ عليه.

أولًا: تحريفه للنص الذي قاله.

وثانيًا: في اعتذاره البارد بقوله إنما قصدت قضايا المنهاج أي: التخريب والاغتيالات وما شاكل ذلك وهو لم يقصد هذا لا من قريب ولا من بعيد، وإنما قصد قضايا أساسية في الدين، وفي سيرة الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- وما شاكل ذلك مما سيوضحه كلامه الذي مدح به سيد قطب في تفوقه الذي لا يُلحق

فيه في قضايا المنهاج.

اسمعوا كلامه الذي قاله في المنهج وأخذ عليه:

قال في أحد أشرطته: «طيب كتاب «واقعنا المعاصر» عالج القضايا المنهجية وسيد قطب رحمه الله.

قال أحد الحضور وكتاب: «خصائص التصور الإسلامي»؟

عدنان: خصائص؟

أحد الحضور: خصائص التصور الإسلامي أو ما أشبهه.

عدنان: أحسنت هذا كتاب عظيم جدًا «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته»، كتاب عظيم جدًا وننصح به، عالج قضايا منهجية رائعة، «الظلال» عالج قضايا منهجية، «معالم في الطريق» عالج قضايا منهجية، هو يعني ممن كتب في هذا العصر في قضايا المنهاج، ومعظم ما كتبه كان مصيبًا فيه رحمه الله.

وأحلى كتاب له في المنهاج، كتاب «لماذا أعدموني».

أضرب مثالًا لأحلى كتاب له في المنهاج كتاب «لماذا أعدموني».

أضرب مثالًا لرجل مظلوم جعله الله شهيدًا من شهداء الإسلام، ألا وهو سيد قطب رحمه الله ويا ويلي إن استشهدت بكلام سيد قطب عند بعض الناس، لِمَه؟ الرجل له ما له وعليه ما عليه، فإنه تكلم في قضايا المنهاج لا أعلم أحدًا تكلم على وجه الأرض تكلم في قضايا المنهاج مثلما تكلم بها سيد قطب رحمه الله، فوضع النقاط على الحروف، ووصف الوضع المكي، ووصف الوضع المدني، ووصف التربية، ووصف الجماعات المسلمة في بعض كتبه، وحلل، ومن أعظم كتبه «معالم في الطريق» و«لماذا أعدموني» وتصوره عن المجتمعات الإسلامية[1]، وما تكلم فيها».

---

(١) يقصد تكفيره للمجتمعات الإسلامية. ثم بعد هذا الإطراء في سيد قطب وكتبه الذي لا يصدر إلا ممن قرأ كتب سيد قطب قراءة مستوعبة، يقول في بعض أشرطته -التي سجلت في فرنسا بعنوان «البراءة»: فلم أقرأ كتب سيد إلا قليلًا قليل من الظلال، ست أو عشر صفحات من العدالة» أو نحو هذا الكلام فماذا يقال في هذا الرجل.

الجواب: هذا ما قاله أيها العاقل المسلم المنصف، فهل ترى فيه ظلًا من صدق عدنان، ألا ترى أنه بتر ما قاله وتلاعب فيه وغير مقصده وفسر كلامه الذي أخذ عليه بما لا يدل عليه، بل في «الماذا أعدموني» ضد ما يدعيه لسيد قطب ولهذا الكتاب، فإنه كما أسلفنا فيه تربية على الاغتيالات وعلى صنع المتفجرات وعلى تدمير المنشآت، فهذا هو المنهج الذي تمدحه تمدح «الماذا أعدموني» لما فيه من هذه الطوام، ستقول ما قرأته - ما شاء الله - كيف تمدحه وتمدحه وتمدحه، وتقول هو أحلى كتاب، وأنت ما اطلعت عليه! اطلعت عليه، نأخذ بكلامك، وعرفت ما فيه من شرور وتحيل الشباب عليه بطريقة ماكرة، القضايا التي تحدث عنها في كلامك الذي انتقدت فيه لا تريد ما تزعمه الآن من قضايا المنهج الجديدة التي زعمتها من إنكار التفجير والاغتيالات وما شاكل ذلك.

سيد قطب لم يتكلم في هذه الأشياء، إنما تكلم على الإخوان المسلمين أو الجماعات الإسلامية من ناحيةٍ سياسية، أما التخريب والتدمير والاغتيالات وهذه الحاجات، فما كان موقف سيد قطب في «الماذا أعدموني» إلا توجيه شبابه إليها وليس فيها أي زجر، ثم «المعالم» ليس فيه هذه القضايا التي تقولها، «الظلال» ليست فيه هذه القضايا التي تقولها، «الخصائص» ليس فيه هذه القضايا التي تقولها، وأنت تقول أنه بين العهد المكي وما أوسعه والعهد المدني، والقضايا التربوية، والقضايا كذا وكذا، فأنت ما كنت قصدت إلا مدح سيد قطب والغلو فيه وإشعار الناس أنه يتفوق على العلماء في بيان المنهج الإسلامي عمومًا، وقولك: أنت ما قلت عالم، أنت رفعته فوق مرتبة العلماء، كلمة عالم بالنسبة للهالات التي نسجتها حول سيد قطب تتضاءل ما هي بشيء، فإذا كان هو بين قضايا المنهج لدرجة لم يلحقه فيها أحد، فهذا فوق العلماء، فوق العلماء !!!.

وعلى كل حال أنا أرجو القارئ أن يتأمل عذره البارد الكاذب، ويتأمل كلامه الذي غلا فيه في سيد قطب وفي كتبه وفي منهجه، وهو والله ما بيَّن إلا شر المناهج وأضلها في كتبه، فكتبه لا خير فيها، ولم يُبين فيها منهجًا صحيحًا، وأفسد منهج الأنبياء، وأفسد معنى لا إله إلا الله، وكفَّر الأمة ظلمًا، فمنهج سيد قطب شر ودمار للإسلام والمسلمين، وعدنان يمدحه بالباطل ويغلو فيه ويجعله في مرتبة لم

يلحقه فيها أحد، أي تخريب وأي تحريف وأي تضليل لشباب الأمة مثل هذا التضليل الذي يسلكه عدنان؟! وما يكتفي بتشويه من ينتقده، بل يجعل لنفسه مخارج باطلة لا يجيدها إلا إنسان قد برع في التلاعب بالكلام وفي التلبيسات وفي الحيل - نسأل الله العافية -، أرجو أن يعد السامع الفطن هذا من أكاذيب عدنان وتضليلاته الغريبة العجيبة، عُدُّوا هذا في كذباته التي لا يلحق فيها !!!.

وبعد ما سبق؛ أزيد بيانًا لتعلق عدنان بسيد قطب وتعظيمه، والاعتماد عليه وفي قضايا العقيدة لا المنهج فقط، فلقد نقل عنه هذا النص الآتي:

«إن الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكاملة، وليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمائر، وحدود العقيدة أبعد كثيرًا من مجرد الاعتقاد الساكن، إن حدود الاعتقاد تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة».

وكنت قد علقت على هذا الكلام في كتاب «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره»، فهذا الكتاب أزعج عدنان جدًا، وأزعج مقدسي سيد قطب، فتحرك عدنان بهذا الكتاب إلى الشيخ الألباني في الشام، وكنت قد افتتحت هذا الكتاب بطعن سيد قطب في نبي الله موسى ﷺ وسخريته به، وثنيت بطعنه في الصحابة وعلى رأسهم عثمان، طعونًا شنيعة خبيثة قد يعجز عنها غلاة الروافض، وثلثت بالكلام على العقائد، عقيدته في تعطيل الصفات، وقوله بخلق القرآن، وقوله بالحلول، ووحدة الوجود، والجبر، وقوله بأزلية الروح، وإنكاره للمعجزات، معجزات الرسول وما أكثرها يُنكر أن تكون من دلائل نبوته - عليه الصلاة والسلام -، إلى أشياء كثيرة.

ثم تحدثت عن التكفير والاشتراكية وما شاكل ذلك، وأكثرت النقل من كلام سيد قطب في التكفير، نقلت عنه نصوصًا كثيرة واضحة في التكفير، في تكفير الأمة ظلمًا وعدوانًا بدون علم وبدون فهم وبدون التفات إلى منهج المؤمنين في هذا التكفير، بل سار فيه على طريقة الروافض والخوارج، لا على أصول أهل السنة والجماعة، وكان كلامه واضحًا جدًّا في التكفير في نصوص كثيرة، فماذا فعل عدنان الماكر المحامي عن أهل البدع والضلال؟! ركض بهذا الكتاب إلى الشيخ

الألباني، وقرأ عليه منه هذا النص، وكان الشيخ الألباني يعرف في الجملة ضلال سيد قطب، وأنه يقول بالحلول وبوحدة الوجود، وأنه جاهل في نفس الوقت، لكن لم يدرس منهج سيد قطب في التكفير ولا أقواله في التكفير، فعدنان هذا ترك كل شيء، ترك سبّه لموسى وسبّه للصحابة، وتعطيله للصفات، واعتقاده للحلول ووحدة الوجود، ترك هذه الأشياء وترك نصوصه الواضحة في التكفير، وجاء إلى هذا النص الذي قرأته عليكم؛ لأن فيه إجمالاً، وكنت قد علقت عليه بقولي: «يريد أن يقعد للتكفير»، أو عبارة نحوها.

فعرض كلامي هذا على الشيخ الألباني وعرض عليه هذه القاعدة، فقال الألباني: لا، صحيح كلامه هذا صحيح، والشاهد أن الشيخ الألباني بعد هذا درس كتبي وعرف أني على حق في مناقشتي لسيد قطب وغيره، وعلق على كتابي «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» وقال: أصبت يا شيخ ربيع أو يا أخ ربيع أو أيها الربيع أصبت في كل ما انتقدت فيه سيد، وتبين لكل من عنده أدنى ثقافة إسلامية أن سيد قطب لا يعرف الإسلام أو يجهل الإسلام أصوله وفروعه إلى آخر كلامه فجزاك الله خيرًا.

فهذا تغيير في نظري لموقفه الأول الذي أوصله إليه عدنان وظل متعلقًا به، ثم لما عرض هذا النص استغل هذا الكلام من الشيخ الألباني وجعل له سببًا آخر غير السبب الحقيقي، قال وهو الكاذب: «كنت قد نقلت كلام سيد هذا في كتابي هذا مستشهدًا به، ثم رأيت أحد الإخوة...» إلخ، هذا الكتاب أخرجه عدنان في عام ١٤١٦ تقريبًا والقصة في عام ١٤١٣ أو ١٤١٤، «ثم رأيت بعض الإخوة - يعني ربيعًا -» قد خطأ سيد قطب في هذا، بل وضلله «هل ما خطأته وضللته إلا في هذا النص ألم أكتب فيه كتابة كاملة ثم كتبت فيه أربعة كتب، هو يعرف هذا ليكون حكمًا مرتضى، فقط في هذا» فأيد الشيخ -حفظه الله- كلام سيد وأعجب به، وقال هذا هو المعنى الصحيح للعقيدة، واستدل لذلك بأدلة من الكتاب والسنة منها: «الإيمان بضع وسبعون شعبة» نعم لكن لو عرف تكفير سيد قطب ما قال هذا الكلام ولقال صدق ربيع إلى آخره -.

ثم قال عدنان: «والمتأمل المنصف لكلام الداعية - هذا الشاهد - لكلام

الداعية سيد قطب - رحمه الله تعالى - هذا والذي بعده يجد أنه موافق لمذهب السلف ولكلام الإمامين ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله -، «يعني في توحيد الربوبية وهو لا يعرفه، سيد قطب لا يعرف توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية يخلط بينهما؛ لأنه جاهل»، والظاهر أن سيد قطب في آخر حياته قد تأثر بهذا المنهج منهج أولوية العقيدة ودعوة الناس إليها وتربيتهم عليها «أي عقيدة؟ العقيدة عند سيد قطب الحلول ووحدة الوجود، وأنت تلبس على الناس وتوهمهم أنها العقيدة السلفية - قال بعده. وتربيتهم عليها وسلك سبيله «سبيل من؟ سبيل السلف يقصد» وترك ما عداه «كذبت والله ما ترك شيئًا، بل ما يزداد على مر الأيام إلا سوءًا وبلاءً - قال: «وقد أخبرني أخوه الأستاذ الفاضل محمد -حفظه الله- بذلك وكتبه الأخيرة تؤكد ذلك» كتبه الأخيرة التي أهلك فيها نفسه وأهلك فيها الأمة وشباب الأمة - يقول تؤكد ذلك.

فهذه شهادة زور لسيد قطب: أنه يوافق منهج السلف، وأنه مثل محمد بن عبد الوهاب وابن القيم بل وابن تيمية كما ذكر في مكان آخر، وقرنه بهؤلاء في تقرير قضايا التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، إلى أشياء كثيرة تدل على مجازفة هذا الرجل وجرأته على الله - تبارك وتعالى - وتلبيسه على الناس، فيقول: أنا ما قلت أنه عالم ولا سلفي ولا غيره، وأنت ما قلت أنه عالم بل جعلته في مرتبة ابن تيمية وفي مرتبة ابن القيم وفي مرتبة محمد بن عبد الوهاب أئمة التوحيد، وفي تقرير قضايا التوحيد، واستشهدت هنا أنه رجع إلى منهج السلف واستشهدت بأخيه، أخوه نفسه ما يعرف منهج السلف، وشهد لأخيه شهادات مزورة، ويقول بأنه ما خالف أخي الكتاب ولا السنة، وكتاباته ومنهجه وحياته كلها مخالفة للكتاب والسنة إلا ما شاء الله، الذي يأتي اتفاقًا لا انطلاقًا من منهج السلف.

الشاهد: أن عدنان كثير التلبيس وكثير التلاعب، وعنده شهادة زور كبرى هنا لسيد قطب، أنه على منهج السلف، وأنه يقرنه بابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، أنا أذكر ابن تيمية لأنه ذكره في مكان آخر، وقرنه به، وفي هذا الكتاب «التيه والمخرج» وهو تيهٌ لا مخرج منه - والعياذ بالله -، وهو يأخذ تسمياته

وعباراته من عبارات سيد قطب ومحمد قطب وما شاكل ذلك، فهذه العبارة موجودة في كلام محمد قطب ويقول «المعالم في المنهج» أخذه من كلمة «معالم في الطريق» لسيد قطب، ويقول السبيل أخذه من المعالم، حتى في تسميات كتبه يشتقها من عبارات سيد قطب وتسميات كتبه، فهو مولع ولوعًا شديدًا بسيد قطب، ويغلو فيه غلوًا شديدًا ويجعل كلامه من الأساسيات والمحاور ويُحيل إلى كتبه ويشيد بها، كتبه الأخيرة التي أحال إليها، وكتبه الأخيرة تؤكد أي كتب؟ «المعالم» فيه الدمار، «لماذا أعدموني» فيه الدمار و«خصائص التصور» فيه البلايا والفلسفات والكلام الفارغ، فكتبه الأخيرة تدينه، ولا علاقة له لا في كتبه القديمة ولا الأخيرة بمنهج السلف أبدًا، وهو كغيره من أهل الضلال من أهل التصوف والاعتزال والتجهم، وقد تبنى قضايا أساسية من هذه الفرق، وهذا يشهد له بأنه رجع إلى منهج السلف، وكتبه الأخيرة تؤيد ذلك، أعوذ بالله من هذا الزور ومن هذا التضليل.

• • •

أحسن الله إليكم.

السؤال الثالث عشر:

ما تعليقكم - حفظكم الله - على كلام عدنان الآتي جزاكم الله عنا والمسلمين خيرًا؟

«هؤلاء القوم لو كانوا في عهد البخاري، البخاري: معظم الشيوخ في ذلك الزمان بدَّعوا البخاري -الله أكبر-، بدَّعوه شيوخ كبار، أنا الحمد لله ما أدخل البلد إلا ويستقبلني عدد أكبر، وما آتي بلدًا آخر إلا ويستقبلني عدد أكبر وأكبر، لكن البخاري ما أحد استقبله في نيسابور بعد الفتنة، وعزل هذا المظلوم من قبل الحاسدين، الفارق بيني وبين الإمام البخاري، طبعًا الناحية العلمية ما أتكلم عنها، الفارق أنه خلوق فما واجه، أما أنا سأواجه، والله سأطؤهم بقدمي وأسِمُ أنوفهم وأعلمهم أنهم يسخرون ويكذبون، والميدان بيننا، هذا الفارق البخاري خلوق، أما أنا فسأريهم ماذا فعلوا بالصف السلفي حسدًا وبغيًا وثرثرة وكذبًا وافتراء».

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا الكلام السيئ على أهل المنهج السلفي طلابًا وعلماء، لا يصدر من إنسان عرف السلفية أو يحترمها، لو كان يحب السلفية ويحترمها، لما تطاول هذا التطاول، ولما شمخ بأنفه هذا الشموخ الذي يتكلم فيهم من مستوى أعلى من مستوى الجبارين، أنا ما سمعت في خطابات الدكتاتوريين مثل هذا الخطاب الذي يقوله عدنان ومثل هذا الطعن والتشويه الذي يصدق على قائله المثل «رمتني بدائها وانسلت»، هذا التهديد بأن ستطأ خصومك -ومنهم العلماء- بقدميك هذا ما يقوله العقلاء ولا الشرفاء النبلاء، وإنما يقوله السوقة الذين لا يعرفون قدر أنفسهم ولا يعرفون قدر العلم ولا قدر العلماء.

ولماذا تقرن نفسك بالبخاري، أي مناسبة بينك وبينه ليس بينك وبينه مناسبة لا في علم ولا منزلة ولا خلق ولا ورع.

أنت تلصق نفسك بالبخاري وأحيانًا في الأنبياء وأحيانًا في العلماء وابن تيمية وإلى آخره، ليس هناك نسبة بينك وبينهم، أنت في وادٍ وهم في وادٍ، هؤلاء حملة راية السنة وأئمة الإسلام وأنت رجلٌ جاهل ضال تحارب المنهج السلفي وتقدس أهل البدع وتحامي عنهم فليس هناك مناسبة بينك وبينهم.

وقضية البخاري حصلت فتنة بين أهل الحق، يعني دسها أناس من أمثالك فأوجدوا فتنة بينه وبين إخوانه كما تفعل أنت الآن، ولكن عرفوا بعد ذلك براءة البخاري مما اتهمَ به فعادت الأمور إلى مجاريها.

وأما قولك أنه ما استقبله أحد أو ما كان أحد يستقبله، وأنت يستقبلك عدد أكبر وأكبر، هذا كلام ما يقوله العقلاء.

أين التواضع وأين الصدق في الحديث؟

أنت في مقام أعلى من البخاري ترفع نفسك وتخفضه، وإن قلت لا أقصد الناحية العلمية، هذا من حيلك وإلا إذا لم تقصد الناحية العلمية فما علاقتك به، وأنت من حسدك؟ وعلى ماذا تحسد؟

البخاري كان أحفظ الناس في عصره، وكان لو يسمع ألف حديث في جلسة واحدة يحفظها، واحتل منزلة علمية كبيرة بين أئمة السنة والحديث، وأنت لست من ذلك في شيء، أنت لا من ناحية علمية ولا من نواحي أخرى أبدًا، ليس هناك مشابهة بينك وبينه، لو ذهبت إلى ناس من أحط الخلق وشبهت نفسك بهم لك ذلك.

وأما تشبه نفسك بأهل هذه المرتبة العظيمة وحملة راية السنة والتوحيد، فهذا غلط، ومغالطة للناس.

ثم ماذا تريد أن الناس يستقبلون أكثر وأكثر، هل أنت أجلُّ من البخاري، أو أن الله ﷻ أكرمك بأكثر مما أكرم به البخاري، أو ماذا تريد بهذا الكلام؟

الناس يستقبلون (كيسنجر) ويستقبلون (الفنانين) ويستقبلون البابوات والدجاجلة أعداد بالألوف والملايين يستقبلونهم، فهل هذا مقياس؟ وهل هو دليل على أن هذه الأصناف أهل حق وعلى الحق؟!.

إذا استقبلك الرعاع من أمثالك هل هذا مقياس أنك على الحق، وأن خصومك على الباطل؟ هذا ليس مقياسًا إلا عند أمثالك.

ثم ما ندري - والله - كم أعداد هؤلاء الذين يستقبلونك، ما ندري؟

أما البخاري فكان لا ينزل بلدًا إلا ويستقبلونه بما لا يستقبل به الأمراء ولا العلماء، ويستقبلونه من مرحلة مرحلتين أو ثلاث ويضربون له الخيام ويكرمونه إكرامًا لا يكرمُ مثله الملوك والحكام، خرج بعد الفتنة لا يريد فتنة خرج خُفيةً، لكنه ما وصل إلى بلدٍ من البلدان التي قصدها إلا ويستقبل بأعداد هائلة.

وأنت كم يستقبلونك والله ما ندري؟ ومن هم الذين يستقبلونك، ذاك يستقبله العلماء وأهل الحديث، وأنت من يستقبلك؟ العوام والجهلة والكذابون مثلك وهذه الأنواع، فما قيمة هؤلاء الذين يستقبلونك؟ وما قيمتك إذا استقبلك أمثال هؤلاء من الحزبيين والجهلة والرعاع؟

ثم أنت هل تقدر على أن تطأ أحدًا بقدميك، لا تستطيع.

فاعرف قدرك، أنت لست شيئًا أنت لست شيئًا، حتى تتطاول وتتعالى بنفسك وتشمخ بها إلى هذه الدرجة، يجب أن تعرف آداب طلب العلم، وكيف تتعامل مع العلماء، وكيف تتعامل مع من ينتقدونك أو تنتقدهم، وانظر إلى العظماء من علماء السلف:

فهذا ابن جريج رحمه الله كما يروي عنه أبو عاصم أنه كان كثيرًا ما يقول:

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد.

ويقول إبراهيم النخعي رحمه الله:

تكلمت ولو وجدت بدًّا لم أتكلم وإن زمانًا أكون فيه فقيرًا لزمان سوء

وإنَّ هذا ليصدق على مثلك حقًّا، إن قالها إبراهيم وابن جريج تواضعًا فهي - والله - تنطبق عليك. نعم.

* * *

جزاكم الله خيرًا.

السؤال الرابع عشر:

ما تعليق فضيلتكم - جزاكم الله خيرًا - على كلامه الآتي:

«السائل: يا شيخ - حفظك الله- هذه كتب سيد قطب، يعني هذا «لماذا أعدموني» وكذا يعني سمعنا أنه فيه كلام وفي بعض كتبه الطعن في الصحابة.

عدنان: إذا ابتعدت عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، هل يخلو كتاب من أخطاء؟

السائل: لا - أستغفر الله -.

عدنان: لا - «لماذا أعدموني» ما فيه، ما فيه مسبة الصحابة.

السائل: فيه بعض الأشياء يعني.

عدنان: لا، لا.

السائل: لا أنا ما أقصد «لماذا أعدموني».

عدنان: آ أما الكتب الأخرى نعم، أنا تكلمت عن هذا وما أريد أن أكرر تكلمت في أشرطة.

السائل: هم اللذين يعني، يعني، يعني سمعناه يدندنون حوله، يعني لماذا الشيخ عدنان يعني يتكلم عن سيد قطب وكذا وكذا.

عدنان: مثلما تكلم عليه الشيخ ربيع، شو تكلم عليه، تكلم عنه.

السائل: ما نعرف.

عدنان: تكلم الشيخ ما تعرف.

السائل: ما نعرف اسمع بهذه الفتنة عندي أقل من شهر.

عدنان: آ، لا.

السائل: ما أدري ما قال الشيخ على سيد، وإنما سمعنا أن هناك أشرطة يتكلم فيها عدنان عن سيد قطب.

عدنان: ما سمعت ماذا قال ربيع عن سيد؟

السائل: قلت أنا ما سمعت ما أستحضر الأشرطة إبراهيم الأخضر أرسل لي الأشرطة. فوجئنا لما دافع عن عدنان عرعور - عدنان عرعور ما كان، ما كان عدنان عرعور.

عدنان: ها، ها، ها.

السائل: قال هذه فتنة قديمة، قلت أنا ما سمعت يعني ما

عدنان: آه.

السائل: والله جديد هذا الأمر بالنسبة لي، يعني والله ما كنت أعرف.

عدنان: سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ وقع في أخطاء وفي أخطاء كثيرة وبعضها كبير، ولكن نحن لا نراه (ماسوني) كما يراه ربيع، ولا نرى عبد الناصر ولي أمر كما يرى بعضهم يرى بعضهم هذا، عبد الناصر وليّ أمر، سيد قطب (ماسوني)، فعلى هذه الأمة السلام، - أعوذ بالله من الضلال - على هذه الأمة السلام، إذا كان عبد الناصر وليّ أمر وسيد قطب (ماسوني) أخطاء، أخطاء.

أما أنا فلا أحث على كتبه، وأتراجع عن كل لفظ صدر مني، وكذلك أعترف أن هناك أخطاء كثيرة لسيد يجب التحذير منها، وهناك أخطاء للزمخشري يجب التحذير منها، لكن هل هذا وجوب عيني هذا وجوب على من؟».

الجواب:

تعليقي على هذا الكلام:

أن هذا الرجل يقطر قلبه حقدًا على السلفيين وليس لهم في صدره أي منزلة فهو يُهينهم ويبالغ في إهانتهم ويرميهم بالافتراء والكذب والظلم والضلال والجهل و، و، و، إلى آخره.

أما سيد قطب إذا جاء ذكره - فما شاء الله - فأشد ما يصفه به أنه مخطئ، عنده أخطاء كثيرة - الله أكبر -.

جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ يتعلم منه الدعاء فعلمه:

«اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا[(١)] ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[(٢)].

فعلى منهج عدنان يكون سيد قطب أفضل من أبي بكر، لماذا؟ لأنه ليس عنده إلا أخطاء لا ظلم ولا بدع.

«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري»، هذا يقوله محمد ﷺ.

فإذا كان سيد قطب في منطق عدنان ليس عنده إلا خطأ فقط -ما شاء الله- خطأ المجتهدين فهو له إصابات كثيرة له فيها أجران وله أخطاء - إن شاء الله - ما ينزل عن درجة المجتهدين في إصابة الأجر لواحد.

كلمة خطأ في منطق عدنان يقصد أن يثاب على خطئه ولا يضلله أبدًا، لكن يسهل عليه كل الألفاظ القاسية الشنيعة أن يطلقها على السلفيين، وانظر لما سئل عن كتبه، هل هناك كتاب بعد كتاب الله يسلم من الخطأ، يعني بعد كتاب الله، البخاري ومسلم وعقائد أهل السنة - بارك الله فيك - كلها تصير في مستوى كتب سيد قطب، تميع وتلاعب ثم يأتي إلى ربيع لما سئل عنه.

قال: قلت مثال ما قال ربيع.

ربيع ألف خمسة مؤلفات في سيد قطب، بيّن ضلاله وبدّعه (بوحدة الوجود)، وأنت تدافع عنها، وبدّعه (بسبه لموسى)، وأنت تدافع عنه.

هل سبه لموسى خطأ؟ هل سبه لعثمان خطأ؟ هل طعنه في الصحابة يقال له عند أهل السنة خطأ؟

السلف قالوا: «من انتقص صحابيًا واحدًا فهو زنديق»، قالوا فهو زنديق انظر تعبيرهم: «من انتقص صحابيًا واحدًا فهو رافضي خبيث».

أين أنت من منهج السلف، أنت أورع منهم؟

هذا كله الذي يجعلك - ما شاء الله - تتحلّى بالورع والزهد، إذا جاء أهل

---

(١) انظر كيف يعلمه رسول الله ﷺ أن يعترف على نفسه بالظلم لا الخطأ.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

البدع وعلى رأسهم سيد قطب.

وأما إذا جاء ذكر السلفيين وأئمتهم وعلمائهم فلا ورع ولا سلف ولا أدب ولا مُروءة - ما شاء الله - لهذه الأخلاق التي تتحلّى بها.

أنا ما قلت عن سيد قطب أنه (ماسوني) هات في أي كتاب قلت، في أي شريط، في أي مكان، لا تستطيع أن تثبت هذا، هذا من أكاذيبك.

ثم افرض أني قلته، أنه (ماسوني) كلمة (ماسوني) ما تعني الكفر، أناس يخدعون (بالماسونية) ويمشون معهم، وقد تكلم على هذا علماء مصر والمملكة، وما كفروا من قيل فيه (ماسوني) فلماذا تهوّل بهذا؟

ثم من قال: أن جمال عبد الناصر وليّ أمر المسلمين؟ لعلك أنت قلت، ما قال السلفيون هذا، ثم تضلل من يقول هذا الكلام - ضلال -.

وسيد قطب يقول بالحلول ووحدة الوجود، لماذا ما تقول ضلال، في هذا السياق الذي تحامي عن سيد قطب بأسلوب ماكر، وتميع ما ينسب إليه من الضلال وتهوّن منه، ثم تبرز ربيعًا أسوأ من سيد قطب الذي ما ترك أصلًا من أصول الإسلام إلا وزلزله، ولا عقيدةً فاسدةً من كُبريات البدع إلا قررها وتجعل ربيعًا أسوأ منه، في سمع من يسمع كلامك، وهذا من التميع والتلاعب الذي دأبت عليه وصار طبعًا من طبعك -فنعوذ بالله- نعوذ بالله من هذه الأحوال السيئة.

نعم.

* * *

أحسن الله إليكم.

السؤال الخامس عشر:

ما تعليقكم على دعوى عدنان الآتية - جزاكم الله خيرًا - :

«أنا ما وجدت.

أحد الحضور: تدافع؟

عدنان: ولا أدافع؛ لأني إنما أداهن حتى الآن أداهن ربيع حقيقةً، أنا أداهن ربيع - ها - اتقاء شره.

لأن هذه وصية الشيخ ابن باز.

(أشهد بالله العظيم - وأقسم بالله العظيم - وأقسم بالله العظيم).

أني عرضت عليه المشكلة قبل وفاته فنصحني بالابتعاد عن ربيع خشية أن يؤذيني.

(أشهد بالله العظيم قال لي حي) يؤذيك، هذا فعل كيت وكيت وكيت، فعل مع فلان كذا - يفعل - أيش لك علاقة فيه.

(اتركه) هكذا قال لي: (اتركه).

قلت كذا وكذا، قال لي: (اتركه) وغضب ورفع صوته علي قال: (اتركه) نعم.

أحد الحضور: أيش قال الشيخ ابن باز فيه؟

عدنان: وبيني وبينهم مباهلة في المسجد الحرام، بهذا الكلام إذا أنكروه، ما يصلح هذا كلما طلع عندنا داعية قصمنا ظهره.

(أبو إسحاق الحويني عنده أخطاء) - (محمد حسان عنده أخطاء) (أنا عندي أخطاء)، فلان يعني قصدي لا يخلو إنسان من أخطاء، لكن هكذا تعامل القضية، الآن (سبعة - ثمانية - تسعة - عشرة)».

الجواب:

هنا نقول نقرأ قول الله - تبارك وتعالى - :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾(١).

فنحن علينا أن نتبين كما أمر اللَّه - تبارك وتعالى -؛ لأن هذا الرجل كذوب، ولو أكد كذبته هذه التي نراها أنها كذب أكدها بالقسم.

فاللَّه يقول:

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾(٢)، إلى آخره.

لا أتصور أن ابن باز ينظر إلى ربيع بهذا المنظار، فبينهما من المحبة والمودة ما بين أفضل الأساتذة مع أفاضل الطلاب - إن شاء اللَّه -؛ لأنّا يربطنا به المنهج الصحيح والعقيدة الصحيحة والولاء الصحيح، وعدنان يتمسح به ويطعنه من خلفه، وقد مرّت بكم شهادة عبد القادر جنيد، وأنا سمعته بأذني وسمع غيري أنه يطعن في الشيخ ابن باز، وأنه لا يؤصل.

وهو حينما اضطر إلى التمسح به وبالألباني راح يتعلق بهما ويقول شيخي، وعرفتم كذبه في هذا، وقد كذبه عدد كبير في دعواه تلك، ونحن الآن نكذبه في هذه الدعوى.

فإن الشيخ قال له «اتركه، اتركه» وغضب فإنما هو زجرٌ له؛ لأنه - واللَّه أعلم - رأى فيه كذبًا وافتراءً على ربيع فزجره.

أما أنه يحذره من أذى ربيع، فهذا ليس بصحيح ولا يصدّق فيه عدنان ولو حلف، فإن أمثاله يحلفون على الكذب والفجور.

وأما اعترافه بالمداهنة، فالمداهنة في دين اللَّه قبيحة، واللَّه قد أخبر الرسولَ ﷺ: أن الكفار يودُّون المداهنة، نهى رسولنا على المداهنة.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾(٣). إلى آخره.

ففي الإسلام المداراة، لكن أظنه ما يفرق بين المداهنة والمداراة لجهله.

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) القلم: ١٠-١١.

(٣) القلم: ٩-١١.

- فالمداهنة: أن تتنازل عن شيء من دينك لأجل الدنيا.

- والمداراة: أن تتنازل عن شيء من دنياك لأجل دينك.

ونحن لا نستجيز لمسلم أن يداهن، لا ربيعًا ولا غيره، وإذا داهنته على حسب كلامك فأنك تخشى أن يصدع فيك بالحق، ولن يقول فيك ولا في غيرك الباطل إن شاء الله؛ لأننا ولله الحمد لا نستجيز ظلم أحدٍ في صغير ولا في كبير، وهذه كتبنا التي رددنا فيها على أهل الأهواء وأهل الفتن لا نورد إلا أقوالًا ثابتة عنهم من أصواتهم أو من كتبهم، فما هو الأذى الذي لحقك من ربيع.

أنت الذي آذيته واعتديت عليه، والناس يشهدون أنك اعتديت ويطالبونك بالتراجع عن هذا العدوان وعن هذا الظلم، وواصلت وواصلت ظلمك وعدوانك على ربيع وهو لا يدفع إلا بعض شرورك وأذاك.

والشاهد: أننا لا نقبل هذا الكلام، وأن الشيخ ابن باز لا يمكن أن يذم ربيعًا من أجل عدنان ولا من أجل غيره إن شاء الله، وتزكيته لربيع وإخوانه موجودة ومنتشرة ونكتفي بهذا القدر.

* * *

جزاكم الله خيرًا.

السؤال السادس عشر:

ما تعليقكم على كلامه الآتي - حفظكم الله -:

«أنا عيب أقول لكم أن الشيخ ناصر كان عندي مرة في البيت، فسألته، سألته: ما أسباب خروجك من الجامعة، فقال لي: «يا بني الحسد».

فما فهمت هذا إلّا الآن، ثم أرسلت له ابني وصهري وإيش وسبعة شباب، فذهبوا إليه وأرادوا يناقشوه حتى تحل المشكلة.

إن قال لهم، أن قال لهم، قالوا له: ما هي أخطاء عدنان في العقيدة؟، ما وجدوا، وما هي أخطاءه في المنهج، ما وجدوا، وقال لهم حرفيًا: أنا الآن راتبي أكثر من ١٥ ألف ريال، وإذا أردت أن أذهب إلى الرياض أحسب حساب التذكرة ٥٠٠ ريال يعني ١٠٠ دولار ١٥٠دولار، وأنا خارج أحسب حساب، عدنان لماذا يطوف بالمشرق والمغرب من أين يأتي بثمن التذاكر - ها - فأدركوا الناس حقيقة الخلاف.

والله قال - بس - وحدثني بها واحد اثنين ثلاثة وكل واحد بعدين الخبر ستة أشهر.

ثم اتصل بي بعض الإخوة قالوا له: أنت اقترح اقتراحك اكتب أخطاء عدنان ونحن نتفاهم.

وقال لهم: ما عندي إلا اقتراح واحد: عدنان يترك السفر والدعوة إلى الله، بس، قال: وتنتهي المسألة.

وهؤلاء الإخوة اسألوهم موجودون:

الدكتور/ باسم الجوابرة، والدكتور/ الفروائي، اتصلوا بهم لتجدوا هذا الخبر عندهم، قالوا له، قال: يقف عن الدعوة ولا يسافر يوم في الشرق، يوم في الغرب، يوم في الصين».

الجواب:

باسم الله.

التعليق على هذا الكلام:

أولًا: سؤال الألباني ما أسباب خروجه، ويقول أنه أجابه بأنه الحسد، وهو لا يصدق في حكاية هذا الكلام.

ثانيًا: على فرض أن هذا جواب من الشيخ الألباني على سؤاله، فإن الألباني يُحسد، ولكن يحسده أهل الشر من أهل البدع والمتعصبين للمذهبية العمياء.

وأما أهل السنة فهم يعتزون به، ومنهم ربيع ويتمنون الألوف من أمثاله في الدنيا، فلا يحسدونه ولا يحسدون ابن باز ولا يحسدون أحدًا من أعلام السنة، إنما يعتزون بهم ويؤازرونهم ويناصرونهم ويشجعونهم على حمل لواء السنة، وعدنان على ماذا يحسد؟ على ماذا يحسد؟

الذين أرسلهم ومعهم ابنه قصتهم هي كالآتي:

أن ابنه اتصل عليَّ من مكة، وقال لي: نحن شباب جئناك من الرياض ونحب زيارتك، فقلت: تفضلوا، ثم اتصل بي مرةً أخرى، فقال: أنا الذي كلمتك في الزيارة وأنا ولد عدنان.

فقلت: لا أرى وجهك ولا وجه أبيك، لا أراكما، فتلطف، وتلطف، وتلطف، فرحمته وظننت به خيرًا.

وقلت له: تفضل، لعله يختلف عن أبيه، إن الله يخرج الحي من الميت، فجاءني ومعه نفر لا أدري كم عددهم شباب أظنهم سوريين - والله أعلم -.

وجلسوا وأنا أتحدث، وهم جالسون، لا كلام متأدبون ولا نقاش ولا حوار.

فسألتهم: تريدون شيئًا؟

قالوا: لا.

سكتوا شرحت لهم ماذا عند عدنان من المخازي، وهم سكوت لا كلام أبدًا، لم يحاور أحدٌ ولم يجادل أحدٌ منهم، ولما استأذنوني للانصراف قمت معهم.

فأخذني ابنه فانتحى بي جانبًا وكلمني بيني وبينه.

قال لي: ماذا تريد من الوالد.

قلت: والدك أريد منه ما يأتي:

هو قال في أحد أشرطته في فرنسا أظنه: أن الشيخ ربيعًا أصاب في معظم ما انتقد فيه سيد قطب، فأريد أن يبين:

١- إما أن يبين لي هذا المعظم الذي أصبت فيه.

٢- وإما أن يبين لي ما عداه من الخطأ حتى أراجعه.

هذا الذي دار بيني وبين ابنه.

ربما قلت، في خلال كلامي عن أخطائه وانحرافاته، قلت: هذا الرجل دائمًا يسافر، من أين له الأموال لهذه الأسفار؟، أشير إلى أنه مجندٌ من أهل الضلال والبدع المحاربين لمنهج أهل السنة والجماعة، فهو يركض هنا وهناك لحرب أهل السنة والجماعة وتفريقهم وتمزيقهم، فأنا أوردُ هذا لا حسدًا له، حسدًا له على نشر الفتن، على الكذب، على مقاومة السنة وأهلها، على ماذا؟

ما حسدته.

قال: «ناس عرفوا هذا الذي عرفوا، فهم الناس، فهم الناس».

فهموا ماذا؟ الناس ما فهموا، من هم العقلاء الأفاضل من أهل السنة الذين فهموا كلامي أنني أحسدك على الخروج، والفروائي وباسم الجوابرة كان الحوار بيني وبينهم في أمور كثيرة أنت تخفيها وتخفي حقائقها، منها سر المحاكمة وهو طويل وافقت على المحاكمة حين عرضا عليَّ.

وقلت: إن الشيخين مريضان على فراش الموت، ولكنه إذا كان صادقًا فلنحتكم إلى العبَّاد والفوزان، فرفض واعتذر وتهرب.

وقال: الأصل الشيخان الألباني وابن باز.

ثم بعد ذلك أنا قلت: لا محاكمة ولا كذا؛ لأن كتبي حكم عليها.

فلماذا أدخلها مرةً أخرى في المحاكمات، هذا الذي أريد، مدار الخصومة هي كتبي، ما هو الكلام؟

أما الكلام الذي قال وقلته، وهو قال أكثر مني ويفتري عليّ، أنا متنازل عن حقي، أنا متنازل؛ إذا قلت فيه شيءً يسقط وإذا قال في شيء يسقط، لكن يبقى الآن عليه أن يوافق العلماء فيؤيد كتبي كما أيدوها وحكموا لها وتنتهي.

وبلَّغني الأخ باسم أنه قال له: إذا ذهبت إلى الغرب لا تتكلم، فذهب يتكلم في ربيع ويتكلم ويفتري ويكذب ويفتري ويكذب ويهوّل ويؤول إلى آخره؛ لأنه راغب في الفتنة، راغب في الفساد، مجندٌ لذلك.

هذا الذي دفعني أن أستنكر رحلاته الخبيثة؛ لأنني أتصور أنه لا يمتلك هذه الأموال، وإنما هناك من ورائه أيدٍ خبيثة حزبية وغيرها تتخذ منه سلاحًا لضرب الدعوة السلفية وتمزيق وتفكيك أهلها، فالسلفية كانت تعج بها الدنيا في العالم، ليس كما يقول، يقول: ما وجدت أحدًا لما جئت إلى الغرب، السلفية كانت تملأ الدنيا وتملأ سمعها وبصرها في أوربا وأمريكا، وجاء هو ومجندوه لتفكيك السلفيين وتمزيقهم وتحويل الكثير منهم، ونجحوا في ذلك فحولّوا كثيرًا من الشباب السائر في طريق السلف، حولوهم إلى أحزاب لئيمة دنيئة، وحولوا أخلاقهم ومنهجهم إلى أخلاق رديئة ومناهج فاسدة.

فهو من الساعين في الأرض بالفساد، وما تساءلت وما أقول لا يرحل إلا لكف فساده لا حسدًا له - فلعنة الله على الحاسدين -.

* * *

جزاكم الله خير الجزاء.

السؤال السابع عشر:

ما تعليق فضيلتكم - حفظكم الله على كلامه الآتي:

«كان أخونا ربيع يقذف بالتهم من مكانٍ بعيد وقريب، وكنت أحتسب ذلك عند الله خشية من إثارةِ الفتنة، وأني لم أرد على كل افتراءٍ أو كذب قام به أحدهم سواءً كان هذا المبتدي المجهول القارسي أو المجهول الثاني عبد المالك أو ربيع؟».

الجواب:

الجواب على هذا: (رمتني بدائها وانسلت).

أين التهم التي يقذفك بها ربيع من مكان بعيد، لماذا لم تنص عليها، ربيع لم يتكلم فيك إلا بحق، ولم يصفك بشيءٍ مما ترى أنه قذفك به، وهذا من تسمية الباطل بالحق؛ لأنك تقلِّب الأمور فتجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، والإنصاف والعدل ظلمًا والظلم عدلًا، فأنت تُقلِّب الأمور.

هات هذه التُهم التي تزعمها وأنني أقذف بها من مكانٍ بعيد.

دُل الناس عليها وقل في كتابه الفلاني وفي شريطه الفلاني، بعد فتنتك الطويلة ودفاعك عن سيد قطب بالباطل وتمجيدك له و. . . و. . . إلى آخره.

إلى هذا الحد ولم يرد عليك، ربيع، ساكت عنك صابرٌ علي أذاك وانبرى لك من سميتهم يناقشونك بالعلم والحجة والبرهان فتجهلهم وتقول أنهم مبتدئون وأنهم مجهولون وإنهم كذا، وما من واحدٍ منهم إلا هو أفضل منك وأعلم بالحق منك وأعلم بالمنهج السلفي منك وردوا عليك في ضوء منهج السلف وبقواعد السلف، فتجلهم وتكذبهم وتجعل حججهم وبراهينهم كذبًا وافتراءً، ما رأينا إنسانًا يقلب الأمور مثلك يا عدنان، فاتق الله.

أثبت، لا تقول اتهموني وكذبوا عليّ وافتروا عليّ، هكذا يستطيع أي دجال أن يقول مثل هذا الكلام، وأي أفاك يستطيع أن يدعيَ مثل هذه الدعاوى، لكن: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فهات مناقشات هؤلاء الذين سميتهم وبيّن كيف افتروا عليك وكذبوا عليك، أنت الذي تفتري وتكذب على الناس وتجعل الحجج والأدلة والبراهين الساطعة على ضلالتك وانحرافاتك تجعلها افتراءات وكذبًا واتهامات.

أتحداك أن تأتي بافترائي عليك من كتبي ومن أشرطتي.

وأتحداك أن تأتي بأقوال من ذكرت من كتبهم وأشرطتهم لتبين أنهم افتروا عليك وكذبوا عليك، وإلا فأنت الكذاب المفتري.

وأنا أطلب من الناس الذين يسمعون هذا الكلام أن يطالبوك ببيان ما قلت، فإن عجزت فأنت المفتري.

* * *

أحسن الله إليكم.

السؤال الثامن عشر:

ما تعليقكم حفظكم الله على كلامه الآتي - جزاكم الله عنا خيرًا -:

«هل أخينا، أو هل أخونا الفارسي والعبد المالك وربيع، هؤلاء الإخوة هل تعلمون لهم أثر دعوي في أوربا؟

أحد الحضور: لا.

عدنان: اشهدوا بالله العظيم.

أحد الحضور: نشهد بالله العظيم.

عدنان: طيب، لا تعلمون لهم أثر دعوي في أوربا لا في كتبٍ ولا في أشرطة، بل أنا أتصور أنهم إذا جاءوا إلى العوام أو غيرهم يكونون من المنفرين أكثر من الدعاة؛ لأنهم سيبحثون معهم قضية سيد قطب وقضية الخوارج، وأنتم تعلمون عوام المغاربة وعوام الجزائريين وعوام المغاربة وحالتهم التي يرثى لها.

وقد جئنا قبل سنوات والله ما نجد مركزًا في بعض الدول الأوربية، ولا أريد أذكر اسمًا حتى لا يتحسس منها «ألمانيا»، ما وجدنا أحدًا يؤوينا إلا بعض المراكز التي عطفت علينا من بعض الحزبيين أو من بعض المغاربة العوام، أن هذه الفتنة كشفت الغطاء عن حقيقة قولة إمام هذا العصر الألباني رحمه الله إذ قال: لقد أصيب - أصيبت الأمة الإسلامية في عقيدتها وأصيب السلفيون في أخلاقهم.

وقال هذا الإمام: لقد سعينا في التربية - في التصفية - ها - وقصرنا في التربية وهذا أمرٌ مشاهد».

الجواب:

الجواب على هذا الهراء والإفك:

أن الشيخ ربيعًا ومن ذكر معه لا يتبجحون بأعمالهم وآثارهم، ولكن حيث امتحنتا هذا المنحرف فإنَّا نبين مضطرين كما اضطر غيرنا:

الحمد لله الدعوة السلفية انتشرت في الأرض وامتلأت أوربا وأمريكا بكثيرٍ

من الشباب السلفي السائر على منهج السلف، والسبب في هذا -ولله الحمد- جهود السلفيين في العالم من المملكة وعلى رأسهم ابن باز، بجامعاتهم ومدارسهم ونشرهم للكتب في العالم، وجهود الشيخ الألباني وتلاميذه وجهود إخواننا أهل الحديث والسلفيين في الهند وباكستان وبنجلاديش والسودان وغيرها منتشرين في دول أوربا وأمريكا ينشرون دعوة الله - تبارك وتعالى -، وكان لربيع وإخوانه دورٌ في دعم هذه الدعوة بالكتب وبالأشرطة التي انتشرت في أوربا وفي أمريكا - والحمد لله -، وكثر الأصدقاء والمحبون، وقد منّ الله على ربيع أنه يقطن في المدينة ثم مكة، فيأتيه الناس من كل فجٍّ عميق في عُقر داره، من رءوس السلفيين ومن طلابهم ويزودهم بنصائحه وبكتبه وبأشرطته بقدر ما يستطيع، ويذهبون إلى بلدانهم وقد استفادوا منه ومن غيره، فربيع وإخوانه وإن لم يذهبوا إلى أوربا، لكن هناك روابط وثيقة بينهم وبين الدعاة وطلاب العلم في أوربا قبل أن يعرفوا عدنان.

ومما أذكره أن أناسًا من أمريكا كانوا يأتونني، وكان «أحمد سلام» قد أفاق ما شاء الله فترة طيبة وردّ فيها على «محمد سرور زين العابدين»، وكان يتعاطف مع ربيع هو ومراكزه إن كان له مراكز أو مركز واحد، وكان «الشوعة» يأتيه ويذكر له أنه ينشر كتبه، يذكر الشوعة أنه ينشر كتب ربيع وهو من أوائل من نشرها سواءً في الرد على «سيد قطب» أو غيره وما كان إلى هذا الوقت ذكرٌ لعدنان ولا نسمع عنه شيئًا، حتى استمال «الشوعة» واستمال «أحمد سلام» استمالهم بإغراءاته وحيله، وكنت قد حذرتهما منه، فلما استمالهما أصبح له موطئ قدم وإلا لا يقبله أحد، ونأخذ شاهدًا من كلامه أنه ما وجد أحدًا يؤويه؛ لأن السلفيين الموجودين لا يريدونه ولا يمكن أن يؤوا محدثًا مثله يحارب الدعوة السلفية.

وأما الحزبيون؛ فمراكز الحزبية هي الأوكار التي يؤوي إليها فأووه؛ لأن «الطيور على أشكالها تقع»، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

إلى الآن السلفيون لا يريدونه لا في أوربا ولا في أمريكا ولا في المملكة ولا في أي مكان ولا يؤونه، وإنما يؤويه الحزبيون أو ممن استمالهم بمغرياته

ومشاكله وبلاياه مثل «أحمد سلام» الذي أصبح معه، و«الشوعة»، الآن وهو كما ترى إلى الآن يقول ما في إلا عوام ما في إلا عوام مغاربة وكذا وكذا.

إذن أنت ما أخرجت علماء، إذا كان إلى الآن لا يوجد إلا عوام أمامك تخاطبهم ويخاطبونك، ونحن لو جئنا لا نجد إلا هؤلاء على حسب ما تقول، نحن نتصور لو جئنا لوجدنا سلفيين كُثر وقد ذهب من ذهب إلى أوربا ووجد الألوف المؤلفة من السلفيين الذين لا يؤزونك ولا تراهم.

وهؤلاء الذين تستشهد بهم:

- إما أنهم يجهلون الواقع - مساكين عوام.

- وإما أنك ربيتهم على شهادة الزور على طريقة الخطابية، فيشهدون لك أنه لا أثر لهؤلاء في الدعوة إلى الله.

وأما زعمك عن أخلاق السلفيين ونسبة ذلك إلى الألباني، فأنت لا تصدق؛ لأنك معروف بالكذب، الألباني نستبعد أن يقول هذا الكلام في السلفيين نستبعد، فإن كان يشكو من أخلاق بعض السلفيين فمن أمثالك الذين يلبسون لباس السلفية وليسوا بسلفيين حقيقيين.

فالسلفيون - والحمد لله - يتمتعون بالعقيدة الصحيحة والمناهج الصحيحة والأخلاق العالية، فإن كان الألباني يشكو من أخلاق بعض من ينتمي إلى السلفية فمن أمثالك من الذين يلبسون لباس السلفية زورًا، ثم يسيئون إلى السلفية بأخلاقهم وأعمالهم، ومن تردّيك في الأخلاق المنحطة سبك للعلماء وإهانتك للسلفيين وافتراؤك يستمر عليهم، فإن كان فعلًا شكوى من الألباني ونحن نستبعد، فإنما هي من أمثالك على ما وصفت.

* * *

أحسن الله إليكم.

السؤال التاسع عشر:

وما تعليق فضيلة شيخنا على دعاوى عدنان الآتية - سدد الله خطاكم على طريق الخير والهدى -:

«يكفي نقضهم لأس السلفية ألا وهي الرجوع إلى الكتاب والسنة، والتحاكم إليها، لماذا عدنان منذ بدء الفتنة أراد أن يطفئها والله يعلم ذلك ويدعوهم إلى التحاكم فلا يتحاكمون، وأما إخواننا - آه - فوالله الذي لا إله إلا هو يجب عليهم توبات وإلا يستتابون؛ لأن الشيخ ربيع كتب في كتابه ردًّا عليّ يقول: عدنان دعاني إلى التحاكم، وليس من اللائق أن أتحاكم مع هذا الملبس المموه.

هل يقول مسلمٌ فيه ذرةٌ من دينٍ أو علمٍ لأمر من الله ﷻ أو رسوله: ليس من اللائق، شوفوا كم في هذا:

أولًا: ردٌّ للنصوص التي أمرت بالتحاكم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

هذا شجار بيني وبين ربيع أم لا؟ يدخل في الآية؟

الحضور: نعم.

عدنان طيب؛ الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، على التفصيل المعروف عند أهل السنة والجماعة حتى لا يقول تكفيري - ها - ها - ها - ها - ها -.

والله أنا ما أتأثر ولا ظفري ولا متأثر نعلي بهذه الفتنة، ولكني -والله- أتأثر عليهم أتأثر على المراكز التي حصلت فيها فتنة، أما أنا لما قال حرفيًا ضرني ذلك، و، وحزنت حزنًا شديدًا أنا وزوجتي، لأني حرفي ولأنها تزوجت جرفي المسكينة».

قال عدنان هذا الكلام بصوت متباكٍ ساخر على طريقة مجان الممثلين.

---

(١) النساء: ٦٥.

الجواب :

أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم .

عدنان هو الذي يسعى في الفتنة من بداية أمرها إلى نهايتها ولا يزال يركضُ بها ولم يسع في إطفائها أبدًا بل هو يسعى في اشتعالها .

فحركاته وأعماله ومواقفه مثل نارٍ تشتعل فيصب عليها مادة (البنزين) فتزداد اشتعالًا ، إنه يقلب الأمور .

على كل حال بدءُ معرفتي بهذا الرجل وجدته يدعي السلفية ، ولكني لاحظت أن يغمز في الشيخ ابن باز لِعدم التأصيل ، وقد يتكلم عند غيري بما هو أدهى وأمرُّ من هذا .

ثم جمعني به مجلسٌ في الرياض يضم عدنان ويضم شبابًا سلفيين يشكون من فتنته ، وأنه يدعي أن المنهج السلفي غير مؤصل ، وأن شيوخ السلفية غير مؤصلين ، ويقول : إن التأصيل عند سيد قطب ، ودار النقاش في هذا الأمر .

وقلت له : كيف يا عدنان تقول في المنهج السلفي أنه غير مؤصل وهو يقوم على الكتاب والسنة، ويقوم أيضًا على تأصيل أصول الفقه وأصول الحديث وأصول أخرى وأصول العقيدة، وما هو التأصيل عند سيد قطب وهو وقع في ضلالات كبرى من رفض وغيره؟

فقال : إنه يصيب في التأصيل ويخطئ في التطبيق .

ثم استمر الحوار بيننا وبينه ، فتغير أسلوبه مكرًا ، وعرف سوءَ تصرفه ، فقال : أن الشيخ الألباني يكفر سيد قطب منذ (خمس وعشرين سنة)، وأنا أعرف أن الألباني لا يكفره، وإنما يدينه بالجهل وبوحدة الوجود، ومع ذلك لا يكفره؛ لأنه يعذر بالجهل ، وقال كلامًا آخر في سيد قطب والله ما صدقته ، ولكن سكت عنه كفًا لشره، ثم سافرت إلى المدينة .

وبعد يوم أو يومين اتصل بي أولئك الشباب وقالوا : إن عدنان أعاد الفتنة والجدال في سيد قطب كما هي عادته، فسكتُّ وماذا أصنع ليس لي عليه من سلطان .

ثم بعد مدة عدتُ إلى الرياض وعلم بي - نزلت في أحد الفنادق - وإذا به يتصل عليّ لماذا ما تنزل عند أخيك - لماذا؟

فذكّرته بما جرى في الجلسة السابقة: أنهينا الفتنة فإذا بك تثيرها من جديد مع الشباب، يا عدنان لماذا تفعل هذا؟

حصل بيني وبينه نقاش أردت أن أعرف حقيقة منهجه.

فسألته: ما رأيك في الكوثري هل هو سنيٌّ أو مبتدع؟

فأبى أن يجيب، لف ودار وثرثر بكلام فارغ حتى انتهى.

فأعدت عليه السؤال: هل الكوثري سني أو مبتدع؟

فلم يجب ولم يبدعه.

وسألته عن أبي غدة، وكررت السؤال ولم يبدعه، فأقفلت عليه السماعة.

وقلت: أنت كذاب، وبدأت أشك في منهجه.

ثم إنني ألفتُ كتابًا في سيد قطب «أضواء إسلامية» فكان أول من تحرك بالفتنة وتحرك لمقاومتي بأسلوب ماكر - الله أعلم - درسه هو والقطبيون أو أنه من عند نفسه، لا يستطيعون أن يواجهوا هذا الكتاب، مفلسون ما عندهم أي حجة يردون بها الحق الذي أدنّا به سيد قطب.

ففكر في حيلة كيف يواجهني وبماذا يواجهني وبمن يواجهني، ذهب إلى علم من أعلام السنة ألا وهو الشيخ الألباني، وكنت قد صدّرت هذا الكتاب بطعنه في نبي الله موسى للفت نظر السلفيين وغير السلفيين إلى ظلم هذا الرجل وانحرافه، وبُعده عن الحق وتهوّره حتى لا يخجل من السخرية والطعن في الأنبياء، وثنيت بطعنه في الصحابة ولاسيما عثمان طعونًا شنيعة لا تصدر من غلاة الروافض، وثلثتُ بالعقيدة بتفاصيلها من الصفات ومخالفته لها في تعطيل الصفات وفي وحدة الوجود وفي الحلول وفي القول بالجبر والقول بخلق القرآن، وضلالات كثيرة كلها كفر.

ثم تعرضت لتكفيره للمجتمعات الإسلامية بالجهل والضلال لا بعلم ولا بمنهج صحيح.

فماذا صنع عدنان في كيده ومكره وحيلته، ترك كل هذا، ولو كان سلفيًا صادقًا لقرأ على الألباني طعن سيد قطب في نبي الله موسى وسأله عن حكم الله فيه وسأله عن تعطيله للصفات وقوله بالحلول ووحدة الوجود، وكان يسأله -لو كان سلفيًا صادقًا- عن طعنه في أصحاب محمد ﷺ وعلى رأسهم عثمان، ولو كان سلفيًا صادقًا لسأله عن هذه الأشياء، ولو كان سلفيًا صادقًا لسأله عن النصوص الواضحة في التكفير.

ولكن الرجل ماكر - ماكر، فسأل الألباني عن نص مجمل الذي ليس عنده خلفية عن التكفير الواضح الصريح من سيد قطب قد يستحسن هذا الكلام وعرف الرجل هذا، وأدرك النتيجة ووجه هذا النص، فأجابه الألباني بأن هذا كلامٌ حق ومن يخالفه مخطئ أو معنى هذا الكلام، ففرح به وراح ينشره في العالم وتأثر به سلفيون كثير لماذا؟؛ لأن الألباني «أنصف سيد قطب» «قول معتدل للألباني» «قول حق للألباني» «قول منصف للألباني» يعني الشيخ ربيعًا ظلم سيد قطب، وهذه محاربة ماكرة، ثم شعر بالندم ولامه الناس فكتب لي كتابًا من سبع صفحات كله هراء وتمويه وكلام فارغ ليس فيه اعتذارٌ صادق وليس فيه نقد لسيد قطب، فرميت هذا الكلام الفارغ أمام الرسول الذي سلَّمني هذا الكتاب.

ثم بعد مدةٍ ذهبت إلى الرياض ولا أريد أن أراه، فدعاني باسم الجوابرة إلى منزله وحضر المجلس عددٌ من القطبيين الغلاة عرفتهم من خلال النقاش، وانبرى أحدهم يتكلم في كلام طويل ضمنه أن هناك من يطعن في رموز الحركة الإسلامية مثل المودودي والبنا وسيد قطب، ففهمت أنه يقصدني.

فقلت للقوم عن إذنكم سوف أتكلم؛ لأن الرجل يقصدني.

فقاموا يموهون والله أعلم أن القصة مبيَّتة، وأبرِّئ منه باسمًا لأنه يجهل هذا وما يعرف هذه الأشياء.

قلت: هو يقصدني وأنا سأتكلم وما كنت والله أريد الكلام في سيد قطب، ولكن حيث تكلم الرجل على هذه الشاكلة فلابد من الكلام، تكلمت، بينت ضلال سيد قطب، فقاموا يجادلون مجادلة العميان الأطفال لا حجة عندهم، وشارك

عدنان مشاركة دبلوماسية في النقاش يعني مطاطية معي وعليَّ هكذا، حتى انتهى المجلس وفيه سجل هذا المجلس بما يسوءهم ويخزيهم، فأخذت الشريط ووضعته في جيبي، وخرجت فلحقني باسم وقال: أرجوك ألا تنشر هذا الشريط، وفهمت أنني لو نشرته سيكيد له هؤلاء القطبيون.

فقلت له: سوف لا أنشره، ووضعته في بيتي، ووالله ما رأيته إلى الآن، لا أدري أين ذهب، والحمد لله وفيت بوعدي ولا أزال وفيًّا بوعودي.

ثم قال لي عدنان هذا يكفي؟

قلت: لا يكفي لابد من الكتابة، أن تكتب في سيد قطب، أو أن تطلب من الألباني أن يقول كلامًا ينقض كلامه ويرد على الشريط ويدين سيد قطب، فالتزم بالكتابة.

ثم اجتمعنا في اليوم الثاني في بيت إيهاب ودعانا للغداء وحضر عدنان وحضر عددٌ جيد من إخواننا السلفيين، ودار النقاش وأدنت عدنان وأدنته بأنه قطبيٌّ وأنه لابد أن يرجع، يرجع ويكتب والتزم بالكتابة.

ثم بعد مدة يشيع أننا لما اجتمعنا في بيت باسم اتفقنا على إنهاء الخلاف، وقال كلامًا هذا مضمونه في خطابٍ وجهه إليَّ زوَّر تاريخه وغيره وصل إليَّ في ليلة: [٢٣/ محرم/ ١٤٢٠]، وكان الشيخ ابن باز مريضًا في مستشفى الطائف في هذا الوقت - رحمه الله تعالى - وهو مرض الموت، قال في هذا الكتاب، أما بعد:

فأحمد الله وحده وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصابرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

هذا وقد كنا جلسنا في الرياض قبل سنتين من تاريخه، وتمت إزالة جميع الإشكالات بيننا وما حصل من سوء تفاهم ونفيت وقتئذٍ ما نسب إليك من اتهامي بالحزبية وغير ذلك من الافتراءات وخرجنا متفقين على أن تكف لسانك وتحفظ كلامك ويشهد على ذلك أكثر من أخٍ فاضل منهم الدكتور/ باسم الجوابرة والأستاذ/ خالد العنبري وغيرهما، وهاأنت رجعت عن وعدك ونقضت عهدك بشهادةِ عشرات من الإخوة، وما سجل في بعض المكالمات مع الإخوة من الغمز

والطعن الصريح والله حسبي فيما تنسب إليّ مما لا صحة له، بل هو افتراء مبنيٌ على الظنون الفاسدة والنقول المكذوبة.

لقد كان الواجب علينا في هذه الأيام أن نقف صفًا واحدًا في وجه الكائدين لهذا المنهج العظيم المتربصين بهذا البلد الطيب الأمين، ناشري الفتن ومقوضي الأمن، الخارجين عن منهج أهل السنة والجماعة في القول والعمل، لا أن ننقب عن عيوب بعضنا ونشغل بها أنفسنا عن أعدائنا الحقيقيين.

أقف عند هذا الحد، ولعلي أقرأ بقية الكلام بعد بيان كذبه وافترائه في هذا الكلام:

أولًا: يقول هنا قبل سنتين، وكان هذا المجلس لا أذكر تاريخه وأظنه في آخر عام [١٤١٣] أو أول عام [١٤١٤]، بل هذا الغالب على ظني، وكان كتابة هذا الخطاب أو وصلني هذا الخطاب في ٢٣/محرم١٤٢٠هـ كما ذكرت لكم ١٤٢٠هـ.

فيقول: إن الجلسة كانت قبل سنتين، وهي كانت قبل سنوات، وماذا يريد بهذا التاريخ؟ يريد أن يكذب؛ لأنه أرّخ هذا الكتاب الذي وصلني في ٢٣/ محرم، أرّخه بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٤١٨، فزور وكذب في التاريخ وزوّر وكذب في الكلام، وهذه الجلسة يقول أننا اتفقنا فيها وخرجنا متفقين على أن تكف لسانك وتحفظ كلامك ويشهد على ذلك أكثر من أخٍ فاضلٍ ومنهم الدكتور/ باسم الجوابرة والأخ الأستاذ/ خالد العنبري وغيرهما.

وقد طلبت من الإخوان أن يشهدوا بما جرى بيننا فكتبوا الشهادة الآتية:

بناء على طلب الشيخ ربيع بن هادي حول ما جرى في بيت الدكتور/ باسم الجوابرة مع الأخ عدنان عرعور من أنه وقع بحثٌ علميٌ بينهما تم فيه إزالة جميع الإشكالات بينهم وخروجهما متفقين.

فنشهد أن ذلك لم يحصل، والذي وقع هو بحث عامٌّ في أمور مشكلة حول سيد قطب لم يتم عليها أولًا أو آخرًا أيُّ اتفاق بينهما.

وقد طلب الشيخ ربيع منه - يعني عدنان - أن يكتب ذلك كتابة.

والله الموفق للخير.

باسم فيصل الجوابرة – وعليه التوقيع – ثم كتب التاريخ ١٢/ ١٢/ ١٤٢٠ . والتوقيع الثاني / خالد العنبري.

وكانت هذه الكتابة في مجلس فيه عدد من إخواننا الحجاج السلفيين ومن السعوديين ممن شارك في هذه الجلسة.

وهناك شهود آخرون حضروا الجلسة في بيت الأخ إيهاب وكان مما جرى في هذه الجلسة تأكيدًا لمطالبة عدنان بالكتابة في نقد سيد قطب والاعتذار عن فعلته الشنعاء.

ثم قد سمعتم تهاويل عدنان حول التحاكم، وأنه حاكمنا إلى الله ورسوله ورفضنا، وأن ذلك كفرٌ إلى آخره، وأضاف إلى ذلك قوله:

هل يقول مسلمٌ فيه ذرةٌ من دينٍ أو علمٍ لأمرٍ من الله ﷻ أو رسوله: «ليس من اللائق».

أنا ما قلت هذا الكلام الذي قولنيه ونسبه إليّ عدنان بهذا الشكل وعلى هذه الصورة.

ولا أقصد احتقاره لأنه شاميٌ، وإنما أقصد أمرًا آخر يقصده كل مسلم وهو أنني قلت خلال ردي عليه في كتابي «انقضاض الشهب السلفية على أوكار عدنان الخلفية» قلت: الحادي والعشرون: حقيقة المطالبة بالمحاكمة:

«تشدق عدنان كثيرًا بقصة المطالبة بالمحاكمة، وكذب كذبات في عرضها على الناس، وفي تصويرها على خلاف حقيقتها وواقعها، وزيف فيها هنا وهناك.

والقصة طويلة يعرفها الواسطة بيني وبينه، وأنها أخذت مراحل من ضمنها أنه استعد للكتابة بما أريد، ومن ذلك تردده في المحاكمة إلى الفوزان والعبّاد.

ثم استقر رأيي وترجح لي أنه من غير اللائق الدخول مع هذا الملبس المموه في محاكمات، وكتبي قد حكم فيها العلماء وأيدوها.

فمن السخف إدخالها في متاهات ودهاليز لا نهاية لها، وقد حسم فيها الأمر.

فما على عدنان إلاَّ أن يسير وراء العلماء، ومنهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تأييدها، واعترافه بخطئه».

فانظر كيف بتره عدنان وحرّفه ليوافق ما يلبس به على الناس.

فأنا لم أرفض المحاكمة - والعياذ بالله - إلى الله وإلى رسوله؛ لأنه طلب المحاكمة إلى أشخاص، ورأيت أن الحق لي أنا فتنازلت عنه، تنازلت عن حقي وعن حق المنهج السلفي وعن حقوق السلفية وعن أذاه وعن سبه وعن شتمه، ولا أريد إلا إنهاء الفتنة بموافقة العلماء ولا أريد الطعن في نسبه هذا كذب، هل من اللائق أن يكون للرجل الحق ثم يذهب إلى محاكمات وحقه واضح، إذا اتضح حقه انتهى كل شيء، فحقي واضح هذا الذي دفعني إلى عدم تلبيتي للمحاكمة إلى فلان وفلان وترجح لي.

أما أنه دعاني إلى المحاكمة إلى الله وإلى كتابه في حقٍّ له فهذا لم يحصل، هذا كذب.

فتكفيره لنا، وقوله أننا ما عندنا ذرة من دين وعلم - والعياذ بالله - هذا كله ظلمٌ منه، ثم إنه هوّل على قضيةٍ سابقة حينما قلت: «لو كان عنده أدنى بصيرة ما فعل هذا» أو نحو هذا.

قلت هذا ردًّا على كلامه لأنه تكلم عن منهج الموازنات وساق أدلة استدل بها استدلالًا باطلًا.

ثم قال بعد سوقه أدلته على وجه لا يرضاه الله.

قال: إن من الإنصاف عند تنزيل الأحكام على الأعيان وفي مجال الترجمة للأشخاص أن نرى حسنات المخالف وسيئات الموافق من أهل المنهج الواحد، ومن العمى والإجحاف ألا نرى للمخالف حسنة ولا للموافق سيئة.

هكذا قال هذا الكلام.

أنا رددت هذا الكلام الباطل رددت عليه من ظلمه وافترائه ومساواته للسلفيين بغيرهم من الحزبيين الظالمين.

قلت بعد ذلك: لو كان عنده أدنى بصيرة من الإسلام ما فعل هذا - أعني في

هذه القضية.

هو رمانا بالعمى، أليس رمينا بالعمى إذا حكمنا على أهل البدع بالحق، أليس رمينا بالعمى هو نفيًا للبصيرة - يعني إذا رمانا بالعمى فله الحق ولو كان كلامه باطلًا، وإذا أجبناه ورددنا ظلمه بمثله فنحن ما شاء الله نكفره.

طيب: أنت كفرتنا إذا كان هذا تكفيرًا كفرتنا أولًا وكفرتنا أخيرًا في هذا الكلام، وأنت تدندن كثيرًا حول تكفيرنا.

فما هو منهجك؟

وليسمع القائلون الذين يرددون افتراءه هذا أننا كفرناه وأنا قلنا على غير بصيرة، ليفهموا أنا رددنا كلامه بمثله.

والآن هذه مظالم ومظالم ومظالم جديدة ومنها تكفيرنا، فليسمعوا وليكفوا شرهم.

وأكاذيب عدنان كثيرة وتمويهاته وتلبيساته كثيرة جدًّا، وأنا لا أتصور الآن أن يقول كلامًا خاليًا من تلبيس أو كذب هذا حسب دراستي له وقد أكون مخطئًا في بعض الأشياء ما أدري - الله أعلم - لكن تصوري عمَّا عرفته من كلامه الذي تتبعته، فإن كان قد قال حقًّا خالصًا مجردًا في أماكن ما رأيتها فهو يرجع إلى قصور البشر، أما فيما رأيته فما أرى إلا تلبيسًا وكذبًا وتحريفًا، و. . . ، و. . . إلى آخره، وقواعده الفاسدة هذه ما هي إلا مضادة لمنهج الله الحق الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

* * *

جزاكم الله خيرا.

السؤال العشرون:

ما تعليقكم حفظكم الله على قوله الآتي - أحسن الله إليكم -:

«والله العظيم قال هذا الرجل المتكبر على الألباني قال: سلفيتنا أقوى من سلفية الألباني، فكيف يرضى بالتحاكم؟ كيف يرضى، ما يرضى؟».

الجواب:

أقول نحن يربطنا بالألباني عقيدة ومنهج، ونحن نجلُّه ونحترمه لعقيدته وعلمه ومنهجه الصحيح، وتصديه لأهل الباطل ولأهل البدع ورميُ أهل البدع إياه عن قوسٍ واحدة؛ لأنه تصدى لأباطيلهم، وكرَّ عليها بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح نعرف هذا له.

وهذا الكلام الذي قلته: «سلفيتنا أقوى من سلفية الألباني»:

قلته في خلال الدفاع عنه، ورد الطعون عليه، وهذا شريط مسجل فليسمعه من يريد أن يعرف الحقيقة وهو منتشر.

وهل عدنان يردد هذا الكلام صادقًا؟ ومن منطلق الغيرة على السنة وعلى الألباني، أو هو استغلالٌ ماكر، إن التصاقه بالألباني استغلالٌ ماكر، فهو ليس على منهجه، وبعيد عن منهج الألباني.

لأن منهج الألباني محاربة البدع صغيرها وكبيرها، وهذا يدافع عنها ويضع القواعد لحماية أهل البدع، ويمشي مع أهل البدع ويمشي مع الحزبيين، بل يمشي في ظني مع أشد أعداء الألباني، ورأيت شيئًا في كلام عدنان يدل على هذه الصلة، ومنها أنهم يمدونه بأشرطة لا يمكن أن يعلمها، موجودة عند أناسٍ من رءوس الحدادية الذين سبوا الألباني سبًا شديدًا وافتروا عليه، وأنه عدوٌ لمحمد بن عبد الوهاب وعدوٌ لدعوته وعدوٌ لهذه الدولة و.. و.. إلى آخره، هؤلاء يمدونه بمعلومات لا يعرفها، أعرف أنها من عندهم، وما سمعنا له كلمة لا في شريط ولا في كتاب يواجه بها هؤلاء الذين يعادون الألباني.

عرضت هذه المقولة على تلاميذ الألباني.

أما تلاميذ الألباني قالوا: «هذا لا شيء فيه».

وعدنان يريد أن يهوّل ويريد الفتنة، وهذا من الأدلة أنه يتقصد الفتنة قصدًا ويتقصد التحريش تقصدًا.

وإلا لو كان صادقًا حبه واحترامه للألباني لرد على أعدائه الذين ألفوا فيه الكتب يطعنون فيه ويقولون أنه يطعن في دعوة محمد بن عبد الوهاب ويطعن ويطعن إلى آخره، ويعرفهم أسميهم له:

«با شميل، موسى الدويش، العسكر» يرد عليهم، وغيرهم من الذين كتبوا وأعلنوا، يرد عليهم الآن إن كان صادقًا وإن كان شجاعًا، وإن كانت الدنيا فتنة، الدنيا لا تهز طفره يرد عليهم، فإن لم يرد عليهم فهو صديقهم ومتمالئ معهم ويمدونه بالمعلومات التي أظن أنهم أمدوه بها، فإن سكت ولم يرد عليهم فالأمر كما ذكرت أنا.

ومما يؤكد كذبه وأباطيله في الدعوى إلى التحاكم وأن ذلك منه تلبيس، وأننا نحن أصحاب الحق وعلى منهج السلف ما سبق أن ذكرناه من وعوده بالتراجع وقد عرفتم ذلك.

وأضيف لكم جديدًا الآن، وذلك أنه طلب من أحد الأفاضل وهو الأمير سعود بن سلمان الدكتور في جامعة أظنُّ الملك سعود:

طلب منه أن يتصل بي ويقول لي: إن عدنان مستعدٌّ لأن يتراجع مستعدٌّ أن يوقع على ما تكتبه في هذا التراجع أو نحو هذا الكلام.. المهم.

فقلت له: إن هذا الرجل غير صادق وإنه قد وعد وعودًا كثيرة وما يفي، فألح عليَّ هذا الرجل الفاضل أن أكتب.

فقلت طيب أكتب: فكتبت وأرسلت ما كتبته من توبة عدنان ورجوعه إلى الحق إلى هذا الأمير الفاضل، فعرضها على عدنان فأبى أن يوقع عليها.

فقلت للأمير: يكتب ما يُشعر بتوبته ورجوعه إلى الحق ونكتفي بذلك.

فلم يكتب، فلحقت سابقاتها من الوعود الكثيرة الباطلة.

ثم إنه ذهب إلى أمريكا وخبط وتخبط وطعن في العلماء ورأى نفسه أنه دخل في مأزق خطير فذهب يتلمّس المخرج.

ذهب إلى الشام واجتمع مع عددٍ من الإخوة السلفيين ومنهم حسين بن عودة العوايشه، وسليم بن عيد الهلالي، وعلي حسن عبد الحميد الحلبي، ومشهور بن حسن آل سلمان.

واتفقوا معه على أن يكتب تراجعه، وكتب تراجعًا طويلًا ووافقتهم على هذا التراجع بشيء من التعديل، وقالوا سوف يوافق على هذا التعديل، وإلى يومنا هذا لم يوقع على ما اتفقوا عليه ولا على العبارة المعدلة ولحقت بسابقاتها.

والمهم من هذا أن أنبه كل عاقل إلى أن الحق معنا وأن عدنان على الباطل، وأن ما يهوّل به من الدعوة إلى التحاكم كله تلبيس وقلب للأمور والحقائق.

* * *

جزاكم الله خيرًا.

السؤال الحادي والعشرون:

ما هو تعليق شيخنا على كلام عدنان الآتي:

«وقبل أن أخوض في الأنواع لابد من الإشارة إلى النقاط التالية:

أولًا: أن المسلم يبقى مسلمًا مهما فجر، ومهما فسق، ومهما ابتدع، وأن الأخوة لا يبطلها مبطلٌ إلا الكفر.

لو أن شباب الصحوة الإسلامية ومن معهم من الكبار والصغار أدركوا هذه القضية الجديرة بالاهتمام: أن المسلم مهما كان فاسقًا فاجرًا، فله عليك حق الأخوة بقدر ما قدّر الشرع، من الضوابط التي وضعها العلماء وليس الآن محل ذكر - محل ذكرها، أخوك رغم أنفك، مادام في دائرة الإسلام الواسعة.

وللأخوة حقوق منها:

١- الإنصاف، بل قد علمنا الله ﷻ الإنصاف حتى مع أعداء الله، وقال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾(١).

فإنه قد بلغ من بعض المسلمين من العداوة ما تبلغ هذه العداوة بينه وبين الكافرين، ويذهب ليسم أخاه المسلم المخالف بأبشع أنواع الشتم والقذف، بينما يتبسم في وجه الآخرين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢).

«المسلم أخو المسلم». مادام مسلمًا لم يكفر فهو أخوك.

٢- إن لهذه الأخوة حقوقًا ضيعها كثير من المسلمين، ومن أهم هذه الحقوق «التناصح لا التفاضح».

فالواجب على المسلمين أن يتناصحوا، لا أن يتفاضحوا، أن يستر بعضهم

---

(١) الأعراف: ٨٥، هود: ٨٥.

(٢) الحجرات: ١٠.

على بعض، لا أن يشهر بعضهم ببعض، الأمر غير ذلك تمامًا.

٣- ينبغي أن ننطلق من حسن الظن، لا من سوء الظن.

المشكلة التي أنا لا أعرف حلًّا لها: أن هذه المحاضرات تتكرر وتتكرر وتتكرر وتسمعون في خطب الجمعة حسن الظن، ونسمع في المحاضرات حسن الظن، ونقرأ في الكتب حسن الظن، ويأمرنا الله بحسن الظن، ويقول - عليه الصلاة والسلام -:

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

ومع ذلك لا ننطلق إلا من سوء الظن[1]»[2].

الجواب:

الحمد لله.

هذا الكلام من عدنان يدل أنه سائر على منهج الإخوان المسلمين السياسي الذي يجمع كل الطوائف تحت راية واحدة، الرافضي، والباطني، والصوفي الغالي القبوري، والزيدي، والإباضي، وغيرهم وكل من يدخل تحت الإسلام، وأن لهم حقوقًا مهما بلغوا من الفجور والبدع والضلال؛ كالرفض، ومذهب الخوارج، والمعتزلة، وغلاة المرجئة، إلى آخره.

فإن لهم حقوقًا عظيمة على بعضهم بعضًا، ومن هذه الحقوق الإنصاف، أي: أن تستخدم منهج الموازنات مع كل من يصدق عليه اسم الإسلام ولو كان رافضيًّا صوفيًّا غاليًا، تذكر حسناته إلى جانب أخطائه، إن تكلمت وانتقدت وإلا فالأصل السكوت والستر على إخوانك من الروافض والصوفية والقبورية وغيرهم، تستر عليهم ولا تشهر بهم، ولا تفضحهم حتى لو ألفوا في الكتب ونشروا في ذلك الصحف، فينبغي أن ترفق بإخوانك وأن تستر عليهم ولا تشهّر بهم ولو هدمنا يعني

---

(١) صحيح أنت لا تنطلق إلا من سوء الظن بمن يجب أن يحسن بهم الظن، وأما السلفيون فما الذي يوجب عليهم إحسان الظن بأهل الفجور والبدع الكبرى المماتتين.

(٢) من شريط بعنوان: «الاختلاف، أنواعه، وأحكامه» رقم (١) الوجه الأول.

أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ميّز الله به هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

لنستخدم هذه القاعدة العظيمة التي وضعها عدنان وورثها عن البنا، وعن جمال الدين الأفغاني، ومن سار على نهجهما أمثال هؤلاء الذين غلوا- أو سعوا إلى تجميع المسلمين على أي شيء كانوا، يعني نستخدم هذه القاعدة ولو أدت إلى ما أدت إليه، لأن الذي يهمنا الآن هو أن نجمع المسلمين تحت شعار واحد وتحت راية واحدة، فلا تفاضَح مهما بلغ من الفجور أخوك، مهما أمعن في البدعة وغلا في الأولياء وغلا في سب الأصحاب وطعن في زوجات الرسول، وفعل وفعل لا تشهِّر بأخيك.

له عليك حقوق لا تشهر به ولا تنتقده، فهذه قاعدة هي أصل لكل قواعد عدنان، ومنها «نصحح ولا نجرح» وقلبها بهذا المعنى.

وهذه القاعدة نتناصح ولا نتفاضح، لا يبعد أنها أخذت من القاعدة الذهبية قاعدة البنا «نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه» والتي توسعت وتوسعت حتى أصبحت الآن على أيدي كثير من الإخوان دعوة إلى وحدة الأديان، ودعوة إلى توحيد الأمة بما فيهم الروافض والباطنية تحت راية وحدة.

على كل حال عدنان غضب لما فسر بعض الناس قاعدته:

«نصحح ولا نجرح» «إذا حكمت حكمت»، غضب وقال: أنا ما حصرتها في أهل البدع هذا كذب هذا افتراء هذا، هذا، هذا، والواقع أن هذه القاعدة وشرحها وما دار حولها يفضح عدنان ويبين هدفه من وضع هذه القاعدة وغيرها، والتي تهدف إلى محاربة المنهج السلفي وتدافع عن البدع وأهلها وتفضحه في تأييده لمنهج الموازنات.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) التوبة: ٧١.

فالحمد لله الذي كشف أهل الباطل.

أما نحن فوالله نبغض أهل البدع، ولقد حكى البغوي: **إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على بغض أهل البدع وإهانتهم**، فنحن والله نتقرب إلى الله ببغض أهل البدع ونشهّر بهم إذا هم نشروا بدعهم، وهذا أمر أجمعت عليه الأمة بتجريح أهل البدع ونقدهم وفضحهم وتحذير الناس منهم، والمقام لا يتسع وإلا الأدلة كثيرة على هذا، وكتب الجرح والتعديل كلها تهدم هذه القاعدة الخبيثة التي جاء بها عدنان، وتهدم هذه القاعدة السياسية الماكرة، التي أسسها جمال الدين الأفغاني وغيره، وتوسعت وطورها عدنان وحولها إلى قواعد، يعني الإخوان المسلمين اكتفوا بقاعدة: «نتعاون فيما اتفقنا عليه»، فجمدوا عليها.

أما عدنان فإنه قد توسع وتوسع وأكثر من القواعد الباطلة لهذه الأهداف السياسية وتحت ستار الطائفة المنصورة.

وقوله: «ينبغي أن تنطلق من حسن الظن»:

يذكرني بما كان يوصي به البنا جماعته وأتباعه بأن يحسنوا الظن بإخوانهم، ولهذا كانت بيوت الإخوان المسلمين ومراكزهم مفتوحة لكل أهل المذاهب.

وذكر عبد المتعال الجبري في هذه الحكاية، ذكر الإباضية والزيدية والعلماء في إيران والهند وشمال أفريقيا وشمال سوريا وكذا - يعني العلماء هؤلاء يعني الباطنية، فكنا قال نجتمع مع بعض والإسلام يسعنا وكنا نجتمع فلا يجرح أحدٌ منا مشاعر أخيه فلا نذكر مسائل الخلاف.

فهذا عدنان أخذ بوصية البنا بإحسان الظن والمبالغة في ذلك وحسن الظن بالخوارج والمعتزلة والمرجئة والصوفية القبورية ولا نفضحهم بما عندهم من الضلال؛ لأن ذلك ينافي حسن الظن الذي قرره البنا، وقلده في ذلك عدنان وأمثاله.

* * *

جزاكم الله عنا والمسلمين خير الجزاء.

السؤال الثاني والعشرون:

وما تعليق فضيلة شيخنا على كلامه الآتي - سدد الله خطاكم -:

«أين» إنما كان قول المؤمنين أن يقولوا سمعنا وأطعنا».

قال الله، يقول ليس من اللائق.

ولكن أنتم ما تعرفون بعض الناس يتكبرون.

هو يتحاكم مع شامي مع مغربي، هم من شعب الله المختار الذين ولدوا من دبر آدم؟»[1].

الجواب:

هذا كلامٌ شنيع لا يقبله مسلمٌ ولا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ولا غيره، إنه ينافي عقيدة الأنبياء، وينافي إكرامهم واحترامهم، وينافي العقيدة الإسلامية وآدابها وأخلاقها، كثيرًا ما سمع الناس عدنان ينادي بالأخلاق، والأخلاق، والأخلاق، لقد عرفت أخلاقه في هذه الجولات والصولات التي يجولها على السلفيين.

وعلى كل حال أترك المجال للعلماء ولأهل السنة ليقولوا قولهم في هذا الرجل في هذه القضية وغيرها.

فإن هذا الكلام تعجز العبارة عن الوفاء بما يدل على جرأة هذا الرجل وسوء أدبه واحترامه للعلماء، ولهذا الشعب المسلم الذي أكرمه وآواه فيقذفه بمثل هذا الكلام، شعب الله المختار كله يهودي يتبجح اليهود، فيصف بها هؤلاء المسلمين، ويتجاوز ذلك إلى إهانة هذا النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام -، فهل لو سمع آدم أو أي إنسان مهما بلغ من السقوط، أيسره هذا الكلام؟

نسأل الله العافية لنا وللأمة الإسلامية وللإسلام من أمثال وأنماط هذا الرجل.

---

(١) قال هذا الكلام القبيح في شريط «استفساراته في فرنسا».

جزاكم الله خيرًا وأثابكم على هذه الأجوبة السديدة حول هذا الشبهات والكذبيات العرعورية.

وختامًا لهذه الجلسة المباركة إن شاء الله تعالى نطلب من شيخنا نصيحةً لعموم الشباب السلفي لعل الله يرد بها إخوانًا لنا إلى الحق ردًا جميلًا؟

الجواب: إني أسأل الله أن يبارك في عمري وأن يوفقني للاستمرار في نشر الحق والسنة والذب عنهما وعن أهلهما وقمع أهل الباطل ومنهم عدنان.

وأنصح الشباب السلفي في العالم الذين يخدعون بعدنان وأمثاله من الحزبيين والمبتدعين أن يكونوا على غاية الحذر من تلبيس هؤلاء وفتنتهم وشرورهم ولاسيما عدنان الذي يلبس اللباس السلفي زورًا، ويحارب أهله ودعاته حربًا لا يُعرف مثلها من أشد أهل البدع، أحذرهم من هذا الرجل أشد التحذير وأنذرهم والله حبًا لهم وأريد أن يسيروا في طريق السلف، وهم والله في غنيةٍ عنه لأنه لا يأتيهم إلا بالقواعد الباطلة والهراء والكلام الفاسد، فأحذرهم منه ومن ألاعيبه وأكاذيبه وتلبيساته، وأن يعتبروا أن الإسلام لا يؤخذ من أمثال هؤلاء.

وقد قال علماء السلف كابن المبارك وأمثاله: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

فلا يؤخذ الدين من الملبسين الأدعياء، ولا من الواضحين في الضلال، ولا من غيرهم، وإنما يأخذون العلم من أهل العلم الثقات العدول الموالين في الله والمعادين فيه والمنابذين للباطل والداعين إلى الحق وإلى الهدى المستقيم، عليهم أن يختاروا ويتثبتوا ولا يتسرعوا فيسمعوا أو يقرءوا لكل من هب ودب؛ لأن كثيرًا منهم في مرحلة البداية لا يميزون بين حقٍّ وباطل فيقرءون لأمثال من ذكرت فيخرجونه عن منهج الله إلى مناهجهم الفاسدة، فليحذروا تلك المقولة المضللة:

«نقرأ في الكتب ونسمع من الأشخاص وما كان من حقٍّ أخذناه، وما كان من باطلٍ رددناه».

هذا ما تيسر ذكره.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تسوزيع بلقاسم

مآخذ منهجية

على الشيخ سفر الحوالي

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «ظاهرة الإرجاء» للشيخ/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي، فرأيته يعيب بعض علماء المسلمين بالتناقض، ويصفهم بالإرجاء العملي، ويصف المرجئة بالتناقض، ورأيته -فيما ظهر لي- يُصوِّب سهام النقد إِلَى علماء السنة ويصفهم بالتقصير في بيان الحق، بل بأشد من ذلك.

فلقد قال بعد تعجبه من حال المرجئة: «فيحق لنا أن نعجب -أيضًا- لأقوام ينتسبون إِلَى العلم ولا يُقِرُّون الإرجاء نظريًا، ولكنهم يُجادلون عن أناس وقفوا أنفسهم على حرب الله ورسوله، ومعاداة الدين وأهله، وطمس معالِم الحق والهدى، ومُحاربة أحكام الشريعة، وموالاة أعداء الله، وجعلوا ذلك شغلهم الشاغل وعملهم الدائب»، إِلَى آخر هذا الكلام الذي سيقف عليه القارئ قريبًا.

ورأيته يشيد بِمَن يصفهم بشباب الصحوة كثيرًا، وذلك يدفع كثيرًا منهم إِلَى الغرور والتطاول على أهل العلم والحق.

ورأيته ينال من علماء السنة، ويرفع من شأن سيد قطب فيضعه فوق منزلته بكثير ولا يُنَزِّل عليه الأحكام الشرعية التي يُنَزِّلها على أشكاله.

فرأيت أن أرفع بعض هذا الضيم عن العلماء، وأناقش بعض المآخذ عليه؛ لأن المآخذ عليه كثيرة تَحتاج إِلَى فراغ ووقت طويل.

لعله يرجع إِلَى الصواب، وهذه غاية كبيرة من غاياتنا، وأمنية عظيمة من أمانينا أن يرجع المخطئون عن خطئهم ويثوبوا إِلَى رشدهم، ونسأل الله لَهم ذلك، وأرجو الله ألاَّ يكون لنا غاية سوى ذلك، والله يعلم السر وأخفى وإليه المرجع قريبًا والمآب، وهو الذي عليه الحساب، وبيده وحده الرحمة والعقاب.

وليعلم القارئ الكريم أنني أرسلت هذه المناقشة إِلَى الشيخ سفر إكرامًا له وسترًا عليه لعله يراجع ويصلح ما هوى منه ويسد ما فيه من خلل، حتى يكون كتابًا نافعًا لطلاب العلم بعيدًا عما يضرهم، ولكنه مع الأسف لَم يتجاوب معنا رغم انتظار طويل، وكان الأجدر به أن يفرح بهذه النصيحة ويعتبرها هدية ثمينة أخذًا بتلك الحكمة: «رحم الله من أهدى إِلَيَّ عيوبي»، فألجئت إِلَى نشر هذا الرد؛ بيانًا للحق ونصرًا للمظلومين ووضعًا للأمور في نصابها.

والله أسأل أن يوفقنا جميعًا لتقبل الحق ونصرته ولرد الباطل كائنًا من كان مصدره، إن ربنا لسميع الدعاء.

هذا وإن الشيخ سفرًا ليلهج كثيرًا بِمنهج أهل السنة والجماعة، ويذكر مزاياه ويذم أهل البدع ومنهم المرجئة ويذم التناقض، وهذا أمر جيد لولا ما وقع فيه من تناقض ومن إخلال بالمنهج السلفي، فلنعرض بعض كلامه وما عليه من مآخذ، ولَم نيأس من رجوعه إِلَى الحق وندعو له بالتوفيق.

* وقد بيّن الشيخ سفر الحوالي في كتابه «ظاهرة الإرجاء»:

١- أن الإسلام هو دين الفطرة القويْمَة أنزله الله متسقًا مع حقيقة الإنسان مستوعبًا كل نشاطه وحركته هَمًّا وحرثًا وفكرًا وعملًا، ومن ثَمَّ جاء منهجًا متكاملًا لإصلاح النشاط الإنساني كله إصلاح الْخَواطر والأفكار وتثبيت الاعتقادات الْحَقة، والإرادات الصحيحة والنية الخالصة، وإصلاح الأعمال بأنواع الطاعات والبر والمعروف.

٢- وتكفل ببيان ضد ذلك من الاعتقادات الباطلة، والإرادات الفاسدة والأعمال السيئة، والتحذير منه.

٣- وكما أن الإنسان لا يُمكن أن يكون همّامًا ولا يكون حارثًا؛ فإن الإيْمان لا يُمكن أن يكون اعتقادًا ولا يكون عملًا.

٤- ومن هنا نستطيع أن نتبين أي المذهبين في الإيْمَان هو الحق؛ مذهب أهل السنة والجماعة أم مذهب المرجئة؟

٥- ومعيار الحكم في هذا يبدأ من أصل الخلاف، وهو اختلاف مصدَرِي

التلقي والاستمداد عند الفريقين.

فمن يستقي من مصدر الوحي المعصوم؛ فضروري أن يكون مذهبه هو الحق المتفق مع حقيقة الإنسان تبعًا لِمَا تقرر من اتفاق دين الله ووحيه مع خلقه وفطرته.

ومن يستقي من مصدر آخر أيًا كان فلابد أن يقع في التناقض وأن يصادم حقيقة الإنسان تبعًا لمخالفته صريح القرآن

٦- ثم قال: «حقًا لقد جهدت كثيرًا لكي أعثر على وجهة نظر القوم في هذه القضية الكبرى بلسان مقالهم لا بلسان حالهم، وتساءلت أيستطيع هؤلاء أن يلتزموا القول بأن المؤمن -على زعمهم- مصاب بانفصام الشخصية فهو يعتقد غير ما يعمل ويعمل غير ما يعتقد».

ثم علّق على هذه الفقرة بقوله:

«والواقع أنه حتى انفصام الشخصية لا ينطبق على ما يعتقده المرجئة؛ لأن السلوك المتناقض فيه نتيجة شخصيتين قائمين فعلًا في شخص واحد بالتعاقب».

٧- ثم قال: «كيف يُجيبون على كثير من الأسئلة البدهية التي يفجؤهم بها مناظرهم قبل الدخول في تفصيلات النقاش العلمي والخَوض الجدلي مثل: كيف يَمتلئ القلب بالحب وتعمل الجوارح أعمالًا كلها عداء وانتقام؟!

وكيف يَمتلئ القلب بالرحمة وتعمل الجوارح أعمالًا كلها تكذيب وإعراض؟!

وكيف يَمتلئ القلب بالتقوى وتعمل الجوارح أعمالًا كلها فجور وآثام؟!».

ثم علّق على هذه التساؤلات بقوله:

«إذا كان مذهب المرجئة -أو لازم قول بعضهم وإن لَم يلتزم به- وهو عجيب فيحق لنا أن نعجب -أيضًا- لأقوام[1] ينتسبون إلَى العلم ولا يقرون بالإرجاء

---

(١) معلوم هؤلاء الأقوام، ولقد ظلمتهم وبالغت في الحط عليهم، فإنهم يُكَفِّرون من يستحق، وقد كَفَّروا من رأوا منه كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان على منهج الرسول ﷺ والسلف الصالح، لا على منهج الخوارج.

نظريًا، ولكنهم يُجادلون عن أناس[1] وقفوا أنفسهم على حرب الله ورسوله، ومعاداة الدين وأهله وطمس معالِم الْحَق والهدى، ومُحاربة أحكام الشريعة، وموالاة أعداء الله، وجعلوا ذلك شغلهم الشاغل وعملهم الدائب وهمهم الأكبر، ولا يشذ عنه إلا أعمال من التلبيس يذرون بها الرماد في العيون.

وقد كان أهل الجاهلية الأولَى يتنسكون بِمثلها أو أكثر منها، وقد قال الله تعالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ

---

(١) وهؤلاء الأناس أيضًا معلومون ومعلوم -أيضًا- أن عندهم معاصي لا يقرها من ترى أنهم يجادلون عنهم ويحرمونَها أشد التحريم من منطلق علمي ديني لا منطلق سياسي يستغل الأحداث، ثُمَّ إن هؤلاء الأناس الذين تعنيهم بالدرجة الأولَى لَم يصلوا إِلَى هذه الدرجة إذا كنت ترى الناس وأعمالَهم بكتاب الله وسنة رسوله، ذلك بأنهم يعتزون بالإسلام ويعظمون عقائده وشعائره، والرسول ﷺ يقول: «أطيعوهم ما أقاموا فيكم الصلاة»، ويأمرنا بالصبر عليهم وهو يُخبر بأنهم لا يهتدون بهديه.
والعجب منك حق العجب يا سفر ومن شباب الصحوة كيف تقدسون وتعظمون من يقول بالحلول ووحدة الوجود ويطعن في بعض الأنبياء وفي أصحاب مُحمد ﷺ إِلَى بدع كبرى أخرى أشد بكثير من انْحراف الحكام الذين تُكَفّرونَهم؛ لأن هؤلاء انْحرفوا في الجانب السياسي من الإسلام، والذين تعظمونَهم منحرفون في أصول الدين وأساسياته.
ونَحن نبرأ إِلَى الله من انْحراف الطائفتين، ونرى انْحراف كلٍّ منهما بِميزان الشرع، ولا نُفَرِّط ولا نُفْرِط، ولا تضطرب عندنا الموازين والمكاييل ولا نتردد في تكفير من ظهر منه الكفر البواح.
ثم العجب أشد العجب من مواقف شباب الصحوة من حكام منحرفين في عقائدهم وأعمالِهم وسياستهم، فيبلغ بهم الاستهتار أن يعقدوا مؤتمرات لوحدة الأديان، ويشيدون الكنائس ولا يطبقون الشريعة في الجانب السياسي، ومن مواقفهم ممن يعقد اتفاقيات عسكرية وسياسية مع اليهود، وممن يتعاون مع الشيوعيين والروافض الباطنية في حرب شعبٍ مسلم.
فما هي مواقف الصحوة من هؤلاء وأمثالِهم من هذا النوع من الحكام؟ لا نعرف منهم إلا موالاتَهم والذب عنهم، وارجع إِلَى مَجلة «البيان» و«الْمجتمع» وغيرهما من الوسائل التي تبين مواقف شباب الصحوة وقادتِهم.
نريد من سفر أن يبيّن حكم الله في هؤلاء، ويُجري مقارنات عادلة بين عقائد وأعمال ومواقف من يطعن فيهم ويرميهم بالإرجاء، وبين عقائد وأعمال ومواقف الصحوة التي يعتز بِها وبأهلها، ويُجري مقارنات بين الحكام الذين يُكَفّرهم سفر وتُكَفّرهم الصحوة ولا يُكَفّرهم السلفيون، وبين الحكام الذين تتولاهم الصحوة، وحالُهم ما شرحناه آنفًا، ثم يبيّن أي الفريقين أولى بالإرجاء وما هو شر من الإرجاء، مع التعهد بالتزام الحق والعدل وتجنب الضجيج والصراخ بالباطل والرمي بالبهت.

الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[1].

قد يصاب القارئ بالدهشة إذا قلت: إن ما عاب به الشيخ سفر الحوالي هذه الفرقة من تناقض وغيره قد وقع هو أيضًا فيه وكذا من يواليهم من أتباع سيد قطب واقعون في تناقضات عجيبة وأمور غريبة.

* وللقارئ المنصف أن يسأل الشيخ سفرًا:

ما هو موقفك السلفي الغيور من مؤلفات سيد قطب وما حوته من الضلال؟ لاسيما وهي تنتشر في العالَم كله بشتَّى اللغات وتُطبع عشرات الطبعات، وغالب من يتربى عليها الشباب وخاصة الشباب الذي اتَّجه إِلَى الاهتداء بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فصرفهم أولياء سيد قطب عن هذا الاتِّجاه الصحيح إِلَى التربية على كتب سيد قطب والكتب التي سارت على منهجه ككتب الراشد، والمودودي، ومُحمَّد سرور وأمثالهم؛ فكانت النتائج مُرَّة جدًّا، والفواجع رهيبة وعظيمة.

ما هو موقفك من تقرير سيد قطب لوحدة الوجود والحلول ومدح أهلهما؟ ولَم ينتقدهم على وقوعهم في هذا الإلحاد، وإنَّما انتقدهم لأنهم لَم يهتموا بالحياة، أي: بالسياسة وذلك أعظم بِمراحل من ضلالة الإرجاء.

ما هو موقفك من تعطيله لصفات الله وأخذه بِمذهب الجهمية الذين هم شر وأخطر على الإسلام من المرجئة؟

ما هو موقفك من قوله بوحدة الفاعلية وهو شر من الإرجاء؟

ما هو موقفك من ذمه لنبي الله موسى ﷺ وهل الله -تبارك وتعالَى- ثُمَّ الصحابة والتابعون لَهم بإحسان يعتبرون تلك الأوصاف التي وصف بها هذا النَّبِي العظيم مدحًا أو ذمًّا؟

وهل موسى -صلوات الله وسلامه عليه- أحد أهل العزم من الرسل يعتبر هذه الأوصاف مدحًا له فيهش لَها أو يراها قدحًا وعيبًا وتنقصًا؟

(١) النساء: ١٠٥- ١٠٧.

ما هو موقفك من طعن سيد قطب في معظم أصحاب رسول الله ﷺ ومعظم التابعين خير القرون؟

ولا سيما طعنه في الخليفة الراشد عثمان وإسقاط خلافته وادعاؤه عليه بأنه قد تحطمت روح الإسلام في عهده وتحطمت أسس الإسلام في عهده. . . إلَى آخر الطعون التي وجهها لِهذا الخليفة الراشد وعدالته وإنصافه وحكمه.

وما موقفك من طعنه في الصحابيين الجليلين معاوية وعمرو، ورميه لَهما بالكذب والنفاق والخيانة والغش والرشوة وشراء الذمم، ورميه لكثير من أهل عصرهما وعصر عليٍّ بالارتداد إلَى الهوة التي انتشلهم منها الإسلام؟

فإن قلت: لا شك أن هذه ضلالات وفيها كفريات يتضاءل أمام أكثرها ضلال الإرجاء.

قلنا: فأين موقفك السلفي منها؟

الجواب: لا شيء، بل لا نرى أو نسمع إلا المدح والتعظيم والتبجيل لحامل تلك الأباطيل.

إن في استقصاء تناقضات الشيخ سفر الحوالي صعوبة ومشقة تحتاج إلَى زمن طويل غير أنني سوف أعرض بعض ذلك حسب تيسير الله، قاصدًا بذلك نصحه ونصح من لا يُميز بين الحق والباطل والصواب والخطأ، راجيًا من وراء ذلك الجزاء الأوفى من الله على القيام بواجب الأمانة والبيان والخروج من غضب الله ووعيده على الكتمان.

قال تعالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[1].

وليوضع كل من أهل الحق وأهل الضلال في الموضع الذي يستحقه، تحقيقًا للعدل والإنصاف، فلا يُرفع الوضيع فوق منزلته ولا يُهبط بالرفيع تحت منزلته.

أولًا: قال الشيخ سفر -هداه الله- (ص٨٢-٨٣):

---

(١) البقرة: ١٥٩.

«إنه لا خلاف بين فقهاء الإسلام في أن الهزل بالكفر كفر وإن اختلفوا في الهزل في سائر الأحكام كالبيع والطلاق والعتاق، وهذه الآية من أقوى الأدلة على ذلك.

وقد بقي هذا الإجماع محفوظًا نظريًا في كتب الفقه حتى المتأخر منها، أما في الواقع العملي فإن استمراء الإرجاء وانْحِسَار مفهوم الإيمان وغموض مفهوم الكفر والغفلة عن كثير من ضروبه وأنواعه؛ جعل الأمة الإسلامية تغفل عن تكفير المرتدين قصدًا وجهارًا، فضلًا عن الهازلين الساخرين إلا من سار منها على منهج أهل السنة والجماعة وهم في العصور المتأخرة قليل، بل إن هؤلاء القليل عندما يدعون إلَى تصحيح الإيمان وتَجلية معانيه ويبينون للأمة الكفر وضروبه وخطره نَجدها تقف في وجوههم متهمة إياهم بتكفير المسلمين كما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب والشهيد سيد قطب -رَحِمهم الله- وأمثالهم، ويعرضون عن تصريح هؤلاء العلماء بأنهم لا يقصدون تكفير الأعيان، بل تصحيح حقائق الدين في القلوب والأذهان».

ثم قال معلقًا على هذا الكلام:

«وذلك أن تصحيح العقيدة أصل ضروري وواجب حتمي لا يَحل السكوت عنه، أما الحكم على الأعيان؛ فأمر تطبيقي تبعي له شروطه وضوابطه، ويَجوز الخلاف فيه ما دام اجتهاديًّا».

* التعليق:

- في هذا الكلام نظر من وجوه:

١- إن غلاة المرجئة قد انقرضوا من قرون، وإن مرجئة الفقهاء هم من أشد الناس توسعًا في التكفير، فقد يُكَفِّرون بغير مُكَفِّر.

٢- إن في التعليل بالإرجاء وما بعده فيه نظر إن سلمنا بصحة هذا الادِّعاء بأن هناك مرتدين جهارًا؛ فمتى حصلت ردة إلَى اليهودية أو النصرانية أو الْمَجوسية أو الشيوعية أو الهندوكية فلم يُحكم على المرتدين إلَى هذه الأديان أو بعضها بالردة؟ ومن يتردد من المسلمين في الحكم على من ارتد إلَى الشيوعية أو إلَى اليهودية أو

النصرانية أو إِلَى أي نحلة كافرة بأنه مرتد؟

وإذن؛ فعلى سفر أن يحرر عبارته، فإننا لا نعلم عن مسلم مهما ضل أن يصل به الأمر إِلَى هذا الحد الذي صوره سفر، اللهم إلا ما وُجد من مواقف بعض الإخوان المسلمين الذين قد يتحالفون مع بعض الأحزاب الملحدة من شيوعيين وغيرهم، فإذا أُنكر عليهم هذا التحالف الأثيم قالوا: إنهم أسلموا، فإذا نشب بينهم وبين حلفائهم خلاف قالوا: إنهم كفار شيوعيون، وإلا ما وجِد من فتحي يكن الذي قال: إنه ليصعب علي أن أقول لأخي المسيحي: إنه كافر.

وإلا مثل ما قام به الإخوان المسلمون من مؤتَمرات لوحدة الأديان ومن دعوة إِلَى إقامة الحزب الإبراهيمي.

أو مثل دعوة بعض الإخوان المسلمين إِلَى الوحدة الإسلامية بين كل الطوائف بما في ذلك الباطنية من دروز وغيرهم.

٣- اعتبارك سيد قطب من السائرين على منهج أهل السنة والجماعة من الأعاجيب المفزعة، فإذا كان ما وقع فيه من بدع كبرى مثل قوله بوحدة الوجود، والحلول، والجبر، وطعنه في الصحابة، وتنقصه لنبي الله موسى، وقوله بأزلية الروح، وإنكاره لرؤية الله في الآخرة، وقوله بالاشتراكية الغالية، وتعطيله لصفات الله على طريقة الجهمية، إذا كانت هذه البدع وغيرها لا تُخرجه عن دائرة أهل السنة والجماعة فماذا أبقيتم لغلاة المرجئة القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب؟!

٤- ما هو الإيمان الذي شارك سيد قطب فيه الإمامين ابن تيمية وابن عبد الوهاب في الدعوة إِلَى تصحيحه وتَجليته؟ فهل من ذلك الدعوة إِلَى إثبات صفات الله، وإِلَى الإيمان بأن الله في السماء وعلى العرش استوى؟ وهل من ذلك الإيمان بالميزان الذي يزن الله به أعمال عباده المكلفين؟ وهل من ذلك الإيمان بِمعجزات الرسول ﷺ والإيمان برؤية الله في الدار الآخرة، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق؟

فهل سيد قطب شارك هذين الإمامين في دعوة الناس إِلَى الإيمان بهذه الأمور وتصحيح عقائدهم فيها؟ وهل شاركهما في تَجليتها وفي الدعوة إِلَى إخلاص

العبادة لله ومُحاربة ما يضادها من شرك القبور وما يتبع ذلك من بدع وضلالات، أو مُحاربة التصوف بما فيه الحلول ووحدة الوجود؟

أو أنه ضدهما في هذه الأمور ومن أشد المخالفين فيها لنصوص الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح الذي سار عليه الإمامان ابن تيمية وابن عبد الوهاب، أهذه غفلة منك أو هو جهل بواقع سيد قطب وعقيدته أو لذلك أسباب أخر؟

وهل يتفق منهج سيد قطب في بيان ضروب الكفر وأنواعه مع منهج أهل السنة والجماعة وفيهم الإمامان ابن تيمية وابن عبد الوهاب، أو أن سيد قطب في وادٍ بعيد عن ذلك تجاوز فيه منهج غلاة الخوارج؟

٥- ما هي ضروب الكفر التي شارك سيد قطب الإمامين في بيانها للأمة؟ فهل هو يتفق في ذلك مع منهج أهل السنة والجماعة ومنهم الإمامان ابن تيمية وابن عبد الوهاب، أو أن سيد قطب في وادٍ بعيد عن ذلك قد تَجاوز في التكفير -بالجهل والظلم- واديَ الخوارج وأضرابهم من أهل الأهواء والجهل؟

إن التكفير الذي كان هو شغل سيد قطب الشاغل: هو التكفير بالحاكمية، وهو غالٍ فيه تجاوز فيه مذهب الخوارج، وليس هو فيه على مذهب أهل السنة والجماعة.

ولقد ظلم الْمُجتمعات الإسلامية حيث كَفَّرها تكفيرًا جليًّا واضحًا بقوانين فُرضت عليهم فرضًا وقُهروا عليها قهرًا لا يريدونها ولا يُحبونها بل هم يئنون منها أنين الثكلى، فكم من الأجيال والقرون قد ظلمهم سيد قطب وحكم عليهم بأن إسلامهم قد توقف.

أما الإمامان فهما سائران فعلًا على منهج أهل السنة والجماعة بعلم واسع وفقه رصين، فهما إذا تكلما في ضروب الكفر تكلما بعلم ولا يُكَفِّران الْمُجتمعات الإسلامية كما هو فِعْل سيد قطب، وإذا كَفَّرا بعض الأعيان فإنّما يقع ذلك منهم بعد توفر شروطه وانتفاء موانعه.

فربطك سيد قطب بهما وبِمنهج أهل السنة ربط بين النقيضين، والبون بينهم

شاسع جدًا أبعد مِمَّا بين المشرقين لاسيما إذا جمعت كل بدعه في صعيدٍ واحد.

٦- لا ندري ما هو الأمر الذي سهل لك إطلاق لفظ «شهيد» بصيغة الجزم، وأنت تعلم مذهب أهل السنة والجماعة في مثل إطلاق هذا اللفظ، وقد بلغنا أن بعض الغلاة فيه يُطلق عليه: «سيد الشهداء» مُحتجين بقوله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إِلَى إمام جائر فأمره ونَهاه؛ فقتله» وهو حديث لا يصح، والخلاف بين سيد قطب وقاتله: سياسي لبس لباس الإسلام.

فهل سيد قطب فعلًا قال كلمة حق عند جمال عبد الناصر فقتله من أجل ذلك؟ فهل هو دعا جمال عبد الناصر ومن استطاع من أهل مصر إِلَى القضاء على شرك القبور وشد الرحال إليها، وتقديْم القرابين إليها، ودعا إِلَى هدم هذه القبور وتطهير بيوت اللَّه منها؟

وهل دعاه ودعا المسئولين عن الجامعات والمعاهد والمدارس إِلَى إصلاح مناهجها وتصحيح عقائدها في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف؟!

وهل طالب جمال عبد الناصر وكبار دولته إِلَى إقامة حكم اللَّه في المرتدين إِلَى الشيوعية؟!

أما نَحن فلا نعرف شيئًا من ذلك ونقول: فاقد الشيء لا يعطيه، وكل إناء ينضح بِما فيه.

أما الشيوعيون والعلمانيون وسائر المنحرفين فكان يعدهم إن قامت دولته أن يعطيهم حقوقهم الكاملة من مناصب وغيرها.

أما عقيدته في الأسماء والصفات: فإنه من أشد المعطلين لَها.

وأما معرفته بتوحيد العبادة: فهو من أشد المتخبطين في فهم لا إله إلا اللَّه، ومن أشد الْمُحرفين لمعناها، ومن أشد الْمُحرفين لدعوة الأنبياء إليها، ومن ضلاله في فهمها أنه يَجعل الحاكمية الضيقة -أي: الجانب السياسي في الإسلام- أخص خصائصها ولا يُكَفِّر ولا يحارب إلا على هذا الفهم ولا يضلل من خالف معناها الحقيقي الذي تتابع الأنبياء والرسل على الدعوة إليه وجاهدوا من أجله وسار على دربهم من الأئمة الْمجددون والمصلحون.

وأما توحيد الربوبية: فلضلاله العريض فيه قام بتقرير وحدة الوجود والحلول في «الظلال» في تفسير سورة الحديد وتفسير سورة الإخلاص، وقبل ذلك قررها في ديوانه الشعري، وفي «كتب وشخصيات» مدح عقيدة النيرفانا الهندوكية ومدح أهلها وذب عنها وعنهم، وهي تضم في ثناياها عقيدة الحلول ووحدة الوجود وعقيدة وحدة الأديان وعقيدة التناسخ.

فلو قرن مسلم هذا الرجل بأحد من رءوس الخوارج أو المعتزلة أو المرجئة أو أحد من رءوس الأشاعرة؛ لكان قد ظلم ذلك المعتزلي أو الخارجي أو المرجئ أو الأشعري، فكيف يَجوز أن يقرن بأئمة الحق والهدى والدعاة إلَى اللّٰه على بصيرة وعلى طريقة الأنبياء وهديهم؟!

أما موقفه من العلمانيين والشيوعيين وسائر المنحرفين عن الإسلام فاستمع إلَى قوله في كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص ٨٤):

«وبعد؛ فليطمئن المخلصون من المفكرين ورجال الفنون ومن إليهم أن حكم الإسلام لن يسلمهم إلَى المشانق والسجون ولن يكبت أفكارهم ويحطم أقلامهم وينبذهم من رعايته وحمايته، ولا يأخذوا الصيحات التافهة التي يصيحها اليوم رجال الدين الْمُحترفون في وجه بعض الكتب وبعض الأفكار حجة؛ فإنّما هذه الصيحات تِجارة رابِحة اليوم، وحركة كاسبة لأنهم يعيشون في عهد الإقطاع الذي يقيمهم حراسًا لِمظالِمه وجرائمه، ولكي يبرروا وجودهم في أعين الجماهير يطلقون هذه الصيحات الفارغة بين الحين والحين.

فأما حين يكون الحكم للإسلام فلن يبقى لهؤلاء عمل فسيكونون مجندين لعمل منتج نافع هم وبقية المتعطلين المتسكعين من كبار الملاك، ومن الموظفين والمستخدمين في الدواوين، ومن أحلاس المقاهي والمواخير والْحَانات ومن المشردين في الشوارع والطرقات والمصطلين بالشمس حول الأجران وكلهم في التعطل والتبطل سواء».

فهل هذه هي الحاكمية التي يدعو إليها سيد قطب وأتباعه ؟!

وهل هذا هو حكم الإسلام تكريم للشيوعيين والمرتدين وحكم جاهلي على

الصالحين والطالحين بالتجنيد في الأعمال المنتجة السخرة الجديدة لدولة إسلام سيد قطب الاشتراكية تأسيًا بسخرة ماركس ولينين وأمثالهما للشعوب لخدمة أحزابهم الشيوعية؟!

أمثل هذا الإنسان العجيب يُقْرَن بشيوخ الإسلام؟!

٧- وأما قولك: «وذلك أن تصحيح العقيدة أصل ضروري وواجب حتمي لا يَحل السكوت عنه...» إلخ؛ فهو حق.

ولكن هل قام سيد قطب بهذا الأصل الضروري الحتمي فصحح عقيدته ودعا الناس إلَى ذلك؟

الذي يُفهم من كلام سفر أن سيد قطب قد قام به.

وهل الإخوان المسلمون أدركوا هذه الحقيقة الضرورية وقاموا بِها ودعوا الناس إليها؟

وهل قام القطبيون -على اختلاف فصائلهم- بهذا الأصل ودعوا إليه بحرارة، أو أنهم آثروا السكوت عن الدعوة إليه وخذلوا من يدعو إليه وتلاحموا مع الإخوان وجماعة التبليغ، والكل إما تَحالفوا أو في حكم التحالف ضد الدعاة إلَى هذا الأصل الضروري الْمحتم الذي لا يَحل السكوت عنه؟

بل تبرع بعض كبار القطبيين بالشهادة للإخوان المسلمين بأنهم هم أتباع الأنبياء حقًا.

وبعضهم تبرع بالشهادة لَهم بأنهم هم الطائفة المنصورة.

٨- وأما قولك: «أما الحكم على الأعيان فأمر تطبيقي تبعي له شروطه وضوابطه، ويجوز الخلاف فيه ما دام اجتهاديًا». فهو كلام حق.

أما السلفيون فهم يلتزمونه ويسيرون فيه على طريقة السلف ومن سار على نَهجهم كالإمام ابن تيمية وتلاميذه والإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه، ولَم يلتزمه سيد قطب وأتباعه وشنوا على السلفيين ضروب الحرب وكَفَّر بعضهم كثيرًا من السلفيين بأعيانهم، وكَفَّر بعضهم ابن باز وابن عثيمين والألباني بأعيانِهم ووصفهم بعضهم بالثالوث واعتبروهم مع السلفيين من مرجئة الجهمية، ولَم

يراعوا الشروط والضوابط الْمنوّه عنها، ولَم يقولوا: هذا أمر يَجوز فيه الخلاف ما دام اجتهاديًّا.

ثانيًا: قال الشيخ سفر -وفقه الله- (ص ٨٣):

«ولئن كان علماء عصور الإسلام الوسطى من المرجئة أو المتأثرين بالإرجاء يَحجمون عن تكفير ملاحدة وحدة الوجود وأمثالِهم من الزنادقة أو الساخرين بالدين من الكُتّاب والشعراء ويتحلون لَهم التأويلات والتبريرات[1]، فقد استغنى علماء الإرجاء في عصرنا الحاضر عن هذه التأويلات؛ لأن الإسلام في عرفهم وراثة لازمة كما تورث الأسماء، وأحرف تُكتب في الهوية لا ينسخها عمل ولا قول يرتكبه حاملها؛ ولهذا تجرأ الملاحدة -زعماء وكُتّابًا- على دين اللّه سخرية واستهزاء، وأصبح هذا ميدانًا للزعماء والمفكرين وملهاة للشعراء والصحفيين، وجرت ألفاظ الاستهزاء على ألسنة العوام فأصبحت في بعض الأحيان والبلدان كالسلام!!

وعم البلاء حتَّى تعدى مَجال الاستهزاء إلَى مَجال الكفر الْجاد الجلي الذي كان أمرًا محظورًا ولو عرفًا وعادة؛ فنسي الناس تكفير الباطنية والقرامطة والدروز والنصيرية وأشباههم، بل نسي بعضهم أو شك في كفر اليهود والنصارى وأمثالِهم، وغاب عنهم تَمامًا كفر طواغيت الدجل والخرافة والسحر، بل سموهم أولياء وصالحين».

---

(١) علق الشيخ سفر هنا بقوله في الحاشية: «كما تَمحلوا للحلاج وابن عربي وابن الفارض وأشباههم».

أقول: لا شك أن هذا التمحل دجل وتضليل وسفسطة ارتكبه غلاة الصوفية.

فما قول سفر فيمن يتمحل لسيد قطب تقريره للحلول ووحدة الوجود ووحدة الماهية، ومدحه للنيرفانا وأهلها وصدع قطب بالحلول ووحدة الوجود في شعره ونثره؟

ومن المستغرب جدًّا أن يَقرن سيد قطب هنا بشيخي الإسلام من يشن الحملة على من يتمحلون التأويلات لأمثاله، وكان الأجدر به أن يقرنه بالحلاج وأمثاله، وكان ينبغي أن يشن الحملة على كل المتأولين ومتمحلي التبريرات الباطلة ويصف الجميع بالإرجاء الغالي وربما يستحقون جميعًا من الأوصاف ومنها: المغالطات التناقض والسفسطات.

فهذا هو الموقف السلفي الصحيح من أصناف المتأولين السابقين واللاحقين، وليتذكر قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

أقول: بيِّن الحد الفاصل بين العصور الوسطى والعصور المتأخرة.

وكما قلتُ سلفًا: إن مرجئة الفقهاء -ولاسيما الأحناف- من أشد الناس تكفيرًا كما هو واضح في مؤلفاتهم.

وقد أجمع العلماء على إدانة الحلاج بالإلحاد حيث قال بالحلول وكان هناك صراع بين الفقهاء والصوفية إلا أن الملاحدة منهم لا يستطيعون أن يَجهروا بإلحادهم فهم مثل المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر، فبهذا التظاهر بالإسلام يلتبس أمرهم على الناس فيكون ذلك هو السبب في إحجام العلماء عن الحكم عليهم بالكفر والإلحاد، ومثل هذا التظاهر من هذه الأصناف حصل في عهد الصحابة وما تلاه من القرون المتقدمة وفيها كبار وسادات أئمة السنة هل نرميهم بالإرجاء؟!

وإذن؛ فليس سبب إحجام علماء العصور الوسطى عن الحكم على هؤلاء بالكفر على هذه الأصناف هو الإرجاء، وإنَّما له أسباب أخرى، منها: تظاهر هذه الأصناف بالإسلام، ومنها: النصوص الشرعية الناهية عن تكفير من أظهر الإسلام والأمر بالبناء على ظواهر الناس وعدم التنقيب عما في بطونهم.

والذين تَمحلوا التأويلات للحلاج وابن عربي وابن الفارض وأمثالهم هم غلاة التصوف والرعاع من الناس أو من التبس عليه أمرهم من قاصري العلم والنظر.

أما العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه وابن حجر العسقلاني وشيوخه وتلاميذه وكثير من علماء المذاهب الفقهية من شافعية وحنابلة وأحناف وغيرهم -فقد أعلنوا كفر هؤلاء الملاحدة، حتَّى إن بعضهم كَفَّر من لَم يُكَفِّرهم؛ فلماذا هذا التعميم، ولماذا يُخفي هذا الواقع المشرف لهؤلاء العلماء وهم يشكلون كثرة ومن مختلف بلدان الإسلام.

ارجع إلَى مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه، واقرأ مؤلفين لبرهان الدين البقاعي أحد تلاميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني من علماء القرن التاسع الهجري:

أحدهما: «تنبيه الغبي إلَى تكفير ابن عربي».

وثانيهما: «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتِّحاد».

قال مُحققهما الشيخ عبد الرحمن الوكيل أحد المعاصرين من علماء أنصار السنة بمصر عن البقاعي (ص ١١):

«ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرن: السابع والثامن والتاسع الهجري ومما لاحظته: أن المؤلف لَم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جدًّا، بيد أن هذا مِمَّا يَجعل للكتاب خطره الكبير في نظر المتصوفة على معتقدهم؛ إذ ما يستطيعون إتِّهام أحد مِمَّن ذكرهم البقاعي بالخصومة، كما كانوا يفعلون -مفترين- بالنسبة إِلَى الشيخ الإمام ابن تيمية، فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربي وابن الفارض: إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصمه، ولكنه أدلى معه بدلوه في فضح الصوفية، وإما فريق لَم يُعرف عنه لا موالاة جلية ولا خصومة صريْحَة لابن تيمية -وإن كانوا فيما يذهبون إليه في مسألة العقيدة يُخالفون ابن تيمية فجلهم من أئمة الأشاعرة- وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران في التصوف؛ كعلاء الدين البخاري، وهو أقسى هؤلاء جميعًا حملة على ابن عربي وابن الفارض، ومن دان بدينهما».

فهؤلاء سوى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه أشعرية متأثرين بالمذهب الإرجائي الذي سار عليه الأشاعرة على علاتِهم أدانوا ابن عربي وطائفته أهل وحدة الوجود بالإلحاد والكفر، ولا يجوز ظلم الناس ولو كانوا من غلاة المرجئة أو من غير الغلاة منهم ولا من غيرهم من أهل البدع، بل ولا من أهل الكفر والشرك، فالعدل واجب في كل حال وعلى كل أحد لكل أحد؛ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ-.

أما حملته على علماء العصر وجعلهم في درجة أدنى من درجة المرجئة ولَم يستثن منهم أحدًا من علماء السنة والمنهج السلفي بل الظاهر أنهم هم المقصودون؛ فيرى أنهم قد استغنوا عن تأويلات المرجئة، وأن الإسلام في عرفهم وراثة... إِلَى آخر ما رماهم به.

فنذكره بالجهود العظيمة التي قام ويقوم بِها السلفيون في مشارق الأرض ومغاربِها العرب منهم والعجم، تلك الجهود التي واجهوا بِها الملاحدة من

شيوعيين وبَهائيين وعلمانيين وقاديانيين، وما قاموا به من مواجهة الروافض والصوفية وأهل القبور، وما قاموا به من مواجهات لسائر الانحرافات من الأحزاب الضالة.

وهذه شنشنة معروفة موروثة من الإخوان المسلمين الذين ورثوا حقد كل الفرق من روافض وصوفية وغيرهم على أهل السنة والمنهج السلفي، والأنكى منه أن ينبري من ينتسب منهم إلى المنهج السلفي كعبد الرحمن عبد الخالق وتلامذته الذي أهان المنهج السلفي وأهله، وقال عن سلفيتهم أنها سلفية تقليدية لا تساوي شيئًا، وطعن كثيرًا في علماء هذا المنهج، ومن طعونه الأثيمة قوله: إنهم طابور من المُحنطين، وقال: إن علمهم قشور، ومِمَّا قاله في الاعتذار عن طعنه فيهم وهو أمر ظاهر:

«وأقول: ما ذكرناه في ذلك كان حقًّا لا يكابر فيه إلا مكابر، ومن أراد مثلًا أن يعرف الحق فليفتش الآن مثلًا عن أي كتاب واحد أُلِّف في الرد على المذاهب الإلحادية المعاصرة لرجل من أتباع المدرسة السلفية في هذه الحقبة التي ألقينا فيها هذه المحاضرة».

قال هذا الكلام في مُحاضرة سُجِّلت في شريط سُمِّي بـ«كشف الشبهات» فُرِّغ وطُبِع.

وجاء الرد الرادع المفحم: بأن للسلفيين مؤلفات كثيرة جدًّا في الرد على أصناف أهل الإلحاد والكفر، وفي الرد على أصناف أهل البدع ذُكر له منها مائة وثَمانية وخمسون مؤلفًا[1].

وقلنا تعليقًا عليها:

فهذه مؤلفات السلفيين يزيد ما ذكرناه وما أشرنا إليه على ثَمانية وخمسين مؤلفًا ومائة مؤلف سوى ما تركناه خشية التطويل كلها في الرد على الملاحدة واليهود والنصارى وأهل الضلال والبدع يَجهلها عبد الرحمن ومن سلك نَهجه من فقهاء الواقع.

---

(١) انظر كتاب «جماعة واحدة لا جماعات» (ص ١٣٥-١٤٢).

ومن هذا المنطلق الخطير قال الشيخ سفر الحوالي في مقدمة كتابه هذا «ظاهرة الإرجاء» قال بعد الإشادة بشباب الإسلام أي: شباب الصحوة وبعد الجزم بأن منهج أهل السنة والجماعة هو منهج الفرقة الناجية الذي لا يقبل الله سواه قال:

«وإن تعجب فاعجب لكون النظرة الغالبة على كثير من شباب الدعوة الإسلامية اليوم هي أن عقيدة أهل السنة والجماعة لا تعدو أن تكون تصورات نظرية صحيحة لعالَم الغيب وقضايا الاعتقاد، وليست مع ذلك منهجًا للدعوة والإصلاح والتغيير، ويَجب أن نعترف بأن السبب في هذا الفهم القاصر: هو حَمَلة هذه العقيدة قبل كل شيء الذين لَم يوضحوا معالِمها ويكشفوا عن كمالِها الذي هو حقيقة كمال الإسلام نفسه».

سبحان الله! تعتبر هؤلاء: شباب الدعوة الإسلامية وهذا موقفهم من عقيدة أهل السنة والجماعة وهذه نظرتُهم إليها، فأي احتقار وازدراء يفوق هذا الاحتقار والازدراء؟!!

ثم تنصب نفسك نائبًا عن أهل السنة لتعترف بأن السبب لهذا الفهم القاصر -وأنا أقول: المزدري- هو حَمَلة هذه العقيدة؛ لأنهم لَم يوضحوا معالِمها ويكشفوا كمالَها.

لقد عجزت عجزًا كاملًا عن إدراك السبب الحقيقي لهذه النظرة الشوهاء من هؤلاء الجهلة تلاميذ أهل البدع والضلال ودعاة الفتن والشغب، إن السبب الحقيقي لهذه النظرة هو تشويه خصومها المكثف الدائب الذي يُصَبُّ على أدمغة هؤلاء في المدارس بِمختلف مراحلها وفي الدهاليز والمخيمات الذين لو تركوا الشباب وشأنهم وفطرتَهم لعرفوا بكل سهولة كمال المنهج السلفي ووضوحه وشموله، ولأدركوا مخازي تلك المناهج الضالة التي تُشَوِّه المنهج السلفي وأهله وتُزين لَهم البدع والضلالات من: ولائها للروافض والصوفية وعباد القبور والجهمية والمرجئة، وتريهم أن هذا كله من الكمال والشمولية، وأن التمثيليات والمسرحيات والأناشيد السمجة من كمال دعوتِهم ووضوحها، وأن الديمقراطية والانتخابات والصراع على الكرسي في البرلَمانات هي قمة الكمال والتقدم،

والانبهار بعلوم الغرب واكتشافاتها من علامات التقدم.

فهذه بعض الأسباب الْحَقيقية ومنها القراءة في كتابات البنا، وسيد قطب، والمودودي، والراشد، والغزالي، والغنوشي، وسعيد حوى، والبوطي، وغيرهم ممن يعظمهم أتباع المنهج الإخواني والقطبي، وهي مشحونة بالبدع والضلالات وتشويه المنهج السلفي وأهله بسبب ما ورثه هؤلاء الكُتَّاب عن أسلافهم من أهل البدع من أحقاد على أهل السنة، وخاصة على الإمام الْمُجدد محمد بن عبد الوهاب ومدرسته السلفية، وما ورثوه من حقد على أهل الحديث أينما حلوا وأينما نزلوا.

أما المنهج السلفي: فواضح غاية الوضوح، كامل كل الكمال، شامل كل الشمول؛ لأنه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومما دَوَّنه علماء السنة من القرون الأولى إِلَى هذا العصر، يؤكد اللاحق منهم ما قرره السابق، ولقد قال رسول الهدى: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»، فهم على هذه البيضاء، والغموض والظلام والضلال والضياع إِنَّما هو في عقائد ومناهج وأفكار من شوه تصوُّر أولئك الضحايا التعسة من الشباب المذكور، فكان من حقهم عليك أن تردعهم عن هذه النظرة السوداء إِلَى دين الله الحق ومنهجه الواضح.

وكان من حق هذا المنهج وأهله عليك أن تبين لَهم السبب الحقيقي الذي أوقعهم في هذه الداهية الدهياء.

وكان من حقه وحق أهله أن تنصفه وتنصفهم، فتُبيِّن لَهم وضوحه وكماله الظاهر من الواقع المشهود في المساجد والمدارس والمناهج والْمَحاكم التي تراها بأم عينيك ليلًا ونَهارًا، ولو فتحوا أعينهم وبصائرهم وتَحلوا بشيء من الإنصاف وفقه الواقع الذي يدَّعونه لغيَّروا نظرتَهم، بل لَما وقعوا فريسة في شباك أعداء هذا المنهج، ولقد تعهد الشيخ سفر أن يقوم بالبيان والوضوح، ولكننا لَم نر له شيئًا إِلَى الآن؛ لأنه شُغل عن دراسة التراث السلفي بتراث سيد قطب وأمثاله وماذا عساه أن يجد فيه؟

نسأل اللَّه أن يُخلصه مِمّا وقع فيه من هذا التراث، وأن ينقذ أولئك الأسرى الذين يظنون أن ثورية خوارج العصر وفتنهم وأحيانًا ديمقراطيتهم واشتراكيتهم والدعاية للانتخابات والصراع على البرلَمانات والتمثيليات والأناشيد وغيرها من موروثات الغرب والشرق وأهل البدع؛ يظنون ذلك هو الكمال وما هو إلا النقص والجهل والضلال.

ثالثًا: قال الشيخ سفر عن العلماء المعاصرين (ص ٨٣-٨٤):

«وعم البلاء حتَّى تعدى مجال الاستهزاء إلَى مجال الكفر الجاد الجلي الذي كان أمرًا محظورًا ولو عرفًا وعادة، فنسي الناس تكفير الباطنية والقرامطة والدروز والنصيرية وأشباههم، بل نسي بعضهم أو شك في كفر اليهود والنصارى وأمثالِهم وغاب عنهم تَمامًا كفر طواغيت الدجل والخرافة والسحر، بل سموهم أولياء صالحين».

ثم علق على هذا المقطع قائلًا:

«وكيف يُكفِّرونَهم ويعادونَهم وذلك يخالف ما تنص عليه الدساتير من كون الوحدة الوطنية مبدأ مطلقًا، وأن الإخلال بِها خيانة عظمى، ووسائل الإعلام تصنع من أبناء هذه الطوائف أبطالًا وتسميهم زعماء الاستقلال ورُوّاد الإصلاح والمناهج الدراسية».

أقول: نعم؛ توجد هذه الطوائف وقد بُلي بِهم المسلمون، ولكن الناس - ولاسيما علماء المنهج السلفي- لَم ينسوا تكفيرهم، وقد كتب علماء الإسلام في فضحهم وبيان كفرهم وضلالِهم مؤلفات قديْمة وحديثة من مختلف البلدان.

وأما الأخوة والحب والدعوة إلَى التعاون والوحدة معهم فهي من مناهج رءوس الإخوان المسلمين الذين يؤمنون بحرية التدين والأخوة الإنسانية.

وقد صرح البنا بأنه ليس بيننا وبين اليهود عداوة دينية، وصرح بأن دعوة الإخوان ليست موجهة ضد أي دين.

وللغزالي والسباعي والقرضاوي والترابي وفتحي يكن وسيد قطب والتلمساني وأبي النصر عبارات وكتابات معروفة واضحة توجب على كل مسلم

ناصح فضحها وكشف عوارها.

ولقد صرح الترابي أنه لا يوجد في الإسلام ما يسمى بأحكام المرتدين، وأنه لَم يَجد في القرآن تَحريم نكاح المسلمة من النصراني.

وصرح الإخوان في مجلة «المُجتمع» بأن النصارى إخوانُهم في سنتين متتاليتين، فهم بِحاجة شديدة إلَى المصارحة من الشيخ سفر وأمثاله أكثر من غيرهم، فإن أهل المنهج السلفي إذا استنكروا هذا وبينوه؛ ثار عليهم وحاربَهم الشباب الذين ينظرون إلَى عقيدة أهل السنة والجماعة نظرة استعلاء فيرونَها عبارة عن تصورات نظرية صحيحة إلَى عالَم الغيب وقضايا الاعتقاد فحسب، أي أنها لا تساير ركب الحضارة كما تسايرها دعوة الإخوان.

رابعًا: تَحدث سفر في (ص٨٤) عن الطواغيت وأنهم نسخوا شريعة اللَّه جهارًا نَهارًا، وأنهم حكَّموا شرائع الطاغوت في الدماء والأموال والأعراض، وألزموا الناس في مناهجهم ووسائل تربيتهم بِموالاة الكفار وتقديس عظماء الكفر من فلاسفة وقادة وحكام، ونشروا من استحلال المكفرات والموبقات ضروبًا وألوانًا، وسخروا من الحدود والحجاب وتعدد الزوجات وأحكام الميراث والعبادات والأخلاق . . . كل هذا وأكثر الشعب لا يرفع عليهم رأسًا، والجريء منهم يعتبره خطأ أو معصية، والمنافقون من أصحاب العمائم كما قال أحدهم:

«لو كان لي من الأمر شيء لجعلتك في منْزلة من لا يُسأل عما يفعل».

ثم علق على هذه الفقرة بقوله:

«وأين استهزاء منافقي تبوك بالقرآن من منافقي عصرنا كصاحب كتاب (أبو هريرة شيخ المضيرة)، والمضيرة: نوع من الطبيخ زعم المؤلف -أخزاه الله- أن أبا هريرة ﷺ كان مغرمًا بأكله، وأن معاوية ﷺ استغل ذلك، فكان يصنعه لأبي هريرة لكي يصنع أبو هريرة أحاديث في فضائل معاوية وينسبها إلَى رسول اللَّه ﷺ، ومع هذا فقد ظل مؤلفه أبو رية معدودًا في علماء العصر وكتَّابه المعتبرين، وما صنع به علماء الإرجاء في الأزهر وغيره شيئًا ودافعت عنه جريدة (الشرق الأوسط) وغيرها!!».

● التعليق:

نشكر الشيخ سفرًا -في الجملة- على غيرته هذه، لكن لنا عليه بعض الملاحظات:

الأولى: تعميم الطواغيت والمساواة بين الحكام في مواقفهم وفي موقفهم من الشريعة والسخرية بها، ووصفهم جميعًا بنسخ الشريعة جهارًا نهارًا، فهناك من حكام المسلمين من يجل الشريعة الإسلامية ويعتز بها ويطبقها ولديه مخالفات يعترف بها، فكان عليه أن ينزّه بواقعهم ولاسيما في هذا العصر، ثم من سخر من الحكام أو غيرهم بالشريعة فقد قوبلوا بالتكفير وشاع ذلك وذاع بين الأمة.

الثانية: أن هذا الذي قال: «لو كان لي من الأمر شيء»... إلخ لَمَّا سخط عليه الإخوان المسلمون؛ شهروا به وأزعجوه، ولَمَّا رضوا عنه؛ رفعوه ومجدوه، فالأصل هو رضاهم وسخطهم لا رضا اللَّه ولا سخطه، هذا مع أن الإخوان والقطبيين قد جعلوا سيد قطب وقياداتهم فوق مستوى النقد لاسيما سيد قطب، فلا يَعدُّون ضلالاتهم من الباطل ولا يفسحون المَجال لمن ينتقدهم ويبين ضلالهم، بل يُحاربون من يقوم بإنكار هذه المنكرات العقدية والمنهجية.

الثالثة: نشكر سفرًا على غضبه على أبي رية الذي طعن في الصحابيين الجليلين أبي هريرة ومعاوية ﭬ.

ونطالبه هو وأمثاله ممن يُعظِّمون سيد قطب أن يعلنوا سخطهم واستنكارهم على سيد قطب لتنقصه لنبي اللَّه موسى -عليه الصلاة والسلام-، ولطعنه في معظم الصحابة وعلى رأسهم عثمان بن عفان الخليفة الراشد الذي يستحي منه النبي ﷺ وملائكة الرحمن، حيث أسقط سيد قطب خلافته وطعن فيها وفيه ﭬ، وادَّعى أنه تَحطمت أسس الإسلام في عهده، وتَحطمت روح الإسلام في عهده، إلَى كثير من الطعون فيه وفي أهل عصره وفي بني أمية عمومًا، والصحابة منهم خصوصًا.

ولا شك أن هذه الأمور التي ارتكبها سيد قطب في حق نبي اللَّه موسى وفي حق الصحابة أعظم مِما صنعه ذلكم الرجل الأثيم أبو رية.

وقد رمى سيد قطب معاوية وعمرو بن العاص بالكذب والخيانة والنفاق

والرشوة وشراء الذمم، فهذه الفعلة وحدها قد تزيد على ما ارتكبه أبو رية.

فكيف يغضب منه -وهذا الغضب حق- ولا يغضب على من ارتكب أشنع وأعظم منه بكثير وكثير.

وهل يرضى ربنا هذا الكيل وهذا الوزن؟!

خامسًا: قال الشيخ سفر (ص ٨٥-٨٦):

«وسقط حد الردة إلا من كتب الفقه الموروثة، بل ظهر في صفوف المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية اتّجاه جديد ينكر حد الردة ضمن ما ينكر من حدود الإسلام وأصوله».

ثُمَّ علّق على هذا الكلام بقوله:

«وهو الاتّجاه المسمى (العصرية MODERNISM) وهي زندقة عصرية يروّج لَها عصابة من الكتّاب يتسترون بالتجديد وفتح باب الاجتهاد لمن هب ودب! وكتاباتُهم صدًى لِمَا يدور في الدوائر الغربية المترصدة للإسلام وحركته، وربَّما يكشف الزمن عن صلات أوضح بينهم وبينها -كلهم أو بعضهم- وأصول فكرهم ملفقة من مذاهب المعتزلة والروافض وبعض آراء الخوارج مع الاعتماد على كتب المستشرقين والمفكرين الأوروبيين عامة، وهم في كثير من الجوانب امتداد للحركة -الإصلاحية- التي ظهرت في تركيا والهند ومصر على يد الأفغاني ومدحت باشا وضياء كوك آلب وأحمد بَهادر خان وأضرابِهم.

وتتلخص أفكارهم في:

١- تطويع الإسلام لكل وسائل التحريف والتأويل والسفسطة لكي يساير الحضارة الغربية فكرًا وتطبيقًا.

٢- إنكار السنة إنكارًا كليًا أو شبه كلي.

٣- التقريب بين الأديان والمذاهب، بل بين الإسلام وشعارات الماسونية!!

٤- تبديل العلوم المعيارية -أصول الفقه وأصول التفسير وأصول الحديث- تبديلًا تامًا، وفرعوا على ذلك إنكار الإجماع والاعتماد على الاستصحاب الواسع

والمصالح المرسلة الواسعة -كما يسمونها- في استنباط الأحكام واعتبار الحدود، تعزيرات وقتية.

٥- الإصرار على أن الإسلام ليس فيه فقه سياسي محدد إنما ترك ذلك لرأي الأمة، بل وسعوا هذا فأدخلوا فيه كل أحكام المعاملات فأخضعوها لتطور العصور وجعلوا مصدرها الاستحسان والمصالح الواسعة.

٦- تتبع الآراء الشاذة والأقوال الضعيفة والرخص واتخاذها أصولًا كلية، وهم مع اتفاقهم على هذه الأصول -في الجملة- تختلف آراؤهم في التطبيقات، وبعضهم قد يحصر بَحثه وهمّه في بعضها.

وهذا الاتجاه على أية حال لا ضابط له ولا منهج، وهدفه هدم القديم أكثر من بناء أي شيء جديد، وإنتاجه الفكري تَجده في مجلة «المسلم المعاصر»، ومَجلة «العربي» وكتابات حسن الترابي، ومحمد عمارة، ومحمد فتحي عثمان، وعبد الله العلايلي، وفهمي هويدي، وعبد الحميد متولي، وعبد العزيز كامل، وكمال أبو المَجد، وحسن حنفي، وماهر حتحوت، ووحيد الدين خان.

وإنّما رأيت ضرورة التنبيه عنهم لِخطورتهم واستتار أمرهم عن كثير من المخلصين».

* التعليق:

نشكر الشيخ سفرًا على هذه الغيرة وهذا البيان والنصح للإسلام والمسلمين، وأن الضرورة اقتضت التنبيه على هؤلاء لخطورتِهم واستتار أمرهم، وهذا منه انطلاق من قاعدة إسلامية عظيمة، وهي تقتضي منه ومن غيره الانطلاق منها تِجاه كل خطر وضرر يَمس دين المسلمين أو دنياهم.

ولكننا لا نرى منه تنْزيل هذه القاعدة على معظم قيادات الإخوان المسلمين، ولا سيما سيد قطب، وهم من أولَى الناس بتطبيق هذه القاعدة لِخطورتهم وخطورة عقائدهم ومناهجهم وأصولِهم التي يُجيدون تغليفها بالإسلام فتخفى على كثير من الأذكياء فضلًا عن البلهاء.

والذي يهمنا هنا أكثر هو سيد قطب الذي اشتد خطره واستشرت وانتشرت

فتنته في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن أعظم أسباب عمومها وانتشارها: الهالات العظيمة التي نُسجت حوله والأساطير التي رويت عنه والترويج الإعلامي الواسع النطاق الذي جُنِّد له، ومِمَّن ساهم في هذا الترويج الخطير سفر الحوالي.

ولَمْ نر ولَم نسمع له كلمة نقد وُجِّهت إلَى عقيدة من عقائد سيد قطب الجهمية والاعتزالية والصوفية، ولا إلَى فلسفاته وأفكاره الغربية، ولا إلَى طعونه في الصحابة وغيرهم من الأمة الإسلامية من علماء وغيرهم.

فإذا كانت أصول من ذكر هنا ملفقة من مذاهب المعتزلة والروافض وبعض آراء الخوارج فسيد قطب أوفر حظًا منهم.

وإذا كان هؤلاء قد تأثروا بالمستشرقين والمفكرين الأوروبيين، فسيد قطب كذلك، وكل ذلك موجود في كتبه.

وأما الخطر فلو احتشد هؤلاء وأضعافهم ما بلغوا معشار خطره، لاسيما وهناك من يروج له ممن يعتقد الناس فيهم أنهم من علماء التوحيد والسنة.

فإذا وجد الشباب الشيخ سفرًا يقول عن سيد قطب: إنه من أهل السنة والجماعة، ووجدوا سفرًا يرفعه إلَى مصاف أئمة السنة كابن تيمية وابن عبد الوهاب، بل ويقدمه أحيانًا في أخطر الموضوعات على أئمة السنة، فكيف يكون حالُهم تجاه هذه الشخصية التي تَحتل هذه المكانة؟!

لقد طرح الشيخ سفر أسئلة حول المنهج والعقيدة بتفاصيلها وما يلحقه الدعاة إلَى هذه العقيدة وهذا المنهج.

سادسًا: ثم قال (ص ٩٥-٩٦):

«إن الإجابة الشافية على هذه الأسئلة بإيضاح الحقائق الكبرى التي يغفل عنها من ينظر لهذا المنهج أول وهلة، يمكن أن نستنبطها ونقرأها من العرض السابق نفسه، أي: من واقع سيرة النبي ﷺ وأصحابه، كما أن علماء أهل السنة والجماعة أجابوا عنها بلسان الحال أو بلسان المقال أو تلميحًا، وقد وجدت أن أفضل من أجاب على هذه الأسئلة من فقهاء الدعوة المعاصرين هو الأستاذ سيد قطب رحمه الله

وهأنذا أنقل من كلامه ما يفيد ذلك مع بعض زيادات توضيحية:

إن حقيقة العبادة لو كانت هي مجرد الشعائر التعبدية ما استحقت كل هذا الموكب من الرسل والرسالات، وما استحقت كل هذه الجهود المضنية التي بذلَها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-، وما استحقت كل هذه العذابات التي تعرض الدعاة المؤمنون على مدار الزمان، إنَّما الذي استحق كل هذا الثمن الباهظ هو إخراج البشر -جملة- من الدينونة للعباد وردهم إلَى الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن وفي منهج حياتِهم كله للدنيا والآخرة.

إن توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد القوامة، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد مصدر الشريعة، وتوحيد منهج الحياة، وتوحيد الجهة التي يدين لَها الناس الدينونة الشاملة.

إن هذا التوحيد هو الذي يستحق أن يرسل من أجله الرسل كل هؤلاء الرسل، وأن تبذل في سبيله كل هذه الجهود، وأن تتحمل لتحقيقه كل هذا العذابات والآلام على مدار الزمان لا لأن الله سبحانه في حاجة إليه، فالله سبحانه غني عن العالمين؛ ولكن لأن حياة البشر لا تصلح ولا تستقيم ولا ترتفع ولا تصبح حياة لائقة بالإنسان إلا بِهذا التوحيد الذي لا حد له في الحياة البشرية في كل جوانبها على السواء».

● التعليق:

هذا تَهوين من شأن هذه الشعائر تلقفه سيد قطب من المودودي سببه الغلو في السياسة، إذ يرى المودودي أن العبادات من وسائل إقامة الدولة التي يسميها بالإسلامية، وفي هذا الكلام ما يشي بأن ما يتعلق بالإنسان أعظم وأهم من عبادة الله.

إن الشعائر التعبدية من طهارة وأذان وصلاة وزكاة وحج، وأركان الإيْمان من إيْمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وما حواه من جنة ونار، والإيْمان بالقدر خيره وشره والإحسان في العبادة، هذه الأمور هي الدين كما في حديث جبريل، وهي حَرِيَّة ومستحقة كل هذه الجهود المضنية التي بذلَها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-.

ويقول الرسول ﷺ: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتَّى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمَّدًا رسول اللَّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ فقد عصموا منِّي دماءهم وأموالَهم إلا بحقها، وحسابُهم على الله»، وما عدا ذلك من المعاملات فأمور تابعة تَختلف الرسالات في تَحليلها وتَحريْمها وتشريعها وإلغائها بالنسخ، مع اتفاق الشرائع في وجوب الصدق والأمانة والعدل.

والشاهد: أنه لا يليق أن نقول هذا القول: «إن الشعائر التعبدية لا تستحق»... إلخ، فإن اللَّه لو شرع الصلاة والزكاة فقط بعد الشهادتين لاستحقتا كل هذه الجهود من الرسل والرسالات.

أما تقسيم التوحيد إلَى سبعة أقسام مع الغفلة عن توحيد الأسماء والصفات فأمر غريب، فخصوم السنة يعترضون على تقسم التوحيد إلَى ثلاثة أقسام، وأهل السنة في هذا العصر يصرون على أنه ثلاثة، وإذا بسيد قطب يفاجئنا بأنه سبعة مع نسيانه لواحد من أعظم الأقسام الثلاثة التي اصطلح عليها أهل السنة.

وإذا كان سيد قطب مضطربًا ومخلطًا في الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

وإذا كان يخالف أهل التوحيد والسنة في تفسير لا إله إلا اللَّه، ويسير في تفسيرها على طريقة أهل الكلام ويخالفهم في توحيد الأسماء والصفات.

فكيف تقدمه على فرسان التوحيد وأئمة السنة في أخطر تَخصصاتها وأعظم مُميزاتها؟!

ثُمَّ لو تكلمنا بفقه ووعي لاستطعنا أن نرد هذا التقسيم السباعي إلَى نوعين: الألوهية والربوبية، فتوحيد الحاكمية وتوحيد مصدر الشريعة هُما شيء واحد وهُما من حقوق الألوهية، وكذلك توحيد منهج الحياة وأهم العبادات من حقوق الألوهية فكلها داخل في قوله ﷺ: «إلا بحقها» أي: بحق لا إله إلا اللَّه، فتوحيد الجهة التي يدين لَها الناس هو توحيد الألوهية، وينبغي الابتعاد عن هذا التعبير عن اللَّه ﷻ بهذه العبارة.

أما توحيد القوامة فيرجع إلَى توحيد الربوبية.

فكان الواجب على الشيخ سفر أن يؤثر فرسان التوحيد وما قالوه في هذا الباب العظيم؛ فينقل كلامًا محررًا ناضجًا وافيًا تكاملت فيه أنواع التوحيد فيكون قد أعطى القوس باريها ووضع الشيء في موضعه وذلك من الحكمة، ويبتعد عن مواطن الزلل ومن أهل الزيغ والجهل والخطل.

وإنني لأتعجب من حال سفر كيف لا يدرك أنه قد فاته أمر عظيم ألا وهو توحيد الأسماء والصفات؟!

وعلى كل حال: فإن سفرًا قد أعجب بكلام سيد قطب فينقل عنه كلامًا كثيرًا وعليه فيه مآخذ لا يتسع لمناقشتها هذا الاستطراد.

ولكن نقول له: قد أعجب من هو أذكى وأعقل من سفر بمراحل بأهل البدع فوقع في حبائلهم كابن حزم وابن عقيل وابن الجوزي وغيرهم، وننصحه بمراجعة حصيلته العلمية ليهذبها ويغربلها من فكر سيد قطب وأمثاله، فهذا خير له في الدنيا والآخرة.

ويعلم الله أنني أحب له ولأمثاله كل خير مما أحب لنفسي، فأرى أن من أوجب الواجبات عليه أن يكف عن إعطاء سيد قطب ما لا يستحقه وفوق منزلته ومدحه له وإعجابه به، وأنصحه بالقيام الجاد ببيان ما عنده من الضلالات الكبيرة وتحذير الناس منها ومن كتبه وذلك من أوجب الواجبات عليه لتكفير ما سبق منه من تعظيمه وليدفع الله به عن الإسلام والمسلمين شرًا عظيمًا وينقذ به ضحايا صارت عبئًا ثقيلًا على الإسلام والمسلمين، فإن فعله هذا أوجب من تحذيره من الترابي وهويدي ومن ذكرهم معهما.

سابعًا: دفع الشيخ سفر اتهام بعض أهل الضلال من أعداء الصحابة كالخوارج والروافض في بعض الصحابة بالإرجاء (ص ٢٥١-٢٥٣).

ثم قال: «والمسألة بالنسبة لنا بدهية معلومة من الدين بالضرورة، فالكلام في أصحاب محمد ﷺ دين، والدين لا يؤخذ من المسلم الفاسق ولا اعتبار لرأيه فيه، فضلًا عن المبتدع الضال كالكلبي والجاحظ، فضلًا عن الكافر الحاقد كعامة المستشرقين والحكم على أصحاب محمد ﷺ أعظم من مجرد الشهادة؛ لأنه دين

واعتقاد.

وإذا كان من شريعتنا رد شهادة المسلم الفاسق في دعاوى الحقوق الدنيوية، فما بالك بمن يتجرأ على خيار الأمة وأفضل البشر بعد الأنبياء، من الصليبيين واليهود؟!!

لقد مقت السلف عمرو بن عبيد وضللوه وبدعوه من أجل طعنه في المقتتلين من الصحابة، هذا مع ما هو مشهور عنه من الزهد والتعبد ومجانبة السلاطين، فكيف يلتفت المسلم إلى آراء أهل الكتاب الذين تغلي مراجل قلوبهم بالحقد على الإسلام وتنفث ألسنتهم السم الزعاف عليه، وما تُخفي صدورهم أعظم».

ثم ذكر أسماء عددٍ من المستشرقين الذين نالوا من الصحابة فرموهم بالإرجاء مع تُهمٍ سياسية.

ثم قال ما معناه: إنه ما كان لنا أن نأبه بآراء المستشرقين ونشتغل بردها لا في هذه القضية ولا في ما هو دونها فنحن لا نتوقع منهم إلا هذا ومثله، ولكن اقتداء كثير من الكُتّاب المتسبين للإسلام بهم ومتابعتهم لرأيهم، واستناد هؤلاء وأولئك إلى آراء مخطئة وأقاويل بدعية جعل تبيان هذه القضية أمرًا ضروريًا، فقد نقل عنهم واقتدى بهم علماء مشهورون ومتخصصون في العقيدة بارزون ومؤرخون وأدباء لهم مكانتهم وذلك مثل الشيخ محمد أبو زهرة والدكتور علي سامي النشار، والدكتور مصطفى حلمي والدكتور نعمان القاضي، فضلًا عن أحمد أمين وطه حسين وسهير القلماوي وشاكر مصطفى وأمثالهم وأتباعهم، (ص٢٥٣).

ونقل عن أحمد أمين أنه قال مقلدًا للمستشرقين: «إن الشيعة والخوارج كان أول أمرهما حزبين سياسيين أما المرجئة فكانت حزبًا سياسيًا محايدًا، ونواة هذه الطائفة كانت بين الصحابة في الصدر الأول، فإننا نرى أن جماعة من أصحاب رسول الله امتنعوا أن يدخلوا في النّزاع الذي كان في آخر عهد عثمان مثل أبي بكرة وعبد الله بن عمر وعمران بن حصين».

وذكر عن أحمد أمين أنه قال: «وهذه النّزعة إلى عدم الدخول في الحروب بين المسلمين هي الأساس الذي بُني عليه مذهب الإرجاء، ولكنه لم يتكون كمذهب -

كما رأينا- إلا بعد ظهور الخوارج والشيعة».

وفي الحاشية يعلق -أي: أحمد أمين- على ذلك قائلًا: «يقول النووي على مسلم: إن القضايا كانت مشتبهة، حتى إن جماعة من الصحابة تَحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين، ولَم يقاتلوا ولَم يتيقنوا الصواب». (ص ٢٥٦-٢٥٧).

ثم دفع الشيخ سفر عن هؤلاء الصحابة تُهمة الإرجاء بالأدلة الواضحة.

ثم قال: «نَماذج من آراء المستشرقين ومقلديهم في الموضوع:

نعرض هنا نَماذج من آراء المستشرقين ومن تبعهم من الْمُحدثين المعاصرين عن نشأة الإرجاء وفكره آخذين في الاعتبار ما أشرنا إليه من أن المؤاخذ في الحقيقة هم هؤلاء المقلدون، فإنهم لو استخدموا عقولَهم وحاولوا الاستنباط بأنفسهم لكان لَهم العذر أو بعض العذر إذا أخطئوا.

وأما وهم ينقلون ويصرحون بالنقل عن المستشرقين ويتجاهلون تَمامًا كلام علماء الإسلام الثقات وأئمة السنة المشهورين هذا إن لَم يطعنوا في آرائهم، فلابد من بيان فساد منهجهم إحقاقًا للحق وعبرة لمن يدرس الفرق والعقيدة كي لا يغتر بصنيعهم». (ص ٢٦٧-٢٦٨).

ثم نقل أقوال سبعة من المستشرقين وذكر أن من ذُكرت أسماؤهم من مقلديهم قد نقلوا كلامهم.

ثامنًا: ثم قال: «والحديث عن المتأثرين بالمستشرقين وإيراد اسم الدكتور النشار يقتضي منا أن نقول فيه خلاصة ما انتهى إليه الاطلاع الكثير على آرائه:

وهو أنه على كثرة كتاباته وسعتها وجودة عبارته هو أكثر الباحثين الْمُحدثين اضطرابًا وتناقضًا وتَخليطًا، وليس في إمكان الباحث أن يَجد له رأيًا مستقرًا أو منهجًا مطردًا.

وإنَّما ذكرته لأهمية كتبه عند كثير من الناس، ولأنه أستاذ لكثير من المتخصصين في الدراسات الكلامية في مصر وغيرها، ومن أجلى شنائعه أنه يكفر معاوية ﷺ وأباه، ويعتمد على كتب الرافضة في النقل عن الراشدين وغيرهم، ويَجعل أصل مذهب السلف في الصفات هو: اليهود والصابئة».

لقد قال سفر هذا الكلام الطيب في أصحاب رسول الله ﷺ وإن الكلام فيهم دين، واستنكر الجرأة عليهم؛ لأنهم أفضل البشر بعد الأنبياء، وهذا الكلام حق وصدق.

وذكر ما خلاصته: أنه ما كان لنا أن نأبه بآراء المستشرقين لولا أنه قد قلدهم كُتّاب ينتمون إِلَى الإسلام، فاتباع هؤلاء الكُتّاب للمستشرقين جعل تبيان هذه القضية أمرًا ضروريًا.

فيقال له: لقد صدقت فيما قلت.

ولكن يَجب أن تعلم أن سيد قطب أولى بالرد من هؤلاء، فالذي جعل الرد ضروريًا على أولئك لمجرد انتسابِهم إِلَى الإسلام مع معرفة الناس بسوء حالِهم، فسيد قطب الذي صُوِّر لمعظم شباب الأمة بأنه إمام هدى ومجدد وشهيد، أولى بالرد عليه فيما يتعلق بالصحابة وما يتعلق بالعقيدة والمنهج وما يتعلق ببعض الأنبياء؛ لأن انْخداع المسلمين به أشد وتعلقهم به في غاية الخطورة، والحكم كما يقال: يدور مع العلة، والحق أن سيدًا أشد طعنًا في الصحابة وأكثر جرأة من أحمد أمين الذي ذهب يلتمس لَهم العذر بِما نقله عن النووي وإن كان يُلَبِّس على الناس بذلك، بل سيد قطب أكثر جرأة على أصحاب رسول الله من طه حسين.

ومن أراد معرفة الحقيقة فليرجع إِلَى كلام هذين وكلام سيد قطب في كتابه «العدالة» و«كتب وشخصيات».

والأمور والحيثيات التي أوجبت التركيز على النشار أكثر من أقرانه المتأثرين بالمستشرقين هي في سيد قطب أوجب وأوجب لتأثره الشديد بالمستشرقين والروافض والصوفية والمعتزلة، ولانتشار كتبه وشيوعها أضعاف، بل عشرات ومئات الأضعاف من انتشار كتب النشار وغيره.

فسيد قطب عقلًا وشرعًا أولَى وأولَى بالتحذير منه ومن كتبه ومنهجه، والتشهير به أوجب لشدة خطورته واستفحال ضرره، وهذا الأمر يجب أشد الوجوب على من يشيد به ويعظمه ويعظم أمره.

تاسعًا: نقل الشيخ سفر قول المستشرق «فلوتن»: «ومن هذه الناحية كان

الإرجاء في خراسان أشبه شيء بأثر عكسي أخلاقي لذلك الإسلام الشكلي، دين الحكومة العربية في ذلك الحين تلك الحكومة التي أصرت على عدم المساواة بين جميع رعاياها في الدين باتباعها النظام الجائر لجمع الضرائب وجباية المكوس».

علق الشيخ سفر على هذا الكلام بقوله:

«ويلاحظ أنه لا ينسب الظلم لبعض ولاة بني أمية، بل جعله هدف الفتوح كلها كما سبق» (ظاهرة الإرجاء) (ص٢٧١).

وما يدري أن طعون سيد قطب في عثمان وبني أمية وفتوحاتهم أشد من طعون «فلوتن».

ارجع إلَى «العدالة الاجتماعية» وانظر كيف أسقط خلافة الخليفة الراشد عثمان ﷺ وطعن في أهل عهده، وادَّعى أن أسس الإسلام تَحطمت في عهده، وأن روح الإسلام تَحطمت في عهده، وطعن في بني أمية صحابتهم وغيرهم، وشكك في إسلامهم، وشوه العهد الأموي كله وكذلك العهد العباسي بِما لا يقوله إلا أشد الحاقدين، وكَفَّر الأمة، وقرر الاشتراكية.

وانظر «كتب وشخصيات» كيف طعن في معاوية وعمرو بن العاص ورماهما بالنفاق والكذب والغش والخيانة والرشوة وشراء الذمم، وفي ذلك العصر وفتوحاته، ورمى الكثيرين منهم بالردة إلَى الهوة التي انتشلهم منها الإسلام، فلن ترى عيناك مثل طعنه، ومع ذلك وغيره من ضلالاته العقائدية والمنهجية يبقى من أئمة أهل السنة والتوحيد؟!

إني لأرجو من الشيخ سفر أن ينتصر للإسلام وللصحابة الكرام ولتأريخ الإسلام ولعقيدة نبينا مُحمَّد -عليه الصلاة والسلام- وعقيدة صحابته الكرام وأهل السنة العظام.

عاشرًا: أنكر سفر على الصوفية ما سماه بالنظرية المثالية.

ثم علق على ذلك بقوله:

«وأصل خطأ الصوفية ومن سايرهم أنهم ظنوا أن الجنة هي مجرد النعيم الحسي، فمن تعلقت إرادته بِها فقد نسي الله بزعمهم.

وأما أهل السنة والجماعة، فيعتقدون أن أعظم نعيم في الجنة هو رؤية الله تعالَى كما صح في الحديث، وأعظم شقاء لأهل النار الحجاب بينهم وبينه تعالَى.

وحصيلة دعوى عبادته سبحانه لا طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره أنها إنكار للافتقار الذاتي إِلَى الله، وكفى بذلك بدعة وضلالًا، ولهذا قال من قال من السلف: «من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق». انظر الرد على الصوفية في هذا «الاستقامة» (٢/ ١٠٤-١٢٠)، و«مدارج السالكين» (٢/ ٨٠-٨١)»[1].

ونفيد الشيخ سفرًا أنّ سيد قطب يؤمن بهذه العقيدة الصوفية، كما أنه ينكر رؤية الله في الدار الآخرة، ويشكك في المشاهد في النعيم الجسمي في الجنة، فقد دندن حول هذه الفلسفة الصوفية واستشهد لَها بقول رابعة العدوية: «ما عبدته خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته فأكون كالأجير السوء عبدته شوقًا إليه». انظر في «ظلال القرآن» (٦/ ٣٢٩١-٣٢٩٢)، ونسي أن سادة الرسل يعبدون الله خوفًا من ناره وطمعًا في جنته.

وأما إنكاره لرؤية الله فانظره في كتاب «مشاهد القيامة في القرآن» في تفسير سورة المطففين وقد ناقشه في ذلك الأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه «على مائدة القرآن».

فأرجو أن يكون وقوع سيد قطب في مثل هذه الضلالات من أقوى الدوافع للشيخ سفر إِلَى التحذير والنصيحة من مخاطر سيد قطب وكتبه، وليعلم هو وغيره أنه من الظلم للإسلام وأهله وللصحابة بالذات أن يقع سيد قطب في هذه الطوام الكبرى التي ذكرناها، وطوام أخرى ثم لا ينتصف منه للإسلام ولا للصحابة ولا للأمة.

والأدهى والأمَرُّ من ذلك أن يحارب من يسمون بدعاة الإسلام الغيورين على الإسلام يحاربون من يحاول دفع هذا الظلم عن الإسلام والصحابة الكرام وبعض الأنبياء العظام ويرمونه بالطوام.

---

(١) «ظاهرة الإرجاء» (ص ٢٤٦).

فلا يسعنا -والحَال هذه- إلا أن نقول: يا رباه! ما أشد غربة الإسلام على أيدي من يَدَّعون أنهم يُجددون الإسلام.

اللهم أنقذ دينك وأعلِ كلمتك؛ يا سميع الدعاء.

* * *

بــوزيد بلقاسم

كشف موقف الغزالي

من السنة وأهلها

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[1] وقال في شأن هذا الكتاب العظيم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

وأعطى لرسوله الكريم ﷺ الذي جاءنا بهذا الكتاب العظيم منزلة عظيمة فقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[3]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[4] وقال ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5]

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[6]

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[7]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا

---

(١) سورة الكهف آية ١، ٢ .
(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .
(٣) سورة النساء آية ٨٠ .
(٤) سورة الجن آية ٢٣ .
(٥) سورة النور آية ٦٣ .
(٦) سورة الحشر آية ٧ .
(٧) سورة النساء آية ٦٥ .

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١)]

وقال في شأن قوم مرضت قلوبهم واعتلت نفوسهم: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(٢)].

فمثل هذه النصوص- وهي كثيرة جدًا في القرآن الكريم- تعطي الرسول الكريم ﷺ منزلة عظيمة لا تسامى، وترفع توجيهاته الكريمة وسنته المطهرة مكانة عالية فهي من حيث وجوب طاعته وتصديق أخباره بمنزلة القرآن الكريم.

ومن هنا عرف المسلمون هذه المكانة لسنة رسول الله ﷺ فأحلوها سويداء قلوبهم محبة وإجلالًا وطاعة وانقيادًا وتصديقًا.

ومن هذا المنطلق بذلوا جهودا كبيرة لحفظها وصيانتها من العبث فدونوا الدواوين الكثيرة لحفظ نصوصها وألفوا في رجالها وبينوا أحوالهم من عدالة وجرح بما لا يعرف له نظير في أمة من الأمم.

وألفوا التآليف الكثيرة في مختلف فنونها وميادينها الرحبة بما لا يوجد نظيره ولا ما يدانيه لعلم من العلوم، ومن شعور المسلمين بمكانتها خصوصًا المحدثين منهم وعلى رأسهم أصحاب رسول الله ﷺ قاموا برحلات واسعة في طول العالم الإسلامي وعرضه على ترامي أطرافه لا يوجد لها نظير ولا مقارب لأجل علم من العلوم حتى إن كان الرجل ليرحل مسافة شهر أو أكثر من أجل حديث واحد ليطمئن إلى صحته وضبطه، ألا يدل كل هذا على ما لسنة رسول الله من مكانة؟ ومع كل هذا لم تسلم هذه السنة المطهرة من خصوم في كل زمان ومكان من الداخل والخارج، وفي هذا العصر اشتدت وطأة المستشرقين على السنة النبوية، وساندهم قوم ممن يلبسون ثياب الإسلام ويحملون قلوب الذئاب على الإسلام والسنة المطهرة.

ويؤسفنا أن الشيخ محمد الغزالي قد حشر نفسه- في هذه الظروف العصيبة

---

(١) سورة النور آية ٥١.

(٢) سورة النور الآيات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.

التي تمر بها السنة وأهلها- في خصوم السنة بل صار حامل لواء الحرب عليها وأصبحت كتبه وأقواله تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام والسنة النبوية المطهرة، إن الغزالي في كثير من كتبه وتصريحاته يتململ من السنة ولاسيما أخبار آلاحاد على حد زعمه تململ السليم .

ولقد ضمن مؤلفاته الأخيرة حملات شعواء وقذائف خطيرة على كثير من أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة، وحملات شديدة على من يريد التمسك بها .

ولا ينكر أن له كتابات ينصر بها الإسلام ويدافع عنه لكنه يهدم ما بناه بهذه الحملات على السنة إذ لا إسلام بلا سنة فإذا زلزل بنيان السنة وطورد سكانه بمثل قذائف الغزالي تحول بنيانها إلى خراب وإلى بلاقع ويباب[1] .

لا أدري هل يدرك الغزالي نتائج هذه التصرفات أو لا؟ وكذلك هل يدرك مؤيدوه ومروجو أفكاره هذه النتائج؟

ولعل سائلًا يسأل عن السبب الذي دفع الغزالي إلى هذه المواقف من السنة ومن أهلها؟

فأعتقد أن مرد ذلك إلى قصور إدراكه لمعانيها فيخيل له هذا القصور في كثير من الأحاديث أنها تعارض القرآن أو تصادم العقل وقد يكون هذا العقل جهميًا أو معتزليًا أو مستشرقًا أوروبيًا .

ثم لا تسمح له نفسه بمراجعة أقوال أهل الاختصاص من أئمة الحديث وجهابذة النقاد الذين استطاعوا بما آتاهم الله من فقه وعقول وملكات وعلم راسخ أن يوفقوا بين الأحاديث والآيات أو الأحاديث والأحاديث التي يظهر للمتسرعين أن بينها شيئًا من التعارض فتولد له من هذا أو ذاك شعور بالضيق والكراهية لكثير من الأحاديث التي لا تحلو له .

فإذا أراد أن يشفي غيظه لا يذهب إلى كتب الموضوعات وكتب العلل التي

---

(١) البلاقع: التي لا شيء فيها، اللسان ج١ ص ٢٥٩، واليباب: الخراب أو المكان الخالي كما في اللسان ج ٣ ص ١٠٣- بيروت- دار لسان العرب .

بذل فطاحل الحديث وجهابذته جهودًا عظيمة في نقدها من جهة الأسانيد والمتون، ثم قاموا بتمييزها في كتب خاصة كـ «الموضوعات» لابن الجوزي و«اللآلئ المصنوعة» للسيوطي و«الفوائد المجموعة» للشوكاني «وتنزيه الشريعة» لابن عراق أو كـ «العلل» لابن أبي حاتم و«العلل» للدارقطني، و«العلل المتناهية» لابن الجوزي فيأخذ ما يريده منها ويروي منها ظمأه بل يذهب إلى أغلى وأجل ما عند المسلمين من تراث سيد المرسلين ﷺ ألا وهو دواوين السنة المشرقة وعلى رأسها الصحيحان اللذان تلقتهما الأمة بالقبول والحفاوة والإجلال وقالوا فيهما بحق إنهما أصح الكتب بعد كتاب الله، فيختار منها ما لا يوافق منهجه المرتجل فيوسعه طعنًا وتشويهًا وسخرية، كما يصب على المتمسكين بها وابلًا من الشتائم والسخرية والتحقير.

وإن المسلم ليأسف أشد الأسف أن يرى في مؤلفات الغزالي ما يشبه القذائف إلى كل من يحوم حول حياض السنة النبوية المطهرة أو حول العقائد الصحيحة التي تستند إلى مئات البراهين النيرة، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويدعمها إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وتمسك خيار هذه الأمة بأهدابها جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا.

ثم إنه ليؤسفني أن أعرض نماذج من حملات الغزالي على السنة النبوية وعلى المتمسكين بها. استمع إليه يقول:

(١) إني رفضت حديث مسلم في الرضاعة، فهل انفردت بهذا لا، لأن أبا حنيفة رفض الحديث، كما رفضه مالك، لأن قواعد مذهبه تأبى هذا الحديث[١].

(٢) أما الذي أرفضه وقد حاربته بضراوة، فهو سفاهة بعض الأولاد الذين يتنقلون في العالم الإسلامي، وينشئون عقيدة جديدة أن أبا الرسول وأمه في النار[٢].

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١١٨٢/ ٧ شعبان ١٤٠٩هـ ص ٢٨ وقد قال عن حديث مسلم في أبي الرسول ﷺ: هذا حديث يخالف القرآن حطه تحت رجليك فلا حول ولا قوة إلا بالله وهذا في شريط مسجل في تاريخ ٥/ ٤/ ١٩٨٨ وفي مناقشة رسالة العبد الشريفي في جامعة الجزائر المركزية.

(٢) المصدر السابق

هذه دعوى عريضة تورط فيها الشيخ فإن الحديث قد صح بذلك وهو اعتقاد أبي حنيفة، وادعى ملا علي قاري الحنفي عليها الإجماع ونقل فيها أقوال المفسرين وغيرهم وسوف أناقش الغزالي في هذه الدعوى العريضة.

(٣) ويقول الغزالي: (إن من الطفولة العقلية أن نجعل الاقتداء بالرسول الكريم اقتداء شكليًا، فلقد كان للرسول ﷺ زي يلبسه ونعل يرتديها وعمامة يضعها على رأسه، كما كان له عادات في قيامه وقعوده وطعامه وشرابه، هذه كلها يتقيد بها البعض تقيدًا شكليًا متزمتًا مع أنها هوامش السنة. أما سنة الرسول الحقة، فهي مستمدة من كتاب الله، فالرسول ﷺ، كان خلقه القرآن، وكان هو صميم عقله وأساس كيانه المعنوي، وكان جوهر الرسول ﷺ هو هذا الكتاب العظيم الذي صنع حضارة العقل السليم فكيف ننسى هذا كله وننشغل بأمور شكلية هي أقرب إلى القشور.

إن قشرة البرتقالة أو قشرة البيضة قد تكون ضرورية لحفظها وبقائها، ولكن ليس معنى هذا أننا نأكل قشر البرتقال أو قشر البيض، فالقشرة هي الشكل ومهمتها أن تصون الجوهر فإذا انتفعنا كان انتفاعنا بهذا الجوهر، قبل كل شيء أما الذين يعيشون على قشر البرتقالة أو قشر البيضة ولا ينفذون إلى الصميم، فهم قوم جهلة!

وأنا أرفض أن يكون زمام الفكر الإنساني والإسلامي في أيدي هؤلاء[1].

أقول: في هذا الكلام استخفاف كبير بسنة رسول الله ﷺ فليس فيما جاء به رسول الله قشور ولا يجوز أن يشبه شيء منه بالقشور بل يشبه ما جاء به بالشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين.

ومن الأدب الرائع «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[2]. والإسلام يسوقها كلها في سياق المدح والتكريم، والغزالي يسوق هذه الفروع الطيبة المباركة سياق الذم والسخرية، ثم لو سلمنا جدلًا بصحة تشبيهه فإنه يلزمه احترام ما يسميه هو قشورًا

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١١٨١– ٢٤/ ٧/ ١٤٠٩ هـ ص ٢٨-٢٩.

(٢) البخاري ج١ باب الإيمان حديث رقم ٩- ورواه مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٥٧، ٥٨

فلو أن تاجرًا عقله مثل عقل الغزالي قَشّر بيضه فساح في الشارع فمن يقبل منه هذه البضاعة بأبخس الأثمان ومن يشهد له بأنه من ذوي الألباب والنهى، وهل يوجد في الدنيا حتى من الأغبياء والسفهاء من يقدم ما ينتجه من فواكه وخضار بعد أن يجردها من القشور، فإذا أردنا أن نعرض ديننا على الأمم فلنعرضه في غاية الزينة بقشوره التي لا يكون عليه طابع الجمال والروعة إلا بها، والتي لا يصان من الآفات والضياع إلا بها؛ هذا إن سلمنا بتمثيل الغزالي بأن في الدين قشورًا والأمر- والله- أعظم وأجل مما يتخيله الغزالي وما أظن في الدنيا أحدًا يحب الشيء ويحترمه ثم يعبر عنه بمثل هذه الأساليب المشوهة والمنفرة.

ثم نعرض شيئًا من أقواله ونرجئ التعليق عليها إلى حينه.

(٤) في عصرنا ظهر فتيان سوء يتطاولون على أئمة الفقه باسم الدفاع عن الحديث النبوي مع أن الفقهاء ما حادوا عن السنة، ولا استهانوا بحديث صحت نسبته وسلم متنه.

وكل ما فعلوه أنهم اكتشفوا عللًا في بعض المرويات فردوها، وفق المنهج العلمي المدروس. وأرشدوا الأمة إلى ما هو أصدق قيلًا وأهدى سبيلًا، وهم بهذا يتأسون بالصحابة والتابعين.

انظر موقف عائشة رضي الله عنها عندما سمعت حديث «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» لقد أنكرته، وحلفت أن الرسول ما قاله وقالت بيانًا لرفضها إياه: أين منكم قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]. إنها ترد ما يخالف القرآن بجرأة وثقة.

ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة مثبتًا في الصحاح، بل إن ابن سعد في «طبقاته الكبرى» كرره في بضعة أسانيد[2]

(٥) وعندي أن ذلك المسلك الذي سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ١٥-١٦.

من أجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامي يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولًا فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه وإلا فالقرآن أولى بالاتباع[1].

(٦) وفي الجهة المقابلة نجد صنفًا آخر يدعي التفويض والسلفية، ويتبع الأخبار التافهة ذات الأسانيد المظلمة، ويستقي منها العقائد، ويجري وراء نص هنا ونص هناك، فيطوي المسافة بينهما ليخرج آخر الأمر بضرب من التجسيم لا يعرفه المسلمون من سلف أو خلف . ولا يغرنك العناوين والأسماء، فإن بعضهم زعم أن ابن خزيمة وابن الإمام أحمد ممن حطبوا في هذا الحبل، وكونوا بما صنفوا فرقة من الرعاع أحدثت بعض الشغب في بغداد، ثم انتهى أمرها[2].

(٧) إن نفرًا من العمال والحمالين والفلاحين فرطوا في أعمالهم الحرفية والفنية مكتفين في إثبات تدينهم بثوب قصير ولحية مشوشة، وحمل العصا حينًا وارتداء عمامة ذات ذَنَب عندما تكون المشيخة قد ثبتت لصاحبها[3].

(٨) إننا لا نسمح أن يجيء نفر من الدهماء ليرفع خسيسته على حساب كبار الأئمة، وعندما تختفي القمم الفقهية من تاريخنا خلال أربعة عشر قرنًا فمن يبرز بعد ذلك .

(٩) ومن الذي يزعم أن ابن حنبل هو ممثل السلفية في ذلكم الميدان وأن أبا حنيفة ومالكًا والشافعي حادوا عن الطريق وأمسوا من الخلف لا من السلف .

إن هذا تفكير صبياني . . . وبعض الناس سموا بالحنابلة الذين حكى «تاريخ بغداد» أنهم كانوا يطاردون الشافعية لحرصهم على القنوت في صلاة الفجر، هم فريق من الهمل لا وزن لهم . . . وإذا كان من يخالفنا في الرأي مأجورًا فلم نسبه ونحرجه ونضيق عليه الخناق؟![4].

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧-١٨ .

(٢) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ١١٨ .

(٣) سر تأخر المسلمين ص ٥٤ .

(٤) هموم داعية ص ١٠٦ .

(١٠) والذي أراني مضطرًا إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه، فإن ناسًا أدمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورًا فنمت أفكارهم معوجة وطالت حيث يجب أن تقصر وقصرت حيث يجب أن تطول، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس وبردوا حيث تجب الثورة، نعم من هؤلاء من ظن أن الأفغانيين من أتباع أبي حنيفة لا يقلون شرًا عن الشيوعيين أتباع كارل ماركس، لماذا؟ لأنهم وراء إمامهم لا يقرون فاتحة الكتاب[١].

(١١) والذهول عن المعاني الأولية والثانوية التي تضج بها الوحي المبارك لا يتم معه فقه ولا يصح دين[٢] ذكر أبو داود حديثًا واهيًا جاء فيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تركب البحر إلا حاجًا أو معتمرًا أو غازيًا في سبيل الله فإن تحت البحر نارًا وتحت النار بحرًا»**.

وهذا الحديث الضعيف المردود خدع به الإمام الخطابي وعلل النهي عن ركوب البحر بأن الآفة تسرع إلى راكبه ولا يؤمن هلاكه في غالب الأمر.

(١٢) إن الغفلة عن القرآن الكريم والقصور في إدراك معانيه القريبة أو الدقيقة عاهة نفسية وعقلية لا يداويها إدمان القراءة في كتب السنة، فإن السنة تجيء بعد القرآن، وحسن فقهها يجيء من حسن الفقه في الكتاب نفسه، وقد ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعي قال: «كل ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما فهمه من القرآن» فكيف يفقه الفرع من جهل الأصل.

(١٣) أما أن يتهجم نفر من الطلاب أو بعض البوابين والبقالين على الأئمة الكبار وينالوا من قيمتهم العلمية، فهذا سفه منكور[٣].

(١٤) العلم المغشوش يهز الأمة ويخدم الاستعمار، الصحوة الإسلامية

---

(١) هموم داعية ص ١٣، وعلى العكس فكثير من صوفية الأفغان ومتعصبيهم يكفرون السلفيين ظلمًا ويقابل السلفيون هذا الموقف الشنيع بالصبر والحكمة ثم بالمشاركة الفعالة في الجهاد الإسلامي.

(٢) هذا الكلام فيه طعن في الإمام أبي داود، ولا أستبعد أن الغزالي يطعن في الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو راوي الحديث فقد عهدنا منه الطعن في بعض الصحابة.

(٣) هموم داعية ص ٢٥.

المعاصرة مهددة من أعداء كثيرين، والغريب أن أخطر خصومها نوع من الفكر الديني يلبس ثوب السلفية وهو أبعد الناس عن السلف، إنها ادعاء السلفية، وليست السلفية الصحيحة[1].

هذه الحملات هي بعض ما يقوله الغزالي في حق السنة النبوية وفي حق السلفيين الذين آثروا التمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم والاعتصام بهدي الخلفاء الراشدين وما كان عليه خيار الأمة، فماذا يريد منهم الغزالي؟

هل يختار لهم منهج الرافضة أو مذهب الخوارج أو المعتزلة أو الالتزام بمناهج الصوفية؟ هل يريد منهم أن يتخذوا منه إمامًا يقلدونه فيما يرفضه من الأحاديث الصحيحة بكل جرأة وأن يضربوا عرض الحائط بما يسميه الغزالي من سنة رسول الله الصحيحة أخبار آحاد ولو كان في الصحيحين ودان به سلف الأمة وآمنوا به وناضلوا عنه أهل الأهواء والباطل، نسأل الغزالي هل وصفك لهؤلاء بأقبح الأوصاف وتجريدهم من الأخلاق الإسلامية الكريمة من شيم العلماء وأخلاق النبلاء؟!

هم أولاد سفهاء، وأصحاب طفولة عقلية، وفتيان سوء، ويتبعون الأخبار التافهة، وهم عمال، وحمالون، وفلاحون، وبوابون وبقالون، وثيابهم قصيرة، ولحاهم مشوشة، وهم نفر من الدهماء، يرفعون خسيستهم على حساب كبار الأئمة، وهم همل لا وزن لهم، وأصحاب تفكير صبياني، ومن ذنوبهم عندك يا غزالي: إدمان النظر في كتب الحديث وأفكارهم معوجة، وعلمهم مغشوش يهز الأمة ويخدم الاستعمار، وهم أخطر خصوم الصحوة الإسلامية

كثيرًا ما تدعو في كتبك إلى أدب النفس واحترام مشاعر الآخرين، وقد كتبت كتابًا سميته «خلق المسلم»، فهل هذا تطبيق عملي لما تدعو إليه وتؤلف فيه؟ لقد تحدث القرآن الكريم عن أقوام استخدموا مثل هذه الأساليب في مقاومة الحق ومناهضته.

فقال حاكيًا قول قوم هود: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ

---

(١) سر تأخر العرب والمسلمين ص ٨٢ .

ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١] فهل ضر ذلك نبي الله هودًا أو حط من مكانته الرفيعة؟ كلا ثم كلا.

وقال عن قوم ادعوا الإيمان بالله واليوم الآخر، لما قيل لهم آمنوا كما آمن الناس، ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، فدمغهم الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقال قوم نوح فيه وفي أتباعه: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[٣]

وهل من الأدب مع الله ورسوله ومع السنة النبوية الطاهرة أن تقول وتكثر: «هذا حديث مرفوض» و«قد رفض هذا الحديث فلان» و«ركام الأحاديث» و«الأخبار التافهة» و«قشور» و«ما من إمام من الأئمة الأربعة إلا وقد رفض أحاديث صحيحة»، فهل في هذه الأساليب دعوة إلى اتباع رسول الله ﷺ واحترام سنته، أو هما حرب على السنة تحت ستار الدفاع عن الأئمة، والأئمة برآء غاية البراءة من هذا التهويش على السنة وأهلها، بل هم أئمة المسلمين في احترام السنة وحبها والدعوة إليها والاحتجاج بها في العقائد والعبادات والحلال والحرام، بل يحتج أكثرهم بالمراسيل وعند الحاجة بالأحاديث الضعيفة في العمليات ويقدمونها على الرأي والقياس ويأمرون أتباعهم بترك أقوالهم إذا خالفت نصًا من كتاب الله أو نصًا من سنة رسول الله ﷺ.

فهذا الإمام أبو حنيفة يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[٤]، «إذا قلت قولًا يخالف كتاب الله تعالى أو خبرًا لرسوله ﷺ فاتركوا قولي»[٥].

وقال الإمام مالك رحمه الله: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[٦].

---

(١) سورة هود الآية ٦٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣.

(٣) سورة هود الآية ٢٧.

(٤) ابن عابدين في الحاشية: (١/ ٦٣).

(٥) الفلاني في الإيقاظ: ص ٥٠.

(٦) ابن عبد البر في الجامع: (٢/ ٣٢)، وابن حزم في أصول الأحكام: (٦/ ١٤٩).

وقال الإمام الشافعي: «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولي»(١).

وقال: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد»(٢).

وقال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»(٣).

ويقول للإمام أحمد: «أنتم أعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به أي شيء يكون كوفيًا أو بصريًا أو شاميًا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحا»(٤).

ويقول: «كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي»(٥).

ويقول: «إذا رأيتموني أقول قولًا وقد صح عن النبي ﷺ خلافه، فاعلموا أن عقلي قد ذهب»(٦). إلى غير ذلك من أقواله المعظمة لسنة رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار»(٧).

وقال: «من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة».

فأي احترام للسنة أعظم من هذا، وهل إذا تمسك السلفيون بأهداب السنة وعظموها يكونون متطاولين وسبابين للأئمة؟ كلا ثم كلا، بل المتطاول على السنة متطاول عليهم ومخالف لهم منابذ لمنهجهم مسيء إلى نبيهم الكريم وسنته المطهرة.

---

(١) تاريخ دمشق: (١٥/١/٢)

(٢) إعلام الموقعين: (٢/ ٣٦١).

(٣) المجموع للنووي: (١/ ٦٣)

(٤) آداب الشافعي لابن أبي حاتم: (ص ٩٤-٩٥).

(٥) الحلية: (٩/١٠٧)، وإعلام الموقعين: (٢/٣٦٣).

(٦) آداب الشافعي: (ص ٩٣)، والحلية: (٩/١٠٦).

(٧) مسائل الإمام أحمد لأبي داود: (ص ٢٧٦و٢٧٧).

طعن الغزالي في المسلمين عمومًا وفي العرب خاصة وفي الخلفاء الأمويين والعباسين وتشويهه لتاريخهم بما يسر الأعداء، وطعنه في الفقه والفقهاء

(١) يقول: «بل إن المسلمين في القرن الرابع وفي ظل الخلافة العباسية المعتلة المختلة تحولوا إلى فرق تتقاتل على السلطة وتتنازع على الإمارة، يكيد بعضهم لبعض، ويلعن بعضهم بعضًا وما زالوا كذلك حتى جرفتهم الحملة الصليبية الأولى ثم غارات التتار التي أسقطت بغداد، وقتلت خليفتها المسكين»، ثم يحمل على الخلافة العباسية من بدايتها فيقول: «لم تستفد الدعوة الإسلامية شيئًا يذكر خلال الحكم العباسي بل إن سوء التطبيق لتعاليم الإسلام نال من قدرتها على الانطلاق البعيد، حكام يتهاوشون على الدنيا، ويتقاتلون على المناصب، أجهزة الشورى صفر. العدالة الاجتماعية مضطربة ... العلم الديني انحصر في فلسفات كلامية لا تمس القلوب أو مسائل فقهية ليس لها عند اللّٰه وزن.

معروف أن أجناسًا شتى دخلت في دين اللّٰه من اليهود والفرس والروم والترك والكرد والزنوج ... إلخ. وكان المفروض أن تنصهر كلها في بوتقة الأخوة الإسلامية لكن مادام العرب يشمخون بعرقهم فلماذا تسكت الأجناس الأخرى.

إن العالم- وراء دار الإسلام- لم ير في الطريقة التي تحكم دولة الخلافة ما يعجب، بل رأى ما ينفر.

وقد سقط العباسيون كما سقط من قبلهم الأمويون ليؤكدوا حقيقة علمية، وتاريخية ثابتة، وهي أن العرب لا يشد كيانهم إلا الدين، فإذا خرجوا عليه تيقظت فيهم جاهليتهم، فهلكوا وقد أعلنت هذه الحقيقة عن ثباتها واطرادها بسقوط الخلافة الأموية في الأندلس، واندحار الدويلات التي تخلفت عنها، الداء هو الداء. نهم مسعور إلى السلطة وتعارك وحشي على الإمارة، وارتداء للدين على جسد أجرب متاجرة بفقه الفروع لا تنطلي على اللّٰه، لأن معاقد الدين وقواعد

الأخلاق واهية»[١] .

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٢] .

هذا التشويه لتاريخ الدولتين الأموية والعباسية وعلمائها وحربها وفقهها وأخلاقها في هذا العصر الذي يجتاز فيه المسلمون أخطر المراحل، أعداء متربصون بالإسلام والمسلمين ويبذلون أقصى جهودهم في اختلاق العيوب للقرآن والسنة والفقه والتاريخ وكل ما هو منسوب إلى الإسلام .

نعم ؛ أعداء من خارج ، وأعداء من الداخل أخطر منهم يبحثون عن كل ما يشين الإسلام والمسلمين وتاريخهم ، فإذا قدم لهم كاتب إسلامي لامع مثل هذه الصورة المظلمة عن تاريخ المسلمين وخلفائهم وعلمائهم وفقههم على امتداد تاريخهم فإنه لا شك يكون قد قام لهم بأعظم خدمة ، ألا يدرك الغزالي أن أعداء الإسلام يستغلون هذا الكلام أسوأ استغلال؟ ألا يدرك الغزالي أن دولة الرفض والباطنية يتخذون من هذا الكلام وأمثاله شهادة على أن الأمة الإسلامية عاشت طوال هذه القرون تحت ظلال الحكم السني في ظلم وظلمات يدعم هذه الأوضاع الظالمة المظلمة من يرتدي الدين على جسد أجرب ويتاجر بفقه الفروع ، في هذه المرحلة الخطيرة يجب أن نبحث عن محاسن هذين العهدين من جهاد وفتوحات امتدت إلى مشارق الأرض ومغاربها واستبحار العلوم ونعلم المسلمين أنهم صانعو الحضارة ، وأن الحضارة شعت على الغرب من الأندلس وغيره من بلدان المسلمين .

في هذه المرحلة ودولة الرفض تخطط وتبذل كل ما عندها من طاقات وإمكانات لابتلاع العالم الإسلامي يجب أن نكشف عن مخازي الروافض والباطنية العبيديين والقرامطة من خيانات وغدر وتآمر وسفك دماء ووقوف ضد الأمة الإسلامية مع كل أعدائها من صليبيين وتتار وغيرهم ، ليس من السياسة ولا من العقل والمنطق أن ندفن أمجادنا المشرقة وأن نجسم أخطاء أسلافنا ونبني من الحبوب الصغار قبابًا شاهقة .

---

(١) سر تأخر العرب والمسلمين : ص ٦٦ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٣ .

وليس من السياسة والحكمة والعقل والمنطق أن ندفن فضائح وعظائم من يتربص بنا الدوائر ويكيد لنا ويخطط ويعمل لتدميرنا في الغابر والحاضر.

ويتوج الغزالي ولاءه للروافض بمبايعة الخميني وتأكيد هذه البيعة بتصريحه: «إن وحدة المسلمين لن تتحقق ما لم يجتمع المسلمون وراء الإمام الخميني»[1].

إنه يجب أن تسلط الأضواء على هذا النوع من الكتاب الذين يلاحقون الدعاة إلى السنة المحمدية وإلى منهج السلف الصالح بالدعايات الظالمة والاتهامات الغاشمة، وفي الوقت نفسه يتعاطفون ويتبادلون الحب الخالص والولاء الصادق لمن يكيدون للأمة الإسلامية ويتلمظون لابتلاعها ويلعنون دينها ويكفرون أسلافها وعلى رأسهم الصديقون والشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم من هذه الأمة.

(٢) ويقول: «أما دور المتحدثين في الدين الذين وقفوا النشاط العلمي، فيظهر أولًا في البحوث الكلامية الغيبية، والفروع الفقهية الوهمية والكراسات التي حفلت بحشو لا آخر له، ثم عدَّت ذلك كله هو العلم الذي لا علم معه»[2].

(٣) ويقول: «ثم استفاضت الدراسات الدينية وكثرت البحوث في كل ميدان، ترى هل هذه السعة للتحلي والتسلي أم لمزيد من الخشية والتقى، والمقرر عندنا أن المرء مسئول عن علمه ماذا عمل به والذي رأيته وأنا أعمل في ميدان الدعوة من أربعين سنة أو يزيد أن أكثر هذه المعارف فضول وأن الناس يقبلون عليها تزجية للفراغ ومدافعة للبطالة، وأن عشر ما يتعلمون يكفيهم في فقه الإسلام ويبقى عليهم بعد ذلك أن ينصرفوا إلى العمل المثمر»[3].

(٤) وقال: «قلت لواحد من هؤلاء: إن الفكر الديني سمن ونما له كرش من هذه القضايا، وما تعود له صحته إلا إذا ذهبت هذه السمنة واختفى هذا الكرش، واشتغل المسلمون بعلوم الحياة التي ينصفون بها دينهم المجرح ويردون بها أعداء

---

(١) الخميني: دماء وتخريب وإرهاب

(٢) مشكلات في طريق الحياة: ص ٤٧.

(٣) مشكلات في طريق الحياة: ص ٤٣

متوقحين»(١)

فأي أرض تقل السلفيين وأي سماء تظلهم لو قال واحد منهم بعض هذا الكلام:

١- الفروع الفقهية الوهمية .

٢- والكراسات التي حفلت بحشو لا آخر له .

٣- أن أكثر هذه المعارف فضول .

هذا بعض ما يوجهه الغزالي من طعن وتشويه إلى تاريخ الأمة وتراثها . وتتغير الموازين عندما يريد أن يثير ضجة على أهل التوحيد والسنة وإلهاب مشاعر من لا يعرف الحقيقة والواقع من المسلمين فإن الفقه حينئذٍ يصبح له وزن عظيم ويصبح الفقهاء قممًا سامقة .

(١) استمع إليه يقول: «قلت إنني لا أتعصب لمذهب معين، ولكني أحترم القيمة العلمية للفقه المذهبي، وأقدر الرجال الكبار الذين تناقلوه في تاريخنا الثقافي، وأرد الزعم الغريب بأنه قسيم لفقه السنة، وأن كلا الطريقين بعيد من الآخر»(٢).

(٢) ويقول: «إن هؤلاء الناس يذهبون بأنفسهم ويتلمسون للبرآء العيب، ويدّعون العلم، ويتهمون الأكابر من الفقهاء بالجهل ومشاقة الرسول، وقد تبنوا أحكامًا معينة في قضايا صغيرة أو كبيرة وخرجوا بها على الناس فزادوا المسلمين فرقة وزادوا الطين بلة .

ولما كان الإسلام يمر بفترة عصيبة من تاريخه الطويل ولما كان ضغط الأديان الباطلة، والمذاهب الجائرة شديدًا ولما كان أحوج ما يكون إلى أولي النهى والحصافة يعرضون تعاليمه ويحسنون الذود عنه، فإن هؤلاء انطلقوا بقصورهم وجراءتهم يتحدثون عنه فأساءوا وأسفوا ووقفوا سيره وألحقوا به التهم .

---

(١) مشكلات في طريق الحياة: ص ٤٤ .

(٢) دستور الوحدة الثقافية: ص ١٠٣

إن تاريخنا الثقافي عامر بالرجال الراسخين في العلم ولهؤلاء الرجال نظرات لها وزنها في فلسفات العالم ولهم كذلك في فقه الكتاب مذاهب محترمة وقد استقر في ديننا أنه لا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، فلم لا ننتفع بهذه الحصيلة الرائعة في ثقافتنا الإسلامية ونحن نواجه في فلسفة الأخلاق والقانون والحضارة ما لابد من رده بالحسنى»[1]

انظر إليه كيف تغيرت الموازين والقيم كيف تحول الآن ما سماه بالحشو والفضول والفقه الذي لا وزن له إلى مذاهب محترمة وحصيلة رائعة يجب أن ننتفع بها، وتحول أهلها الذين قال فيهم: «إنهم يرتدون الدين على جسد أجرب»، و(أنهم يتاجرون بالفقه) إلى رجال راسخين في العلم قد عمر بهم تاريخنا الثقافي.

لماذا غير موقفه وقلب موازينه، لأنه يواجه أخطر أعداء الصحوة الإسلامية فخطورة الشيوعية والصهيونية العالمية والصليبية العالمية والاستعمار السياسي والغزو الفكري وغيرها أقل خطرًا على الصحوة الإسلامية -أي: على الإسلام- من الدعوة السلفية لأنها تعتمد على الكتاب والسنة فعلًا في كل شئونها وهو يريد الدعوة إلى الكتاب ضجيجًا وجعجعة لا رصيد لها من الواقع.

وانظر إليه كيف يشيد بالفلسفة ومن ضمنها فلسفة ابن سينا والفارابي، وإخوان الصفا وغيرها من الفلسفات الضالة التي دك معاقلها علماء السنة ولاسيما ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة يشيد بها في الوقت الذي يعتبر الدعوة السلفية إساءة وإسفافًا توقف سير الإسلام وتلحق به التهم هكذا بهذا الأسلوب يتجاهل الغزالي الدعوات التي ملأت الدنيا رعبًا بعصاباتها الإرهابية وملأت الجو رعبًا وأوسعت الطائرات والناس خطفًا وملأت البر حروبًا والبحر ألغامًا وأوسعت الإسلام تشويهًا على امتداد القارات وأكدت بتصرفاتها هذه وغيرها ما أذاعه القسس والباباوات والكهنة والرهبان والشيوعيون والصهيونية عن الإسلام ظلمًا وإفكًا من وحشية وهمجية وتعطش للدماء وللسلب والنهب والابتزاز والفوضى.

---

(١) انظر كيف يقابل فلسفة دارون وكارل ماركس وفرويد وأمثالها بالحسنى ولا تحظى السلفية منه بهذه المقابلة.

موقفه من النصارى

الغزالي لطيف وحليم وحكيم مع النصارى وإن خططوا لتدمير الإسلام والمسلمين وبعد اطلاعه وتأكده من خططهم المدمرة يقول:

«بين يدي هذا التقرير المثير لابد من كلمة، إن الوحدة الوطنية الرائعة بين مسلمي مصر وأقباطها يجب أن تبقى وأن تصان، وهي مفخرة تاريخية ودليل جيد على ما تسديه السماحة من بر وقسط.

ونحن ندرك أن الصليبية تغص بهذا المظهر الطيب وتريد القضاء عليه وليس بمستغرب أن تفلح في إفساد بعض النفوس وفي دفعها إلى تعكير الصفو . .

وعلينا- والحالة هذه-أن نرأب كل صدع ونطفئ كل فتنة لكن ليس على حساب الإسلام، وليس كذلك على حساب الجمهور الطيب من المواطنين الأقباط.

وقد كنت أريد أن أتجاهل ما يصنع الأخ العزيز شنودة- يعني الذي حاك التخطيط المدمر- الرئيس الديني لإخواننا الأقباط غير أني وجدت عددًا من توجيهاته قد أخذ طريقه إلى الحياة العملية»[1].

وهكذا يلين ويتعاطف مع عباد الصليب في الوقت الذي يرتكبون فيه أشد الجرائم وينفذون أخبث الخطط لتدمير الإسلام والمسلمين، ويعتبرهم إخوانه ويقدم لهم اعتذاره عن هذه المناقشة الظريفة اللطيفة!

أما السلفيون وإن تمسكوا بالحق وتعلقوا بأهداب السنة فقد عرفت كيف يتعامل معهم!!

* * *

(١) قذائف الحق: (ص ٦٦-٦٧) وانظر التقرير الذي يناقشه ص٦٢-٦٦).

دعوته إلى إقامة وحدة بين المسلمين واليهود والنصارى وسائر المتدينين إلا الملحدين

قال في كتابه «من هنا نعلم»[١]: «ومع ذلك التاريخ السابق، فإننا نحب أن نمد أيدينا، وأن نفتح آذاننا وقلوبنا إلى كل دعوة تؤاخي بين الأديان وتقرب بينها، وتنزع من قلوب أتباعها أسباب الشقاق. إننا نقبل مرحبين كل وحدة توجه قوى المتدينين إلى البناء لا الهدم، وتذكرهم بنسبهم السماوي الكريم، وتصرفهم إلى تكريس الجهود لمحاربة الإلحاد والفساد». اهـ

ما هذا يا غزالي؟ تنشد المؤاخاة بين الإسلام والأديان الكافرة! وهل كان الإسلام في يوم من الأيام يحمل هذه الروح، ويبحث بكل شغف عن كل دعوة تؤاخي بين اليهودية والنصرانية والمجوسية والهندوكية؟! ويفتح المسلمون آذانهم وقلوبهم ويمدون أيديهم إلى كل دعوة تؤاخي بين الإسلام دين الله الحق، وبين الأديان الوثنية الكافرة؟!

أين أنت من آيات القرآن الواضحة الفاضحة لكل من يريد أن يمد للكافرين يد الإخاء، ويفتح قلبه لهم بالمودة والولاء؟!

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[٢] الآية؟!

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن يقول: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣].

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾. وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ

---

(١) ص ٦٦ واقرأ الصحائف قبلها.

(٢) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٣) سورة المجادلة: الآيات ١٤، ١٥، ١٩.

حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[١].

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[٢].

وتقول يا غزالي: «إننا نقبل مرحبين كل وحدة توجه قوى المتدينين إلى البناء لا الهدم»؟ أبناءً دينيًا أم دنيويًا؟

وتنشد الوحدة في وقت استباحت الصليبية العالم الإسلامي، تسفك الدماء وتنهب الثروات وتفسد الأخلاق والعقائد وفي الوقت الذي احتلت فيه اليهودية المسجد الأقصى وفلسطين، وتخطط للاستيلاء على باقي البلاد العربية من النيل إلى الفرات، وتقتل وتشرد وتدمر أبناء فلسطين صباح مساء ونحن نمد لها يد الأخوة والوحدة.

وما هذا النسب السماوي الكريم الذي تقدم الاعتراف به والتكريم له طوعًا لأديان محرفة باطلة أنكر الله نسبتها إلى السماء وقطع صلتها بالأنبياء؟! قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤]

أتضفي على الدين المحرف المبدل صفات دين الله الحق المنزل، وتنسى عبارة العلماء اللهية المشهورة: «نؤمن بالمنزل ولا نؤمن بالمبدل». وأسفاه

(١) سورة الممتحنة: الآيتان ١، ٤.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

على الإسلام إذا كان دعاته من هذه النوعيات .

لقد هزلت حتى بدى من هزالها كُلاها وحتى سامها كل مفلس

أتظن أن اليهود والنصارى سيقفون مع المسلمين جنبًا إلى جنب يحاربون الشيوعية وهي من صنع أيديهم، ومن بنات أفكارهم، ويعملون على ترويجها في بلدان المسلمين، وقال تعالى في بيان بغضهم الشديد وعداوتهم الشديدة للإسلام وأهله، ومحمد بين أيديهم يشاهدونه تتنزل عليه آيات القرآن من السماء وتجري على يديه المعجزات الباهرات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[1].

مع الأسف كثيرًا ما تتحدث عن قضايا باسم الإسلام، والإسلام وعلماؤه وفقهاؤه منها براء، وهذا والله من أشراط الساعة أن يتخذ الناس رءوسًا جهالًا فيسألونهم فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون .

لينه ولطفه مع فرق الباطنية والرافضة وقسوته وعنفه على أهل الحق

ويعد حملة شديدة على السلفية وأحد علمائها من أساتذة الجامعة الإسلامية ضمن تلك الحملة مثل قوله: «لكن ما يسمى الآن بالسلفية ويقترح سبيلًا للعودة شيء غريب حقًا، لأنه يتضمن جملة ضخمة من القضايا الطفيلية التي كان ينبغي أن تموت في مكانها ولا تكلف الأجيال بدراستها»، ويعد هذه الحملة التي أربأ بنفسي عن وصفها تعرض لفرق الباطنية والشيعة يلمح بأسلوب غامض رقيق إلى ما جرى بينهم وبين أهل السنة، يدين أهل السنة بأكثر مما يدين هذه الفرق ثم يقول:

«وأعترف بأن لي أصدقاء من الشيعة أعزهم وأحبهم ومن أجل ذلك أعرض هذه المبادئ لدفع الأمور إلى طريق التصالح والإخاء»[2].

ثم شرع في عرض مقترحاته التي يعرف هو قبل غيره أنه لن يستجيب لها أصدق

(١) سورة النساء الآيات ٥١، ٥٢ .

(٢) دستور الوحدة: ص ١٠٣، وانظر عرضه المشار إليه: (ص ١٣٢-١٣٤) .

أصدقائه منهم وأحبهم إليه والواقع والتاريخ أكبر شاهد، وقد يئس منهم رشيد رضا وهو أعلم منه وأوسع صدرًا، وبعد هذا اليأس كتب فيهم ما يبين عوارهم ويفضح أساليبهم الماكرة وعقائدهم الفاسدة .

لقد تبين لذي عينين أن الغزالي ما شرق ولا ضاق ذرعًا بأي دعوة ولا مبدأ على وجه الأرض مثلما شرق بالدعوة الحقة منهج الله الحق- وإن رغمت أنوف- الدعوة السلفية وهي دعوة علمية لها مدارسها ومناهجها ونشاطها المبارك على الإسلام والمسلمين، وما من بقعة في الأرض إلا وقد امتد إليها نورها، وما من حركة ولا جماعة تعمل باسم الإسلام إلا مدت إليها يد العون على يد إمامهم العالم الرباني الحليم الرفيق العديم النظير في سعة الصدر ورحابة الأفق والخلق الشيخ عبد العزيز بن باز وعلى يد كثير من إخوانه في كل بلد.

ولهم دور بارز -والحمد لله- في الجهاد الأفغاني وكثير من قواد المعارك من خريجي الجامعة الإسلامية السلفية ومن إخوانهم السلفيين الأفغان وغير الأفغان وكثير وكثير منهم تساقطوا شهداء في هذا الجهاد.

فكيف يستجيز الغزالي كل هذه المواقف وكل هذه الشتائم والتحقير، ومن ذلك ادعاؤه: «أنهم أساءوا وأسفوا ووقفوا سير الإسلام وألحقوا به التهم».

ما هكذا يا سعد تورد الإبل، يا غزالي، العقائد السلفية تتضمن جملة ضخمة من القضايا الطفيلية التي ينبغي أن تموت في مكانها، فما هي القضايا الكبرى التي يجب أن تحيا، قضايا الغناء أو قضايا تحرير المرأة، وقد تحررت وتحللت ونالت فوق ما تستحق، أو قضايا الاعتزال والرفض التي تتعاطف مع بعضها وتتنتن حول البعض الآخر، أو محاربة السنة تحت شعار مخاطر أخبار الآحاد أو تحت شعار الدفاع عن الأئمة؟! وليس للأئمة عند السلفيين إلا الإجلال والإكبار، والسب والشتم والطعن لا تجدها إلا في مدرسة الكوثري ونظرائه ممن أعماهم التعصب المذهبي.

فهل قرأت ما كتبه الكوثري من الطعون في الأئمة، وما أكثر من طعن فيهم من أئمة الإسلام .

وهل قرأت ماكتبه من يسمى مسعود بن شيبة الملقب بشيخ الإسلام في مقدمة كتاب التعليم الذي حققه وعلق عليه أحد تلاميذ الكوثري من الطعن في الشافعي ونسبه[1] ولغته وفقهه، وفي الإمام مالك كذلك، والذي ضمنه من الغلو في الإمام أبي حنيفة ما ينكره أبو حنيفة وينكره الإسلام والمسلمون، والذي ضمنه ما نسبه زورًا إلى الإمام عبد الله بن المبارك من شعر لا يقوله إلا جاهل قتله الغلو وهو:

لقد زان البلاد ومن عليها	إمام المسلمين أبو حنيفه
بآثار وفقه في حديث	كآيات الزبور على الصحيفه
فما بالمشرقين له نظير	ولا بالمغربين ولا بكوفه
فقيهًا كان في الإسلام نورًا	أمينًا للرسول وللخليفه
فلعنة ربنا أعداد رمل	على من رد قول أبي حنيفه[2]

انظر إلى هذا الغلو المخزي وإلى هذا اللعن الذي شمل الأمة والأئمة والفحول من أئمة الأحناف لاسيما أبا يوسف ومحمد بن الحسن، فما من إمام إلا وقد رد من أقوال أبي حنيفة ما يرى أنه أخطأ فيه بما في ذلك كثير من أصحابه

ومن تصدى لرد هذا العدوان وأمثاله من الكوثري ونظرائه؟ إنهم السلفيون ابن تيمية وتلاميذه.

لقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه العظيم «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» يرد به عدوان وبغي بعض المتعصبين المذهبيين من كل المذاهب على الأئمة.

وألف ابن أبي العز المتوفى سنة ٧٩٢ شارح الطحاوية، وأحد تلاميذ

---

(١) قال في ص ٩ بدفع وقوع الرق على أبي حنيفة ثم يسب غيره من الأئمة إلى الولاء «إن كان هذا مما يقدح فيه- يعني الإمام أبا حنيفة- فقد روي أن مالكًا مولى بني أصبح، والثوري كان مولى لبني ثور بن عبد مناة والشافعي كان مولى لعثمان بن عفان وقيل بني أمية» ونقل محقق الكتاب عن شيخه الكوثري قوله. «ولم نر أحدًا قبل زكريا الساجي رفع نسب شافع- جد الشافعي الذي ينسب إليه إلى عبد مناف، والساجي ممن تكلم فيه». ويتجاهل الكوثري وأمثاله إجماع العلماء على قرشية الإمام الشافعي رحمه الله وأرغم أنوف شانئيه والطاعنين فيه وفي إخوانه من أئمة الإسلام.

(٢) ص ٣٥٣ من مقدمة كتاب التعليم، وبرأ الله الإمام عبد الله بن المبارك من هذا الضلال والغلو الشنيع.

ابن تيمية كتاب «الاتباع» دفاعًا عن الشافعي ومذهبه وردًا على أحد متعصبة الأحناف .

وألف الشيخ عبد الرحمن المعلمي السلفي كتابه العظيم «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» رد فيه مطاعن الكوثري في حوالى ثلثمائة من أعلام الأمة بما فيهم الأئمة الثلاثة الإمام مالك والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل -رضوان الله عليهم أجمعين- .

وفي عهدنا هذا نرى ونقرأ حملات شديدة من تلاميذ الكوثري ولاسيما الغزالي الذي شن حملات على السنة وأهلها بما لم يسبقه إليه متعصب .

فهو يسيء إلى الأئمة أهل الصحاح وإلى الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد وإلى ابن خزيمة وإلى ابن تيمية وإلى علماء البلاد المقدسة في هذا العصر وما أكثر إساءاته وسخرياته بهم وبالسنة، فما أحوجه إلى «تنكيل جديد» .

ثم لعله اتضح للقارئ من هم مصدر الشتائم والتطاول على المسلمين عمومًا وعلى الأئمة خصوصًا؟ ومن هم مصدر الشقاق ومن هم المتهمون ظلمًا وعدوانًا؟

ومن يصدق عليه قول الله : ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1]

وإني لأرجو أن أوفق إلى تقديم حلقات فيها دفاع عن سنة رسول الله ﷺ التي تطاول عليها الغزالي، ودفاع عن أهل السنة والتوحيد بالحق والبراهين لا بالتعصب والهوى خلافًا لأهل الأهواء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

(١) النساء: الآية ١١٢ .

بعض المآخذ على منهجية الغزالي في مؤلفاته

أولًا: ضيق صدره بأخبار رسول الله ﷺ إذا جاءت عن طريق الآحاد ولو كانت في الصحيحين فإنه يضيق بها ذرعًا ولا يقيم لها إذا خالفت رأيه أي وزن ولو تلقته الأمة بالقبول.

وهو بهذا المسلك الخطير يجاري أهل البدع والضلال ويخالف جماهر العلماء من السلف والخلف حيث ذهبوا إلى أن خبر الآحاد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له وعملًا بموجبه أفاد العلم وعلى هذا المذهب الصحيح أهل الحديث قاطبة.

وعليه من الأئمة المشهورين:

شمس الأئمة السرخسي، وأمثاله من الحنفية.

والقاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية.

والشيخ أبي حامد الإسفراييني والقاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وسليم الرازي وأمثالهم من الشافعية وأبي عبد الله بن حامد والقاضي أبي يعلى وأبي الخطاب وغيرهم من الحنابلة.

وهو قول أكثر أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم:

كأبي إسحاق الإسفرائيني وأبي بكر بن فورك وأبي منصور التميمي وابن السمعاني، وأبي هاشم الجبائي وأبي عبد الله البصري.

وأيد هذا المذهب ابن الصلاح وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والبلقيني والحافظ ابن حجر والسيوطي وقبلهم ابن حزم.

(٢) ومن أنواع خبر الآحاد التي تفيد العلم، الخبر المحتف بالقرائن.

وممن صرح به إمام الحرمين، وأبو حامد الغزالي والسيف الآمدي وابن الحاجب، ومن تبعهم.

(٣) ومنها: الخبر المستفيض الوارد من وجوه كثيرة لا مطعن فيها تفيد العلم النظري للمتبحر في هذا الشأن- أي: في علوم الحديث-.

فهؤلاء جماهير العلماء من أصوليين، وفقهاء، ومتكلمين مع أهل الحديث في

أن خبر الآحاد إذا تلقته الأمة بالقبول أو إذا احتفت به القرائن، أو كان مستفيضًا، أفاد العلم[1].

وكثير من أخبار الصحيحين تتوفر فيها هذه الأمور الثلاثة.

ومن العجيب أننا لا نرى الغزالي يذكر هذه الأنواع في حملاته على أخبار الآحاد، ولا يعبأ بهذه المقاييس لدى علماء الأمة التي قد يخضع لها عتاة المعتزلة ورءوسهم، ولا يعبأ بأخبار الصحيحين التي تلقتها الأمة بالقبول، فأي حديث يخالف هواه يضربه ضرب غرائب الإبل ويتبعه بسيل من التحقير والتسفيه لرواته ولأهل الحديث أو جمهورهم.

وهذا أسلوب انفرد به الغزالي من بين من أنكر أخبار الآحاد من أصناف المبتدعين.

وقد أنكر أحاديث كثيرة من الصحيحين بناء على رأيه في أخبار الآحاد سواء منها ما تعلق بعقيدة أو تعلق بعمل.

وينسب إلى العلماء ما لم يقولوه ولا يعتقدونه

خذ مثلًا قوله: «والأحاديث الصحاح من رواية الآحاد تفيد العلم المظنون لا العلم المستيقن، وقد اتفق علماؤنا على العمل بها في فروع الشريعة.

ورأيت قلة من الظاهرية والحنابلة يرون العمل بالآحاد في القضايا القطعية بيد أن هذا رأي مردود.

وعلى أية حال فعقائدنا تعتمد على نصوص متواترة سواء كان التواتر لفظيًا أو معنويًا»[2].

---

(١) انظر هذا البحث في «النكت» للحافظ ابن حجر على مقدمة ابن الصلاح (١ / ٣٧١- ٣٧٩)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨ / ٤٠، ٤٨، ٤٩)، و«مختصر الصواعق المرسلة» للحافظ ابن القيم (ص٤٨١-٤٨٢)، و«محاسن الاصطلاح بهامش مقدمة ابن الصلاح» للعلامة البلقيني الشافعي (ص ١٠١)، و«الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (١ / ١١٩-١٣٧)، و«الباعث الحثيث» (ص ٣٥-٣٦)، و«تدريب الراوي» للحافظ السيوطي (ص ٧١).

(٢) الطريق من هنا: ص ٦٢.

ويقول: «والبعد الذي لاحظناه عن منهج السلف يرجع إلى انتشار الأحاديث الضعيفة، ويرجع قبل ذلك إلى انتشار مقولة، لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى، وهي أن أحاديث الآحاد تفيد اليقين العلمي الذي يفيده المتواتر، قال لي أحد المتمسكين بأن خبر الواحد يفيد اليقين. إن المدرس وهو رجل واحد يؤتمن على التعليم، وإن السفير وهو رجل واحد يؤتمن على أخبار دولته، وإن الصحافي في الحديث الذي ينقله يؤتمن على ما يذكره . . . إلخ قلت: إن العنعنات التي تنقل بها المرويات ليست مثل ما ذكرت من وقائع، وإذا فرضنا جدلاً أنها مثلها من كل وجه، فإن اليقين لا يستفاد من هذه الوقائع، فإن المدرس قد يخطئ فيصحح نفسه أو يصحح له غيره والسفير ترقبه دولته وقد تراجعه فيما بلغ، وكذلك الأحاديث الصحافية إن ما يحف بها من قرائن النشر والإقرار يجعل الثقة بها أقرب»[1].

انظر إليه كيف ينسب إلى العلماء ما لم يقولوه، فمن هم العلماء الذين اتفقوا على العمل بخبر الآحاد في فروع الشريعة فقط؟ وما هي المقولة التي لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى؟! إن المعروف والرائج عندهم هو حب سنة رسول الله واحترامها والاحتجاج بها في كل شأن لا مذهب الجهمية وغلاة المعتزلة المستخفين بسنة رسول الله ﷺ.

ثم انظر إليه كيف يفضل هذه الأنواع من الأخبار التي غالبًا ما يكون رواتها كفارًا أو فساقًا أو جهلة على أخبار الرسول ﷺ المنقولة عن طريق المؤمنين المخلصين والحفاظ الثقات الصادقين، ويذكر الضمانات لصدق هذه الأنواع ويجهل الضمانات، والقرائن التي حفت بسنة رسول الله ﷺ من خوفهم من الله ومراقبتهم له.

ومن خوفهم من الوعيد الشديد على الكذب على رسول الله ﷺ.

ومن حرصهم على حفظ سنة رسول الله ﷺ أشد من حرصهم على حفظ حياتهم.

ومن رقابة أئمة النقد الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم والتي لا يوجد لها نظير.

---

(١) السنة النبوية: ص ٦٥.

ويقول: «ونؤكد مرة ومرتين أنه ليس للآحاد أن تشغب على المحفوظ من كتاب الله وسنة رسول الله أو أن تعرض حقائق الدين للتهم».

أقول: أي منطق هذا؟ فهل سمعت أذنا مسلم مثل هذا الاستخفاف بسنة رسول الله ﷺ والجرأة عليها؟!

أسنة رسول الله المبينة للكتاب العظيم والشارحة له والمؤيدة له تشغب على القرآن؟! تقول السنة: رمتني بدائها وانسلت.

إن الشاغب على القرآن والمحفوظ من السنة هو قائل هذا الكلام وأضرابه من أهل الفتن والشغب قديمًا وحديثًا.

ويقول: «من الخير أن نعلم أن الفرض لا يثبت إلا بدليل قطعي، وأن التحريم لا يثبت إلا بدليل قطعي وأن الأدلة الظنية لها دلالات أقل من ذلك».

أقول: ما الدليل على هذه القاعدة التي تتعصب لها وتنصح الناس أن يعتقدوها، فإذا خالفوها وقعوا في الشر؟ وهل يوجد خير في قاعدة تجرد سنن رسول الله ﷺ من صلاحيتها لإثبات التحليل والتحريم وتجردها من إثبات الفرضية؟!

ما أكثر ما يردد هذا الرجل في كتاباته هذا الإرجاف على سنة رسول الله ﷺ ويوهم الناس أنه حامي حمى الإسلام بهذه الأساليب وأنه يترسم خطا علماء الأمة وفقهائها.

سارت مشرقة وسرت مغربًا   شتان بين مشرق ومغرب

وإذا تذكر القارىء ما نقلناه آنفًا عن جماهير السلف والخلف من الأصوليين والفقهاء والمتكلمين وأهل الحديث تلاشى أمامه كلام الغزالي هذا، وتبين له أنه من نسيج الخيال، وأن العلماء الذين يدعي اتفاقهم ليسوا بعلماء ولا موضع ثقة الأمة بل هم شرذمة من مخلفات الجهمية وغلاة المعتزلة والعقلانيين المتأثرين بمناهج فلاسفة أوربا مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومقلديهما.

ويقول الغزالي: «إنني آبى كل الإباء أن أربط مستقبل الإسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته، كيف أجازف بعقائد ملة شامخة الدعائم عندما أقول:

لا يؤمن بها من لم يؤمن بهذا الحديث»[١].

أقول: مهد بهذا الكلام لإنكار أحاديث انشقاق القمر الدالة على إحدى المعجزات الكبرى والمدعمة بقول الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[٢].

ولإنكار أحاديث وقوف الشمس لأحد الأنبياء[٣] -عليهم الصلاة والسلام- الثابتة بالسنة الصحيحة المتلقاة من الأمة بالقبول.

فالرجل يأبى كل الإباء أن يؤمن وأن ينقاد لأحاديث الرسول العظيم ﷺ مهما بلغت من الصحة جاهلًا أو متجاهلًا لأكثر من ثلاثين آية قرآنية تأمر بطاعة رسول الله ﷺ وتحذر من مخالفة أمره وتتوعده بعذاب النار والخلود فيها - والعياذ بالله -.

وناسيًا أو متناسيًا قول الله تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٢ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤].

وجاهلًا قول رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[٥].

وأي عصيان أشد من هذا العصيان أن تأتي رجلًا أحاديث عن رسول الله من طرق الثقات العدول المأمونين في أصح الكتب، فيقول: «إني آبى كل الإباء أن أربط مستقبل الإسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته». أي عناد هذا؟ وأي افتئات هذا؟!

ويرى بعد هذا كله أنه وصي على الإسلام والمسلمين.. يكتب كأن الأمة قد ضربت له بجرانها وأسلست له قيادها؟ ويجهل المسكين أن كل العلماء المنتسبين

---

(١) الطريق من هنا: ص ٦٢، وانظر: ص ٦٨ وقد كرر هذا الإباء.

(٢) سورة القمر الآية ١، ٢.

(٣) رواه البخاري ٥٧، كتاب فرض الخمس حديث (٣١٢٤) ومسلم في الجهاد حديث (٣٢).

(٤) الزمر: الآيتان ٣٢-٣٣.

(٥) البخاري ٩٦- كتاب الاعتصام حديث (٧٢٨٠)، وأحمد (٢/ ٣٦١)

إلى السنة من أهل الحديث والتفسير ومن الأشاعرة وحتى من المعتزلة وغلاة الشيعة يؤمنون بهذه المعجزة العظيمة معجزة انشقاق القمر ويستدلون عليها بالمتواتر من القرآن وبالمستفيض من أحاديث رسول الله ﷺ؛ بل ادعى لها التواتر والتي رواها إماما المحدثين في صحيحيهما اللذين تلقتهما الأمة بالقبول ورواها كذلك أعلام السنة في كتبهم المعتبرة لدى الأمة الإسلامية .

موقف المسلمين من أحاديث انشقاق القمر

قال القاضي عياض :

«انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة ﷺ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى، يفعل فيه ما يشاء، كما يفنيه ويكوره في آخر أمره، ونسب هذا الإنكار إلى الكفار والمنجمين الذين يعتقدون أن الكواكب هي التي تدبر العالم الفاعلة فيه»[(١)] .

ومن المؤسف أن يكون هؤلاء هم سلف الغزالي !

وقد صرح بالنقل عن أحد غلاة المعتزلة المتهمين بالزندقة وهو إبراهيم بن سيار النظام، فقال :

«ولا يصدنك عن دين الله خبر راو من الرواة حفظ أم نسي واعلم أن من مفكري المسلمين ومفسري دينهم من اعتبر الانشقاق من أشراط الساعة، وأن من المتكلمين من توقف في أخبار الآحاد، كما قال إبراهيم النظام : أن القمر لا ينشق لابن مسعود وحده، وابن مسعود هو الذي روي عنه الحديث المذكور»[(٢)] .

ونريد أن نعرف إبراهيم النظام الذي احتج به الغزالي وتابعه في تكذيب

---

(١) إكمال المعالم للأبي (٧/ ١٩٩)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ١٤٣-١٤٤) وانظر فتح الباري : (٧/ ١٨٥)، وعمدة القاري للعيني : (١٦/ ١٣٢) . وقد وافق هؤلاء العلماء القاضي عياضًا بل وافقوا الأمة في الإيمان بمعجزة انشقاق القمر والإيمان بأحاديثه .

(٢) الطريق من هنا : ص ٦٦ .

الصحابي الجليل الكبير عبد الله بن مسعود.

قال الذهبي: «ولم يكن النظام ممن يفقه العلم والفهم، وقد كفره جماعة وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث ويخفي ذلك»[١].

وقال الحافظ ابن حجر:

«متهم بالزندقة وذكر له أقوالاً رديئة في الاعتقاد، ثم قال: وقال أبو العباس في كتاب الانتصار: كان أشد الناس إزراءً على أهل الحديث، وهو القائل:

زوامل للأسفار لا علم عندهم ... بما يحتوي إلا كعلم الأباعر»[٢]

والغزالي في عصرنا هذا ينسج على منوال النظام في الإزراء على الحديث وأهله.

والقارئ الفطن يدرك بعض المنابع التي ينهل منها الغزالي سموم حربه على الحديث وأهله.

وكفاه خذلاناً أن يكون أسلافه في محاربة السنة وأهلها تلك الأصناف من مثل النظام والمنجمين والفلاسفة وغيرهم من أعداء الله وأعداء دينه ورسله، فهؤلاء هم الذين يسميهم مفكري المسلمين ومفسري دينهم!

ثم ليعلم القارئ أن الصحابي العالم الجليل عبد الله بن مسعود لم يتفرد برواية الحديث كما يزعم عدو الله النظام، بل رواه جماعة من الصحابة- رضوان الله عليهم- منهم: عبد الله بن عمر[٣]، وحذيفة بن اليمان[٤]، وجبير بن مطعم[٥]، وابن

(١) سير أعلام النبلاء: (١٠ / ٥٤٢)

(٢) لسان الميزان: (١ / ٦٧) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي: (٢ / ٦٧ ٢)، وقال رواه مسلم في الصحيح وهو كذلك في صحيح مسلم: (٤/ ٢١٥٩)، ٥٠- كتاب صفات المنافقين حديث (٢٨٠١). ورواه الترمذي: (٥ / ٣٩٨)، تفسير سورة القمر حديث (٣٢٨٨).

(٤) السيوطي الدر المنثور (٧ / ٦٧٢) قال: وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه، وأبو نعيم، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن حذيفة ثم ساق حديثه.
والحديث في تفسير ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن حذيفة، وعطاء صدوق اختلط ورواية إسماعيل عنه بعد الاختلاط لكنه يصلح في الشواهد.

(٥) مسند أحمد: (٤ / ٨١-٨٢)، وابن جرير في تفسيره (٢٧ / ٨٦)، والبيهقي في الدلائل: (٢ / ٢٦٨)، والحديث بإسناد أحمد وابن جرير يرتقي إلى الصحة.

عباس[١]، وأنس بن مالك[٢]- رضي الله عنهم أجمعين- وقبلهم عبد الله بن مسعود ﷺ[٣].

قال ابن الجوزي- بعد أن ذكر روايات هؤلاء الصحابة ﷺ: «وعلى هذا جميع المفسرين- يعني: أنهم فسروا قول الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٤] بأن القمر قد انشق فعلًا معجزة لرسول الله ﷺ، كما بين الله ذلك في هاتين الآيتين الكريمتين وكما روى ذلك الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم-.

قال ابن الجوزي: إلا أن قومًا شذوا فقالوا: سينشق يوم القيامة وهذا القول شاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ﴾ لفظ ماضٍ، وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجودًا. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ دليل على أنه قد كان ذلك»[٥].

وقال الحافظ ابن كثير: «وقوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك، في الأحاديث المتواترة، بالأسانيد الصحيحة وقد ثبت في الصحيح، عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة والقمر» وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان رسول الله ﷺ وأنه كان أحد المعجزات الباهرات»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري: (٢ / ٥٣٨)، ٦١- المناقب ٢٧- باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، حديث (٣٦٣٨)، وطرفاه في (٠ ٣٨٧، ٤٨٦٦) ط السلفية. ومسلم: (٤ / ٢١٥٩)، ٥٠- كتاب صفات المنافقين، ٨- باب انشقاق القمر حديث (٢٨٠٣) (٤٨)، والبيهقي في الدلائل: (٢ / ٢٦٧)، وابن جرير في تفسيره: (٢٧ / ٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢ / ٥٣٨) في الباب السابق ذكره حديث (٣٦٣٧)، وأطرافه في (٣٨٦٨، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨)، ومسلم: (٤ / ٢١٥٩)، ٨- باب انشقاق القمر، حديث (٢٨٠٢) وابن جرير في تفسيره (٢٧ / ٨٤-٨٥)، والترمذي (٥ / ٣٩٧)، والبيهقي في الدلائل (٢ / ٢٦٢-٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري: (٢ / ٥٣٨)، ٦١- المناقب، ٢٧- باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، حديث (٣٦٣٦)، وأطرافه في (٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥). ومسلم: (٤/٢١٥٨، ٢١٥٩)، ٨- باب انشقاق القمر، حديث (٢٨٠٠) (٤٣-٤٥)، والترمذي: (٥ / ٣٩٧، ٣٩٨)، وحديث (٣٢٨٥، ٣٢٨٧)، وابن جرير في تفسيره: (٢٧ / ٨٥).

(٤) سورة القمر الآية ١.

(٥) زاد المسير: (٨ / ٨٨).

(٦) تفسير ابن كثير: (٧ / ٤٤٧).

ثم ساق الحافظ ابن كثير الأحاديث في انشقاق القمر من طرق عن أنس وابن عباس، وجبير بن مطعم وابن عمر وابن مسعود ﷺ.

ولن أكتفي بالنقل عن أهل السنة فهذا شيخ الاعتزال والتأويل أبو القاسم جار الله الزمخشري يقول في تفسيره: «وانشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة.

عن أنس بن مالك ﷺ: «أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين».

وكذا عن ابن عباس وابن مسعود ﷺ.

قال ابن عباس: «انفلق فلقتين، فلقة ذهبت وفلقة بقيت»

وقال ابن مسعود: «رأيت حراء بين فلقتي القمر».

وعن بعض الناس أن معناه: ينشق يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ يرده وكفى به رادًّا، وفي قراءة حذيفة: (وقد انشق القمر)»[1].

وحتى شيخ غلاة الروافض أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي سلم بهذه المعجزة بناء على نص القرآن ورواية ضعيفة عن أبي عبد الله جعفر الصادق[2].

وبعد، أفلا تتقطع نياط القلوب أسفًا على أمة يتصدى لقيادتها الفكرية والعقائدية والروحية رجل هذه منزلته من العلم وهذه نظرته إلى سنة رسول الله ﷺ الركن الثاني للدين الإسلامي وهذه نظرته إلى حملتها.

وأعتقد أن المعتزلة يطرقون رءوسهم خجلًا من نسبة النظام إليهم.

فما هو موقف أهل السنة من الغزالي الذي يتأسى به في قضايا تفصل بينهم وبين غلاة المعتزلة؟

---

(١) الكشاف: (٤ / ٣٦)، وانظر تفسير الرازي: (٢٩ / ٢٩).

(٢) تفسير القمي: (٢ / ٣٤٢).

ملاحظة: من الجدير بالذكر حسب تتبعي لمنهج الأشاعرة أني لم أجدهم - لاسيما المتقدمين منهم - يردون أخبار الآحاد لا في العقائد ولا في غيرها، وإنما نجدهم يسلمون بما لا يتعارض مع عقائدهم، ويتأولون ما يخالفها كما يتأولون نصوص القرآن.

وتفريقهم بين الأخبار المتواترة وأخبار الآحاد إنما هو أمر نظري، ولها جلالها ومكانتها عندهم.

وما رأيت أحدًا منهم يستخف بأخبار الآحاد أو يحاربها بضراوة كما يفعل الغزالي، وقد ذكرت سلفًا موقفهم منها بل موقف بعض المعتزلة.

فإذا نسب الغزالي إلى الأشاعرة أو إلى غيرهم من أهل السنة أنهم لا يبنون عقائدهم على أخبار الآحاد فذلك راجع إلى أحد أمرين:

إما أنه جاهل بالواقع الذي عليه المنتسبون إلى السنة.

وإما أنه يعرف ذلك ويسلك مسلك المغالطين لترويج مذهبه، وأفكاره الشاذة التي تؤدي إلى نبذ معظم السنن الصحيحة.

ثانيًا: غضبه الشديد على أهل الحديث وكراهيته لهم وكيله لهم الشتائم والسخرية والتحقير لهم في كثير من مؤلفاته.

فقد تكون المسألة إجماعية لا خلاف فيها بين الأمة فيؤدي به جهله بالواقع وتهوره في محاربة أهل الحديث وعدم مراقبته الله في أعراضهم إلى أن ينسب إليهم تلك المسألة التي يستبشعها بحسه المريض ويزعم جهلًا أن الفقهاء المحققين قد رفضوها، انظر إليه يقول:

(١) «وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهذه سوأة خلقية وفكرية، رفضها الفقهاء المحققون»[1].

ولا يدري أن المسألة من المسائل التي أجمعت عليها الأمة. ذكر الإجماع عليها الإمام الشافعي وابن المنذر وابن عبد البر وابن حزم وابن قدامة وابن تيمية،

---

(١) السنة النبوية: ص ١٩.

وهي مذكورة في كتب المذاهب الأربعة وغيرها لا يشيرون إلى أي نزاع واقع بينهم.

وطعونه عليهم كثيرة وبشعة كل ذلك بدون أي ذنب جنوه إلا اهتمامهم بخدمة سنة رسول الله ﷺ وعلومها الشريفة والمحافظة عليها والاعتزاز بها والتفقه فيها ودفاعهم عن حياضها.

(٢) ومن أجل حديث رواه البخاري له فيه وجهة نظر علمية واحتمله المحدثون والمفسرون يقول:

«وقد ضقت ذرعًا بأناس قليلي الفقه في القرآن كثيري النظر في الحديث يصدرون الأحكام ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة، ولازلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جريء، واعتمادهم كله على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامي المستوعب لشئون الحياة»[١]. وهو بهذا الطعن يقصد الإمام البخاري، لأنه روى حديث شريك في الإسراء.

فإذا رجع الباحث إلى كلام العلماء فيه من مفسرين وشراح السنة، وجد كلامهم مهذبًا ومؤدبًا وما في حديث شريك من ألفاظ خالف فيها بينوها ولما كانت مع مخالفتها لا تعارض القرآن جعلوا الحديث وجهًا من وجوه تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[٢]. وأكدوه بتفسير ابن عباس للآية أن رب العزة دنا إلى محمد ﷺ، وسيأتي توضيح ذلك وتفصيله في موضعه[٣]. إن شاء الله.

ويقول- طاعنًا فيهم-:

«كل ما نحرص نحن عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي!»[٤]

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٢.

(٢) سورة النجم الآية ٨.

(٣) السنة النبوية، ص ٢٤.

(٤) الطريق من هنا: ص ٦٦ حيث استشهد بسخرية النظام وتكذيبه لابن مسعود.

وطعنه فيهم كثير وأذاه لهم شديد، تارة بصفة العموم، وأخرى بالنص على أشخاص كالبخاري، وعبد الله بن أحمد، وابن خزيمة، وأبي داود، . والمنذري بل تجاوز ذلك إلى بعض الصحابة، كابن مسعود[1]، وعبد الله بن عمرو[2] وأبي هريرة، وتميم الداري[3]، كما تناول التابعي الجليل نافع مولى ابن عمر مرات عديدة .

ثالثًا : جهله بمكانة الصحيحين وجهله بتلقي الأمة أحاديثهما بالقبول والحب والاحترام والثقة .

كل ذلك جرأه على الطعن في كثير من أحاديثهما ثم تعقيب ذلكم الطعن بعبارات : مثل : وقد رفض فلان حديث كذا، ورفض الفقهاء والمحدثون هذا الحديث، ثم الطعن والتشهير والسخرية برواة تلك الأحاديث .

فمن تلكم الأحاديث	السنة النبوية
١ - حديث : «إن الميت ليعذب ببكاء أهله» وقد تلقاه علماء الإسلام بالقبول ووجهوه التوجيه الصحيح الذي يتسق مع القرآن والسنة	ص ١٦
٢- وحديث «لا يقتل المسلم بكافر»	ص ١٨
٣- وحديث شريك في الإسراء	ص ٢٢
٤- وحديث أهل القليب «ما أنتم بأسمع لما أقول الآن منهم»	ص ٢٣
٥- وحديث : فقأ موسى عين ملك الموت	ص ٣٦
٦- وحديث فاطمة بنت قيس في عدم السكنى والنفقة للمطلقة ثلاثًا	ص ٣٢
٧- وحديث عائشة : «كان الركبان يمرون بنا فإذا أجازوا بنا سدلت إحدانا جلبابها»	ص ٤٠
٨- أحاديث الساق والصورة لله	ص ١٢٧

---

(١) هموم داعية : ص ١١٨ الطبعة الأولى.

(٢) السنة النبوية (ص ٢٧).

(٣) من السنة النبوية ص ١٢٣، قال مشككًا في صحة حديثه : «وهو رجل كان نصرانيًا فأسلم ثم التقى برسول الله ﷺ وحدثه بأنه لقي الدجال».

٩- وحديث إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة ص ١٢٧

١٠- أحاديث الدجال وتهويشه عليها ص ١٣٢

١١- «كان فيما أنزل عشر رضعات يحرمن».

١٢- حديث نافع عن ابن عمر في غزوة بني المصطلق ص ١٠٣

١٣- أحاديث القدر ورميه أهل السنة بالجبر فيقول: «والغريب أن جمهورا كبيرًا من المسلمين يجنح إلى هذه الفرية بل عامة المسلمين يطوون أنفسهم على ما يشبه الجبر ولكنهم حياء من الله يسترون الجبر باختيار خافت موهوم»[1].

١٤- حديث البخاري «أعطى رسول الله ﷺ للفارس سهمين» ص ١٣٢

١٥- حديث عائشة في طفل مات من الأنصار «طوبى له عصفور من عصافير الجنة» وهو في صحيح مسلم.

١٦- حديث خباب في البناء. ص٨٧

١٧- حديث «يقطع الصلاة المرأة والكلب». ص١٢٨

١٨- حديث نخس الشيطان للمولود. ص٩٧

١٩- حديث الذبابة «قذائف الحق» ص ١٢٥

٢٠- وحديث انشقاق القمر وهو في الصحيحين وادعي له التواتر. انظر: الطريق من هنا ص ٦٦، وله كلام خطير حول هذا الحديث وحول أخبار الآحاد.

٢١- وحديث توقف الشمس لأحد الأنبياء «الطريق من هنا ص٦٥»

رابعًا: إذا عرفت موقفه من أخبار الآحاد ومن أخبار الصحيحين فما موقفه من غيرها؟

إنه يصدر عليها أحكامًا بالجملة فيأخذ مجموعة كبيرة يضربها ضربة واحدة بجرة قلم يقول:

(١) (قرأت خمسين حديثًا ترغب في الفقر وقلة ذات اليد، وما جاء في فضل

---

(١) السنة النبوية: ص ١٤٤.

الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم .

(٢) كما قرأت سبعة وسبعين حديثًا ترغب في الزهد في الدنيا ، والاكتفاء منها بالقليل ، وترهب من حبها والتكاثر فيها والتنافس .

(٣) وقرأت سبعة وسبعين حديثًا أخرى في عيشة السلف وكيف كانت كفافًا .

ذكر ذلك كله المنذري في كتابه الترغيب والترهيب وهو من أمهات كتب السنة .

ورحم الله المؤلف الحافظ ، وغفر لنا وله ، فهو حسن النية ناصح للأمة يبد أن الفقه الصحيح ، يقتضي منهجًا آخر ومسلكًا أرشد»[1]

لقد تركنا الغزالي في حيرة فلا ندري ما هو هذا المنهج والمسلك الأرشد ، وقد وجدناه يضيق ذرعًا بطبع كتب السنة والتأليف فيها فماذا نصنع؟

أما المنذري فقد أفضى إلى رحمة الله وما كان أحد من علماء الإسلام يعترض عليه لاسيما وهو قد قام ببيان درجات الأحاديث من صحة وضعف ، ولكن نحن الذين نواجه هذه الحملات الشديدة على السنة وأهلها نريد والله المنهج الأرشد ولا نجد أرشد وأهدى من اتباع سنة محمد ﷺ .

وعلى المنهج والمسلك الأرشد اللذين يخفيهما عنا الغزالي ماذا نفعل بالآيات التي تعد الدنيا لهوًا ولعبًا وتعدها متاع الغرور؟! وماذا نفعل بالآيات التي تذم المترفين؟! وماذا نفعل بالآيات التي تمدح الفقراء وتذم من لا يحترمهم ولا يعطف عليهم؟! فهل يقترح الغزالي لنا منهجا آخر ومسلكًا أرشد؟!

ويقول : «إن ركامًا من الأحاديث الضعيفة ملأ الآفاق الإسلامية ، وركامًا مثله من الأحاديث التي صحت وسطا التحريف على معناها . . . وقد كنت أزجر بعض الناس من رواية الحديث الصحيح حتى يكشفوا عن معناه، إذا كان المعنى موهمًا»[2] .

هكذا يصف أحاديث رسول الله بأنها ركام الصحيح والضعيف منها ومعلوم

(١) السنة النبوية: ص ١١٤ .

(٢) السنة النبوية: ص ١١٩ .

أن الرجل لا يعرف قواعد المحدثين ولا طرقهم في التصحيح والتضعيف، فقد يكون الحديث صحيحًا أو مشهورًا أو متواترًا ويحكم عليه بالضعف.

ثم نسأله عن القرآن ماذا نعمل بكثير من آياته المتشابهة؛ فالله قد أخبر أن في القرآن المحكم وفي القرآن المتشابه وأخبر أنه يهدي به كثيرا ويضل به كثيرًا فماذا نعمل بالقرآن إذا كان هذا أثره في الناس هل يزجر الغزالي الناس عن قراءته؟!

خامسًا: تأثره بالحضارة الغربية والشرقية ومن هنا آمن بما يسميه (الاشتراكية الإسلامية) وألف فيها الكتب والمقالات ودعا إليها بحماس وافتخر بأنه أول من أطلق على الاقتصاد الإسلامي (الاشتراكية الإسلامية).

ويقول في هذا الصدد: «والاشتراكية الإسلامية تعتمد المبادىء الرفيعة أولًا ثم تقيم الأشكال المادية المناسبة لها وتستعين على ذلك بقوة القانون؛ فالأخوة العامة مبدأ والدولة مسئولة عن تنفيذه وعن هدم أي وضع مادي ينافيه. والترف مرض اجتماعي، والدولة ملزمة بسنِّ أي تشريع مادي يمنعه. والفضائل الإنسانية ضرورة لابد منها، والدولة مسئولة عن القوالب المادية التي تصوغها لحفظها.

وقد يتقاضاها ذلك أن تقنن على النحو الذي تسير عليه روسيا أو أمريكا. لكن هذه القوانين لن تكون روسية ولا أمريكية مادام الغرض منها والدافع إليها إسلاميًا مجردًا[1] ونحن نستطيع بلا مراء أن نبقى مسلمين أوفياء لإسلامنا مهما شرعنا لأحوالنا الاقتصادية ما قد يشابه في ظاهره نظام الشرق والغرب»[2].

* * *

(١) ما هذه الحيل والمغالطات مذهب اشتراكي وافد وتسن له تشريعات على النحو الذي تسير عليه أوربا وأمريكا؟! ثم مع كل هذا التقليد والاتباع لهم حذو القذة بالقذة نقول: إن هذه القوانين والتشريعات لن تكون روسية ولا أمريكية أي مغالطات ومكابرة هذه؟! هذا يعني أن نأخذ أي عقيدة كافرة ونضع عليها اسم الإسلام ونأخذ أي مبدأ غير إسلامي ونسميه إسلاميًا.

(٢) الإسلام المفترى عليه بين الشيوعين والرأسماليين ص ٩، ثم نسأل أين الدعوة الحارة إلى تحكيم الله وحده ونبذ القوانين الوضعية؟!

انتصار الاشتراكية الإسلامية

ويقول الغزالي:

«منذ تعقدت المشاكل الاقتصادية واتصلت حلولها المباشرة للدول والشعوب، فكر رجال الإسلام في أمرها تفكيرا ينطوي على الإخلاص للدين والتيقظ للواقع.

ومما له دلالة رائعة أن نتائج الفكر الإسلامي كانت متشابهة رغم تقطع الصلات بين الرجال الذين عالجوا قضية الاقتصاد العام وحكم الإسلام فيها، - منذ شهر جاءتني عدة رسائل علمية للأستاذ المودودي رئيس الجماعة الإسلامية بباكستان وقد قرأتها مثنى وثلاث، فما كان أشد دهشتي للتقارب العجيب، بل التوافق الحرفي بين أسلوب إخواننا في الهند وما انتهوا وانتهينا إليه من مقترحات وحلول.

وهكذا تمت الموافقات[1] بين ثمار بحثنا هذا وبين ما استقر عليه جهاد إخواننا في الشام، فقد استطاعوا إدخال مبادىء هامة للإصلاح الاقتصادي في صلب دستورهم الجديد، خاصة بتوزيع الأراضي والملكية الزراعية أصبحت الأرض به لمن يفلحها، لا لمن يملكها، وصار من حق الدولة هنالك أن ترفع يد المالك المهمل عما لديه من أرض لا يعمل فيها.

وقد وصفت الأهرام هذا الدستور بأنه: وثيقة تقدمية ونحن نصفه بأنه: كسب محدود للجبهة الاشتراكية الإسلامية بلى إنه محدود، لأن دائرة الإصلاح الإسلامي أوسع مدى مما يظنه الكثيرون.

وقد بسطنا فلسفة الاشتراكية الإسلامية، وذكرنا أطرافًا من برنامجها الضخم عدة كتب صدرت ونشرت فصولًا منذ سنين «الإسلام والأوضاع الاقتصادية»، «الإسلام والمناهج الاشتراكية»، «الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين

(١) مادام المنهج واحدًا وكتب الاشتراكية منتشرة في مصر والهند والشام فما الذي يمنع من التوافق، فطلاب يدرسون مادة واحدة لا يستغرب أن تتفق إجاباتهم على أسئلة تلك المادة.

والرأسماليين».

أقول: وإذا كان هذا كسبًا محدودًا مع أنه قد تضمن أن الأرض لمن يفلحها لا لمن يملكها، وأن دائرة هذا الإصلاح المسمى بالإسلامي أوسع مما يظنه الكثيرون!!، ولعل هذا القول مباهاة للاشتراكيين الآخرين. فلعل هذه الاشتراكية ستأتي على الأخضر واليابس.

ومن هذا البرنامج الضخم والدائرة الواسعة:

(١) تأميم المرافق العامة وجعل الأمة هي المالكة الأولى لموارد الاستغلال.

(٢) تحديد الملكيات الزراعية الكبرى وتكوين طبقة من صغار الملاك تؤخذ نواتها من العمال والزارعين.

(٣) فرض ضرائب على رءوس الأموال الكبرى يقصد بها تحديد الملكيات غير الزراعية.

(٤) تفرض ضريبة تصاعدية على التركات تنفق في وجوه الخير على النحو الذي أشار به القرآن:

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[1]

نستغفر الله ما شأن الآية بفرض الضرائب التصاعدية بالقوة وفي الآية قولان قيل: أنها منسوخة بآيات المواريث. وقيل: أنه ينبغي من باب البر والتطوع أن يرضخ الورثة للمذكورين في الآية شيئًا تطيب به أنفس الورثة.

ثم يقول ويجب كذا ويجب كذا إلى أن يقول:

«وأن تتضخم ميزانية الدولة لتنفيذ هذا المنهاج فلا يجوز أن تكون هناك عوائق اقتصادية تحول دون أن تنتفع به الأمة وترتفع، ولو لم يبق لكل فرد من أفراد الشعب إلا قوته الضروري لما جاز أن تتراجع الدولة في تحقيق هذا البرنامج الذي تعلن به الحرب على الظلم والجهالة والاستعمار»[2].

---

(١) سورة النساء الآية ٨.

(٢) انظر: أوضاعنا الاقتصادية: ص ١٧٦- ١٧٧.

أي: محاربة الظلم بظلم أشد وأنكى منه.

مصادرة أموال الناس: «حتى لو لم يبق لكل فرد من أفراد الشعب إلا القوت الضروري» باسم الاشتراكية الإسلامية ولعلها أخطر اشتراكية يواجهها البشر، ثم إن كل ذلك باسم الإسلام.

وهذا شيء لم يفهمه الرسول ﷺ ولا صحابته الكرام ولا أئمة الإسلام حتى جاء الغزالي فأحاط به علمًا!!

ومن هنا احتضن قضايا المرأة وغلا فيها غلوًا شديدًا ونحا فيها منحى دعاة تحرير المرأة مطالبًا لها بحقوق من المساواة يزعم أنها قد منحها إياها الإسلام ويرتكب في هذا الباب من الأخطاء والمغالطات ما يرى أنه قد ظلم فيه الإسلام والمسلمين والمرأة نفسها، ويتجنى على المجتمعات الإسلامية وعلى العلماء بما يكذبه الواقع.

فهو يرى المساواة بين الرجل والمرأة في الدية فيقول: «وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهذه سوأة خلقية وفكرية رفضها الفقهاء المحققون، فالدية في القرآن واحدة للرجل والمرأة، والزعم بأن دم المرأة أرخص وحقها أهون زعم كاذب مخالف لظاهر القرآن»[1].

وهو في قوله هذا ظالم لأهل الحديث قائل على الله وعلى الإسلام والقرآن بغير علم ومخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة التي أجمعت على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل وسيأتي توضيح ذلك في مناقشتي له[2].

وإنما أتى الرجل في نظري من تأثره بالحضارة الغربية المزيفة ومن غلوه في قضايا المرأة متناسيًا التفاوت بين الرجل والمرأة الذي بينه القرآن والسنة والواقع والتاريخ الإنساني وأن هذا التفاوت بين الذكر والأنثى بارز حتى في الحيوانات صغيرها وكبيرها.

---

(١) السنة النبوية: ص ١٩.

(٢) من ص ٩٨- ١٠٥.

فالقرآن فاوت بين الرجل والمرأة في المواريث فالأخ يأخذ ضعف ما تأخذه أخته من الميراث .

وإذا ماتت الزوجة وليس لها ولد ورث زوجها نصف مالها ، فإن كان لها ولد أخذ ربع مالها .

وإن مات الزوج وليس له ولد ورثت الزوجة ربع ماله فإن كان له ولد ورثت الثمن وإن كن عددا من الزوجات اشتركن في هذا الثمن .

وإن مات عن أبويه فقط فلأمه الثلث ولأبيه الثلثان .

وإن مات الرجل عن ابن طفل أخذ جميع ماله .

وإن مات عن عشرات البنات لا يأخذن أكثر من الثلثين ، والرجل ولي المرأة في الزواج في الإسلام وقبله .

المرأة لا تصلح لهذا لا على نفسها ولا على غيرها من النساء ولا على الرجال من باب أولى .

وينسى الغزالي قول الله تعالى : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1] ويعترف بقوامة الرجل على المرأة على إغماض ومضض ، ثم يقصر هذه القوامة على البيت فقط وهو رأي في حدود علمي لم يسبقه إليه أحد. فالإسلام يفرض على المرأة ألا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه .

وفي مجال السياسة يرى الغزالي أن للمرأة أن تتولى المناصب العليا في الدولة فيقول: «وللمرأة ذات الكفاءة العلمية والإدارية والسياسية أن تلي أي منصب ماعدا الخلافة العظمى»[2].

ويقول عن أهل أوربا- يريد إذا أسلموا-:

«وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاءوا ولنا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك »[3].

---

(١) سورة الزخرف الآية ١٨ .

(٢) سر تأخر العرب والمسلمين: ص ٤٨

(٣) السنة النبوية: ص ٥١ .

فتراه لا يستثني من المناصب في الدولة إلا الخلافة العظمى ولا ندري ما دليله على هذا الاستثناء.

وعلى كل حال فيجوز عنده أن تكون المرأة ملكة أو رئيسة جمهورية أو رئيسة وزراء أو وزيرة أو قاضية أو قائدة جيش .

وهو بهذا الرأي يخالف إجماع الأمة ويخالف سنة رسول الله ﷺ القولية والعملية، ويخالف عمل الخلفاء الراشدين . ويتعلق بقول شاذ يخالف كل ما سبق ذكره .

ثم نسأله ما هي وجهات النظر الفقهية التي يزعمها ومن هم هؤلاء الفقهاء الذين سبقوه إلى هذا الرأي وما هي أدلتهم ولعل الرجل يشير إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة من أن المرأة تقضي فيما تصح فيه شهادتها[1] .

فإن كان يرمي إلى هذا القول فشتان بين ما يقول الغزالي وبين هذا القول . ومع أن قول أبي حنيفة ضعيف لا دليل عليه فإنه لا يريد به منصب القضاء .

وعلى كلٍّ فإن قول الغزالي غريب جدًا بعيد جدًا عن الإسلام وعن أقوال أئمة الإسلام، وأدلته إنما هي أعمال الأوربيين وتقاليدهم وتقاليد من نهج نهجهم، ومن أبرز أدلته قوله عن الأوربيين : «فإنه يجب علينا أن نختار للناس أقرب الأحكام إلى تقاليدهم والمرأة في أوربا تباشر زواجها بنفسها ولها شخصيتها التي لا تتنازل عنها . . . وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاءوا، ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله»[2] .

وهكذا يكون العلم وهكذا يكون الاحتجاج .

ولعل هذا النوع عنده من الأساسيات التي يستخف بالسنة وأهلها من أجلها، ويسمي السنة قشورًا .

ومن هذا المنطلق تراه يلهج بلهجة فخورة بفكتوريا ملكة بريطانيا وتاتشر رئيسة

---

(١) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى: ص ٦٠ مع الحاشية .

(٢) السنة النبوية: ص ٥٢ .

وزراء بريطانيا وجولدا مائير رئيسة وزراء دولة اليهود وأنديرا الهندوكية رئيسة وزراء الهند ضاربًا عرض الحائط بسنة رسول الله ﷺ حيث يقول: «ما أفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة». ويزيد تطبيقه العملي وتطبيق خلفائه الراشدين وما فهمه وقرره علماء الإسلام من فجر الإسلام إلى يومنا هذا.

لو كان ما يقوله الغزالي حقًّا -من أن من حقوق المرأة في الإسلام تولي المناصب- لكان رسول الله ﷺ أول منفذ لها، ولتابعه في تنفيذها بعزم وقوة خلفاؤه الراشدون ولحطم الحواجز والسدود الجاهلية إن كان حرمان المرأة من هذه المناصب من أمور الجاهلية كما يدندن حول ذلك الغزالي في قضايا المرأة وحرمانها من حقوقها، لقد حطم الإسلام الجاهلية بأنواعها ووضعها رسول الله ﷺ تحت قدميه ومن ذلك قضية الظهار والتبني: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾[1] انظر كيف هدم قضية الظهار الذي كان يعتبر طلاقًا في الجاهلية.

وكيف هدم التبني الذي كان على أساسه يقوم التوارث وهدم أيضًا التوارث بالتحالف؛ وانظر كيف يكلف رسول الله ﷺ بهدم ما يقوم على التبني الجاهلي من تحريم الزواج من زوجة المتبني إذا طلقها قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[2].

لقد أكرم الإسلام المرأة وأعطاها حقوقها التي تليق بها كاملة نظريًا يرافقه التطبيق بكل ما في التطبيق من عدالة ودقة، وصحح أوضاعها جميعًا، ولو كانت المناصب الكبيرة والصغيرة في الدولة، من حقوق النساء لما توقف رسول الله ﷺ عن بيانها وتوضيحها وتنفيذها بعزم وقوة، ولرأينا فلانة أميرة مكة، وفلانة أميرة اليمن وفلانة قاضية بلدة كذا وفلانة عاملة عمان وأخرى قائدة الجيش الفلاني أو

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.
(٢) الأحزاب: الآية ٣٧.

السرية الفلانية إلى جانب معاذ وعمرو بن العاص وعتاب بن أسيد والعلاء بن الحضرمي وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ولرأيناهن في الخلافة الراشدة يزاحمن أو يسبقن الرجال في مناصب الإمارة والقضاء في شرق العالم الإسلامي وغربه إذ إن هناك نوابغ من النساء في العصور الزاهرة في الإسلام في عهد الرسول والخلفاء الراشدين وبعد ذلك من لا يأتي عليهن العد مثل عائشة وأم سلمة وأم سليم وأسماء بنت عميس وهند بنت عتبة، وغيرهن من نساء المهاجرين والأنصار وزينب ونفيسة وعمرة بنت عبد الرحمن وعائشة بنت طلحة وفاطمة بنت عبد الملك وغيرهن من بيوتات قريش والعرب والموالي ممن يفقن كثيرًا من الرجال علمًا وذكاءً وأدبًا ورأيًا.

ونسأل الغزالي كيف ستقوم هذه الملكة والسلطانة أو الوزيرة أو رئيسة الوزراء أو القاضية أو السفيرة بالطاعة والأدب والقنوت والخضوع لقوامة الرجل التي منحها الإسلام للأزواج وإذا كان مقر الزوج في بلد والوزيرة أو السفيرة في بلد آخر فهل ينقل الزوج صاغرًا أو تابعًا لزوجته العظيمة أو ماذا يصنع المسكين؟! وهل يكون إذا كان موظفًا في وزارتها أو سفارتها تحت رحمتها يخضع لأوامرها ويذهب بعيدًا عندما تعقد اجتماعاتها الخاصة والعامة بأقرانها من الوزراء والسفراء وكيف يكون الحال إذا كانت فتاة جميلة وحولها من الوزراء أو السفراء من هو ممتلئ شبابًا وجمالًا إلى آخر المشاكل والمحاذير والفتن التي يأباها الإسلام ورجاله الغيورون ونساؤه الغيراوات النزيهات العفيفات، والرسول ﷺ يقول: «**أتعجبون لغيرة سعد؛ والله لأنا أغير منه والله أغير مني من أجل ذلك حرم الفواحش**».

وإذا كان الغزالي قد آمن بالاشتراكية والديمقراطية الغربية فليصدع بذلك بشجاعة ووضوح دون إلصاق ذلك بالإسلام فلن تستطيع يد إسلامية أن تمتد إليه؛ لأن الإسلام غريب وأهله في غاية الغربة والضعف وأشد النكايات التي لحقت بالإسلام هي التحريف.

وفي ميدان الحجاب:

يقول: «وقد دهشت لأن عالمًا من شنقيط -وهو قطر مالكي- وقف في المسجد النبوي يقول أثناء درس له: إن مالك بن أنس يقول: إن وجه المرأة ليس بعورة وأنا أخالف مالك بن أنس.

قلت: ليس مالك وحده الذي يقول هذا القول بل سائر الأئمة الأربعة إلا رواية واهية عن أحمد بن حنبل تخالف المقرر من مذهبه، كما حكى ذلك ابن قدامة الحنبلي والشيخ الشنقيطي - غفر الله له - حين يخالف أو يوافق، ما يقدم، أو يؤخر.

وذكرت قول الشاعر:

يقولون هذا عندنا غير جائز ... ومن أنتم حتى يكون لكم عند»[1]

أقول: إذا كان الشيخ الإمام العلامة الشنقيطي إمام عصره بهذه المنزلة في نظر الغزالي فما منزلة العلماء الآخرين عنده ما رأيت أحدًا يذهب بنفسه ويعلو بها مثل هذا الغزالي المسكين.

وهذا ولسان حال الشيخ الأمين الشنقيطي يقول:

سلني إن جهلت الناس عنا وعنهم ... فليس سواء عالم وجهول

وإن كل من يعرف الغزالي والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ليقول للغزالي: ما أنت أمام هذا الحبر الأسد إلا كالهر تحكي انتفاخًا صولة الأسد. ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه ونعوذ بالله من الكبر والغرور.

كيف ترى أن خلاف مثل هذا الإمام الحبر لا يقدم ولا يؤخر وخلافك هو المقدم والمؤخر؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ثم يقول- وما أشنع قوله في القائلين بمشروعية احتجاب المرأة-: «إن الإسلام لا يؤخذ من أصحاب العقد النفسية سواء كانت غيرتهم عن ضعف جنسي أو شبق جنسي»[2].

---

(١) هموم داعية: ص ١٤١- ١٤٢

(٢) هموم داعية: ص ١٤٣ .

أترك الحكم على هذا القول وقائله للقارئ الشريف في ضوء الأخلاق والآداب الإسلامية والآداب الإنسانية. وهل يرى القارئ أن من يستخدم مثل هذه الألفاظ والأساليب في الخلافات العلمية حتى لو كانت مرجوحة يصلح لأن يمثل الإسلام وأن يؤخذ منه الإسلام؟!

ويقول متهمًا علماء الإسلام عمومًا وأهل الحديث خصوصًا بالخيانة والكتمان ويالها من كارثة.

يقول: «وقد لاحظت عند تجديد الوضع الاجتماعي للمرأة أنه ما يجيء حديثان في قضية تتصل بها إلا أخر الصحيح وقدم الضعيف»[1].

ويقول: «إن الشاغبين على سفور الوجه يظاهرون رأيًا مرجوحًا ويتصرفون في قضايا المرأة كلها على نحو يهز الكيان الروحي والثقافي والاجتماعي لأمة أكلها الجهل والاعوجاج، كما حكمت على المرأة بالموت الأدبي والعلمي»[2].

وتحدث عن زيارة المرأة للقبور ورؤية الرجال للنساء وعن مشكلة المهور بأسلوب خطير فيه اتهامات خطيرة مثل قوله: «ورؤية المرأة للرجال مع غض البصر ترويها أحاديث صحيحة ولكن بعض أهل العلم يطوون ما صح، وينشرون آثارًا واهية أن المرأة لا ترى الرجل ولا يراها الرجل»[3].

ويقول في شأن المهور:

«والأصل في المهور التيسير وسنته ﷺ في نسائه وفي بناته التيسير، الأحاديث في ذلك كثيرة، ولكن هذه الأحاديث الكثيرة طويت طيا وانهزمت أمام رواية جاءت أن امرأة جادلت عمر بن الخطاب في زيادة المهور وهزمته مستشهدة بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[4]، وهذه الرواية لم تأت بسند صحيح بل في رجالها -كذا- انقطاع وضعف».

---

(١) هموم داعية ص ٢٨.
(٢) السنة النبوية: ص ٤١.
(٣) هموم داعية: ص ٢٨.
(٤) سورة النساء الآية ٢٠.

أقول: فمن الذي طوى هذه الأحاديث الكثيرة؟ لا أدري أيتهم بذلك أهل الحديث خاصة أم يشرك معهم في ذلك الفقهاء وسائر العلماء.

ولعل النساء يحملن معظم وزر هذه القضية أعني المغالاة في المهور وما يتبع ذلك من تكاليف الزواج لاسيما بعدما ضعفت قوامة الرجال على النساء بمثل كتابات الغزالي، وإذن فالنساء أولى بالمؤاخذة والتوجيه بل والأخذ على أيديهن بعزم حتى تحل هذه المشاكل في ضوء الإسلام وتعليماته السديدة.

سادسًا: فشله في ميادين البحث العلمي وجهله بها وتخلفه عن مواكبة الباحثين في عصره من المسلمين وغير المسلمين إذ سلكوا طرقًا جيدة بعزو المعلومات الحديثية والفقهية والتاريخية وغيرها إلى قائلها موثقين ذلك بعزوها إلى مصادرها موضحين الأجزاء والصفحات من المصادر المحال عليها.

كل ذلك لبيان صدق المعلومات وكسب ثقة القراء وتسهيل رجوعهم إلى المصادر إن أرادوا التأكد والطمأنينة إلى ما ينقله الباحث.

ثم تكميل ذلك بالفهارس المفصلة التي تضع يد القارئ على كل ما يريده ويطلبه من الكتاب الذي يقرؤه بكل سهولة، لكن الغزالي في مؤلفاته بعيد كل البعد عن استخدام هذه الوسائل التي تقرب للقارئ البعيد وتذلل له الصعب فكأنه يعيش في غير عصره، ولعله استوعر هذا الطريق لأنه يكلفه جهدًا ووقتًا ودقة في عزو الأقوال والمعلومات.

ويحول بينه وبين المجازفات والتهاويل بمثل: قال المحققون، وقال الفقهاء المحققون، وقال مفكرو الأمة ومفسرو دينها.

ويحول بينه وبين الإنتاج السريع المريح القائم على تكرار الأفكار والآراء التي جعل منها محاور لأكثر مؤلفاته.

سابعًا: الغزالي كثير التناقض في كتاباته فما يقرره باسم الإسلام في كتاب ينقضه في كتاب آخر وقد يبدو تناقضه في الكتاب الواحد.

ففي كتابه «من هنا نعلم» يرى أنه ليس للمرأة حق في تولي منصب القضاء. فيقول: «المرأة والقضاء»:

«طلب فريق من النسوة أن يتولين مناصب القضاء وأن يستمتعن بالحقوق المخولة للرجال في شغل هذه الوظائف . . . إلى أن يقول: والقضاء منصب له جلاله، وللقاضي على الناس ولاية عامة وسلطان واسع، فإذا كان الإسلام يجعل الرجل قوامًا على المرأة في البيت وهو المجتمع الصغير فكيف يجعل للمرأة قوامة على الرجال في المجتمع الكبير.

ولا شك أن للمرأة حقًّا كاملًا غير منقوص في تدبير شأنها وإنفاق مالها واختيار رجلها، وحريتها في أحوالها الخاصة كحرية الرجل، بيد أن للقضايا المتصلة بكيان الأمم ومصالح الجماهير لها وضع آخر يتزل استعداد المرأة دونه ولذلك قال رسول الله ﷺ لما بلغه أن الفرس ملكوا عليهم امرأة: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» .

وستظل المرأة هي اليد اليسرى للإنسانية وسيظل عملها في البيت أعظم من عملها في الشارع، وسيظل الرجال حمالي الأعباء الثقال في الشئون الخاصة والعامة، لأن طاقة كل من الجنسين -هكذا- . . . !

ولأمر ما لم يرسل الله نبية من النساء ولم يحك التأريخ إلا شواذ من الجنس الناعم قمن بأعمال ضخمة، على حين شحنت صفحاته بأسماء الرجال.

فلماذا لا تكرس المرأة جهودها وتسخر مواهبها لتجعل من نفسها ظهير الرجل وعونه، وأن تقف في الصف الثاني بدلًا من مزاحمة الرجال في الصف الأول . .

وتكليف الإسلام أن يعينهن قاضيات أو زيرات ظلم للطبيعة وافتيات على المصلحة.

وينقل نصيحة للنساء من امرأة محامية تنصحهن بالابتعاد عن أعمال النيابة والقضاء.

قال: «وقد قرأنا لأستاذة محامية جربت الأعمال العامة وأدركت ما سوف تعانيه لو أسندت لها أعمال النيابة والقضاء فكتبت تنصح بنات جنسها معلنة لهم هذا الرأي الحكيم .

قالت الأستاذة «عزيزة عباس عصفور» المحامية: لو كانت الخطوة التى خطاها معالي وزير العدل بتعيين الحقوقيات في نيابات الأحداث كسبًا للمرأة لكنت أول من تدعو الله أن يبارك للمرأة فيها.

أما وإنني ممن خرجتهن كلية الحقوق في الأفواج الأولى وزاولت المحاماة أكثر من عشر سنين، ونجحت فيها نجاحًا أحمد الله عليه وبلوت فيها حلاوتها وحرارتها معًا، فإني أعلن في صراحة أن النيابة والمحاماة معًا تتنافيان مع طبيعة المرأة، وتتعارضان مع مصلحتها وأعلن إشفاقي على البقية الباقية من فتياتنا المثقفات اللاتى مازلن بخير أن يجربن هذه التجربة المريرة المضنية وأهيب بهن أن ينجون بأنفسهن من عاقبة لا يدركن مرارتها إلا بعد أن يقعن فيها، ويهدمن بأيديهن صرح سعادتهن.

لقد تحطمت أعصابنا- نحن المحاميات- من إرهاق المهنة وعنتها ومن محاربتنا للطبيعة، تنكبنا الواقع، فما ظنتنا بالنائبات... واستمرت في بيان المفاسد والمشاكل والمخازي المترتبة على عمل المرأة إلى أن قالت: إن رسالة المرأة في الحياة لها جلالها وقدسيتها التي لا تعادلها حقوق تمنحها ولا امتيازات تعطاها، وإن كثرت، إن رسالتها أن تكون زوجة صالحة وأمًا رءوما يتربى في أحضانها وبين ذراعيها مستقبل الوطن العزيز. ولقروية ساذجة في حجرها طفل أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية».

لقد أيد الغزالي موقفه الإسلامي ورأيه السديد القائم على القرآن والسنة- من تولي المرأة للمناصب في الدولة- بهذا الرأي الحكيم كما وصفه والقائم على تجربة أكثر من عشر سنين من امرأة عرفت حلاوة هذه التجربة ومرارتها فهل ثبت الغزالي على موقفه الصحيح الموافق للكتاب والسنة وعليه عمل الصحابة والتابعين وجمهور علماء الإسلام؟

الجواب: لا ؛ لأن ضغط الأفكار الغربية ومن ورائه أفكار قاسم أمين وأنصار المرأة جعلته يغير موقفه الصحيح ليصبح حامل لواء دعوة أنصار المرأة المتباكين لها المطالبين لها بما لم يعطها الإسلام رحمة بها وصونًا لها ومراعاة لطبيعتها

وفطرتها .

استمع إليه يقول بعد كلام يخلط فيه الحق بالباطل : «كما رفضت كل إلغاء لإرادة المرأة في الزواج ولم أعترض مباشرتها للعقد، إذا اقتضى وضعها ذلك، ورفضت الطلاق البدعي وأهدرت آثاره كلها، وأنكرت القول بأن وجه المرأة وصوتها عورة، كما يرجف الجاهلون، وحاربت منعها من التعليم، كما حاربت بقسوة إغلاق المساجد في وجهها ولا يزال جمهور من أدعياء التدين يفعل ذلك،

وقبلت شهادة المرأة في جميع القضايا المدنية والجنائية في حدود النصاب المشروع، ولم أفهم وجهًا لمنعها من الشهادة في الحدود والقصاص، وأيدت في ذلك الفقه الظاهري .

وللمرأة ذات الكفاءة العلمية والإدارية والسياسية أن تلي أي منصب ما عدا الخلافة العظمى وتستشار وتشير»[1]

ويقول: «وإذا كان الفقهاء المسلمون قد اختلفت وجهات نظرهم في تقرير حكم ما، فإنه يجب علينا أن نختار للناس أقرب الأحكام إلى تقاليدهم، والمرأة في أوربا تباشر زواجها بنفسها ولها شخصيتها التي لا تتنازل عنها، وليست مهمتنا أن نفرض على الأوربيين مع أركان الإسلام رأي مالك أو ابن حنبل، إذا كان رأي أبي حنيفة أقرب إلى مشاربهم، فإن في هذا تنطعًا أو صدًا عن سبيل الله .

وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاءوا ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك؛ فلم الإكراه على رأي ما؟!

إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيئوا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه أو فهموه، وكان ظاهر القرآن ضده» .

انظر إلى منطق هذا الرجل كيف يدوي صوته من علٍ رفضًا لمقررات النبوة ولما قرره جماهير علماء الأمة في أكبر القضايا التي يرفضها بقوة، وتبلغ سلطته وقوته أقصى مدى فيصدر أمره الحاسم الذي يوجب على جمهور علماء المسلمين

---

(١) سر تأخر العرب والمسلمين: ص ٤٧- ٤٨ .

السكوت الرهيب وإغلاق أفواههم لأن حجتهم حديث لم يفهموه أو فهموه لكنه يخالف ظاهر القرآن ولم يدركوا - بغبائهم وجهلهم - هذه المخالفة .

وانظر لهذا المنطق مرة أخرى كأن أهل أوربا وأمريكا قد أسلموا واستسلموا على يديه لتعاليم الإسلام وأركانه إلا ما يتعلق بقضايا المرأة فإنهم آثروا فيها عاداتهم وتقاليدهم لكن خصوم الغزالي في هذه المرة قد هرعوا إلى أسلحتهم فسددوها إلى نحور الغربيين ليحملوهم قهرًا على خلاف مألوفهم وعلى خلاف ما اختاروه فيما يتصل بحياة المرأة .

ومن تناقضاته : حملاته الكثيرة على ما يسميه أخبار الآحاد من سنة رسول الله ﷺ مع قبوله للأخبار الضعيفة والحكايات التافهة .

ومن تناقضاته : أنه يزعم ظلمًا أن أهل الحديث يطعنون في الأئمة الأربعة وفي الفقهاء ثم تراه يسفه آراءهم جميعًا في مناسبة ، وآراء بعضهم في مناسبة أخرى .

وأذكر القارئ بقوله :

«والمرأة في أوربا تباشر زواجها بنفسها ولها شخصيتها التي لا تتنازل عنها ، وليست مهمتنا أن نفرض على الأوربيين مع أركان الإسلام رأي مالك أو ابن حنبل إذا كان رأي أبي حنيفة أقرب إلى مشاربهم ، فإن في هذا تنطعًا أو صدًّا عن سبيل الله

وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة ، فلهم ما شاءوا ؛ ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله ، فلم الإكراه على رأي ما؟

إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيئوا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه ، أو فهموه وكان ظاهر القرآن ضده»[1] .

وقد تبنى الاشتراكية وألف فيها كتابًا سماه : «الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين» وأيده في كتب له أخرى وحرف لها نصوصًا إسلامي ، فمن هو سلفه من علماء الإسلام في هذا المذهب الخطير؟ ولولا نشاط

---

(١) السنة النبوية : ص ٥٢ .

الاشتراكيين الأوربيين دعاة وتأليفًا وتطبيقًا أكان الغزالي وغيره من الاشتراكيين يهتدون إلى هذا المذهب الذي ألصقوه ظلمًا بالإسلام .

وهو يشغب على أهل الحديث تحت ستار الدفاع عن الأئمة الأربعة، ثم يخالف الأئمة الأربعة وجمهور علماء الأمة، ثم لا يسلمون مع جرأته على مخالفتهم من الكلام اللاذع، كما تقدم قريبًا .

ومن شغبه على الإمام الشافعي والإمام أحمد وأتباعهما وأئمة أهل الحديث قوله: «ومن الدهماء من يهتم بقضية رفع اليدين قبل الركوع وبعده أكثر مما يهتم بتوفير الخشوع والقنوت بين يدي الله ﷻ»[1]. وما أظنه يجهل من سماهم بالدهماء.

ولقد ألف الإمام البخاري كتاب رفع اليدين في هذه القضية وادعى لأحاديثها التواتر.

وذكر السبكي: أن الشافعي يرى وجوب رفع اليدين في المواضع المذكورة .

ويقول: «ويعلم الله أني مع اعتدادي برأيي- أكره الخلاف والشذوذ وأحب السير مع الجماعة، وأتنزل عن وجهة نظري التي أقتنع بها بغية الإبقاء على وحدة الأمة، فهل ما قلته انفردت به»[2].

وأقول: يعلم الله أني قلما رأيت رجلًا يعشق الخلاف والشذوذ عن عقائد أهل السنة وفقههم مثله، ولم أر رأيًا تنازل عنه بغية الإبقاء على وحدة الأمة .

ثامنًا: اعتداده برأيه باعترافه:

فتراه يرد كل ما خالف هواه أو يتأوله تأويلًا بعيدًا إن كان نصًا قرآنيًا ولا يبالي بما يخالف رأيه ولو كان إجماعًا أو قول جمهور الأمة وقد لا يسلم من قول لاذع .

تاسعًا: تأثره بأساليب ومواقف أحرار أوربا وفلاسفتهم في ثورتهم على رجال الدين لاسيما في مواقفه من أهل الحديث .

---

(١) السنة النبوية: ص ٦٤ .

(٢) السنة النبوية: ص ٤١ .

عاشرًا: جنوحه إلى مذهب القرآنيين في تعامله مع كثير من السنن كما سبق ذكره وتعلقه الشديد بالرأي الذي يهون من أخبار الآحاد:

يقول في خلال تهويشه ورده لحديث انشقاق القمر:

«وإذا ثبت قول الله فلا كلام لأحد»[1].

وفي خلال رده لحديث ابن عمر في كلام رسول الله لأهل القليب- الذي رواه الإمام البخاري- يقول: «كل ما نحرص عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها والمعهود من أهل السنة أنهم يوصون بالتمسك بالكتاب والسنة لا بالقرآن وحده، وبالفقه فيهما معًا لا القرآن وحده» وله كلام كثير من هذا النوع.

حادي عشر: يتسم نقده بالهجوم العنيف والسخرية اللاذعة فلا يعرف أدب الحوار ولا يعرف كيف يأخذ ويعطي كما هو شأن العلماء:

وليعلم القارئ أنه ليس لدى الغزالي من العلم والدقة والإحاطة بالأدلة ما يساعده على مقارعة الحجة بالحجة كما أنه ليس لديه الاستعداد الكامل للبحث والتنقير، فيلجأ إلى الهجوم العنيف المصحوب في كثير من الأحيان بالسخرية والتحقير.

وأخيرًا: فإني أرى أن فكر الغزالي خطير جدًّا على الإسلام فهو امتداد خطير لشتى الدعوات الرهيبة:

فهو امتداد رهيب للاشتراكية والديمقراطية.

وامتداد خطير لدعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل مجال.

وامتداد لدعوات خصوم السنة من غلاة الجهمية في السابق، وامتداد لدعوة أبي رية وأمثاله من أتباع المستشرقين في اللاحق.

وامتداد لفكر المعتزلة في القدر ورمي أهل السنة بالجبر والتهويش على

---

(١) الطريق من هنا: ص ٦٨.

الأحاديث التي تثبت القدر وفي الوقت نفسه تنفي الجبر.

فإذا كان الرجل يصر على أنه من أهل السنة والجماعة وإذا كان يصر على قوله: «وأؤكد أولًا وآخرًا أنني مع القافلة الكبرى للإسلام هذه القافلة التي يحدوها الخلفاء الراشدون والأئمة المتبعون والعلماء الموثقون.. إلخ»[1]

فليعلن براءته من كل هذه الامتدادات الغريبة والخطيرة على الإسلام ويعلن توبته إلى الله وعلى رأس الملأ من أفكار ظل يخدمها ويدعمها طوال خمسين عامًا.

فإن لم يفعل فليعلم الأذكياء النبهاء أنه مع القوافل الأخرى التي ظل يخدمها ويدعو إليها باسم الإسلام وهي أخطر ما يكون على الإسلام والإسلام منها براء، والقافلة الكبرى في وادٍ وهو في وادي تلك القوافل.

* * *

(١) السنة النبوية: ص١١-١٢.

مع الغزالي في كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»

سأتناول- إن شاء الله- من هذا الكتاب بعض المطاعن التي نالت من بعض الأحاديث ونالت من خيار هذه الأمة: السلفيين وأهل الحديث.

وأرجو الله أن يوفق من يقوم بهذا الواجب على الوجه الأكمل، كما أرجوه أن يوقظ النائمين، وأن يزيل الغشاوة عن أعين المخدوعين من شباب هذه الأمة، وأن يرزقهم البصيرة النيرة التي تقودهم إلى معرفة الحق واحترامه واتباعه، وتدفعهم إلى نصرته.

وأرجوه سبحانه أن يجنبهم التعصب المقيت، الذي يقيم السدود والحواجز بينهم وبين إدراك الحق، وإيثاره على الباطل وأهله.

كما أسأله أن يجنبهم عبادة الأحبار والرهبان، إن ربي لسميع الدعاء.

قال الغزالي:

«وشرع أنصاف وأعشار المتعلمين يتصدرون القافلة ويثيرون الفتن بدل إطفائها، وانتشر الفقه البدوي، والتصور الطفولي للعقائد والشرائع، وقد حاولت في كتابي «دستور الوحدة الثقافية» أن أوقف هذا الانحدار، بيد أن الأمر يحتاج إلى جهود متضافرة، وسياسة علمية محكمة.

وفي هذا الكتاب جرعة قد تكون مرة للفتيان الذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية، ثم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علمًا، بعد قراءة عابرة أو عميقة.

ولعل فيه درسًا لشيوخ يحاربون الفقه المذهبي لحساب سلفية مزعومة عرفت من الإسلام قشوره ونسيت جذوره»[1].

أقول: إن إساءات الغزالي إلى السلفيين، ومنهجهم في الاعتقاد، ومنهجهم في العمل لا تقف عند حد.

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: ص ١١.

وله كلام في «دستور الوحدة»[1] لعله يحدد ويعين من هم المقصودون بهذا الطعن، ومن هم أصحاب الفقه البدوي، والتصور الطفولي للعقائد والشرائع.

قال: «ورأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة والبدائية، ويكرهون المكتشفات العلمية الحديثة، ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية، وحماية تعاليمها، ويرفضون الحديث في التلفزيون مثلًا، لأن ظهور الصورة على الشاشة حرام، ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية بالهزء والإنكار، وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد.

ورأيت أناسًا يتبعون الأعنت فالأعنت، والأغلظ فالأغلظ من كل رأي قيل، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم، ويؤخر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة، وهؤلاء لا خلف ولا سلف، إنهم أناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتل الضمير والتفكير». اهـ

أقول: إن الرجل يقصد أول ما يقصد بهذه المطاعن علماء المملكة العربية السعودية، وطلابها، شبابها وشيوخها، وإن كان من أسباب هذا الهيجان: الشباب السلفي في بلده، وأحب أن أوجه إليه أسئلة بعد مقدمة موجزة:

إن كل منصف يعرف آثار الدعوة السلفية العظيمة في الجزيرة العربية، التي تتمثل فيما يأتي:

١- القضاء على الفتن، وأسباب التفرق المذهبي والقبلي التي رانت على الجزيرة العربية قرونًا متطاولة، وفي عهود مختلفة.

٢- استئصال شأفة الشرك، والخرافات، والفتنة بالقبور، وغيرها.

٣- نشر العلم والوعي، والقضاء على الجهل والتخلف، بإنشاء المدارس التي عمت أرجاء المملكة العربية السعودية بمختلف مراحلها، بما في ذلك الجامعات، وما يتبعها من أقسام الدراسات العليا في مختلف المجالات: الدينية، والعسكرية، والاقتصادية والتقنية، وبما في ذلك مدارس البنات المستقلة

---

(١) ص ١١٣

على طراز لا نظير له في العالم: في الشرف، والحفاظ على كرامة المرأة وصيانتها من أقذار الاختلاط الذي لا تخفى مفاسده ومخازيه على أحد في تدمير الأخلاق والقيم.

٤- في التقدم الاقتصادي والعمراني، واستخدام أرقى ما وصلت إليه الصناعة الحديثة في مختلف المجالات، إلى أن وصل هذا البلد- في ظلال المنهج السلفي السمح الواعي- إلى مستوى يغبطه عليه كثير من الدول والشعوب التي لا تنعم بهذا المنهج العظيم، نسأل الله أن يوفق أهل هذا البلد الطيب حكومة وشعبًا للثبات على هذا المنهج العظيم، والتمسك به، وإدراك مكانته، وأن يجنبهم الزيغ والزلل، وأن يوفقهم لتلافي النقص والخلل.

وبعد هذه اللفتة إلى آثار المنهج السلفي في هذا البلد وغيره من البلدان، أوجه الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: أصحيح يا غزالي أن سلفية الشيوخ الأجلاء النبلاء سلفية مزعومة، عرفت من الإسلام قشوره، ونسيت جذوره؟

إن تعاليم الإسلام أعز لديهم وأجلُّ عندهم من أن يكون فيها قشور، فإنهم يعتقدون: أن خير الهدى هدى محمد.

وعندهم أن «**الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» هذه الشعب كشعب الشجرة الطيبة المباركة.

وهم يدعون إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في دروسهم ومؤلفاتهم، ومناهجهم في ميدان العقيدة: كالإيمان بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، من غير تحريف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، إيمانًا معتمدًا على فيض هائل من الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة. ومعتمدًا على مقررات السلف الصالح: من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى، التي تضمنتها كتب التفسير الموثوق بها، وبإمامة وجلالة مؤلفيها، مثل: تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري، والإمام أبي محمد حسين بن مسعود البغوي، والإمام الحافظ

إسماعيل بن كثير. وعلى ما ضمنه أئمة الحديث كتبهم المشهورة المتداولة بين الأمة الإسلامية من مشارق الأرض إلى مغاربها، وعلى امتداد الزمان، جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا.

ويؤمنون بالرسل جميعًا، وجهادهم في ذات الله، وصبرهم على الأذى في سبيل تبليغ رسالاتهم.

ويؤمنون بالملائكة، وباليوم الآخر، وما فيه من تفاصيل الثواب والعقاب، ويؤمنون بالقدر خيره وشره.

ويؤمنون بأن الحاكمية لله وحده، وأنه لا طريق إلى السعادة في الآخرة والسيادة في الدنيا إلا في طاعة هذا الرسول، واتباعه، وحيه.

ويحافظون على الصلوات في أوقاتها، ويؤدونها في بيوت أذن الله أن ترفع، ويشيدون لأجل ذلك هذه البيوت.

ويؤدون الزكاة التي فرضها الله في كتابه وعلى لسان رسوله، ويرون أن مانعها يستحق القتل والقتال.

ويؤدون الصيام، ويحجون ويعتمرون، ويرون وجوب الجهاد، ولهم في هذا الوقت دور فعال في الجهاد الأفغاني بالنفس والمال، إلى جانب دعم الدعوات الإسلامية في العالم.

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعون إلى الله، ويرون أنه لابد في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الحكمة.

ويعظمون نصوص الكتاب والسنة تعظيمًا لا يلحقون فيه، ويدعون إلى احترامها وتدبرها وتطبيقها، ولا يرون فيها قشورًا.

أهذه كلها جذور أم قشور وما الذي نسوه مما مر ذكره إن كنت تعتبره جذورًا؟

فإن كنت تعتبر ما ذكرناه قشورًا، فأسعفنا بالله فورًا بهذه الجذور التي نسيها الشيوخ، ويعيشون على القشور، وإننا لفي انتظار الإجابة بفارغ الصبر، ونذكرك بأنه لا يجوز كتمان العلم.

السؤال الثاني: قلت: «ورأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة والبدائية ويكرهون المكتشفات العلمية الحديثة، ولا يحسنون الانتفاع بها . . . » إلى قولك: «وهؤلاء لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد»[1]

وأقول:

١- أصحيح أنك رأيت أناسًا تغلب عليهم البداوة والبدائية؟ أم رأيت علماء ربانيين، عليهم طابع الإيمان والتواضع، والتحلي بالأخلاق الإسلامية الكريمة، والشيم النبيلة؟

٢- قلتَ: «ويكرهون المكتشفات العلمية الحديثة». أصحيح هذا، أفأنت على يقين بأنهم يحرمون أو يكرهون ركوب الطائرات والسيارات، ويكرهون أن تتسلح الأمة بأرقى الأسلحة: من طائرات حربية، وصواريخ ودبابات، ومدافع، ورشاشات، ويكرهون- والكراهة عند الأحناف تعني: التحريم- استخدام الكهرباء، والأجهزة الألكترونية، والآبار الارتوازية، والأدوات المكتبية، ويفتون الناس بكراهة هذه الأشياء، ويحذرون منها وينذرون؟!

وهل رأيت أن بداوتهم وبدائيتهم دفعتهم إلى الإصرار على ركوب الحمر، بدلًا من الطائرات والسيارات؟!

وهل رأيتهم يصرون على تسليح الجيش بالسيوف والرماح، بدلًا من التسلح بالأسلحة الحديثة المعروفة؟ وهل رأيتهم يرفضون استخدام المطابع، والقراءة في الكتب المطبوعة، ليقرءوا الكتب المخطوطة فقط، ويكتبوا- ويرغموا الناس على الكتابة- بالخشب والقصب؟!

٣- قلتَ: «ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية وغيرها بالهزء والإنكار». أنت تعرف أن «أل» هنا جنسية تفيد العموم، أصحيح هذا وأنت على يقين منه أو ظن راجح: أنهم ينكرون المقررات الفلكية والجغرافية كلها بقضها وقضيضها، وهي قضايا لا تحصى، وبعضها قررها القرآن الكريم؟

---

(١) إن الذي يحتاج دماغه إلى تشكيل جديد: هو الغزالي، الذي يلقي الكلام على عواهنه، ويخبط خبط عشواء.

فإذا سمعوا متحدثًا يقول: إن في الكون أرضًا وسموات، وكواكب وأفلاك، وفيه مجرات تحوي ملايين الكواكب تناولوا هذا الكلام بالهزء والإنكار؟!

وإذا رأوا- مثلًا- في «تفسير ابن كثير» الكلام الآتي: «ومن تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة، من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دورة، ولها في أنفسها سير يخصها.

ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر، ويسكن ساكنوها، مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

وكذلك الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم والأراييح والأشكال والألوان، مع اتحاد طبيعة التربة والماء، استدل على وجود الصانع، وقدرته العظيمة، وحكمته، ورحمته بخلقه ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم، لا إله غيره ولا رب سواه، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًا»[2].

هل إذا سمعوا مثل هذا الكلام قابلوه بالهزء والإنكار كما يفيده كلام الغزالي؟!

وإذا تحدث ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» عن الكون وما فيه من آيات وعجائب- وهو كتاب لم تر العين مثله في بابه- تناوله علماء الجزيرة العربية بالهزء والسخرية كما يفيد كلام الغزالي؟!

وإذا قيل لهؤلاء البدائيين: انظروا في خارطة العالم، فإنكم ستجدون: أن الهند والصين وأندونسيا في قارة آسيا وستجدون أن فرنسا وإيطاليا وهولندا

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٧ -٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير: (١ / ٥٩).

وبريطانيا في قارة أوربا . وأن مصر ودول المغرب العربي في شمال إفريقيا ، وأنها تطل على البحر الأبيض. وأن الولايات المتحدة الأمريكية وكندا في أمريكا الشمالية ، وأن البرازيل والأرجنتين في أمريكا الجنوبية .

هل إذا قيل لهم هذا تناول هؤلاء البدو- الذين يسمون بالعلماء- هذا كله بالإنكار والسخرية في نظر الغزالي؟!

هذا كله تقتضيه عبارات الغزالي الجامعة الشاملة ، وهل يؤمن العقلاء بهذا؟ أو سيقولون : إن دماغ الغزالي هو الذي يحتاج إلى تشكيل جديد .

لعل من أسباب هذه الحملات الشاملة : أن عالمًا فاضلًا قال كلامًا حول ما تقول به بعض النظريات من أن الشمس ثابتة ساكنة لا تتحرك ، وأن الأرض تدور حولها وحول نفسها . واستدل لوجهة نظره بآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، كما هو شأن العلماء .

وما قرره من إثبات أن الشمس تجري هو الحق ، ونصوص القرآن فيه قطعية ، وقد رجع إليه علماء الفلك أنفسهم . وفي الواقع أن علماء الشريعة الإسلامية ما كانوا يتسرعون بتصديق نظريات الفلكيين ، ولو كانوا من المسلمين . قال جلال الدين المحلي في تفسير سورة الغاشية : «قوله : ﴿سُطِحَتْ﴾ : ظاهر في أن الأرض سطح ، وعليه علماء الشرع ، لا كرة كما قال أهل الهيئة ، وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع » .

وإذا رجع القارئ إلى كتب فحول المفسرين لا يجد فيها أن الأرض كروية فهل يحط هذا من منازلهم ويجعلهم بدوًا وبدائيين؟ كلا ثم كلا ، بل لا يساوي علماء الفلك من المسلمين كبير شيء إلى جانبهم ، فضلًا عن علمائه من غير المسلمين .

وفي الحقيقة إن الرغبة في الشغب وإثارة الفتن تدفع أهل الأهواء إلى تحقير الأمور الجليلة العظيمة ، فيصيرونها طفيليات وقشورًا ، ويضخمون أمورًا لا يعبأ بها الإسلام أو يحاربها ، فيرون أنها هي الأصول وهي الجذور ، وهي مقياس الحضارة والتقدم .

موقف العقلاء من النظريات الفلكية الحديثة

إن ما يسميه الغزالي (مقررات) يرى غيره من عقلاء المسلمين وغيرهم، أن كثيرًا منه نظريات لا مقررات وحقائق .

لقد وجه إلى الأستاذ المودودي رحمه الله سؤال غير مؤدب، وهو: «من دعوى القرآن: أن الشمس جارية متحركة، ولكن دعوى العلوم الطبيعية أنها ثابتة ساكنة . . . ؟».

فأجاب المودودي: «إنني في أثناء بحوثي وتحقيقاتي العلمية الطويلة خلال خمس وعشرين سنة، ما وقعت على مثال واحد من أن يكون الإنسان قد اكتشف بالطريقة العلمية حقيقة جاء القرآن يعارضها، أو هي تعارض القرآن، بيد أن النظريات التي وضعها علماء الطبيعة أو الفلاسفة بطريق القياس في هذا الزمان منها- ولا شك- نظريات تعارض بيانات القرآن . ولكن مما يشهد به تاريخ النظريات القياسية: أن النظريات التي آمن بها هؤلاء العلماء والفلاسفة في زمن كحقائق ثابتة، رفضوها في زمن آخر، واعتقدوا الحقيقة في غيرها!

فلم نسمح لنفوسنا اليوم أن نبالغ في تقدير هذه النظريات وإكبارها، لدرجة أن نترك القرآن ونؤمن بها إيمانًا في أول تصادم لها مع آيات القرآن؟

ثم تناول نظريات دارون بالنقد، ثم قال للسائل: «وبجامعتك عدد لا يستهان به من المشتغلين بعلم الفلك كذلك، فاسألهم: هل الشمس ثابتة ساكنة في واقع الأمر؟ فإن قال بذلك واحد منهم، فالواجب عليك أن تعمل على اطلاع الدنيا العلمية باسمه العظيم .

وكل ما في الأمر أنك لا تزال حتى اليوم تعيش في القرن التاسع عشر وتعتقد أن علومه الطبيعية هي علوم طبيعية حين لم تكن الشمس فيه جارية متحركة، أما شمس العلوم الطبيعية في القرن الحاضر- أي: القرن العشرين- فهي جارية بسرعة جيدة»[1] .

---

(١) الإسلام في مواجهة التحديات: (ص ٢٧٥-٢٧٧)

ويقول سيد قطب كَظَلَلهُ في شأن هذه النظريات: «نحن في دراسة القرآن لا نلجأ إلى التقديرات على أنها حقائق نهائية، فهي ليست في أصلها كذلك، وإن هي إلا نظريات قابلة للتعديل، فنحن لا نحمل القرآن عليها»[1].

وأزيد الأمر إيضاحًا فأقول: ما جاء عن فلاسفة الغرب من اكتشافات فلكية فلا نتسرع ونطلق عليه أنه كله مقررات وحقائق، بل نتأنى ونتثبت وندرس، فلابد أن ينجلي الأمر عن واحد من ثلاثة:

أولها: أن يوافق ما جاء به القرآن والسنة، فهذا يجب التسليم به، لأنه جاء به الإسلام، ولأن إنكاره إنكار لشيء من الإسلام، وهو خطير جدًا.

وثانيها: أن يأتي مناقضًا لما قرره القرآن والسنة، فهذا يرد مثل القول: بأن الشمس ثابتة لا تتحرك ولا تجري كما أخبر القرآن، ولأن قبوله كفر به وتكذيب للقرآن.

ثالثها: أن تحتمله بعض النصوص احتمالًا، ويحتمل بعضها رده، وليس فيه نصوص صريحة ولا ظاهرة في قبوله أو رده، كالقول: بأن الأرض تدور فهذا يفسح فيه المجال للقبول والرد، لكلٍ فهمه وقناعته، ولا يجوز فيه استخدام «الإرهاب الفكري» بالطعن والتحقير لمن يقبل أو يرد.

(٢) ويقول الغزالي:

(وأؤكد أولًا وآخرًا: أنني مع القافلة الكبرى للإسلام، هذه القافلة التي يحدوها الخلفاء الراشدون، والأئمة المتبعون، والعلماء الموثقون، خلفًا بعد سلف، ولاحقًا يدعو لسابق»[2].

أقول: كلا ثم كلا، إن هذه دعوى عريضة تقوم على غير أساس وتصادمها كتاباتك، ومواقفك تشهد بأن القافلة الكبرى في واد وأنت في واد آخر.

وهل يجتمع حب الخلفاء الراشدين وحب الروافض في قلب؟! وهل وهل؟

---

(١) في ظلال القرآن (٢٤ / ١١٤).

(٢) السنة النبوية: (ص ١١-١٢).

٣- قال الغزالي:

«وقد توفر للسنة المحمدية علماء أولو غيرة وتقوى بلغوا بها المدى، وكانت غربلتهم للأسانيد مثار الثناء والإعجاب، ثم انضم إليهم الفقهاء في ملاحظة المتون واستبعاد الشاذ والمعلول.

وذلك أن الحكم بسلامة المتن يتطلب علمًا بالقرآن الكريم، وإحاطة بدلالاته القريبة والبعيدة، وعلمًا آخر بشتى المرويات المنقولة، لإمكان الموازنة والترجيح بين بعضها والبعض الآخر.

والواقع أن عمل الفقهاء متمم لعمل المحدثين، وحارس للسنة من أي خلل يتسلل إليها عن ذهول أو نسيان»[1]. اهـ

أقول: إن على هذا الكلام ملاحظات من وجوه:

أولًا: أن فيه هضمًا لعلماء الحديث، فهم أولو غير وتقوى مجردين من الفقه وإدراك العلل والشذوذ الكامنة في المتون، ولا يدركون إلا ما في الأسانيد من الأمور السطحية في نظره، مثل: فلان ضعيف وفلان كذاب، وهم في أشد الحاجة في ميدان اختصاصهم إلى الاستنجاد بالفقهاء لملاحظة المتون واستبعاد الشاذ والمعلول.

ثانيًا: أن الغزالي لا يعرف أن الفقهاء والأصوليين لا يشترطون نفي الشذوذ والعلة، وأن هذا من ميزات المحدثين، ولذا تجد كتب الفقه قد اكتظت بالأحاديث الواضحة الضعف، وبالأحاديث الشاذة والمعللة، بل والموضوعات أحيانًا، مما حدا بأهل المعرفة بالحديث إلى أن يقوموا بغربلة كتب الفقه بما أسدوه إلى الإسلام والمسلمين من كتب التخريج.

ثالثًا: يصدق على كلام الغزالي المثل: «شنشنة أعرفها من أخزم»، فالقول أن المحدثين لا يدركون علل المتون، وأنهم سطحيون شكليون، جهودهم قاصرة على معرفة الأسانيد، هي شنشنة المستشرقين ومقلديهم من المنتسبين إلى

---

(١) السنة النبوية: ص ١٥.

الإسلام، مثل أحمد أمين ومحمد حسين هيكل وأبي رية وأمثالهم، ممن استخفوا بالسنة النبوية وأساءوا إلى المحدثين، فرموهم بالغباء وقصور الفهم فلا يتجاوز إدراكهم الأسانيد إلى معرفة ما في المتون من كذب وعلل. فالغزالي يركض في هذا المضمار.

ولا أدري هل اطلع على ردود أهل الحديث في هذا العصر على المستشرقين ومقلديهم ودحضهم لافتراءاتهم بالحجج والبراهين أو هو لا يدري؟

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

رابعًا: نسأل الغزالي: أي الفريقين ألف كتب العلل، وهي تشتمل على نقد الأسانيد والمتون؟ وكذلك من ألف كتب الموضوعات؟ وأخيرًا من ألف الصحاح، وهي عملية اختيار وانتقاء مضن تدل على نضج وصبر، أهم الفقهاء أم المحدثون؟!

أتظن أن الزهري وسفيان بن عيينة والأوزاعي وسفيان الثوري وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى القطان ويحيى بن معين والبخاري ومسلمًا وأبا داود والترمذي والنسائي وابن جرير وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني وأمثالهم من عباقرة الحديث والعلم حمال أسفار من غير فقه ولا فهم؟!

إنهم ليسوا فقهاء فحسب، بل أئمة الفقه والحديث، شأنهم شأن مالك والشافعي وأحمد بن حنبل -رضوان الله عليهم أجمعين-.

أتظن يا غزالي أن الاهتمام بالسنة ودراستها يعمي البصائر ويفسد العقول فتصاب بالبلادة والغباء؟

إن العبقرية والذكاء لا يتوفران في طائفة من الطوائف كما يتوفران في طائفة أهل الحديث، واقرأ تراجمهم التي دوَّنها الثقات الأمناء، واقرأ علومهم التي خلدوها، لترى المسافة الهائلة بينهم وبين من قتلهم الجمود والتعصب الأعمى.

وإذا كان المهتمون بالحديث من المتأخرين قممًا في الفقه والأصول واللغة والتفسير وغيرها من العلوم: كابن الصلاح والنووي وأبي شامة وابن دقيق العيد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب والزركشي والعراقي وابن حجر

والسيوطي والدهلوي والشوكاني وابن عبد الوهاب وأضرابهم، فما بالك بأئمة الحديث المتقدمين الذين يفوقون هؤلاء ذكاء وعلمًا وحفظًا واستنباطًا واجتهادًا.

واستمع إلى قول الفقيه المحدث ابن الصلاح: «هذا وإن علم الحديث أنفع العلوم الفاضلة، يحبه ذكور الرجال وفحولتهم ويعنى به محققو العلماء وكملتهم، ولا يكرهه من الناس إلا رذالتهم وسفلتهم»[1].

فاعرف أقدار أهل الفضل، كما يعرفها أهل العلم والفضل والعقل.

خامسًا: من حال بين المحدثين وبين العلم بالقرآن ودلالاته القريبة والبعيدة؟ فهل بين السنة والقرآن خصومة تؤدي إلى الزهد في التفقه في القرآن ومعرفة دلالاته القريبة والبعيدة؟ أو تؤدي إلى النفاق والعياذ بالله وإقفال القلوب، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2].

وكما قال تعالى في شأن المشركين: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[3].

عجبًا والله أن يهتم الفقهاء واللغويون والأدباء والشعراء- بما فيهم أهل البدع- بدراسة القرآن من نواح شتى، ليستفيدوا من فقهه وآدابه وبلاغته ووعده ووعيده والارتواء من نميره إلا أهل الحديث، فإن قلوبهم تصاب بعاهة الإعراض والملل، وعقولهم تصاب بالشلل.

اللَّهم إن العقلاء ليذوبون خجلًا من مثل هذا الكلام!

سادسًا: قال الغزالي في كتابه «دستور الوحدة الثقافية»[4]: «يقول الأستاذ الإمام حسن البنا: القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويُفهم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة إلى رجال الحديث الثقات».

---

(١) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح: (ص ٢-٣).

(٢) سورة محمد الآية ٢٤.

(٣) سورة فصلت الآية ٥. (٤) ص ٣٢.

فهذا البنا قد عرف لرجال الحديث فضلهم ومكانتهم، ويرى أنهم المرجع في فهم السنة ويريد بالفهم هنا: الفهم الشامل لمعرفة الأسانيد وفقه النصوص، وقد نقل الغزالي هذا الكلام معتدًّا به، فما باله يخالف إمامه ويريد أن يجردهم من حق عرفه لهم كل ذي عقل منصف؟!

٤- قال الغزالي:

«وقد يصح الحديث سندًا ويضعف متنًا بعد اكتشاف الفقهاء لعلة كامنة فيه»[١].

أقول: قد تهون المصيبة إذا كان يقصد بالفقهاء الأئمة الأربعة وأمثالهم، وحتى هؤلاء و الله يحتجون بأحاديث ضعيفة ولاسيما أبا حنيفة وأصحابه -رحمهم الله- حتى يكشف ضعفها وعللها أهل الحديث، وهذا الإمام الشافعي مع جلالته وعلمه بالحديث كما قال الحافظ ابن حجر يحيل القول على أئمة الحديث في كتبه يقول: «وفيه حديث لا يثبته أهل العلم بالحديث»[٢].

ويقول رحمه الله عارفًا الفضل لأهله: «أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحًا، فأعلموني: كوفيًا كان أو بصريًا أو شاميًا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحًا»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فمدار التعليل في الحقيقة على بيان الاختلاف، وهذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلكًا، ولا يقوم به إلا من منحه الله تعالى فهما غائصًا، واطلاعًا حاويًا وإدراكًا لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة، ولهذا لم يتكلم فيه إلا الأفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم وإليهم المرجع[٤] في ذلك، لما جعل الله فيهم من معرفة ذلك، والاطلاع على غوامضه، دون غيرهم ممن لم يمارس ذلك، وهذا الإمام الشافعي مع إمامته يحيل القول على أئمة الحديث في كتبه فيقول: «وفيه حديث

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص (١٥).

(٢) النكت لابن حجر على ابن الصلاح (٢/ ٧١١) وانظر الأم للإمام الشافعي: (١/ ١٣).

(٣) ابن أبي حاتم آداب الشافعي (ص ٩٤-٩٥)، والحلية: (٩/ ١٧٥)، والانتقاء لابن عبد البر (ص٧٥)، ومراجع أخرى انظرها في حاشية الآداب.

(٤) يعني أئمة الحديث.

لا يثبته أهل العلم بالحديث»[1].

وقال الحافظ العلائي: «فأما إذا كان رجال الإسنادين متكافئين في الحفظ أو العدد، أو كان من أسنده أو رفعه دون من أرسله أو وقفه في شيء من ذلك، مع أن كلهم ثقات، محتج بهم، فهاهنا مجال النظر، واختلاف أئمة الحديث والفقهاء، فالذي يسلكه كثير من أهل الحديث، بل غالبهم جعل ذلك علة مانعة من الحكم بصحة الحديث مطلقًا، فيرجعون إلى الترجيح لإحدى الروايتين على الأخرى، فمتى اعتضدت إحدى الطريقين بشيء من وجوه الترجيح حكموا لها، وإلا توقفوا عن الحديث وعللوه بذلك، ووجوه الترجيح كثيرة لا تنحصر ولا ضابط لها بالنسبة إلى جميع الأحاديث، بل كل حديث يقوم به ترجيح خاص، وإنما ينهض بذلك الممارس الفطن الذي أكثر من الطرق والروايات. . .».

قال: «وأما أئمة الفقه والأصول، فإنهم جعلوا إسناد الحديث ورفعه كالزيادة في متنه، ويلزم من ذلك قبول الشاذ»[2].

وقال الحافظ العلائي- أيضًا-: «وهذا إنما يقوم به- أي: التفتيش عليه- الحافظ الكبير الذي قد أحاط حفظه بجميع الحديث أو بمعظمه: كالإمام أحمد وعلي بن المديني ويحيى بن معين، ومن بعدهم: كالبخاري وأبي حاتم وأبي زرعة، ومن دونهم كالنسائي والدارقطني لأن المأخذ الذي يحكم به غالبًا على الحديث بأنه موضوع الملكة النفسانية الناشئة عن جمع الطرق والاطلاع على غالب المروي في البلدان المتنائية، بحيث يعرف بذلك ما هو من حديث الرواة مما ليس من حديثهم، وأما من لم يصل إلى هذه المرتبة، فكيف يقضي بعدم وجدانه للحديث بأنه موضوع، هذا ما يأباه تصرفهم والله أعلم»[3].

فانظر إلى هذين الإمامين، وهما من أئمة الحديث والفقه والأصول، كيف يضعان الأمور في نصابها، ويعرفان لأهل الفضل فضلهم، فيرزان مكانة أهل

---

(١) النكت لابن حجر على ابن الصلاح: (٢ / ٧١١)، وانظر الأم للإمام الشافعي: (١/ ١٣)

(٢) نكت ابن حجر على ابن الصلاح: (٢/ ٧١٢) .

(٣) النكت لابن حجر على ابن الصلاح: (٢ / ٨٤٧) .

الحديث وأئمتهم، وأن غيرهم لا يستطيع مزاحمتهم في إدراك علل الحديث وضعفه أو الحكم عليه بالوضع، وأن منهجهم أحكم وأحوط وأسلم، وأنه يلزم على قواعد الفقهاء والأصوليين قبول الحديث الشاذ عكس ما يقوله الغزالي وهذا أمر مسلم به لأهل كل اختصاص لا يجادل فيه إلا من لا يدري ما يقول، ومن هنا يدرك من له أدنى مسكة من عقل أن كلام الغزالي السابق الذي يتضمن أن أهل الحديث لا يعرفون العلل، وأن الفقهاء هم المختصون بمعرفتها خلط وخبط وحط من أهل الحديث يعلم الله دوافعه، وعند الله تجتمع الخصوم.

٥- وقال الغزالي:

«وفي عصرنا ظهر فتيان سوء يتطاولون على أئمة الفقه باسم الدفاع عن الحديث النبوي، مع أن الفقهاء ما حادوا عن السنة ولا استهانوا بحديث صحت نسته وسلم متنه، وكل ما فعلوه: أنهم اكتشفوا عللًا في بعض المرويات فردوها وفق المنهج العلمي المدروس، وأرشدوا الأمة إلى ما هو أصدق قيلًا وأهدى سبيلًا.

وهم بهذا المنهج يتأسون بالصحابة والتابعين، انظر موقف عائشة ﵂ عندما سمعت الحديث: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**»، لقد أنكرته وحلفت أن الرسول ما قاله، وقالت- بيانًا لرفضها إياه- «أين منكم قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]. إنها ترد ما يخالف القرآن بجرأة وثقة.

ومع ذلك، فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة ما يزال مثبتًا في الصحاح، بل إن ابن سعد في «طبقاته» كرره في بضعة أسانيد»[2]. اهـ

أقول: على هذا الكلام ملاحظات من وجوه:

أولًا: فيه سب لشباب مسلم لعلهم من خيرة شباب العصر، وشباب الأمة، وأرفع شباب الأمة إدراكًا لما تحتاجه الأمة من العودة إلى الكتاب والسنة.

ولو فرضنا أن فيهم من شتم الغزالي لما كان له- وهو في هذه السن- إلا أن

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٤، سورة الإسراء الآية١٥، وسورة فاطر الآية ١٨، وسورة الزمر الآية ٧.

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. (ص ١٥-١٦).

يتعامل معه بما أدبنا به ربنا في قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2]، والآيات والأحاديث التي تحث على الآداب العالية والأخلاق الرفيعة كثيرة جدًا فكيف يرضى الغزالي تناسي هذا المنهج العظيم؟

ثانيًا: اتهامهم بأنهم يتطاولون على الأئمة باسم الدفاع عن الحديث النبوي، هذا أمر بعيد جدًا ولعل المهتمين بدراسة السنة النبوية وعلومها وهم يحتكون بالشباب المتجهين لدراسة الحديث -أكثر من الغزالي- لا يعرفون أحدًا منهم يتطاول على الأئمة، كيف وهم يعلمون ويعتقدون أن مالكًا والشافعي وأحمد بن حنبل أئمة الحديث ورواد مدارسه العظيمة؟!

بل والحق يقال: إن الطعن في الأئمة لا يصدر إلا من غلاة التعصب المذهبي في السابق واللاحق، ولاسيما الكوثري وتلاميذه في هذا العصر وطعونهم مدونة في مؤلفات خاصة ومبثوثة هنا وهناك.

وإذا كان لابد من التشهير بالمتطاولين على الكبار، وإن كانت هناك غيرة عند الغزالي فعلًا على الأئمة، فالأولى بهذا التشهير من يلعن الصحابة ويكفرهم، بل ويلعن الأمة ويكفرها ولا يستثنون الأئمة الأربعة ولا غيرهم فالخوض في هذا الميدان أولى وأولى بملايين المرات من ذاك، بل الخوض فيه واجب إسلامي، فلماذا يتحايده الغزالي طول عمره ويتهرب منه؟!

ثالثًا: كلام الغزالي واضح في التفريق بين منهج الفقهاء الأربعة وبين منهج المحدثين، والذي يعرفه الفقهاء والمحدثون أن أصول المحدثين هي عينها أصول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد- رضوان الله عليهم- وأما أبو حنيفة ﷺ فتختلف أصول مذهبه شيئًا ما مع أصول الأئمة لكن المتعصبين من الأحناف هم الذين وسعوا الشقة ووضعوا أصولًا لرد الأحاديث التي تخالف مذهبهم.

وعلى كلٍّ فإن أئمة الفقه بما فيهم أبو حنيفة لم يضعوا قواعد ولا مناهج لرد

---

(١) سورة الفرقان الآية ٧٢

(٢) سورة فصلت الآية ٣٤

الأحاديث الصحيحة، بل هم وأئمة الحديث والتفسير متفقون على أنه يجب رد أقوالهم إذا خالفت الحديث الثابت.

وأما اكتشاف العلل فأهل الحديث أحق به وأهله، وليس هناك أحاديث خفيت عللُها على أهل الحديث حتى اكتشفها الفقهاء بهذا المنهج المزعوم، وحاشى الصحابة والتابعين أن يضعوا منهجًا لرد الأحاديث الصحيحة، وعائشة لم تضع منهجا لرد الأحاديث الصحيحة، بل هو تصرف فردي اتضح خطؤه، ولهذا لم يتابعها الفقهاء ولا المحدثون في رد هذا الحديث كما سيأتي بيان ذلك.

رابعًا: في كلام الغزالي تعبيرات يرددها تتنافى مع جلال السنة وتقشعر لها جلود من يشعرون بجلالها وعظمتها، مثل قوله: «وهذا الحديث المرفوض» وقالت- بيانًا لرفضها إياه- مع أن الحديث- أكرمه الله وأعلى شأنه- لم يرفضه أحد من أئمة الحديث والفقه بل هو موضع الإجلال والتكريم وعلى الرءوس والهام.

خامسًا: يتحسر الغزالي ويتألم من بقاء هذا الحديث في كتب الصحاح إلى الآن، وينحى باللائمة على من دونه في الصحاح من أئمة الحديث، ويظهر لي أن في هذا غمزًا لهم وطعنًا فيهم، ولا يستغرب هذا منه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(٦) وقال الغزالي- بعد أن ساق حديث «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»: «وماذا نقول؟ إن الخطأ غير مستبعد على راوٍ ولو كان في جلالة عمر، وعندي أن ذلك المسلك الذي سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أجل ذلك كان أئمة الفقه يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولًا، فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه، وإلا فالقرآن أولى بالاتباع»[1].

أقول: إن في هذا الكلام نظرًا من وجوه:

أولًا: وإن كنا لا نستبعد الخطأ من بعض الرواة، لكن هذا الحديث لم يخطئ فيه عمر ﷺ، لاسيما وقد شاركه في سماعه من رسول الله ﷺ عدد من الصحابة

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: (ص ١٧-١٨).

يستبعد الحكم عليهم جميعًا بالوهم والخطأ، بل يستحيل .

الثاني: أن الأحاديث الصحيحة التى تلقتها الأمة بالقبول، فقهاؤها ومحدثوها، وعلى رأسهم أئمة النقد من أهل الحديث، وتداولوها جيلًا عن جيل إلى يومنا هذا، لا يجوز للأمة الإسلامية أن تفسح المجال لأمثال الغزالي في القرن الخامس عشر أن ينشئوا الأسس والقواعد لرفض أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة، في ظلال المزاعم والأوهام بأنها تخالف نصوص القرآن، متذرعين إلى ذلك بموقف عائشة رضي الله عنها الذي تبين للفقهاء والمحدثين: أن الصواب إنما هو في جانب عمر وابنه، ومن وافقهما من الصحابة في رواية الحديث المذكور .

الثالث: فيما يتعلق بأئمة الفقه: التعبير الصحيح اللائق بمكانتهم، ومكانة السنة النبوية أن يقال: كان أئمة الفقه يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب، يعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وذلك أن أئمة الفقه والحديث والتفسير يعتقدون أن السنن الثابتة لا تخالف القرآن[١]، ويعلمون سلفًا أن أركان الإسلام مثلًا: من صلاة وصيام وزكاة وحج، جاءت في أوامر مجملة، لا يمكن معرفة مراد الله منها، فيذهبون رأسًا إلى سنة رسول الله ﷺ لمعرفة أحكام هذه الأسس وتقريرها، بعد تأكدهم من استحالة معرفتها وتقريرها من القرآن الكريم .

قال عمران بن حصين رضي الله عنه لرجل: «إنك أحمق، أتجد في كتاب الله الظهر أربعًا لا تجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد الصلاة والزكاة ونحو هذا» ثم قال: «أتجد هذا في كتاب الله مفسرًا؟ إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك»[٢] .

وقال رجل لمطرف بن عبد الله بن الشخير: لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال له مطرف: «والله ما نريد بالقرآن بدلًا، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا»[٣] يعني:

---

(١) وقد صرح الإمام الشافعي أن السنة لا تخالف القرآن أبدًا. انظر الرسالة: ص ١٤٦، وألف الإمام أحمد رسالة في بيان أن السنة لا تخالف القرآن.

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر: (٢ / ٢٣٤)، والشريعة للآجري: (ص ٥١) .

(٣) جامع بيان العلم: (٢ / ٢٣٤) .

رسول الله ﷺ.

وعن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أنه حدث عن رسول الله ﷺ فقال رجل: إن الله ﷻ قال في كتابه كذا وكذا، فقال: «لا أراك تعارض حديث رسول الله ﷺ بكتاب الله ﷻ، رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله ﷻ»[1].

قال الإمام أبو بكر الآجري[2]: «باب في التحذير من طوائف تعارض سنن النبي ﷺ بكتاب الله ﷻ وشدة الإنكار عليهم».

ثم قال: «ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلًا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل، فقال: لا أقبل إلا ما في كتاب الله، قيل له: يا جاهل إن الله ﷻ أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل الله، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، فأقام الله -عز وجل وعلا- نبيه ﷺ مقام البيان عنه، وأمر الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأمر بالانتهاء عما نهاهم عنه، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[4]، ثم حذرهم أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ فقال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5]، وقال- تبارك وتعالى-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[6] ثم فرض على الخلق طاعته ﷺ، في نيف وثلاثين موضعًا في كتابه ﷻ.

وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله ﷺ: يا جاهل قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أين تجد في كتاب الله ﷻ أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، وأن العصر أربع، وأن المغرب ثلاث، وأن العشاء أربع؟ وأين تجد أحكام

---

(١) الشريعة للآجري: (ص ٥١).

(٢) الشريعة (ص ٤٦، ٥٤).

(٣) سورة النحل الآية ٤٤.

(٤) سورة الحشر الآية ٧

(٥) سورة النور الآية ٦٣.

(٦) سورة النساء الآية٦٥.

الصلاة ومواقيتها وما يصلحها[1] وما يبطلها إلا من سنن رسول الله ﷺ؟

ومثلها الزكاة: أين تجد في كتاب الله ﷻ من مائتي درهم خمسة دراهم، ومن عشرين دينارًا نصف دينار، ومن أربعين شاةً شاةً، وفي خمس من الإبل شاة، ومن جميع أحكام الزكاة أين تجدها في كتاب الله ﷻ؟.

وكذلك جميع فرائض الله ﷻ التي فرضها الله -جل وعلا- لا يعلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله ﷺ .

هذا قول علماء المسلمين من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة الملحدين، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، وقد روي عن النبي ﷺ وعن صحابته ﷺ مثلما بينت لك، ثم روى بإسناده إلى أبي رافع ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يبلغه عني الأمر فيقول: لم أجد هذا في كتاب الله ﷻ»[2].

ثم ساق له شاهدين من حديث أبي هريرة والمقدام بن معديكرب، ثم ذكر قول عمران بن حصين وسعيد بن جبير اللذين أسلفناهما، ثم روى بإسناده إلى أبي بكر بن عياش عن عبد الرحمن بن يزيد «أنه رأى محرمًا عليه ثيابه، فنهر المحرم، فقال: ائتني بآية من كتاب الله ﷻ بنزع ثيابي، فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] وساق آثارًا عن الصحابة والتابعين وأئمة السلف تؤكد مكانة سنة رسول الله ﷺ وتشيد بها.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خلال رده على من يرد النصوص المحكمة الواضحة من سنة رسول الله ﷺ بما يفهمونه خطأ من القرآن في المثال الثامن عشر: «والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على

---

(١) كذا ولعله وما يصححها.

(٢) انظر حديث المقدام وأبي رافع سنن ابن ماجه (المقدمة)، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ حديث ١٢، ١٣.

(٣) سورة الحشر الآية ٧.

الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتظافرها .

الثاني : أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرًا له .

الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة فلا تعارض القرآن بوجه ما»[1] .

الرابع : قول الغزالي : «فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يسق معه قبلوه» لا أدري كيف يسهل عليه مثل هذا التعبير؟ إنه لا يليق التفوه بمثل هذا الكلام في تقييم كلام إنسان عادي فكيف يوصف به كلام سيد الأنبياء وأصفى الأصفياء -صلوات الله وسلامه عليه-؟!

ويزداد الاستغراب والدهشة، إذا علمنا أنه يقصد بالركام : الأحاديث الصحيحة التي يعتبر الغزالي أن مسلك عائشة أسس لمحاكمتها .

لنفرض أن الغزالي صادق في دفاعه عن الأئمة الأربعة، وأن أناسًا سفهاء- كما يصفهم الغزالي- تطاولوا على الأئمة، فهل يرضى الأئمة هذا الاندفاع هنا وهناك في الإساءة إلى السنة والإزراء بها؟!

كلا، إن الأئمة مثل المحدثين في إجلال السنة وتعظيمها واحترامها، بل يحترمون كثيرًا من الأحاديث الضعيفة ويقدمونها على آرائهم واجتهاداتهم، بل يحترمون أقوال الصحابة وفتاواهم ويقدمونها على آرائهم .

وإنها لكارثة عظيمة أن يتصدى لقيادة شباب الأمة من يحمل مثل هذا الفكر والروح والأدب، فإلى أي متاهة يقودهم؟ وإلى أي هاوية يجرهم؟! رحماك اللَّهم رحماك .

* * *

---

(١) إعلام الموقعين : (٢ / ٢٢٨) .

موقف علماء الأمة من صحابة وفقهاء ومحدثين من حديث رسول الله ﷺ «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»

أما المحدثون فقد رووه، وهم على غاية من الثقة والاطمئنان من صحة الحديث وصحة معناه، وأنه لا يتعارض مع القرآن.

فقد رواه الأئمة: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد عن عدد من الصحابة، وهم: عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين.

أما حديث عمر رضي الله عنه: فرواه البخاري[1] ومسلم[2] من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنه عن عمر مرفوعًا.

ورواه مسلم من طريق نافع عن عبد الله بن عمر أن حفصة بكت على عمر فقال: مهلًا يا بنية ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**»[3].

ومسلم أيضا من طريق سعيد بن المسيب وأبي صالح كلاهما عن عبد الله بن عمر عن أبيه[4]، وفي حديث أبي صالح: أما علمتم أن رسول الله قال... وذكر الحديث، ومن طريق أبي بردة عن أبي موسى: لما أصيب عمر جعل صهيب يقول: وا أخاه، فقال له عمر أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الميت ليعذب ببكاء الحي**» وفي لفظ: «والله لقد علمت»[5].

ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه لما طعن عمر عولت عليه حفصة فقال: يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المعول عليه يعذب**»[6].

---

(١) ٢٣- الجنائز، ٣٢- باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته، حديث ١٢٢٨.

(٢) ١١- الجنائز، حديث ٢٢.

(٣) الجنائز، ٩، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه حديث ١٦.

(٤) الجنائز، حديث ١٧، ١٨.

(٥) الجنائز، حديث ١٩، ٢٠، وأخرجه ابن ماجه عن ابن المسيب رقم ١٠٩٣.

(٦) الجنائز، حديث ٢١.

وأما حديث عبد الله بن عمر ﷺ: فرواه البخاري[1] ومسلم[2] من طريق عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»، وفي مسلم: سمعت رسول الله ﷺ... به.

وكذا رواه النسائي[3] من حديث ابن أبي مليكة ومن حديث عروة، كلاهما عن ابن عمر ﷺ وكذا الترمذي[4] وأبو داود[5].

وأما حديث أبي موسى ﷺ: فرواه الترمذي[6] من طريق أسيد بن أبي أسيد أن موسى بن أبي موسى الأشعري أخبره عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: وا جبلاه وا سيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت» قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وكذا رواه ابن ماجه وفيه: قال أسيد فقلت: سبحان الله إن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[7] فقال: ويحك أحدثك أن أبا موسى حدثني عن رسول الله ﷺ فترى أن أبا موسى كذب؟ أو ترى أني كذبت على أبي موسى؟![8].

ومن عرض هذه الأحاديث نرى أن عددًا من الصحابة قد شاركوا أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وابنه ﷺ في السماع من رسول ﷺ لحديث تعذيب الميت ببكاء أهله، من هؤلاء أبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وصهيب: حيث قال له عمر: و الله لقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «من يبكى عليه يعذب»، وحفصة أم المؤمنين: «مهلًا يا بنية، ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه».

---

(١) الجنائز، ١٢٨٦ .

(٢) الجنائز، حديث ٢٢ .

(٣) (٤/ ١٧، ١٨) الجنائز، حديث ١٨٥٥، ١٨٥٨ .

(٤) ٨ جنائز، حديث ١٠٠٤ (٣/ ٣١٨) .

(٥) (٨/ ٤٠٠) مع عون المعبود من طريق عمرو عنه .

(٦) ٨ جنائز، حديث ١٠٠٣ (٣/ ٣١٨)

(٧) سورة الإسراء الآية١٥ .

(٨) ٦ الجنائز، حديث ١٥٩٤ .

وكذلك قرر جماعة بقوله: أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي».

إن عمر كان يعلم أن عددًا كثيرًا كان قد سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ ولو كانوا على غير علم به لقالوا: معذرة يا أمير المؤمنين فإنا لم نسمع رسول الله ﷺ يقول هذا.

ولو قال هؤلاء لعائشة إننا سمعنا الحديث كما سمعه عمر وابنه لتراجعت عن رأيها ولنسقت بين الحديث والآية.

موقف الفقهاء من حديث عمر

وأما الفقهاء فقد رجعت إلى شراح الصحيحين، وكتب السنن: من الشافعية والمالكية، والأحناف والحنابلة، فلم أر منهم إلا الإجلال والاحترام لهذه الأحاديث الدالة على تعذيب الميت ببكاء أهله- أو الحي- عليه.

قال الخطابي: «الرواية إذا ثبتت لم يكن إلى دفعها سبيل بالظن، وقد رواه عمر وابنه، وليس فيما حكت عائشة ما يدفع روايتهما، فالخبران معًا صحيحان ولا منافاة بينهما، فالميت إنما يعذب إذا أوصى بذلك في حياته، وكان ذلك مشهورًا في العرب موجودًا في أشعارهم يقول طرفة:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله   وشقي عليَّ الجيب يا بنة معبد»

وقال الحافظ في الفتح: «وقد جمع كثير من أهل العلم بين حديثي عمر وعائشة بضروب من الجمع:

أولها: طريقة البخاري، يعني قوله: «باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته».

ثانيها: وهو أخص من الذي قبله- ما إذا أوصى أهله بذلك، وبه قال المزني، وإبراهيم الحربي وآخرون من الشافعية وغيرهم، حتى قال أبو الليث السمرقندي: إنه قول عامة أهل العلم، وكذا نقله النووي عن الجمهور.

ثالثها: يقع ذلك أيضًا لمن أهمل نهي أهله عن ذلك، وهو قول داود

وطائفة . . .

قال ابن المرابط : إذا علم المرء بما جاء في النهي عن النوح ، وعرف أن أهله من شأنهم يفعلون ذلك ، ولم يعلمهم بتحريمه ، ولا زجرهم عن تعاطيه ، فإذا عذب على ذلك عذب بفعل نفسه ، لا بفعل غيره بمجرده .

رابعها : معنى قوله : «يعذب ببكاء أهله» أي : بنظير ما يبكيه أهله به ، وذلك أن الأفعال التي يعددون بها عليه غالبًا تكون من الأمور المنهية ، فهم يمدحونه بها وهو يعذب بصنيعه ذلك ، وهو عين ما يمدحونه به ، وهو اختيار ابن حزم وطائفة . . .

قال الإسماعيلي : «كثر كلام العلماء في هذه المسألة وقال كلٌّ مجتهدًا على حسب ما قدر له ومن أحسن ما حضرني وجه لم أرهم ذكروه وهو : أنهم كانوا في الجاهلية يغيرون ويسبون ويقتلون ، وكان أحدهم إذا مات بكته باكيته بتلك الأفعال المحرمة ، فمعنى الخبر : أن الميت يعذب بذلك الذي يبكي عليه أهله به ، لأن الميت يندب بأحسن أفعاله ، وكانت محاسن أفعالهم ما ذكر ، وهي زيادة ذنب في ذنوبه يستحق العذاب عليها» .

خامسها : معنى التعذيب : توبيخ الملائكة له بما يندبه أهله به ، كما روى أحمد من حديث أبي موسى مرفوعًا : «الميت يعذب ببكاء الحي ، إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصراه ، واكاسياه ، جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟ . . .» وشاهده ما رواه المصنف في المغازي من حديث النعمان بن بشير ، قال : «أغمي على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته تبكي وتقول : وا جبلاه ، وا كذا ، وا كذا ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئًا إلا قيل لي : أنت كذلك؟» .

سادسها : معنى التعذيب : تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها ، وهذا اختيار أبي جعفر الطبري من المتقدمين ، ورجحه ابن المرابط وعياض ومن تبعه ونصره ابن تيمية وجماعة من المتأخرين .

هذا ملخص ما حرره الحافظ ، ومن شاء الاستيفاء فليرجع إلى كتاب «الفتح»[1] ،

---

(١) (٣/ ١٥٤-١٥٥) .

و«شرح النووي لصحيح مسلم»[١]، و«المنتقى» لأبي الوليد الباجي المالكي[٢]، و«شرح الزرقاني على الموطأ»[٣]، و«تهذيب السنن» لابن القيم مع «عون المعبود»[٤] للعظيم آبادي، و«عمدة القاري»[٥] للبدر العيني الحنفي، ليرى أدب العلماء مع سنة رسول الله ﷺ، وتعظيمهم لهذا الحديث .

(٧) قال الغزالي: «وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهذه سوأة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء والمحققون، فالدية في القرآن واحدة، للرجل والمرأة، والزعم بأن دم المرأة أرخص وحقها أهون، زعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب»[٦]. اهـ.

أقول: مهلًا يا غزالي، من أين استقيت علمك بهذه المسألة الخطيرة ومن أنبأك أن أهل الحديث انفردوا بها؟ وأن الفقهاء المحققين قد رفضوها؟ ومتى قالوا: إن هذا الحكم مخالف لظاهر القرآن، حتى تحكم عليها بأنها سوأة خلقية وفكرية، وأنها زعم كاذب، مخالف لظاهر القرآن؟ ومن هؤلاء الفقهاء المحققون الذين رفضوها؟!

إن الفقهاء- المحققين وغير المحققين- مجمعون على هذا الحكم لا خلاف بينهم، استمع إلى الإمام الشافعي رحمه الله يقول في كتابه «الأم»[٧]:

«لم أعلم مخالفًا من أهل العلم- قديمًا وحديثًا- في أن دية المرأة نصف دية الرجل، وذلك خمسون من الإبل، فإذا قضى في المرأة بدية، فهي خمسون من الإبل وإذا قتلت عمدًا فاختار أهلها ديتها، فديتها خمسون من الإبل، أسنانها أسنان دية عمد، وسواء قتلها رجل أو نفر أو امرأة لا يزاد في ديتها على خمسين من الإبل.

---

(١) (٦/ ٢٢٨-٢٢٩) .
(٢) (٧/ ٢٧) .
(٣) (٢/ ٧٤-٧٥) .
(٤) (٨/ ٤٠٠-٤٠١) .
(٥) (٨/ ٧٨-٨٠) .
(٦) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: (ص ١٩) .
(٧) (٦/ ١٠٦).

وجراح المرأة في ديتها كجراح الرجل في ديته لا تختلف، ففي موضحتها نصف ما في موضحة الرجل، وفي جميع جراحها بهذا الحساب.

فإن قال قائل: فهل في دية المرأة- سوى ما وصفت من الإجماع- أمر متقدم؟ فنعم أخبرنا مسلم بن خالد الزنجي، عن عبد الله[1] بن عمر، عن أيوب بن موسى عن ابن شهاب وعن مكحول، وعطاء قالوا: أدركنا الناس على أن دية الحر المسلم على عهد رسول الله ﷺ مائة من الإبل، فقوّم عمر بن الخطاب تلك الدية على أهل القرى ألف دينار، أو اثني عشر ألف درهم، ودية الحرة المسلمة إذا كانت من أهل القرى خمسمائة دينار أو ستة آلاف درهم».

وقال أبو بكر ابن المنذر في كتاب «الإجماع»[2]: «وأجمعوا أن دية المرأة نصف دية الرجل».

وقال أبو محمد بن حزم في كتابه «مراتب الإجماع»[3]: «واتفقوا على أن الدية على أهل البادية: مائة من الإبل، في نفس الحر المسلم المقتول خطأً، لا أكثر ولا أقل وأن في نفس الحرة المسلمة المقتولة منهم: خمسين من الإبل» وأقره ابن تيمية رحمه الله.

وقال الإمام أبو القاسم الخرقي: «ودية الحرة المسلمة نصف دية الحر المسلم»[4].

وقال الموفق ابن قدامة الحنبلي: «قال ابن المنذر، وابن عبد البر: أجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل، وحكى غيرهما عن ابن علية والأصم أنهما قالا: ديتها كدية الرجل، لقوله ﷺ: «في النفس المؤمنة مائة من الإبل».

وهذا قول شاذ يخالف إجماع الصحابة، وسنة النبي ﷺ فإن في كتاب عمرو

---

(١) كذا والصواب: عبيد الله.

(٢) (ص ١٤٧) الفقرة ٦٧٠.

(٣) (ص ١٤٠).

(٤) المغني: (٨/ ٤٠٢).

ابن حزم[1]: ودية المرأة على النصف من دية الرجل، وهي أخص مما ذكروه، وهما في كتاب واحد، فيكون ما ذكرنا مفسرًا لما ذكروه، مخصصًا له . . .»[2].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الموطأ»[3]: «باب عقل المرأة[4]، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أنه كان يقول: تعاقل المرأة الرجل إلى ثلث الدية، أصبعها كأصبعه، وسنها كسنه، وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمنقلته.

وعن مالك، عن ابن شهاب، وبلغه عن عروة بن الزبير، أنهما كانا يقولان مثل قول سعيد بن المسيب في المرأة، أنها تعاقل الرجل إلى ثلث دية الرجل، فإذا بلغت ثلث دية الرجل كانت إلى النصف، من دية الرجل.

قال مالك: «وتفسير ذلك: أنها تعاقله في الموضحة والمنقلة، وما دون المأمومة والجائفة وأشباههما، مما يكون فيه ثلث الدية فصاعدًا، فإذا بلغت ذلك كان عقلها في ذلك النصف من عقل الرجل».

وقال القاضي أبو يوسف في كتاب «الخراج»[5]: «وكل شيء من الحر فيه دية، فهو من العبد فيه قيمته، وكل شيء من الحر فيه نصف الدية، فهو من العبد نصف القيمة، وكذلك الجراحات، على هذا الحساب.

ولا قصاص بين الرجال والنساء في العمد إلا في النفس، فإن رجلًا لو قتل امرأة قتل بها، وكذلك لو قتلته قتلت به، وأما ما دون النفس فليس بينهما فيه قصاص، وفيه الأرش، حتى لو قطع رجل يد امرأة أو رجلها أو أصبعًا من أصابعها أو شجها موضحة وذلك كله عمد، أو كانت هي فعلت ذلك به لم يكن بينهما

---

(١) الصواب أنه لم يثبت من حديث عمرو بن حزم وإنما ثبت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث معاذ معًا.

(٢) المحلى: (٨/ ٤٠٢)

(٣) (٢/ ٨٥٣-٨٥٤) ٤٣- ك العقول.

(٤) أي الدية، أما دية النفس أو دية الجراح، قال الأصمعي: سميت الدية عقلًا تسمية بالمصدر، لأن الإبل كانت تعقل بفناء ولي القتيل، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدية، إبلًا كانت أو نقدًا. الزرقاني على الموطأ: (٤ / ١٧٥).

(٥) ص ١٥٨-١٥٩ تصوير دار المعرفة، بيروت.

قصاص، وكان في ذلك الأرش، إلا في النفس خاصة، ففيها القصاص، وأرش جراحاتهن على النصف من أرش جراحات الرجال، لأن دياتهن على النصف من ديات الرجال، ولو قطع رجل يد امرأة كان عليه نصف ديتها، وديتها خمسة آلاف، فيكون عليه ألفان وخمسمائة، أو خمسة وعشرون بعيرًا».

حدثنا ابن أبي ليلى، عن الشعبي، قال: كان علي ﷺ يقول: «دية المرأة في الخطأ على النصف من دية الرجل فيما دق وجل».

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني- صاحب أبي حنيفة- رحمهما الله-: «باب في عقل المرأة، قال أبو حنيفة ﷺ في عقل المرأة: أن عقل جميع جراحها ونفسها على النصف من عقل الرجل في جميع الأشياء، وكذلك أخبرنا أبو حنيفة عن حماد، عن إبراهيم، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «عقل المرأة على النصف من عقل الرجل، في النفس وفيما دونها».

وقال أهل المدينة: عقلها كعقله إلى ثلث الدية، فأصبعها كأصبعه وسنها كسنه وموضحتها كموضحته، ومنقلتها كمنقلته، فإذا كان الثلث أو أكثر من الثلث كان على النصف»[(١)].

فهؤلاء علماء الأمة -محدثوها وفقهاؤها- قد أجمعوا على أن دية المرأة المسلمة على النصف من دية الرجل المسلم، فيذهب الغزالي -بغير علم- إلى عزو حكم اتفقت عليه الأمة إلى أهل الحديث وحدهم، ليشهر بهم وينسبهم إلى الكذب وإلى مخالفة ظاهر القرآن.

ولقد أمكن الله منه وكشف عواره ورد كيده في نحره، وكشف للناس عن المزاعم الكاذبة فعلًا.

ولقد غالى الغزالي في موضوع المرأة، وشغل نفسه والمسلمين بكتابات كثيرة حولها يطالب بها بحقوق لا تريدها ولا تحلم بها، ويزعم أن الإسلام يمنحها كل

(١) الحجة على أهل المدينة- (٤/ ٢٧٦- ٢٨٠) وراجع تعليق الأفغاني في الصحائف المشار إليها، فقد نقل الإجماع عن ابن عبد البر، والطبري، وابن حجر العسقلاني، وذكر أسماء عدد كبير من العلماء، كلها متفقة على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل.

ما يتخيله الغزالي لها .

وكل مسلم فهم الإسلام يعرف تكريم الإسلام للمرأة، أمًّا كانت أو بنتًا أو زوجًا أو أختًا، وأنه قرر لكل واحدة منهن من الحقوق والبر والرحمة، ما يقنع المرأة المسلمة ويرضيها، وما لم تتطلع إلى أكثر منه، وذلك عين العدل والحكمة.

ومع هذا التكريم فإن الرجل- بفضل من اللَّه- تبقى له مزايا لا تساويه فيها المرأة: فلقد فضل الإسلام الذكر على الأنثى من حين ولادتهما، فشرع العقيقة عن الذكر شاتان وعن الأنثى شاة واحدة .

وهما صبيان: يغسل الثوب من بول الجارية، ويرش من بول الغلام.

وفي ميراث الأبناء والبنات: للذكر مثل حظ الأنثيين، وكذلك الأخوة والأخوات.

وإذا ماتت المرأة عن زوجها فله نصف مالها إن لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد فله الربع، وإن مات عنها الزوج فلها الربع إن لم يكن له ولد، فإن كان له ولد فلها الثمن، وكذلك الحال إذا كان له زوجات، ولو مات الرجل عن عشرات البنات لا ترثن منه أكثر من الثلثين، ولو مات عن ذكر واحد- ولو طفلًا- ورث جميع ماله.

وإذا مات الميت عن أبوين فلأمه الثلث ولأبيه الثلثان، وفي ميدان الحكم والسياسة والجهاد أناط الإسلام المسئوليات بأعناق الرجال الأمناء الأكفاء، ولم يولِّ رسول اللَّه ﷺ امرأة واحدة إمرة جيش ولا قيادة سرية ولا أسند إلى امرأة إمارة حي من الأحياء فضلًا عن إمارة البلدان، ولا إمامة صلاة ولا مؤذنة ولو كان لها أدنى حقٍّ في هذه الميادين لبينه ﷺ ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا شرع ذلك من قريب أو بعيد.

وفي ميدان الشهادة والعبادة قال رسول اللَّه ﷺ في شأن النساء: «إنهن ناقصات عقل ودين».

وفي باب النكاح: المرأة لا تزوج نفسها ولا غيرها، فإن زوجت نفسها فنكاحها باطل باطل، فكيف إذا زوجت غيرها؟ والأحاديث صحيحة بذلك،

وعليه عمل المسلمين، يرضى بذلك الرجل والمرأة، والمرأة الشريفة بالأخص لا ترضى إلا ذلك، ومذهب الحنفية مرجوح.

وقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[1]، ألا تراه علل القوامه بأمرين أحدهما: فضل الرجال على النساء.

فإذا كان هذا هو واقع المرأة وحكمها في كل أطوارها وأحوالها، والمسلمون مجمعون على ذلك مطبقون عليه، فما الذي يجعل الغزالي يأنف ويتلمر من هذا الحكم من بين نظائره الكثيرة التي نص عليها القرآن الكريم وأجمع عليها المسلمون، وأين فقه القرآن إن كان جهل هذا الإجماع.

وأقول: كل هذه التشريعات حق وعدل وحكمة ووضع للأمور في نصابها، والإسلام حين يشرع هذه التشريعات العادلة الخالدة لا يتملق أصحاب الشهوات والأهواء الجامحة، ولا يتنزل إلى رغبات النفوس المريضة والعقول المخبولة، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾[2] وقال تعالى -بعد ذكر تشريعات عظيمة-: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾[3].

ينسى الغزالي هذه الفروق بين الرجل والمرأة في ميادين الحقوق والواجبات وفي القدرة على الاضطلاع بالمسئوليات، فتراه يتباكى على المرأة كثيرًا وكثيرًا ويتهم العلماء والمجتمعات الإسلامية بظلمها وهضم حقوقها، فاستمع إليه يقول: «وقد لاحظت عند تحديد الوضع الاجتماعي للمرأة أنه ما يجيء حديثان في قضية تتصل بها إلا آخر الصحيح»[4] قال: «وقد لاحظت أن هناك أحاديث ضعيفة تحكم

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٧١.

(٣) النساء: الآية ٢٧.

(٤) «دستور الوحدة» (ص ٢٨). ولعله يتهم أهل الحديث بهذه الخيانة والكتمان المزعومين فالله الحكم بينهم وبينه.

المجتمعات الإسلامية وتهزم الأحاديث الصحيحة بل المتواترة، خذ مثلًا: صلاة النساء في المساجد، فقد فهم من أحاديث لم يروها رجال الصحيح، ومع ذلك فقد أقر الرفض عمليًا وطويت الأحاديث الصحيحة والمتواترة في هذه القضية المتصلة بأهم عبادات الإسلام، والتصرف في السنة بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون دينًا قويمًا ولا صراطًا مستقيمًا»[1].

وعرض هاتين القضيتين فيه غمغمة ومغالطات، وليعلم القارئ:

أولًا: أن الرجل لا يدري ما هو التصحيح وما هو التضعيف في الحديث، وأنه لا يلتزم في الوقت نفسه بأحكام المحدثين المختصين، فهو يصحح ما ضعفوه ويضعف ما صححوه، لا ميزان عنده للتصحيح والتضعيف إلا عقله -أي هواه-.

وثانيًا: أن المرأة ما تزال تصلي في المساجد خصوصًا في الجزيرة، ولا أحد يستجيز منعها من الصلاة في المسجد، وإذا كان هناك تشدد في بعض المذاهب كالأحناف أو بعض البلدان ممن لا نعرف واقعهم فليوجه لهم النصائح النافعة بصفة خاصة ومنها أن يتأسوا بالسلفيين في كل بلد، وبعلماء الحجاز ونجد من السلفيين خاصة، فإنهم والحمد لله يحترمون السنن كلها بما فيها أحاديث صلاة النساء في المساجد.

وثالثًا: أن صلاة المرأة في المسجد سنة من السنن، وقد بينت السنة الصحيحة أن صلاتها في بيتها أفضل، وهذا يتلاءم مع قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[2].

ولو كانت هذه القضايا تخالف رأيه لحكم عليها كعادته بأنها من القشور، فأهل الحديث يهتمون أشد ما يهتمون بقضايا أساسية على طريقة الأنبياء والمصلحين، ومع ذلك يعتبرها الغزالي قشورًا وطفيليات، ونحن -والحمد لله- لا نسمي شيئًا من الإسلام قشورًا، فما أضر الهوى والتعصب على الإسلام والمسلمين.

---

(١) دستور الوحدة: (ص ٢٩).

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

٨- قال الغزالي(١): «وحديث الآحاد يفقد صحته بالشذوذ والعلة القادحة وإن صح سنده، فأبو حنيفة يرى أن من قاتلنا من أفراد الكفار قاتلناه، فإن قتل فإلى حيث ألقت، أما من له عهد وذمة: فقاتله يقتص منه، ومن ثم رفض حديث «لا يقتل مسلم في كافر» مع صحة سنده، لأن المتن معلول بمخالفته للنص القرآني: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾(٢)، وقول الله بعد ذلك: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(٣)، وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾(٤).

وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفي أدنى إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان، وإلى احترام النفس البشرية، دون نظر إلى البياض والسواد، أو الحرية والعبودية، أو الكفر والإيمان ولو قتل فيلسوف كانس طريق، قتل فيه، ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾(٥) قاعدة التعامل». اهـ

وعلى هذا الكلام مآخذ أذكرها ثم أخرج الحديث وأذكر من احتج به من العلماء، وكيف دفعوا ما توهم بعض الأحناف من تعارضه مع القرآن.

المأخذ الأول: أن الغزالي لا يفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول، ويغلب على الظن من تصرفاته أنه لا يعرف ذلك ولا يتصوره ولا يستطيع تطبيقه على منهج علماء الحديث والفقهاء.

ولإفادة بعض القراء أذكر لهم معنى الشذوذ والعلة في اصطلاح علماء الإسلام: محدثين وفقهاء وأصوليين، مع لفت النظر إلى أن الفقهاء والأصوليين لا يشترطون لصحة الحديث نفي الشذوذ والعلة.

فللشاذ تعريفات، أحسنها تعريف الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يروي غيره، إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثًا يخالف ما

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: (ص ١٨)

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٤) سورة المائدة الآية ٥٠ .

(٥) سورة المائدة الآية ٤٥ .

روى الناس»(١).

أما تعريف العلة والحديث المعل، فيقول الحافظ ابن الصلاح: «اعلم أن معرفة علل الحديث من أجلِّ علوم الحديث وأدقها وأشرفها، وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب، وهي عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه، فالحديث المعل: هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر.

ويستعان على إدراكها:

١- بتفرد الراوي.

٢- وبمخالفة غيره له.

٣- مع قرائن تنضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن على إرسال في الموصول، أو وقف في المرفوع أو دخول حديث في حديث، أو وهم واهم.

قال الخطيب أبو بكر: السبيل إلى معرفة الحديث أن يجمع بين طرقه وينظر في اختلاف رواته، ويعتبر بمكانتهم من الحفظ ومنزلتهم في الإتقان والضبط، وروى عن علي بن المديني قال: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه»(٢).

فقد ظهر للقارئ ما هو الشذوذ وما هي العلة وما هو الحديث المعل وما هي الأسباب والطرق التي يعرف ويكتشف بها العلل، وليس من بينها مخالفة الأحاديث الصحيحة للقرآن، لأن أئمة الحديث لا يحكمون للحديث بالصحة إلا بعد أن يجتاز هذه المراحل التي تتقطع دونها أعناق غيرهم من العلماء ثم لا يقطعونها، فكيف بالغزالي وأمثاله من الغرباء على الحديث وعلومه؟!

وبعد هذا؛ فاعلم أن هذا المسلك الذي يسلكه الغزالي في التعامل مع

---

(١) الحاكم: «معرفة علوم الحديث»: (ص ١١٩)، وابن الصلاح: «علوم الحديث»: (ص ٦٨)، وابن حجر: في النكت على مقدمة ابن الصلاح»: (٢ / ٦٥٢).

(٢) «علوم الحديث»: (ص ٨١-٨٢)، وانظر: «النكت» لابن حجر: (٢/ ٧١٠) فما بعدها.

الأحاديث الصحيحة، وتعليله لها بأنها تخالف القرآن، لا يسلكه العلماء إلا في التعامل مع الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ، فإذا راجعت كتب مصطلح الحديث تجد في نوع الموضوع طرقًا عديدة لكشفه وفضحه:

١- منها: ما يصرح بتكذيب راويه جمع كثير يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب أو تقليد بعضهم بعضًا.

٢- ومنها: أن يكون مناقضًا لكتاب الله أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي[1].

ثم في ضوء هذه القواعد المحكمة وغيرها تتبعوا الموضوعات وجمعوها في كتب خاصة، فمن أراد أن يعرف الأحاديث التي تعارض القرآن فليرجع إليها، ولا يبحث عنها في دواوين الإسلام المحترمة المعتبرة لدى الأمة الإسلامية إلا ذوي الأمراض والأهواء عافانا الله والمسلمين منها.

المأخذ الثاني: على احتجاجه بقول الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: لا أدري ما يريد به، أيريد أن الحكم بين أهل الكتاب لا يجوز أن يكون إلا بالقرآن ولا يجوز أن يكون بالسنة لأنها ليس مما أنزل الله؟ فإن كان يريد ذلك- وهو الظاهر- فإنها لكارثة!

المأخذ الثالث: على احتجاجه بقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾: فهل يرى أن مضمون هذا الحديث من أحكام الجاهلية أو يشبهها؟ فإن كان يريد ذلك فإنه لأمر عظيم وخطب جسيم!

المأخذ الرابع: على قوله: «وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفي أقرب إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان»: فهل من العدل أن يساوى بين الكفر والإيمان؟ وبين المؤمنين والكافرين؟!

إن القرآن الكريم ليستنكر أشد الاستنكار أن يساوى بين المسلمين والمجرمين، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ

(١) «النكت» لابن حجر على مقدمة ابن الصلاح: (٢/ ٨٤٦).

كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2].

ومن المصائب أن يجعل الغزالي من مرجحات الفقه الحنفي قربه من مواثيق حقوق الإنسان! فهل هي منزلة من السماء؟ وهل أحسنت إلى الفقه الحنفي حين جعلته أقرب إلى مواثيق حقوق الإنسان: فقه أئمة الكفر من دجاجلة أوربا وأمريكا: من يهود ونصارى وملاحدة؟ وهل أحسنت إلى حديث رسول الله ﷺ حيث عبرت عنه بأنه قد رفضه أبو حنيفة؟ وفي السياق نفسه تسوق هذه المواثيق الجاهلية الكافرة مساق التكريم ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾؟.

المأخذ الخامس: على قوله: «وأقرب إلى احترام النفس البشرية دون النظر إلى البياض والسواد أو الحرية والعبودية أو الكفر والإيمان». بالإضافة إلى ما سبق من الفوارق بين المسلم والكافر.

أقول: إن الأصل: أن الكافر لا حرمة له، ويكتسب الذمي والمعاهد حرمة محدودة بسبب دخوله تحت ذمة المسلمين الذين فرض عليهم الإسلام احترام العهود والمواثيق، ولكن ليس معنى حرمة نفسه أن يكون مثل المسلم سواء بسواء، فإذا مات الذمي، فلا نصلي عليه ولا ندفنه في مقابر المسلمين ولا نستغفر له، قال تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[4].

ومن أحسن ما قيل في الفرق بين المؤمن والكافر ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله قال[5]: «لا يقتل مؤمن بكافر، ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم، ودية

---

(١) سورة ن: الآيات ٣٥-٣٨.
(٢) سورة الجاثية: الآية ٢١.
(٣) سورة التوبة: الآية ٨٤.
(٤) سورة التوبة: الآية ٢٨.
(٥) الأم: (٧/ ٤٢١)

المجوسي ثمانمائة درهم، وقد خالفنا في هذا غير واحد من بعض الناس وغيرهم، وسألني بعضهم وسألته، وسأحكي ما حضرني منه إن شاء الله تعالى .

فقال: ما حجتك في ألا يقتل مؤمن بكافر فقلت:

١- ما لا ينبغي لأحد دفعه، مما فرق الله به بين المؤمنين والكافرين .

٢- ثم سنة رسول الله ﷺ أيضًا .

٣- ثم الأخبار عمن بعده .

فقالوا: وأين ما فرق الله به بين المؤمنين والكافرين من الأحكام؟ فأما الثواب والعقاب فما لا أسأل عنه، ولكن أسأل عن أحكام الدنيا . فقيل له:

١- يحضر المؤمن والكافر قتال الكفار، فنعطي نحن وأنت المؤمن السهم ونمنعه الكافر، وإن كان أعظم غناء منه .

٢- ونأخذ ما أخذنا من مسلم بأمر الله صدقة يطهره الله بها ويزكيه ويؤخذ ذلك من الكفار صغارًا، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]، فوجدت الكفار في حكم الله ثم في حكم رسوله في موضع العبودية للمسلمين .

صنفًا متى قدر عليهم تعبدوا وتؤخذ منهم أموالهم لا يقبل منهم غير ذلك، وصنفًا يصنع ذلك بهم إلا أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإعطاء الجزية إذا لزمهم، فهو صنف من العبودية، فلا يجوز أن يكون من كان خولًا للمسلمين في حال، أو كان خولًا لهم بكل حال إلا أن يؤدي جزية فيكون كالعبد المخارَج في بعض حالاته كفؤًا للمسلمين.

٣- وقد فرق الله ﷻ بينهما بهذا وبأن أنعم على المسلمين فأحل لهم حرائر نساء أهل الكتاب، وحرم المؤمنات على جميع الكافرين مع ما يفترقون فيه سوى هذا . قال: إن فيما دون هذا لفرقًا ولكن ما السنة»، ثم مضى في نقاش مناظره بأسلوب يعلو به عليه ويظهر به مكانة الشافعي وعلمه وقوة حجته رحمه الله .

(١) سورة التوبة الآية ٢٩ .

فمن هذا حاله، فأي عدالة هذه التي تسوي بين التوحيد والشرك، والإيمان والكفر والنجاسة والطهر؟!

أين إدراك معاني القرآن القريبة والبعيدة أيها الفقيه؟ فأين أنت من قولك: «كل ما نحرص عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي، والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة».

فليهمس صغار أهل الحديث في أذن الغزالي بالمثل السائر (رمتني بدائها وانسلت».

تخريج حديث علي رضي الله عنه

عن أبي جحيفة: سألت عليًا رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، وإلا فهمًا يعطى الرجل في كتابه، وما في الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر».

أخرجه البخاري[1]، والترمذي[2]، والنسائي[3]، وأحمد[4]، والدارمي[5]، وابن الجارود[6]، وابن أبي شيبة[7]، وعبد الرزاق[8].

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه رواه الترمذي[9]

---

(١) ٨٧- كتاب الديات، ٣١- باب لا يقتل المسلم بالكافر، حديث (٦٩١٥).

(٢) (٤/ ٢٤) ١٤- كتاب الديات، ١٦- باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر حديث (١٤١٢).

(٣) (٨/ ٢٣-٢٤) ٤٥- كتاب القسامة، ١٤- باب سقوط القود من المسلم للكافر حديث (٤٧٤٤-٤٧٤٦).

(٤) (١/ ٧٩).

(٥) (٢/ ١١٠) حديث (٢٣٦١).

(٦) ص (٢٦٨)، الديات حديث (٧٩٤).

(٧) في المصنف (٩/ ٢٩٣)

(٨) (١٠/ ٩٩-١٠٠)

(٩) (٤/ ٢٥) ١٤- الديات، حديث (١٤١٣).

وعبد الرزاق[١]، وابن أبي شيبة[٢] وأبو داود[٣]، وابن ماجه[٤].

قال الترمذي: حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتل مسلم بكافر».

وفي إسناده أسامة بن زيد الليثي، صدوق يهم، فالحديث صالح للاستشهاد به ويزيد حديث علي رضي الله عنه قوة على قوة.

عبد الرزاق[٥]، عن معمر، عن الزهري قال: لا قود على المسلم من كافر، كتب النبي ﷺ في الكتاب الذي كتب بين قريش والأنصار: «ألا يقتل مؤمن بكافر» قال معمر أخبرنيه الزهري.

عبد الرزاق[٦]، عن ابن جريج، قال أخبرني أبو قزعة، عن الحسن: أن النبي ﷺ قال: «المسلمون يد على من سواهم وتتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده».

آثار في هذا الباب

١- عبد الرزاق[٧] عن معمر، عن الزهري عن سالم عن ابن عمر: أن رجلًا مسلمًا قتل من أهل الذمة عمدًا، فرفع إلى عثمان، فلم يقتله به وغلظ الدية عليه مثل دية المسلم. قال الزهري: وقتل خالد بن المهاجر رجلًا من أهل الذمة في زمن معاوية، فلم يقتله به وغلظ عليه الدية ألف دينار.

٢- قال أبو بكر بن أبي شيبة[٨]: حدثنا ابن مسهر عن ابن أبي عروة عن قتادة،

---

(١) في المصنف: (١٠/ ٩٩).
(٢) في المصنف: (٩/ ٢٩٤).
(٣) في السنن: (٤/ ٦٤٦)، ٣٢- الديات، حديث (٤٥٠٦)
(٤) في السنن: (٢/ ٨٨٧)، ٢١- الديات، حديث (٢٦٥٩)
(٥) المصنف: (١٠/ ٩٨).
(٦) المصنف. (١٠/ ٩٩).
(٧) في المصنف: (١٠/ ٩٦)، والمحلى: (١٠/ ٤٢٤)، وقال ابن حزم عقبه: «وهذا في غاية الصحة عن عثمان، ولا يصح لي هذا شيء غير هذا عن أحد من الصحابة».
(٨) في المصنف: (٩/ ٢٩٤).

عن أبي المليح أن رجلًا من قومه رمى رجلًا يهوديًا بسهم فقتله، فرفع إلى عمر بن الخطاب، فأغرمه أربعة آلاف ولم يقد منه.

عبد الرزاق[1] عن عبد الله بن محرر قال: سمعت أبا مليح بن أسامة يحدث: أن مسلمًا قتل رجلًا من أهل الكوفة، فكتب فيه أبو موسى إلى عمر، فكتب فيه عمر: «إن كانت طائرة منه فأغرمه الدية، وإن كانت خلقًا أو عادة فأقده منه».

عبد الرزاق عن ابن جريج قال: «أخبرني عبد العزيز بن عمر أن في كتاب لعمر بن عبد العزيز، أن عمر بن الخطاب قضى في رجل قتل رجلًا من أهل الذمة نصرانيًا أو يهوديًا، فكتب: إن كان لصًا عاديًا فاقتلوه، وإن كانت إنما هي طيرة منه في غرض، فأغرموه أربعة آلاف درهم».

إسناد ابن أبي شيبة صحيح إلى أبي المليح، وهو ثقة لكنه لم يدرك عمر، وابن أبي عروة فيه تصحيف عن ابن أبي عروبة، انظر: نصب الراية: (٤ / ٣٦٥).

وابن محرر في إسناد عبد الرزاق متروك، وكتاب عمر بن عبد العزيز فيه إرسال إلى عمر لكنه يقوي إسناد أبي مليح.

وفي الباب آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين تركناها اختصارًا.

القائلون بمضمون هذه الأحاديث والآثار السالفة الذكر

ذهب جمهور أهل العلم إلى الأخذ بهذه الأحاديث، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، ولا يثبت فيه اختلاف بين أصحاب رسول الله ﷺ[2]: وهذا المذهب يرتكز:

أولًا: على النصوص الواردة في القضية مباشرة: «لا يقتل مسلم بكافر».

ثانيًا: على المنهج الإسلامي العام، في التفريق الواضح بين المسلم والكافر ذي وعاه الصحابة، وفقهاء الأمة من آيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة

---

(١) في المصنف: (١٠ / ٩٦).

(٢) انظر: المحلى: (١٠ / ٤٢٤).

من سنة الرسول الكريم ﷺ، وقد سلف ذكر شيء منها.

وثالثًا: يدعمه قواعد الشريعة وأصولها، فالأحاديث الواردة في عدم قتل المسلم بالكافر تخصص قول الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[1] وليس هذا ببدع من الأمر.

ويؤيد هذا التخصيص النبوي: الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة في التفريق بين المؤمن والكافر، وتحقير شأن الكافرين والإشادة بكرامة المؤمنين وعزتهم ومكانتهم عند الله.

المخالفون

قال الحافظ ابن حجر: «وخالف الحنفية، فقالوا: يقتل المسلم بالذمي إذا قتله بغير استحقاق ولا يقتل بالمستأمن».

وعن الشعبي والنخعي: «يقتل باليهودي والنصراني دون المجوسي»[2].

قال ابن حزم: «ولا يثبت عن الشعبي، فإن راويه عنه ابن أبي ليلى وهو ضعيف، وداود الزعافري وهو ساقط»[3].

وليعلم القارىء أن أبا حنيفة وأصحابه الأولين لم يردوا حديث علي وغيره بالقرآن، ويؤخذ من نقل الإمام محمد بن الحسن رحمه الله عن شيخه الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنهما لم يطلعا على حديث علي ومن معه في هذه القضية، ولو اطلعا عليه لأخذا به، هذا ما نعتقده فيهما وفي أمثالهما من أهل العلم والفضل، وأصولهما وما صرحا به من مثل قول أبي حنيفة «إذا صح الحديث فهو مذهبي» تؤيد هذا الاعتقاد.

وأنا أسوق للقارئ ما نقله الإمام محمد بن الحسن عن شيخه أبي حنيفة -رحمهما الله-:

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٢) فتح الباري (١٢ / ٢٧٣)، وانظر: «تحفة الأحوذي» (٤/ ٦٧١)، و«المغني لابن قدامة» (٨/ ٢٧٣).

(٣) المحلى: (١٠ / ٤٣٢)

قال كَغْلَلهُ في كتاب «الحجة على أهل المدينة»[1]: «قال أبو حنيفة رضي الله عنه: ودية اليهودي والنصراني والمجوسي مثل دية الحر المسلم، وعلى من قتله من المسلمين القود.

وقال أهل المدينة: دية اليهودي والنصراني إذا قتل أحدهما نصف دية الحر المسلم، ودية المجوسي ثمانمائة درهم.

وقال أهل المدينة: لا يقتل مؤمن بكافر.

١- قال محمد: وقد روى أهل المدينة أن رسول الله ﷺ قتل مسلمًا بكافر، وقال: «أنا أحق من وفى بذمته».

٢- قال محمد: أخبرنا إبراهيم بن محمد عن ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن البيلماني[2]: أن رجلًا من المسلمين قتل رجلًا من أهل الذمة فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ قال: «أنا أحق من وفى بذمته» ثم أمر به فقتل، فكان يقول بهذا أفقههم ربيعة بن أبي عبد الرحمن وقد قتله أهل المدينة إذا قتله غيلة.

٣- وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أن يقتل رجل من المسلمين يقتل رجلًا نصرانيًا غيلة من أهل الحيرة، فقتله»[3].

٤- وقد بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: «إذا قتل المسلم النصراني قتل به»[4].

٥- أخبرنا ابن المبارك عن معمر بن راشد، قال حدثني من شهد قتل رجل بذمي بكتاب عمر بن عبد العزيز.

---

(١) (٤/ ٣٢٢-٣٤٧) مع تعليقات الأفغاني.

(٢) عبد الرحمن بن البيلماني مولى عمر، مدني نزل حران، ضعيف من الثالثة، «التقريب»: (ص ٣٣٧) وذكره ابن حبان في «الثقات»، قال أبو حاتم: «لين»، وقال الدارقطني: «ضعيف لا تقوم به حجة»، وقال الأزدي: «منكر الحديث ولا يعرف أنه سمع من أحد من الصحابة إلا من سرق»، «تهذيب التهذيب»: (٦/ ١٥٠). وفي الإسناد أيضًا ابن أبي يحيى، وهو أشد ضعفًا من ابن البيلماني

(٣) بلاغ بدون إسناد.

(٤) بلاغ بدون إسناد ويبعد من علي مخالفته لما رواه عن النبي ﷺ.

٦- أخبرنا قيس بن الربيع، عن أبان بن تغلب، عن الحسن بن ميمون[1]، عن عبد الله بن عبد الله مولى بني هاشم، عن أبي الجنوب الأسدي[2] قال: «أتي علي بن أبي طالب ﷺ برجل من المسلمين قتل رجلًا من أهل الذمة، فقامت عليه البينة، فأمر بقتله، فجاءه أخوه، فقال: قد عفوت عنه قال: فلعلهم هددوك أو فرقوك؟ قال: لا، ولكن قتله لا يرد علي أخي، وعوضوني فرضيت، قال: أنت أعلم، من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا».

٧- أخبرنا أبو حنيفة عن حماد، عن إبراهيم، قال: «دية المعاهد كدية الحر المسلم».

٨- وحدثنا أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم أن رجلًا من بني بكر بن وائل قتل رجلًا من أهل الحيرة، فكتب فيه عمر بن الخطاب ﷺ أن يدفع إلى أولياء المقتول فإن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا عفوا، فدفع الرجل إلى ولي المقتول، إلى رجل يقال له حنين، من أهل الحيرة فقتله، فكتب عمر بعد ذلك إن كان الرجل لم يقتل، فلا تقتلوه فرأوا أن عمر أراد أن يرضيهم من الدية[3].

٩- أخبرنا محمد بن يزيد، قال: أخبرنا سفيان بن حسين، عن الزهري، أن ابن شاش الجذامي قتل رجلًا من أنباط الشام، فرفع إلى عثمان بن عفان ﷺ فأمر بقتله، فكلمه الزبير وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فنهوه عن قتله، قال: فجعل ديته ألف دينار.

أقول: يرى القارئ مما روى محمد بن الحسن عن شيخه أبي حنيفة -رحمهما الله-:

أولًا: أنه لم يحتج بآية ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾[4] ولا بغيرها من الآيات، ولا يرى

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) ضعيف، انظر: «الجرح والتعديل». (٦/ ٣١٣)، و«تهذيب التهذيب». (٧/ ٢٤٧).

(٣) وروى محمد بن الحسن هذا الأثر في كتابه الآثار: (ص ١٢٨) رقم ٥٩٠، وقال عقبه: وبه نأخذ، إذا قتل المسلم المعاهد عمدًا قتل به، وهو قول أبي حنيفة ﷺ وكذلك بلغنا عن النبي ﷺ أنه قتل مسلمًا بمعاهد وقال: «أنا أحق من وفى بذمته»، وهو مرسل في الكتابين كما ترى.

(٤) سورة المائدة الآية ٤٥.

ما ذكره الغزالي من أن أبا حنيفة قد رفض الحديث الصحيح: «ولا يقتل مسلم بكافر». لأنه خالف هذا النص ولا غيره من القرآن.

ثانيًا: أن محمد بن الحسن جرى على سنن غيره من العلماء في الاحتجاج بالسنن والآثار التي يعتقد أنها تقوم بها الحجة، وما كان يرى أن في آية ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ دليلًا على قتل المؤمن بالكافر ولو كان يرى ذلك لاحتج بالآيات القرآنية قبل الأحاديث والآثار ولا كان يرى تعارضًا بين الحديث والقرآن في هذه القصة.

ثالثًا: أن الحديث الذي احتج به والآثار لا يثبت منها شيء كما ذكر ذلك ابن حزم في «المحلى»، وما علقته على أسانيدها.

والذي أعتقده في الإمامين أنه لو بلغهما حديث عليٍّ الصحيح، وحديث عمرو بن شعيب، والآثار الصحيحة عن الصحابة لتراجعا عن رأيهما، كما هو منهج السلف في الرجوع عن الخطأ إلى الصواب، وعن الباطل إلى الحق، وقد رجع من كبارهم عن هذا الرأي: الإمام زفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد ذكر الطحاوي[1] حديث علي رضي الله عنه من طريقين مسلِّمًا بصحته، لكنه تأوله في ضوء اللغة والنظر، وحديث ابن البيلماني المرسل الضعيف وفي ضوء بعض الآثار التي لا تثبت، ثم نزله على بعض الكفار كالحربي والمستأمن، ولم يسق في الموضوع آية ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ ولا غيرها من الآيات القرآنية، لأنه لا يرى في القرآن دليلًا على قتل المؤمن بالكافر ولا يرى تعارضًا بين الحديث والنصوص القرآنية.

ويبدو أنه لما طال الزمان واستمر الخلاف بين أهل المذاهب زج متعصبو الأحناف بالآيات القرآنية في هذا الموضوع قتل المؤمن بالكافر، وفرحوا بهذا الاكتشاف الغريب الذي لم يخطر ببال الإمام أبي حنيفة ولا ببال كبار أصحابه وفحولهم، بل ولا ببال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فصار المتعصبون المكابرون يسلون أنفسهم في مواجهة أحاديث رسول الله ﷺ بأن معهم القرآن،

---

(١) «شرح معاني الآثار»: (٣/١٩٢-١٩٦).

وأخبار الآحاد الصحيحة ترد بالقرآن في زعمهم .

لكن فحول العلماء تصدوا لتفنيد هذه المغالطات، ومن هؤلاء الفحول: الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المحلي»[(١)]:

«ثم نظرنا في قول من قال: يقتل المسلم بالذمي وبالمعاهد فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى:

١- ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[(٢)]، قالوا: وهذا عموم.

٢- وبقوله تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[(٣)].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[(٤)].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[(٥)].

٥- وبقوله ﷻ: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[(٦)].

٦- وبقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾[(٧)].

٧- وقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[(٨)].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه:

---

(١) (١٠/ ٤٢٥-٤٢٨)، وراجع في هذا الموضوع «أحكام القرآن» لابن العربي المالكي: (٢/ ٦٢٢-٦٢٣)، و«أضواء البيان» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (٢/ ١٠٤).

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥

(٣) سورة المائدة الآية ٤٥

(٤) سورة الشورى الآية ٤٠ .

(٥) سورة النحل الآية ١٢٦ .

(٦) سورة الشورى الآية ٤١- ٤٢ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٧٨

(٨) سورة الإسراء الآية ٣٣ .

١- أما قول الله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[1] فإن هذا مما كتب الله ﷻ في التوراة، ولا تلزمنا شرائع من قبل نبينا ﷺ.

ثم لو صح أنا ملزمون ذلك لكان القول في هذه الآية كالقول في الآيات الأخر التي ذكرناها.

وأيضًا: ففي آخر هذه الآية بيان أنها في المؤمنين بالمؤمنين خاصة، لأنه قال تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾[2]، ولا خلاف بيننا وبينهم في أن صدقة الكافر الذمي المقتول عمدًا لا تكون كفارة له، فبطل تعلقهم بهذه الآية.

٢- وأما قوله تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[3]: فإن الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين لا للكافرين، فالمؤمنون هم المخاطبون في أول الآية وفي آخرها بأن يعتدوا على من اعتدى عليهم بمثل ما اعتدى به عليهم، وليس فيها أن يعتدي غير المؤمنين على المؤمنين باعتداء يكون من المؤمنين عليهم أصلًا.

وإنما وجب القصاص من الذمي للذمي بقول الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[4] لا بالآية المذكورة.

٣- وأما قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[5]: فهي في المؤمن يساء إليه خاصة، لأن نصها: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ولا خلاف في أن هذا ليس في الكفار، ولا أجر لهم ألبتة.

٤- وأما قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾[6] فكذلك -أيضا- إنما هو خطاب للمؤمنين خاصة يبين ذلك ضرورة قوله تعالى فيها: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٩.

(٥) سورة الشورى: الآية ٤٠.

(٦) سورة النحل: الآية ١٢٦.

فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾(١)، ولا خير لكافر أصلا صبر أو لم يصبر، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٢).

٥- وأما قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(٣).

٦- وقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾(٤).

٧- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾(٥).

٨- وقوله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾(٦) الآية، والأخبار الثابتة التي فيها النفس بالنفس، ومن قتل له قتيل، فإما أن يودي وإما أن يقاد: فإن كل ذلك يخص بقول الله ﷻ:

- ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٧).

- وبقوله ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾(٨).

- وبقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾(٩).

فوجب يقينا أن المسلم ليس كالكافر في شيء أصلًا ولا يساويه في شيء. فإذ هو كذلك فباطل أن يكافأ دمه بدمه، أو عضوه بعضوه، أو بشرته ببشرته، فبطل أن يستقاد للكافر من المؤمن أو يقتص له منه فيما دون النفس، إذ لا مساواة بينهما أصلًا..

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٣.

(٣) سورة الشورى: الآيتان ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الإسراء الآية ٣٣.

(٥) سورة الحج: الآية ٦٠

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٨

(٧) سورة القلم الآية٣٥.

(٨) سورة السجدة: الآية ١٨.

(٩) سورة النساء: الآية ١٤١.

ولما منع الله ﷻ أن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلًا وجب ضرورة ألا يكون له عليه سبيل في قود ولا في قصاص أصلًا، ووجب ضرورة استعمال النصوص كلها إذ لا يحل ترك شيء منها.

قال: «ومن فضائح الحنفيين . . . قطعهم يد المسلم بيد الذمي الكافر، ومنعهم من قطع يد الرجل المسلم بيد المرأة الحرة المسلمة؟ نعم، ولا يقطعون يد الذمي الكلب إن تعمد قطع يد امرأة حرة مسلمة، فاعجبوا لهذه المصائب».

ثم استمر في نقاشهم في آثار يتعلقون بها بالحجج القوية، ويرد شبهاتهم من حيث الأسانيد وفساد الاستدلال بالمتون.

الخلاصة

ولقد تجلى للقارئ:

أولًا: براءة الإمام أبي حنيفة رحمه الله مما نسبه إليه الغزالي من رفض هذا الحديث الصحيح، لأنه- يزعم الغزالي- يعارض القرآن، وبراءة فحول الصحابة من هذا.

ثانيًا: أن اعتمادهم كان على حديث ضعيف وآثار لا تثبت، لكن هذا مبلغ علمهم، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ثالثًا: أن معارضة السنة بالقرآن مذهب رديء من مذاهب المنحرفين من المعتزلة ومن جاراهم من ضلال المتكلمين، يتنزه عنه السلف ومنهم أبو حنيفة وكبار تلاميذه.

رابعًا: أن أحاديث «لا يقتل المسلم بالكافر» أخذ بها جمهور الأمة، ومنهم الصحابة ولا يثبت بينهم اختلاف، والآثار المنسوبة إلى بعضهم والتي تظهر منها مخالفة هذه الأحاديث لا تثبت في ميزان النقد العلمي.

خامسًا: الآيات القرآنية، والسنة النبوية تؤيد هذه الأحاديث وما ذهب إليه الجمهور، عكس ما يتوهمه المتعصبون المقلدون الذين لا يفقهون قرآنًا ولا سنة ومن أظهر أمثلتهم الغزالي، الذي يكثر من رمي أهل الحديث بعدم فقه القرآن ظلمًا

ومجازفات يخجل منها العقلاء.

والواقع أنه من أبعد خلق الله عن فهم القرآن، ومن أجرأ الناس على رد سنن رسول الله ﷺ الصحيحة والطعن فيها بالجهل والهوى.

(٩) تعرض الغزالي للخلاف في تحية المسجد والإمام يخطب ورجح القول بمنعها بدون برهان ولا منهج علمي.

ثم قال: «وندع قضية الخطب فيها سهل إلى قضية علمية مهمة لها وزنها ولا نحب أن نجعل منها قضية عقائدية».

ثم قال: «من الذي نزل بالقرآن الكريم على صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله؟ يقول المسلمون خاصتهم وعامتهم أنه أمين الوحي جبريل) وأجهد نفسه في سوق الأدلة من القرآن الكريم فساق خمسة أدلة تؤيد هذه الحقيقة:

منها: قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[2].

وفسر الآية بقوله: «شديد القوى الذي علمه الوحي، ونزل به من السماء الدنيا، وحلق به في جو الأرض، ثم اقترب به من الرسول العربي هو جبريل بداهة، ولا يحتمل السياق إلا هذا، ومع ذلك فقد جاءت في الأحاديث المنقولة بطريق الآحاد رواية مستغربة أن الذي دنا فتدلى هو الله!!

والرواية تخالف المقطوع به من الكتاب والسنة، ومن هنا لم يكترث بها المحققون، بل جمدت في مكانها، حتى جاء ضعفاء الفقه، فاستصحبوها دون وعي.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٢) سورة النجم: الآيات ٤-١٠.

وقد ضقت ذرعا بأناس قليلي الفقه كثيري النظر في الأحاديث، يصدرون الأحكام ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة، ولا زلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جريء، واعتمادهم كله على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامي المستوعب لشئون الحياة.

وقد جاء الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ فعلق على رواية إمامه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فبين ما بها من عطب، وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذي ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر.

إن مسلمًا مضى على منهج المحدثين، فناقش عمل شريك الراوي عن أنس، ثم رفض المتن وحسنا فعل.

إن الخطأ في تفسير آية النجم - والزعم بأن المعنى - دنا الجبار رب العزة فتدلى كان مثار استنكار السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فلما سألها مسروق يا أماه هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[2]. ومن حدثك أنه يعلم ما في غد، فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين»[4].

أقول: إن على كلامه هذا مآخذ:

الأول: على قوله: «وندع قضية الخطب فيها سهل إلى قضية علمية مهمة لها وزن، ولا نحب أن نجعل منها قضية عقائدية».

أ- نسأله: لماذا تثير الخلافات الفقهية ما دمت تعتقد أن الخطب فيها سهل؟ خصوصًا وهي خارجة عن موضوع كتابك الذي ألفته لإبراز الصراع بين الفقهاء

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٧.

(٤) السنة النبوية...: ص ٢٠-٢٣

والمحدثين مع أن الخلاف دائر فيها بين الفقهاء أنفسهم .

ب- هذه القضية العلمية المهمة التي لها وزن قلت: «لا نحب أن نجعل منها قضية عقائدية» فهل المسائل العلمية المهمة ذات الوزن تتبع الأهواء والرغبات إن شئنا جعلناها عقائدية وإن شئنا جعلناها فكرية وإن شئنا جعلناها طفيليات؛ كما تعبر عنها أنت بذلك، وإن شئنا نتركها هكذا بدون تصنيف لا هنا ولا هناك . كما في هذه المسألة التي تقول أنها علمية مهمة ولها وزن؟ نريد الجواب المقنع لأن السلف والخلف يجعلون المسائل العلمية الغيبية في قسم العقائد.

ثم لماذا هذه الضجة والطعن والتجريح والتهويل في مسألة لا تريد أن تجعلها عقائدية؟

الثاني: إن المقصود بهذا الطعن والتشويه هو الإمام البخاري الفقيه البصير والحافظ الناقد الكبير أمير المؤمنين في الحديث الناصح الأمين الذي سلمت الأمة بإمامته وإخلاصه، والذي قدم للأمة الإسلامية أصح كتاب بعد كتاب الله بشهادة أحبار الأمة ونقادها وحفاظها وفقهائها من مختلف المذاهب والمشارب هذا الكتاب العظيم الذي تلقته الأمة بالقبول والحفاوة والاحترام والحفظ والدراسة والشروح والتآليف حول رجاله وألفاظه ومعانيه حيث بلغت الكتب التي دارت حوله ما يزيد عن خمسمائة كتاب.

وله من التآليف النافعة: «التاريخ الكبير» في الرجال الذي يعد ابتكارًا لهذا الفن من هذا الإمام الفذ وله «الأدب المفرد» و«الكنى» و«خلق أفعال العباد»، هذا الرجل العظيم الذي قدم للإسلام والمسلمين أصح كتاب بعد كتاب الله لا يطعن فيه وأمثاله إلا عبد مخذول لا يعرف قدر العلم والسنة ولا يعرف قدر العظماء الذين تشرف بهم الأمم .

الثالث: قلتَ: «إن المسلمين خاصتهم وعامتهم يقولون: بأن الذي نزل بالقرآن على صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله هو أمين الوحي جبريل»، وليس هذا القول وليد إشاعة لا يدرى مصدرها، بل هو قول مستند إلى المتواتر من الكتاب والسنة جميعًا» ثم سقت خمسة أدلة لإثبات هذه القضية .

أسألك هل تعتقد أن أهل الحديث يخالفون في هذه القضية التي تواتر بها القرآن والسنة جميعًا وأجمع عليها المسلمون؟

وهل هذه الرواية المستغربة تتضمن جحد وإنكار هذه القضية المتواترة والمجمع عليها فيدان راويها بأنه يروي ما يخالف القطعيات؟

فإذا قلت: لا أقصد هذا، فلماذا تقيم الدنيا وتقعدها بسَوق هذه الأدلة والإجماع والطعن والتجهيل والتحقير؟!

الرابع: قلتَ: «القوى الذي علمه الوحي ونزل به من السماء الدنيا وحلق به في جو الأرض هو جبريل بداهة لا يحتمل السياق إلا هذا». «والرواية تخالف المقطوع به من الكتاب والسنة».

أقول: في قولك: «ونزل به من السماء الدنيا» نظر لأنه ينطوي على أن جبريل لم يسمع القرآن من الله وينطوي على إنكار علو الله على خلقه، وكونه في السماء على العرش استوى[1] وهذه أكبر وأدهى وأمر من الخطأ في رواية شريك بمراحل.

وقولك: «هو جبريل بداهة لا يحتمل السياق إلا هذا...» إلخ ليس الأمر كما ذكرت ولو كان الأمر كما تدعي فكيف يفسر حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الآية بما يخالف هذا الأمر البدهي المقطوع به بالكتاب والسنة ويتلقاه عنه أئمة أصحابه ويتداوله المفسرون كما سيأتي.

قال ابن جرير[2] بعد أن روى عن الحسن وقتادة والربيع أن الذي دنا فتدلى هو جبريل، قال: «وقال آخرون: بل معنى ذلك ثم دنا الرب من محمد ﷺ فتدلى».

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[3] قال: «دنا ربه فتدلى».

---

(١) انظر كتابه: «هموم داعية»: ص ٩- ١١؛ فقد سئل عن فوقية الله فتهرب من الإجابة ولم يصرح بإثباتها

(٢) في تفسيره: (٢٧ / ٤٤- ٤٥).

(٣) سورة النجم الآية ٨.

حدثنا الربيع قال: ثنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله ﷺ وساق الحديث وفيه: «حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه ما شاء الله. . . . » الحديث.

قال الحافظ ابن حجر[1] رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أخرج الأموي في مغازيه ومن طريقه البيهقي عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[2]، قال: دنا منه ربه، وهذا سند حسن، وهو شاهد قوي لرواية شريك».

وقال السيوطي في «الدر المنثور»[3]: «وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قال: «دنا ربه فتدلى».

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[4] قال: كان دنوه قدر قوسين، ولفظ عبد بن حميد قال: كان بينه وبينه مقدار قوسين.

وقال ابن الجوزي: «وفي المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الله عَزَّ وَجَلَّ، وروى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس بن مالك قال: دنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى.

وروى أبو سلمة، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قال: «دنا ربه فتدلى»، وهذا اختيار مقاتل، قال: دنا الرب من محمد ﷺ ليلة أسري به أو كاد منه قاب قوسين أو أدنى، وقد كشفت هذا الوجه في كتاب المغني وبينت أنه ليس كما يخطر بالبال من قرب الأجسام وقطع المسافة، لأن ذلك يختص بالأجسام والله منزه عن ذلك».

---

(١) فتح الباري له: (١٣/ ٤٨٤).

(٢) سورة النجم الآية ١٣.

(٣) (٧/ ٦٤٥)

(٤) سورة النجم الآية ٩.

والمهم أنه يرى صحة هذا الوجه وإن تأوله على طريقة الخلف ولو قال- إذ سلم بصحته- إنه قرب يليق بجلاله لكان أسلم وأصوب من هذا التعبير.

قال: «والثاني: أنه محمد دنا من ربه قاله ابن عباس، والقرطبي.

والثالث: أنه جبريل.

ثم في الكلام قولان:

أحدهما: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى رسول الله ﷺ، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: دنا جبريل من ربه ﷻ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى قاله مجاهد»[١].

وقال القرطبي: وعن ابن عباس- أيضًا- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[٢] أن معناه أن الله -تبارك وتعالى- دنا من محمد ﷺ فتدلى، وروى نحوه عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ، والمعنى دنا منه أمره وحكمه، وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب، فوضع موضع القرب[٣].

وقد سلم القرطبي بصحة هذا الوجه ثم تأوله كما ترى.

وفي صحيح مسلم[٤] رحمه الله في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[٥] وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص، عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو سعيد الأشج، جميعًا عن وكيع قال الأشج حدثنا وكيع عن الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي جهمة عن أبي العالية عن ابن

(١) زاد المسير: (٨/ ٦٦).

(٢) سورة النجم الآية ٨.

(٣) في تفسيره: (١٧/ ٨٩).

(٤) (١/ ١٥٨) حديث (١٧٦).

(٥) سورة النجم الآية ١٣.

عباس، قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۝ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۝ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[1] قال: رآه بفؤاده مرتين.

وقال البغوي في تفسيره[2]: «قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ اختلفوا في معناه» وساق خبر عائشة وابن مسعود في أنه جبريل.

ثم قال: «وقال آخرون: ثم دنا الرب ﷻ من محمد ﷺ فتدلى فقرب حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس، والتدلي هو النزول إلى الشيء حتى يقرب منه. وقال مجاهد: دنا جبريل من ربه، وقال الضحاك: دنا محمد من ربه، فتدلى فأهوى للسجود».

وساق ابن كثير هذه الأقوال[3]، وساق رواية شريك عن أنس، وذكر أن كثيرًا من الناس تكلم في رواية شريك ثم قال: «فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى لا أنها تفسير لهذه الآية».

ثم ساق روايات أخرجها الترمذي والنسائي عن عكرمة والشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما يثبت منها الرؤية من رسول الله ﷺ لربه ﷻ.

ملاحظة: اختلفت أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ فقال بعضهم: إنه جبريل، وقال بعضهم: إنه محمد ﷺ.

وهذا والذي قبله يدحضان قول الغزالي: «إنه جبريل بداهة ولا يحتمل السياق إلا هذا» إذ ما من لفظة إلا وقد اختلف في تفسيرها، وما هذا شأن النصوص القاطعة التي تدل على معناها بداهة.

وهذا الإمام مسروق بن الأجدع، لم يفهم من سياق آيات سورة النجم والتكوير إلا رؤية رسول الله ﷺ لربه مع فقهه وعلمه وجلالته حتى نقلت له عائشة رضي الله عنها بيان رسول الله ﷺ:

(١) سورة النجم الآيات ١١، ١٢، ١٣.

(٢) (٤/ ٢٤٥-٢٤٦)

(٣) في تفسيره: (٧/ ٤١٩ - ٤٢٤)

قال الإمام مسلم[1] رحمه الله: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود عن الشعبي عن مسروق، قال: كنت متكئًا عند عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: وما هي؟ قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه، فقد أعظم على الله الفرية قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[3] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض...» الحديث.

ويفيد كلام عائشة أن أناسًا من الصحابة كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن المراد بهذه الآيات لأن معناها كان يخفى عليهم فيبين لهم رسول الله ﷺ ذلك.

وفي لفظ لمسلم، عن مسروق قال: قلت لعائشة فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[4] قالت: «إنما ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد أفق السماء».

من هذا العرض يدرك القارئ أن قول الغزالي عن رواية شريك أنها تخالف المتواتر المقطوع به في الكتاب والسنة فيه مجازفة كبيرة هدفها التشنيع على الإمام البخاري الذي رواها في صحيحه، وعلى أهل الحديث الذين يحترمون هذا الإمام الكبير.

ولو كانت دلالة الكتاب والسنة فيها قطعية فلماذا تسأل عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ ولماذا يسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن معناها كما تفيده رواية عائشة؟ ولماذا يفسرها ابن عباس رضي الله عنهما برؤية رسول الله ﷺ ربه؟ ولماذا يفسر قوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾

---

(١) في الصحيح: (١ / ١٥٩)، الإيمان حديث ١٥٩ .

(٢) سورة التكوير الآية ٢٣ .

(٣) سورة النجم الآية ١٣ .

(٤) سورة النجم الآيات ٨، ٩، ١٠ .

بأن هذا الدنو من الله إلى رسوله محمد ﷺ؟ ولماذا يفهم مسروق هذا الفهم نفسه الذي فهمه ابن عباس؟

ولعل كلَّ من لم يبلغه بيان رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين لا يتجاوزون هذا الفهم.

ولهذا تلقى أصحاب ابن عباس تفسيره بكل احترام ونقلوه للأمة، وتلقاه المفسرون من السلف والخلف بكل احترام وعدوا تفسير ابن عباس من وجوه تفسير آيات النجم، كما مر ذكره آنفًا.

ولو كان الأمر كما يدعي الغزالي لكان كثير من الصحابة والتابعين لا يفهمون البدهيات، ولكان أئمة التفسير لا يبالون بما يفسد عقائد المسلمين وعقولهم؛ إذ ينقلون لهم تفاسير باطلة تخالف البدهيات والقطعيات مصحوبة بالتقدير والاعتداد بها وجوهًا من وجوه التفسير.

وكفى بقولٍ شرًا يؤدي إلى هذا.

فمن يا ترى يجب أن تحذر الأمة من فتاواه؟!

ومن أحق بأن يوصف بأن بصره كليل وحديثه عن الإسلام جريء ويعتمد على هواه لا على المرويات ولا على ما ينقله المحدثون والمفسرون الثقات في تفسير القرآن الكريم؟!

إن أهل الحديث يعتقدون أن المراد بقول الله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[1] هو جبريل ﷺ أخذا ببيان رسول الله ﷺ الذي روته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود ﷺ.

فقد قال مسلم في صحيحه: وحدثني أبو الربيع الزهراني. حدثنا عباد -وهو ابن العوام- حدثنا الشيباني قال: سألت زر بن حبيش، عن قول الله ﷺ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2]، قال: أخبرني ابن مسعود، «أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح».

---

(١) سورة النجم الآية ٨.

(٢) سورة النجم الآية ٩.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن أبي هريرة ﷺ ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[1] قال : «رأى جبريل» .

ولكن أهل الحديث وأهل التفسير خصوصًا من السلف لا يرون في تفسير ابن عباس ولا في رواية شريك من الخطورة والضلال ما يراه الغزالي ، لأنه من باب قد دل عليه القرآن بنصوص قاطعة مثل قوله تعالى : ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[3] ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[4] ، ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[5] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[6] ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[7] وقال تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[8] ، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[9] ، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[10] وغيرها من الآيات الدالة على الأفعال الاختيارية اللائقة بجلال الله .

فرواية شريك من حيث معناها ليست مستغربة لأنها من هذا الباب ، وتفسير ابن عباس لقوله تعالى : ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ بأن الله هو الذي دنا من هذا الباب .

والذي يضيق ذرعًا من معنى رواية شريك يضيق ذرعًا بمعاني هذه الآيات أكثر وأشد فيتستر في تحريفها بالتأويل وبالمجاز ذلك السلاح الهدام الذي تلقفه الباطنية من مبتدعي الأمة فهدموا به الشرائع الإسلامية ونصوص المبدأ والمعاد والجنة والنار .

---

(١) سورة النجم الآية ١٣ .
(٢) سورة هود الآية ١٠٧ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٤٠ .
(٥) سورة إبراهيم الآية ٢٧ .
(٦) سورة الحج الآية ١٤ .
(٧) سورة الحج الآية ١٨ .
(٨) سورة الفجر الآية ٢٢ .
(٩) سورة البقرة الآية ٢١٠ .
(١٠) سورة الأنعام الآية ١٥٨ .

الرابع: استمع إلى الغزالي يقول: «وقد ضقت ذرعًا بأناس قليلي الفقه في القرآن كثيري النظر في الحديث، يصدرون الأحكام، ويرسلون الفتاوى، فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة ولازلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل، وحديثهم عن الإسلام جريء، واعتمادهم كله، على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامي المستوعب لشئون الحياة».

وأسأله هل ابن عباس ومجاهد وعطاء ومسروق والبخاري وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبغوي وابن كثير والقرطبي وغيرهم ممن شارك في فهم الآيات ابن عباس ونقل رواية شريك قليلي الفقه وبصرهم بالقرآن كليل، وحديثهم عن الإسلام جريء إلى آخر ما ذكر من صفات الخزي؟ أو أنهم من سادات الفقهاء والمفسرين والمحدثين ومن عظماء الإسلام الذين إذا قيس بهم الغزالي وأسلافه من أمثال جهم بن صفوان وبشر المريسي وثمامة بن الأشرس والجاحظ والكوثري وأبي رية وأضرابهم من خصوم أهل السنة والتوحيد وأرباب التحريف والتعطيل قيل في هذا القياس:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

الخامس: قال الغزالي: «وقد جاء مسلم رحمه الله فعلق على رواية إمامه البخاري رحمه الله فبين ما بها من عطب وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذي ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر، ثم إن مسلمًا مضى على منهج المحدثين، فناقش عمل شريك الراوي عن أنس، ثم رفض المتن ا وحسنًا فعله».

أقول:

١- إن الإمام مسلمًا رحمه الله جرى على طريقته في إيراد الحديث بطرقه المتعددة في باب واحد، فحديث الإسراء هذا ساقه مطولًا من طريق شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعًا.

٢- ثم ساقه مختصرًا من طريق عبد الله بن هاشم العبدي عن بهز بن أسد عن سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس.

٣- روى حادثة شق صدر النبي ﷺ في صباه من طريق شيبان بن فروخ، عن

حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس .

٤- قال بالنص: «حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب قال: وأخبرني سليمان -وهو ابن بلال-، قال: حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت وقدم فيه شيئًا وأخر، وزاد ونقص» .

هذه سياقة مسلم لحديث شريك، فهل ترى فيها بيان ما بها من عطب؟ وهل ذكر مسلم أن الخطأ جاء من شريك؟

من الأمانة العلمية أن أنقل كلام النووي فيما يتعلق بحديث شريك . قال رحمه الله: «وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: فقد قدم وأخر وزاد ونقص»[1] .

لقد اعتبر النووي هذا الكلام تنبيهًا ومع الفارق بينه وبين كلام الغزالي ومع احترامي للنووي رحمه الله فإني حسب استقرائي لمنهج الإمام مسلم أرى أن هذا ليس تنبيهًا على الأوهام وأنه ساقه للاعتبار به والاستشهاد لأنه تضمن مقصود الإسراء، وقد التزم أنه لا يورد في صحيحه إلا ما يراه صحيحًا، وأما ذكره الزيادة والنقص فهذا أسلوب انتهجه وما أكثر ما يذكره ولا يقول النووي ولا غيره أنه تنبيه على الأوهام والأخطاء .

فترى الإمام مسلمًا رحمه الله يستخدم هذا الأسلوب من أول حديث أورده في صحيحه[2] وهو حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر وفيه سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، ساقه من الطريق الأولى مطولاً .

ثم ساقه من الطريق الثاني مختصرًا، ثم قال: «وساقوا الحديث- يعني شيوخه- بمعنى حديث كهمس وإسناده وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف» .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (٢ / ٢٠٩)، وتابعه الحافظ في الفتح: (١٣ / ٤٨٥) .

(٢) حديث (١-٣) .

ثم ساقه من طريق ثالث مختصرًا ثم قال: «فاقتص الحديث كنحو حديثهم، عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ وفيه شيء من زيادة وقد نقص منه شيئًا»[1].

ولم يقل النووي ولا غيره أن هذا تنبيه على أوهام وقعت في هذا الحديث ولا يجوز أن يقال.

لا شك أن في حديث شريك أوهامًا انتقدها بعض أهل الحديث لكن هل يشاركهم مسلم في هذا الرأي أو يشارك البخاري في تصحيحه للحديث، وأن موضوع الحديث الرئيسي هو قصة الإسراء وأن ما فيه من مخالفة شريك لأصحاب أنس في بعض الألفاظ يمكن توجيهه؟

هذا ما لا أستبعده ومما يقرب هذا قول الخطابي بعد كلام له في نقد هذا الحديث: «وأما من اعتبر أول الحديث بآخره، فإنه يزول عنه الإشكال فإنه مصرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله «وهو نائم»، وفي آخره: «استيقظ» وبعض الرؤيا مَثَلٌ يُضْرَبُ ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالمشاهدة».

قال الحافظ ابن حجر: «قلت: وهو كما قال، ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله: في الحديث الصحيح أن رؤيا الأنبياء وحي، فلا يحتاج إلى تعبير، لأنه كلام من لم يمعن النظر، فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض مرآى الأنبياء يقبل التعبير».

هذا إلى جانب أن مضمون الحديث- خصوصًا موضع نقد الغزالي- يتمشى مع القرآن والسنة ولم يذهب أهل الحديث إلى حديث عائشة في تفسير آيات النجم لفساد معنى حديث شريك ومناقضته للنصوص؛ بل لأن حديث عائشة فيه بيان المراد الذي دنا فتدلى وهو جبريل وهذا لا يمنع أن الله ينزل ويجيء وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كما في حديث النزول المتواتر المؤيد بنصوص القرآن الكريم.

السادس قوله: «إن الخطأ في تفسير آية النجم، والزعم بأن المعنى دنا الجبار

---

(١) حديث (١-٣).

رب العزة فتدلى كان مثار استنكار السيدة عائشة رضي الله عنها فلما سألها مسروق يا أماه هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعر رأسي مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١)، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾(٢).

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب. . . .

ومن حدثك أن محمدًا كتم أمرًا فقد كذب، ثم قرأت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٣)، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين»(٤).

سبحان الله إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، سؤال مسروق هل رأى محمد ربه كما ذكره الغزالي، لا عن دنو الجبار من محمد ﷺ واستنكار عائشة لسؤال مسروق عن الرؤية وليس فيه استنكار دنو الله من نبيه.

فمن هو يا غزالي قليل الفقه وبصره بالقرآن وغيره كليل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٥)فلقد أوقعك الله فورًا فيما ترمي به أولياءه الأبرار، وهل يطعن في البخاري وأمثاله إلا من خذله الله، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾(٦).

لفظ الحديث الذي أراده الغزالي من صحيح مسلم.

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا ابن نمير: حدثنا أبي: حدثنا إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، قال: سألت عائشة: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: سبحان الله لقد قف شعري لما قلت وساق الحديث بقصته.

وحديث داود أتم وأطول وحدثنا ابن نمير: حدثنا أبو أسامة، حدثنا زكريا عن

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى الآية ٥١.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٤) الحديث في مسلم: (١ / ١٦٠)، ١ - الإيمان حديث ٢٨٩، ٢٩٠، وفيه: لقد قف شعري.

(٥) سورة الحج الآية ٣٨.

(٦) سورة إبراهيم الآية ٤٢.

ابن أشوع عن عامر عن مسروق، قال: قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[1]، قالت: إنما ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد أفق السماء.

وهنا سؤال: لماذا إذا استنكرت عائشة سؤال مسروق عن رؤية رسول الله ﷺ لربه.

ولماذا لم تستنكر قوله فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ الآيات. ولماذا يفسر ابن عباس هذا الدنو بأنه دنو الرب من عبده ورسوله محمد ﷺ؟!

والجواب أنهما مع الصحابة والسلف قرءوا القرآن فوجدوا أن الله يتحدث فيه أنه يجيء وينزل ويفعل ما يشاء وفعال لما يريد ففهموا أن آية النجم من هذا الباب.

وأما رؤية الله في الدنيا فقد قرءوا قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾[2].

وسمعوا قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

فمن هنا لم يشق على عائشة استدلال مسروق بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ على دنو الله من عبده ورسوله محمد ﷺ، وصعب عليها دعوى من يقول: أن محمدًا رأى ربه وترى أنه أعظم على الله الفرية.

ومن هنا سهل على ابن عباس تفسير قول الله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ بأنه دنو الجبار من رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة النجم الآيات ٨، ٩، ١٠.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٣.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

وسهل على أصحابه وعلى المفسرين نقله وجهًا من وجوه تفسير الآية ولم يضيقوا به ذرعًا كما ضاق به الغزالي، ولم يروا فيه الخطر على الأمة كما يتظاهر بذلك الغزالي لا خوفًا على الأمة أن تضل، ولكن رغبة في الطعن في الإمام البخاري وأهل الحديث .

وبعد فهل رأيت خلافًا بين أهل الفقه وأهل الحديث في هذا الحديث؟ الجواب: لا، بل هي رغبة جامحة في تهييج الفتن .

هل رأيت خطرًا على الأمة من رواية هذا الحديث ودلالة على قلة الفقه في القرآن؟ وعلى أن رواته يصدرون الأحكام والفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة؟

وهل رأيت ابن عباس ومسروقًا ومن تداول تفسيره ورواية شريك أقوامًا بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جريء؟

أعتقد أنه لا شيء من هذا كله، وأن الغزالي يريد بهذه الاتهامات الخطيرة والادعاءات الظالمة أن يحرك الفتن ويشعل نيران الشغب بين شباب الأمة كما يريد أن يهدم الثقة بأئمة الحديث ودعاة الحق والتوحيد الذين لا يمكن أن يُفهم الإسلام وحقائقه الواضحة وآفاقه الرحبة إلا في ضوء منهجهم، كما يريد هو وأمثاله أن يبقى مثقفو الأمة يرسفون في أغلال المذهبية العمياء والتقليد الأصم الذي حاربه القرآن والسنة وأئمة الهدى .

ولمن هنا التقليد؟ لا للأئمة، بل لمتعصبي المقلدين في العقائد والعبادات والسلوك من جهمية وغلاة الماتريدية والأشعرية وأحلاس الصوفية والمتعصبين الجامدين الذين قتلوا العقول الإسلامية، الذين أوقفوا حركة الاجتهاد وأغلقوا بمزاعمهم باب الاجتهاد فكان من ثمار هذا الانغلاق والتقليد والجمود أن يتأخر المسلمون عن كل الأمم في كل الميادين .

ولم يكف هذا البلاء الغزالي وأضرابه بل يريدون أن يزيدوا الأمة حيرة وبلبلة وضياعًا من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

ولن يتم له ذلك أبدًا فالله ينصر دينه ويدافع عن حملته المخلصين ولن يهمل دعاة الباطل والشغب ومثيري القلاقل والفتن الذين تنطبق عليهم هذه الصفات حقًا وهم أحق بها وأهلها، والله من ورائهم محيط .

١٠- قال الغزالي:

«وأم المؤمنين عائشة، فقيهة محدثة أديبة، وهي واقفة عند نصوص القرآن، ترفض أدنى تجاوز لها، وعندما سمعت أن النبي ﷺ وقف على حافة البئر التي دفن المشركون بها يناديهم بأسمائهم كان لها تعليق جدير بالتدبر.

والرواية في هذا «أن النبي ﷺ مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شفة الركيّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقال عمر: يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». أنكرت عائشة عبارة «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» مستدلة بالآية الشريفة: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[1].

وصححت الرواية: «ما أنتم بأعلم لما أقول منهم». قال قتادة -مبينًا الرواية الأولى ومدافعًا عنها-: أحياهم الله، حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا.

والذي أراه أن الرواية الأولى لا تحتاج إلى هذا الدفاع، فالموتى لم يفنوا وصوت النبوة يبلغهم وهم في سجين، ولكن عائشة ﵂ لا تقبل ما يعارض -ظاهره- القرآن، فالموتى عادة لا يكلمون ولا يسمعون، وإنما يعلمهم الله بما يشاء، فإذا علموا فكأنهم سمعوا، والعبارة مقبولة على طريق المجاز.

كل ما نحرص نحن عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه. فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي[2].

والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة . . .

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٢.

(٢) السنة النبوية: (ص ٢٣-٢٤).

أما اختطاف الحكم من حديث عابر، والاعتراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى، فليس عمل العلماء.

فقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقين للأمة الذين أسلمت لهم زمامها عن رضًا وطمأنينة.

وقنع أهل الحديث بتعديم ما يتناقلون من آثار، كما تقدم مواد البناء للمهندس الذي يبني الدار ويرفع الشرفات، والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر، فلا فقه بلا سنة، ولا سنة بلا فقه، وعظمة الإسلام تتم بهذا التعاون والمحنة تقع في اغترار أحدهما بما عنده، وتزداد مع الإصرار وضعف البصيرة»[1].

مناقشة

أولًا: إن عائشة ﵂ كما ذكرت فقيهة محدثة أديبة وقافة عند نصوص القرآن، وإن أصحاب رسول الله ﷺ كذلك فقهاء محدثون أدباء واقفون عند نصوص القرآن.

وفي الصحابة الذين رووا أحاديث قليب بدر من هو أفقه وأعلم منها ألا وهو الفاروق الخليفة الراشد الذي شهد له رسول الله ﷺ بالعلم وأمر بالاقتداء به من ضمن الخلفاء الراشدين، وهو الذي وصفه حبر الأمة بأنه كان وقافًا عند كتاب الله[2].

وفي رواة هذه الأحاديث أئمة من الصحابة وفقهاء محدثون منهم: ابن مسعود وأبو طلحة الأنصاري وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك ﷺ وهم وقافون عند كتاب الله، ووقافون جميعًا عند سنة رسول الله ﷺ.

وينبغي أن نقصد بمدحهم وإظهار مكانتهم حفز الأمة إلى اتباعهم في التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واحترام نصوصهما. لا أن نتخذ من ذلك منطلقًا إلى رد سنة رسول الله ﷺ ووسيلة إلى رفضها، كما يفعل الغزالي الذي يقصد بمدح

(١) السنة النبوية: (ص ٢٣-٢٥).

(٢) البخاري: ٦٥- كتاب التفسير، سورة الأعراف، حديث (٤٦٤٢).

أم المؤمنين عائشة ومدح الأئمة أن يتخذ منه وسيلة إلى رفض ما لا يهواه من سنن رسول الله ﷺ الثابتة، موهمًا السذج أن هؤلاء الأفاضل هم أسوته في التطاول على سنة رسول الله ﷺ برأهم الله مما يدعيه، وبرأ الله أم المؤمنين التقية النقية من هذا المذهب الرديء.

ولقد عرفت بقوة الردع لمن يخالف سنة رسول الله ﷺ لقد سألتها معاذة بنت عبد الله العدوية فقالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فقالت: «مستنكرة هذا السؤال- أحرورية أنت؟ قالت: لا ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[1].

ولو علمت هذه الفقيهة رضي الله عنها أن عددًا من الصحابة شارك عبد الله بن عمر في رواية حديث أهل القليب لما وهمته، ولعرفت كيف توفق بين الحديث والنص القرآني، كما فعل غيرها من أئمة الحديث والفقه الذين بلغتهم تلك الأحاديث فسلموا بصحتها ووفقوا بينها وبين النص القرآني.

ثانيًا: قوله: «وقال قتادة مبينًا الرواية الأولى ومدافعًا عنها: أحياهم الله، حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا.

والذي أراه أن الرواية الأولى لا تحتاج إلى هذا الدفاع، فالموتى لم يفنوا وصوت النبوة يبلغهم وهم في سجين، لكن عائشة رضي الله عنها لا تقبل ما يعارض- في ظاهره- لفظ القرآن.

فالموتى عادة لا يكلمون ولا يسمعون، وإنما يعلمهم الله بما يشاء، فإذا علموا، فكأنهم سمعوا، والعبارة مقبولة على طريق المجاز».

أقول: إن المسلم لتأخذه الدهشة من هذه الخطة التي اختطها الغزالي في الثورة على السنة وأهلها.

فالحديث لا يحتاج في نظره إلى دفاع- إذ هو يسلم بما دل عليه وزيادة عظيمة جدًّا.

---

(١) أخرجه البخاري: ٦- كتاب الحيض، ٢٠- باب لا تقضي الحائض الصلاة حديث (٣٢١)، ومسلم: ٣- كتاب الحيض، حديث (٦٧-٦٩).

فالحديث لم يقل أنهم أحياء، والغزالي يقول: «الموتى لم يفنوا» ومعناه أنه يعتقد أنهم أحياء في قبورهم أو في سجين .

والرسول ﷺ قال: وهو على شفة الركيّ عندما خاطب الكفار: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، والغزالي يقول: «فصوت النبوة يبلغهم وهم في سجين»، ولا يعلم الأبعاد الهائلة بين موقف الرسول الذي انطلق منه الصوت وبين سجين إلا الله، ومع ذلك فالغزالي يقرر أنه يبلغهم، وهذا يحتاج إلى دليل، فأين هذا الدليل؟ ومع غلوه هذا في سماعهم لصوت النبوة . يثير ضجة حول هذا الحديث لا لبطلان معناه ولا لسقوط إسناده بل لرغبة جامحة في الشغب على السنة وهذا الحديث، يشبه موقف الذئب، من الخروف ولله في خلقه شئون .

إن الرجل متفان في تربية شباب الأمة وتوجيهها إلى غير منهج أهل الحديث الذي شرق به، فلا ينبغي أن يضيع أي فرصة تدعم هذا الاتجاه المناهض .

وقد وجد هنا أن عائشة اعترضت على هذا الحديث فلابد من الاستفادة من هذا الاعتراض بقطع النظر عن صوابه أو خطئه .

وانظر إليه يقول- بعد إيمانه المتغالي بمضمون الحديث-: «ولكن عائشة ﵂ لا تقبل ما يعارض- في ظاهره- لفظ القرآن».

فإنه يفيدك أن الرجل لا يرى تعارضًا بين معنى الحديث ومعنى القرآن بل يراهما متفقان في المعنى في نظره، وفي هذا إساءة بالغة إلى أم المؤمنين ﵂ إذ يفيد أنها لا تحترم سنة رسول الله ﷺ وأنها تردها لأدنى سبب ولو ثبتت لديها تلك السنة فبمجرد أن يخيل لها أن الحديث يخالف في ظاهره لا في معناه لفظ القرآن لا معناه تضربه ضرب غرائب الإبل دون تفكير ولا نظر، ويريد أن يكون علماء الأمة وشبابها ومثقفوها على هذه الشاكلة المزرية .

برأ الله أم المؤمنين من هذا المذهب الرديء وعافى الأمة الإسلامية من الانحدار إليه .

والحقيقة أن أم المؤمنين من أعلم أصحاب رسول الله ﷺ وأفقههم ومن أشدهم احترامًا ودعوة إلى سنة رسول الله ﷺ لكن بالنسبة لهذا الحديث ظنت أن

عبد الله بن عمر قد وهم في رواية الحديث فاعترضت عليه، ولو بلغها عن الصحابة الآخرين أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر لما وسعها إلا التسليم لحديث رسول الله ﷺ كما هو شأنها وشأن أصحاب رسول الله ﷺ وأتقياء المؤمنين.

بل قد نقل عنها ما يثبت تراجعها كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وإضافة إلى ما سبق فإن في كلامه هذا وما بعده تهافتًا وتناقضًا، فمثلًا هو يؤمن بأن صوت النبي يبلغهم وهم في سجين، وقد صرح به، ثم تراه يقول بعد قليل متأولًا للحديث: «والعبارة مقبولة على طريق المجاز».

والحقيقة تخالف المجاز وعنده من التناقض في كتاباته الشيء الكثير والكثير يدركه من عنده مسكة من عقل.

ثالثًا: قوله: «وكل ما نحرص عليه نحن شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي».

(أ) أسأل الغزالي ويسأل غيري لماذا تقصر وصيتك بشد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، ولا توصي بمثل ذلك لسنة رسول الله ﷺ أليس هذا انحيازًا إلى الفرقة المشهورة بالقرآنية التي تعتمد القرآن وحده في فهم الإسلام وتطبيقه، إن لم يكن هذا انحيازًا كاملًا فعلى الأقل أنت تقدم إليها رجلًا وتؤخر أخرى.

(ب) ألم تر أن القرآن يأمر بقوة وحزم بشد الانتباه إلى سنة رسول الله ﷺ؟ فيقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن

(١) سورة النساء الآية ٦٥.

(٢) سورة النور الآية ٦٣.

يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

لو كنت يا غزالي ممن يشد انتباهه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه خصوصًا مثل هذه الآيات لكان لك شأن آخر غير ما أنت فيه، إن كثيرا من آيات القرآن لا تفهم إلا بالسنة بيان رسول الله ﷺ وتوضيحه، فإذا نصح الناس بشد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه دون اهتمام بالسنة ودون شد الانتباه إلى ألفاظها ومعانيها، وقعوا فيما وقع فيه الخوارج الذين استهانوا بالسنة، فوقعوا فيما وصفهم به رسول الله ﷺ.

فعن زيد بن خالد الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رضي الله عنه أيها الناس! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم، لاتكلوا عن العمل..»**[3] إني أخشى أن يكون هذا أيضًا مصير الشباب الذين يوجههم إلى شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه مع إهمال السنة.

نسأل الله أن يدرأ عن الإسلام والمسلمين شر هذه الأخطار المخلفة، التي تلبس الحق بالباطل والتي تمزج الاعتراف بالإنكار وتهز الثقة والإيمان بسنة رسول الله ﷺ، وتؤدي إلى الزيغ والضلال.

(ج) كيف وبأي وسيلة عرفت أن جملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عن معاني القرآن مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي؟

فما هي هذه الشئون التي هم مستغرقون فيها، أهي الأغاني والطرب والتلذذ

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٢) سورة الحشر الآية ٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٢- كتاب الزكاة، ٤٨- باب التحريض على قتل الخوارج حديث ١٥٦.

بصوت فلانة وغناء فلان؟ أم الانهماك في أخبار تاتشر وأنديرا وأمثالهما والإغراق في الانبهار والإعجاب بهم وبهن؟ أم خرافات وأساطير وترهات الصوفية وكشوفاتها وخيالاتها؟ أم الاستغناء بفلسفة ومنطق اليونان وبناء عقائد الإيمان عليها بدل البناء على القرآن والسنة؟ أم هم مستغرقون بأساطير الروافض وأكاذيبهم على الله ورسوله وعلى أهل البيت الأبرياء؟

إن أهل الحديث وحدهم- والحمد لله- يمتازون عن غيرهم بأنهم لا يحجبهم شيء من حواجز الباطل عن فهم القرآن والسنة وما كان عليه السلف الصالح من مبادئ وعقائد وأعمال، ولكثير من غيرهم المزاعم والادعاءات .

وصدق يا غزالي أن كل ما تقذف به هذه الطائفة المباركة الناجية من النار -إن شاء الله- كل ما تقذفهم به إنما هو رجم بالغيب ولهم في رسل الله وأنبيائه أسوة حسنة.

د- وأسأل الغزالي : ما هو الإثم الذي ارتكبوه وما الذنب الذي جنوه في حق الإسلام برواية هذا الحديث حتى تحمل عليهم هذه الحملات الهوجاء وترميهم بهذه الفواقر.

هل ضلوا في فهم هذا الحديث ثم قادوا الأمة إلى هذا الضلال؟

لو كنت منصفًا وغيورًا على الإسلام فعلًا، لوجهت هذه القذائف إلى فرق الضلال من صوفية على كثرة فرقها وشيعية على تشعبها، الذين لم يرفعوا بنصوص التوحيد رأسًا، ويعتقدون في الأموات من أنبياء وأولياء أنهم يعلمون الغيب، وأن فيهم أقطابًا وأوتادًا يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، ويسمعون دعاء المستغيثين ولو كان بينهم وبينهم بعد المشرقين.

ومن هنا يستغيثون بالبدوي والرفاعي والدسوقي والجيلاني والحسين وزينب ونفيسة والشاذلي والتيجاني والميرغني وغيرهم وغيرهم، ويشيدون لهم القبور ويشدون إليها الرحال، فلو كانت هناك غيرة على الإسلام والقرآن والتوحيد لسددتَ سهامك في هذه المناسبة الذهبية إلى هذه الأصناف التي ترتكب هذه الأفاعيل وتجني على توحيد الأنبياء أفظع الجنايات ولكنه الهوى وضعف أو موت

البصيرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(١).

رابعًا: قوله: «والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة».

أقول: ما قلتَه في الفقهاء المحققين، الأمر فيهم كما ذكرتَ إلا قولك: «حاكموا المظنون إلى المقطوع»، فليس الأمر كما ذكرت، لأنهم إذا صح الحديث عندهم، فهو مذهبهم، ويشاركهم في هذا المحققون من أهل الحديث، فإنهم في غاية الالتزام بهذا المنهج وفي غاية الإحكام والإتقان له.

ومع الأسف فإنك لم تستفد من هذا المنهج ولم تلتزم به في بحوثك.

خامسًا: قال الغزالي: «أما اختطاف الحكم من حديث عابر، والإعراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى، فليس عمل العلماء».

أقول: هذا الكلام من نسج الخيال، ودليل على التخبط والخبال فأين الحكم الذي اختطفه أهل الحديث الذين تشغب عليهم من هذا الحديث؟ ومن يشاركك في هذا الزعم الميت، أن أهل الحديث يختطفون الأحكام اختطافًا من أحاديث عابرة ويعرضون عما ورد في الموضوع من آثار أخرى؟

الحقيقة أن الغزالي هو الذي يختطف الأحكام على خصومه أهل الحديث اختطافًا لا من الواقع بل من عالم الخيال.

والحقيقة مرة أخرى أنك خضت معركة لست من فرسانها ولا تحسن الكر والفر فيها، وليس في جعبتك شيء من أسلحتها.

ومن هنا لم نجدك إلا مدججًا بأسلحة الاتهامات الباطلة والتحقير والاستهزاء. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٢).

سادسًا: قال: «وقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقين للأمة الذين أسلمت لهم زمامها عن رضًا وطمأنينة.

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) سورة الحج: الآية ٨.

وقنع أهل الحديث بتقديم ما يتناقلون من آثار، كما تقدم مواد البناء للمهندس الذي يبني الدار، ويرفع الشرفات».

أقول: أولًا: إن هذا الكلام مستوحًى من عالم الخيال ومخالف للواقع الواضح، فإن الأمة تحترم أئمة الحديث كما تحترم الفقهاء، بل معظم الفقهاء المتبوعين من أئمة الحديث وما تسنموا هذه المكانة الرفيعة في نفوس الناس إلا من أجل احتفائهم بالسنة واتباعهم لها.

وما هانت فرق الضلال وأئمتها إلا لبعدهم عن السنة والاهتداء بها وازدرائهم لأهلها.

ويبدو من تصرفات الغزالي ومواقفه أنه في جهل مطبق بتاريخ المحدثين المشرق وتاريخ علومهم، وما خلدوه للإسلام والمسلمين من علوم عظيمة وتراث شامخ لا يكون للرجل مكانة إلا إذا عرفها وعرف قدرها وارتوى من نميرها.

كما يبدو أنه يجهل الحركة العلمية الهائلة التي اتجهت إلى إنتاج عباقرة الأمة من أئمة الحديث لتنهل من ينابيعه العلم النافع والمعرفة الصحيحة، ألا تعلم أن هناك مؤسسات ومراكز علمية قامت في الشرق والغرب من العالم الإسلامي وغيره لخدمة السنة وعلومها، وتاريخ عباقرتها دراسة وتحقيقًا وتخريجًا وتفقهًا؟

ألا تعلم أن الشباب الجامعي في الشرق والغرب، قد أقبل بجد وعزم على خدمة التراث النبوي وعلومه التي خلفها عباقرة المحدثين، أَوَلَوْ كان أئمة الحديث قد نزعت منهم ثقة الأمة أفيحصل كل هذا؟ مسكين الغزالي.

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل[1]

ثانيًا: إن في المحدثين فقهاء على أوسع نطاق من الفقه في العقائد والعبادات والمعاملات، ويتسنمون قمة الاجتهاد فلم يقنعوا بتقديم ما يتناقلونه من آثار كما تقدم مواد البناء للمهندس.

فهذا الكلام فيه غلط شديد وجهل بالغ بالواقع وتقليد أعمى لأقوال غلاة

(١) من بيت للأعشى في معلقته، انظر ديوانه ص (١٣٤).

المتعصبين.

ثالثًا: إن الله لا يرضى للأمة أن تلغي عقولها وتسلم زمامها لأحد من خلق الله غير رسله.

فالله يأمرهم بالاعتصام بالكتاب والسنة وبالاحتكام إلى الله ورسوله، ويذم أشد الذم من لا يستخدم عقله في فهم الكتاب والسنة ويركن إلى التقليد الأعمى، ولا يرضى إلا أن تسلم الأمة كلها زمامها لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2].

رابعًا: أن الأئمة لا يرضون أن تسلم لهم الأمة زمامها، فلقد حاربوا التقليد وتسليم الأزمة لهم أشد المحاربة، وأقوالهم كثيرة ومدونة يستفيد منها العقلاء المنصفون، ويدير لها ظهورهم غلاة المتعصبين المقلدين، ثم قال بعد كل ما جنته يداه وما أنزل بأهل الحديث من الإهانات:

«والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر، فلا فقه بلا سنة، ولا سنة بلا فقه، وعظمة الإسلام تتم بهذا التعاون».

وهذا الكلام كما يقال: من ذر الرماد في العيون، ومن التروس التي يتقي بها سهام النقد التي تصيب المقاتل وتفضح التحايل.

خامسًا: أن الله قد أكمل بناء صرح هذا الدين قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3].

فدور العلماء هو الفهم والتطبيق وتفهيم الناس ودعوتهم إلى الفهم والتطبيق، وأما البناء فقد أنجزه الله على غاية من الكمال والتمام.

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٢) سورة محمد الآية ٢٤.

(٣) سورة المائدة الآية ٣.

الأحاديث الواردة في سماع الأموات

قال الإمام البخاري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدثني عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة: «أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركيّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا، قال: فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا».

٢- وقال الإمام البخاري[٢]: «حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثني أبي عن صالح، حدثني نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: «اطلع النبي ﷺ على أهل القليب، فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقًّا، فقيل له: تدعو أمواتًا؟ قال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكنهم لا يجيبون».

قال: وحدثنا عثمان، حدثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وقف النبي ﷺ على قليب بدر، فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟

ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول» فذكر لعائشة، فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق» ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا

---

(١) في صحيحه، ٦٤- كتاب المغازي، ٨- باب قتل أبي جهل حديث (٣٩٧٦)، ورواه أحمد: (٤/ ٢٩) من طريق روح به، ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة: (٢/ ٦١٦).

(٢) كتاب الجنائز، ٨٦- باب ما جاء في عذاب القبر، حديث (١٣٧٠)، (١/ ٤٢١).

﴿تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[1] حتى قرأت الآية».

٣- وقال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا محمد بن فليح بن سليمان عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: هذه مغازي رسول الله ﷺ، فذكر الحديث، فقال رسول الله ﷺ وهو يلقيهم: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟»، قال موسى: قال نافع: قال عبد الله: قال ناس من أصحابه: «يا رسول تنادي ناسًا أمواتًا؟ قال رسول الله ﷺ: ما أنتم باسمع لما قلت منهم»[2].

قال الحافظ: قوله: (قال موسى بن عقبة) هو بالإسناد المذكور إليه وعبد الله هو ابن عمر- يعني أن الإسناد متصل وليس بمعلق-.

٤- وقال النسائي[3] رحمه الله: أخبرنا عمرو بن علي، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سليمان -وهو ابن المغيرة- قال: حدثنا ثابت، عن أنس، قال: «كنا مع عمر بين مكة والمدينة، أخذ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس، قال: هذا مصرع فلان إن شاء الله غدًا، قال عمر: والذي بعثه بالحق ما أخطئوا تيك فجعلوا في بئر، فأتاهم النبي ﷺ فنادى: يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا، فإني وجدت ما وعدني الله حقًّا، فقال عمر: تكلم أجسادًا لا أرواح فيها، فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

٥- وأخبرنا سويد بن نصر، قال: أنبأنا عبد الله، عن حميد عن أنس، قال سمع المسلمون من الليل ببئر بدر ورسول الله ﷺ قائم ينادي: «يا أبا جهل، ويا شيبة بن ربيعة، ويا عتبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا، فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا قالوا: يا رسول الله: أوَتُنادي قوما قد جيفوا؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا».

---

(١) سورة النمل الآية ٨٠.

(٢) ٦٤ ك المغازي، ٨ ١- باب، حديث (٤٠٢٦).

(٣) (٤/ ١٠٩-١١٠) ٢١- كتاب الجنائز، ١١٧- باب أرواح المؤمنين، حديث (٢٠٧٤، ٢٠٧٥)، وروى الأول أحمد: (١ / ٢٧) من طريق سليمان بن مغيرة، والثاني الإمام أحمد. (٣/ ٢١٩-٢٢٠) من طريق عبد الصمد، ثنا حماد عن ثابت... بأطول منه. ورواه البيهقي في الدلائل: (٣/ ٤٨) من طريق أبي داود الطيالسي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت... به.

قال الحافظ في الفتح: «ولم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك، بل وافقهما أبو طلحة كما تقدم».

٦- وللطبراني من حديث ابن مسعود مثله بإسناد صحيح[1].

٧- ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه[2]، وفيه قالوا: «يا رسول الله، وهل يسمعون؟ قال: يسمعون كما تسمعون، ولكن لا يجيبون». وفي حديث ابن مسعود: «ولكنهم اليوم لا يجيبون».

٨- ومن الغريب أن في المغازي، لابن إسحاق من رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة، وفيه: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[3].

وأخرجه أحمد بإسناد حسن[4].

فإن كان محفوظًا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة[5].

وقال البخاري[6] رحمه الله:

حدثنا عياش بن الوليد: حدثنا عبد الأعلى: حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى

(١) مجمع الزوائد: (٦ / ٩١)، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

(٢) «مجمع الزوائد»: (٦ / ٩١)، وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الله بن سيدان مجهول ذكره ابن حبان في الثقات في طبقة الصحابة، وذكره في التابعين، وروى عن عدد من الصحابة، وروى عن ميمون بن مهران وحبيب بن أبي مرزوق وثابت بن الحجاج وجعفر بن برقان» انظر «الجرح والتعديل»: (٥ / ٦٨)، واللسان: (٣ / ٢٩٩).

(٣) رجعت إلى السيرة لابن هشام فلم أجد ما أشار إليه الحافظ، بل وجدت فيه ما يوافق المشهور عنها رضي الله عنها وهو: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقًا» (٢/ ٦٣٩). ولعل ما ذكره الحافظ في الأصل كما ذكر

(٤) في «المسند»: (٦ / ١٧٠) بلفظ. «ما أنتم بأفهم لقولي منهم» أو: «لهم أفهم لقولي منكم»، ذكره إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها.

وذكره الهيثمي في «المجمع». (٦ / ٩٠)، وقال رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن إبراهيم لم يسمع من عائشة، لكنه دخل عليها. وذكره بلفظ آخر وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات (٦ / ٩١).

(٥) «فتح الباري»: (٧ / ٣٠٣-٣٠٤).

(٦) (٢٣-٨٦) باب ما جاء في عذاب القبر، حديث (١٣٧٤).

عنه أصحابه- وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، فقد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعًا، قال قتادة، وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق، والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس.

فيقال: لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

رواه مسلم[1] وأبو داود[2]، والنسائي[3].

اعتراض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وقال الإمام البخاري[4]: حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما قال النبي ﷺ: «إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق»، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[5].

وقال: حدثني عبيد الله بن إسماعيل: حدثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه قال: ذكر عند عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ: «إن الميت يعذب في قبره»، فقالت: وهل، إنما قال رسول الله ﷺ: «إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن».

قالت. وذلك مثل قوله: «أن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم، ما قال: «إنهم ليسمعون ما أقول»، إنما قال: «إنهم الآن

---

(١) ٥١- كتاب الجنة، ١٧- باب عرض مقعد الميت، حديث (٧٠) (٤ / ١ ٠ ٢٢) من طريق شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة.. به.

(٢) ٥١- كتاب الجنائز، ٧٨- باب المشي في النعل بين القبور، حديث (٣٢٣١)، (٣ / ٦ ٥٥).

(٣) (١)٢١- كتاب الجنائز، ١٠٩- ١١٠، المسألة في القبر، ومسألة الكافر، حديث (٢٠٥٠)، (٣/ ٩٧).

(٤) ٢٣ الجنائز، ٨٦- باب ما جاء في عذاب القبر، حديث (١٣٧١) (٨/ ٢٤١).

(٥) سورة النمل: الآية ٨٠.

ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق». ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[1]، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[2].

يقول: «حتى تبوءوا مقاعدهم من النار».

ورواه من طريق عبدة عن هشام بنحوه[3].

تعليق

اتضح من عرض هذه الأحاديث:

حديث عبد الله بن عمر وحديث أبيه عمر رضي الله عنهما، وحديث أبي طلحة وحديث ابن مسعود، وحديث أنس بن مالك وعبد الله بن سيدان، وعائشة نفسها عند أحمد والطبراني وابن إسحاق ومعرفة صحتها وثبوتها صدق ما رواه عبد الله بن عمر وأنه ما كان واهمًا على رسول الله ﷺ في رواية هذا الحديث بل ضبطه حق الضبط ويؤيد أنه ضبطه رواية هؤلاء الأئمة من الصحابة.

ورواية أم المؤمنين نفسها - إن كان محفوظًا عنها -، وليس ذلك ببعيد، فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، ولكونها لم تشهد القصة كما قال الحافظ ابن حجر.

ولو لم ترجع فإن الحق مع من روى ذلك عن رسول الله ﷺ.

أولًا: لأن معظمهم حضروا وشهدوا القصة وغابت عنها.

ثانيًا: وهم عدد يبعد خطؤهم ووهمهم.

ثالثًا: وهم مثبتون وهي نافية.

رابعًا: وأخيرًا ما روته لا يعارض ما رواه هؤلاء، ثم إنها لا تعارض القرآن،

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٠.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٢.

(٣) ٢٣- الجنائز، ٨- باب قتل أبي جهل حديث (٣٩٧٨)، (٣/ ٨٦). وأخرجه مسلم، ١١- كتاب الجنائز، ٩- باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه. حديث (٢٦)، (٢/ ٦٤٣). وأحمد (٦/ ٢٧٦، ٢/ ٣١، ٣٨).

فقد أمكن الجمع بين هذه الأحاديث وبين الآيات التي ظنت عائشة رضي الله عنها بأن بينها تعارضًا.

موقف العلماء من هذه الأحاديث

لقد قبل جمهور العلماء هذه الأحاديث وسلموا بصحة دلالاتها وأنها لا تعارض نصوص القرآن.

أقوال الشافعية:

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[1]: وهو يشرح أحاديث البخاري في باب ما جاء في عذاب القبر:

ثالثها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إنما قال رسول الله ﷺ: «**إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم حق**»، وهذا مصير من عائشة إلى رد رواية ابن عمر المذكورة.

وقد خالفها الجمهور في ذلك وقبلوا حديث ابن عمر لموافقته ما رواه غيره عليه.

وأما استدلالها بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[2] قالوا: معناها: لا تسمعهم سماعًا ينفعهم، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله.

وقال الحافظ- أيضًا-: «وجه إدخال حديث ابن عمر، وما عارضه من حديث عائشة في ترجمة عذاب القبر، أنه لما ثبت من سماع أهل القليب وتوبيخه لهم دل إدراكهم الكلام بحاسة السمع على جواز إدراكهم ألم العذاب ببقية الحواس. بل بالذات إذ الجامع بينهما وبين بقية الأحاديث أن المصنف أشار إلى طريق الجمع بين حديثي ابن عمر وعائشة، بحمل حديث ابن عمر على أن مخاطبة أهل القليب وقعت وقت المسألة، وحينئذ كانت الروح قد أعيدت إلى الجسد، وقد تبين من الأحاديث الأخرى أن الكافر المسئول يعذب، وأما إنكار عائشة، فمحمول على غير وقت

---

(١) (٣/ ٢٣٤)

(٢) سورة النمل الآية ٨٠.

المسألة، فيتفق الخبران»[1].

وقال شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي (ت٣٧١): «كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم، ما لا مزيد عليه، ولكن لا سبيل الى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن لأن قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[2] لا ينافي قوله ﷺ: «إنهم الآن يسمعون» لأن الإسماع هو: إبلاغ الصوت من المسمع في آذان السامع: فالله هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك.

وأما جوابها بأنه إنما قال: «إنهم ليعلمون».

فإن كانت سمعت ذلك، فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤكدها»[3].

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨): «العلم لا يمنع السماع والجواب عن الآية: أنه لا يسمعهم وهم موتى»[4].

وقال النووي رحمه الله: «قوله ﷺ في قتلى بدر «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» قال المازري: قال بعض الناس: الميت يسمع عملًا بظاهر هذا الحديث ثم أنكره المازري، وادعى أن هذا خاص في هؤلاء.

ورد عليه القاضي عياض: وقال يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها، وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله.

هذا كلام القاضي وهو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام على القبور، والله أعلم».

وقال السيوطي على قول عائشة: «وَهِلَ ابن عمر، إنما قال النبي ﷺ: «إنهم

---

(١) الفتح: (٣/ ٢٣٥).

(٢) سورة النمل الآية ٨٠.

(٣) «الفتح»: (٧ / ٣٠٣-٣٠٤)، و«عمدة القاري»: (١٧ / ٩٣).

(٤) (٧/ ٣٠٣).

الآن ليعلمون، أن الذي كنت أقول لهم هو الحق » ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[1]» قال: قال البيهقي: العلم لا يمنع السماع والجواب عن الآية: أنه لا يسمعهم وهم موتى، ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة، ولم ينفرد ابن عمر بحكاية ذلك بل وافقه والده عمر وأبو طلحة وابن مسعود وغيرهم . بل ورد- أيضًا- من حديث عائشة أخرجه أحمد بإسناد حسن، فإن كان محفوظًا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة»[2] .

أقوال المالكية :

قال الإمام القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب السهيلي :

«وعائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه ﷺ . وقد قالوا له : يا رسول الله : أتخاطب قومًا قد جيفوا : أو أجيفوا فقال : «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين، جاز أن يكونوا سامعين إما بآذان رءوسهم إذا قلنا : أن الروح تعاد إلى الجسد أو إلى بعض الجسد عند المسألة وهو قول الأكثر من أهل السنة . وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح ومن غير رجوع منه إلى الجسد أو إلى بعضه .

وقد روي أن عائشة احتجت بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[3]. وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾[4]أي : أن الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت، وجعل الكفار أمواتًا وصمًا على جهة التشبيه بالأموات، وبالصم، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا يشاء لا نبيه ﷺ، ولا أحد، فإذن لا تعلق بالآية من وجهين :

أحدهما : أنها نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان .

---

(١) سورة النمل الآية ٨٠ .

(٢) «زهر الربى على المجتبى»: (٤ / ١١١) .

(٣) سورة فاطر الآية ٢٢ .

(٤) سورة الزخرف الآية ٤٠ .

والثاني: أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله، فإنه لا يسمعهم إلا إذا شاء هو، ويفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير»[1].

قال الحافظ: «وقوله: لم تحضر صحيح، ولكن ذلك لا يقدح في روايتها لأنه مرسل صحابي وهو محمول على أنها سمعت ذلك ممن حضروا أو من النبي ﷺ بعد.

وقال العلامة عبد الواحد بن التين السفاقسي (ت ٦١١) شارح البخاري: «لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية؛ لأن الموتى لا يسمعون بلا شك لكن إذا أراد الله إسماعهم ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] الآية. وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[3] الآية[4].

وقال ابن عطية: «فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكًا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين»[5].

وقال القرطبي في «التذكرة»[6] بعد أن ذكر حديث أنس عن عمر ﷺ: «اعلم - رحمك الله- أن عائشة ﷺ قد أنكرت هذا المعنى- واستدلت بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[7] وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[8].

ولا تعارض بينهما، لأنه جائز أن يكون قد سمعوا في وقت ما، أو في حال ما فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص، وقد جاء هنا».

---

(١) الروض الأنف»: (٥ / ١٧٥-١٧٦)، و«فتح الباري» (٣ / ٢٣٥).
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٢.
(٣) سورة فصلت الآية ١١.
(٤) فتح الباري: (٣ / ٢٣٥).
(٥) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٣٢).
(٦) ص ١٨٠
(٧) سورة النمل الآية ٨٠.
(٨) سورة فاطر الآية ٢٢.

وقال العلامة أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المالكي[1]: قوله: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» (م) ذهب بعضهم إلى أن الميت يسمع لظاهر هذا الحديث والذي عليه المحصلون أن الله خرق العادة في هؤلاء بأن رد إليهم أرواحهم ليقرعهم ﷺ وقد أنكرت عائشة ﵂ الحديث وحولت لفظه: قالت إنما قال: «إنهم يعلمون الآن القول الحق ما كنت أقول لهم»[2].

(ع) ويحمل سماع هؤلاء على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنة السؤال التي لا مدفع فيها، وذلك بإعادة الروح إلى الجسد أو إلى جزء منه».

و (م) رمز المازري، و (ع) رمز عياض.

أقوال علماء الحنفية:

وقال العلامة بدر الدين العيني ﵀ في عمدة القاري[3] شرح صحيح البخاري: «فإن قلت: ما وجه ذكر حديث ابن عمر وحديث عائشة وهما متعارضان- في ترجمة عذاب القبر؟

قلت: لما ثبت سماع أهل القليب كلامه ﷺ وتوبيخه لهم دل إدراكهم كلامه بحاسة السمع على جواز إدراكهم ألم العذاب ببقية الحواس، فحسن ذكرهما في هذه الترجمة.

ثم التوفيق بين الخبرين، أن حديث ابن عمر محمول على أن مخاطبة أهل القليب كانت وقت المساءلة، وقتها وقت إعادة الروح إلى الجسد، وقد ثبت في الأحاديث الأخرى، أن الكافر المسئول يعذب.

وأن حديث عائشة محمول على غير وقت المساءلة فبهذا يتفق الخبران».

---

(١) في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ٢٣٥).

(٢) ملاحظة: وجدت في كلام الأبي، عقب كلام المازري قوله: والشك في سماع الموتى يزيل الثقة بالعلوم الضرورية، فاشتبه علي هل هو من كلام المازري أو الأبي، وغالب ظني أنه من كلام الأبي لأنه لا يتسجم مع رأي المازري.

(٣) (٨/ ٢٠٢).

وقال العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي[١] (ت ١١٣٨):

«الحديث لا يقتضي أنه المسمع لهم، بل يقتضي أنهم يسمعون فليكن المسمع لهم في تلك الحالة هو الله تعالى لا هو ﷺ، على أنه يمكن أن الله تعالى أحياهم، فلا يلزم إسماع الموتى بل الأحياء، كما قال قتادة، وأيضًا الآية في الكفرة، والمراد أنك لا تجعلهم منتفعين بما يسمعون منك كالموتى والحديث لا يخالفه ولا يثبت الانتفاع للميت، وبالجملة، فالحديث صحيح وقد جاء بطرق[٢] فتخطئته غير متجهة، والله أعلم».

وقال العلامة نعمان بن محمود الألوسي في كتابه «الآيات البينات في عدم سماع الأموات»[٣]:

«وقال شيخ مشايخنا العلامة ابن عابدين في حاشيته على الكتاب المذكور- يعني: الدر المختار- ما لفظه: وأما الكلام فلأن المقصود منه: الإفهام والموت ينافيه، ولا يرد ما في الصحيح من قوله ﷺ لأهل القليب: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟

فقال عمر رضي الله عنه: أتكلم الميت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منهم أو من هؤلاء».

فقد أجاب عنه المشايخ:

١- بأنه غير ثابت من جهة المعنى وذلك لأن عائشة رضي الله عنها ردته لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[٤]، و﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[٥].

٢- وأنه إنما قاله على وجه الموعظة للأحياء.

---

(١) تعليقه على سنن النسائي: (٤/ ١١١).

(٢) في الأصل بطريق وهو غير مستقيم ثم يخالف واقع الحديث فإن له طرقا عديدة عن جملة من الصحابة كما مر.

(٣) (ص ٩-١١).

(٤) سورة فاطر الآية ٢٢.

(٥) سورة النمل الآية ٨٠.

٣- وبأنه مخصوص بأولئك تضعيفًا للحسرة عليهم .

٤- وبأنه خصوصية له -عليه الصلاة والسلام- معجزة .

٥- لكن يشكل عليهم ما في مسلم: «أن الميت يسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا» .

٦- إلا أن يخصوا ذلك بأول الوضع في القبر، مقدمة للسؤال جمعًا بينه وبين الآيتين، فإنه شبه فيهما الكفار بالموتى، لإفادة بعد سماعهم وهو فرع عدم سماع الموتى هذا حاصل ما ذكره في الفتح هنا وفي الجنائز» .

أقول: وفي هذا الكلام:

١- أن الأصل عندهم عدم سماع الأموات ودليلهم الآيتان المذكورتان وهذا المذهب حق في الجملة شريطة مراعاة الروايات الثابتة عن النبي ﷺ في حدود ما أخبر ﷺ .

٢- أنهم قلدوا عائشة ﵂ في رد حديث قليب أهل بدر .

٣- لكن يبدو أن إيمانهم بقصة القليب المسيطر عليهم قد جعلهم يتراجعون إلى التأويل، ثم إلى القول بالخصوصية معجزة له ﷺ بالنسبة لحديث قليب أهل بدر، وإلى الخصوصية بزمن معين بالنسبة لحديث أنس في سماع الموتى قرع النعال، وذلك الزمن هو أول وضع الميت في القبر، مقدمة للسؤال ذهبوا إلى هذا جمعًا بين الحديث وبين الآيتين .

وهذا موقف يشكرون عليه حيث راعوا ما دلت عليه الآيتان وفي الوقت نفسه راعوا ما بلغهم من الأحاديث الصحيحة، فوفقوا بينها وبين القرآن مخصصين القرآن بالسنة في حدود ما دل عليه الحديث .

ولو بلغهم كل الأحاديث التي تؤيد حديث ابن عمر في أهل القليب لما قلدوا عائشة ﵂ في رد حديث ابن عمر، ولهذا نرى من كان من الأحناف أكثر اعتناء بالسنة، واطلاعًا على شواهد حديث ابن عمر قرر صحة هذه الأحاديث وسلم بدلالاتها كالعيني والسندي وملا علي القاري .

رأي الحنابلة:

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي[1] في كتابه «البحور الزاخرة في أحوال الآخرة» ما عبارته: «وأنكرت عائشة ﵂ سماع الموتى، وقالت: ما قال رسول الله ﷺ: «إنهم ليسمعون الآن ما كنت أقول لهم أنه حق»، ثم قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[2]، و﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[3].

قال الحافظ ابن رجب: «وقد وافق عائشة ﵂ على نفي سماع الموتى كلام الأحياء طائفة من العلماء، ورجحه القاضي أبو يعلى من أكابر أصحابنا في كتاب «الجامع الكبير» واحتجوا بما احتجت به، وأجابوا عن حديث قليب بدر:

١- بما أجابت به عائشة ﵂:

٢- وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي ﷺ دون غيره، -وهو سماع الموتى لكلامه-، وفي صحيح البخاري: قال قتادة: أحياهم الله تعالى- يعني أهل القليب، حتى أسمعهم قوله ﷺ توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

وذهب طوائف من أهل العلم إلى سماع الموتى كلام الأحياء في الجملة».

والخلاصة:

١- أن جمهور العلماء صححوا حديث ابن عمر لذاته وأكدوه بشواهده الصحيحة ولم يقبلوا توهيم أم المؤمنين عائشة ﵂ لعبد الله بن عمر.

٢- أن بعضًا من علماء الأحناف وهم المعتنون بالسنة النبوية وافقوا الجمهور في تصحيح هذه الأحاديث والتوفيق بينها وبين النصوص القرآنية.

٣- أن بعضًا من فقهاء الأحناف تأثروا برأي عائشة ثم استسلموا لصحة الأحاديث فسايروا الجمهور في التوفيق بينها وبين الأحاديث.

٤- أن الجمهور ومن وافقهم من الأحناف لم يقولوا بسماع الموتى سماعًا مطلقًا.

---

(١) الآيات البينات لنعمان الآلوسي (ص٢٥-٢٧).

(٢) سورة النمل ٨٠.

(٣) سورة فاطر ٢٢.

٥- على هذا فلا يجوز لمسلم القول بأن الموتى يسمعون الكلام سماعًا مطلقًا بل يجب أن تفهم النصوص في حدود ما دلت عليه، فنفهم من حديث القليب أن الموتى سمعوا خطاب الرسول في تلك الحالة خاصة؛ بدليل قوله ﷺ: «إنهم ليسمعون الآن ما أقول لهم» وفي سماع الموتى قرع النعال في تلك الحال، حال المسألة وحال انصراف الناس عقيب دفن الموتى.

ولا يجوز التوسع في سماع الموتى لأمور:

أولًا: أنه من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، وفي عالم غير عالمنا يختلف عنه غاية الاختلاف.

ثانيًا: أن الصحابة كانوا يفهمون من نصوص القرآن عدم سماع الموتى وكان هذا هو الأصل عندهم.

ومن هنا سألوا رسول الله ﷺ عند ندائه الأموات فقالوا: «ما تكلم من أجساد لا أرواح لها».

ثالثًا: أن رسول الله ﷺ أقرهم على هذا الفهم الصحيح ولم ينكر عليهم هذا السؤال ولم يخطئهم ثم أجاب بما يفيد أن سماعهم مقيد بظرف معين وحالة خاصة فقال: «إنهم يسمعون الآن ما أقول لهم». وفي حديث أنس قيد سماعهم بوقت معين وهو حال انصرافهم بعد الدفن وذلك هو حال سؤال الملكين للميت.

ومن شاء استيفاء هذا البحث فعليه أن يرجع إلى كتاب «الآيات البينات في عدم سماع الأموات» للعلامة نعمان الآلوسي بتحقيق العلامة ناصر الدين الألباني فإنه كتاب قيم وزاده قيمة تقديم الشيخ الألباني له وتحقيقه وتخريج أحاديثه وإضافاته العلمية القيمة جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

وينبغي أن نتذكر هنا قول الغزالي:

«والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما جمعوا لها كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة».

فنرى هذا المنهج جليًا في عمل فقهاء الحديث ولا ينطبق إلا عليهم لإحاطتهم بالمرويات وعنايتهم بالقرآن والعلوم الإسلامية أكثر من غيرهم.

ونرى بُعْدَ الغزالي الهائل عن هذا المنهج فبحوثه تتسم غالبًا بالارتجال فتأتي شوهاء قد فقدت أهم مقومات البحث العلمي .

١١- قال الغزالي:

(وقع لي وأنا بالجزائر أن طالبًا سألني: أصحيح أن موسى ﷺ فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه بعدما استوفى أجله؟

فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر: وماذا يفيد هذا الحديث؟ إنه لا يتصل بعقيدة، ولا يرتبط به عمل، والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى وخصومها طامعون في إخماد أنفاسها!

اشتغل بما هو أهم وأجدى!

قال الطالب: أحببت أن أعرف هل الحديث صحيح أم لا؟ فقلت له متبرمًا: الحديث مروي عن أبي هريرة وقد جادل البعض في صحته .

وعدت لنفسي أفكر إن الحديث صحيح السند[1]، ولكن متنه يثير الريبة إذ يفيد أن موسى يكره الموت ولا يحب لقاء الله بعدما انتهى أجله .

وهذا المعنى مرفوض بالنسبة إلى الصالحين من عباد الله كما جاء في الحديث الآخر «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» فكيف بأنبياء الله؟ كيف بواحد من أولي العزم؟ إن كراهيته للموت بعدما جاءه ملكه مستغرب ثم هل الملائكة تعرض لها العاهات التي تعرض للبشر من عمى أو عور؟ ذاك بعيد.

قلت: لعل متن الحديث معلول، وأيًا ما كان الأمر، فليس لدي ما يدفعني إلى إطالة الفكر فيه .

فلما رجعت إلى الحديث في أحد مصادره ساءني أن الشارح جعل رد الحديث إلحادًا وشرع يفند الشبهات الموجهة إليه فلم يزدها إلا قوة . . . وهاك الحديث أولًا ثم ساق الحديث .

---

(١) بل صرح أعداء الله بتكذيبه انظر تأويل مختلف الحديث ص ٣٧٦ ولا يبعد أن الغزالي يعرف هذا التكذيب.

ثم قال: قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟

قال: وأجاب العلماء عن هذه الشبهة بأجوبة

ثم ساق الغزالي هذه الأجوبة فلم تزل شبهته المستحكمة فعلق عليها بقوله:

(نقول نحن: هذا الدفاع كله خفيف الوزن وهو دفاع تافه لا يساغ[1]، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافًا عقائديًا والعلة في المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي، وقد رفض الأئمة أحاديث صح سندها واعتل متنها فلم تستكمل بهذا الخلل شروط الصحة»[2].

أقول:

١- أجاب الغزالي الطالب وهو ضائق الصدر بقوله: «وماذا يفيدك هذا الحديث؟ إنه لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط بعمل والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى وخصومها طامعون في إخماد أنفاسها اشتغل بما هو أجدى».

فأسأل الغزالي: هكذا على هذه الصورة تتجاوب مع طلابك إذا سألوك عن أحاديث رسول الله ﷺ أتربيهم على هذه الأخلاق؟ من ضيق الصدر وشتات الأمر والعياذ بالله.

أتربيهم على الاستخفاف بسنة رسول الله ﷺ ؟!

فهذا الحديث لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط بعمل!

أكلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى وحديثه عن الله وعن رسول عظيم من كبار أولي العزم لا يكون في العير ولا في النفير لا في عقيدة ولا يرتبط

---

(١) هكذا يستخف، ويرمي كلام علماء الأمة الإسلامية وفقهائها في شرح الحديث وتوجيهه توجيهًا إسلاميًا ودفاعهم عنه بالتفاهة، أي أدب هذا مع رسول الله ﷺ وسنته ومع فقهاء الأمة وأعلامها. أليس الدافع إلى تأليف هذا الكتاب هو الدفاع عن فقهاء الأمة وتربية الشباب على احترامهم.

(٢) السنة النبوية. (٢٦- ٢٩).

بعمل وماذا تقول في قصته مع الإسرائيلي وقتله للقبطي؟ أليس هذا المنهج الذي تنتهجه يؤدي إلى الاستخفاف بكثير من قصص القرآن؟ فيقال على منهجك هذا إنها لا تفيد عقيدة ولا تتصل بعمل فلماذا ذكرها الله في القرآن؟ ولا نستبعد أن يأخذ كلامك هذا ملحد فيوجهه إلى شباب المسلمين ليشككهم في دينهم فيقول لماذا قص الله كثيرًا عن الأنبياء وهي قصص كثير منها لا تفيد عقيدة ولا ترتبط بعمل؟

لماذا ذكر الله قصة نملة سليمان وقصة الهدهد؟ بل لماذا ذكر الله قصة طويلة عن يوسف استوعبت أكثر سورة يوسف وفيها قصته مع امرأة العزيز وفيها رؤى وفيها قصته مع إخوته وقصة الصواع والعير، وفعلًا قد اعترض بعض الملاحدة على سورة يوسف لأن أكثرها قصص وسوف يزيد ملاحدة عصرنا هذه القاعدة التي صاغها الغزالي: أنها لا تفيد عقيدة ولا ترتبط بعمل .

وما الذي يؤمننا على تلاميذ الغزالي أن تحك في صدورهم وتحوم في نفوسهم- وقد حطم لهم سياج السنة ورسخ في نفوسهم هذه القاعدة- شبه قوية في كثير من قصص القرآن العظيم .

وما الذي يؤمننا أن يثب الملاحدة بشبهة الغزالي على السنة .. على القرآن نفسه! يا غزالي لا تفتح على الإسلام ثغرة لا تستطيع سدها؛ إن الذي يؤمن بقول الله تعالى في قصة موسى والقبطي ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾[1]، وإن الذي يؤمن بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾[2].

لا يرتاب في قصة موسى مع ملك الموت ولطمته له؛ لأنه وهاتين القصتين القرآنيتين من باب واحد، والذي يرتاب في هذا الحديث لا يؤمَن عليه الارتياب في القصتين القرآنيتين بل في قصص كثير من القرآن لاسيما إذا كان ينظر بمنظور تلك القاعدة التي وضعها الغزالي، إن حنق الغزالي على الحديث وأهله ليحجبه عن معاني القرآن، ويحول بينه وبين شد الانتباه إلى ألفاظه ومعانيه، ويحول بينه وبين

(١) سورة القصص الآية ١٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

الربط بين معاني القرآن والسنة فيجر على الإسلام من المشاكل والمخاطر أكثر مما يدفع عنه وأخطر.

ثم نسأل الغزالي: أترى أن ضيق صدرك وتبرمك في مواجهة الطالب وسؤاله، ثم نشرك الرد عليه وطعنك في الحديث ورواته وشراحه ورميك لهم بالسطحية في الفكر.. إلخ، ينفع الأمة ويوقف عنها الرحى الطاحنة، ويكف عنهم مطامع الخصوم؟!

أما ترى أنه أنفع للإسلام والمسلمين وأوفر لوقتهم وأبعد عن جرح مشاعرهم، أن تجيب الطالب بإجابة موجزة، تراقب الله فيها ثم لا خصام ولا كلام ولا نشر ولا تشهير ولا طعن عارم يجرف كل شيء أمامه؟

ب- ويقول متبرمًا:

«الحديث مروي عن أبي هريرة وقد جادل البعض في صحته».

أقول: أهذا التبرم من حديث رسول الله ﷺ أم من صاحبه حافظ الصحابة وراوية حديث رسول الله ﷺ الأمين الصادق أبي هريرة رضي الله عنه؟!

ومن هم الذين جادلوا في صحته أهم الصحابة أم أئمة التابعين أم أئمة الحديث أم فقهاء الإسلام الأربعة أم غيرهم؟!

من هم سلفك يا غزالي في الطعن في هذا الحديث، والتبرم به وبراويه؟ ألا تسميهم لنا؟ لقد سماهم لك المازري: إنهم الملحدون.

أما كان لك في كلام المازري ما يكفكف اندفاعك ويعيدك إلى شرف الوقوف في صفوف أهل السنة؟!

ما الذي تفيده ويفيده الإسلام من الإصرار والتمادي في الطعن في حديث صحيح رواه الشيخان إماما المحدثين البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين تلقتهما الأمة بالقبول؟!

بل ما الذي يفيده الإسلام من الحملات المتواصلة على أحاديث كثيرة تختارها من أصح مصادر الإسلام ثم يتم التركيز عليها بشدة وبسخرية، ويستمر كل هذا وتدور عليها رحى الغزالي الدءوب التي لا تهدأ ولا تعرف الكلل

(ج) ويقول: «وعدت لنفسي أفكر إن الحديث صحيح السند لكن متنه يثير الريبة إذ يفيد أن موسى يكره الموت، ولا يحب لقاء الله بعدما انتهى أجله وهذا المعنى مرفوض بالنسبة للصالحين من عباد الله».

(د) ويقول: «والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى وخصومها طامعون في إخماد أنفاسها.

اشتغل بما هو أهم وأجدى».

أقول: ما المراد بهذا الكلام، لو قيل هذا الكلام في هذه المناسبة فقط لربما سكتنا عنه، ولكنه مع الأسف أصبح سلاحًا يشهر في وجه الدعاة إلى منهج السلف وإلى عقيدة التوحيد والسنة في كل مكان، ولها نظائر لإسكات صوت الحق وإبقاء الباطل بمختلف أصنافه يصول ويجول ويسرح ويمرح لا يفمغم له بالشنان مثل قولهم دعوة التوحيد تفرق الأمة. ويعلم الله ويعلم العقلاء أنه ما فرق الأمة ومزقها وأذلها إلا الهوى واتباع الباطل.

ويعلم الله ويعلم المخلصون أنه لا يجمع الأمة ويعلي شأنها إلا التوحيد واتباع الحق لو توفر الإخلاص والصدق في الدعوة إلى الله ومنهجه الصحيح.

ومثل قولهم: «بدعة تجمعنا خير من سنة تفرقنا».

وما أشبهه بقول الشاعر الفاجر:

سلام على كفر يوحد بيننا ... وأهلًا وسهلًا بعده بجهنم

إن أصوات الباطل هي التي يجب أن تقف وتسكت وصوت الحق هو الذي يجب أن يجلجل وأن تصيخ الأمة لدعاته فإن يرد الله بالأمة خيرًا تم لها ذلك وإلا فلتنتظر الهلاك المدمر على أيدي دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه في النار.

(هـ) ويقول: «كما جاء في الحديث الآخر: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» فكيف بأنبياء الله؟ وكيف بواحد من أولي العزم».

أقول: إن الحديث صحيح السند والمتن، بل في أعلى مراتب الصحة إذ هو مما اتفق عليه البخاري ومسلم.

ولي أن أسأل الغزالي : لماذا لم تصرح بأن الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم، ألا تعلم أن الحديث الذي يتفق على روايته الشيخان يكون له منزلة أعلى في نفوس المسلمين، وأن هناك فرقًا كبيرًا بين قولك الحديث صحيح السند وبين قولك الحديث اتفق عليه البخاري ومسلم، ما الهدف من هذا التصرف؟

الجواب يعرفه أولو الألباب والنهى.

(و) ويقول: «ولكن متنه يثير الريبة إذ يفيد أن موسى يكره الموت».

أقول: أكراهية موسى ﷺ أو غيره للموت تكون من المستحيلات ومن الأمور القادحة في النبوة؟ حتى تثير في نفسك الريبة.

إذا كان متن هذا الحديث يثير الريبة فما موقفك من قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾[1].

وقوله تعالى في شأن موسى -عليه الصلاة السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[2].

وقول الله في شأن موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

فما هو موقفك من هذه الآيات؟ لأن العلة التي رددت بها الحديث موجودة فيها أترد هذه الآيات أمَّاذا تفعل؟

فلو كان الغزالي يشد انتباهه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه- كما يوصي بذلك- ويربط بين معانيه ومعاني السنة أكان يقع في مثل هذه الورطات؟! ولكن الهوى

---

(١) سورة القصص الآية ٣٠، ٣١.

(٢) سورة القصص الآية ٣٣.

(٣) سورة القصص الآية ٢٠، ٢١.

يعمي ويصم .

لقد رمى الغزالي هنا أصحاب الحديث بأنهم أصحاب الفكر السطحي فأعاد الله سهامه إلى نحره ليكون عبرة لمن يعتبر .

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(١) .

ولقد تبين للقارئ من هو صاحب الفكر السطحي وتبين له أن البخاري ومسلمًا ومن شاركهما في رواية هذا الحديث أنهم فقهاء راسخون في العلم لا يصابون بالشرود الذهني عن معاني القرآن عندما يسجلون ما يروونه عن نبيهم الكريم ﷺ ؛ بل يربطون بين القرآن والسنة على أحسن ما يكون الربط وأحكمه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

إن كراهية الموت أمر فطري فطر الله عليه البشر وقد شرع الله الدفاع عن النفس، ونهى عن إلقاء النفس في التهلكة .

وإن الأنبياء أشد الناس شجاعة، ومع ذلك يتخذون الأسباب المشروعة لدرء الأخطار ودفع سطوات الأعداء وغوائلهم . .

وقد اختفى رسول الله ﷺ في الغار وهاجر خفية أخذًا بالأسباب التي تعمي أخباره عن الأعداء، وكان يتخذ حراسًا يحرسونه غوائل أعدائه حتى أنزل الله : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٢) . وبعد هذه العصمة صرف أصحابه الكرام عن حراسته .

ولقد ظاهر رسول الله ﷺ يوم أحد بين درعين وكل ذلك من الأسباب الشريفة والمعقولة والمشروعة التي يستحسنها العقلاء، ولا تخدش في مكانة الأنبياء والعقلاء.

إن حب لقاء الله ليس معناه المبادرة بالانتحار أو الاستسلام للأحداث والأخطار، بل على المسلم أن يدفع الأخطار ويصارع الأهوال مادام يملك

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٦ .

الأسباب لدفعها .

إن الإنسان ليعجب من تصرفات الغزالي، إنه قبل أن يفهم معنى الحديث يسارع إلى رده زاعمًا أنه يخالف القرآن وقد يزعم أنه يخالف حديثًا آخر إذا خيل له أن هذا الحديث ينسجم مع فكره .

لقد زعم هنا أن حديث لطم موسى لملك الموت يخالف حديث «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وأعل الأول بالأخير. وعلم الله أنه لم يفقه الحديثين ومع بعده عن فقههما لم يحسن نقل الأخير.

فلفظ الحديث، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله: أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت . فقال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله؛ فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله؛ فكره الله لقاءه» .

وعنها رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، والموت قبل لقاء الله» .

وعن شريح بن هانيء قال: أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا، إن كان كذلك فقد هلكنا .

فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك؟

قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت .

فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[1] .

ففي هذه الأحاديث الشريفة البيان الواضح لحب لقاء الله وكراهة لقائه؛

---

(١) صحيح مسلم: (٤/٢٠٦٦)، ٤٨- كتاب الذكر حديث (٢٦٨٤، ٢٦٨٥) ومسند أحمد: (٦/٢١٨) .

وتحديد واضح لزمنهما وأنهما ليسا على إطلاقهما بل هما مقيدان بزمن معين حين يباشر ملك الموت انتزاع الروح من الجسد فعلًا وحين يبشر المؤمن برحمة الله وجنته ورضوانه حين يرى مقعده من الجنة وحين يبشر الكافر بعذاب الله وسخطه حين يرى مقعده من النار.

وإذن فليست هي الكراهية التي طبع الله عليها البشر التى أرادتها أم المؤمنين عائشة بقولها: «فكلنا نكره الموت» وخطأ رسول الله ﷺ هذا الفهم الذي تبادر إلى ذهن أم المؤمنين وبين لها وللأمة مقصوده بقوله: «ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله .. إلخ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله ..» إلخ.

إنه تحديد دقيق بزمن معين تتكشف فيه الحقائق وتتحدد المصائر النهائية للمؤمن وللكافر، وفي ذلك الزمن تهش نفس المؤمن وتطير فرحًا بلقاء الله، ويظهر للكافر والمجرم نتائج كفره وإجرامه ومصيره الرهيب فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه

ولتزداد فهمًا انظر إلى قول رسول الله ﷺ: «والموت قبل لقاء الله»، وإلى قول أم المؤمنين لشريح: «وليس بالذي تذهب إليه ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

وإذن لا تعارض بين الحديثين فلا يلام امرؤ مسلم على كراهية الموت قبل الحال التي بينها رسول الله ﷺ ..

والحال التي واجه ملك الموت فيها موسى -صلوات الله وسلامه عليه- غير الحال التي أرادها رسول الله ﷺ: «ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

وعلى الغزالي مؤاخذة في بتره لهذا النص ثم اعتراضه به على حديث صحيح يتفق مع نصوص القرآن وسلم به واحتفى به علماء الأمة، فهو ملوم على ذلك سواء كان بتره عن جهل وعجز أو كان عن تعمد وقصد.

(ن) ويقول: «ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عمى وعور، ذاك بعيد».

أقول: ما هو دليلك على هذا الاستبعاد فالله أوجدهم من العدم وأعطاهم الحياة ثم يميتهم ويفنيهم فإذا كانوا يموتون حتمًا ويفنون بقدرة الله وإرادته فما الذي يمنع قدرة الله وإرادته إذا أراد أن يصيبهم بعاهات .

(ح) ويقول: «قلت: لعل الحديث معلول وأيًا ما كان فليس لدي ما يدفعني إلى إطالة الفكر فيه».

أقول: ما هي علته، لا يمكن أن يبرز هذه العلة، وفاقد الشيء لا يعطيه ومعرفة العلل لها رجالها النوابغ الفحول .

وللحديث رجال يعرفون به وللدواوين حساب وكتاب.

ثم إن الرجل مع عجزه عن إبداء العلل في الأحاديث التي يتهجم عليها يشمخ بأنفه فيراها أهون وأقل من أن يطيل الفكر فيها، والتمس الرجل طريقًا سهلًا لعله يجد عند أهله طعنًا في الحديث فأصيب بخيبة الأمل إذ وجد من رجا منهم الإسعاف يرمون من طعن في الحديث بالإلحاد.

ولو وجدت طلبته عندهم لأرغى بها وأزبد، ولكن الله يأبى إلا أن ينصر رسوله ودينه.

قال: «فلما رجعت إلى الحديث في أحد مصادره ساءني أن الشارح جعل رد الحديث إلحادًا، وشرع يفند الشبهات فلم يزدها إلا قوة». ثم ذكر عن المازري تفنيد الشبهات وفيها رمي بالإلحاد للذين أنكروا الحديث، فتعقبه الغزالي بقوله:

ط- «ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة ورفضه أو قبوله خلاف فكري وليس خلافًا عقائديًا والعلة في المتن يبصرها المحققون وتخفى عن أصحاب الفكر السطحي».

لقد ضن على القارئ بذكر المصدر الذي رجع إليه، ولا ندري لماذا؟ ولاستحكام الأمراض وتمكن الشبه من قلبه- والعياذ بالله- لم تزدد بردود العلماء عليها ودفعهم لها إلا قوة في نفسه .

والاستطالة على سنن رسول الله ﷺ الثابتة بالأسانيد الصحيحة مع تلقي الأمة لها بالقبول أمر أسهل من أكل التمر وشرب الماء وحكاية العلماء لواقع المنكرين

للسنن المستخفِّين بها ووصفهم بأنهم ملحدون يعتبر استطالة في أعراض المسلمين مع أن المسلمين لم ينكروها ولم نعرف مسلمًا حقًّا أنكرها، فليسم لنا الغزالي المسلمين الذين استطال العلماء في أعراضهم ووصفوهم بالإلحاد ظلمًا؛ ليسمهم لنا إن كان من الصادقين.

وقد كان في أول كلامه مرتابًا في صحة متن الحديث ثم قال ثانيًا: «ولعل متن الحديث معلول»، ثم جزم الآن بأن فيه علة قادحة قال: «والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة».

وليس بغريب هذا عليه فإنه أبو التناقضات.

ونقول: لماذا لا يتهم الغزالي عقله وفهمه ويتمثل بقول الشاعر[1]:

وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

ويقوله[2]:

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرًّا به الماء الزلالا

فإذا أنصف من نفسه وعرف قدرها قال لها: إن العلل الكامنة فيكِ لا في أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة فيدفعه هذا الإحساس الطيب المتواضع إلى احترام سنة رسول الله ﷺ واحترام نقلتها والعالمين بها فيسلم بفقههم وإمامتهم ورسوخ أقدامهم في العلم.

(ي) ويقول عن هذا الحديث:

«ورفضه أو قبوله خلاف فكري وليس خلافًا عقائديًّا».

وهكذا يحيي مذهب النظَّام وأمثاله في العدوان والاستطالة على سنة رسول الله ﷺ ثم يربت على أكتاف المشدوهين من هذا العبث بسنة رسول الله ﷺ ويهدئ من روعهم بأن الأمر هين فإنه من الاختلاف الفكري، والناس يعلمون أن في عصرنا أفكارًا هدمت المبادئ الدينية والأخلاقية ومن هنا يسمونها أفكارًا

---

(١) هو أحمد بن الحسين أبو طالب المتنبي، انظر ديوانه بشرح البرقوقي (٤/ ٢٤٦).
(٢) له أيضًا: (٣/ ٣٤٤).

هدامة، فهل يزعم الغزالي أن حملاته على سنة رسول الله ﷺ والعبث بها والسخرية منها ومن حُماتها من الأفكار البناءة، ويرجى له جزاء المجتهدين .

(ك) ويقول: «والعلة يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي».

ونسأله ما هي هذه العلة؟ ومن هم المحققون الذين يبصرونها؟ لا يبعد أن يكون النظّام وأضرابه ممن سماهم المازري والخطابي وأيدهم أئمة الفقه والحديث بأنهم الملحدون .

ومن هم أصحاب الفكر السطحي الذين تخفى عليهم العلل؟ والجواب الذي طواه الغزالي بأنهم البخاري ومسلم والمازري والنووي وغيرهم من جهابذة الإسلام ممن روى الحديث ودرسه وآمن به ودافع عنه من سادات هذه الأمة .

ولماذا يرميهم بالسطحية؟ لأن المازري والخطابي وابن خزيمة وصفوا منكري هذا الحديث والطاعنين فيه بالإلحاد وأقرهم علماء الأمة منهم القاضي عياض والنووي وابن حجر والعيني وغيرهم على هذا الأمر الخطير الذي يسوء الغزالي .

إذن لابد من الانتقام وأخذ الثأر منهم ورميهم بالسطحيين في الفكر ودفاعهم بالتفاهة .

نص الحديث

عن أبي هريرة ﷺ قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى ﷺ، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال: قال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»(1).

(1) أخرجه البخاري (١ / ٤١١)، ٢٣- الجنائز، باب من أحب الدفن بالأرض المقدسة حديث (١٣٣٩)،=

موقف علماء الأمة من هذا الحديث

لقد تلقى علماء الأمة هذا الحديث بالقبول والاحترام لأنه جاءهم عن طريق الثقات الصادقين المأمونين ورواه أئمة الحديث في دواوين الإسلام في الصحاح والسنن والجوامع مسلِّمين بصحته مؤمنين بمضمونه .

فرواه من أئمة الحديث:

١- عبد الرزاق في مصنفه .

٢- والإمام أحمد في مسنده .

٣- والبخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، والنسائي في سننه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، وابن أبي عاصم في السنة، وأورده السيوطي في الجامع الكبير[١]، والشيخ الألباني في صحيح الجامع[٢]، والمتقي الهندي في كنز العمال .

كلهم مؤمنون بصحته وصحة معناه .

وتعرض له بعض الملاحدة والجهمية المخذولين بالطعن والتكذيب فتصدى للرد عليهم ودحض شبهاتهم أئمة الإسلام وأعلامه، مثل ابن قتيبة، وابن خزيمة، وابن حبان، والخطابي[٣] والمازري[٤]، والقاضي عياض[٥] ، وابن

= في ٦٠- كتاب أحاديث الأنبياء- باب وفاة موسى ﷺ حديث (٣٤٠٧). ومسلم: (٤/ ١٨٤٢)، ٤٣- الفضائل حديث (٢٣٧٢)، وأحمد: (٢/ ٢٦٩)، والنسائي: (٤/ ١١٨-١١٩) الجنائز حديث (٢٨٩) كلهم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ وعبد الرزاق في المصنف (١١ / ٢٧٤) حديث (٢٠٥٣٠)، وابن أبي عاصم في السنة... به (١/ ٢٦٦) حديث (٥٩٩، ٦٠٠).

وأخرجه أحمد: (٢ / ٥٣٣) من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «لقد كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا قال: فأتى موسى فلطمه...» الحديث. ورواه ابن حبان في صحيحه (٨/ ٣٨، ٣٩).

وأورده ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٦) .

(١) (١/ ١١٢) . (٢) (١/ ٣٠٩) .

(٣) أعلام السنن: (١ / ٦٩٦-٦٩٨) .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم: (١٥ / ١٢٩) . (٥) المصدر نفسه .

التين[1]، والنووي[2] وابن كثير[3] وابن حجر[4] والعيني[5] والسيوطي[6] والقسطلاني[7] والسندي[8] والأبي الوشتاني[9] وغيرهم من شيوخ هؤلاء المذكورين وتلاميذهم يؤيدونهم والأمة من ورائهم.

وفي عصرنا هذا طعن فيه أبو رية وتصدى للرد عليه الشيخ عبد الرحمن المعلمي في كتابه «الأنوار الكاشفة».

١- قال أبو حاتم ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر خبر شنع به على منتحلي سنن المصطفى ﷺ من حرم التوفيق لإدراك معناه:

«. . . عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه . . . » الحديث . قال أبو حاتم: إن الله -جل وعلا- بعث رسول الله ﷺ معلمًا لخلقه، فأنزله موضع الإبانة عن مراده، فبلغ ﷺ رسالة ربه؛ وذاك أن الله -جل وعلا- أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار وأمره أن يقول له: أجب ربك أمر اختبار وابتلاء لا أمرًا يريد الله -جل وعلا- إمضاءه، كما أمر خليله -صلى الله على نبينا وعليه- بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء دون الأمر الذي أراد الله -جل وعلا- إمضاءه، فلما عزم على ذبح ابنه وتله للجبين فداه بالذبح العظيم.

وقد بعث الله -جل وعلا- الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم ﷺ ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة[10].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٨/ ١٤٨-١٤٩).
(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: (١٥/ ١٢٩).
(٣) البداية والنهاية: (١/ ٣٤٦).
(٤) فتح الباري: (٦/ ٤٤٢).
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٨/ ١٤٨-١٤٩).
(٦) شرح النسائي: (٤/ ١١٩).
(٧) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: (٢/ ٤٣٥-٤٣٦).
(٨) شرحه على النسائي: (٤/ ١٢٠).
(٩) إكمال إكمال المعلم: (٦/ ١٦٤).
(١٠) وكمجيء الملائكة إلى نبي الله لوط ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ . . . ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ...﴾ الآيات: [هود: ٧٧- ٨١].

وكمجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام فسلم، فعرفه المصطفى ﷺ حين ولى.

فكان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى ﷺ عليها، وكان موسى غيورًا فرأى في داره رجلًا لم يعرفه، فشال يده فلطمه فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصورة التي يتصور بها لا الصورة التي خلقه الله عليها.

ولما كان المصرح عن نبينا ﷺ في خبر ابن عباس حيث قال: «أمّني جبريل عند البيت مرتين- فذكر الخبر وقال في آخره: هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك» مرتين في هذا الخبر البيان الواضح أن بعض شرائعنا، قد تتفق بعض[1] شرائع من قبلنا من الأمم، ولما كان من شريعتنا أن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه أو الناظر إلى بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله، ولا حرج على مرتكبه للأخبار الجمة الواردة فيه التي أمليناها في غير موضع من كتبنا، كان جائزًا اتفاق هذه الشريعة[2] شريعة موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحًا له ولا حرج عليه في فعله، فلما رجع ملك الموت إلى ربه أخبره بما كان من موسى فيه أمره ثانيًا بأمر آخر أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل، إذ قال الله له: قل له: إن شئت فضع يدك على متن ثور، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة، فلما علم موسى كليم الله -صلى الله على نبينا وعليه- أنه ملك الموت وأنه جاءه بالرسالة من عند الله طابت نفسه بالموت، ولم يستمهل، وقال: «الآن».

فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الحطب ورعاة الليل يجمعون ما لا ينتفعون به، ويروون ما لا يؤجرون عليه، ويقولون بما يبطله الإسلام، جهلًا منه لمعاني الأخبار وترك التفقه في الآثار

---

(١) كذا ولعل فيه سقطًا مثل كلمة مع.

(٢) كذا ولا يبعد أن يكون قد سقط منه لفظ مع أو نحوه والطبعة التي نقلنا عنها هذا النص فيها أخطاء.

معتمدًا على رأيه المنكوس، وقياسه المعكوس»[1].

وقال النووي: قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة[2] هذا الحديث، وأنكروا تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت، قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحانًا للملطوم، والله ﷻ يفعل في خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد.

الثاني: أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصًا.

قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: «فرد الله عينه» فإن قيل: أراد حجته كان بعيدًا.

والثالث: أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء، ويؤيده رواية صكه.

وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري، والقاضي عياض وقالوا: ليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيًا بأنه ملك الموت، فالجواب: أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم بخلاف المرة الأولى»[3].

وقد نقل الغزالي هذه الأقوال الثلاثة وعلق عليها بما ذكرناه عنه آنفًا من الاستخفاف والطعن..

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: (٨/ ٣٨-٤٠).

(٢) وقد سبقه الخطابي إلى هذا القول فقال: «هذا حديث يطعن فيه الملحدون، وأهل الزيغ والبدع» إعلام الحديث: (١/ ٦٩٦).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم: (١٥/ ١٢٩).

وقال النووي: «لا يمتنع أن يأذن اللَّه لموسى في هذه اللطمة امتحانًا للملطوم»[1] وللإمام ابن عقيل الحنبلي نحو هذا[2].

وقال العيني: «وقال ابن خزيمة: أنكر بعض أهل البدع والجهمية هذا الحديث، قالوا: لا يخلو أن يكون موسى -عليه الصلاة والسلام- عرف ملك الموت أو لم يعرفه.

فإن كان عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه، فرواية من روى أنه كان يأتي موسى عيانًا لا معنى لها، ثم إن اللَّه تعالى لم يقتص لملك الموت من اللطمة وفقء العين، واللَّه تعالى لا يظلم أحدًا.

قال ابن خزيمة: وهذا اعتراض من أعمى اللَّه بصيرته، ومعنى الحديث صحيح؛ وذلك أن موسى لم يبعث اللَّه ملك الموت وهو يريد قبض روحه حينئذٍ، وإنما بعثه اختبارًا وابتلاءً، كما أمر اللَّه تعالى خليله بذبح ولده، ولم يرد إمضاء ذلك ولو أراد أن يقبض روح موسى -عليه الصلاة والسلام- حين لطم الملك لكان ما أراد.

وكانت اللطمة مباحة عند موسى، إذ رأى آدميًا دخل عليه ولا يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ومحال أن يعلم موسى أنه ملك الموت، ويفقأ عينه.

وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلم يعرفهم ابتداءً، ولو علمهم لكان من المحال أن يقدم إليهم عجلًا لأنهم لا يطعمون، وقد جاء الملك إلى مريم، فلم تعرفه ولو عرفته لما استعاذت منه، وقد دخل الملكان على داود -عليه الصلاة والسلام- في شبه آدميين يختصمان عنده، فلم يعرفهما، وقد جاء جبريل -عليه الصلاة والسلام- إلى سيدنا رسول اللَّه ﷺ وسأله عن الإيمان، فلم يعرفه وقال ما أتاني في صورة قط إلا عرفته فيها غير هذه المرة . . . فكيف يستنكر ألا يعرف موسى الملك حين دخل عليه .

---

(١) الفتح: (٦ / ٤٤٢)، وعمدة القاري: (٨ / ١٤٩) .

(٢) الفتح: (٦ / ٤٤٣) .

وأما قول الجهمي : أن الله تعالى لم يقتص للملك فهو دليل على جهله .

من الذي أخبره أن بين الملائكة والآدميين قصاصًا؟ أو من أخبره أن الملك طلب القصاص، فلم يقتص له؟ وما الدليل على أن ذلك كان عمداً؟

وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن الله تعالى لم يقبض نبيًا قط حتى يريه مقعده في الجنة ويخيره، فلم ير أن يقبض روحه قبل أن يريه مقعده من الجنة ويخيره »[1].

فهذه أقوال علماء الأمة متقدميهم ومتأخريهم في معنى هذا الحديث الشريف، وفي الدفاع عنه وصد هجمات المبتدعين والملاحدة وهي أقوال كلها تقوم على الإيمان بصحة الحديث وصدق نسبته إلى رسول الله ﷺ.

ثم كلها وجوه صحيحة معقولة ما عدا الوجه الذي رده المازري وغيره وأقواها قول الإمام أبي بكر بن خزيمة الذي قبله الجميع وقول تلميذه ابن حبان فإنه مستمد منه، لأنهما مدعمان بالأدلة من الكتاب والسنة ويساندها العقل والفطرة .

ولقد اتضح أن هذا الحديث ما من جملة من جُمَلِه إلا ويشهد لها نصوص من القرآن من واقع صاحب القصة موسى -عليه الصلاة والسلام-، وما من شبهة وجهت إليه إلا وفي القرآن ما يدفعها من واقع صاحب القصة -صلوات الله على نبينا وعليه- وغيره مما يؤكد صدق نقلته وأمانتهم ومما يؤكد أنه من قول رسول الهدى الذي لا ينطق عن الهوى، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام ومن اتبعهم بإحسان .

ومن النصيحة للغزالي أن يعود إلى الجادة جادة الحق، ويريح نفسه والأمة من الدعاوى العريضة ومن المغالطات الكبيرة لنفسه ولشباب الأمة التي تتحول في جو البحث العلمي إلى سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٨/ ١٤٨- ١٤٩) .

خاتمة

وفيها تنبيه وتحذير للصادقين في دينهم والغيورين على سنة نبيهم لقد شد انتباهي أن الغزالي يشترك مع أبي رية في توجيه المطاعن إلى جملة من الأحاديث الشريفة أذكر منها :

١- حديث تميم الداري عن الدجال والجساسة «الأنوار الكاشفة» : ص ١٣٤ .

٢- حديث الاضطجاع بعد ركعتي الفجر «الأنوار الكاشفة» : ص ١٧٤ .

٣- أحاديث إثبات الصورة لله «الأنوار الكاشفة» : ص ١٨٦ .

٤- حديث موسى وملك الموت «الأنوار الكاشفة» : ص ٢١٩ .

٥- وحديث الذبابة .

٦- وبلغني عن ثقات أنه يسخر من حديث ضرس الكافر في النار مثل أحد، وأبو رية ينكر حديث ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام . ص ٢٢١ ، فلا يبعد أن ينكر الغزالي هذا الحديث، وحديث ضرس الكافر . . في تأويل مختلف الحديث .

هذا ما وجدت من الأحاديث التي يشترك الغزالي مع أبي رية في ردها والطعن فيها ، والفرق بينهما :

١- أن أبا رية صريح ويعزو في كثير من الأحيان إلى المصادر التي يستقي منها طعنه كجولد تسيهر وابن أبي الحديد والإسكافي ونحوهم، والغزالي لا يعزو إلى المصادر الخطيرة التي استقى منها إلا في أندر من النادر .

٢- وأبو رية لا يتستر بالأئمة ولا يقول في أحاديث تحترمها الأئمة ويموتون دونها . . ولست منفردًا بهذا فقد سبقني الأئمة يقولها تسترًا ومغالطة ويكثر من ذلك .

٣- وأعتقد أن الأحاديث التي طعن فيها أكثر من الأحاديث التي طعن فيها أبو رية ، ومنهج الغزالي وأساليبه أخطر لأنه يطعن في الأحاديث باسم الغيرة على الإسلام وباسم الداعية الغيور . هدف الغزالي ألا يقطع الشعرة التي بينه وبين أهل السنة فيرخيها تارة ويشدها أخرى حفاظًا على مكانته وسمعته وساعده غفلة العلماء

عنه وحسن ظنهم به على الإمعان في الطعن في السنة وأهلها والخدش في عقائد أهل السنة وأخلاقهم باسم الداعية الغيور والناصح الأمين .

٤- والغزالي أكثر تركيزًا على الصحيحين من غيره، وهناك أحاديث طعن فيها الغزالي أوردها ابن قتيبة في كتابه «تأويل مختلف الحديث» ليدفع عنها شبه النظَّام وأبي الهذيل والجاحظ، ويدرأ مطاعنهم ومطاعن أمثالهم .

منها :

١- حديث عمر أن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره ص ٨٧ من «تأويل مختلف الحديث» وص ١٤٧ من «السنة النبوية» للغزالي وعقبه بقوله : «وهذا السياق يكاد يكون نصًا في الجبر ولذلك نرفضه» .

٢- وقال النظام : «لو كان ابن مسعود بدل نظره في الفتيا نظر في الشقي كيف يشقى والسعيد كيف يسعد حتى لا يفحش قوله على الله ولا يشتد غلطه» . . وقال : «وزعم أن القمر انشق وأنه رآه وهذا من الكذب الذي لا خفاء به، لأن الله لا يشق القمر له وحده، ولا لآخر معه وإنما يشقه ليكون آية للعالمين»[1]. وطعن فيه عدة مطاعن .

وقد تأسى به الغزالي في الطعن في هذين الحديثين فهوش على معنى الأول وهو ما رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ : «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة . . . ثم يبعث الله الملك يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد. . .»[2] الحديث . وقد عزاه الغزالي إلى مسلم فقط ولا أدري ما السبب ولأي غرض، انظر كتاب «السنة النبوية»[3] قال الغزالي فيه : «إذا كان الحديث، المذكور تنويهًا بشمول العلم الإلهي وأن بدايات بعض الناس

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٢١ .

(٢) أخرجه البخاري : (٤ / ٤٢٤)، بدء الخلق حديث (٣٢٠٨) وأخرجه في الأنبياء وفي القدر، ومسلم في القدر : (٤ / ٢٠٣٦) حديث (٢٦٤٣) ورواه أبو داود في السنة : (٥ / ٨٢) حديث (٤٧٠٨) والترمذي في القدر (٢١٣٨) وابن ماجه في المقدمة باب القدر حديث (٧٦) .

(٣) ص ١٤٦ .

قد تكون مخالفة لنهاياتهم فلا بأس في قبوله بعد الشرح المزيل للبس، أما المعنى القريب للحديث فمردود يقينًا وهو مخالف للكتاب والسنة أو للعقل والنقل.

أي: إنه إن انقاد له الحديث ذليلًا إلى مذهب المعتزلة البعيد فلا بأس به تفضلًا من الغزالي وتكرمًا على الحديث المسكين، وإن أبى واستعصى عليه فلا يفهم منه إلا ما فهم أهل السنة والجماعة فمردود يقينًا، وهو مخالف للكتاب والسنة أو للعقل والنقل بشهادة الإمام النظام الذي كذب الحديث وكذب راويه ابن مسعود.

وأما الحديث الثاني: وهو انشقاق القمر فقد تقدم البحث فيه وقد تعمد الغزالي إخفاء تكذيب النظام الصريح فذكر منه شطرًا وهو قوله: «لأن الله لا يشق القمر لابن مسعود وحده».

وقد ساق الغزالي هذا الجزء من كلام النظام مساق الاحتجاج به وقد فهمت منه تكذيب النظام لابن مسعود وأخذت به الغزالي ثم راجعت تأويل مختلف الحديث فوجدت ما فهمته صريحًا واضحًا فتأكدت أن الغزالي بارع أشد البراعة في مخادعة أهل السنة واستغفالهم ومخاتلتهم وفهمت سر هروبه من التصريح بمصادره والعزو إليها بدقة كما يفعله الباحثون والكتاب في هذا العصر، وقد أشرت إلى هذا فيما سبق.

٣- ومنها: حديث الذباب(١).

٤- وحديث: أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه(٢) فقد أوردهما ابن قتيبة في كتابه للدفاع عنهما وردًا لمطاعن الملاحدة وغلاة المبتدعين. وليعلم القارىء أنه ليس لدى الغزالي من العلم والدقة والإحاطة بالأدلة ما يساعده على مقارعة الحجة بالحجة كما أنه ليس لديه الاستعداد الكامل للبحث والتنقير، فيلجأ إلى الهجوم العنيف المصحوب في كثير من الأحيان بالسخرية والتحقير.

---

(١) تأويل مختلف الحديث: (ص ٢٢٨).

(٢) تأويل مختلف الحديث: (ص ٢٤٥).

وأخيرًا: فإني أرى أن فكر الغزالي خطير جدًّا على الإسلام فهو امتداد خطير لشتى الدعوات الرهيبة:

فهو امتداد رهيب للاشتراكية والديمقراطية.

وامتداد خطير لدعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل مجال.

وامتداد لدعوات خصوم السنة من غلاة الجهمية في السابق.

وامتداد لدعوة أبي رية وأمثاله من أتباع المستشرقين في اللاحق.

وامتداد لفكر المعتزلة في القدر ورمي أهل السنة بالجبر والتهويش على الأحاديث التي تثبت القدر وفي الوقت نفسه تنفي الجبر.

فإذا كان الرجل يصر على أنه من أهل السنة والجماعة وإذا كان يصر على قوله:

«وأؤكد أولًا وآخرًا أنني مع القافلة الكبرى للإسلام هذه القافلة التي يحدوها الخلفاء الراشدون والأئمة المتبعون والعلماء الموثقون . . »[1].

فليعلن براءته من كل هذه الامتدادات الغريبة والخطيرة على الإسلام ويعلن توبته إلى الله وعلى رأس الملأ من أفكار ظَلَّ يخدمها ويدعمها طوال خمسين عامًا.

فإن لم يفعل فليعلم الأذكياء النبهاء أنه مع القوافل الأخرى التي ظل يخدمها ويدعو إليها باسم الإسلام وهي أخطر ما يكون على الإسلام والإسلام منها براء، والقافلة الكبرى في واد وهو في وادي تلك القوافل.

هذا ما استطعت أن أقدمه دفاعًا عن سنة المصطفى ﷺ، وذودًا عن علمائها وحماتها، من صحابة وغيرهم من مصنفين فيها وشراح لها أرجو أن أكون قد أديت بعض ما يجب في هذا المجال خدمة للإسلام ونصحًا للمسلمين.

---

(١) السنة النبوية: ص ١١- ١٢.

وأرجو أن أوفق لإكمال ما بدأت على الوجه الذي يرضي ربي إنه لسميع الدعاء .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه
ربيع بن هادي عمير المدخلي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية
في ١٤٠٩/١١/٦هـ

مصادر الكتاب

١- الإجماع لابن المنذر أبي بكر محمد بن إبراهيم (ت ٣١٨).

٢- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان (ت ٧٣٩) تحقيق / يوسف الحوت.

٣- الإحكام في أصول الأحكام للحافظ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦).

٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣).

٥- الإسلام في مواجهة التحديات لأبي الأعلى المودودي.

٦-إعلام الموقعين للحافظ أبي عبد الله محمد ين أبي بكر المعروف بابن القيم (ت ٧٥١).

٧- إكمال إكمال المعلم لأبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني الأبي (ت ٨٩٥).

٨- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤).

٩- الآيات البينات في عدم سماع الأموات للعلامة نعمان بن محمود الألوسي (ت١٣١٧) الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.

(ب)

١٠- الباعث الحثيث للحافظ إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤) ط الثالثة.

١١- البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن كثير دار الكتب بيروت ١٤٠٥هـ

(ت)

١٢- تأريخ دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١) مصور عن المكتبة الظاهرية.

١٣- تأويل مختلف الحديث للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦) دار الجيل بيروت، ١٣٩٣.

١٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (ت ٧٤٤) ط الشعب.

(ج)

١٥- جامع بيان العلم للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣).

١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ط الثانية الحلبي ١٣٧٣.

١٧- الجرح والتعديل، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧) صورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية.

(ح)

١٨- حاشية ابن عابدين.

١٩- الحلية للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠).

(د)

٢٠- الدر المنثور للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١) نشر دار الفكر ١٤٠٣هـ.

٢١- دستور الوحدة الثقافية لمحمد الغزالي السقا.

٢٢- دلائل النبوة للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥.

(ر)

٢٣- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤) تحقيق أحمد شاكر.

٢٤- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية للمحدث المؤرخ أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١) تحقيق عبد الرحمن الوكيل ط ١٣٨٧ هـ.

٢٥- زاد المسير في علم التفسير للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن

الجوزي (ت ٥٩٧) الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٤هـ.

(س)

٢٦- السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧) تحقيق المحدث الألباني نشر المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ.

٢٧- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث لمحمد الغزالي السقا .

٢٨- السنن للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣) تصوير ونشر دار البشائر سنة ١٤٠٦ .

٢٩- السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥) بتعليق عزت الدعاس الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٣٠- السنن للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني (ت٢٧٥) ط الحلبي وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٣١- السنن للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩) تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد وإبراهيم عطوة .

٣٢- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨) مؤسسة الرسالة.

(ش)

٣٣- شرح موطأ مالك للعلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١٠٥٥).

٣٤- شرح صحيح مسلم للإمام النووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦).

٣٥- الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠) تحقيق محمد حامد الفقي .

(ص)

٣٦- الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ط السلفية سنة ١٤٠٠هـ.

٣٧- الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١)

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(ط)

٣٨- الطريق من هنا لمحمد الغزالي السقا .

(ع)

٣٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥)، نشر إدارة الطباعة المنيرية .

(ف)

٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢) ط السلفية .

(ق)

٤١- قذائف الحق لمحمد الغزالي السقا .

(ل)

٤٢- لسان الميزان في الرجال للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تصوير بيروت .

(م)

٤٣- مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧) نشر دار الكتاب بيروت .

٤٤- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية (ت٧٢٨) مطابع الرياض سنة ١٣٨١هـ.

٤٥- المجموع شرح المهذب للعلامة أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦).

٤٦- محاسن الاصطلاح، للعلامة سراج الدين عمر بن رسلان المعروف بالبلقيني (ت ٨٠٥).

٤٧- مختصر الصواعق المرسلة للإمام محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١). نشر مكتبة الرياض الحديثة .

٤٨- مراتب الإجماع للإمام علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم (ت ٤٥٦) دار الكتب العلمية- بيروت .

٤٩- مسائل الإمام أحمد للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥).

٥٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١) نشر المكتب الإسلامي- بيروت .

٥١- مشكلات في طريق الحياة لمحمد الغزالي السقا .

٥٢- المقدمة للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣) تحقيق العتر .

٥٣- المنتقى لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤) تصوير دار الكتاب عن الطبعة الأولى .

(ن)

٥٤- النكت على ابن الصلاح للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) بتحقيقي الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

(هـ)

٥٥- هموم داعية لمحمد الغزالي السقا .

* * *

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

سوزيا بلقاسم

أقوال علماء السنة

في جماعة التبليغ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بـوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد وصلت إلي أوراق تتضمن كلامًا للعلامتين السلفيين الشيخ ابن باز وابن عثيمين يقوم بعض جماعة التبليغ بنشره وترويجه بين الجهال ومن لا يعرف حقيقة منهجهم الباطل وعقائدهم الفاسدة.

والواقع: أن في كلام الشيخين ما يدينهم، فكلام الشيخ ابن باز مبني على تقرير من رجل تبليغي أو متعاطف معهم حكى للشيخ ابن باز خلاف ما هم عليه، وصورهم له على غير صورتهم الحقيقية.

يؤكد ما نقوله قول الشيخ ابن باز رحمه الله: «ولا شك أن الناس في حاجة شديدة إلى مثل هذه اللقاءات الطيبة المجموعة على التذكير بالله والدعوة إلى التمسك بالإسلام وتطبيق تعاليمه وتجريد التوحيد من البدع والخرافات...» [انظر فتواه ذات الرقم (١٠٠٧) بتأريخ (١٧/٨/١٤٠٧هـ) والتي يقوم بنشرها الآن جماعة التبليغ].

فهذا يوحي أن صاحب التقرير قد ذكر في تقريره أن هذه الجماعة تدعو إلى التمسك بالإسلام وتطبيق تعاليمه وتجريد التوحيد له من البدع والخرافات، فبسبب ذلك مدحهم الشيخ.

ولو قال فيهم صاحب التقرير كلمة الحق وصورهم على حقيقتهم وبين حقيقة منهجهم الفاسد؛ لما رأينا من الإمام ابن باز السلفي الموحد إلا الطعن فيهم والتحذير منهم ومن بدعهم، كما فعل ذلك في آخر فتاواه فيهم المرفقة بهذا.

وفي كلام العلامة ابن عثيمين ما يدينهم، انظر إلى قوله الآتي: «ملاحظة: إذا كان الاختلاف في مسائل العقائد فيجب أن تصحح، وما كان على خلاف مذهب

السلف فإنَّه يجب إنكاره والتحذير ممن يسلك ما يخالف مذهب السلف في هذ الباب». [انظر فتاوى ابن عثيمين (٢/ ٩٣٩-٩٤٤)، كما في الأوراق التي ينشرها جماعة التبليغ الآن].

ولا شك أن الاختلاف بين السلفيين أهل السنة والتوحيد وبين جماعة التبليغ اختلاف شديد وعميق في العقيدة والمنهج؛ فهم ماتريدية معطلة لصفات اللَّه، وصوفية في العبادة والسلوك يبايعون على أربع طرق صوفية مغرقة في الضلال، ومن ذلك أن هذه الطرق تقوم على الحلول ووحدة الوجود والشرك بالقبور وغير ذلك من الضلالات.

وهذا قطعًا لا يعرفه عنهم العلامة ابن عثيمين، ولو عرف ذلك عنهم لأدانهم بالضلال ولحذر منهم أشد التحذير، ولسلك معهم المسلك السلفي كما فعل شيخاه الإمام محمد بن إبراهيم والإمام ابن باز.

وكما فعل الشيخ الألباني، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ الفوزان، والشيخ حمود التويجري، والشيخ تقي الدين الهلالي، والشيخ سعد الحصين، والشيخ سيف الرحمن، والشيخ محمد أسلم؛ ولهؤلاء مؤلفات عظيمة تبين ضلال جماعة التبليغ وخطورة ما هم عليه من العقائد والمنهج الضال فليرجع طالب الحق إليها.

وقد رجع عبد الرحمن المصري عما كتبه في الثناء على جماعة التبليغ واعترف بخطئه عندي، وأما يوسف الملاحي فهو ممن عاشرهم سنين طويلة، ثم كتب فيهم كتابًا يبين فيه ضلالهم وفساد عقائدهم ثم مع الأسف الشديد تراجع عن الحق والحقيقة وكتب فيهم كتابه الأخير، وكتابه الأول يدينه، وما كتبه فيهم علماء المنهج يدحض باطله، والقاعدة العظيمة: الجرح مقدم على التعديل، تبطل كل مدح من أي قائل لو كان التبليغيون يلتزمون القواعد الإسلامية الصحيحة ويسلكون مسالك أهل العلم والنصح للإسلام والمسلمين.

كتبه

ربيع بن هادي المدخلي

في (٢٩/محرم/١٤٢٦هـ)

آخر فتوى للشيخ عبد العزيز بن باز في التحذير من جماعة التبليغ

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى- عن جماعة التبليغ فقال السائل: نسمع يا سماحة الشيخ عن جماعة التبليغ وما تقوم به من دعوة، فهل تنصحني بالانخراط في هذه الجماعة، أرجو توجيهي ونصحي، وأعظم الله مثوبتكم؟

فأجاب الشيخ بقوله: «كل من دعا إلى الله فهو مبلغ؛ «بلغوا عني ولو آية»، لكن جماعة التبليغ المعروفة الهندية عندهم خرافات، عندهم بعض البدع والشركيات؛ فلا يجوز الخروج معهم، إلا إنسان عنده علم يخرج لينكر عليهم ويعلمهم.

أما إذا خرج يتابعهم، لا؛ لأن عندهم خرافات وعندهم غلط، عندهم نقص في العلم.

لكن إذا كان جماعة تبليغ غيرهم أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله، أو إنسان عنده علم وبصيرة يخرج معهم للتبصير والإنكار والتوجيه إلى الخير وتعليمهم حتى يتركوا المذهب الباطل، ويعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة». اهـ

فليستفد جماعة التبليغ ومن يتعاطف معهم من هذه الفتوى المبنية على واقعهم وعقائدهم ومناهجهم ومؤلفات أئمتهم الذين يقلدونهم. [فرغت من شريط بعنوان: «فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على جماعة التبليغ»، وقد صدرت هذه الفتوى في الطائف قبل حوالي سنتين من وفاة الشيخ وفيها دحض لتلبيسات جماعة التبليغ بكلام قديم صدر من الشيخ قبل أن يظهر له حقيقة حالهم ومنهجهم].

جماعة التبليغ والإخوان من الثنتين والسبعين فرقة

سئل سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-: أحسن الله إليك، حديث النبي ﷺ في افتراق الأمم: قوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة إلا واحدة». فهل جماعة التبليغ على ما عندهم من شركيات وبدع، وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولاة الأمور وعدم السمع والطاعة. هل هاتين الفرقتين تدخل...؟

فأجاب - غفر الله تعالى له وتغمده بواسع رحمته -:

«تدخل في الثنتين والسبعين، من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنتين والسبعين، المراد بقوله: «أمتي» أي: أمة الإجابة، أي: استجابوا له وأظهروا اتباعهم له، ثلاث وسبعين فرقة، الناجية السليمة التي اتبعته واستقامة على دينه، واثنتان وسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العاصي وفيهم المبتدع أقسام».

فقال السائل: يعني: هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين؟

فأجاب: «نعم، من ضمن الثنتين والسبعين والمرجئة وغيرهم، المرجئة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجين، لكن داخلين في عموم الثنتين والسبعين» [ضمن دروسه في شرح المنتقى في الطائف، وهي في شريط مسجل وهي قبل وفاته رحمه الله بسنتين أو أقل].

* * *

حكم الخروج مع جماعة التبليغ

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: خرجت مع جماعة التبليغ للهند وباكستان، وكنا نجتمع ونصلي في مساجد يوجد بها قبور وسمعت أن الصلاة في المسجد الذي يوجد فيه قبر باطلة، فما رأيكم في صلاتي، وهل أعيدها؟ وما حكم الخروج معهم لهذه الأماكن؟

الجواب:

«باسم الله والحمد لله، أما بعد:

فإن جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة؛ فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير؛ لأنهم نشيطون في عملهم لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنَّة، رزق الله الجميع الفقه في الدين والثبات عليه.

أما الصلاة في المساجد التي فيها القبور فلا تصح، والواجب عليك: إعادة ما صليت فيها لقول النبي ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق على صحته.

وقوله ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك» أخرجه مسلم في صحيحه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة؛ وبالله التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم». [فتوى بتاريخ (٢/ ١١/ ١٤١٤هـ)].

حول قول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنَّة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير.

أقول:

رحم الله الشيخ؛ فلو كانوا يقبلون النصائح والتوجيه من أهل العلم لما كان هناك حرج في الخروج معهم، لكن الواقع المؤكد أنهم لا يقبلون نصحًا ولا يرجعون عن باطلهم لشدة تعصبهم واتّباعهم لأهوائهم، ولو كانوا يقبلون نصائح العلماء لتركوا منهجهم الباطل وسلكوا سبيل أهل التوحيد والسنة.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا يجوز الخروج معهم كما هو منهج السلف الصالح القائم على الكتاب والسنة في التحذير من أهل البدع ومن مخالطتهم ومجالستهم؛ لأن في ذلك تكثيرًا لسوادهم ومساعدة وقوة في نشر ضلالهم، وذلك غش للإسلام والمسلمين وتغريرٌ بهم وتعاونٌ معهم على الإثم والعدوان، لاسيما وهم يبايعون على أربع طرق صوفية فيها الحلول ووحدة الوجود والشرك والبدع.

* * *

فتوى الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ في التحذير من جماعة التبليغ

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقيت خطاب سموكم رقم(٣٦/ ٤/ ٥-د) في (٢١/ ١/ ١٣٨٢هـ) وما برفقه، وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبد الحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبد السلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها: «كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية»، وكذلك الكتيبات المرفوعة ضمن رسائلهم.

وأعرض لسموكم أن هذه الجمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم؛ وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه، ولذا فسنقوم -إن شاء الله- بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها، ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته، والسلام عليكم ورحمة الله». (ص- م -٤٠٥) في (٢٩/ ١/ ١٣٨٢هـ).

[راجع كتاب: «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري (ص٢٨٩)].

* * *

فتوى الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني عن جماعة التبليغ

سئل -رحمه الله تعالى-: ما رأيكم في جماعة التبليغ: هل يجوز لطالب العلم أو غيره أن يخرج معهم بدعوى الدعوة إلى الله؟

فأجاب:

«جماعة التبليغ لا تقوم على منهج كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وما كان عليه سلفنا الصالح، وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا يجوز الخروج معهم؛ لأنه ينافي منهجنا في تبليغنا لمنهج السلف الصالح؛ ففي سبيل الدعوة إلى الله يخرج العالِم، أما الذين يخرجون معهم فهؤلاء واجبهم أن يلزموا بلادهم وأن يتدارسوا العلم في مساجدهم، حتى يتخرج منهم علماء يقومون بدورهم في الدعوة إلى الله.

وما دام الأمر كذلك؛ فعلى طالب العلم إذن أن يدعو هؤلاء في عقر دارهم، إلى تعلم الكتاب والسنَّة ودعوة الناس إليها.

وهم -أي: جماعة التبليغ- لا يعنون بالدعوة إلى الكتاب والسنَّة كمبدأ عام؛ بل إنهم يعتبرون هذه الدعوة مفرقة، ولذلك فهم أشبه ما يكونون بجماعة الإخوان المسلمين؛ فهم يقولون: إن دعوتهم قائمة على الكتاب والسنَّة، ولكون هذا مجرد كلام، فهم لا عقيدة تجمعهم؛ فهذا ماتريدي، وهذا أشعري، وهذا صوفي، وهذا لا مذهب له.

ذلك لأن دعوتهم قائمة على مبدأ: كتِّل جمِّع ثم ثقِّف، والحقيقة: أنه لا ثقافة عندهم، فقد مر عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان ما نبغ فيهم عالم.

وأما نحن فنقول: ثقِّف ثم جمِّع، حتى يكون التجميع على أساس مبدأ لا خلاف فيه.

فدعوة جماعة التبليغ صوفية عصرية، تدعو إلى الأخلاق أما إصلاح عقائد المجتمع: فهم لا يحركون ساكنًا؛ لأن هذا -بزعمهم- يفرق.

وقد جرت بين الأخ سعد الحصين وبين رئيس جماعة التبليغ في الهند أو في باكستان مراسلات، تبين منها أنهم يقرون التوسل والاستغاثة وأشياء كثيرة من هذا القبيل، ويطلبون من أفرادهم أن يبايعوا على أربع طرق، منها الطريقة النقشبندية، فكل تبليغي ينبغي أن يبايع على هذا الأساس.

وقد يسأل سائل: إن هذه الجماعة عاد بسبب جهود أفرادها الكثير من الناس إلى الله، بل وربما أسلم على أيديهم أناس من غير المسلمين، أفليس هذا كافيًا في جواز الخروج معهم والمشاركة فيما يدعون إليه؟

فنقول: إن هذه الكلمات نعرفها ونسمعها كثيرًا ونعرفها من الصوفية!! فمثلًا يكون هناك شيخ عقيدته فاسدة ولا يعرف شيئًا من السنة، بل ويأكل أموال الناس بالباطل...، ومع ذلك فكثير من الفساق يتوبون على يديه...!

فكل جماعة تدعو إلى خير لابد أن يكون لهم تبع، ولكن نحن ننظر إلى الصميم، إلى ماذا يدعون؟ هل يدعون إلى اتباع كتاب الله وحديث الرسول ﷺ وعقيدة السلف الصالح، وعدم التعصب للمذاهب، واتباع السنَّة حيثما كانت ومع من كانت؟!

فجماعة التبليغ ليس لهم منهج علمي، وإنما منهجهم حسب المكان الذي يوجدون فيه، فهم يتلونون بكل لون».

[تراجع الفتاوى الإماراتية للألباني س(٧٣) ص(٣٨)].

* * *

فتوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي

سئل الشيخ رحمه الله: عن خروج جماعة التبليغ لتذكير الناس بعظمة الله؟

فقال الشيخ: «الواقع: أنهم مبتدعة محرفون، وأصحاب طرق قادرية وغيرهم، وخروجهم ليس في سبيل الله، ولكنه في سبيل إلياس، هم لا يدعون إلى الكتاب والسنّة ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلاديش، أما الخروج بقصد الدعوة إلى الله فهو خروج في سبيل الله وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ، وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا هم في مصر، وإسرائيل، وأمريكا، والسعودية، وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس».

[فتاوى ورسائل سماحة الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي (١/ ١٧٤)].

* * *

فتوى الشيخ صالح الفوزان

سئل فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: ماذا تقول بمن يخرجون إلى خارج المملكة للدعوة وهم لم يطلبوا العلم أبدًا، يحثون على ذلك ويرددون شعارات غريبة ويدّعون أن من يخرج في سبيل الله للدعوة سيلهمه الله، ويدّعون أن العلم ليس شرطًا أساسيًا، وأنت تعلم أن الخارج إلى خارج المملكة سيجد مذاهب وديانات وأسئلة توجه إلى الداعي.

ألا ترى يا فضيلة الشيخ أن الخارج في سبيل الله لابد أن يكون معه سلاح لكي يواجه الناس وخاصة في شرق آسيا يحاربون مجدد الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ أرجو الإجابة على سؤالي لكي تعم الفائدة.

الجواب:

«الخروج في سبيل الله ليس هو الخروج الذي يعنونه الآن، الخروج في سبيل الله هو الخروج للغزو، أما ما يسمونه الآن بالخروج فهذا بدعة لم يرد عن السلف، وخروج الإنسان يدعو إلى الله غير متقيد في أيام معينة بل يدعو إلى الله حسب إمكانيته ومقدرته، بدون أن يتقيد بجماعة أو يتقيد بأربعين يومًا أو أقل أو أكثر.

وكذلك مما يجب على الداعية: أن يكون ذا علم، لا يجوز للإنسان أن يدعو إلى الله وهو جاهل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨]، أي: على علم؛ لأن الداعية لابد أن يعرف ما يدعو إليه من واجب ومستحب ومحرم ومكروه، ويعرف ما هو الشرك والمعصية والكفر والفسوق والعصيان، يعرف درجات الإنكار وكيفيته.

والخروج الذي يشغل عن طلب العلم أمر باطل؛ لأن طلب العلم فريضة، وهو لا يحصل إلا بالتعلم، لا يحصل بالإلهام، هذا من خرافات الصوفية الضالة، لأن العمل بدون علم ضلال، والطمع بحصول العلم بدون تعلم وهم خاطئ».

[من كتاب: «ثلاث محاضرات في العلم والدعوة»].

كتبه / ربيع بن هادي المدخلي

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

توزيع بالقاهرة

كشف زيف التصوف

وبيان حقيقته وحال حَمَلته

«حوار مع الدكتور القاري وأنصاره»

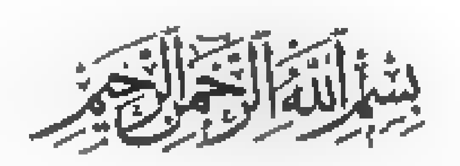
تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن من أعظم ما نكب به المسلمون: البدع والضلالات التي انتشرت فيهم من قرون فلم يسلم منها إلّا من حفظه الله وسلمه ممن اعتصم بكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ وما كان عليه السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان.

ومن شر أنواع البدع والضلال التي استفحل شرها وامتد ضررها وجثمت على صدر الأمة وعلى عقول كثرة ساحقة منها: بدع الصوفية والتصوف وما حوته من خرافات وانتشرت بسببها عبادة القبور والغلو في الأولياء والاستغاثة والاستنجاد بهم واعتقاد أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، وضلالات كبرى لا تحصى؛ فكان لهذه الطوام الصوفية الآثار المدمرة في حياة الأمة مما جعل الكثير منها غثاء كغثاء السيل سهل لأمم الكفر التداعي عليها كما تداعى الأكلة على قصعتها.

ومع كل هذا التدمير الذي جلبه على الأمة الصوفية والتصوف بالإضافة إلى الرفض وغيره من البدع تجد من يدافع عن التصوف والصوفية والرفض والروافض وسائر البدع وأهلها.

وممن انبرى للدفاع عن الصوفية والتصوف فادعى أن التصوف الصحيح عين التوحيد وأن الصوفية من أهل السنة والجماعة الدكتور عبد العزيز قارئ المدرس سابقًا مع الأسف في قلعة التوحيد والسنة: الجامعة الإسلامية، وارتكب من المغالطات بهذا الصدد ما لا يجوز السكوت عليه بل يجب كشف هذه المغالطات

وبيان حقيقة الصوفية والتصوف، وتابع القاري في مغالطاته بعض الصوفية فلم يحرك ساكنًا تجاه أباطيلهم بل ذهب يؤكد باطله وباطلهم.

فقمت تجاه هذا الباطل بجهد المقل نصرة لدين الله الحق وذبًّا عنه في عدد من المقالات وبينت أن التصوف الصحيح إنما هو وساوس وخطرات وجهالات وتعذيب للنفس وتجويع لها وصيام غير مشروع على طريقة رهبان النصارى، فكيف يكون هذا هو عين التوحيد؟.

ثم عنَّ لي جمع هذه المقالات في كتاب واحد ثم نشرها ليُسهم في دحض الباطل وفي التميز بين الحق والباطل، والضلال والهدى، وسميته «كشف زيف التصوف وبيان حقيقته وحال حملته، حوار مع الدكتور القاري وأنصاره».

أسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يبدد به ظلمات الباطل إن ربي لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب:

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

٢٠/ شعبان/ ١٤٢٦هـ.

تنبيه الدكتور عبد العزيز القاري
إلى خطورة قوله: «إنَّ التصوف الصحيح
هو عين التوحيد وإنَّه من مذاهب
أهل السنَّة والجماعة»!

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه أما بعد:

فقد اطلعت على مقال نشر في ملحق جريدة المدينة المسمى بـ «الرسالة» للدكتور/ عبد العزيز قاري، بتاريخ الجمعة ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٢٦هـ، الموافق ٢٩ إبريل ٢٠٠٥م، تحت عنوان: د/ عبد العزيز قاري الصوفية مذهب من مذاهب أهل السنة والجماعة والتصوف الصحيح عين التوحيد.

قال المحرر ياسر عامر:

«اعتبر إمام مسجد قباء السابق بالمدينة المنورة وأستاذ علم الحديث الشيخ عبد العزيز قاري أن الصوفية مذهب من مذاهب أهل السنة والجماعة، ودعا عقلاء الصوفية والجيل الجديد منهم إلى نهج التصحيح لا التبرير».

أقول:

١- أنا كنت أحد أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية المدرسين في كلية الحديث ورئيس قسم السنة سابقًا في هذه الجامعة وما علمت أن الدكتور عبد العزيز قاري كان أستاذ علم الحديث وما أظنه يدَّعي هذا ولعل هذا خطأ من المحرر.

٢- إن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب واحد فقط لا مذاهب، فأهل السنة والجماعة يقال لهم: أهل السنة والجماعة، ويقال لهم: أهل الحديث، ويقال لهم: السلفيون أو أتباع مذهب السلف، ولا يدخل فيهم الصوفية لا سابقًا ولا لاحقًا.

وقد حمل أئمة الإسلام حديث الطائفة المنصورة وحديث الفرقة الناجية على

أهل الحديث وعلمائهم لا على الصوفية ولا على غيرها، ولاسيما بعد تشعب الصوفية إلى فرق كثيرة جدًّا كلها قائمة على عقائد ضالة ومناهج خرافية تصادم الكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة.

ومن عقائدها: الحلول، ووحدة الوجود، وتقديس الأولياء، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، وأنَّ فيهم أقطابًا وأوتادًا، ويدعون هؤلاء ويستغيثون بهم في الشدائد من دون الله، وأفضلهم من يقرر هذه الأفعال الخطيرة ولا ينكرها، والخصومة بينهم وبين أهل السنة قديمة ومستمرة إلى يومنا هذا فكيف يقال: إنهم من أهل السنة والجماعة؟!.

٣- قوله: «ودعا عقلاء الصوفية إلى التصحيح لا التبرير».

أقول:

أ- هذا كلام مجمل لا يستفيد منه أحد لا صوفية ولا غيرهم، فمن النصيحة لهم أن يبين لهم القاري الجوانب التي تحتاج إلى التصحيح بيانًا واضحًا.

ب- إن دعوتهم إلى التصحيح تدل أنهم شيء آخر غير أهل السنة.

ج- إن هذه الطريق غير طريق الأنبياء والمصلحين فإنهم ما كانوا يدعون الكافرين والمنحرفين إلى أن يصححوا ما عندهم من الضلال بأنفسهم وإنما يأتي التصحيح من الله ويُبلِّغ ذلك الأنبياء ثمَّ ورَّاثهم.

د- قد صحَّح علماء أهل السنة والجماعة كل ما فسد من دين الصوفية عقيدة وعبادة ومنهجًا، لأنهم يدركون أنهم لا رغبة لهم في التصحيح ولا قدرة لغلبة الجهل عليهم ولبعدهم وبُعد عقائدهم ومناهجهم عن الكتاب والسنة ومذهب أهل السنة والجماعة، فلم يقبلوا هذا التصحيح بل حاربوا أهل السنة الذين صححوا ونصحوا لهم، فهل بعد كل هذا سيسارعون إلى التصحيح الذي دعاهم إليه القاري؟!.

وأنا أطلب من القاري - إن كان يعتقد فيهم أنهم سيسرعون إلى تنفيذ نصيحته- أن يساعدهم بما يعينهم ويشجعهم على التصحيح الذي يرضي الله ويدخلهم في عداد أهل السنة والجماعة.

ونرجو أن يتحقق ما يصبو إليه القاري بل يصبو إليه أهل السنة والجماعة، ونرجو مرة أخرى أن يدخل القاري في قول رسول الله ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**».

٤- قال المحرر: «وقال فضيلته في كلمته التي ألقاها في منتدى بجدة وحضرتها (الرسالة): إن أكثر من كتب في التصوف ارتكز على روايات المتأخرين من أحوال الزهاد والعُبَّاد، كإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، ولم يرتكز على روايات القرون الأولى المفضلة.

وأكَّد فضيلته على ضرورة ربط التصوف بالرعيل الأول من السلف، والسلف في نظر الشيخ القاري هم الصحابة».

أقول:

إنَّ إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض يُعدَّان من أهل القرون المفضَّلة فكلاهما من طبقة متوسطي أتباع التابعين، وهما ليسا من الصوفية، وإنما هما من أهل الدِّين والورع والزهد المشروع.

ويفيد كلام القاري أن أكثر مؤلفات الصوفية ارتكزت على روايات أناس جاءوا بعد القرون المفضلة، وإن الواقع ليؤكِّد ذلك، وهذا يدل على انفصام منهج الصوفية وعقيدتهم عن عقيدة ومنهج السلف الصالح: القرون المفضلة التي شهد لها رسول الله بأنها خير القرون «**ثم يأتي بعدها قوم يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويكثر فيهم السمن**».

أما أهل السنة والجماعة أهل الحديث فهم امتداد للقرون المفضلة عقيدة ومنهجًا: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي وعد الله -تبارك وتعالى-**».

وبداية الصوفية وإن كان في عهد الحسن البصري وابن سيرين -رحمهما الله- اللذين أنكراها عليهم.

بداية كتابات الصوفية -فيما أعلم- هي كتابات الحارث بن أسد المحاسبي أحد تلاميذ يزيد بن هارون الذي يُعدُّ في أتباع التابعين آخر القرون المفضلة، وكان

الحارث من المعاصرين للإمام أحمد وإخوانه من أئمة الحديث والسنة .

ألّف الحارث كتبًا للصوفية فأنكرها أهل السنة ومنهم الإمام الحافظ أبو زرعة، قال الحافظ الذهبي: «قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك، قيل له: في هذه الكتب عبرة، فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن سفيان ومالكًا والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع، مات الحارث سنة ثلاث وأربعين ومائتين وأين مثل الحارث، فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كـ(القوت) لأبي طالب وأين مثل القوت، كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم، وحقائق التفسير للسلمي؟! لطار لبه كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر؟! كيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية؟! بلى لما كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر كان معاصره ألف إمام في الحديث فيهم مثل أحمد بن حنبل وابن راهويه ولما صار أئمة الحديث مثل ابن الدخميسي وابن شحانة كان قطب العارفين كصاحب الفصوص وابن سفيان[1] نسأل الله العفو والمسامحة آمين» ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢/ ١٦٦).

وقال ابن الجوزي: وبالإسناد إلى أبي يعقوب إسحاق بن حية قال: «قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون، وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا.

وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي، فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم، وقال ابن الجوزي: وقد ذكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال: حذروا من الحارث أشد التحذير، الحارث أصل البلية يعني في حوادث كلام جهم، ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم ما

---

(١) كذا والصواب ابن سبعين.

زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط ينظر أي يوم يثب على الناس» تلبيس إبليس (ص١٥١).

ثم نقل ما ذكره الذهبي عن أبي زرعة قوله عن كتب الحارث إنها كتب بدع وضلالات.. إلخ» تلبس إبليس (ص١٥٠).

فهذا هو موقف أئمة الإسلام الناصحين من التصوف وأهله: إدانةٌ لمؤلفاتهم وتحذيرٌ من ضلالاتهم وشطحاتهم.

وأما إلحاح القاري على ربط الصوفية بالسلف الصالح ولاسيما الصحابة؛ فهذا الربط يجب أن يكون شاملًا لكل الفرق المنتمية إلى الإسلام بما فيها الأحزاب السياسية التي تتهاون في أمر الصوفية والروافض وغيرهم، ويجب على كل عالم ناصح وغيور أن يسعى جادًّا في إرجاع المنحرفين عن صراط الله المستقيم والمتبعين لغير سبيل المؤمنين إلى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح.

٥- قال المحرر: «وطالب الشيخ القاري في محاضرته التي كانت بعنوان: «التصوف الصحيح هو عين التوحيد»، بأنه ينبغي عند النظر في شئون التصوف والمتصوفة التطرق إلى جانبين: الإنصاف من جهتنا، والتصحيح من جهتهم.

واعتبر أن الإنصاف هو من منهج أهل السنة والجماعة، قائلًا: لا بد من إنصاف مذهب التصوف بين صحيحه وسقيمه، فالتصوف في جذوره كان صحيحًا، وهذا من كلام أهل السنة والجماعة، كشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، وهو مدرسة كبرى في حياة المسلمين لا يمكن إلغاؤها بجرّة قلم.

وفي الجهة المقابلة طالب الشيخ القاري بضرورة الإصلاح، وذلك بتنقية ممارسات المتصوفة الحاصلة اليوم قائلًا: «ممارسات أكثر المسلمين في العالم الإسلامي اليوم من التصوف تجدهم يمارسون ممارسات لا تمتُّ إلى الصوفية الأولى-الرعيل الأول- فالتصوف في أصله التعلق الكامل بالخالق وقطع العلائق بالخلق».

وأضاف أن أخطر ما شوّه التصوف هو دخول الفلسفة عليه.

أقول:

١- من سبقك من أئمة السنة إلى القول: بأن التصوف هو عين التوحيد، وحتى لو قالها أحد لردَّه واقع التصوف وعقائده ومناهجه، ولردَّه جهود أئمة الإسلام وأقوالهم في إدانته بالانحراف منذ ذرَّ قرنه، ولو كان هو عين التوحيد، فكيف يحاربه أئمة الإسلام؟!.

٢- مطالبتك من ينظر في شئون التصوف بالإنصاف، فهل ترى أيها الرجل أنك أتقى وأورع من أئمة الإسلام والسنة وعلى رأسهم الإمام أحمد، وأبو زرعة، والشافعي، وابن الجوزي، وابن تيمية، والذهبي، وابن القيِّم، وابن عبد الهادي، وابن عبد الوهاب، والشوكاني، والصنعاني، وأئمة الدعوة السلفية، وغيرهم وأنهم قد ظلموا الصوفية وعلى رأسهم الحلاج، وابن عربي، وابن سبعين، والشعراني، والنبهاني، ودحلان، وطوائفهم كالرفاعية وكالتيجانية، والمرغنية، والنقشبندية، والسهروردية، والجشتية؟!

فقولك: «الإنصاف من جهتنا»:

أظن أن أهل السنة لا يوافقونك على هذا الاعتراف الضمني بأنهم قد ظلموا الصوفية، بل يجب أن يقال: إن الصوفية قد ظلموا الإسلام والمسلمين بنشر تصوفهم الذي من ثماره وآثاره ما يراه الناس من آلاف المشاهد في بلدان المسلمين وحتى في المساجد تُدعى من دون الله ويستغاث بهم في الشدائد وتُشدُّ إليها الرحال، ويقام لها الاحتفالات والموالد، ويُقدَّم لها النذور والذبائح والأموال الطائلة التي لا تسخو نفوس كثير من مقدميها أن يقدِّموها لله وفي سبيله.

أترى أن أهل السنة لم ينصفوهم وهذا حالهم؟ بل لا يعرف الناس عنهم إلَّا أنهم يضعون السدود والحواجز بين الناس وبين الحق والنور الذي يقدِّمه لهم علماء السنة الناصحون من كتاب الله ومن سنة رسول الله ومن هدي السلف الصالح.

لماذا تريد أن يتعب أهل السنة في التفريق بين صحيح التصوف وسقيمه؟!

فهل ألزم اللهُ تعالى الرسولَ ﷺ وأصحابه أن يذهبوا إلى التوراة والإنجيل وقد

بُدِّلت نصوصهما مع أنَّ جذورهما صحيحة بل وحي من الله فهل ألزمهم بأن يقوموا بالتميز بين الحق والباطل؟! أو أنَّ الله -تبارك وتعالى- بيَّن ما عندهم من الضلال وكفى المؤمنين هذا التميز.

لقد جرى أهل السنة في نقد الفرق ومنها الصوفية على طريقة الكتاب والسنة في بيان الباطل ليحذره الناس، ولم يقولوا إن ما عندكم من حق فهو باطل حتى يُقال إنهم قد ظلموهم.

ولهم الحق أن يحذِّروا من التصوف والرفض والتجهم والاعتزال وسائر أنواع الضلال وإن كان يوجد عندهم شيء من الحق، لكن هذا الحق قد غمس بالباطل، ومعظم الناس لا يستطيع التميز بين الحق والباطل، فمن الإنصاف للمسلمين ومن الحكمة والنصح أن يحذِّر من التصوف والصوفية والرفض والروافض، لأن سلامة الناس ونجاتهم لا تتحقق إلَّا بهذا الأسلوب.

أرأيت كيف حذَّر رسول الله ﷺ من البدع وسماها شر الأمور؟!

أرأيت كيف ذمَّ رسول الله ﷺ الخوارج ووصفهم بأنهم شر الخلق والخليقة، وقال: «اقتلوهم حيث وجدتموهم فإن لمن قتلهم أجرًا عند الله»، مع أن عندهم من العبادة ما يجعل الصحابة -رضوان الله عليهم- يحقرون قراءتهم عند قراءتهم وصلاتهم عند صلاتهم، فهل كلَّف رسول الله الصحابة أن يذهبوا ليميِّزوا بين حق الخوارج وباطله حتى يكونوا منصفين؟!.

إن الرسول ﷺ والصحابة وأئمة الإسلام أتقى الناس لله وأخشاهم له وأشدهم ورعًا وإنصافًا ونصحًا، ومن إنصافهم للناس ونصحهم لهم أن حذَّروهم من بدع الخوارج والروافض والتصوف وسائر البدع وأهلها.

وقولك: «الإنصاف هو منهج أهل السنة والجماعة».

أقول: هذا حق، وقد ميَّزهم الله بذلك، ومنهجهم في نقد الصوفية هو الحق والمنهج الذي ترى أنه هو الإنصاف، لا أصل له في شريعة الإسلام، ولو كان من الإسلام لسبقونا إليه.

وما نسبته إلى أهل السنة ومنهم ابن تيمية من أن التصوف في جذوره كانت

صحيحة؛ أرى أنه لا أساس له، وما رأينا منهم إلَّا النقد لجذوره وفروعه، وقد سبق تحذير أبي زُرعة وكلام الذهبي المتضمِّن لمغايرة أهل السنة للصوفية ومنابذتهم لهم من عهد أحمد ومن معه والمحاسبي ومن معه، فإن قلت: أنا أقصد المعاصرين، فنقول: بيِّن اختلاف المنهجين والظلم الذي ترتب على مخالفة المعاصرين من أهل السنة لمنهج أسلافهم، وإلا فليعلم الناس أنك تتكلم بغير علم وبغير حجج.

وقوله: «وهو مدرسة كبرى في حياة المسلمين لا يمكن إلغاؤها بجرة قلم».

لا أدري أهذا وصف لشيخ الإسلام أم للتصوف؟ وإذا كان وصفًا للتصوف؛ فمن قال من أهل السنة إنه يمكن إلغاؤه بجرة قلم، وكيف يقولون هذا وهم يعلمون ويدركون جهود أئمة الإسلام من فجر تاريخ التصوف إلى اليوم لم تلغه، بل لعناد أساطين الصوفية ما يزداد على مرِّ الأيام والقرون إلَّا انتشارًا وتضخمًا والعياذ بالله، والله يقول لرسوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: من الآية ٤٨]، ويقول تعالى لرسوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢]، ويقول: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٢]، ومع ذلك فرسول الله مكلَّف بالتبليغ والجهاد.

وأهل السنة ما عليهم إلَّا الدعوة والبلاغ والصبر على الأذى، ولا يجوز لهم السكوت عن باطل الصوفية ولا عن باطل غيرهم لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقوله: «وممارسات أكثر المسلمين في العالم الإسلامي اليوم من التصوف تجدهم يمارسون ممارسات لا تمتُّ إلى الصوفية الأولى -الرعيل الأول- فالتصوف في أصله التعلق الكامل بالخالق وقطع العلائق بالخلق».

أقول:

في هذا الكلام حذر شديد من جرح مشاعر الصوفية وإيهام في الكلام لا يظهر منه فداحة ما عند الصوفية من البُعد السحيق عما كان عليه السلف من تحقيق

التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل جوانب الإسلام ومحاربة مظاهر الشرك ووسائله كلها.

وفي هذا الكلام إيهام الناس أن الرعيل الأول وهم الصحابة الكرام كانوا صوفية أعاذهم الله وأعاذ أتباعهم بحق من التصوف، وهذا باطل قطعًا، وأنكر ابن الجوزي على أبي نُعيم عدَّه بعض الصحابة من الصوفية حيث قال: «وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وسادات الصحابة ﷺ فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحًا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل، وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفا الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره». تلبيس إبليس (ص١٤٨).

ولقد حارب أئمة الإسلام التصوف وأهله وكتبه من أول ظهوره كما أسلفنا ذلك في هذا المقال.

وقال الشافعي: إذا دخل الرجل في التصوف أول النهار لا يأتي الليل إلا وقد ذهب عقله، أو كما قال.

وفيه: إيهام أن صوفية اليوم فقط هي التي خالفت الرعيل الأول، ويفيدنا هذا الكلام براءة صوفية ما قبل اليوم من هذه المخالفة.

وهذا فيه ما ينافي العهد الذي أخذه الله على أهل العلم وهو البيان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران من الآية ١٨٧]، والرسول يقول: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قال الصحابة: لمن؟، قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وقوله: «فالتصوف في أصله التعلق الكامل بالخالق وقطع العلائق بالخلق».

أقول: من قال هذا من الرعيل الأول أو من علماء الإسلام؟! إنه كلام غامض

هل يخص توحيد الربوبية أو يشمل أنواع التوحيد الثلاثة وغيرها من جوانب الإسلام ثم هل في القرآن والسنة أمر أو دعوة إلى قطع العلائق بالخلق؟ كلا، لقد قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، إلى قوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] ولا يقطع العلائق مع هؤلاء إلا عاق الوالدين وإلا كل مختال فخور.

وقال تعالى ذاكرًا صفات أهل النار ومنها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله».

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» صحيح مسلم كتاب البر حديث رقم (٢٥٥٥- ٢٥٥٦).

فإن قال قائل: لا يقصدون هذا.

قلنا: هذا ظاهر كلامهم وليس لنا إلا الظاهر ويمكن أن يلجأ الصوفية إلى قولهم لعلماء الشريعة: أنتم علماء الرسوم ونحن علماء الباطن، أو إلى الفرق بين علماء الشريعة وبين علماء الحقيقة.

٦- قال المحرر:

وأكد الشيخ ضرورة أن يقوم أهل التصوف الصحيح والجيل الجديد منهم بالمبادرة بالمحاولات الإصلاحية لا التبريرية، وعليهم أن ينقوا صورة التصوف وإعادته إلى وجهه الصحيح وجذوره الأولى حتى لا يتخلفوا عن الدائرة الكبرى

دائرة أهل السنة والجماعة وهم أصلًا منهم، مضيفًا: دائرة أهل السنة والجماعة لا يبقى خارجها إلّا بعض الطوائف- كما يقول الشيخ قاري- ويؤكد الشيخ من جهته أن هناك جهودًا بذلت في هذا السياق ودلل على تجربة بعض علماء المتصوفة في الهند إلى التصحيح، وشدد بقوله: إن شيوخ التصوف الصحيح في القرون الأولى وحتى المتأخرة قاوموا التصوف المنحرف وهم- أي شيوخ المتصوفة- أكثر من دافع ضد الشيعة كالحارث المحاسبي. وحينما سئل د. قارئ عن الداعية علي زين العابدين الجفري، لم يشنع عليه بل ما زاد عن قوله: «هو شاب مثقف ويحاول أن يقدم التصوف بأسلوب ما، والمطلوب أكثر من ذلك وهو يعتبر من الجيل الجديد الذي تريد منه الإصلاح لا التبرير».

أقول:

من هم أهل التصوف الصحيح؟

ومتى كان التصوف في يوم من الأيام صحيحًا؟!!

ولقد قدمت للقارئ كلام الإمام أحمد وأبي زرعة في المحاسبي وكتبه وأضيف هنا قول ابن الجوزي في مصنفاتهم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر كلام بعض من نُسب إلى التصوف وتعريفه للتصوف قال-: «وعلى هذا كان أوائل القوم؛ فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن، وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه

بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعًا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بُعْدُهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصًا مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننًا وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن».

ثم نقل الطعن في عدالة أبي عبد الرحمن السلمي.

ثم قال: «وصنف لهم أبو نصر السراج كتابًا سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى وصنف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد وردد فيه قول قال بعض المكاشفين وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية أن الله ﷻ يتجلى في الدنيا لأوليائه».

ونقل عن الخطيب بإسناده: «أن أبا طالب دخل إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه فحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق».

قال: «وصنف لهم عبد الكريم بن هوزان القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو والسكر والذوق والشرب والمحو والإثبات

والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه.

وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها، سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء اللّٰه تعالى».

قال: «وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه، وقال إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات اللّٰه عليه أنوار هي حجب اللّٰه ﷻ ولم يرد هذه المعروفات وهذا من جنس كلام الباطنية، وقال في كتابه المفصح بالأحوال، إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق».

ثم قال ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»: «وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم».

إلى أن قال: «وقد كان أوائل الصوفية يفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء».

ثم قال: «فصل: وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن» تلبيس إبليس (ص١٤٨-١٥٠).

فهذه أصول الصوفية وجذورها: الجهل والوساوس والخطرات والعشق- تعالى اللّٰه عما يقولون- وفساد العقائد بل الزندقة كالحلول ووحدة الوجود والورع القائم على الجهل والجرأة على تفسير كتاب اللّٰه بعقائدهم الباطلة ووساوسهم وخطراتهم إلى آخر ما عندهم من الضلال.

ثم جرأتهم على تفسير كتاب اللّٰه، فلا يرجعون إلى أصول أهل السنة في تفسير

كتاب الله، كتفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة، وبفقه الصحابة الذين عرفوا مراد الله من جهة معرفتهم بأسباب النزول ومعاصرتهم لنزول الوحي، ومعاشرتهم لرسول الله ﷺ وتطبيقه العملي لمعاني القرآن، وإنما يرجعون إلى أصولهم الفاسدة ومناهجهم الضالة.

فكيف يصحُّ القول بأن الصوفية من أهل السنة، وأن جذور التصوف صحيحة؟!

لقد توصل كثير من الباحثين إلى أن التصوف تسرب إلى الإسلام من النصرانية والمجوسية والهندوكية.

ونسأل القاري: من هم أهل التصوف الصحيح والجيل الجديد؟!.

أهم الرفاعية والتيجانية، والمرغنية، أم البريلوية، أم النقشبندية، أم السهروردية، أم البرهانية، أم الشاذلية، وكلُّها تلتقي في ابن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود.

وأذكر أنني في رحلتي إلى السودان عام (١٣٩٢ هـ) جمعت كتبًا للطرق الصوفية التي يعيش أهلها في دول إفريقيا ودرستها دراسة مقارنة بينها، فوجدتها كلها تشترك في عقيدة الحلول ووحدة الوجود، والخرافات، والغلو في الأولياء، والشرك، ولقد ذكر لي أحد علماء أهل الحديث من أهل الهند أنه درس الطرق الصوفية في الهند وباكستان فوجدها كلها تلتقي في الحلول ووحدة الوجود والشرك.

وأذكر أنه دار نقاش بيني وبين عالم صوفي أزهري حول التصوف وما فيه من الضلال، ومن حلول ووحدة وجود... إلخ، فذكرت له ما أعرفه عن الطرق الصوفية وما فيها من البلاء المشار إليه، وهو يجادل بالباطل.

فقلت له: اختر لي أفضل هذه الطرق لأبين لك ما فيها مما ذكرته.

فقال: الطريقة الشاذلية، وأنا عليها.

فجئته في اليوم الثاني بكتاب من كتب الشاذلية، وأوقفته على ما في الكتاب من القول بالحلول ووحدة الوجود والشرك، فبُهت فطلب مني الكتاب عارية، فذهب

به ولم يُعده إليَّ – مع الأسف – ولم يُظهِر تراجعه عن التصوف.

ولا شك عندي أنَّ هذا الرجل على علاته أعلم وأفضل عندي من صوفية الجيل الذين يطلب منهم القاري التصحيح، ومنهم: الجفري، الذي لم يُشنِّع عليه القاري، بل ما زاد على قوله: «هو شاب مثقف ويحاول أن يقدِّم التصوف بأسلوب ما والمطلوب أكثر من ذلك، وهو يعتبر من الجيل الجديد الذي نريد منه الإصلاح لا التبرير».

ونقول للقاري: لقد عُرِفَ الجفري بأنه يدعو إلى الشرك الصريح ويكذب على رسول الله ﷺ ويقص القصص الخرافي ويدعو إلى التعلق بالموتى ويطعن في أهل التوحيد والسنة ويسخر منهم.

وفي موقعه الإلكتروني يقول: «إنه بعد البحث والتدقيق تبين لي أن الولي يستطيع أن يخلق طفلًا بلا أب ولكننا لا نستطيع أن نقول هذا أمام العامة حتى لا تدعي الزانية أن ما في بطنها من خلق الولي».

فهذا تصحيحه وتجديده، إنَّه الجد في إنعاش التصوف في الجزيرة العربية بعد أن كاد أن ينتهي وتخمد ناره، وعنده من البلايا والطوام المخزية ما عرف به أهل السنة خطره فدفعهم إلى التحذير منه، وأما الروافض والصوفية فقد أفرحهم وأما عوام الناس فقد فتنوا به بعد أن خدعهم.

ومن أذكاره التي يرقص فيها على الطريقة الصوفية:

(حي... حي) و(هو... هو) و(أح... أح) فهذه هي ثقافة الجفري!!

فهل يرجو عاقل من أمثال هذا الصوفي المحترق أن يقوم بتصحيح التصوف المزعوم له أنه صحيح الجذور.

أيا عبد العزيز قاري أين النصيحة وبيان المنهج السلفي على حقيقته والتفصيل فيه، وبيان حقيقة التصوف من بداياته إلى اليوم؟.

فهل لي أن أقول فيك: إن فاقد الشيء لا يعطيه، وإن لك عُذرًا ألا وهو الضعف الشديد بمعرفة منهج السلف، والضعف الشديد بمعرفة الصوفية وعقائدها ومناهجها وآثارها المدمرة على الأمة الإسلامية!!

وهذا أحسن شيء أعتذر به لك، فإن كنت أصبتُ الحقيقة في هذا الاعتذار، أو قاربت، فأرجو منك التحرك للدراسة الجادة للمذهبين: مذهب أهل السنة ومذاهب الصوفية.

وستجد الفروق الهائلة بين المذهبين بحيث يتبين لك ولكل دارس منصف أنه لا يجوز أن يقال: إن التصوف هو عين التوحيد كما لا يجوز أن يُقال أنَّ الصوفية من أهل السنة بحال من الأحوال.

وإنه يجب أن يَسعى كل من عنده علم وغيرة على الإسلام والمسلمين إلى تطهير المجتمعات الإسلامية من عقائد التصوف ومناهجه وآثاره، وذلك لا يحصل إلَّا بالجهود المتواصلة في نشر العلم الصحيح، والتوحيد الذي جاء به جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ولا سيما خاتمهم محمد ﷺ ولا تبرأ ذمة العلماء والدعاة الصادقين إلَّا بالنهوض الجاد المخلص في نشر التوحيد وما قام عليه من علوم وأعمال.

وأن يتجنبوا مثل هذا الأسلوب الميت الذي لا يحق حقًّا، ولا يُبطل باطلًا، ولا يُنقذ غريقًا.

وأنصحك لوجه الله وأمثالك ولست -والله- متعاليًا عليك أن تسلك طريق الأنبياء والمصلحين في بيان الحق والصدع به بالعلم والحجة والبرهان، مع الحكمة والصبر على الأذى، مع اعتقاد بأنك ستحاسب وتُسأل أمام الله عن الأمانة التي حملتها فأنصحك بالبُعد عن المجاملات السياسية وطلب السلامة، وطلب رضا الناس وتقديمه على رضا الله.

وأنصح كل من آتاه الله علمًا بمثل ما نصحتُك به، وأسأل الله أن يهيئ لهذه النصيحة آذانًا صاغية وقلوبًا واعية بعيدة عن سوء الظن بالناصحين وغمطهم.

إنَّ ربي لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب: ربيع بن هادي عمير المدخلي

٢٣/ربيع الأول/١٤٢٦هـ.

تنبيه الدكتور عبد العزيز القاري

إلى خطورة قوله: «من يرى أن مذهب أهل السنة

واحد فليخرج بقية المذاهب من هذه الدائرة» !

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فقد اطلعت على مقال للدكتور عبد العزيز قارئ نشرته جريدة المدينة في ملحقها المسمى بالرسالة تحت عنوان «من يرى أن مذهب أهل السنة واحد فليخرج بقية المذاهب من هذه الدائرة» وبتاريخ ٧ رجب ١٤٢٦هـ الموافق ١٢ أغسطس ٢٠٠٥م.

وتخلل هذا المقال عنوانان ثانويان: **أولهما**: قوله: «نسبة كبيرة من شباب الصحوة مصابة بهزال عقلي وسذاجة في التفكير».

وثانيهما: «التلطف مع الصوفية كان وصية الشيخ ابن باز لي ولغيري من طلبة العلم والدعوة».

وسأقف مع هذه العناوين الثلاثة ثم أدلف إلى مناقشة ما يتيسر لي من مقاله.

أولاً: مع عنوانه الرأسي ألا وهو قوله:

«من يرى أن مذهب أهل السنة واحد فليخرج بقية المذاهب من هذه الدائرة».

أقول: لا تظن أيها الرجل أن هذا هو قول ربيع فأئمة الإسلام هم الذين قرروا أن أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية من بين الفرق جميعًا وعلى رأسهم الإمام عبد الله بن المبارك وإمام أهل السنة بعده على الإطلاق الإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري والإمام الترمذي والإمام ابن أبي عاصم والإمام محمد بن جرير والإمام الآجري والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وشيخه الإمام ابن حبان وأبو القاسم الأصبهاني قوّام السنة والخطيب البغدادي والإمام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي والإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والإمام ابن رجب وابن كثير الشافعي وابن

حجر العسقلاني الشافعي والعيني من أئمة الأحناف والإمام محمد بن أحمد السفاريني وشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني وأبو الحسن محمد ابن عبد الهادي الحنفي المعروف بالسندي، والإمام محمد بن عبد الوهاب وابنه الإمام عبد الله وغيرهم الكثير من العلماء المنصفين.

ونقول: إن كل من وافق أهل الحديث من المنتسبين إلى المذاهب في عقيدتهم ومنهجهم وتولاهم فهو منهم ومن خالفهم ونابذهم من أهل المذاهب فليس منهم ولاسيما أهل الطرق الصوفية القبورية مثل الرفاعية والشاذلية والنقشبندية والسهروردية والجشتية والقادرية والتيجانية والمرغنية وغيرها من الطرق التي لا يتسع المقام لسردها، فهذه مؤلفاتهم تدينهم بالضلال قبل مؤلفات أهل السنة في نقدهم، فأهل هذه الطرق لا يشك مسلم عنده أدنى فهم وإدراك للإسلام أنهم خارجون عن أهل السنة بعيدون كل البعد عنهم ولاسيما من أصيب من أهل هذه الطرق بوحدة الوجود والحلول واعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون.

فإذا كان القاري يوافقنا على هذا التقرير فليعلن ذلك وإن كان يخالفنا فليصرح برأيه.

ثانيًا: تدّعي أن الشيخ ابن باز أوصى بالتلطف بالصوفية وغيرهم فهل من اللطف قولك: «نسبة كبيرة من شباب الصحوة مصابة بهزال عقلي وسذاجة في التفكير».

وما إخالك تقصد بها إلا الشباب السلفي فقط ولو كنت تقصدهم وغيرهم فأين هو اللطف الذي تدعيه ولماذا تخص به الصوفية فقط.

ونقول: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله وكان رسول الله ﷺ رءوفًا رحيمًا لينًا متواضعًا يخفض جناحه للمؤمنين، فلم تترك طريقة العلماء في الاحتجاج بقال الله وقال رسول الله وتقول قال ابن باز على طريقة عوام المقلدين(؟!) إن ابن باز كان ديدنه قال الله قال رسول الله ﷺ، ولا مانع أن تقول قال ابن باز وقال العالم الفلاني بعد الاحتجاج بالنصوص القرآنية والنبوية.

لماذا تحتج بابن تيمية وبابن باز فيما يوافق رأيك ولا تعرج على أقوالهما وجهادهما ومنهجهما فيما يخالف رأيك، وأبشرك أن ابن تيمية وابن باز يخالفانك مع غيرهما من أئمة الإسلام في الاعتراف بأن أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية آخذين ذلك من أقوال رسول الله ﷺ وأقوال أئمة الهدى، ومن واقع أهل الحديث سابقًا ولاحقًا في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكم لشيخ الإسلام ابن تيمية من الأقوال العطرة في مدحهم والثناء عليهم.

وإلى مناقشة ما يمكن من أقوال القاري في هذا المقال:

١- قال: «ودعوت علماء الصوفية اليوم وحكماءهم إلى إصلاح التصوف من داخله بدلًا من محاولات «التبرير» التي رفع لواءها بعضهم».

أقول: وأنا أسأل القاري:

أ- من هم علماء الصوفية اليوم وحكماءهم سمهم لنا لنعرفهم ولندرك أنك أحلت على مليء؟!

ب- بيِّن لنا كيف يمكن إصلاح التصوف من داخله؟ هل تريد بذلك من كتب التصوف؟ إن كنت تريد ذلك فسم لنا كتب التصوف الكفيلة بإصلاح الصوفية وتصوفهم.

ج- أنا أرى أن هذا المنطق غير صحيح، فالمصلحون في كل زمان يسعون إلى إصلاح الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، والله أمرنا باتِّباع الكتاب والسنة والتحاكم عند التنازع إليهما ولم يأمر المختلفين أن ترجع كل طائفة إلى ما عندها وعند شيوخها.

فقولك: والإصلاح يكون بالعودة إلى التصوف الصحيح دعوى لا رصيد لها من واقع الصوفية.

ومن تسميهم صوفية وتصوفهم صحيح عندك لا يوافقك غيرك كابن الجوزي بأنهم من الصوفية كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم ومعروف الكرخي -رحمهم الله- فإنهم كانوا من صالحي أهل السنة عقيدة وعبادة وزهدًا، فإذا سلم لك جدلًا بأنهم صوفية فإنه يقف أمامك عقبة كأداء وهي أنهم ليس لهم مؤلفات تقرر

عقائد الصوفية ومنهجهم وفقههم، فإن كنت تعلم لهم مؤلفات لا نعلمها تكفل لهم التصحيح الذي يرضاه الله ويقرره الإسلام وعلماؤه، فاذكرها لنا حتى نستفيد منها وننضم صوتنا إلى صوتك في مطالبة الصوفية بالتصحيح منها، وإلا فاسلك مسلك العلماء المصلحين في المناداة بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، فإن هذا أمر إن ناديت به وحثثت عليه ناديت بالحق وأحلت على مليء، فكتب عقائد أهل السنة ودواوين السنة تزخر بها المكتبات وهي في متناول أيدي الناس وجودًا ووضوحًا ليس فيها همهمات الصوفية ولا شطحاتهم الحلولية الوجودية.

٢- قال القاري: «والإصلاح يكون بالعودة إلى التصوف الصحيح الذي هو ملهب في السلوك مستنبط من الكتاب والسنة وملتزم بحدود الشريعة، وهو الذي أسسه الأوائل من مشايخ السلف كما يسميهم شيخ الإسلام ابن تيمية مثل إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني والسري السقطي ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وعبد القادر الجيلاني.

أقول: في وصف التصوف[1] بهذه الأوصاف نظر؛ ففيه عقائد ومناهج وأصول ليست مأخوذة من الكتاب والسنة ولا منضبطة بهما. ولا تجد عقائد وأصول منضبطة إلا عقائد وأصول أهل السنة والحديث ومن سار على نهجهم بخلاف الصوفية وغيرها من الفرق.

٣- قال القاري: «وهدفي كان توجيه الاهتمام ولفت الأنظار-خاصة أنظار إخواننا الصوفية- إلى التصوف الصحيح، ليرتبطوا بالكتاب والسنة ويظلوا داخل حدود الشريعة ولنتكاتف جميعًا ضد الأخطار المحدقة بنا والتي تتهددنا نحن أهل السنة اليوم».

أقول: هذا الكلام فيه ما فيه، والصوفية اليوم وقبل اليوم ومن عهد الإمام أحمد وإسحاق وأبي زرعة يتخبطون في البدع وكلما امتد بهم الزمان زادوا تخبطًا وبعدًا عن منهج أهل السنة وعقائدهم ولقد أحلت الصوفية وغيرهم إلى غير مليء.

---

(١) والإسلام مع ذلك ليس محصورًا في السلوك.

قال القاري: «ولكن الإخوة الذين ردوا عليَّ صرفوا الاهتمام ولفتوا الأنظار إلى غير ذلك، وكادوا بتعجلهم يفسدون هذا الهدف، والعجيب أنهم اعترضوا بمجرد أن قرءوا العناوين التي انتقتها جريدة «المدينة» من محاضرتي ونشرتها في ملحق «الرسالة»، فردوا على محاضرة لم يسمعوها، ولم يقرءوا نصها وقد نشر نصها في موقع «الصوفية»، وبعض الأفاضل الذين يحترمون المنهج العلمي ويتأدبون بآداب العلماء طلبوا مني نص المحاضرة فلما قرءوه زال الإشكال وذهب الإنكار».

أقول:

أ- إن كانت جريدة المدينة لم تنشر من كلامك إلَّا العناوين- وهذا غير صحيح- فلماذا لم تنكر عليها هذا التصرف في حينه وترسل بتواضع وأدب نص كلامك إلى الذين انتقدوك ممن لا هدف لهم إلَّا الذب عن الحق أو تنشره في صحيفة أخرى بكامله وتريح الناس من الأخذ والرد والقيل والقال.

ومن يدري أنك نشرت مقالك في موقع الصوفية ولماذا لم تنشره في مواقع أهل السنة؟

ثم لماذا سكت طوال أكثر من ثلاثة أشهر ثم تقول الآن هذا الكلام العجيب؟

ب- الذين ناقشوا مقالك الذي نشر في الرسالة وجدوا عناوين في هذه الرسالة مأخوذة من كلامك يعقبها كلامك، فما كان النقاش مقصورًا على العناوين فقط، وإنما كان النقاش للكلام الذي قدمته الرسالة مع عناوينه المأخوذة من كلامك.

٤- قال القاري: «ولكن هذه الزوبعة التي أثيرت حول الموضوع كشفت عن أمور:

أولًا: المستوى الهزيل الذي غلب على الردود مما يدل على أن بعض من ينتسب إلى السلفية لا يقرءون -لا يقرءون حتى لابن تيمية وابن القيم- بل الملفت أنهم لم يقرءوا المحاضرة التي يردون عليها».

هكذا يقول القاري الذي ينفذ وصية ابن باز باللطف يرمي ردود أهل السنة السلفيين القائم نقدهم على العلم الصحيح والمنهج الصحيح والنقل الصحيح

بالهزال.

ويرى أنهم غير سلفيين ليس لهم من السلفية إلا الانتساب، لا يقرءون حتى لابن تيمية بل ولا حتى محاضرته التي يردون عليها، ولا ندري ما هي مقاييس الهزال عند القاري.

أهكذا يكون اللطف وهكذا يكون المنهج العلمي وأدب أهل العلم؟.

المنهج العلمي أن تسوق نصوصهم وتناقشها بلطف وأدب ومن خلال عرض نصوصهم ونقاشها يظهر الهزال والغثاء في أي الأطراف، أما هكذا تقذفهم وتحط منهم ومن كتاباتهم، فهذا ليس من منهج أهل العلم.

ولا أريد أن أجاريك في الغلظة والجفاء وألتمس لك العذر لأن النقد العلمي ليس من شأنك ولا خبرة لك به وبأساليب أهله، وأنصحك بتحري الحق وبسلوك أهل العلم في النقاش ولو كنت تستفيد من منهج ابن تيمية وتقرأ له بوعي لعرفت طرق النقاش وقيمة المنهج السلفي وأهله وكيف تتعامل مع الصوفية وكيف تتعامل مع السلفيين وغيرهم.

٥- قال القاري:

«ثانيًا: سوء الظن والمبادرة إلى الاتهام، بعضهم بشكل مباشر وسائرهم من ناحية ظنهم أنني مدحت «التصوف المنحرف» وهاتان الخصلتان: «سوء الظن والمبادرة إلى الاتهام» أصبحتا حرفة طائفة انتسبوا إلى «السلفية» وبعضهم أبعد ما يكونون منها».

أقول: أين هو اللطف الذي أوصاك ابن باز بالصوفية وغيرهم؟ وأين هو الكلام الذي يحمل سوء الظن والمبادرة إلى الاتهام وأين هي هذه الطائفة التي انتسبت إلى السلفية وهي تحترف الاتهام وهي أبعد ما تكون من السلفية؟ وما هي السلفية عندك؟ وهل هم يتهمون العلماء ويقولون إنهم جواسيس وعملاء ولا يعرفون الواقع إلى آخر التهم والطعون وعملاء أمريكا وبوش.

أخي أنا أذكر أنني ناقشتك مناقشة علمية ومن يعرف التصوف ويعرف التوحيد لا يحتمل أن يقال: إن التصوف هو عين التوحيد، فالتصوف لا ينفك عن الانحراف

ومن تعلمهم من الصوفية وتصول بهم على من يناقشك ليسوا من الصوفية وإنما ألصق بهم الصوفية هذا التصوف الذي هم برآء منه ولم يخجل رؤوس الصوفية حتى عدوا منهم الصحابة وأئمة الإسلام وحتى الإمام أحمد الذي حارب التصوف وغيره من البدع والترهات.

وأذكرك مرة أخرى بأنك من أبعد الناس عن المنهج العلمي في طريق المناقشة فلا تذكر نصوص خصومك ولا تلتزم بنصيحة ابن باز، فأين تقع هذه الاتهامات الغليظة من نصيحة ابن باز التي تعمل بضدها تجاه أهل الحق؟ وهل يريد ابن باز وغيره ممن يأمر بالرفق هذه الطريقة التي تتعامل بها مع الصوفية والتصوف؟ فأين هي النصيحة لله وللإسلام والمسلمين إذا كانت الصوفية قد استولت على عقول أكثر المسلمين وملأت عقولهم بالعقائد الفاسدة والخرافات والتعلق بالأموات... إلخ.

اقرأ لابن تيمية وانظر كيف واجه صوفية عصره ولاسيما الرفاعية، بل كيف واجه صوفية من قبله، فهل يكتفي بكلام مجمل مثل كلامك فيقول التصوف المنحرف ولا يبين ما هو هذا الانحراف ولا أهله وهل هو يطالب الصوفية وغيرهم بالعودة الجادة الصريحة إلى الكتاب والسنة ويسوق الأدلة والبراهين على ضلالاتهم التي ينقلها بنصوصها من كتبهم ثم يكر عليها بالنقد الواضح القوي.

أو هو مثل القاري يكتفي في بعضهم بكلمات مجملة ميتة فإذا ناقشه أحد بعلم ذهب يكيل لهم التهم وأن مستواهم هزيل إلى آخر التهم والطعون التي يخترعها لهم.

٦- قال القاري:

«ثالثًا: أسلوب «الفظاظة» التي تميزت بها ردود بعض هؤلاء المنكرين كأنهم لم يقرءوا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ حتى بلغت الفظاظة ببعضهم أن حكم على سائر الصوفية سابقًا ولاحقًا بأنهم خارج أهل السنة والجماعة».

أقول:

١- أين هو اللطف الذي أوصاك به الشيخ ابن باز، وأين الاستفادة من هذه

الآية، وألا ترى أن هذه الطريقة التي تسلكها قد جمعت بين الغلو في قضية التصوف والصوفية، والتفريط والإفراط تجاههم والغلظة والفظاظة على أهل السنة؟.

٢- أنا الذي قال: إن الصوفية سابقًا ولاحقًا ليسوا من أهل السنة وسقت لك كلام أئمة الإسلام الذين عاصروا سابقيها مثل الإمام أحمد وأبي زرعة وكلام الذهبي وكلام ابن الجوزي في الصوفية ومؤلفاتهم التي قامت على الجهل والضلال من الحارث المحاسبي إلى السلمي والقشيري والغزالي.

٧- قال القاري: «ولو علم هذا المتسرع أن كلامه هذا يشمل كثيرًا من أئمة الهدى لعض على أصبع الندم واغتسل وتاب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجنيد بن محمد الذي يسميه «سيد الطائفة»: «.. فإن الجنيد قدس الله روحه كان من أئمة الهدى...» (مجموع الفتاوى ١١/ ٢٣٩).

أقول:

١- من هم أئمة الهدى الذين يشملهم كلامي؟ سمهم لنا ودع الإجمال في الكلام، فإذا ذكرت أسماءهم فإن كانوا أئمة هدى حقًا كالإمام أحمد وإسحاق ومالك والشافعي والبخاري وأمثال هؤلاء تكون قد أسديت إليّ معروفًا تشكر عليه.

٢- لا أدري من أي أنواع الذنوب الذي ترى أني أغتسل منه فأخشى أن يكون ردة، وهل الاغتسال عندك شرط في قبول التوبة؟!

٣- أما الجنيد رحمه الله فمختلف فيه، فابن جرزي ينقل القدح فيه وابن تيمية يزكيه ويحتاج الأمر إلى دراسة خاصة به ويرجح فيه ما يؤيده الدليل كما هي طريق أهل العلم.

٨- قال القاري عن شيخ الإسلام رحمه الله:

«ويسمي المتقدمين من أئمة التصوف «مشائخ السلف» وهم إبراهيم بن أدهم، والفضيل ابن عياض، وأبو سليمان الداراني، والسري السقطي، ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد ويلحقهم الشيخ عبد القادر الجيلي أو الجيلاني ويثني عليهم

ويمدح أحوالهم، من أراد أن يعرف ذلك فليقرأ جزء التصوف وجزء السلوك من مجموع الفتاوى ويقول: «.. وفي المتسمين بذلك -أي التصوف- من أولياء الله وصفوته وخيار عباده ما لا يحصى عدده...» (مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٧٠) فكل هؤلاء ليسوا من أهل السنة والجماعة؟ حقًّا إنَّ من يقول هذا فقد ظلم نفسه ظلمًا عظيمًا. هذا الأسلوب أسلوب سقيم، فعلينا جميعًا أن نعود إلى أسلوب السلف الذي أصله أئمة السلف وشرحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولا يترك الأمر لأهواء المعاصرين، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. وقد لخص «ابن باز» رحمه الله أسلوب السلف بقوله: «المقصود الهداية وليس النكاية».

أقول:

١- يعجبني قول القاري: «فعلينا جميعًا أن نعود إلى أسلوب السلف الذي أصله أئمة السلف..» إلخ.

وهذا منهجنا الذي ندعو إليه ونطلب من الأمة جميعًا أن يعودوا إليه ومن منهجهم التمسك بنصوص الكتاب والسنة وذلك هو الميزان الذي يجب أن توزن به المناهج والعقائد والمذاهب والأشخاص وأرجو للقارئ أن يوفق للالتزام به ولاسيما في موضوع التصوف والصوفية وأخاف عليه أن يخالف ما يقول.

٢- قد ذكرت كلام أئمة السلف ومن أخذ بقولهم ممن بعدهم من العلماء في ردي على مقاله الأول فهل قرأه وهل يعتبر الإمام أحمد وأبا زرعة ومن أشار إليهم الذهبي من أئمة الحديث.

٣- لا يسلم له أن الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم من الصوفية فلا يجوز التكثر بهم للصوفية.

٤- نقل ابن الجوزي بإسناده عن أبي عبد الرحمن السلمي أن أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره علماء مصر، قال السلمي وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق وقالوا: إنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري أنه يفضل الأولياء

على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي معراج، فأخرجوه من بسطام.

قال ابن الجوزي: وقال السلمي وحكى رجل عن سهل بن عبد الله التستري أنه يقول: إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه، وأنه يتكلم عليهم فأنكر عليه ذلك العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها.

قال السلمي: وتكلم أحمد على الحارث المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات.

قال ابن الجوزي: «وقد ذكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال: حذروا من الحارث أشد التحذير، الحارث أصل البلية- يعني في حوادث جهم- ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم» تلبيس إبليس (ص١٥٠-١٥١).

فهذا ما نقله السلمي ونقله عنه ابن الجوزي في كبار الصوفية وأئمتهم وليس هؤلاء من أئمة الحديث ولا من أئمة الفقه والتفسير، وهذه مواقف معاصريهم من العلماء وغيرهم، وأما عبد القادر فسيأتي الحديث عنه وعن كتابه الحلية.

وقال الذهبي: «قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك، قيل له: في هذه الكتب عبرة! فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكًا والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع، مات الحارث سنة ثلاث وأربعين ومائتين وأين مثل الحارث فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كـ (القوت) لأبي طالب وأين مثل القوت؟! كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم، وحقائق التفسير للسلمي؟! لطار لبه، كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر؟! كيف لو رأى فصوص

الحكم والفتوحات المكية؟! لما كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر كان معاصره ألف إمام في الحديث فيهم مثل أحمد بن حنبل وابن راهويه، ولما صار أئمة الحديث مثل ابن الدخميسي وابن شحانة كان قطب العارفين كصاحب الفصوص وابن سفيان[١] نسأل الله العفو والمسامحة آمين» ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢/ ١٦٦).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فهو من أعظم أئمتنا وله جهاد عظيم في نصرة الإسلام والسنة قل من يلحقه فيه وله نقد شديد على الصوفية في عدد من كتبه كالفرقان والفرقان بين الحق والباطل والرد على أهل وحدة الوجود، كما له مؤلفات عظيمة في الرد على الأشاعرة والفلاسفة واليهود والنصارى والروافض، ولتلاميذه الكبار كابن القيم وابن عبد الهادي ردود على طوائف أهل البدع ولاسيما الصوفية.

ومع هذه المنازل العظيمة لهم ومع جهادهم العظيم فإننا نتعامل مع أقوالهم بتلك القاعدة الذهبية التي قررها السلف وعلى رأسهم الإمام مالك «كل يؤخذ من قوله ويرد إلّا رسول الله ﷺ» ونتعامل بما يقوله شيخ الإسلام «الرجال يحتج لهم ولا يحتج بهم» وبما يقوله: «إذ الأمة متفقة على أنه إذا اختلف مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة لم يجز أن يقال قول هذا هو صواب دون هذا إلّا بحجة» مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٨٥) ولا نتعامل معهم كما يتعامل متعصبة أهل الأهواء فنسلم بكل ما يقولون ولا بقاعدة الصوفية «كن مع شيخك كالميت بين يدي الغاسل» وقاعدة «لا تعترض فتنطرد» بل نأخذ منهم ما وضح برهانه وقامت حجته، وما ليس كذلك أو فيه مخالفة أو ضعف فلا نلتزمه بل نرده مع احترامنا لهم وإكبارنا لهم واعتقاد أنهم أئمة مجتهدون كغيرهم من أهل الاجتهاد للمصيب أجران وللمخطئ أجر.

وقول القاري: ويقول-يعني ابن تيمية-: «.. وفي المتسمين بذلك-أي التصوف- من أولياء الله وصفوته وخيار عباده ما لا يحصى عدده..».

---

(١) كذا والصواب ابن سبعين.

أقول: أخذت من كلامه ما تحب وتركت منه ما تكره، فقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ قبل هذا الكلام: «وقد تكلم به-يعني التصوف- أبو سليمان الداراني وغيره أما الشافعي فالمنقول عنه ذم الصوفية وكذلك مالك فيما أظن وقد خاطب به أحمد لأبي حمزة الخراساني وليوسف بن الحسين الرازي ولبدر بن أبي بدر المغازلي.

وقد ذم طريقهم طائفة من أهل العلم ومن العُبَّاد أيضًا من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة وأهل الحديث والعباد ومدحه آخرون.

والتحقيق أنه مشتمل على الممدوح والمذموم كغيره من الطريق [(١)].

وأن المذموم ما قد يكون اجتهاديًا وقد لا يكون وأنهم في ذلك بمنزلة الفقهاء في الرأي، فإنه قد ذم الرأي من العلماء والعباد طوائف كثيرة والقاعدة التي قدمتها تجمع ذلك كله، ثم ذكر الكلام الذي نقله عنه القاري.

ثم قال: «وبهذا يتبين لك أن البدعة في الدين وإن كانت في الأصل مذمومة كما دل عليه الكتاب والسنة سواء في ذلك البدع القولية والفعلية وقد كتبت في غير هذا الموضع أن المحافظة على عموم قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» متعين وأنه يجب العمل بعمومه.

ثم أخذ ينتقد من يقسم البدع إلى حسن وقبيح رَحِمَهُ اللَّهُ مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٧٠-٣٧١).

وأقول للقاري: لماذا لم تنقل هذا الكلام وهو من صميم البحث في التصوف وبه يظهر كلام أهل العلم من السلف الكرام وموقفهم من التصوف سلبًا وإيجابًا.

ألا يصدق عليك القاعدة: «إن أهل الأهواء يأخذون ما لهم ويدعون ما عليهم».

١- نحن مع السلف الذين ذموا التصوف لأنه يقوم على البدع وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

٢- نحن مع السلف الذين يأتي على رأسهم مالك والشافعي وأحمد بن حنبل

---

(١) كذا ولعله: «من الطرق».

وأتباعهم وأبو زرعة الذين أنكروه وذموه وبدعوا أهله وحذروا منهم ومنه، ونحن مع أئمة الإسلام والحديث الذين أشار إليهم الذهبي لأن معهم الحجج على ذمه.

بل نحن مع الإمام ابن تيمية وتلاميذه في ذم التصوف والرأي المذموم المخالف للكتاب والسنة وله كلام قوي في الرأي وأهله. انظره في كتابه «بيان الدليل على بطلان التحليل» واقرأ ما كتبه ابن القيم في «إعلام الموقعين» في ذم التقليد القائم على الهوى والتعصب الأعمى والآراء وذم ذلك وهو مذهب أهل الحديث الطائفة المنصورة ونرجو أن يكون الإمام ابن تيمية من أئمة هذه الطائفة.

٣- نحن لا نعرف أحدًا من أئمة الحديث والفقه يمدح التصوف ولم يبينهم لنا شيخ الإسلام فليبينهم القاري.

٤- نقول لإمامنا ابن تيمية رحمه الله: كل الطرق تشتمل على الممدوح والمذموم فعند الخوارج ما يمدح ومع ذلك وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم شر الخلق والخليقة وأمر بقتلهم وبين أن لمن قتلهم أجرًا عند الله.

والروافض والشيعة والجهمية والقدرية والمرجئة والصوفية على تفاوت بينهم وكلهم عند الأئمة عندهم ما يمدح وما يذم ولم يمنعهم ما عندهم من الحق أن يذموهم ويذموا مذاهبهم ويحذروا منهم وينزلون كل طائفة منزلتها ويبينون الأسوأ فالأسوأ، ولا يمنعهم هذا التفاوت من ذم الكل وذم مذاهبهم والتحذير منها، وهذه كتب السلف مبثوثة منتشرة بين الناس كأصول السنة للإمام أحمد ولابن أبي حاتم والسنة للخلال والشريعة للآجري والإبانة لابن بطة وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي والحجة للأصفهاني وكتب مقالات الفرق ومنها مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري والفصل في الملل والنحل لابن حزم وغير ما ذكرنا كثير، وكلها تنطلق من النصح للأمة ولحمايتهم من غوائل أهل البدع.

وإن من أخطرها وأعمقها أثرًا في الأمة لمذاهب الصوفية التي ملأت بلاد المسلمين بالخرافات والضلالات وعبادة القبور بالدعاء والذبائح والنذور والغلو في الأولياء واعتقاد أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون وشحن كتبهم بترهات الحلول ووحدة الوجود.

وما أكثر طرق هذه الصوفية وما أخطرها ولاسيما الرفاعية والشاذلية والقادرية والتيجانية والنقشبندية والسهروردية والجشتية والمرغنية وكلها تشترك في عقيدة الحلول ووحدة الوجود والغلو في أهل القبور.

فهل من النصح للإسلام والمسلمين أن نقوم بالدفاع عن الصوفية والتصوف في عصر نجد أشد المهلكات للأمة هذا التصوف بحجة أن هناك في العصور الأولى صالحين مثل فلان وفلان ممن حذر من بلائهم أعلام الأمة كالشافعي وأحمد وغيرهم والحق معهم وجرحهم مقدم على تعديل من عدلهم والحجيج معهم، ومن منهج السلف أن الجرح المفسر مقدم على التعديل.

ثم إن مؤلفات الصوفية تدينهم، تدين مؤلفيها وأتباعهم وواقعهم المرير يدينهم فماذا تريد أيها القاري بإثارة موضوع الصوفية في هذا الوقت الذي تكالب فيه أهل الضلال على أهل السنة، ومن أشدهم على أهل السنة الصوفية والروافض، وانظر واقعهم وانظر قنواتهم الفضائية ومواقعهم على الشبكة العنكبوتية ومؤلفاتهم وكيف يتكالبون على ابن تيمية نفسه الذي تريد أن تجعل منه منطلقًا للذب عن الصوفية والتصوف وهيهات.

فوالله ما تعلمنا وغيرنا محاربة البدع ومنها التصوف إلا من هذا الإمام، فاتق الله وانصح لله وللإسلام والمسلمين ودع هذه الأساليب التي لا يستخدمها إلا الصوفية والتي لا تزيد المسلمين إلا بلاء على بلائهم.

واترك التمويه بابن باز فإنه نصحك باللطف بالصوفية ولم يأمرك بالدفاع عنهم ومحاربة من يقول كلمة الحق فيهم.

٩- قال القاري:

«رابعًا: التلطف مع الصوفية كانت وصية الشيخ ابن باز رحمه الله لي ولغيري من طلبة العلم وأهل الدعوة، بل كان يوصي بالتلطف مع الناس كافة حكامًا ومحكومين والصوفية إخواننا، نشترك معهم في دائرة واحدة هي دائرة أهل السنة والجماعة، وما بيننا وبين بعضهم من اختلاف يجب أن نعالجه برفق ولين، ومن انحرف منهم عن الجادة نناصحه كما نناصح أي منحرف من أهل الإسلام، صوفيًا

كان أم سلفيًا».

أقول: متى كنت متشددًا على الصوفية حتى يهتم بك ابن باز فيوقف زحفك على الصوفية ويُهدِّئ صولاتك عليهم؟.

أنت يا سيد كنت ولا تزال شديدًا على السلفية في الوقت الذي كان ينصرهم ابن باز ويدافع عنهم ويشجعهم على نقد أهل الباطل من الأحزاب وغيرهم، أنت كنت تحارب السلفيين على منبر مسجد قباء وتذمهم وتؤلب عليهم وتسميهم بالخلوف ولا تزال على هذا النهج، فشدتك وطول لسانك على أهل السنة والحق، فعليهم تصول وتجول لا على صوفية ولا على غيرهم ولا أريد أن أتوسع فأبين التزامك بنصائح ابن باز وعدمه.

وقولك: «وما بيننا وبين بعضهم من اختلاف يجب أن نعالجه برفق ولين».

أقول: باسم من تتكلم؟ وكم قدمت للصوفية من علاج؟ وهل أنت مع غالبهم على وفاق؟ لا أستبعد، وإلا فكيف تقول وما بيننا وبين بعضهم من اختلاف؟ يا هذا للسنة رجالها، ولو وكلت إلى أمثالك لانتهت، وتذكر المثل القائل: «وكل إناء بما فيه ينضح».

وإذا كنت ترى أنك والبريلوية والتيجانية والمرغنية والنقشبندية والسهروردية وغيرهم على منهج واحد فأنت وشأنك، فأما أهل السنة والحديث في مشارق الأرض ومغاربها وعلى رأسهم ابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وابن باز وابن عثيمين والألباني وسائر علمائهم فيأبون ذلك.

وعلى سبيل المثال هذا الإمام ابن تيمية يدخل الأشاعرة في الجهمية ويقول فيهم كلامًا شديدًا، ولا يستثني منهم إلا من قال منهم بما في كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري فإنه يعده من أهل السنة بشرطين:

١- ألا يظهر مقالة تناقض ذلك.

٢- وألّا ينتسب إلى الأشعري فإن ذلك بدعة لأنه بذلك يفتح باب شر. انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٨-٣٦٠).

هذا مع أن الأشعرية خير من الصوفية، ومن باب أولى أن يكون الانتساب

إليها بدعة والصوفية أولى من الأشعرية بالإبعاد عن دائرة أهل السنة لأنهم الآن يجمعون الأشعرية الجهمية إلى ضلالات التصوف التي منها الحلول ووحدة الوجود التي أصبحت لازمة من لوازم الغلو في التصوف ولا يخلو منه طريق من الطرق التي ذكرناها، وأما ابن باز فقد أخرج جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ من دائرة أهل السنة.

وقوله: «ومن انحرف منهم عن الجادة نناصحه كما نناصح أي منحرف من أهل الإسلام، صوفيًا كان أم سلفيًا».

أقول: يبدو أن القاري يرى أن الصوفية على الجادة، عقيدة ومنهجًا، ونحن نعتقد أنهم بعيدون عن الجادة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه في عقائدهم ومناهجهم وطرقهم وعبادتهم، والسلفي لا يؤمن عليه من الانحراف، فإذا وجد من أحد منهم انحراف تقدم له المناصحة ولكن من السلفيين المعروفين بالولاء لها ولأهلها.

وعلى كل أنا ما رأيت للقارئ مناصحات واضحة للصوفية قائمة على منهج السلف تردهم إلى جادتهم.

والكلام سهل جدًا لكن العمل النافع والبيان الواضح صعب المنال على كثير من الناس بل يضيقون ذرعًا بهذا العمل والبيان.

١٠- قال القاري:

«وهؤلاء الذين أنكروا عليّ التلطف مع الصوفية، وأطلقوا عليّ ألسنة حدادًا ونالني من شتائمهم نصيب يدّعون أنهم سلفيون، فأين هم من إمام السلفيين في عصرنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وموقفه من جماعة «التبليغ» مشهور كان يوصيني -ويوصي غيري- فيقول: تلطفوا معهم فهم أهل دعوة وصدق في الغالب، كملوا نقصهم وناصحوهم بدلًا من أن تسبوهم، وهم لهم أثر عظيم في هداية العصاة ولقد رأيت بنفسي كيف استقبل يومًا في بيته بالطائف الشيخ «إنعام الحسن» رحمه الله ومعه بعض شباب «التبليغ» استقبلهم هاشًا باشًا، وأظهر الأنس بهم ودعا لهم ونصحهم وتلطف معهم غاية التلطف، والشيخ إنعام الحسن وقتها هو

رئيس جماعة التبليغ، ورؤساء التبليغ صوفيون نقشبنديون جشتيون وأتباعهم من أهل الهند والباكستان كذلك والشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يعلم ذلك».

أقول: يبدو أن القاري يعتبر المناقشات العلمية سبًّا وشتمًا، وأن من انتقده يخرج عن دائرة السلفية إلى دائرة الدعاوى، فماذا ينتظر ممن هذا حاله؟ أهكذا يكون اللطف أيها الرجل؟ وأين تأثرك بأخلاق ابن باز؟ فهل كان ابن باز يخرج من انتقده من السلفية ويعتبر نقده سبًّا؟.

وقولك: «وموقفه من جماعة التبليغ مشهور، كان يوصي. . . إلخ».

نعم موقفه من جماعة التبليغ مشهور كان يتلطف بهم وينصح لهم ويوصي بالتلطف بهم وربما يذهب في حسن التعامل معهم إلى أبعد مما ذكرت ولكن لم يستفيدوا من هذا التعامل الراقي والأخلاق العالية، وكانوا يخادعونه ويزعمون أنهم ينشرون الدعوة السلفية، ولقد قرأ عليَّ الأخ حسن الصايغ كتابًا وجهه إنعام الحسن إلى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يثني فيه على الشيخ ابن باز ويدعي فيه أنهم وجماعته ينشرون الدعوة السلفية في العالم.

فناقشت الأخ حسن رَحِمَهُ اللَّهُ وأقنعته من واقعهم أن هذه دعوى باطلة.

وذكر في هذا الكتاب أن جماعة التبليغ قد تركوا كتاب تبليغي نصاب واستبدلوا به كتابًا آخر اسمه الفضائل، فقلت له هذه حيلة من إنعام الحسن وجماعته، وشاء الله أن أسافر إلى كشمير أنا والشيخ عبد الرزاق العباد وعبد الرب نواب ثم في عودتنا إلى أرض الحرمين مررنا في طريقنا بدهلي - في قصة طويلة تدل على مكر جماعة التبليغ بكل من يثق بهم من العلماء وطلاب العلم العرب، لا مجال لذكرها ومن هذه القصة أنني حرصت أن أشتري كتاب تبليغي نصاب فمررنا على عدد من المكتبات المجاورة لمسجد جماعة التبليغ المركزي نسألهم عن هذا الكتاب، فيجيبون أنه لا يوجد عندنا، حتى كدنا نيأس منه ثم أخيرًا سألنا صاحب مكتبة عن كتاب تبليغي نصاب، فناولنا كتابًا باسم كتاب الفضائل، فقلنا: نحن نريد كتاب تبليغي نصاب، فقال: هذا هو كتاب تبليغي نصاب بعينه لم يغير منه إلا الاسم (العنوان) فاشتريته ثم لما عدنا إلى المدينة سلمنا ما يسمى بكتاب

الفضائل لوالد عبد الرب نواب ليقارنه بكتاب تبليغي نصاب فقام بهذا المطلب فوجد أن كتاب الفضائل هو بعينه كتاب تبليغي نصاب، فزدنا بصيرة بمكر وكذب وحيل هذه الفئة.

ولأسباب وأمور أدرك ابن باز مكر هذه الفئة وتأكد من فساد عقيدتهم ومنهجهم فأصدر عددًا من الفتاوى يبيِّن فيها عقائدهم ويحذر من الخروج معهم إلَّا للعالم الذي يمكنه أن ينقلهم من ضلالهم إلى الهدى وهاكم بعض فتاواه في آخر حياته:

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز-رحمه الله تعالى- عن جماعة التبليغ فقال السائل:

نسمع يا سماحة الشيخ عن جماعة التبليغ وما تقوم به من دعوة، فهل تنصحني بالانخراط في هذه الجماعة، أرجو توجيهي ونصحي، وأعظم الله مثوبتكم؟

فأجاب الشيخ بقوله:

«كل من دعا إلى الله فهو مبلغ «بلغوا عني ولو آية»، لكن جماعة التبليغ المعروفة الهندية عندهم خرافات، عندهم بعض البدع والشركيات، فلا يجوز الخروج معهم، إلَّا إنسان عنده علم يخرج لينكر عليهم ويعلمهم.

أما إذا خرج يتابعهم، لا.

لأن عندهم خرافات وعندهم غلط، عندهم نقص في العلم، لكن إذا كان جماعة تبليغ غيرهم أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله.

أو إنسان عنده علم وبصيرة يخرج معهم للتبصير والإنكار والتوجيه إلى الخير وتعليمهم حتى يتركوا المذهب الباطل، ويعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة» اهـ.

[[فليستفد جماعة التبليغ ومن يتعاطف معهم من هذه الفتوى المبنية على واقعهم وعقائدهم ومناهجهم ومؤلفات أئمتهم الذين يقلدونهم]].

[فرغت من شريط بعنوان (فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على جماعة التبليغ) وقد صدرت هذه الفتوى في الطائف قبل حوالي سنتين من وفاة الشيخ وفيها

دحض لتلبيسات جماعة التبليغ بكلام قديم صدر من الشيخ قبل أن يظهر له حقيقة حالهم ومنهجهم].

وسئل سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز-رحمه الله تعالى- :

أحسن الله إليك، حديث النبي ﷺ في افتراق الأمم: قوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة إلّا واحدة».

فهل جماعة التبليغ على ما عندهم من شركيات وبدع.

وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولاة الأمور وعدم السمع والطاعة.

هل هاتين الفرقتين تدخل...؟

فأجاب- غفر الله تعالى له وتغمده بواسع رحمته- :

تدخل في الثنتين والسبعين، من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنتين والسبعين، المراد بقوله (أمتي) أي: أمة الإجابة، أي: استجابوا له وأظهروا اتّباعهم له، ثلاث وسبعين فرقة: الناجية السليمة التي اتبعته واستقامت على دينه واثنتان وسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العاصي وفيهم المبتدع أقسام.

فقال السائل: يعني: هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين؟

فأجاب: نعم، من ضمن الثنتين والسبعين والمرجئة وغيرهم، المرجئة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجين، لكن داخلين في عموم الثنتين والسبعين.

[ضمن دروسه في شرح المنتقى في الطائف وهي في شريط مسجّل وهي قبل وفاته رحمه الله بسنتين أو أقل].

وقولك: «ورؤساء التبليغ صوفيون نقشبنديون جشتيون، وأتباعهم من أهل الهند والباكستان كذلك، والشيخ ابن باز رحمه الله يعلم ذلك».

أقول: قد تقدم أن جماعة التبليغ أهل مكر وأنهم يتظاهرون للشيخ ابن باز بأنهم يدعون إلى منهج السلف، هل حولهم حلم الشيخ عليهم ولطفه بهم.. إلخ

عن هذه الطرق النقشبندية والسهروردية والجشتية إلى آخر الطرق التي يخجل الصوفية جميعًا من الجمع بين هذه الطرق الأربع، هل رجع إنعام الحسن عنها أو رؤساء التبليغ أو أتباعهم أو بعضهم إلى الجادة؟.

وهل تعلم ماذا تحمل هذه الطرق من البلايا والرزايا؟ إن من بلاياها القول بوحدة الوجود.

يقول بعض أكابر النقشبنديين في معنى «لا إله إلَّا اللَّه» أحيانًا يقول: «لا معبود إلَّا اللَّه، وأحيانًا لا مقصود إلَّا اللَّه، وأحيانًا لا موجود إلَّا اللَّه» كتاب رشحات عين الحياة (ص١٤١) بواسطة كتاب حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية (ص٥٧) وكل هذه الأقوال تدندن حول وحدة الوجود.

٢- تفضيلهم الذكر بقول «هو» على الذكر بقول لا إله إلَّا اللَّه، فقد ذكروا أن (لا إله إلَّا اللَّه) ذكر العوام و(اللَّه) ذكر الخواص و(هو) ذكر خواص الخواص.

٣- وعندهم أن شاه نقشبند يحيي ويميت، انظر كتاب حقائق خطيرة السالف الذكر (ص٣٨).

ويتمثل شيخ نقشبند وأتباعه بأقوال الحلاج، منها هذا البيت:

كفرتُ بدين اللَّه والكفر واجبٌ ... لديَّ وعند المسلمين قبيح

(ص٣٨) من المصدر السابق وعزاه لعدد من مصادر النقشبندية، وهم يعظمون الحيوانات ويعتبرونها من شيوخهم كالبازي والهرة والكلب والفهد والنحلة ويعتبرونها من شيوخهم» (ص٤٣) المصدر السابق.

فهذه واحدة من الطرق التي يبايع عليها جماعة التبليغ!!

١١- قال القاري:

«خامسًا: نحن الآن في زمن عصيب، طوقنا العدو المشترك وهو ذو ثلاث شعب: اليهود، وأمريكا، والروافض، وهذا العدو نبت من أحداث العراق الجسام وما وقع في لبنان؛ إنه يستهدف «أهل السنة» جميعًا، على اختلاف مذاهبهم، فهل يصح أن نتشاجر نحن أهل الدائرة الواحدة المستهدفة- دائرة أهل السنة والجماعة، ألا يجب أن نتكاتف ضد الأخطار التي تهددنا جميعًا؟ ومن أهم

عوامل التكاتف أن نبحث عن نقاط الاتفاق ويعذر بعضنا بعضًا في مسائل الاختلاف، مع وجوب الاحتكام فيها إلى الكتاب والسنة طاعة لربنا ﷻ الذي قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾».

أقول: إن هذا العدو المشترك نبت من فجر تاريخ الإسلام ومن أخطر مراحله الحروب الصليبية وحركات الاستعمار وهذا العدو ليس محصورًا فيمن ذكرت فدائرته أوسع يدخل فيها أوربا بل هي أصل أمريكا ويدخل فيها روسيا والصرب والهند والصين.

ولكن العلاج الصحيح ليس هو هذا العلاج السياسي الإخواني الذي طرح منذ سبعين عامًا ليجمع الروافض والصوفية والنصارى وعلى مر الأيام لا تزيد مشاكل المسلمين إلا حدة وشدة ولا يزال الإخوان المسلمون يبتعدون عن الكتاب والسنة ومنهج السلف ولا تزال دائرة منهجهم تتسع حتى أصبحوا دعاة إلى وحدة الأديان وعقدوا لها مؤتمرات في دولتهم وبابهم مفتوح للتعاون مع الشيوعيين والعلمانيين والناصريين وغيرهم وأمرهم معلوم للعقلاء البصراء، فهل أنت راض عن هذا المنهج وثماره وما أدى إليه؟

إنَّ الحلَّ الصحيح الذي يؤهل الأمة لرضا الله ودخول جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ويؤهلها للنصر على هذه القوى التي تستهدف الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ أن تعود الأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيها وإلى ما كان عليه رسول الله ﷺ.

ولنضع نصب أعيننا نصوص الكتاب والسنة ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ وحبل الله هو كتابه وسنة نبيه ﷺ وقوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ ولقد تفرقت بهم السبل التي قال عنها رسول الله ﷺ إن على كل سبيل منها شيطان ولم ينج من هذا البلاء إلا من اعتصم بكتاب ربه وسنة نبيه وهم قليل ينتقدون هذه الفرق التي ندت وشذت عن الصراط المستقيم ويدعونها إلى الحق ومن النصوص النبوية قوله ﷺ: «إذا تبايعتم

بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» أي الدين الذي رضيه الله الذي جاء به محمد ﷺ.

لقد بين رسول الله ﷺ الداء وأسبابه وقدم لنا العلاج فإن كان هناك دعاة مخلصون فهذا هو العلاج الصحيح وهو الطريق الوحيد لإزالة الذل ورفعه ودفعه.

العلاج يا أخي هو الرجوع الصحيح الذي أراده الله وأراده الرسول في هذا التوجيه العظيم المنطلق من الوحي ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

لا علاج الإخوان المسلمين الذي تبين ضلاله وخطؤه وفشله وسوء منقلبه.

انتبه أيها المسلم للحيل السياسية التي لا تزيد الأمة إلّا خذلانًا وذلة تحت أقدام أعدائها، وكل هذا من ثمار البدع، وإذن فيجب أن يسبق الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما والتجمع عليهما بصدق وإخلاص لا التجمع السياسي المغفل والمستغفل الذي ظهرت ثماره الوخيمة كما أسلفنا ولقد جربنا أن أصحاب هذه الدعوة أول من ينفر عن التحاكم إلى الكتاب والسنة وينفر منها ومن أهلها، ولقد بين الناصحون هذا الأمر العظيم من قبل أن يأتي هذا التجمع السياسي الأبله ومن بعده ولكن لا حياة لمن تنادي.

وينبغي أن أذكر هنا موقف شيخ الإسلام ابن تيمية عندما زحف التتار على دمشق والشام واستقبله أهل الشام الذين حطمهم التصوف فكانوا في هذه المواجهة يرددون هذين البيتين:

يا خائفين من التتر ... لوذوا بقبر أبي عمر
لوذوا بقبر أبي عمر ... ينجيكم من الضرر

فقال لهم شيخ الإسلام: سوف تهزمون أنتم وأبو عمر أو كما قال، قال: وتخلف علماء لأنهم يرون أن هذا الجهاد غير شرعي.

وذهب شيخ الإسلام يربي شبابًا ورجالًا على التوحيد والدين الصحيح حتى توفر له منهم من اطمأن إلى أنه لا بد أن ينتصروا على عدوهم فكان يقول لهم ولِمخبرهم: النصر لنا مؤكد؛ فيقولون له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله

تحقيقًا لا تعليقًا، وكان يشبه حال هذا الجند بحال أهل الخندق، وخاض المعركة مع أعتى قوة آنذاك ونصر الله جنده الموحدين كما وعدهم، وهو تعالى لا يخلف الميعاد، وكان هؤلاء الجند على غاية من الثقة بإنجاز هذا الوعد.

فإن كنت أيها القاري تتعلق بابن تيمية فتعلق بمثل هذا في هذه الظروف العصيبة التي يجب أن يسبق فيها رجوع الأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيها لا التجمع المضاد لما أراده الله ورسوله والذي لا نتيجة له إلا الخزي في الدنيا قبل الآخرة.

١٢- قال القاري:

«وهنا مسائل تتعلق بموضوعنا تستحق الإشارة إليها، وهي: أهل السنة والجماعة: هل هم على مذهب واحد؟ هم على منهج واحد، ومذاهب متعددة، وهذا مبني على جواز تعدد الاجتهاد من المجتهدين، فبعضهم مصيب وبعضهم مخطئ، والجميع في ظل منهج واحد، ولذلك هم دائرون بين الأجر والأجرين. وإلا كيف تفسر تعدد المذاهب الفقهية مثلًا وعلى رأسها المذاهب الأربعة، أليست مذاهب متعددة داخل أهل السنة والجماعة».

أقول:

يظهر أن القاري لم يفقه منهج السلف ولم يقرأ التاريخ الصحيح لأهل السنة ولذا يخلط الحق بالباطل وبين أهل السنة وأهل البدع.

فنقول له: الأصل الأصيل والواجب المحتم على الأمة أن تتبع الكتاب والسنة، وأنه لا يجوز لأحد أن يتعمد مخالفة نص من نصوص الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ وهذا أمر مجمع عليه من الصحابة فمن بعدهم لكن هناك حالات يعذر فيها المجتهد المخلص الجاد في طلب الحق إذا خالف نصًا كأن لا يبلغه النص فيبذل جهده في الوصول إلى الحق لكنه لم يوفق للصواب فيقع في مخالفة النص أو بلغه النص من وجه ضعيف فعمل بخلافه على أساس قياس يراه صحيحًا، فهذا يعذر ويثاب على خطئه الذي وقع فيه ويدخل في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وفي قول رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر».

وهناك أعذار أُخَر ذكرها شيخ الإسلام في كتابه «رفع الملام عن أئمة الإسلام» فليرجع إليه من أراد معرفتها.

وانطلاقًا من هذا المنهج كان يرجع الصحابة عن أخطائهم والعلماء عن أخطائهم، ومنه رجع أبو يوسف ومحمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة عن ثلث أو ثلثي المذهب بعدما تبين لهم أن الحق في خلاف مذهب أبي حنيفة.

وأما من يعاند ويرد النصوص لأجل مذهبه فهذا مذموم وقد يقع في الكفر كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[1].

وقد شدد العلماء النكير على متعصبي المذاهب وردوا عليهم في مؤلفات مثل أبي شامة الشافعي في كتابه «المؤمل في الرد إلى الأمر الأول» والسيوطي في «الرد على من أخلد».

بل كم حارب هذه النوعيات شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه ولاسيما كتاب «بطلان بيان التحليل» وكذلك ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين» وكذلك ألف في هذا الباب الفلاني، والصنعاني، والشوكاني وانتقد الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه هذا التعصب الأعمى للمذاهب بل سبق الأئمة أنفسهم إلى ذلك، كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ونهوا عن الأخذ بأقوالهم دون نظر في أدلتهم هذا وليعلم أن الأئمة لم يسعوا في إنشاء مذاهب ليتعصب لها، وإنما وجدت بالصورة التي عليها المذاهب الآن وقبل الآن والتعصب لها ورد الحق من أجلها بسبب اتباع كثير منهم لأهوائهم وإرادة العلو وحب الظهور، ومن هنا جاء نقد الأئمة الأعلام الصادقين المخلصين لهذه التعصبات التي أدت ببعض المتعصبين إلى أن يحرم التزاوج مع أهل المذاهب الأخرى بل أدت إلى القتال والتدمير للقرى كما حصل في الشرق بين الأحناف والشافعية وأدى إلى الطعن في المذاهب وأئمتها، يطعن أهل المذاهب بعضهم بعضًا حتى يصل الطعن إلى الأئمة فهذا من أسرار بقاء المذاهب على هذه الصورة.

ولا شك أن هذه الصورة مخالفة لما كان عليه أهل القرون المفضلة بل مخالفة

---

(١) انظر كتاب الإيمان (ص٦٧).

لمنهج أئمة المذاهب.

من خلط القاري أنه لا يفرق بين أئمة الاجتهاد في الفقه (الفروع) وبين الاختلاف في الأصول ولا شك أن هناك أصولًا لأهل السنة من خالفها خرج عن دائرة أهل السنة إلى دائرة أهل البدع والأهواء.

١٣- قال القاري:

«إن من يقول إن أهل السنة والجماعة مذهب واحد يلزمه أن يخرج هذه المذاهب الأربعة من دائرة أهل السنة والجماعة، وهم فعلًا يعتقدون ذلك، ويعتبرون تعدد هذه المذاهب الفقهية مظهر انحراف.

الزهد الذي هو أساس التصوف الصحيح أعظم أنموذج له هو زهد النبي ﷺ قال: «حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» وقال: «.. أصلي وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم وأتزوج النساء» وهذا يعطينا ضابطًا نضبط به زهد الصوفية فإذا ظهر فيه غلو أو رهبانية رددناه إلى الكتاب والسنة فأبطلناه، وإذا ظل ملتزمًا بحدود الشريعة، وحكم الكتاب والسنة قبلناه، هكذا أوصى أئمة الصوفية الممدوحون عند المسلمين».

أقول:

١- لا تخلط بين قضايا الفروع والأصول، فهناك أصول من التزمها فهو من أهل السنة ولو انتمى إلى أحد المذاهب الأربعة فهو من أهل السنة، ومن خالفها فهو من أهل تلك الأصول المخالفة المبتدعة، وقد ذكر هذه الأصول أئمة الإسلام في كتب العقائد فمن خالفها بدَّعوه، ومن التزمها وثبت عليها اعتبروه من أهل السنة.

من هذه الأصول: التوحيد بأنواعه: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فمن خالف في واحد من هذه الأنواع بدَّعوه، وقد خالفت الجهمية فعطلوا في باب الأسماء والصفات فعطلوا أسماء الله وصفاته فبدعهم السلف بل كفروهم، وتابعهم في نوع التعطيل في هذا الباب المعتزلة فعطلوا الصفات وأثبتوا الأسماء دون معانيها.

وتابع الأشعرية والكلابية الجهمية في تعطيل الصفات الخبرية فجعلهم السلف من أصناف الجهمية وشاركت الصوفية هذه الفرق في تعطيل الصفات[1] وأوغلت في ذلك حتى وقعت في الحلول ووحدة الوجود من زمن الحلاج إلّا أفرادًا منهم، وانحرفت في توحيد الربوبية فاعتقدت في الأولياء بأنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون.

وانحرفت الصوفية في توحيد العبادة فجعلوا مع اللّٰه أندادًا في الدعاء والاستغاثة في الشدة بالأموات والأحياء وفي تقديم القرابين لغير اللّٰه من الذبائح والنذور وشد الرحال إلى القبور والطواف بها وتشييد البنيان عليها وغير ذلك من الأفعال الشنيعة التي يأنف منها ويسخر منها اليهود والنصارى والهندوك، واذهب إلى ما شئت من البلدان غير هذه البلاد لترى فيها هذه الشنائع والمخازي مثل الهند وباكستان والسودان ومصر وتركيا وسوريا والعراق وبخارى ثم احكم على الطرق الصوفية التي تفعل هذه الأفاعيل بما يستحقون هل هم من أهل السنة أو من شرار الضلال وأهل البدع الواقعين في الشرك الأكبر والضلال البعيد.

نحن لا نكفرهم لجهلهم إلّا بعد إقامة الحجة أما التبديع وإخراجهم عن دائرة أهل السنة فلا يتقاعس عنه إلّا أجهل الناس بالإسلام وأبعدهم عن السنة.

الأصل الثاني: الإيمان بالقدر خيره وشره من اللّٰه تعالى، خالف فيه المعتزلة القدرية منهج أهل السنة والجماعة وأخرجوا أفعال العباد عن قدرة اللّٰه ومشيئته واعتقدوا أن العباد يخلقون أفعالهم ولا دخل لمشيئة اللّٰه وإرادته وقدرته في ذلك فضللهم أهل السنة وبدّعوهم وبعضهم يكفرهم وبينوا ذلك بالأدلة من كتاب اللّٰه وسنة رسوله ﷺ، وقابلهم الجبرية فعطلوا قدرات العباد واختيارهم ومشيئتهم وقالوا إن العباد مجبرون على أفعالهم لا قدرة لهم ولا مشيئة ولا اختيار فهم كالريشة والأشجار تحركهم الرياح بدون إرادة ومشيئة، ووقع الصوفية في هذا الضلال فلا شك أنهم مبتدعة ضلال بهذه العقيدة الخبيثة التي تهدر الشريعة

(١) بعض أفراد الصوفية قد يشارك أهل السنة في باب الأسماء والصفات كالسلمي، ولكنه يأتي بطوام عظيمة في تصوفه وفي تفسيره المعروف بـ «حقائق التفسير».

الإسلامية وتعطل نصوص الأمر والنهي والوعد والوعيد.

الأصل الثالث: دل القرآن والسنة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان وخالفهم في ذلك الخوارج والمعتزلة والمرجئة، فقالت الخوارج الإيمان قول وعمل واعتقاد لكن مرتكب الكبيرة المصر عليها يخرج من الإيمان وحكم الخوارج بكفره واستحلال دمه وماله وحكموا عليه بالخلود في النار وأخرجه المعتزلة من دائرة الإيمان ولم يدخلوه في الكفر بل جعلوه في منزلة بين المنزلتين ثم حكموا عليه بأنه من المخلدين في النار.

وقابلهم المرجئة فأخرجوا العمل من الإيمان فقال بعضهم إن الإيمان هو المعرفة فقط أو التصديق فقط وقالت معها مرجئة الفقهاء إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب والعمل ليس من الإيمان، وأنكر السلف هذه الأقوال الشنيعة وبدعوا أهلها، ودخلت الصوفية في الإرجاء.

والأصل الرابع: أن القرآن كلام الله، وكفَّر السلف من قال: إن القرآن مخلوق، وبدّعوا من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو توقَّف فقال: القرآن كلام الله ولا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، وقالت الأشاعرة: إن كلام الله هو الكلام النفسي والقرآن الذي بين أيدينا مخلوق وتابعهم الصوفية في ذلك.

الأصل الخامس: دلَّ الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة على مكانة الصحابة ومنزلتهم عند الله ولقد أثنى الله عليهم وزكاهم وكذلك أثنى عليهم رسول الله ﷺ وزكاهم وبين أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق لأنهم آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان وحازوا قصب السبق في العمل بأوامر الله واجتناب نواهيه وجاهدوا لإعلاء كلمة الله بأموالهم وأنفسهم وهدى الله على أيديهم أممًا وشعوبًا إلى آخر فضائلهم التي لم يسبقهم غير الأنبياء سابق ولا يلحقهم لاحق، فمن أبغضهم أو سبهم فهو ضال، وبغضه لهم من علامات نفاقه ومن كفرهم فهو الكافر.

هذه لمحة موجزة ولا مجال لاستيفاء أصول أهل السنة التي من خالف فيها أو في بعضها حكموا عليه بالبدعة وأخرجوه من دائرة أهل السنة ولو انتمى إلى أهل

الحديث أو إلى المذاهب الأربعة أو غيرها ولا شك أن للصوفية نصيبًا وافرًا من البدع ولا يغني عنهم شيئًا تسترهم بالمذاهب الأربعة.

والذي يتأمل كلام القاري يدرك أنه يجهل منهج أهل السنة والجماعة أو هو يعرفه، ويلجأ إلى التمويه والمغالطات التي تضره وتضر بالصوفية الذين يدافع عنهم ويحق لي أن أتمثل بالبيت الآتي:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن لبس الحق بالباطل.

وقول القاري: «قال رسول الله ﷺ: «حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء...» الحديث، وقوله: «أصلي وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم وأتزوج النساء» وهذا يعطي ضابطًا نضبط به زهد الصوفية، فإذا ظهر فيه غلو أو رهبانية رددناه إلى الكتاب والسنة فأبطلناه، وإذا ظل ملتزمًا بحدود الشريعة وحكم الكتاب والسنة قبلناه هكذا أوصى أئمة الصوفية الممدوحون عند المسلمين».

أقول:

قد ظهر في الصوفية الأوائل الغلو والرهبانية في ملابسهم وطهارتهم ومساكنهم وأربطتهم وفي طعامهم وشرابهم وتعبدهم بالجوع والعطش المهلك، وقع في ذلك كبار الصوفية ومنهم سهل بن عبد الله التستري وأبو يزيد البسطامي والشبلي.

وقد عقد ابن الجوزي في ذلك فصولًا في بيان حالهم وفصولًا في مناقشتهم انظر تلبيس إبليس (ص١٥٦-١٦٦).

فغلوهم قد حصل فعلًا، فقول القاري: «فإذا ظهر فيهم غلو.... إلخ» مغالطة تتضمن أنه لم يظهر منهم شيء من ذلك في أسلاف الصوفية.

أقول:

وأما متأخروهم فقد تغيرت حالهم وصاروا طلاب دنيا وأكلة سحت.

قال ابن الجوزي: إنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدًا فيها

وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلَّا أنهم غلطوا في هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك للشرع والعقل، فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إيثارًا للراحة وحبًّا للشهوات، فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب، ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي ولا يبالون بمن بعث إليهم فربما بعث إليهم الظالم والماكس فلم يردوه وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح، ومنها أن رزقنا لابد أن يصل إلينا، ومنها أنه من الله فلا يرد ولا نشكر سواه.

وهذا كله بخلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه.

وساق رحمه الله حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس...» الحديث.

ثم قال: وبلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئًا فقبله، فقال الأمير: كلنا صيادون ثم الشباك تختلف.

ثم قال: ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون في حصول الأموال من أي وجه ويفتشون عن مطاعمهم، وقد سئل أحمد بن حنبل عن السري السقطي، فقال: الشيخ المعروف بطيب المطعم[1]، قال السري: صحبت جماعة إلى الغزو فاكترينا دارًا فنصبت فيها تنورًا فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور.

فأما من يرى ما تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فإنه يعجب، ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي: قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة، فقلت: ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفوا على رءوسكم بالسلع؟! يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولًا على الصدقات والصِّلات، ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان، ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنئهم

---

(١) يبدو أن هذا المدح من الإمام أحمد للسري قبل أن يعرف حاله فلما عرف حاله حذر منه. انظر (ص١٥٠) من تلبيس إبليس.

بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها، والله إنكم أضر على الإسلام من كل مضر».

ثم قال: «فصل: وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون:

فمنهم من يدعي الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال.

ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال، وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك.

وذكر عن شيخ لأحد الأربطة أنه كان يلبس الصوف صيفًا وشتاء ويقصده الناس يتبركون به، فمات فخلف أربعة آلاف دينارًا.

قال: وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبي ﷺ أن رجلًا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال ﷺ: «كيَّتان». تلبيس إبليس (ص١٦٥- ١٦٧).

أقول:

هذا في صوفية زمانه فكيف لو رأى صوفية ما بعده إلى هذا الوقت؟! وقد فسدت عقائدهم بالحلول ووحدة الوجود وأنواع العقائد الفاسدة وأنواع الشرك وعبادة القبور وسدانتها وأكل أموال الناس بالباطل وأكل النذور التي تقدم لهذه القبور؟!

وإنشاء الإدارات والصناديق لنهب أموال الناس بالطرق الإجرامية والحيل فأفسدوا بهذه الأعمال عقول المسلمين وعقائدهم مما كان سببًا في تسليط الله عليهم أعداء الإسلام يدوسون كرامتهم ويستعمرون بلادهم فأي خدمة لأعداء الإسلام تفوق هذه الخدمة.

١٤- قال القاري:

«قال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن» مجموع الفتاوى (١٠/ ٤١٢)».

أقول:

هذا النقل عن شيخ الإسلام فيه خلل بل مغالطة من القاري، إذ هو يتحدث عن

مساوئ الصوفية التي تبين حقيقة ما هم فيه من جهل وضلال وأن الشيطان يزين لهم عباداتهم البدعية ويبغضهم في العلم والقرآن والحديث ويبغض إليهم الكتب، وكثير منهم ينفر ممن يذكر الشرع أو القرآن أو من معه كتاب أو يكتب، وهذا الداء واقع في الصوفية من عهد سهل التستري.

وكلام الجنيد يواجه واقعًا صوفيًا فيدفعه واقعهم المر إلى هذا القول وإن كان لا يجدي فيهم كلامه ولا كلام غيره، وكلام الجنيد هذا لا يرفع شيئًا من شأن الصوفية والتصوف إذ حالهم النفور من العلم وأهله، وهذا كلام شيخ الإسلام الذي يعتبر من أقوى الحجج عليك وعلى الصوفية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ كما في (١٠/ ٤١١-٤١٢): «وأهل العبادات البدعية، يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يحبون سماع القرآن والحديث، ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب، فلا يحبون كتابًا، ولا من معه كتاب، ولو كان مصحفًا أو حديثًا، كما حكى النصراباذي أنهم كانوا يقولون: يدع علم الخرق، ويأخذ علم الورق، قال: وكنت أستر الواحد منهم، فلما كبرت احتاجوا إلى علمي.

وكذلك حكى السري السقطي: أن واحدًا منهم دخل عليه فلما رأى عنده محبرة وقلمًا خرج، ولم يقعد عنده، ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري: يا معشر الصوفية، لا تفارقوا السواد على البياض، فما فارق أحد السواد على البياض إلّا تزندق. وقال الجنيد: علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن.

وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع، أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب، وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم، فصارت شياطينهم تهربهم من هذا، كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه، وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم، ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه، وقال الله تعالى عن المشركين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:

٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩- ٥١]. وهم من أرغب الناس في السماع البدعي، سماع المعازف. ومن أزهدهم في السماع الشرعي سماع آيات الله تعالى».

فهذا حال الصوفية الأوائل الذي يعرفه شيخ الإسلام وغيره فلماذا يكتمه القاري ويجترئ بكلام الجنيد الذي لا يستفيد منه صوفية عصره فضلًا عمن بعدهم ولماذا يجعل القاري من ابن تيمية مدافعًا عن الصوفية وهو يذمهم أشد الذم؟ !!

١٥- قال القاري: «وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: «القدر ظلمة فادخل في الظلمة بالمصباح، وهو الحكم: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا تخرج عنهما». مجموع الفتاوى (١٠/٥١٩)».

أقول: سبق كلام الذهبي في كتاب الغنية للشيخ عبد القادر، وليت الشيخ عبد القادر حذر من الدخول في ظلمات التصوف، ومن يقرأ له في كتاب الغنية يندهش من حاله فهو في باب الأسماء والصفات وفي القدر مع أهل السنة فإذا دخل في ظلمات التصوف وجده رجلًا آخر!

ولأضرب لك بعض الأمثلة مما في كتابه الغنية:

١- تحدث عن فضائل الصلوات أيام الأسبوع، اعتمد في هذه الفضائل على أحاديث أغلبها موضوعات.

قال: «فصل في ذكر صلاة يوم الثلاثاء: عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار -وفي حديث آخر: عند ارتفاع النهار- يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يومًا فإن مات إلى سبعين يومًا مات شهيدًا وغفر له ذنوب سبعين سنة».

وقال: «عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات، وأعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة ثم أعطاه الله تعالى في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر»

الغنية (٢/ ١٤٠).

أخرج ابن الجوزي في الموضوعات في فضل صلاة يوم الأحد حديثًا قريبًا من هذا الحديث وقال: هذا موضوع وفيه جماعة مجاهيل».

وأقول: إن هذا الحديث من أشد الكذب على رسول الله ﷺ كيف يُعطى ثواب نبي والمرء لو أنفق عمره في العمل ما لحق ثواب صحابي ولو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

وكيف يُعطى بكل حرف مدينة من مسك أذفر والرسول ﷺ أخبر بأن القارئ يُعطى بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها.

وذكر الشيخ عبد القادر فضائل صلاة الليالي وفيها من الكذب على رسول الله ﷺ ما تقشعر منه جلود من يعرف سنة رسول الله ﷺ ويبغض الكذب على الناس فضلًا عن الكذب على رسول الله ﷺ، والكذب على رسول الله يستوجب صاحبه النار، قال ﷺ: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» وقال: «من روى عني حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

١- قال: «وروى سعيد عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثلاث مرات، فإذا فرغ من صلاته وسلم قرأ آية الكرسي كتب الله بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه بكل حرف ثواب شهيد، وكان تحت عرشه مع النبيين والشهداء» الغنية (٢/ ١٤٢).

٢- وقال: «فصل في فضل صلاة ليلة الثلاثاء، عن النبي ﷺ: «من صلى ليلة الثلاثاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وإذا جاء نصر الله خمس مرات بنى الله له في الجنة بيتًا عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات..».

٣- وقال: «فصل في ذكر صلاة ليلة الأربعاء: عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؛ عشر مرات ينزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون له الثواب إلى يوم

القيامة» الغنية (٢/ ١٤٣).

هكذا بدون أسانيد وهذه مجازفات عظيمة على رسول الله ﷺ، ولقد أكثر من ذكر الفضائل من هذا النوع بدون زمام ولا خطام.

٤- ويقول خلال حديثه عن الصوفي والمتصوف: «فالمتصوف المبتدئ والصوفي المنتهي... المتصوف متحمل والصوفي محمول حمل المتصوف كل ثقيل وخفيف فحمل حتى ذابت نفسه وزال هواه وتلاشت إرادته وأمانته فصار صافيًا فسمي صوفيًا فحمل فصار محمول القدرة كرة المشيئة مربى القدس منبع العلوم والحكم بيت الأمن والفوز كهف الأولياء والأبدال وموئلهم ومرجعهم ومتنفسهم ومستراحهم ومسرتهم، إذ هو عين القلادة درة التاج منظر الرب».

ثم يصف المريد بصفات لا يطيقها البشر من المكابدة ثم يقول: «ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر الله ﷻ حتى يفارق أخراه وما أعد ﷻ لأوليائه فيها من جنة لرغبته في مولاه فيخرج من الأكوان فيصفى من الأحداث ويتجوهر لرب الأنام فتنقطع منه العلائق والأسباب والأهل والأولاد فتنسد عنه الجهات وتنفتح في وجهه جهة الجهات وباب الأبواب وهو الرضا بقضاء رب الأنام ورب الأرباب ويفعل فيه فعل العالم بما كان وما هو آت والخبير بالسرائر والخفيات، وما تتحرك به الجوارح وما تضمره القلوب والنيات، ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة إلى المليك الديان، ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس ثم يجلس على كرسي التوحيد، ثم يرفع عنه الحجب ويدخل دار الفردانية ويكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فانيًا عن نفسه وصفاته عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وأخراه فيصير كإناء بلور» الغنية (٢/ ١٦٠).

من أين أخذ عبد القادر صفات الصوفي والمتصوف؟ هل أخذها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ ألم ينه رسول الله عن التبتل والرهبانية؟ ألم ينه عن التشدد وأمر بالاعتدال في العبادة في الصلاة والصوم والنوم والقيام وقراءة القرآن.

من أين لعبد القادر من أن الصوفي مربى القدس منبع العلوم والحكم بيت الأمن والفوز، كهف الأولياء والأبدال وموئلهم ومرجعهم درة التاج منظر الرب.

هل قال رسول الله هذا عن نفسه أو عن أحد من أصحابه مثل هذا؟.

أما قال الله لرسوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾؟ أما قال لإمام الأنبياء وخاتم الرسل: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؟.

وهل يجوز الزهد في الآخرة؟! وهل زهد الأنبياء والصحابة والصديقون فيها؟.

ومن أين له أن الصوفي يترقى إلى هذه المراتب فيفتح له باب القربة إلى الملك الديان ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس ثم يجلس على كرسي التوحيد ثم ترفع عنه الحجب فيدخل دار الفردانية ويكشف عنه الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو، فهل الصوفي يرى الله في هذه الدنيا فيعطى منزلة أفضل من منزلة محمد وموسى عليهم الصلاة والسلام؟ وما معنى بقي «بلا هو» فانيًا عن نفسه وصفاته أليس هذا فتحًا للقول بوحدة الوجود؟.

ثم يقول الشيخ عبد القادر بعد ذكر عناية الله بالصوفية: «فالله تعالى تولى إخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو ﷻ أطلعهم على ما أضمرت قلوب العباد، وانطوت عليه النيات، إذ جعلهم ربي جواسيس القلوب والأمناء على السرائر والخفيات، وحرسهم من الأعداء في الخلوات والجلوات، لا شيطان مضل ولا هوى متبع يميل بهم إلى الزلات، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ولا نفس أمارة بالسوء، ولا شهوة غالبة متبعة تدعوه إلى اللذات المردية في الدركات المخرجة من أهل السنة والجماعات» الغنية (٢/ ١٦١).

من أين لعبد القادر أن الله اطلع الصوفية على ما أضمرت قلوب العباد وانطوت عليه النيات وجعلهم جواسيس القلوب والأمناء على السرائر والخفيات إلى آخر هذه الدعاوى الباطلة؟.

فعلم الغيب وبما في قلوب العباد وسرائرهم وخفياتهم أمر مختص بالله لا يشركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فإذا كان هذا أثر التصوف في الشيخ عبد القادر المنتمي إلى مذهب الإمام أحمد إمام السنة فكيف بحال غيره؟.

١٦- قال القاري: «وقال أبو يزيد البسطامي: «لو نظرتم إلى رجل أعطي الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة» (الرسالة القشيرية ١/ ١٠٣)».

أقول: كل الطوائف بما فيهم الروافض يدعون أنهم على حق وأنهم متمسكون بالكتاب والسنة، ولكن الواقع هو الذي يبين من هو على الحق ومن هو صاحب الدعاوى.

والصوفية لهم دعاوى كثيرة وعريضة، ولكن واقعهم يُبيِّن زيف دعاواهم.

ولأبي يزيد عبارات ومخالفات خطيرة جعلت أهل بلده يخرجونه منها.

ومن عباراته ما نقله أبو عبد الرحمن السلمي بإسناده إلى أبي يزيد أنه سئل: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار».

فهل جاء الأنبياء بهذا وهل جاء به الكتاب والسنة؟ وهل كان الصحابة تأتيهم المعرفة عن طريق جوع البطون وعري الأبدان؟ أليس هذا انحرافًا عن منهج الإسلام؟.

ثم ما هي هذه المعرفة وكيف يرضى هذا المدح ويعتد بهذه المعرفة الصوفية التي استمدها من الجوع والعري، لا من كتاب الله وسنة رسوله.

أين هو من الصحابة والسلف، أين هو من عمر بن الخطاب الذي فتح الدنيا وملأها عدلًا يقول: «ليت أن الأمر بعد رسول الله كان كفافًا لا لنا ولا علينا».

ولأبي يزيد كلام كثير مستغرب، راجع طبقات الأولياء للسلمي (ص٦٧-٧٤).

قال الذهبي: وقد نقلوا عن أبي يزيد أشياء الشأن في صحتها عنه منها: سبحاني وما في الجبة إلا الله، ما النار لاستندن إليها غدًا، وأقول: اجعلني لأهلها فداء أو لأبلغنها[1]، ما الجنة؟ لعبة صبيان، هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم؟.

ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول: قال هذا في حال سكره.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: أنكر عليه أهل بسطام ونقلوا إلى الحسين بن

---

(١) هكذا وفي السير «لأبلعنها» بالعين المهملة.

عيسى البسطامي أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي معراج فأخرجه من بسطام فحج ورجع إلى جرجان فلما مات الحسين رجع إلى بسطام، قال الذهبي: قلت: كان الحسين من أئمة الحديث.

وأبو يزيد من أهل (الفرق)[1] فمسلم حاله له[2] والله يتولى السرائر ونتبرأ إلى الله من كل من تعمد مخالفة الكتاب والسنة مات أبو يزيد سنة إحدى وستين ومائتين» الميزان (٢/ ٣٤٦-٣٤٧).

أقول:

هذا كلام عجيب، قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب سريرته ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة»، البخاري، الشهادات (٢٦٤١) قال الحافظ: وفي رواية أبي فراس: «ومن يظهر لنا شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه».

وحكى الشوكاني الإجماع أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم ﷺ وحكى البقاعي قريبًا منه.

وساق أبو القاسم القشيري بإسناده إلى أبي يزيد أنه سئل عن ابتدائه وزهده فقال: ليس للزهد منزلة، قال السائل: قلت: لماذا؟ فقال: لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد فلما كنت في اليوم الرابع خرجت منه، في اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها، واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها، واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله، فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله، فهمت فسمعت هاتفًا يقول: يا أبا يزيد لا تقوى معنا، فقلت: هذا الذي أريد، وسمعت قائلًا يقول: وجدتَ وجدتَ» الرسالة للقشيري (ص٣٦).

---

(١) قال في الهامش: «ليس في خ».

(٢) علق المحقق في الهامش بقوله- أخطأ الذهبي في قوله: «يسلم له حاله» ما يسلم حاله إلا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أقول الصواب مع هذا المحقق إذ ليس لنا إلا الظاهر والله يتولى السرائر.

ما هذا الزهد؟ هل أخذه أبو يزيد من القرآن أو السنة؟ وهل الأنبياء زهدوا في الدنيا وما فيها على هذه الطريقة؟ وهل رسول اللَّه ﷺ زهد مثل هذا الزهد؟ أليس قد كان لرسول اللَّه وأصحابه أموال يستعينون بها على طاعة اللَّه في الجهاد في سبيل اللَّه وفي أنواع طرق الخير والبر؟

أليس رسول اللَّه ﷺ قد قال: «حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب...».

وكيف يزهد أبو يزيد في الآخرة وما فيها وقد أعد اللَّه فيها الجنة للمتقين جنة عرضها السموات والأرض وعلى رأسهم الأنبياء والصديقون والشهداء الصالحون، فكيف يزهد فيها وهذا شأنها وفيها رؤية المؤمنين لربهم وهو أعلى نعيم يناله أهل الجنة؟!!

وهذا إبراهيم خليل اللَّه وثاني أولي العزم من الرسل يسأل ربه الجنة فيقول: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

وهذا محمد أفضل الرسل وخاتم النبيين يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى اللَّه عليه بها عشرًا ثم سلوا اللَّه لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبد من عباد اللَّه وأرجو أن أكون أنا هو فمن، سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» صحيح مسلم (٣٨٤).

وعن جابر ﷺ ذكر قصة معاذ، قال: وقال -يعني النبي ﷺ- (للفتى): «كيف تصنع يابن أخي إذا صليتَ؟ قال: أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل اللَّه الجنة وأعوذ به من النار وإني لا أدري ما دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إني ومعاذًا حول هاتين أو نحو هذا» يعني حول سؤال الجنة والاستعاذة من النار. أبو داود، الصلاة، حديث (٧٩٣).

ورواه أبو داود أيضًا من طريق أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ لرجل: كيف تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد وأقول: اللَّهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: حولها ندندن» حديث (٧٩٢) ورواه الإمام أحمد وابن ماجه وهو حديث صحيح.

وقال تعالى عن بعض الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي يدعوننا راغبين في الجنة راهبين من النار.

فما هي المنزلة التي بلغها أبو يزيد إذا كان يزهد فيما يرغب فيه الأنبياء وهو أعلى منازل الجنة، إنها الفلسفة التي تجهل بدهيات القرآن والسنة وما دعا إليه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فأين دعاوى اتّباع الكتاب والسنة؟

وما هو تفسير الزهد فيما سوى الله؟ لا أريد أن أفسره؛ أتركه لغيري وكيف وصل أبو يزيد إلى ما يدعيه في ثلاثة أيام؟ وما نوع هذا الهاتف الذي هتف به وما الذي وجد؟.

قال القشيري: وقيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيت في سبيل الله؟ فقال: لا يمكن وصفه. فقيل له: ما أهون ما لقيت نفسك؟ فقال: أما هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني، فمنعتها الماء سنة، وقال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري» الرسالة للقشيري (ص٣٦).

أشد ما لقيه أبو يزيد عند الصوفية لا يمكن وصفه، وقد وصف رسول الله ﷺ أشد يوم لقيه أنه يوم الطائف، فكان يوم الطائف أشد على رسول الله ﷺ من كل ما لقيه خلال ثلاث عشرة سنة من أهل مكة.

وأشد مما لقيه في يوم أحد والمعارك كلها.

وهل حرمان نفسه من الماء مدة سنة أو حتى أسبوعًا من الإسلام؟.

وهل يطيق البشر بما فيهم الرسل الكرام هذا العذاب؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ لمن قال أصوم ولا أفطر: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»؟.

هذه الترهات المخالفة لشرائع الأنبياء والعقول والفطر تعتبر مناقب عند الصوفية وأنا لا أعتقد صحتها فإن صحت فهي على أبي يزيد لا له وأرجو أن يكون من أساطير الصوفية ليسلم منها أبو يزيد.

وساق القشيري إلى الفرغاني قال: سمعت الجنيد وقد سئل: من العارف؟ قال: من نطق عن سرك وأنت ساكت. الرسالة للقشيري (ص٤٥).

وهذه عقيدة صوفية يدعيها كثير منهم ولا ينكرها سائرهم.

وروى القشيري بإسناده إلى أبي محمد الجريري قال: سمعت الجنيد يقول: ما أخذنا التصوف من القيل والقال، ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات» الرسالة (ص٤٥).

هذه من الأدلة على أن التصوف ليس مأخوذًا من كتاب الله ولا من رسول الله ﷺ ولا يعرفه الصحابة والتابعون.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: الآية ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرم وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك» مسلم الزكاة (١٠١٥) والترمذي في التفسير حديث (٢٩٨٩) وأحمد (٢/ ٣٢٨) وغيرهم.

قال صاحب الرسالة القشيرية في ترجمة سهل بن عبد الله التستري (ص٣٦-٣٧): «وقال سهل: كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، وكان يقوم بالليل فربما كان يقول: يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي.

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمران الزاهد يقول: سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول: سمعت عبد الله بن لولؤ يقول: سمعت عمر ابن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال: قال لي

خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو، فبعثوني إلى الكُتَّاب فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همي ولكن شارطوا المعلِّم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر وقوتي خبز الشعير إلى أن بلغت اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عني شيئًا، فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني، وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصارًا على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتًا بغير ملح ولا إدام، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة، ثم عزمت على أن أطوَى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسًا ثم سبعًا ثم خمسًا وعشرين ليلة وكنت عليه عشرين سنة، ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله» اهـ.

أقول:

قوله: «قُل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرَّات من غير أن تحرك به لسانك...» إلخ.

قال الإمام الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ناقلًا كلام صاحب «عدة الحصن الحصين» (ص٥٢) -وهو يتكلم عن آداب الذكر-: «وأن يتدبر ما يقول ويتعقل معناه وإن جَهِل شيئا تبيَّنه ولا يُعتَد له بشيء مما رتَّبه الشارع على قوله حتى يتلفظ به

ويُسمع نفسه» اهـ

وقال النووي في «الأذكار» (ص١١): «اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها واجبة كانت أو مستحبة لا يُحسَب شيء منها ولا يُعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له» اهـ.

ونقل علي بن سلطان محمد القاري في «مرقاة المفاتيح» (٥/ ١٥٦) أنَّ القاضي عياض قال: «لا ثواب في الذكر بالقلب» ووافقه البلقيني فقال: «وهو حق لا شك فيه» وخالفنا في ذلك علي القاري والصواب مع هؤلاء العلماء».

وجاء في «حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح» (ج١/ ص٢١٥): «وذكر ابن الجزري في «الحصن الحصين»: «أن كل ذكر مشروع أي مأمور به في الشرع واجبًا كان أو مستحبًا لا يعتد بشيء منه حتى يتلفظ به ويسمع به نفسه». اهـ

والمعنى: أنه إذا قرأ في قلبه حال القراءة أو سبَّح بقلبه في الركوع والسجود لا يكون آتيًا بفرض القراءة وسنَّة التسبيح..» اهـ.

وهذا الذي قرره هؤلاء العلماء مأخوذ من القرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

ولا يفهم المسلمون من هذه الآية إلَّا الذكر باللسان مع حضور القلب، ولا يعتد بالذكر حتى يتلفظ به.

عن عبد الله بن بسر أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله».

أخرجه أحمد (٤/ ١٨٨، ١٩٠) والترمذي (٥/ ٣٨٨) حديث (٣٣٧٥) وابن حبان، الإحسان (٣/ ٩٦-٩٧) حديث (٨١٤) والحاكم (١/ ٤٩٥) وصححه، والترمذي (٣٦١٥) وابن ماجه (٢/ ١٢٤٦)، وله شاهد من حديث معاذ.

وقال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله وبحمده أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» متفق عليه، البخاري (٦٤٠٥) وفي مسلم (٦٧٣٨): «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلَّا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه».

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده» البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٦٧٤٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله -تبارك وتعالى-: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت به شفتاه» أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠) وابن ماجه (٢/ ١٢٤٦) وابن حبان، الإحسان (٣/ ٩٧) وغيرهم من طرق عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن كريمة ابنة الخشخاش وعن أم الدرداء عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

وعن معاذ ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» أخرجه ابن حبان (٣/ ١٠٠) وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، والطبراني في الكبير والبزار، وهو في درجة الحسن، وانظر تخريجه في حاشية (ص١٠٠) من الجزء المذكور.

فهذا هدي خير الأنبياء وخاتمهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وقال ﷺ إنكارًا على من تشدد في العبادة: «ومن رغب عن سنتي فليس مني» وهديه ﷺ في عمله وتعليمه لأمته أن يكون الذكر باللسان مع الإخلاص لله رب العالمين.

وأقول: ثم إن هذا الذكر الذي أُلزم به سهل والتزمه بدعة في كيفيته ومراحله وفي تخصيص عدده وتخصيص وقته، ثم صيامه على هذه الوجوه:

١- يقتصر على أكل أوقية من الشعير بحتًا من غير ملح ولا إدام.

ثم يُطوى ثلاث ليال ثم يفطر ليلة ثم يُطوى خمسًا ثم سبعًا ثم خمسًا وعشرين ليلة ويستمر على هذا خمسًا وعشرين سنة.

هل جاءت شريعة الإسلام السمحة بمثل هذا التنكيل والتعذيب؟ حاشى الإسلام من هذه الرهبانية التي حاربها فلا رهبانية في الإسلام.

٢- ثم سياحته في الأرض سنين مخالف لشريعة الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله».

٣- قيام الليل كله؛ قد نهى رسول الله ﷺ في عدد من الأحاديث عن عبد الله بن عمرو وأبي الدرداء وعائشة وغيرهم -ومنها حديث أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر أما أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أما أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» البخاري، النكاح (٥٠٦٣) ومسلم، النكاح (٣٢٩٣) باختلاف في بعض الألفاظ.

فليعلم القارئ أن ما نقلناه من مخالفات الصوفية يعتبر نزرًا يسيرًا من أقوال أئمة التصوف القدامى وأعمالهم وزهدهم وعبادتهم.

ألا يرى الناصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم أن للصوفية منهجًا يخالف الكتاب والسنة فلا يصدق عليه أنه هو عين التوحيد ولا يصدق عليه أنه هو الإحسان وأن من يحيل الصوفية في هذا العصر على منهج الصوفية الأولين قد أخطأ خطأً كبيرًا وأحال على جهل وانحراف خطير.

ومن غلو الصوفية في شيوخهم أنهم ينقلون كلامهم كأنه وحي يوحى ولا يزنونه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا مما دفع الشيوخ إلى الأقوال الكثيرة التي لا صلة لها بالكتاب والسنة.

وهذا بخلاف أهل السنة وعلمائهم الذين يزنون أقوال الناس بعد الأنبياء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما وافقهما قبلوه وما خالفهما ردوه ومن أصولهم قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

ومن أصولهم المستمدة من الكتاب والسنة «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ».

وتجد الصوفية من أبعد الناس عن هذه الأصول، ارجع إلى تراجم شيوخهم وأقوالهم لترى الغلو والمبالغات والأقوال والعقائد والإسراف في حكايات الكرامات ومنها ادعاء علم الغيب والرقابة على قلوب الناس وخطراتهم ما لا نجد منه شيئًا من هذا عند السلف.

أقول: فهذا حال أئمة الصوفية القدامى إن رجعت إلى كلامهم وإلى مؤلفاتهم لا تجدهم ملتزمين بالكتاب والسنة ولا على طريقة الصحابة والسلف الصالح بل لا نجد عندهم إلا الطوام فكيف بحال الصوفية المعاصرين؟!

وكيف يقال: إن التصوف الصحيح هو عين التوحيد؟! إذا كان حال الصوفية هو ما نقلناه عنهم؟!!

١٧- قال القاري: «فهؤلاء وغيرهم من أئمة التصوف الصحيح[1] كأئمة الفقهاء يردون كل شيء إلى الكتاب والسنة، فإذا غلا بعض الصوفية في (الزهد) فحرم على نفسه أو على غيره التزوج بالنساء، أو أكل الحلال أو العمل في التجارة أو نحوها، فإنه يكون مخالفًا للكتاب والسنة بل يكون مخالفًا للتصوف، فترد عليه قوله وتذم حاله، حسب وصية أئمة التصوف».

أقول: شتان بين أئمة الفقه والحديث وبين أئمة التصوف اهتمامًا بكتاب الله وسنة رسوله حفظًا وتفقهًا واستنباطًا وتدوين دين الله من عقائد وأحكام وغيرها في دواوين السنة والعقائد والفقه والدعوة إلى هذا الحق والخير والتربية عليه والذب عنه ورد غوائل أهل الضلال من الفرق ورد غوائل أعداء الإسلام من الملاحدة والمنافقين، شتان بين هؤلاء وبين الصوفية الذين قلّت عنايتهم بالعلم حديثًا وفقهًا وعقائد ومن قلد منهم العلماء في شيء من العقائد تجده يتخبط في ميادين التصوف

(١) التصوف الذي يرى القاري أنه صحيح إنما هو في واقعه وساوس وخطرات وشطحات وتعذيب للنفس بالجوع والعطش على طريقة رهبان النصارى والهنادك.

ومن ألف منهم تجد مؤلفاتهم مليئة بالأفكار المنحرفة والأحاديث الباطلة فيتورع أوائلهم في الحلال والحرام ولا يتورعون في الحديث عن رسول الله ﷺ وعن تفسير كتاب الله بالأقوال الباطلة والاستناد إلى الوساوس التي يسمونها بالإشارات، أما متأخروهم فقد مر الحديث عنهم ولاسيما في التوسع في كسب الأموال من الطرق الفاسدة وتوسعهم في العقائد الفاسدة كالحلول ووحدة الوجود وفي التعلق بالأولياء وقبورهم وتفريقهم للأمة بكثرة الطرق الصوفية التي تجاوزت العشرات التي يكفي بعضها لإهلاك معظم الأمة وإيقاعها في الضلال.

وكأن القاري لا يخاف على الصوفية في المستقبل إلَّا الانحراف في الزهد ولا يدرك أنهم قد انحرفوا من نشأتهم في الزهد وغيره أما متأخروهم فحدث عنهم ولا حرج وقد مضى الحديث عنهم.

١٨- تحدث القاري عن اشتقاق التصوف وحكى عن ابن تيمية أنه مأخوذ من الصوف ثم قال: «ولا أرى كبير فائدة في هذا البحث لأن النقاش ليس في الأسماء ولكن في المعاني والمدلولات، وإذا كان بالإمكان التخلص من هذه الأسماء الحادثة، فعلينا أن نتخلص من لفظة «الصوفي» و«الصوفية» الحادثة في منتصف القرن الثاني، وربما قبل ذلك وكذلك نتخلص من لفظة «السلفي» و «السلفية» الحادثة بعد ذلك بقرون، لم يعرف وصف أحد بـ «السلفي» أو طائفة بـ«السلفية» طوال القرون الثلاثة المفضلة، والجواب على هذا هو الجواب على ذاك».

أقول للقاري وغيره:

إذا كان النقاش في المعاني والمدلولات لا في الأسماء، فهل تستوي المعاني والمدلولات عند الصوفية وعند السلفيين في الضلال، هل المنهج السلفي القائم على كتاب الله وسنة رسوله وعلى ما كان عليه الصحابة وسائر القرون المفضلة ومن بعدهم من أئمة الهدى، هل هذا المنهج الذي يسير عليه السلفيون عقيدةً ومنهجًا ودعوة يستوي مع المناهج الصوفية التي أنكرها أئمة الإسلام منذ ذر قرنها إلى زمن الحلاج وأشياعه إلى ابن القشيري ثم الغزالي، وزادها توسعًا في الضلال ابن عربي والتلمساني وابن الفارض وابن سبعين الذين تدور الصوفية في فلكهم وفلك

ضلالاتهم التي منها الحلول ووحدة الوجود من عهدهم إلى يومنا هذا وواقعهم ومؤلفاتهم تشهد بهذا.

والسلفيون من فجر تاريخهم ومؤلفاتهم إلى يومنا هذا تشهد بذلك، دع عنك أدعياء السلفية الذين يشهد عليهم ولاؤهم وانتماؤهم لأهل الضلال والأهواء فلا يجوز عدهم في السلفيين فإن ولاءهم لأهل الأهواء ومحاربتهم للسلفيين تدينهم ببعدهم عن السلفية والسلفيين حتى يرجعوا إلى محض السلفية منهجًا وولاء وذبًا عنها وعن أهلها على طريقة أئمة السلف.

أما لفظ السلفية والسلفيين فقد اضطر إليها السلفيون اضطرارًا وهو لفظ تداوله العلماء وأقره ابن تيمية وابن باز اللذين تحتج بهما، فإذا تخلى أهل البدع من الصوفية وغيرهم عن التصوف والتجهم والاعتزال والتمشعر وعادوا إلى الكتاب والسنة وجب على الجميع بما فيهم السلفيون أن ينتموا إلى الإسلام ويدعوا هذه التسميات.

وأخيرًا فإني أدعو المسلمين جميعًا علماء وحكامًا وطلاب علم وشعوبًا إلى العودة الحميدة إلى الكتاب والسنة وإلى ما كان عليه السلف الصالح من عقيدة واحدة ومنهج واحد وأن يدعوا المناهج والعقائد الفاسدة التي فرقتهم ومزقتهم شر ممزق وغرست في النفوس العداوة والبغضاء والأحقاد والفتن وسلطت عليهم الأعداء من أهل الملل والنحل من يهود ونصارى وغيرهم ولن تزول عنهم هذه البلايا حتى يحققوا هذه العودة التي أوجبها عليهم الله ورسوله ﷺ وهي من أعظم ما فرضه الله عليهم.

نسأل الله أن يأخذ بنواصيهم إلى الحق والخير وإلى القيام بهذه الفريضة العظيمة التي يكمن فيها عزهم وكرامتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وبها يخرجهم الله من دوامة الذل والهوان التي يعيشونها من قرون وينصرهم على أعدائهم وأعداء دينهم إن ربنا لسميع الدعاء.

كتبه

الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

٢٧/ شعبان/ ١٤٢٦هـ

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

مناقشة
الهادي المختار ومن معه
في ذَبِّهم عن الصُّوفية

(الحلقة الأولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فقد اطلعت على مقال الهادي المختار الذي نشر في الرسالة عدد الجمعة الموافق ١٢ربيع الآخر عام ١٤٢٦هـ والذي تضمن ردًا على مقالي الذي نشر في الرسالة في يوم الجمعة ٥ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الذي بينت فيه بالأدلة موقف كبار أهل السنة والتوحيد والحديث من الصوفية وأرائها وزعمائها وكتبها مثل موقف الإمام أحمد وأبي زرعة وابن الجوزي والذهبي وغيرهم.

ومما يؤخذ على هذا الكاتب:

أولًا: أنه تجاهل الأئمة الذين اعتمدت على أقوالهم في نقد الصوفية والتصوف وعلى رأسهم الإمام أحمد.

ثانيًا: ذكر من أئمة السلفية تحت العنوان السابق الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور موسى الشريف وذكر سهل بن عبد الله التستري واستشهد بأقوال ابن عطاء الله الإسكندري وهو من كبار الصوفية القائلين بوحدة الوجود، وذكر أبا حامد الغزالي ونسي موقف علماء المغرب وعلى رأسهم القاضي عياض من كتابه الإحياء حيث قاموا بإحراقه ونسي موقف علماء السنة من هذا الكتاب ومن صاحبه ؛ومنهم ابن تيمية وابن الجوزي والذهبي وأئمة الدعوة في نجد، واستشهد بقول أحمد التيجاني الذي ملئت كتبه وكتب أتباعه بالأباطيل والافتراءات على رسول الله ﷺ، كما أنها قائمة على القول بالحلول ووحدة الوجود، فهؤلاء الصوفية كلهم يقولون: مذهبنا قائم على الكتاب والسنة، فإذا سبر الناس كتبهم ومذاهبهم ومنهجهم وجدوا الفروق الكبيرة بينها وبين أقوالهم.

مواقف أهل السنة وعلمائها من الصوفية وزعمائها

وحيث إن ملحق الرسالة لا يتحمل التفصيل فسأذكر في هذا المقال ما يؤكد مقالي في الصوفية الذي رد عليه الهادي المختار وغيره، منها :

أولًا : ما ذكره الشعراني في كتاب الطبقات (١/ ١٣-١٤)، حيث ذكر :

١- أنهم نفوا أبا يزيد البسطامي من بلده سبع مرات .

٢- وذكر أنه وقع لذي النون المصري مثل ذلك، ويزعم الشعراني أنه وشوا به إلى بعض الحكام وحملوه من مصر إلى بغداد مغلولًا مقيدًا، ويؤخذ من كلامه أنهم كانوا يعتقدون فيه أنه زنديق، والذين عاملوه هذه المعاملة هم علماء الأمة وفقهاؤها وإن طعن فيهم الشعراني .

٣- ذكر أنهم قتلوا الحسين الحلاج وقطعوا يديه ورجليه .

وهو معروف بأنه زنديق يقول بالحلول ووحدة الوجود ومعروف بالسحر والشعوذة واتفقت عليه كلمة العلماء .

٤- قال : وشهدوا على الجنيد أنه كان يقرِّر علم التوحيد، ثم إنه تستر بالفقه واختفى .

٥- وذكر أنهم أخرجوا الحكيم الترمذي إلى بلخ حين صنَّف كتاب علل الشريعة وكتاب ختم الأولياء فأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين، وقالوا : فضلت الأولياء على الأنبياء، وأغلظوا عليه فجمع كتبه كلها وألقاها في البحر فابتلعتها سمكة ثم لفظتها بعد سنين . هكذا يقول الشعراني ! .

٦- وذكر عددًا آخرين من زعماء الصوفية يُطردون من بلدانهم لما فيهم من الضلال، منهم أبو بكر النابلسي وأبو الحسن الشاذلي، أخرجوه وجماعته من المغرب إلى الإسكندرية لأنهم اتهموه بالزندقة .

والذين يعاملون زعماء الصوفية هذه المعاملة التي ذكرها الشعراني هم علماء الإسلام وفقهاؤه .

ثانيًا : ويؤكد هذا ما قاله ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» :

١- أن ذا النون هجره علماء مصر ورموه بالزندقة وكان من المنكرين عليه الإمام عبد الله بن عبد الحكم المالكي.

٢- وقال: وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق وقالوا إنه يزعم أنه يرى الملائكة.

٣- وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة.

٤- وذكر عن أبي يزيد البسطامي أنه يقول: لي معراج مثل معراج النبي ﷺ فأخرجوه من بسطام.

فهذه مواقف أهل السنة من الصوفية الأوائل إلى عهد الشاذلي

ثالثًا: ومواقف ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن حجر وشيوخه وتلاميذه، والإمام المقري في اليمن، وغير هؤلاء من أهل السنة من الصوفية المتأخرين، ولاسيما أتباع ابن عربي، مثل مواقف علماء السلف وفقهائهم من الصوفية وزعمائها الأوائل.

وليرجع من شاء إلى «الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن»، و«الفرقان بين الحق والباطل»، و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«إغاثة اللَّهفان» و«مدارج السالكين» لابن القيِّم، و«الميزان» للذهبي، و«تنبيه الغبي» للبقاعي-أحد تلاميذ الحافظ ابن حجر- جمع فيه أقوال العلماء في أهل وحدة الوجود.

ونأسف أن بعض المنتسبين إلى السنة يتعلقون بعبارات لابن تيمية وابن القيِّم والذهبي في بعض أفراد الصوفية الذين لا يُعدون قطرة في بحر التصوف والصوفية، يتعلقون بهذه العبارات ليدافعوا بها عن الصوفية وبلائها الجاثم على صدر الأمة منذ نشأ التصوف إلى يومنا هذا.

وأنا أسألهم: هل هذه الطرق الصوفية القائمة الآن مثل التيجانية والميرغنية والسهروردية والقادرية والجشتية والرفاعية والشاذلية والبرهانية وغيرها من الطرق الكثيرة، هل هم على عقيدة أهل السنة ومنهجهم؟! وهل هذه القبور المقدَّسة في

مشارق العالم الإسلامي ومغاربه التي يُعتقد في أهلها أو في كثير منهم أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون ويستجيبون الدعاء ويكشفون الكربات، هل هي قائمة على كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ومنهج السلف الصالح؟. ألا تعلمون أن أهم أسباب هذه البلايا في العالم الإسلامي إنما هم الصوفية؟.

أرى أنه من الواجب عليكم أن تتركوا مثل هذه الأساليب التي تقوم على التلبيس وأن تسلكوا مسلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في محاربة الشرك ومظاهره ووسائله، وفي الجهر بالنصيحة لهذه الأمة، وتحذيرها من خطر الصوفية وعقابيلها، وأن تهتفوا بهم وبالأمة جميعًا إلى العودة إلى الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة الكرام وتابعوهم بإحسان، ذلكم هو الطريق الناجع للأمة والذي يخلصها من الأوضاع المهلكة التي يعيشونها والتي من أعظم أسبابها الفكر الصوفي وعقائده ومناهجه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

ثالثًا: ولقد فهمت من مقال الهادي المختار أنه من أتباع الطريقة التيجانية أو من المخدوعين بهذه الطريقة وأهلها فرأيت أن أسوق له أمثلة من عقائد هذه الطائفة وشيخها:

قولها بوحدة الوجود

١- قال صاحب جواهر المعاني (١/ ٢٥٥) نقلًا عن شيخه التيجاني: «.. اعلم أن أذواق العارفين في ذوات الوجود أنهم يرون أعيان الموجودات ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ الآية. فما في ذوات الوجود كله إلا الله ﷻ تجلى بصورها وأسمائها وما ثم إلا أسماؤه وصفاته فظاهر الوجود وصور الموجودات وأسماؤها ظاهرة بصورة الغير والغيرية، وهي مقام أصحاب الحجب الذين حجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحق فيها، والظاهر المحض إنما هو وجود الحق وحده في كل شيء».

٢- وقال صاحب الجواهر (٢/ ٩١-٩٢) عن الشيخ التيجاني في شرح حديث باطل: «وتحقيق ما في هذا الحديث هو ما قلناه أولًا وهو أن جميع المخلوقات مراتب للحق يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام خلقه لا يعارض في شيء، ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهرًا لا باطنًا ولا يكون هذا إلا لمن

عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل، فإن الوجود عين واحدة لا تجزؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام. والخواص وهي المعبر عنها عند العارفين أن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عينًا واحدة على كثرته، ومن نظر إلى عين الوحدة نظرة متكثر بما لا غاية له من الكثرة، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب وهذا لمن عاين الوحدة ذوقًا لا رسما وهذا خارج عن القال ومعنى الفصل والوصل، فالوحدة هي الوصل والكثرة هي الفصل». اهـ

٣- وحدة الوجود ووحدة الأديان:

أ- قال التيجاني: «واعلم أن حضرة الحق ﷻ متحدة من حيث الذات والصفات والأسماء والوجوه.

والوجود كله متوجه إليه بالخضوع والتذلل والعبادة والخمود تحت سلطان القهر وامتثال الأمر والمحبة والتعظيم والإجلال.

فمنهم المتوجه إلى صورة الحضرة الإلهية نصًا جليًا في محو الغير والغيرية.

ومنهم المتوجه إلى الحضرة العليَّة من وراء ستر كثيف، وهم عبدة الأوثان ومن ضاهاهم فإنهم في توجههم إلى عبادة الأوثان ما توجهوا لغير الحق ﷻ، ولا عبدوا غيره لكن الحق ﷻ تجلى لهم من تلك الستور بعظمته وجلاله وجذبهم بحسب ذلك بحكم القضاء والقدر الذي لا منازع لهم فيه وهذا هو التوجه إلى الله كرهًا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾. الآية.

فالوجود كله متوجه إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى بصفة ما ذكرنا فردًا فردًا وأن الكفار والفجرة والمجرمين والظلمة، فهم في ذلك التخليط الذي خالفوا فيه نصوص الشرع وصورة الأمر الإلهي فإنهم في ذلك ممتثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره ومراده إلَّا أنهم خرجوا عن صورة الأمر الإلهي ظاهرًا وغرقوا فيه باطنًا» جواهر المعاني وبلوغ الأماني (١/ ٢٣٩).

ب- وقال أيضًا: «.. فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلَّا لله تعالى لأنه هو المتجلي في تلك الألباس، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله ﷻ ولو أنها برزت لعبادة الخلق وبرزت لها بدون تجلية فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته تعالى لنسبة الألوهية إلى غيره، قال ﷻ لكليمه موسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ والإله في اللغة هو المعبود بالحق وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ يعني لا معبود غيري وإن عبد الأوثان من عبدها فما عبد غيري ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري.. إلخ.

ميدان الفضل والإفضال (ص٦٢) نقلًا عن كتاب (التيجانية) للأستاذ علي الدخيل الله (ص٨٤).

نماذج من كتاب، «الخلاصة الوافية الظريفة في شرح الأوراد اللازمة والوظيفة للطريقة التيجانية الشريفة»

تأليف: محمد سعد الرباطابي التيجاني

١- الطريقة التيجانية أخذها شيخها وإمامها أحمد التيجاني عن سيد الوجود ﷺ (ص٥) حاشية.

٢- ويقول محمد سعد الرباطابي التيجاني عن شيخ الطريقة أحمد التيجاني: «ورضي الله تعالى عن بهجة الأخيار ومعدن البركات والأسرار قطب الأقطاب وغوث الأغواث القطب المكرم والكنز المطلسم قدوتنا وشيخنا وإمامنا ختام الأولياء وممدهم الشيخ أحمد بن محمد التيجاني الشريف الحسني وعن أصحابه المنتسبين إليه ومحبيه أجمعين» (ص٣).

أقول: فهل هذه العقيدة التي يؤمن أهلها بالأقطاب والأغواث والكنوز المطلسمة منبثقة من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ؟! وهل يعرف الناس وظيفة الغوث والقطب وأن من منها التصرف في الكون؟!

٣- ويقول عن كراماته: أنها كثيرة شهيرة لا يحصرها العد ولا تستقصى.

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

ومن أعظم كراماته ﷺ رؤيته لذات سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا محمد رسول الله ﷺ يقظة لا منامًا دائمًا بحيث لا يغيب عنه طرفة عين ويسأله ﷺ عن كل أمر يبدو له ويشاوره ﷺ في كل شيء دقَّ أو جلَّ» (ص١٢-١٣).

فهل هناك مسلم أو عاقل يصدّق هذه الدعاوى المريضة؟!

٤- ويقول عن علمه: «وكان ﷺ يقول: لو سألني سائل أربع سنين وأنا أملي عليه وهو يكتب لم يفرغ بعني من غير تأمل، ولا يستغرب ذلك وقد قال له ﷺ: كل ما أمليت فأنت مترجم عني».

فهل يصدق هذا الرجل إذا قال إن ميزانه الكتاب والسنة؟! وهل يقول مثل هذا الكلام عاقل فضلًا عن إنسان يدعي أعلى مراتب الولاية؟!.

٥- ويقول الرباطابي التيجاني: «وتولى سيدنا وشيخنا القطبانية العظمى في شهر المحرم ١٢١٤ من هجرة سيد المرسلين وهو مقيم بفاس، وهذا من خرق العادة وفي اليوم الثامن عشر من شهر صفر الخير من السنة المذكورة بلغ مقام الختم والكتم الخاصين بختم الولاية المحمدية الخاصة.

٦- ويقول: «قال الشيخ ﷺ: إن جميع الأولياء يدخلون في زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بها إلى يوم القيامة حتى الإمام المهدي المنتظر إذا قام في آخر الزمان.. إلخ.

يأخذها ويكون من خلفاء الشيخ ﷺ الوارثين لعلومها وأسرارها وقد نوه سيدنا الشيخ ﷺ كثيرًا بفضلها ولم يقل ذلك إلّا عن رسول الله ﷺ» (ص٣٨).

ويشيد الرباطابي بفضائل هذه الطريقة.

فمن هم هؤلاء الأولياء الذين يدخلون في زمرتهم ويأخذون أوراده؟ وهل الأولياء كلهم تيجانية؟ ومن هو هذا المهدي المنتظر الذي يأخذ بطريقة أحمد التيجاني ويترك الكتاب والسنة، ويكون خليفة للتيجاني لا خليفة خلفاء رسول الله ﷺ؟

الظاهر أنه يريد بهذا المهدي المنتظر صاحب السرداب الذي ينتظر الروافض قيامه.

٧- وينقل الرباطابي التيجاني عن إمام التيجانية قوله: «طريقتنا تنسخ جميع الطرق وتبطلها».

وهل في الطرق الصوفية ناسخ ومنسوخ؟! وما هو الحكم على الطرق القائمة؟! وهل يسلِّم أصحابها بهذه الدعوى؟! وهل يسلِّم أهل السنة بهذا أو ذاك؟!

٨- وينقل الرباطابي عن إمامه أنه قال: «من ترك وردًا من أوراد المشائخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنيفية أمَّنه اللَّه في الدنيا والآخرة فلا يسوءه شيء أبدًا وهذا وعد صادق منه ﷺ إلينا وأنَّ كل من دخل زمرتنا وخرج منها إلى غيرها طرده اللَّه من حضرته وسلبه ما منحه من محبتنا ويموت كافرًا والعياذ باللَّه من مكر اللَّه ولا يفلح أبدًا»!.

هكذا يقول عن طريقته أنها محمدية إبراهيمية حنيفية ومن دخل فيها أمَّنه اللَّه في الدنيا والآخرة، وينسب هذا إلى رسول اللَّه ﷺ، والرسول ما شهد بمثل هذا لمن دخل في الإسلام بمجرد دخوله، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ والأمان المطلق له شروطه الصعبة.

٩- ويقول: «طريقتنا طريق محض الفضل أعطاها لي رسول اللَّه ﷺ منه إلي مشافهة من غير واسطة يقظة لا منامًا، وقال لي رسول اللَّه ﷺ لا مِنَّة لمخلوق عليك من مشايخ الطرق وكان المصطفى ﷺ شيخه ومربيه ووجهته وقدوته». (ص٣٧).

سبحان اللَّه! بعث اللَّه محمدًا ﷺ إلى العالمين بشيرًا ونذيرًا فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة وما مات حتى أكمل اللَّه به الدين.

ثم يبعثه اللَّه لأحمد التيجاني وحده فيعلمه ويربيه ويشاوره ويملي عليه كل شيء ولا يفارقه طرفة عين!!!

اللَّهم إنا نبرأ إليك من هذه الأباطيل ونشهد أنها أكاذيب على رسول اللَّه ﷺ.

ونؤمن بكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ ونتبعها ونتبع سبيل المؤمنين الذين مدحهم اللَّه وزكاهم.

ونؤمن بقول رسول الله ﷺ: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

ولا أكذب من هذه الأقوال والدعاوى العريضة.

فهل ادعى أحد من الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة أو ادعى أحد من الصحابة أو زوجاته ﷺ أو أهل بيته أنه رآه مرة واحدة في اليقظة؟ أو أنه سأله عن مسألة واحدة بعد موته؟!!!

إن روح رسول الله في الجنة وفي الرفيق الأعلى كيف يترك الجنة ويلازم أحمد التيجاني لا يغيب عنه طرفة عين يشاوره ويجيبه عن كل أمر يبدو له؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وللطريقة التيجانية شروط تبلغ تسعة وعشرين شرطًا منها:

١- أن يكون المريد خاليًا من أوراد المشائخ أو ينسلخ عنها وقد عاهد الله ألّا يعود إليها ألبتة.

٢- عدم الزيارة لجميع الأولياء الأحياء منهم والأموات إلّا من أذن له الشيخ في زيارتهم وهم الأنبياء والصحابة وإخواننا في الطريقة.

قال ﷺ: كل من أخذ وردنا ودخل طريقتنا لا يزور أحدًا من الأولياء الأحياء والأموات أصلًا.

وقال ﷺ: «قال لي سيد الوجود ﷺ: «إذا مر أصحابك بأصحابي فليزوروهم وأما غيرهم من الأولياء فلا». (ص٤٣).

ثم قال: والزيارة الممنوعة عندنا هي الزيارة بقصد التعلق وطلب الاستمداد لا الزيارة لله ومواصلة الأرحام وتعلم العلم وسماع الوعظ من العلماء».

أي أنهم يوجبون قصر التعلق والاستمداد على شيوخ التيجانية والصحابة للعداوة والتحاسد بينهم وبين شيوخ الطرق الأخرى وهذا التعلق والاستمداد[1] هو

---

(١) الاستمداد عند الصوفية: أستمدد المريد من روحانية شيخه بكثرة رعاية صورته ليتأدب ويستفيض منه في النية كالحضور، وقيل الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله وهذا من أهم المهمات وآكد الآداب في العبادة. وهذا الأمر لا يجحده إلا من كتب الله على جبهته الخسران والنسم والعياذ بالله بالمقت والحرمان أولئك هم الأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون=

عين الشرك بالله فهم لا يحرمون هذا الشرك من أجل إخلاص الدين والتوحيد لرب العالمين ولا من أجل أنه شرك بالله وإنما من باب التحزب واحتكار المريدين.

صلاة الفاتح وجوهرة الكمال

عقد التيجاني محمد سيد الرباطابي فصلًا في فضل الأوراد اللازمة للطريقة ذكر فيه بعض الآيات والأحاديث في فضل الاستغفار، وفضل الصلاة على النبي ﷺ، ثم فضل لا إله إلَّا الله ولم يذكر حديثًا واحدًا من أحاديث الاستغفار الثابتة عن النبي ﷺ، ولم يذكر صيغة من صيغ الصلاة على النبي ﷺ كالصلاة الإبراهيمية بل اقتصر على ذكر صلاة الفاتح وفضلها المفترى على رسول الله ﷺ حيث قال:

«ويكفي في فضل صلاة الفاتح لما أغلق... إلخ قول الشيخ ﷺ: إن سيد الوجود ﷺ أخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل كل تسبيح وقع في الكون، وكل ذكر، وكل دعاء صغير وكبير ستة آلاف مرة.

ثم قال (يعني الشيخ التيجاني): وخاصة صلاة الفاتح لما أغلق... إلخ أمر إلهي لا تَدخُّل للعقول فيه، فلا يلتفت إلى تكذيب مكذب، ولا قدح قادح فإن لله فضلًا خارجًا عن دائرة القياس ويكفيك قول الله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فما توجه متوجه بأحب إلى الله بعمل يبلغها وإن كان ما كان ولا توجه متوجه بأحب إلى الله منها، ولا أعظم حظوة إلَّا مرتبة واحدة وهي: مرتبة من توجه إلى الله باسمه العظيم الأعظم لا غير، وتكفيه صلاة الفاتح لما أغلق ولا يحصل هذا الخير إلَّا لمن صدَّق بما سمع وسلَّم لفضل الله تعالى ولا يأخذه الحد والقياس.

قال: واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلاة على النبي ﷺ والأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم مائة ألف مرة وجمع ثواب ذلك ما بلغ مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق... إلخ ولا يحصل فضلها إلَّا بشرطين:

الأول: الأذن الخاص من الشيخ أو مقدميه ولو تعددت الوسائط إلى آخر الدهر.

= صنعا انظر نور الهداية والعرفان ص/ ٥٥ وتنوير القلوب ص/ ٥١٨ كلاهما من كتب النقشبندية.

* ونحن نرى أنه يجب الكفر بهذا الأمر ونرجو السعادة لمن يجحده.

الثاني: أن يعتقد أنها ليست من تأليف مؤلف بل جاءت للقطب البكري من حضرة الغيب، وهي من أقسام وحي الإلهام للأولياء ﷺ ويعتقد أنها من كلام الله كالأحاديث القدسية وليست من تأليف البشر وقد ذكرت جملة صالحة من فضلها في الجواهر العلية وفضلها أكبر من أن يحصر وأعظم من أن يسطر وفضل الله أوسع والله ذو الفضل العظيم».

ونتساءل كيف ادخر الله صلاة الفاتح وفضلها للقطب البكري ثم للتيجاني والتيجانية فلم يعطها لأولي العزم من الرسل ومنهم سيد ولد آدم محمد ﷺ ولم يعطها للأنبياء وسائر الرسل الكرام ولا الملائكة المقربين وأوحاها للقطب البكري؟!!!

عن أنس ﷺ قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان» صحيح مسلم حديث (٢٤٥٤).

فهؤلاء أصحاب رسول الله يعتقدان اعتقادًا جازمًا أن الوحي قد انقطع من السماء لأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين كما جاء بذلك الكتاب والسنة وقام عليه الإجماع فمن اعتقد أن الله يوحي بعد موت محمد ﷺ إلى أحد فقد كذب الكتاب والسنة والإجماع.

وهل يجب على الناس أن يصدقوا التيجاني بأن صلاة الفاتح من أقسام وحي الله؟

وأن الصوفية يوحي الله إليهم بما هو أفضل مما أوحاه الله إلى الأنبياء والرسل الكرام !!

وهل نصدق رسول الله ﷺ إذ سئل عن أفضل الأعمال فأجاب: «**الصلاة لوقتها**»، فقال السائل -وهو عبد الله بن مسعود-: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» فقال عبد الله: ثم ماذا؟ قال رسول الله: «**الجهاد في سبيل الله**» أو نصدق التيجاني

بأن صلاة الفاتح أحب إلى الله من كل عمل يتوجه به متوجه إلى الله.

والاسم الأعظم ولعله يخترع لله اسمًا يسميه هو الاسم الأعظم.

هل نصدق التيجاني أن المرة الواحدة تعدل كل تسبيح وقع في الكون وكل ذكر ودعاء صغير وكبير ستة آلاف مرة إلى آخر ما يدعيه.

وفي (جواهر المعاني) لعلي حرازم التيجاني (ص١٣٥) حاكيًا عن إمامه الشيخ أحمد التيجاني قوله: «فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق... إلخ واشتغلت بها وهي: اللّهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلامًا يعدل سلامهم لما رأيت فيها من كثرة الفضل، ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها أخبرني أولًا بأن المرة الواحدة منها تعدل القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيًا: أن المرة الواحدة تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار» (ص١٣٥-١٣٦).

ويقول: ثم قال الشيخ ﷺ: وأخبرني ﷺ أنها لم تكن من تأليف البكري (أي صلاة الفاتح) ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات، وطال طلبه مدة ثم أجاب دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور ثم قال الشيخ: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة». انظر (ص١٣٧-١٣٨).

وقال علي حرازم: «فائدة: قال الشيخ ﷺ: عدد ألسنة الطائر الذي يخلقه الله من الصلاة على النبي ﷺ الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف إلى أن تعد ثمان مراتب وستمائة وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف إلى أن تعد سبع مراتب وسبعمائة ألف ألف ألف ألف إلى أن تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد ألسنة وكل لسان يسبح الله تعالى بسبعين ألف لغة في لحظة وكل ثوابها للمصلي على النبي ﷺ في كل مرة، هذا في

غير الياقوتة الفريدة وهي: الفاتح لما أغلق... إلخ وأما فيها فإنه في كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة كما تقدم فسبحان المتفضل على من يشاء من عباده من غير منة ولا علة، انتهى من خط سيدنا وحبيبنا وخازن سر سيدنا أبي عبد الله سيدي محمد بن المشري حفظه الله وأدام ارتقاءه» (ص١٤٣-١٤٤) من جواهر المعاني.

فهل سمع بشر بأكذب من هذا الكذب والافتراء على الله؟!

فهذا هو واقع الطريقة التيجانية وواقع شيوخها؛ فهل يقال إنهم من أهل السنة؟!

واقرأ الطرق الأخرى مثل الرفاعية والشاذلية والنقشبندية والجشتية والمرغنية فستجد ما يهيلك ويذهلك من العقائد الإلحادية كالحلول ووحدة الوجود والشرك الأكبر والخرافات والأساطير ما يندى له الجبين.

فهل يقال إن أهل هذه الطرق وما شاكلها من أهل السنة والجماعة؟!.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

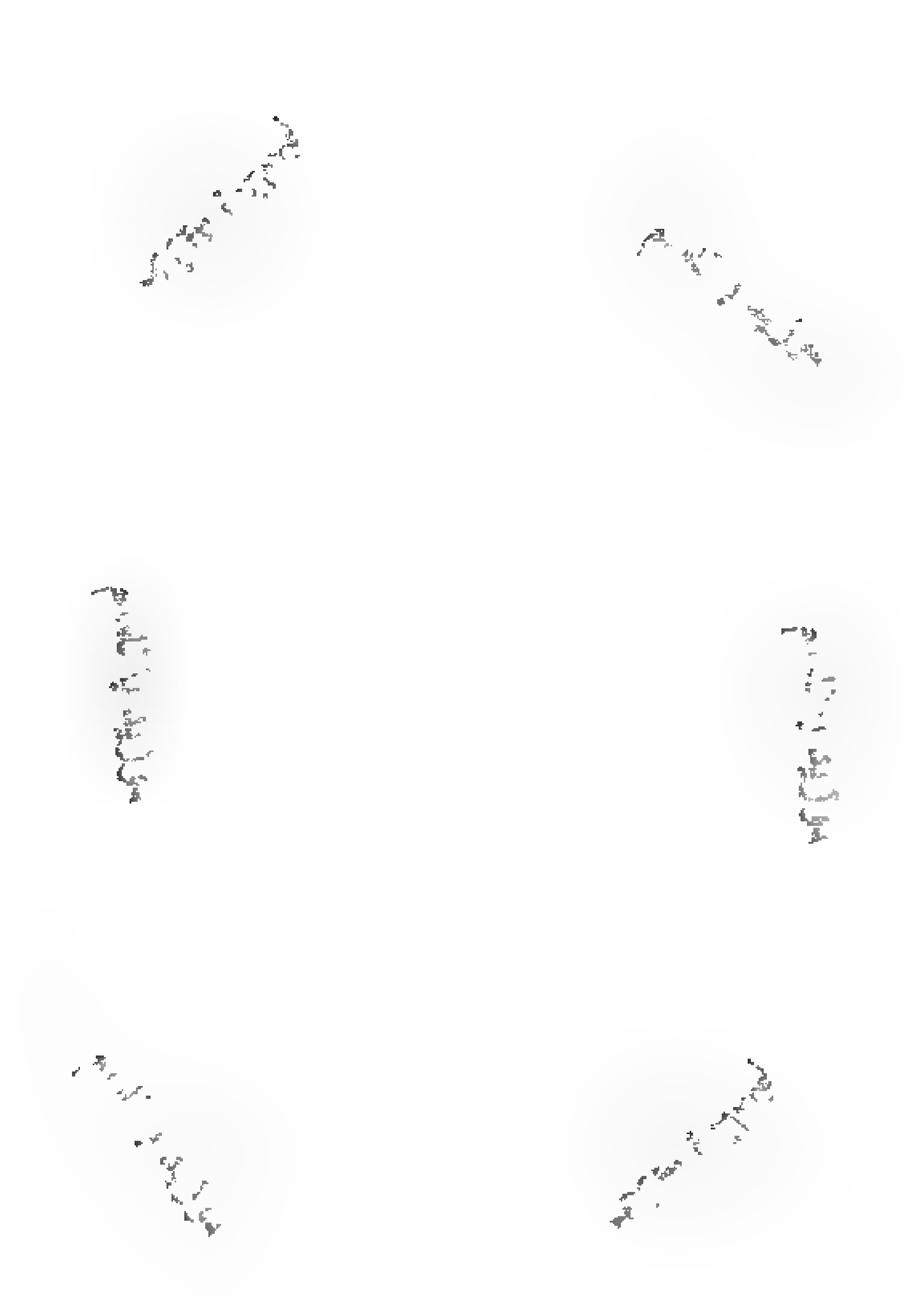
ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

٢٩/ربيع الآخر/١٤٣٦هـ

مؤيد بسلام

مناقشة
الهادي المختار ومن معه
في ذَبِّهم عن الصُّوفية

(الحلقة الثانية)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على مقال بعنوان «أتمنى أن تقرأ التاريخ لتجد بنفسك حضور أهل التصوف» بتاريخ- الجمعة ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ- للمسمى بـ: الهادي المختار نشرته جريدة المدينة في ملحقها: «الرسالة» يتضمن أقوالًا باطلة يدافع بها عن التصوف والغلاة فيه فرأيت لزامًا أن أفند تلك الأقوال وأن أبدأ بالعنوان.

فأقول وبالله التوفيق:

أولًا: أفيدك أنني لي عناية بالتاريخ من صغري وأني أعرف الصوفية وتاريخها معرفة جيدة وأعرف مخابئها ومقاتلها وعندي كتب كثيرة من مؤلفات الصوفية وكتب كثيرة في نقدها وعندي عدد من مؤلفات الطائفة التيجانية مثل:

١- جواهر المعاني في فيض أبي العباس التيجاني: تأليف علي حرازم التيجاني.

٢- الفوز والنجاة: تأليف محمد السيد التيجاني.

٣- الخلاصة الوافية الظريفة في شرح الأوراد اللازمة والوظيفة للطريقة التيجانية الشريفة

٤- أقوى الأدلة والبراهين على أن سيدي أحمد محمد التيجاني خاتم للأقطاب المحمديين بيقين.

وفي هذه الكتب من الضلال ولاسيما القول بوحدة الوجود والحلول ووحدة الأديان ومن الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ ما يخجل منه شياطين الجن والإنس ولاسيما ما يتعلق بفضائل صلاة الفاتح واعتقاد التيجانية أن هذه الطريقة تلقاها أحمد التيجاني كلها من رسول الله ﷺ يقظةً وأن رسول الله أخبره بفضل صلاة الفاتح أولًا

أن المرة الواحدة منها تعدل القرآن ست مرات، ثم أخبره ثانيًا: أن المرة الواحدة تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة، لأنه من الأذكار.

وعندهم صلاة المرة الواحدة منها بسبعين ألف ختمة. جواهر المعاني (ص١٣٥- ١٣٦).

ولهم أكاذيب أخرى حول هذه الصلاة المفتراة على رسول الله لا يتسع المقام لذكرها تعتبر أضعاف أضعاف هذه الأكاذيب ارجع إليها في المقال الأول.

ثانيًا:

١- قال الهادي المختار: «ذكر الدكتور المدخلي أنني تجاهلت الأئمة الذين اعتمد على أقوالهم في نقد الصوفية وأخشى أن يكون هذا التجاهل مما عمت به البلوى فزعم أن الدكتور، وفقه الله، تجاهل هو أيضا كثيرًا مما أوردت عن أئمة وعلماء ودعاة أنصفوا التصوف وتجاهل ما ذكرته من أعمال أهل التصوف في نشر الدعوة والإسلام في أنحاء المعمورة ويمكن للدكتور أن يراجع خريطة العالم الإسلامي ويقرأ التاريخ ليجد بنفسه حجم حضور أهل التصوف.

تجاهل الدكتور كل ذلك واقتصر المسألة برمتها بوصفها بأنها عبارات لابن تيمية وابن القيم والذهبي في بعض أفراد الصوفية، ومن رجع إلى كتب هؤلاء الأئمة وغيرهم سيجد -إن كان منصفًا وينظر بتجرد- أن المسالة ليست عبارات في آحاد بل هي تقييم موضوعي لمنهج بأكمله.

والحقيقة أن كتب العلماء مليئة بمدح الصوفية ونقدهم النقد البنَّاء المجرد عن التعصب أمَّا من تعصب ضدَّهم أو تتبع الأخطاء فسيجد ما يكتب ويقول لأنه لا أحد منهم يدَّعي العصمة». اهـ

الجواب:

الأئمة الذين احتججت بأقوالهم فيها نقد علمي يحذر الناس من أباطيل وضلالات الصوفية ويربط الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والذين تعلقت أنت بكلامهم ما بين مغموص عليه في دينه كالقرضاوي

وإبراهيم نياس زعيم التيجانية في هذا العصر وما بين مجهول لا يعرف ولعله من الصوفية وما بين من لا يُعَدُّ من العلماء.

فكلامهم لا يصلح لمعارضة كلام الإمام أحمد وأبي زرعة والذهبي وغيرهم ممن طعن في الصوفية ومنهجهم وكتبهم فليرجع المنصف إلى الكتب التي ذكرها الذهبي وابن الجوزي ليعرف صحة نقد العلماء الذين احتججت بأقوالهم وأنهم ناصحون للأمة وليعرف على الأقل خطأ من عارضت بأقوالهم أقوال هؤلاء الأئمة العالمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة الكرام ﷺ.

٢- قال: «ذكر الدكتور أن علماء المغرب قاموا بإحراق كتاب الإحياء ولئن كان كتاب الإحياء قد أحرق بسبب فتنة معروفة فذلك حصل أيضًا مع كتب ابن حزم ولسبب يختلف عن سبب إحراق الإحياء والمسألة كانت اجتهادًا ممن أقدم على ذلك لكنها لم تؤثر على انتشار الكتاب وقبوله بين المسلمين مشرقًا ومغربًا.

ولئن كان كتاب الإحياء قد أحرق فإن كثيرًا من أهل العلم لم تحترق بصائرهم فأنصفوا الغزالي، يقول الإمام الذهبي عن الغزالي: «الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان زين الدِّين أبو حامد صاحب التصانيف والذكاء المفرط».

أقول: وللذهبي في الغزالي نقد لاذع فلماذا لم تشر إليه ولم تنقل منه شيئًا وقد نقل نقده عن عدد من العلماء منهم المازري وابن العربي والقاضي عياض والطرطوشي وقاضي الجماعة محمد بن حمدين القرطبي ومما نقله عن ابن العربي قوله: «شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع» السير (١٩/ ٣٢٧).

وذكر المازري عن أحد أصحاب الغزالي أن الغزالي كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا التي ألفها ابن سينا وهي خمسون رسالة (١٩/ ٣٤١) وأنه عول في التصوف على أبي حيان التوحيدي ومعلوم زندقة ابن سيناء وأبي حيان التوحيدي، ماذا يستفيد الغزالي من العكوف على رسائل إخوان الصفا وكتابات التوحيدي ولقد ظهرت آثارها عليه في فلسفته التي بلعها وفي تصوفه الذي سيطر عليه.

٣- وقال الهادي: ويقول الإمام ابن الجوزي: «صنف الكتب الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها و تحقيق الكلام فيها».

أقول: قال الذهبي في السير (١٩/ ٣٤٢):

«قال أبو الفرج ابن الجوزي: صنف أبو حامد الإحياء وملأه بالأحاديث الباطلة ولم يعلم بطلانها وتكلم على الكشف وخرج عن قانون الفقه وقال عن المراد بالكوكب والقمر والشمس اللواتي رآهن إبراهيم أنوار هي حجب الله ﷻ ولم يرد هذه المعروفات وهذا من جنس كلام الباطنية وقد رد ابن الجوزي على أبي حامد في كتاب الإحياء وبين خطأه في مجلدات سماه كتاب الأحياء».

٤- قال الهادي: «وقد أثنى العلماء على كتاب الإحياء فنظروا إليه بموضوعية وإنصاف قال ابن السبكي: «وهو من الكتب التي ينبغي الاعتناء بها وإشاعتها ليهتدي بها كثير من الخلق».

وقال: «ولو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها أهل العلم إلا الإحياء لكفاهم»[(١)].

وقال الهادي: قال ابن كثير: «وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين وهو كتاب عجيب يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات كما يوجد في غيره من كتب الفروع».

أقول: لماذا لم تذكر ما نقله ابن كثير في هذا الموضوع نفسه من تشنيع العلماء على الغزالي وكتابه الإحياء؟!!

حيث قال ابن كثير رحمه الله: «وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعًا كثيرًا. وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين

---

(١) إن صح هذا الكلام عن السبكي فوالله ما أنصف ولا نصح، وفي الإحياء من الضلالات الصوفية والفلسفية وكثرة الأحاديث الموضوعة ما يوجب ذم هذا الكتاب والتحذير منه وانظر إلى السبكي كيف لم يشر من قريب ولا من بعيد إلى ما تضمنه كتاب الإحياء من المخاطر والمهالك لاسيما على ضعاف النفوس.

وكذلك غيره من المغاربة وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأما ديننا فإحياء علومه: كتاب الله وسنة رسولهﷺ كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات. وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين وبين زيفها في مصنف مفيد وقد كان الغزالي يقول أنا مزجي البضاعة في الحديث ويقال إنه مال آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين وقد صنف ابن الجوزي كتابًا على الإحياء وسماه علوم الأحياء بأغاليط الإحياء، قال ابن الجوزي: ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها وابتنى رباطًا واتخذ دارًا حسنة وغرس فيها بستانًا أنيقًا وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح وكانت وفاته في يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ودفن بطوس -رحمه الله تعالى- وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق فقال: أوصني، فقال: عليك بالإخلاص ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله». اهـ

وقد رأيت ما نقله ابن كثير من نقد وتشنيع لما في كتاب الإحياء من عدد من العلماء الناصحين -رحمهم الله وجزاهم الله أحسن الجزاء على نصحهم للإسلام والمسلمين-.

وأقول: فإن صحّت توبته فأسأل الله أن يتقبلها -وليس اعتراضنا واعتراض العلماء على توبته- وإنّما على كتبه وما دوّنه في كتابه «الإحياء» وغيره من الضلالات الصوفية من الحلول ووحدة الوجود والفلسفة وكذا الأحاديث الموضوعة والضعيفة.

٥- قال الهادي المختار: «وغير ذلك كثير من أقوال أهل العلم فيه مثل الحافظ العراقي ومن المعاصرين الشيخ يوسف القرضاوي... يرجع إليه في مواقعه وخصوصًا كتاب «الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة لصالح أحمد الشامي»». اهـ

أقول: تقدّم لك بطلان دعواه على العلماء ثمّ إن كان هناك من يمدح الغزالي وكتبه فإنّ القاعدة عند أئمة الحديث والفقه أنّ الجرح المفسّر مقدّمٌ على التعديل وأمّا القرضاوي فلا يحتج به إلّا مُفلسٌ من الحقّ والحجج.

والذي يعتبر الغزالي مجدد المائة الخامسة فقد ظلم نفسه ولم ينصح للإسلام ولا للمسلمين.

وأقول: جزى الله خيرًا من أحرقوا الإحياء لما فيه من الضلالات ولو لم يكن فيه إلَّا وحدة الوجود والأحاديث الموضوعة لكَفَى ذلك مُوجِبًا لإحراقه دع عنك الأباطيل الأخرى.

أما رواجه بعد ذلك فلا حجة في رواجه ولا في أقوال وأفعال مروجيه فهذا وذاك ليس فيهما دليل على أنه حق ولا أن مروجيه على الحق؛ بل هم على الباطل ويبعدون عن النصح للأمة، وأعتقد أن الله سوف يحاسبهم على ترويجهم لهذا الكتاب وفيه ما فيه.

ومن المناسب أن أذكر هنا ما يتعلق بوحدة الوجود.

قال الغزالي:

«فإن قلت: كيف يتصوَّر ألَّا يشاهد إلَّا واحدًا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة، فكيف يكون الكثير واحدًا؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات. وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب؛ فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة، نعم ذِكْر ما يكسر سورة استبعادك ممكن: وهو أن الشيء قد يكون كثيرًا بنوع مشاهدة واعتبار، ويكون واحدًا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار، وهذا كما أنَّ الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد؛ فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد، وكم من شخص يشاهد إنسانًا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه، والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع، والملتفت إلى الكثرة في تفرقة، فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواه كثير، وبعضها أشدّ كثرة من بعض، ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه

ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدًا.

ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق، فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوّة وإن لم تكن نبيًّا كان لك نصيب منه بقدر قوّة إيمانك، وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلّا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز.

وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخوّاص يدور في الأسفار فقال: فيما ذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين؛ فقال الحسين: قد أفنيت عُمُرك في عمرانِ باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟ فكأن الخوّاص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع؛ فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال» الإحياء (٤/ ٣٠٦- ٣٠٧).

فانظر كيف يقرر وحدة الوجود بهذا الأسلوب ويضرب الأمثال ليقنع الواقف على كلامه بهذه العقيدة وأكد ذلك باستشهاده بقول الحلاج الذي أفتى علماء الإسلام بقتله بعد تأكدهم من إلحاده وزندقته.

وللغزالي كتب أخرى مثل «الكتب المضنون بها على غير أهلها» سلك فيها مسلك الملاحدة في معنى الشفاعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة (ص٣٧-٣٩):

«وقد أحدث قوم من ملاحدة الفلاسفة الدهرية للشرك شيئًا آخر ذكروه في زيارة القبور كما ذكر ذلك ابن سينا ومن أخذ عنه كصاحب الكتب المضنون بها وغيرها[1]، ذكروا معنى الشفاعة على أصلهم فإنهم لا يقرون، بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ولا أنه يعلم الجزئيات ويسمع أصوات عباده ويجيب دعاءهم، فشفاعة الأنبياء والصالحين على أصلهم ليست كما يعرفه أهل الإيمان من أنها دعاء يدعو به الرجل الصالح فيستجيب الله دعاءه. كما أن ما يكون

(١) يقصد به الغزالي. انظر: (ص١٦٧).

من إنزال المطر باستسقائهم ليس سببه عندهم إجابة دعائهم، بل هم يزعمون أن المؤثر في حوادث العالم هو قوى النفس أو الحركات الفلكية أو القوى الطبيعية. فيقولون: إن الإنسان إذا أحب رجلًا صالحًا قد مات لا سيما إن زار قبره فإنه يحصل لروحه اتصال بروح ذلك الميت فيما يفيض على تلك الروح المفارقة من العقل الفعّال عندهم أو النفس الفلكية، يفيض على هذه الروح الزائرة المستشفعة من غير أن يعلم الله بشيء من ذلك- بل وقد لا تعلم الروح المستشفع بها بذلك- ومثلوا ذلك بالشمس إذا قابلها مرآة فإنه يفيض على المرآة من شعاع الشمس، ثم إذا قابل المرآة مرآة أخرى فاض عليها من تلك المرآة، وإن قابل تلك المرآة حائط أو ماء فاض عليه من شعاع تلك المرآة، فهكذا الشفاعة عندهم، وعلى هذا الوجه ينتفع الزائر عندهم. وفي هذا القول من أنواع الكفر ما لا يخفى على من تدبره، ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثانًا هو أول الشرك. ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت وقد يكون من الجن والشياطين؛ مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه، وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان؛ فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان ويكون كاذبًا في ذلك». اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة (ص١٦٨-١٧١): «فالحديث لو كان ثابتًا [1] كان معناه أنه خاطب العقل في أول أوقات خلقه وأنه خلق قبله غيره، وأنه تحصل به هذه الأمور الأربعة لا كل المصنوعات. و«العقل» في لغة المسلمين. مصدر عقل يعقل عقلًا، ويراد به القوة التي بها يُعقل. وعلوم وأعمال تحصل بذلك، لا يراد بها قط في لغة جوهر قائم بنفسه فلا يمكن أن يراد

(١) يعني حديث: «أول ما خلق الله العقل، قال له: أقبل، فأقبل. ثم قال: أدبر، فأدبر. فقال: وعزتي ما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك، فبك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب، وبك العقاب» وهو حديث باطل في إسناده ثلاثة من الكذابين.

هذا المعنى بلفظ العقل.

مع أنا قد بينا في مواضع أخر فساد ما ذكروه من جهة العقل الصريح، وأن ما ذكروه من المجردات والمفارقات ينتهي أمرهم فيه إلى إثبات النفس التي تفارق البدن بالموت، وإلى إثبات ما تجرده النفس من المعقولات القائمة بها، فهذا منتهى ما يثبتونه من الحق في هذا الباب.

والمقصود هنا: أن كثيرًا من كلام الله ورسوله يتكلم به من يسلك مسلكهم ويريد مرادهم لا مراد الله ورسوله، كما يوجد في كلام صاحب الكتب المضنون بها وغيره.

مثلما ذكره في «اللوح المحفوظ» حيث جعله النفس الفلكية، ولفظ «القلم» حيث جعله العقل الأول.

قلت -أنا ربيع-: وقريب من هذا ما قاله الغزالي في «الرسالة اللدنية» في (١/ ١١٤- ١١٥) من القصور العوالي: «الطريق الثاني وهو التعليم الرباني على وجهين:

الوجه الأول: إلقاء الوحي، وهو أن النفس إذا كملت ذاتها يزول عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص، والأمل في الفانية، وتقبل بوجهها على بارئها ومنشئها، وتتمسك بجود مبدعها، وتعتمد على إفادته، وفيض نوره. والله تعالى بحسن رعايته يقبل على تلك النفس إقبالًا كليًا، وينظر إليها نظرًا إلهيًا، ويتخذ منها لوحًا، ومن النفس الكلي قلمًا، وينقش فيها جميع علومه، ويصير العقل الكلي كالمعلم، والنفس القدسية كالمتعلم، فيحصل جميع العلوم لتلك النفس، وينتقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكر».

ويقول عن الإلهام (١/ ١١٦) في القصور: «والذي يحصل عن الإلهام يسمى علمًا لدنيًا، والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صافٍ فارغ لطيف، وذلك أن العلوم كلها حاصلة معلومة في جوهر النفس الكلية الأولى الذي هو في الجواهر المفارقة الأولية المحضة بالنسبة إلى العقل الأول كنسبة حواء إلى آدم ﷺ، وقد

بين أن العقل الكلي أشرف وأكمل وأقوى وأقرب إلى الباري تعالى من النفس الكلية، والنفس الكلية أعز وألطف وأشرف من سائر المخلوقات، فمن إفاضة العقل الكلي يتولد الإلهام، ومن إشراق النفس الكلية يتولد الإلهام، فالوحي حلية الأنبياء، والإلهام زينة الأولياء».

إلى أن يقول في (ص١١٧): «وفرق بين الرسالة والنبوة؛ فالنبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الأول».

والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين والقابلين.

إلى أن يقول: فإذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا، رفع الحجاب بين نفسه وبين النفس التي هي اللوح، فيظهر فيها أسرار بعض المكنونات وانتقش فيها معاني تلك المكنونات، فتعبر النفس عنها كما تشاء لمن يشاء من عباده».

ولفظ «الملكوت» و«الجبروت» و«الملك» حيث جعل ذلك عبارة عن النفس والعقل، ولفظ «الشفاعة» حيث جعل ذلك فيضًا يفيض من الشفيع على المستشفع وإن كان الشفيع قد لا يدري، وسلك في هذه الأمور ونحوها مسالك ابن سينا كما قد بسط في موضع آخر».

قال الغزالي في المضنون به (٢/ ١٥١): «وأما شفاعة الأنبياء والأولياء، فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الإلهية على جوهر النبوة، وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة؛ لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر بالصلاة عليه ﷺ، ومثاله نور الشمس إذا وقع على الماء، فإنه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط، لا إلى جميع المواضع، وإنما اختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين الماء في الموضع، وتلك المناسبة مسلوبة على سائر أجزاء الحائط، وذلك الموضع هو الذي إذا خرج منه خط إلى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية إلى الأرض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء إلى قرص الشمس، بحيث لا يكون أوسع منه ولا أضيق. مثال ذلك لائح، وهذا لا يمكن إلا في موضع مخصوص من الجدار، فكما أن المناسبات الوضعية تقتضي الاختصاص بانعكاس النور، فالمناسبات المعنوية

العقلية أيضًا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية، ومن استولى عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الإلهية، فأشرق عليه النور من غير واسطة، ومن استولت عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة أتباعه، ولم ترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته إلّا مع الواسطة فافتقر إلى واسطة في اقتباس النار، كما يفتقر الحائط الذي ليس مكشوفًا للشمس إلى واسطة الماء المكشوف للشمس، إلى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا، فالوزير الممكن في قلب الملك المخصوص بالعناية قد يغضي الملك عن هفوات أصحاب الوزير يعفو عنهم لا لمناسبة بين الملك وأصحاب الوزير، لكن لأنهم يناسبون الوزير المناسب للملك، ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بأنفسهم، ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم العناية أصلًا؛ لأن الملك لا يعرف أصحاب الوزير واختصاصهم به إلّا بتعريف الوزير وإظهاره الرغبة في العفو عنهم...».

برّأ الله الإسلام من هذا الضّلال الذي دونه ضلال الجاهلية.

ومثل القصور العوالي، يقول في معراج السالكين من القصور العوالي (٣/ ١٥٩): «وقد أخبر الشارع ﷺ أن الخير من الملائكة، والشر من الشيطان، فلابد من أثر يحصل على الملائكة، ولما كانت النفس روحانية قبلت عن الروحاني، وتأثرت عنه، فلولا العقول المعبر عنها بالملائكة الممدة للنفوس من خارج لما عقلت معقولًا ألبتة».

وأما تعلقك بعبارات قالها الذهبي وإغفالك لنقده للغزالي وكذلك إغفالك لنقد العلماء الذين انتقدوه بحق ونقله عنهم الذهبي[1] فهذه أمور غريبة بعيدة عن النصح للإسلام والمسلمين وفيها تغرير بالجهال والمغفلين.

ثالثًا: قال: «ابتلاءات بعض أئمة التصوف:

أورد الدكتور المدخلي نماذج من أئمة التصوف ذكر منهم أبا يزيد البسطامي وذا النون المصري والجنيد والحكيم الترمذي وذكر أنهم تعرضوا للنفي أو غيره

(١) انظر: (ص١٠) من هذا البحث.

وعزا ذلك إلى الشعراني في طبقاته.

والمآخذ عندي على هذا الكلام من وجهين:

الأول: أخشى أن يكون الدكتور قد جانب اتباع الأمانة العلمية لأنه نقل كلامًا عن الشعراني كان قصده منه أن يظهر أن أهل التصوف كانوا دائمًا يتعرضون للابتلاء وساق كلامه لمدحهم فوظف الدكتور الكلام الذي جاء لمدح الصوفية ليذمهم به وهذا لا يستقيم ولا ينهض والدكتور يعرف معنى البحث العلمي وبهذا يكون الدكتور قد خدمهم بغير قصد.

الوجه الآخر: أن الدكتور استخدم هذا الكلام لحاجة في نفس يعقوب وأضاف- من عنده- أن علماء الإسلام هم الذين عملوا هذا لأئمة التصرف لكن كلام الأئمة والعلماء في هؤلاء الأئمة لا يسند موقف الدكتور ربيع.

وتعريض الدكتور بفتنة بعض مشايخ التصوف يجعلنا نتساءل: كيف سيكون موقف الدكتور مما حصل لسيدنا الحسين بن علي ﷺ ومن بعده الأئمة مالك وأحمد والبخاري والقاضي عياض والعز بن عبد السلام -سلطان العلماء- بل وابن تيمية وغيرهم فهل الابتلاء ذم أم اختبار يرفع الله به درجات العلماء والصالحين؟ بغض النظر عن تفاصيل كل حالة.

أقول:

١- وقولك: «ابتلاءات الصوفية» هل تريد بهذا أنها من جنس ابتلاءات الأنبياء والمصلحين فكلا بل إنها من جنس مطاردة ونفي أهل الضلال لأن الذين فعلوا بهم هذا من علماء أهل السنة وليسوا بمشركين ولا مبتدعين حتى يعاملوهم هذه المعاملة من أجل دينهم وتمسكهم بالكتاب والسنة وإنما من أجل الضلال والزندقة التي أخذت من كلامهم.

٢- وأما قولك: «أخشى أن يكون قد جانب الأمانة العلمية لأنه نقل كلامًا عن الشعراني كان قصده منه أن الصوفية كانوا دائمًا يتعرضون للابتلاء وساق كلامه لمدحهم فوظف الدكتور الكلام الذي جاء لمدح الصوفية ليذمهم به وهذا لا يستقيم ولا ينهض والدكتور يعرف معنى البحث العلمي وبهذا يكون قد خدمهم بغير قصد».

قوله: «والمآخذ عندي على وجهين . . . » إلخ

أقول: إني قلت في مناقشة الهادي المختار:

أولًا: ما ذكره الشعراني في كتاب الطبقات (١/ ١٣-١٤)، حيث ذكر:

١- أنهم نفوا أبا يزيد البسطامي من بلده سبع مرات.

٢- وذكر أنه وقع لذي النون المصري مثل ذلك، ويزعم الشعراني أنه وشوا به إلى بعض الحكام وحملوه من مصر إلى بغداد مغلولًا مقيدًا، ويؤخذ من كلامه أنهم كانوا يعتقدون فيه أنه زنديق، والذين عاملوه هذه المعاملة هم علماء الأمة وفقهاؤها وإن طعن فيهم الشعراني.

٣- ذكر أنهم قتلوا الحسين الحلاج وقطعوا يديه ورجليه.

وهو معروف بأنه زنديق يقول بالحلول ووحدة الوجود ومعروف بالسحر والشعوذة واتفقت عليه كلمة العلماء.

٤- قال: وشهدوا على الجنيد أنه كان يقرِّر علم التوحيد، ثم إنه تستر بالفقه واختفى.

٥- وذكر أنهم أخرجوا الحكيم الترمذي إلى بلخ حين صنَّف كتاب علل الشريعة وكتاب ختم الأولياء فأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين، وقالوا: فضلت الأولياء على الأنبياء، وأغلظوا عليه فجمع كتبه كلها وألقاها في البحر فابتلعتها سمكة ثم لفظتها بعد سنين. هكذا يقول الشعراني) !

ويلاحظ القاري أنّني قلت:

١- ويزعم الشعراني أنه وشوا به إلى بعض الحكام (أي بذي النون). وأريد أنْ أبيّن بقولي: «يزعم» أن هذا القول: من الكذب، لأن زعم مطية الكذب كما يقال.

٢- إنني قلت: والذين عاملوه هذه المعاملة هم علماء الأمة وفقهاؤها وإن طعن فيهم الشعراني، فالشعراني يطعن في العلماء والفقهاء من أجل صوفية الضلال، فأين هي مجانبتي لاتباع الأمانة العلمية؟ وأين هو توظيفي لكلام الشعراني الذي ساقه لمدح الصوفية فأوهمت الناس أن الشعراني ساق كلامه لذم

الصوفية وقد طعنت فيه طعنتين، وقلت: «هكذا يقول الشعراني» ؛لفتًا للنظر إلى تحريف الشعراني في قوله عن الحكيم الترمذي: «فجمع كتبه كلها وألقاها في البحر فابتلعتها سمكة ثم لفظتها بعد سنين» كما ترى، لماذا؟ لأنه ساق قصص قتلهم ونفيهم للتباكي عليهم لأنه كما أعرف أنا ويعرف غيري أنه من غلاة الصوفية الخرافية، فمن هو الخائن والمخون بالباطل والتجني؟!

٣- **وقوله**: «والوجه الآخر: أن الدكتور استخدم هذا الكلام لحاجة في نفس يعقوب. . . .» إلخ.

أقول: أرجو أن يكون قصدي الحق ونصرة الإسلام ولي الشرف أن يشبه قصدي بقصد يعقوب نبي الله ﷺ إن كان الهادي المختار يريد هذا وإلا فيكون قد أساء إلى نبي الله يعقوب ﷺ من حيث لا يدري!

٤- **وقوله**: «وأضاف من عنده أن علماء الإسلام هم الذين عملوا هذا لأئمة التصوف، لكن كلام الأئمة والعلماء في هؤلاء الأئمة لا يُسند موقف الدكتور ربيع.

أقول: إن قوله: «وأضاف من عنده أن علماء الإسلام» هذا من نسج خيال المختار الصوفي وهاك ما يسند قولي والحمد لله:

قال الإمام ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس (ص١٥٤): «اتفق علماء العصر في إباحة دم الحلاج فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضي ووافقه العلماء».

أقول: والحلاج من المعظمين عند الصوفية ومنهم الغزالي والشعراني وقبلهم من ذكرهم ابن الجوزي.

قال ابن الجوزي: «أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري فأنكر عليه ذلك عبد الله ابن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة» تلبيس

إبليس (ص١٥٠).

وقال الشعراني: «وتعصب مرة فقهاء إخميم على ذي النون المصري ونزلوا في زورق ليمضوا إلى السلطان بمصر ليشهدوا عليه بالكفر فأعلموه بذلك فقال اللّهم إن كانوا كاذبين فغرقهم فانقلب الزورق والناس ينظرون فغرقوا حتى رئيس المركب» طبقات الشعراني (ص١٣).

أقول: أما أن الفقهاء قد طعنوا في ذي النون وأرادوا الشهادة عليه فنعم وأما أنهم كذبوا عليه فحاشاهم ويشهد لصدقهم ونصحهم موقف الإمام ابن عبد الحكم والعلماء الآخرين من ذي النون وأما دعوى أن ذا النون دعا عليهم فغرقوا فهذا من أساطير الصوفية التي أضافوها إلى القصة.

ولا أريد أن أستقصي كلام العلماء ومواقفهم وفيما نقلته ما يبطل قول الهادي المختار إن كلام العلماء لا يسند الشيخ ربيعًا، وقوله إني أضفت ذلك من عندي وأقول إن التقول والمجازفات والتعلق بالباطل إنما هو من أساليب الصوفية وغيرهم من أهل الضلال.

وفي مقال لي سابق بينت شيئًا من تقولات الصوفية على رسول اللّه ﷺ ولاسيما التيجاني وطائفته ومع الأسف لم ينشر هذا البيان في ملحق جريدة المدينة المسمى بالرسالة بل حذف من مقالي الذي ضمنته هذا البيان ولا أدري لماذا هذا التصرف الغريب وهناك مؤلفات عديدة في كشف حال الصوفية التي تتقول على اللّه ورسوله ودينه.

وقوله: «وتعريض الدكتور بفتنة بعض مشايخ التصوف يجعلنا نتساءل كيف سيكون موقف الدكتور مما حصل لسيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه ومن بعده من الأئمة مالك وأحمد والقاضي عياض والعز بن عبد السلام -سلطان العلماء- بل وابن تيمية وغيرهم، فهل الابتلاء ذم أم اختبار يرفع اللّه به درجات العلماء والصالحين؟ بغض النظر عن تفاصيل كل حالة».

أقول: إن موقفي مما حصل للحسين سبط رسول اللّه ﷺ وريحانته هو موقف أئمة السنة من احترامه وحبه وأن الذي جنى عليه هم الشيعة حيث استخرجوه ثم

خذلوه فأسلموه للفساق حتى قتلوه بل لعلَّ الشيعة شاركوا في قتله وأما الأئمة مالك ومن ذكر على تفاوتهم فما لقوه فهو من الابتلاء الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل» كل بحسب حاله.

وأما ما لحق بزعماء التصوف الذين تباكى عليهم الشعراني وتبعه الصوفية ومنهم الهادي المختار فليس هو من هذا الباب بل هو من باب آخر وقياس زعماء الصوفية على مالك وأحمد وابن تيمية وأمثالهم قياس فاسد قائم على التمويه.

فهل يقاس الحلاج الحلولي الذي أجمع العلماء على قتله لزندقته على مالك وأحمد وأمثالهما؟!

وهل يقاس ذو النون الذي أدانه علماء السنة وفقهاؤهم بالضلال الكبير على هؤلاء الأئمة أعلام السنة وهداتها؟!

وهل يقاس عليهم أبو يزيد وحاله لا يقل عن حال ذي النون بل أشد؟!

قال الذهبي رحمه الله: «وقد نقلوا عن أبي يزيد أشياء الشأن في صحتها عنه منها: سبحاني، وما في الجبة إلَّا الله، ما النار لأستندن إليها غدًا، وأقول اجعلني لأهلها فداء أو لأبلغنها [1]، ما الجنة؟ لعبة صبيان، هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم؟!

ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول: قال هذا في حال سكره.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: أنكر عليه أهل بسطام ونقلوا إلى الحسين بن عيسى البسطامي أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي معراج فأخرجه من بسطام فحج ورجع إلى جرجان فلما مات الحسين رجع إلى بسطام، قال الذهبي: قلت كان الحسين من أئمة الحديث وأبو يزيد من أهل (الفرق)[2] فمسلم حاله له[3] والله يتولى السرائر ونتبرأ إلى الله من كل من تعمد مخالفة الكتاب والسنة مات أبو يزيد

---

(١) هكذا وفي السير «لأبلعنها» بالعين المهملة.

(٢) قال في الهامش «اليس في خ».

(٣) علق المحقق في الهامش بقوله أخطأ الذهبي في قوله: «يسلم له حاله» ما يسلم حاله إلا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أقول: الصواب مع هذا المحقق إذ ليس لنا إلا الظاهر والله يتولى السرائر.

سنة إحدى وستين ومائتين» الميزان (٢/ ٣٤٦-٣٤٧).

وينظر بقية كلام أبي يزيد في ردي الثاني على الدكتور عبد العزيز القاري.

رابعًا: قال الهادي المختار: «بعض أقوال أهل العلم في مسألة الاتحاد:

يقول السيوطي: والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول وهو كفر ويطلق على مقام الفناء[1] اصطلاحًا- اصطلح عليه الصوفية- ولا مشاحة في الاصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح لا محذور فيه شرعًا ولو كان ذلك ممنوعًا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول: بيني وبين صاحبي زيد اتحاد، وكم استعمل المحدثون والفقهاء والنحاة وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثية وفقهية.

وحيث وقع الاتحاد من محققي الصوفية إنما يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذلك المعنى المذموم الذي يقشعر له الجلد، وقد أشار إلى ذلك سيدي علي بن وفاء فقال في قصيدة له:

يظنوا بي حلولًا واتحادا ... وقلبي من سوى التوحيد خالي

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول.

حياة الإمام جلال الدين السيوطي لمحمود شبي (ص٥٠٩).

قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في كتاب معيد النعم ومبيد النقم:

«فاللَّهَ اللَّهَ في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم لم يعنوا بها ظواهرها وإنما عنوا بها أمورًا صحيحة.

ويقول في مواقع أخرى: فالواجب تسليم أحوال القوم وإنا لا نأخذ أحدًا إلَّا بجريمة ظاهرة ومتى أمكننا تأويل كلامه وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك لاسيما من عرفناه من أهل الخير ولزوم الطريقة ثم برزت لفظة عن غلطة أو

---

(١) هل لفظ الفناء بهذا المعنى الصوفي الذي ذكره التفتازاني والسيوطي ورد في القرآن والسنة؟

وهل إطلاق لفظ الاتحاد عليه إطلاق واصطلاح صحيح يشبه استعمال المحدثين والفقهاء بهذا اللفظ في معانٍ لا محذور فيها؟! فهذه من مغالطات الصوفية

سقطة إنها لا تهدم ما مضى». اجتماع الأولياء (ص٢٤٦).

وقال اليافعي في كتاب الإسناد: «ما نقل ونسب إلى المشايخ ﷺ مما يخالف العلم الظاهر فله مجال:

الأول: ألّا نسلم نسبته إليهم حتى يصح عنهم.

والثاني: بعد الصحة يلتمس له تأويل عند أهل العلم.

الثالث: صدور ذلك عنهم في حال السكر والغيبة والسكر إن كان مباحًا غير مؤاخذ لأنه غير مكلف في ذلك الوقت فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق».

أقول:

إن السيوطي كَلَّلَهُ مضطرب متناقض في مواقفه من أهل وحدة الوجود فهو يدين طائفة منها بالحلول ووحدة الوجود ويتأول وينقل التأويلات لطائفة أخرى لا تقل عنها في الضلال والوقوع في وحدة الوجود، وما مرجع ذلك إلّا إلى ما وقع فيه هو من التصوف فقد خُدِع بالطريقة الشاذلية فأحسن بها الظن ومدحها ومدح أهلها.

وهو يؤمن بخرافات الصوفية في الأبدال والأقطاب والأوتاد والنجباء وتصرفاتهم وأحوالهم وينقل في ذلك حكايات لا يقرها شرع ولا عقل. انظر الحاوي للفتاوي (ص٤٤١- ٤٤٧).

فتراه تارة ينقل عن بعض العلماء إدانة بعض الصوفية بالحلول ووحدة الوجود فيقول (٢/ ص ٢٤٤). «وقال صاحب كتاب «منهج الرشاد» في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد»:

حدثني الشيخ كمال الدين المراغي عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال له مرة: الكفار إنما انتشروا في بلادكم لانتشار الفلسفة هناك، وقلة اعتنائهم بالشريعة والكتاب والسنة، قال: فقلت له: في بلادكم ما هو شر من هذا، وهو قول الاتحادية، فقال: هذا لا يقوله عاقل؛ فإن قول هؤلاء كل أحدٍ يعرف فساده».

فترى أن العلامة ابن دقيق العيد لم يفرق بين أهل وحدة الوجود فلم يقل هؤلاء

أهل وحدة الوجود وهؤلاء أهل فناء في ذات الله.. إلخ كما يقول التفتازاني والسيوطي، تعالى الله عما يقول الصوفية علوًا كبيرًا.

ثم قال السيوطي في (ص٢٤٥/ ٢٤٦):

«قال صاحب منهج الرشاد: «وما زال عباد الله الصالحون من أهل العلم والإيمان ينكرون حال هؤلاء الاتحادية، وإن كان بعض الناس قد يكون أعلم وأقدر وأحكم من بعض في ذلك».

وأقول: وإذن فما زال عباد الله الصالحون ينكرون حال أهل الاتحاد.

ثم قال: وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: وأما المنتمون إلى الإسلام فمنهم بعض غلاة الشيعة القائلون بأنه لا يمتنع ظهور الروحاني في الجسماني كجبريل في صورة دِحية الكلبي، وكبعض الجن أو الشياطين في صورة الأناسي، قالوا: فلا يبعد أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين، وأولى الناس بذلك عليّ وأولاده، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال: ومنهم بعض المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمعن في السلوك، وخاض معظم لجة الوصول، فربما يحل الله فيه- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا-كالنار في الجمر بحيث لا تمايز، أو يتحد به بحيث لا اثنينية ولا تغاير، وصح أن يقول «هو أنا، وأنا هو».

قال: وفساد الرأيين غني عن البيان.

قال: وهاهنا مذهبان آخران يوهمان الحلول أو الاتحاد، وليسا منه في شيء؛ الأول: أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاتُهُ في ذاتِهِ تعالى وصفاتُهُ في صفاته، وتغيب عن كل ما سواه، ولا يرى في الوجود إلّا الله تعالى وهذا هو الذي يسمونه الفناء في التوحيد، وحينئذٍ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال، وبعد الكشف عنها بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان، والله الموفق.

ثم ذكر في المذهب الثاني- وهو القول بالوحدة المطلقة- وقال: إنه غير الحلول والاتحاد وإنه أيضًا خارج عن طريق العقل والشرع، وإنه باطل وضلال. وقد سقت بقية كلامه فيه في الكتاب الذي ألفته في ذم القول بالوحدة المطلقة فإنه به أجدر، وذكر السيد الجرجاني في شرح المواقف نحو ذلك، وقد سقت أيضًا عبارته في الكتاب المشار إليه».

أقول: والمذهب الأول باطل وضلال أيضًا.

فهل تجد في كتاب الله وفي سنة رسوله وفي كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي كلام أئمة الهدى أن البشر ولو كانوا أنبياء تضمحل ذواتهم في ذات الله وصفاتهم في صفاته ويغيبون عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلَّا الله هذه هي وحدة الوجود والحلول والاتحاد التي لم يأت بها إلَّا ملاحدة الباطنية الصوفية، وليس لنا إلَّا الظاهر، فإذا أطلق صوفي عبارات الحلول ووحدة الوجود مع الله وجب علينا أن ندينه بهذا المذهب ولا يجوز أن نتأول هذا التأويل الباطل الذي نقله السيوطي عن التفتازاني، وهل يجوز للتفتازاني أن يقول: أن الصوفي تضمحل ذاته في ذات الله وصفاته في صفات الله؟ فهل هناك اتحاد أشد منه؟ تعالى الله وتنزه وتقدس عما يقوله غلاة الصوفية علوًّا كبيرًا.

وأرى أن هذه الصورة التي يمدحها أسوأ من الصورة التي أنكرها وأبطلها لأن الأولى يدعي فيها الرافضي والصوفي أن الله حلَّ فيه.

وهذه الصورة تفيد أن الصوفي والرافضي والباطني قد اضمحل وذاب في ذات الله وصفاته وليس لذلك معنى إلَّا أقوى صور الاتحاد، وما معنى لا يرى في الوجود إلَّا الله؟ أليس هذا هو قول أهل وحدة الوجود؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والحاصل: أن من دخل في التصوف وخصوصًا تصوف المتأخرين يأتي بمثل هذه العجائب والغرائب من التناقضات والتأويلات، فلا يجوز أن يحتج بتأويلاته الفاسدة ومداهناته الباطلة التي تفرق بين المتماثلات.

وقد رفض مثل هذه التأويلات السخيفة فحول العلماء الناصحين وأجمعوا أنه

لا يتأول إلّا كلام المعصوم، وأدانوا من سلك طريقة الحلاج وابن عربي أمثالهما بالزندقة ودحضوا أباطيلهم وضلالاتهم بالشرع المحمدي والعقل الفطري.

أين ذهب السيوطي عن شيخه الحافظ ابن حجر وتلاميذه مثل البقاعي الذي ألف «تنبيه الغبي» وجمع أقوال كبار العلماء في إدانة أهل وحدة الوجود وحكى ما يشبه إجماع العلماء على أن التأويل لا يكون إلّا لنصوص المعصوم، وأن الأصل هو الأخذ بالظاهر من كلام الناس، واستشهد بقول عمر بن الخطاب ﷺ: «إن الناس كانوا يؤخذون بالوحي... الأثر، وسيأتي.

والتفريق بين الحقيقة والشريعة طريق الباطنية، فلا يجوز للمسلم أن يسلك مسالك الباطنية في هذا التفريق، فإذا لجأنا إلى تأويل كلام بعض غلاة الصوفية بمثل تأويل التفتازاني قال الآخرون لماذا تفرقون بيننا وبين إخواننا وظاهر كلام الجميع واحد والحال واحد وكلنا صوفية ولم تطلعوا على ما في قلوبنا ولا على ما في قلوبهم.

بل يفتح الباب للباطنية الإسماعيلية وغيرها من فرق الإلحاد.

والله أمرنا أن نكون قوامين بالقسط، ولا يقوم القسط إلّا على ما يظهر للناس والبواطن توكّل إلى الله، وحساب الناس وما يكنونه إلى الله.

قال الهادي المختار: «قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في كتاب معيد النعم ومبيد النقم: «فالله الله في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم لم يعنوا بها ظواهرها وإنما عنوا بها أمورًا صحيحة».

ويقول في مواقع أخرى: «فالواجب تسليم أحوال القوم وإنا لا نأخذ أحدًا إلّا بجريمة ظاهرة ومتى أمكننا تأويل كلامه وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك لاسيما من عرفناه من أهل الخير ولزوم الطريقة ثم برزت لفظة عن غلطة أو سقطة إنها لا تهدم ما مضى» (اجتماع الأولياء ص ٢٤٦).

وقال اليافعي في كتاب «الإسناد»: «ما نقل ونسب إلى المشايخ ﷺ مما يخالف العلم الظاهر فله مجال:

الأول: ألّا نسلم نسبته إليهم حتى يصح عنهم.

والثاني: بعد الصحة يلتمس له تأويل عند أهل العلم.

الثالث: صدور ذلك عنهم في حال السكر والغيبة والسكر إن كان مباحًا غير مؤاخذ لأنه غير مكلف في ذلك الوقت فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق»!

أقول: إنَّ تاج الدِّين السبكي:

١- أشعري غالٍ في تعطيل الصفات.

٢- صوفي غالٍ، يؤمن بخرافات الصوفية وإن شئت فانظر الجزء الثامن من كتابه «الطبقات» (ص٤٠٣-٤١٨) لتعرف غلوه في التصوف والخرافات.

٣- فيه شدة زائدة على أهل السنة ولين زائد تجاه غلاة الصوفية كما رأيت بما فيهم أهل الحلول وحدة الوجود.

قال في (طبقات الشافعية الكبرى٥/ ١٩١): «أقول: للأشاعرة قولان مشهوران في إثبات الصفات هل تمر على ظاهرها مع اعتقاد التنزيه أو تؤول.

والقول بالإمرار مع اعتقاد التنزيه هو المعزو إلى السلف وهو اختيار الإمام في الرسالة النظامية وفي مواضع من كلامه فرجوعه معناه الرجوع عن التأويل إلى التفويض ولا إنكار في هذا ولا في مقابله فإنها مسألة اجتهادية -أعني: مسألة التأويل أو التفويض مع اعتقاد التنزيه- إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء الإمرار على الظاهر والاعتقاد أنه المراد وأنه لا يستحيل على الباري فذلك قول المجسمة عباد الوثن الذين في قلوبهم زيغ يحملهم الزيغ على إتباع المتشابه ابتغاء الفتنة عليهم لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى ما أجرأهم على الكذب وأقل فهمهم للحقائق». اهـ!!

أقول:

١- من قال: إن مذهب السلف هو التأويل أو التفويض؟!.

٢- إن مذهب السلف الصالح هو الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وهو الإيمان بصفات الله وإثباتها له على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل.

٣- وهذا المذهب تجده مقررًا في كتب السنة الصحاح والسنن وفي كتب التفسير وفي كتب العقائد التي دونت لإثبات عقيدة السلف وللرد على المعطلة الجهمية وعلى المشبهة من قبل أن يأتي مذهب الأشاعرة.

٤- لقد قرر العلماء أنه لا اجتهاد مع النص، ونصوص الصفات الصريحة في إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه في الكتاب والسنة تجاوزت العشرات ودان به السلف الصالح وردوا تحريف المعطلة وغلو المشبهة بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة وكذلك قرروا وجوب الإيمان بسائر صفاته على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

٥- أنصح المغرورين بمذهب الأشاعرة أن يقرءوا كتاب «الإبانة» وكتاب «مقالات الإسلاميين» وغيرهما من الكتب التي رجع فيها أبو الحسن إلى مذهب السلف ورد فيها على الجهمية المعطلة وغيرها. وأنصحهم بالرجوع إلى كتاب التوحيد من صحيح البخاري، وخلق أفعال العباد للبخاري، وإلى كتاب السنة من سنن أبي داود، ومقدمة ابن ماجه لكتابه السنن، وإلى مؤلفات أئمة السنة في بيان عقائد السلف بأدلتها.

وليرجع القاري إلى ما نقله الترمذي عن أئمة السلف:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه (رقم ٦٦٢) مُعلقًا على حديث: «إنَّ الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مُهره حتى أن اللقمة لتصير مثل أُحُد» هذا حديث حسن صحيح.

قال الترمذي: «وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف. هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أَمِرُّوها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأوَّلت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها على

غير ما فسَّر أهل العلم وقالوا: إنَّ اللَّه لم يخلق آدم بيده وقالوا إنَّ معنى اليد ها هنا القوة. وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: (يد كيد) أو: (مثل يد) أو (سمع كسمع) أو مثل سمع فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه. وأما إذا قال كما قال اللَّه تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهًا وهو كما قال اللَّه تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾». اهـ

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٠٨) عن الأوزاعي أنه قال:

«كنا والتابعون متوافرون نقول: إن اللَّه تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته -جل وعلا-».

وأثر مالك في ذلك مشهور لما سأله سائل عن الاستواء، فقد أخرج البيهقي في الصفحة نفسها من الكتاب نفسه قول مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلَّا مبتدعا فأمر به أن يُخرج».

أقول: وقد أخذ الأشعرية بنصيب من مذهب الجهمية فأوَّلوا الاستواء والنزول واليد وسائر الصفات الخبرية ويزعمون -كما تزعم الجهمية- أنَّ إثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه ويدَّعون مع ذلك أنَّهم على مذهب السلف!!

٦- وقول السبكي: «فالواجب تسليم أحوال القوم وإنا لا نأخذ أحدًا إلَّا بجريمة ظاهرة ومتى أمكننا تأويل كلامه وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك لاسيما من عرفناه من أهل الخير ولزوم الطريقة ثم برزت لفظة عن غلطة أو سقطة إنها لا تهدم ما مضى».

أ- وأي جريمة أشد من التفوه بالحلول ووحدة الوجود؟!!

ب- الغلطة والسقطة تغتفر للمسلم إذا كانت عن غير قصد وتعمد أما أن يتفوه الصوفي بالحلول ووحدة الوجود فلا يقال فيها غلطة أو سقطة بل نقول: إن هذه عقيدة توارثها غلاة الصوفية جيلًا عن جيل من قبل عهد الحلاج ومن عهده إلى يومنا هذا، وأنكرها وشدد النكير على الصوفية علماء الإسلام منذ بدرت بوادر التصوف

إلى يومنا هذا فمن تأول لهم لا يقبل تأويله لأنه يخالف النصوص النبوية وأقوال وتطبيقات الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام.

٧- كيف يوجب السبكي على المسلمين التسليم بما ظاهره كفر وإلحاد؟!

بأي كتاب أو بأي سنة؟

كان أصحاب محمد ﷺ يَأخذُون ويُؤخَذُون بظاهر أقوالهم وأعمالهم؟ وكذلك التابعون وتابعوهم بإحسان.

فمن حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**» رواه البخاري (٤/ ١٥٨١).

وعن أم سلمة ﷺ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له به قطعة من النار فلا يأخذها**» رواه البخاري (٢/ ٩٥٢) ومسلم (٣/ ١٣٣٧) واللفظ له.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «إنَّ أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول اللَّه ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء اللَّه يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة» رواه البخاري (٢/ ٩٣٤).

كيف تطبق هذه الأحكام على هذه الأمة كلها وعلى رأسهم الصحابة والتابعون ثم تسقط أحكام الشريعة المحمدية عن الصوفية؟! لا يقبل هذا إلَّا أن يكون الصوفية مجانين أو أطفالًا.

٧- يتعجب المسلم من دفاع السبكي عن أهل عقيدة الحلول ووحدة الوجود والتأدب معهم والدعوة إلى تأويل ضلالاتهم مع حملته الشعواء على أهل السنة والتوحيد والحديث وأئمتهم ووصفهم ظلمًا بأنهم من أهل الزيغ ومجسمة عباد وثن، وقوله: عليهم لعائن اللَّه تترى واحدة بعد أخرى، وما أدري هل يُدرك السبكي أن الصحابة والتابعين داخلون في هذا الطعن واللعن.

وإذا كان هذا حاله فكيف نقبل دفاعه عن الصوفية وتأويلاته لضلالهم؟

والظاهر أنه لا يستثني منهم أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض.

وهل يجوز للمسلم أن يقبل طعنه في أهل الحديث والسنَّة ولعنهم؟!!

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

وأما اليافعي فهو صوفي غالٍ وعلى عقيدة ومنهج السبكي، بل قد يكون أسوأ حالًا منه فهو يعظم ابن عربي إمام وحدة الوجود ويبالغ في ذلك، انظر الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٤) والبدر الطالع للشوكاني (١/ ٣٧٢) ويعظم الحلاج وغيره من غلاة التصوف، وله منظومة يتوسل فيها بالأنبياء والأولياء وبالطور والتين والزيتون وبالضحى والتراويح وبالصفا والمروة وبأشياء أخر وفي هذه المنظومة يقول:

بحق سهل بسهل بابن خضرويه ... بابن الخفيف بممشاد مع هرم

بحق ذي النون بالدقاق إن لهم ... في الأولياء شيمة تعلو على الشيم

بابن أسباط بل شاه وشيمته ... وبالرفاعي والحلاج نجممهم

إلى أن يقول آمرًا بالاستغاثة بغير الله:

واهتف بيوسف مهما كنت منتظرًا ... فنعم غوث لملهوف ومهتضم

ويقول قبلها:

بحق قطب وأبدال هم أملي وهم ... لدى الخطب بعد الله معتصمي

ويقول في هذه المنظومة:

وفي ظفار رجال يستغاث بهم ... ويستعان بهم بالدفع في النقم

بحق شيخي وأشياخ له فهم غوثي ... وعوني ومقصودي ومعتصمي

انظر: مرآة الجنان، تأليفه (٤/ ٣٦٤-٣٦٦).

فيلحق تأويله بتأويل السبكي.

وإني أنصح الهادي المختار وأمثاله أن يتركوا التعلق بالتصوف وأباطيله والتعلق بخيوط العنكبوت وأنصحهم بالتوبة إلى الله والاعتصام بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح في عقيدتهم ومنهجهم وهديهم وسائر شئونهم فإن ذلك هو

طريق النجاة والسعادة، وما خالفه من طرق الضلال والهلاك.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ومن شر السبل الطرق الصوفية لاسيما الطرق المعاصرة كالتيجانية والمرغانية والنقشبندية والسهروردية والقادرية والرفاعية والجشتية.

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه وللإسلام والمسلمين من هذه الطرق وليحذر منها.

خامسًا: قال الهادي المختار: «إشكال ظاهر بعض النصوص:

أما إذا رجعنا إلى ظاهر بعض النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة فقد نجد نحن معشر العوام صعوبة في مدلولاتها فلعل الدكتور يساعدنا في فهمها، من ذلك مثلًا قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

قال في شرح العقيدة الواسطية: «واسمه -جل وعلا- الباطن أوجب ألّا يكون شيء دونه فلا شيء دونه باعتبار بطونه وفي هذا اللفظ معنى القرب والبعد من وجه ومعنى الاحتجاب والاختفاء من وجه وقوله «وأنت الباطن فليس دونك شيء» نفى أن يكون شيء دونه كما نفى أن يكون فوقه فلو قدر فوقه شيء لكان أكمل منه في العلو والبيان إذ هذا شأن الظاهر ولو كان دونه شيء لكان أكمل منه في الدنو والاحتجاب وهذا شأن الباطن وهذا يوافق قوله: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

-إلى أن يقول-: فأولية الله ﷻ سابقة على أولية كل ما سواه وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه فأوليته سابقه لكل شيء وآخريته بقاؤه بعد كل شيء وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء ومعنى الظهور يقتضي العلو وظاهر الشيء: ما علا منه وأحاط بباطنه وبطونه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة وهي إحاطتان زمانية ومكانية.

فالزمانية في قوله ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ والمكانية في قوله: ﴿وَالظَّاهِرُ

وَٱلْبَاطِنُ﴾».

(شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية لخالد المصلح ص٤٣-٤٤).

فتأمل فضيلة الدكتور هذا الكلام بدقة، فهل نبقي النصوص على ظاهرها فيلتبس في الأذهان ما قد يفضي إلى الاتحاد فلا مفر عندئذٍ من التأويل الذي لا أظن أن الدكتور يقبله فما هو المخرج في هذه المسألة؟».

أقول: أنا لا أعرف هذا «المصلح»، ولكن أنقل لك كلام أهل العلم في المعية ثمَّ في القرب وكلاهما لا يقتضي الحلول في المخلوقات تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وهذا الذي دلَّ عليه كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ في عشرات النصوص مثل:

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى

ومثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]

ومثل قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦].

وأحاديث معراج الرسول ﷺ إلى ربه -تبارك وتعالى-.

وأدلة علو الله تعالى على عرشه كثيرة جدًّا؛ حتَّى قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «المجموع» (٥/ ١٢١): «قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي: في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أنَّ الله تعالى عالٍ على الخلق وأنه فوق عباده». اهـ

وإليك كلام الأئمة -رحمهم الله- في القرب والمعية:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية» (ص٢٨-٢٩):

«وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته. وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله في السماء أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره.

فصل: وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية. وقوله ﷺ: «إنَّ الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه». اهـ

٢- قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٢/ ٢٦٥-٢٦٧):

«فصل: قال: الدرجة الثانية: حياء يتولد من النَّظر في علم القرب: فيدعوه إلى ركوب المحبة ويربطه بروح الأنس ويكره إليه ملابسة الخلق النظر في علم القرب تحقق القلب بالمعية الخاصة مع الله فإن المعية نوعان: عامة وهي معية العلم والإحاطة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

وخاصة وهي معية القرب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم

مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ فهذه معية قرب تتضمن الموالاة والنصر والحفظ وكلا المعنيين مصاحبة منه للعبد لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة وهذه مصاحبة موالاة ونصر وإعانة فـ: مع في لغة العرب تفيد الصحبة اللائقة لا تشعر بامتزاج ولا اختلاط ولا مجاورة ولا مجانبة فمن ظن شيئًا من هذا فمن سوء فهمه أتي وأما القرب فلا يقع في القرآن إلا خاصًا وهو نوعان قربه من داعيه بالإجابة وقربه من عابده بالإثابة فالأول كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ ولهذا نزلت جوابًا للصحابة ﷺ وقد سألوا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟

فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والثاني قوله: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل» فهذا قربه من أهل طاعته.

وفي الصحيح عن أبي موسى ﷺ قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» فهذا قرب خاص بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه واستواءه على عرشه بل يجامعه ويلازمه فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ولكنه نوع آخر والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جدًا من محبوب بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطي ويجده أقرب إليه من جليسه كما قيل:

ألا رُبَّ من يدنو ويزعم أنه   يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة أولياء رسول الله وورثته وأحباؤه الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحب إليهم منها يجدون نفوسهم أقرب إليه وهم في الأقطار النائية عنه من جيران حجرته في المدينة والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومن حولها هذا مع عدم تأتي القرب منها

فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء وهو مستو على عرشه؟! وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهة معطل بعيد من الله خلا من محبته ومعرفته والقصد أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة وكلما ازداد حبًا ازداد قربًا فالمحبة بين قربين قرب قبلها وقرب بعدها وبين معرفتين معرفة قبلها حملت عليها ودعت إليها ودلت عليها ومعرفة بعدها هي من نتائجها وآثارها». اهـ

٣- قال العلامة الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» (٤/ ٤٢٧- ٤٢٨) متحدثًا عن كلمة (مع) وما تقتضيه من المعاني:

«(مع) للمصاحبة بين أمرين لا يقع بينهما مصاحبة واشتراك إلَّا في حكم يجمع بينهما»

وقسّم المعية إلى قسمين: الأوّل يكثر في أفعال الجوارح وضرب له أمثلة.

ثمَّ قال: «والثاني يكثر في الأفعال المعنوية نحو آمنت مع المؤمنين وتبت مع التائبين وفهمت المسألة مع من فهمها ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ وقوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: أي بالعناية والحفظ.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: يعني: الذين شاركوه في الإيمان وهو الذي وقع فيه الاجتماع والاشتراك من الأحوال والمذاهب وقد ذكروا الاحتمالين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ قيل: إنه من باب المعية في الاشتراك فتمامه الاجتماع في الزمان على حذف مضاف، إما أن يكون تقديره أنزل مع نبوته وإما أن يكون التقدير مع اتباعه. وقيل لأنه فيما وقع به الاشتراك دون الزمان وتقديره واتبعوا معه النور.

وقد تكون المصاحبة في الاشتراك بين المفعول وبين المضاف كقوله: شممت طيبًا مع زيد. ويجوز أن يكون منه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

نقل ذلك أبو الفتح القشيري في «شرح الإلمام» عن بعضهم ثم قال: «وقد ورد

في الشعر استعمال (مع) في معنى ينبغي أن يُتأمل ليلحق بأحد الأقسام وهو قوله:

يقوم مع الرمح الرديني قامة ... ويقصر عنه طول كل نجاد

وقال الراغب: «(مع) تقتضي الاجتماع إما في المكان نحو: هما معًا في الدار، أو في الزمان نحو: وُلِدَا معًا، أو في المعنى كالمتضايفين؛ نحو الأخ والأب فإنَّ أحدهما صار أخًا للآخر في حال ما صار الآخر أخاه، وإمَّا في الشرف والرتبة نحو: هما معًا في العلو وتقتضي (مع): النصرة، والمضاف إليه لفظ (مع) هو المنصور نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ انتهى». اهـ

أقول: قوله: «آمنت مع المؤمنين»: المعية هنا معنوية لا تقتضي اختلاطًا في مكان معيَّن أو زمن معيَّن فهي تتناول كل مؤمن من عهد آدم إلى قيام الساعة وقل مثله في قوله: «مع التائبين» إلخ

ومثله قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وهي تقتضي النَّصر والتأييد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾

وتقتضي الاطلاع والعلم والمشاهدة كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بالإجماع وهذه معاني هذه النُّصوص والسياقات تقتضيها وليست من التأويل في شيء.

إذا سلَّمتَ بأنَّ الله ﷻ فوق سمواته مستوٍ على عرشه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تفويضٍ ولا تمثيل وأنَّه منزَّهٌ أن يكون في شيءٍ من خلقه سَهُلَ عليك الإيمان بمعية الله العامَّة والخاصَّة، وبقربه من عباده على الوجه اللائق به -جلَّ وعلا- الذي قرَّره السَّلف الصالح -رضوان الله عليهم-. وأدركتَ بطلان ما يُقرِّره المعطلة والمشبِّهة وأهل الحلول ووحدة الوجود.

وإذا كان الكون كلُّه في قبضة الله -جلَّ وعلا وله المثل الأعلى- كخردلةٍ في يد أحدنا سَهُل على المؤمن أن يُؤمن بأنَّ الله تعالى -مع كونه فوق عرشه بائنٌ من خلقه- مع مخلوقاته المعية العامة والخاصَّة وقربه من خلقه مع إجلاله وتنزيهه أن يكون في شيءٍ من مخلوقاته تعالى الله عمَّا يقول أهل الحلول ووحدة الوجود علوًا

كبيرًا. لأنَّ الله ليس كمثله شيءٌ: لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله.

وأسأل الله أن يهيئ لهذه الكلمات آذانًا صاغية وقلوبًا واعية.

إنَّ ربي لسميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

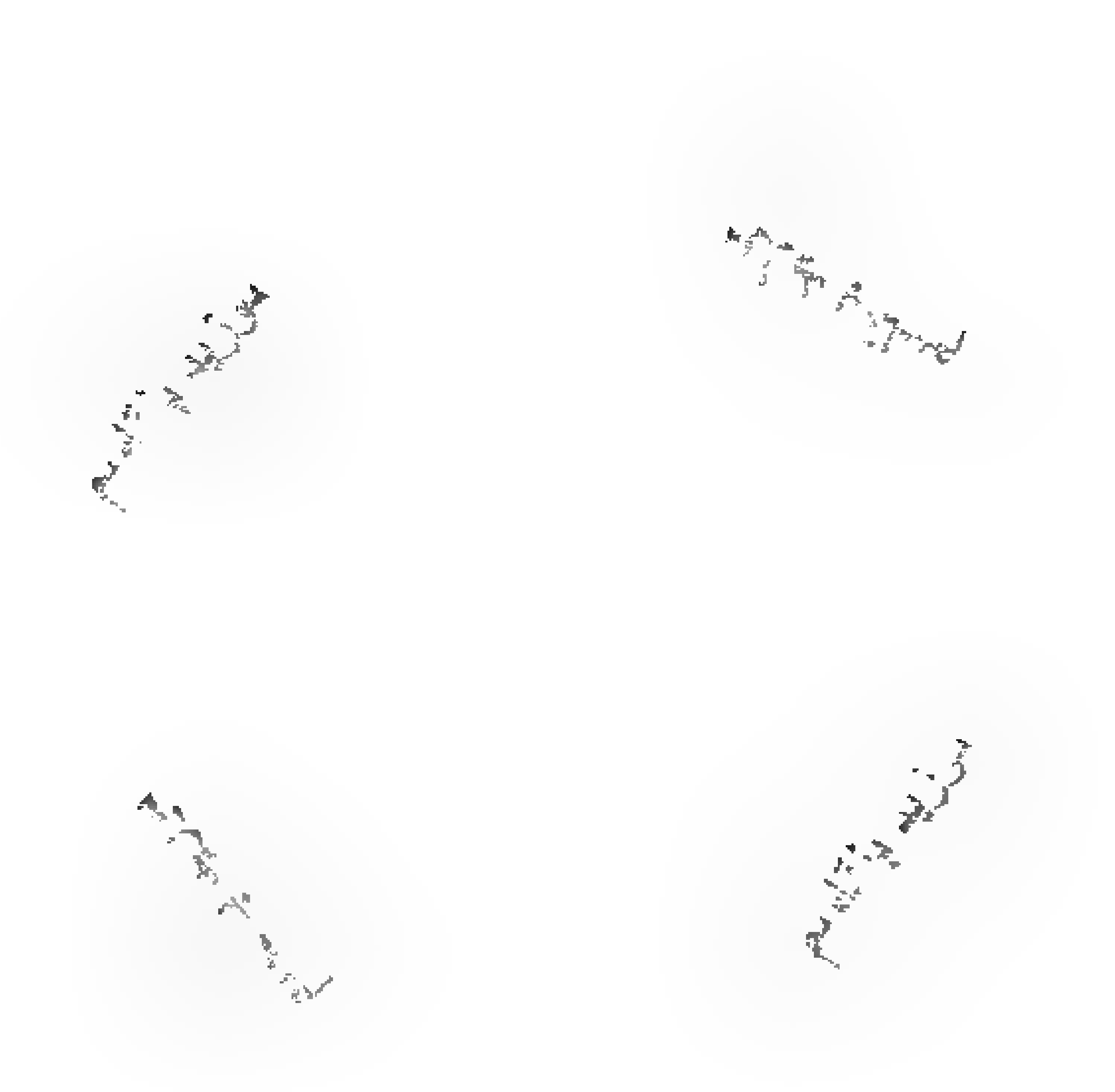
كتبه

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

٢٨/ شعبان /١٤٣٦هـ



موقف الإمامين ابن تيميّة وابن القيّم من الصُّوفية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه أما بعد:

فقد اطلعت على مقالٍ لعبد الحفيظ ملك عبد الحق المكي الصوفي الذي وصف نفسه بخادم الحديث الشريف ببلد الله الحرام (!) تحت عنوان:

(أئمة السُّنَّة يردُّون ادِّعاءات الدكتور ربيع المدخلي عن التصوف والصوفية)

والذي نشر في ملحق جريدة المدينة يوم الجمعة الموافق ١٠ جمادى الأولى عام ١٤٢٦هـ وكان ردًّا على مقالي الذي ناقشت فيه الدكتور عبد العزيز القاري في موضوع الصوفية.

ولي بعض الوقفات مع هذا المقال وصاحبه:

الوقفة الأولى:

أنه وصف نفسه بأنه: «خادم الحديث الشريف ببلد الله الحرام»!

وهذه منزلة عظيمة ما كان يدَّعيها أئمة السنة والحديث مثل عطاء بن أبي رباح وسفيان ابن عيينة، والحميدي وغيرهم، من علماء الحديث والسنة ببلد الله الحرام.

وأنا شخصيًّا سكنت مكة حوالي تسع سنوات من عام ١٣٩٢هـ فلم أسمع بهذا الرجل في مكة ولا بخدمته للحديث، وعدت إلى مكة عام ١٤١٩هـ وما زلت بها إلى أن وقفت على هذا المقال الذي نشر في ١٠/ ٥/ ١٤٢٦هـ فوالله ما سمعت به ولا علمت بوجوده في مكة ولا أعرف له طالبًا واحدًا ينتمي إلى الحديث وأهله ولا غير منتمٍ ولا عرفت له كتابًا في خدمة الحديث الشريف ولا حتى خدمة حديث واحد!

فماذا يريد بهذا المدح لنفسه وماذا يريد بهذه التزكية؟ لا شك أنه متشبع بما لم يُعطَ.

الوقفة الثانية: مع عنوان مقاله:

وهو قوله: «أئمة السلفية يردون على ادعاءات الدكتور ربيع المدخلي عن التصوف والصوفية» هكذا بهذا العموم والشمول الذي يوهم القراء أن كل أئمة السنة وقفوا في وجه ربيع يدافعون عن كل أصناف التصوف والصوفية ويردون على ادعاءاته بالحجج والبراهين!

وأقول: إني أنا ربيع لا أعرف ادعاءً واحدًا ادعيته على الصوفية بل لا تجد في مقالي: إما نقلاً عن أئمة موثوقين في نقلهم عند أهل السنة مثل الذهبي، وقد حددت ما نقلته عنه بالجزء والصحيفة، وكذلك نقلت نقده الشخصي، ومثل ابن الجوزي، وقد نقلت عنه نقوله ونقده للصوفية وأئمتهم في كتابه «تلبيس إبليس» وهو مشهور متداول بأيدي الناس وما عدا ذلك من أقوالي إنما هو بناء وتأكيد لما نقله وقاله هؤلاء الأئمة فيهم، فمن هو إذن صاحب الادعاءات الباطلة والافتراءات المشينة: «رمتني بدائها وانسلَّت».

الوقفة الثالثة:

مع قوله: «وآلمني ما ورد فيه من ادعاءات باطلة وافتراءات مشينة حول التصوف والسادة الصوفية في زمن نحن أحوج ما نكون فيه إلى وحدة الصف وسعة الصدر وحسن الظن؛ لأن قوى الكفر المتنوعة قد اتحدت وتناست الخلافات فيما بينها تتآمر ليل نهار بشتى الأساليب لإضعاف شوكة المسلمين وإبعادهم عن تعاليم دينهم الحنيف ونشر الخلاف والشقاق والنزاع فيما بينهم».

والجواب:

١- قد سبقت الإجابة عما يزعمه من الادعاءات الباطلة والافتراءات المشينة.

٢- هل الصوفية يحسنون الظن بأئمة الدعوة السلفية كابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده ومن سلك طريقهم في التمسك بالكتاب والسنة

والدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والخرافات؟ أو أنهم يسيئون بهم الظن ويحاربونهم ويشوهون دعوتهم ويؤلفون المؤلفات الكثيرة في تشويههم وتشويه دعوتهم وينشرون هذا التشويه في مدارسهم ومساجدهم لا يفترون عن ذلك من عهد السبكي وأتباعه والهيتمي والحداد الحضرمي وأتباعه ودحلان والنبهاني والبوطي وغيرهم ومؤلفاتهم تنشر في الآفاق تبث الأكاذيب والشركيات والخرافات وتصد الناس عن سبيل الله، فهل كتبت مقالًا واحدًا تردُّ فيه هذه الافتراءات والضّلالات؟! أو لا همَّ لك إلَّا نشر التلبيسات والدفاع عن هذا الضلال وأهله كما في مقالك هذا وكتابك الذي ذكرته في هذا المقال؟!

على أي أساس تدعو إلى وحدة الصف؟

أعلَى أساس التمسك بالكتاب والسنة: عقيدة وعبادة وسياسة وأخلاقًا والدعوة إلى ذلك ووضع المناهج في المدارس والجامعات والتدريس في المساجد والكتابة في الصحف والمجلات و تسخير كل الوسائل الشرعية الممكنة لتحقيق هذه الغاية (وحدة الصّف)؟!

إذا كان على هذا الأساس فهذا أمرٌ يدعو إليه السلفيون ويتعطشون لتحقيقه وهو أمر واجب لا عذر للمسلمين في التقصير فيه والتباطؤ والتقاعس عنه، ونصوص القرآن والسنة الداعية إليه والحاثة بشدة عليه كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ففي هذين النصين أمرٌ للأمة جميعها أن تعتصم بحبل الله وهو الكتاب والسنة.

واتباع الصراط المستقيم هو اتباع الكتاب والسنة والاعتصام بهما وفيهما نهي عن التفرق في العقائد والعبادات والمناهج والسياسات وغيرها، ونهي عن اتباع السبل التي على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ومن هذه السبل المضلة الطرق الصوفية والرافضية والسياسية بما حوتها من عقائد ومناهج.

أو تريد الوحدة على الطريقة الأوربية في التجمعات والتحالفات على الضلال والجهل والخرافات التي لا تزيد المسلمين إلَّا خذلانًا وذلًا وهوانًا، فليس هذا هو

العلاج أبدًا، إنما العلاج هو العودة الجادة إلى الكتاب والسنة وذلك هو الدِّين الصَّحيح الذي أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالرجوع إليه إذا هي عاشت في الهوان وعانت من الذل فقال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلَّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

أي الدِّين الحق الذي تضمنته النصوص القرآنية والنبوية، لا دين الجهمية ولا المعتزلة ولا دين الحلاج وابن عربي وابن سبعين وابن الفارض ولا دين النقشبندية والسهروردية والتيجانية والمرغنية ونحوها من الطرق القائمة على الحلول ووحدة الوجود وعبادة القبور والخرافات؛ فإن هذه هي السبب الرئيس في إضلال كثير أو أكثر المسلمين ورميهم في هوة الجهل بحقيقة الإسلام والتوحيد الذي جاءت به كل الرسالات، والسبب الرئيس في ذلهم وجعلهم غثاء تتداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها.

الوقفة الرابعة:

أنه قال: «وبعد هذا كله أزيد الدكتور المدخلي علمًا -بفضل الله وتوفيقه- أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان بنفسه صوفيًّا قد لبس خرقة التصوف[1]، وقد صرَّح هو بذلك وذكر سند خرقته في كتابه الشهير «منهاج السنة» فما رأي فضيلة الدكتور المدخلي الآن هل نبقي ابن تيمية في أهل السنة والجماعة أم نخرجه مثل غيره وننسبه إلى دين الصوفية عقيدة وعبادة ومنهجًا؟!».

وجوابه: إني مع اهتمامي بدراسة كتب ابن تيمية لم أعرف أن ابن تيمية كان صوفيًّا ولا أعرف أنه لبس خرقة الصوفية ولم أسمع بهذا من أحد من علماء السنة ولا من زملائي المحبين لابن تيمية، فأطلب من عبد الحفيظ خادم الصوفية أن ينص على هذا الكلام بالجزء والصحيفة من كتاب المنهاج الذي نسب إليه هذا الكلام.

---

(١) انظر نقد شيخ الإسلام للباس الخرقة الصوفية وتكذيبهم في نسبة الخرقة إلى رسول الله ﷺ وكذب الحديث الوارد بها (مجموعة الرسائل والمسائل ١/١٤٨-١٥٠).

وبعد وقوفي عليه أحتاج أن أعرف الطريقة الصوفية التي كان منتسبًا إليها أهي الرفاعية أو القادرية أو الشاذلية، وهل يؤمن بما فيها من عقيدة ومنهج وعبادة فأُحَدِّدُ حينئذ موقفي منه.

فإن عجز عن إثبات ما نسبه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ظهر للناس افتراء هذا الرَّجل على إمام عظيم جاهد الصوفية جهادًا عظيمًا في عدد من مؤلفاته وكشف عوارهم وهتك أستارهم، ولاسيما أهل الطريقة الرفاعية [(١)] وأتباع ابن عربي والتلمساني وابن الفارض وابن سبعين وغيرهم من أئمة الحلول ووحدة الوجود[(٢)] والذين تنتمي إليهم جلُّ الطرق الصوفية التي جاءت بعدهم أو كلُّها ولاسيما الطرق القائمة الآن والجاثمة على صدر الأمة بضلالاتها الكبرى من الشرك في القبور واعتقاد الحلول ووحدة الوجود ونشر الخرافات.

ومن هذه الطرق الطريقة النقشبندية والسهروردية والقادرية والجشتية والتي أظنُّ أنَّ عبد الحفيظ يؤمن بها ويدافع عنها.

فإن كان ليس من أهلها فليتبرأ منها علانية وليُدِنْ أهلها بما فيها من الضلال البعيد!

الوقفة الخامسة:

مع قوله: «ويشتد الأمر مرارة وخطورة عندما يكون متعلقًا بالتصوف حيث إنَّ أكثر من ٩٥٪ من علماء المسلمين ومشايخهم في العالم إما تجدهم منتسبين إلى التصوف وبعض طرقه أو محبين ومؤيدين له ولمشايخه».

والجواب:

١- إنه ليشتد الأمر جدًا مرارةً وخطورةً ويكاد القلب يتقطع أن يكون هذا هو واقع المسلمين أن يكون ٩٥٪ من علماء المسلمين ومشايخهم على الطرق الصوفية المسيطرة على عقول معظم المسلمين وعقائدهم ولعلَّ بعضهم لا يكتفي بطريقة

---

(١) انظر مجموع الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام (١/ ١٢١-١٤٦)، وقد بيَّن فيها ضلال هذه الطائفة بيانًا شافيًا.

(٢) انظر مجموع الرسائل (١/ ٦١-١٢٠).

واحدة بل يبايع على أربع طرق فيها الحلول ووحدة الوجود.

ويزداد القلب أسى وحسرة أن يكون هذا الكم الهائل من العلماء إما معتقدين للتصوف أو مؤيدين له فلا يُغيِّرون هذا الواقع المُرّ بل يؤيدونه ويذبون عنه.

وأسألك لماذا يعتنق هؤلاء العلماء ويؤيدون التصوف وهم يرون آلاف القبور المشيدة يُصرف لها أنواع العبادات من الاستغاثات واللجوء إلى أهلها في الكربات والتقرب إليهم بالذبائح والنذور وإقامة الأعياد والاحتفالات فلا تجد من هؤلاء العلماء إلا التأييد والتأكيد، فأين هم من قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ألا يخافون أن ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟!

الواجب عليك إن كنت من أهل السنة وتحتج بأقوال ابن تيمية أن تواجههم بالنصح والإنكار لا بالتهويل بكثرتهم فهل هذه الكثرة تجيز لك وأنت (خادم الحديث ببلد الله الحرام)! أن تلمعهم وتدافع عنهم؟!.

٢- أنت تتمسح بابن تيمية وابن عبد الوهاب وابن القيم لتدافع بهم عن التصوف والصوفية فلماذا لا تتحف الناس بذكر جهادهم لمحو آثار التصوف وتطهير الأرض والعقول والعقائد منها؟!

٣- أنت تريد وحدة الصف الذي قد يشمل الروافض والقاديانية والصوفية بطرقها والأحزاب السياسية على اختلاف ضلالاتها؛ فهل أنت بهذا التجميع الأعمى على منهج الكتاب والسنة ومنهج ابن تيمية؟!

أما الكتاب والسنة فقد مضى من نصوصهما في هذا المقال ما مضى.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيرى أنَّ سبب تسلُّط الأعداء إنَّما يكمن في ظهور النِّفاق والبدع والفجور حيث قال: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سُلِّطتْ عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئًا بعد شيء إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل

الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة، إلى أن تولى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فأنجدهم، وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن شاذي وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذٍ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة.

فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببًا لخير الدنيا والآخرة.

وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة؛ فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقًا لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار، قال تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٨]»[1] اهـ.

وقال شيخ الإسلام في كلامه عن ضلال الصوفية وبُعدهم عن حقيقة التوحيد:

«ومنهم[2] من لا يعرف ابتداء إلا طريقة الرياضة، والتجرد والتصوف، ككثير

(١) انظر الفرقان بين الحق والباطل (ص١١٥-١١٦/ ط. المؤيد).

(٢) الضمير يعود إلى جمهور المتكلمين والجهمية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم.

من الصوفية والفقراء الذين وقعوا في الاتحاد، والتأله المطلق، مثل: عبد اللَّه الفارسي، والعفيف التلمساني ونحوهما.

ومنهم من قد يجمع كالصدر القونَوِي ونحوه. والغالب عليهم عالم التوهم. فتارة يتوهمون ما له حقيقة، وتارة يتوهمون ما لا حقيقة له، كتوهم إلهية البشر، وتوهم النصارى، وتوهم المنتظر، وتوهم الغوث المقيم بمكة أنه بواسطته يدبر أمر السماء والأرض، ولهذا يقول التلمساني: ثبت عندنا بطريق الكشف ما يناقض صريح العقل.

ولهذا أصيب صاحب الخلوة بثلاث توهمات:

أحدها: أن يعتقد في نفسه أنه أكمل الناس استعدادًا.

والثاني: أن يتوهم في شيخه أنه أكمل من على وجه الأرض.

والثالث: أنه يتوهم أنه يصل إلى مطلوبه بدون سبب، وأكثر اعتماده على القوة الوهمية فقد تعمل الأوهام أعمالًا لكنها باطلة، كالمشيخة الذين لم يسلكوا الطرق الشرعية النبوية نظرًا أو عملًا، بل سلكوا الصابئية.

ويشبه هؤلاء من بعض الوجوه: أكثر الأحمدية، واليونسية، والحريرية، وكثير من العدوية، وأصحاب الأوحد الكرماني، وخلق كثير من المتصوفة والمتفقرة بأرض المشرق؛ ولهذا تغلب عليهم الإباحية، فلا يؤمنون بواجبات الشريعة ومحرماتها. وهم إذا تألهوا في تألهٍ مطلقٍ، لا يعرفون من هو إلههم بالمعرفة القلبية، وإن حققه عارفوهم الزنادقة، جعلوه الوجود المطلق.

ومنهم من يتأله الصالحين من البشر، وقبورهم ونحو ذلك.

فتارة يضاهئون المشركين، وتارة يضاهئون النصارى، وتارة يضاهئون الصابئين وتارة يضاهئون المعطلة الفرعونية، ونحوهم من الدهرية، وهم من الصابئين، لكن كفار في الأصل. والخالص منهم يعبد اللَّه وحده، لكن أكثر ما يعبده بغير الشريعة القرآنية المحمدية، فهم منحرفون، إما عن شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه، وإما عن شهادة أن محمدًا رسول اللَّه، وقد كتبته في غير هذا»[1]. اهـ.

---

(١) المجموع (٢/ ٥٧-٥٨).

أقول: وأهل البدع من الروافض والجهمية والصوفية معروف عنهم أنَّهم يتعاونون مع الكفَّار الغازين المحتلِّين في قديم الزمان وحديثه !!

وقصَّة تعاون الروافض مع التتار ومع اليهود والنصارى معروفة مذكورة في كتب التاريخ وغيرها، وأظهر تعاون لهم مع التتار كان في إسقاط الخلافة العباسية وإدخالهم بغداد وقتلهم لأهلها.

وانظر تعاون الجهمية والصوفية مع التتار وغيرهم في كتابه (الفرقان بين الحق والباطل) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمنتهى الجهمية المجبرة إما مشركون ظاهرًا وباطنًا، وإما منافقون يبطنون الشرك؛ ولهذا يظنون بالله ظن السَّوء، وأنه لا ينصر محمدًا وأتباعه، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

وهم يتعلقون بقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وبأنه ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثر في عُبَّادهم وعلمائهم من صار مع المشركين وأهل الكتاب، وارتد عن الإسلام إما باطنًا وظاهرًا، وإما باطنًا وقال: إنه مع الحقيقة، ومع المشيئة الإلهية، وصاروا يحتجون لمن هو معظم للرسل عما لا يوافق على تكذيبه بأن ما يفعله من الشرك والخروج عن الشريعة وموالاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول، فتارة تأتيهم شياطينهم بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور، وأن الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار، لكون المسلمين قد عصوا.

ولما ظهر أن مع المشركين وأهل الكتاب خفرًا[1] لهم من الرجال المسمين برجال الغيب -وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله- صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب:

١- حزب يكذبون بوجود هؤلاء، ولكن عاينهم الناس، وثبت ذلك عمن

---

(١) أي: يتعاونون معهم.

عاينهم أو حدثه الثقاة بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم.

٢- وحزب عرفوهم ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثَمَّ في الباطن طريقًا إلى الله غير طريقة الأنبياء.

٣- وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا أولياء الله خارجين عن دائرة الرسول فقالوا: يكون الرسول هو ممدًّا للطائفتين لهؤلاء وهؤلاء.

فهؤلاء معظمون للرسول، جاهلون بدينه وشرعه، والذين قبلهم يجوزون اتباع دينٍ غير دينه وطريق غير طريقه.

وكانت هذه الأقوال الثلاثة بدمشق لما فتحت عَكًّا، ثم تبين بعد ذلك أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، وأن الذين مع الكفار شياطين، وأن من وافقهم من الإنس فهو من جنسهم شيطان من شياطين الإنس أعداء الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وكان سبب الضلال عدم الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأصله قول الجهمية الذين يسوون بين المخلوقات، فلا يفرقون بين المحبوب والمسخوط، ثم إنه بعد ذلك جرت أمور يطول وصفها.

ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق انكشفت أمور أخرى، فظهر أن اليونسية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفارًا مع الكفار»[١]. اهـ

أقول: هذه بعض مخازي أهل البدع من الروافض والصوفية وغيرهم في الأزمان الغابرة!

وفي تاريخنا الحديث تتكرر تلك المخازي منهم بأبشع صورها؛ فلا ينسى أحد تجنيد الاستعمار البريطاني للصوفية من أجل إسقاط دولة التوحيد التي أقامها الإمام المجاهد أحمد بن عرفان وإخوانه في (بيشاور).

ومعروف عند الجميع تعاون الصوفية مع الحكومة الشيوعية في أرض (عدن)

---

(١) ص١٣٧-١٣٨- ط. المؤيد).

اليمنية.

ولا يخفى على من استقرأ التاريخ الحديث ما كان من علاقة وطيدة وحميمة بين الاستعمار الفرنسي وطرق الصوفية بأنواعها في أرض (الجزائر) وهو الذي كان يمدها بكل الوسائل المادية والمعنوية !!

فأيُّ وحدة إسلامية تقوم على كواهل مثل هؤلاء؟!

وأيُّ نصرٍ للإسلام يتحقَّق بهم؟!

ومن يريد نصرة الإسلام وعزَّته فليعلم هذه الحقائق، وليبذل أقصى ما يمكن من جهدٍ لجمع المسلمين على كتاب ربهم -تبارك وتعالى- وسنَّة نبيِّهم ﷺ على فهم سلفهم الصالح: عقيدةً ومنهجًا وعبادةً وسلوكًا . . .

الوقفة السادسة: عند قوله: «وقد شدَّد الدكتور المدخلي على أن الصوفية ليسوا من أهل السنة والجماعة بل اتهمهم بما هو أقبح وأدهى من ذلك بقوله: «قد صحح علماء أهل السنة والجماعة كل ما فسد من دين الصوفية عقيدة وعبادة ومنهجًا».

فأقول: يتضمن كلامه هذا أمرين:

أحدهما: إنكار ما عند الصوفية من فساد عقائدي ومنهجي وعبادي.

وهذه مكابرة عظيمة وإنكار لواقع يمتد من عهد الأئمة أحمد بن حنبل وأبي زرعة وإخوانهم في ذلك العصر إلى عهد ابن تيمية وما بعده إلى عهد الإمام محمد بن عبد الوهاب والصنعاني والشوكاني ومن بعدهم إلى يومنا هذا ذلك الواقع الذي من آثاره مؤلفات من عهد الحارث المحاسبي إلى أبي عبد الرحمن السلمي وأبي طالب المكي إلى القشيري والغزالي إلى ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض وإلى رءوس الرفاعية والشاذلية والنقشبندية والسهروردية والتيجانية والمرغنية إلى الشعراني ودحلان والنبهاني والحداد وغيرهم وغيرهم.

ومن آثاره هذه القبور المنتشرة في العالم الإسلامي والتي تتجاوز الآلاف تقدسها الصوفية ومن انخدع بهم ولها سدنة وصناديق نذور ولها في بعض البلدان إدارة تدير شئون هذه القبور تعادل وزارات الأوقاف وريعها الشركي يصب في

كروش الصوفية.

ولقد رأيت أنا وغيري من يطوف بهذه القبور ويسجد لها ويعتكف عندها وهم في غاية الخشوع والخضوع إلى أعمال يندى لها الجبين ويضحك منها اليهود والنصارى والهندوك.

أهذه الأعمال الشركية تُحافظ على الصوفية وتُبقيهم في دائرة أهل السنة والجماعة يا (خادم الحديث ببلد الله الحرام) ؟!

لا يدَّعي هذا إلَّا من لا يعرف عقيدة أهل الحديث أو يعرفها ويحاربُها دفاعًا عن هذه الضلالات.

وأنا أسألك ما رأيك فيمن يعطل صفة علو الله على عرشه وغيرها من صفات الله ﷻ التي ألف في شأنها العلماء كتبًا وحرروا مقالات وساقوا لها الأدلة الشرعية والعقلية؟

ما رأيك فيمن يقول بالحلول ووحدة الوجود؟

ما رأيك فيمن يستغيث بغير الله ويذبح له وينذر له ويطوف بالقبور؟

ما رأيك في طائفة البريلوية التي تشكل حوالي ٨٠٪ في الهند وباكستان؟

ما رأيك في الطرق التي مرَّ ذكرها؟

هل هذه الأصناف وأعمالها وعقائدها تجعلهم في طليعة أهل السنة أو في طليعة أهل الضلال والبدع الكبرى ومنها البدع الشركية؟

الوقفة السابعة:

عند قوله: «ولا أدري عن الدكتور المدخلي، ومعروف عنه أنه من غلاة السلفية المُبدِّعين المُكفِّرين»[1] هل يجهل ما قاله أئمة السلفية كالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مدح التصوف والصوفية وأنهم من صميم أهل السنة والجماعة أم

(١) ما بين القوسين مأخوذ من موقع جريدة «المدينة- الرسالة» على الإنترنت في نفس المقال، وهي محذوفة من المقال المنشور!!

أنه يعلم كل ذلك ولكن العناد والكبر والبغض المذموم هو الباعث لادعاءاته الباطلة وكلا الأمرين مصيبة».

الجواب:

١- عن قوله: «ومعروف عنه أنه من غلاة السلفية المبدعين المكفرين».

أقول: المعروف عند أهل السنة السلفيين أنني أحارب الغلو في التبديع والتكفير وهذه كتبي وأشرطتي منتشرة فأثبت هذا منها، وإلَّا فأنت من غلاة الملبسين والمقاومين لأهل السنة الدعاة إلى توحيد الله والناهين عن الشرك والبدع والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر السائرين على طريقة الأنبياء والمصلحين في تغيير المنكرات البدعية والشركية.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تكلفهم القيام بهذه الواجبات كثيرة، والآيات والأحاديث التي تذم وتتوعد من يكتم الحق، أو لا ينكر المنكر كثيرة ولا يتسع المقام لسردها وقد ذكرت بعضها فيما سلف وأذكرك بقول رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وفي الحديث الآخر: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

فهل سمعت بهذه الآيات والأحاديث التي أشرت إليها أو أنك تتجاهلها وتعاند؟ والكبر هو غمط الناس ورد الحق لا الدعوة إلى الحق وإنكار المنكر ورد الباطل، فافهم ولا أريد أن أتنازل معك إلى السب والاتهامات ولكني أذكرك لعلك تتذكر أو تخشى.

٢- أما من ذكرت من الأئمة فلا تتمسح بهم.

وأنصحك أن تدرس عقائدهم ومناهجهم ومواقفهم من البدع ومن بدع الصوفية بالذات وجهادهم ضدها، فإذا فعلت ذلك فَميِّزْ على مناهجهم وعقائدهم، ثم انقل عنهم وأنا واثق بأنك إن فعلت هذا وقمت به على الوجه المطلوب فستدرك أنك على خطأ جسيم في هذا النقل وهذه الدعاوى التي تصور فيها هؤلاء الأئمة المجاهدين ضد الصوفية وقبوريتهم بأنهم من جنود الصوفية يمدحونهم ويدافعون

عنهم ويعدونهم من صميم أهل السنة والجماعة أيصحُّ نقلك عنهم بهذا التعميم في مدح الصوفية والتصوف؟

أئِنْا ذكر ابن تيمية بعض أفراد الصوفية -الذين لا يمثلون قطرة في بحر الصوفية في فترة معينة انتهت وانقضت، قبل أن يولد بقرون- تنسب إليه أنَّه يمدح الصوفية والتصوف بهذا العموم؟!

ألَا تعلم أنَّ الأحكام في شريعة الله إنَّما تُبنَى على الغالب لا على الأمور النادرة؟!

بأي عقل وبأي لغة تخاطب الناس؟ وبأي عقل وعلى أي أساس تلصق بأئمة السلفية هذه الدعاوى العريضة التي ينكرها كل من عرف هؤلاء الأئمة وعرف مناهجهم ومواقفهم من الصوفية وهدمهم لأباطيلهم وضلالاتهم؟

وأتحفك بشيء من نقد الإمام ابن القيم للصوفية وهو قليل من كثير[1] قال: في «إغاثة اللَّهفان»: «فصل ومن كيده: ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوي الهائلات وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقًا إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن؛ فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا وأهل الرياسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول ﷺ نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفًا وعيانًا فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا: لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات وأوهمهم أنها من الآيات

---

(١) وقد أسلفنا نقد الإمام ابن تيمية للصوفية وغيرهم من أهل البدع.

البينات وأنها من قِبَل الله سبحانه إلهامات وتعريفات فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل إلَّا بالقبول والإذعان فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات وأنواع الهذيان وكلما ازدادوا بعدًا وإعراضًا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم» (١/ ١٣٩- ١٤٠) ط. الحلبي.

أترى في هذا الكلام مدحًا للصوفية وحرصًا على اعتبارهم من أهل السنة أم هو بيان لضلالهم وأباطيلهم وترهاتهم وبعدهم عن دين الله الحق وفضح لدعاواهم الهائلة وكشفًا لطرقهم وأساليبهم وأنهم أهل خيالات وضلالات فهم في وادٍ وأهل السنة وعلماؤهم في وادٍ آخر.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في (١/ ٢٤٩): «قال أبو بكر الطرطوشي: وهذه الطائفة[1] مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينًا وطاعة ورأت إعلانه في المساجد والجوامع وسائر البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة وليس في الأمة من رأى هذا الرأي.

قلت: ومن أعظم المنكرات: تمكينهم من إقامة هذا الشعار الملعون هو وأهله في المسجد الأقصى عشية عرفة ويقيمونه أيضا في مسجد الخيف أيام منى وقد أخرجناهم منه بالضرب والنفي مرارًا ورأيتهم يقيمونه بالمسجد الحرام نفسه والناس في الطواف فاستدعيت حزب الله وفرقنا شملهم ورأيتهم يقيمونه بعرفات والناس في الدعاء والتضرع والابتهال والضجيج إلى الله وهم في هذا السماع الملعون باليراع والدف والغناء.

فإقرار هذه الطائفة على ذلك فسق يقدح في عدالة من أقرهم ومنصبه الديني.

وما أحسن ما قال بعض العلماء وقد شاهد هذا وأفعالهم:

ألا قل لهم قول عبد نصوح ... وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في ديننا ... بأن الغناء سنة تتبع؟
وأن يأكل المرء أكل الحمار ... ويرقص في الجمع حتى يقع

(١) وهي الصوفية.

وقالوا: سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أشبعت يرقصها ريها والشبع
ويسكره الناي ثم الغنا ويس لو تليت ما انصدع
فيا للعقول ويا للنهى ألا منكر منكم للبدع
تهان مساجدنا بالسماع وتكرم عن مثل ذاك البِيَع» اهـ.

قلتُ: فمن النصح للمسلمين أن تبين هذه الأدواء المهلكة حتى يحذروها ويسلموا من غوائلها، فإن حماية الناس من الأمراض الفتاكة بالعقول والأديان أوجب من حمايتهم من الأمراض التي تفتك بالأبدان.

الوقفة الثامنة:

عند قوله: «إن من المتفق عليه بين أهل التصوف والسنة سلفًا وخلفًا شرقًا وغربًا في كل عصر ومكان أن الصوفي والسالك يجب عليه قبل أي أمر أن يصلح عقيدته حتى تكون موافقة لعقائد أهل السنة والجماعة وكتبهم ومقالاتهم مشحونة بهذا المعنى».

الجواب: هذه دعوى لا تستطيع إثباتها عمليًا، أما أن زعماء الصوفية يضحكون على جهالهم بمثل هذا الكلام فهذا موجود، وأما الحقيقة والواقع فإن عقائد الصوفية من أبعد العقائد عن عقائد أهل السنة والجماعة وهات كتب عقائدهم في مشارق الأرض ومغاربها من عهد القشيري والغزالي إلى عهد شيوخ البريلوية والديوبندية والتيجانية والمرغنية إلى يومنا هذا، هات كتبهم لنقارنها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومؤلفات أهل السنة الموجودة في كتب العقائد كالسنة لعبد الله بن أحمد، وأصول السنة لأحمد، ولابن أبي حاتم، والسنة للخلال، والشريعة للآجري، والإبانتين لابن بطة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، وكتب ابن تيمية وهي كثيرة، وكتب ابن القيم، وكتب أئمة الدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ومن سار على نهجه؛ فإن وافَقَتْها في توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة وتوحيد الربوبية وفي الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة والتحذير من الشرك والبدع والضلال سلمنا لك أنهم من أهل السنة

والجماعة ثم نهضنا جميعًا إلى دعوة الطوائف الصوفية إلى التمسك بما حوته هذه الكتب من عقائد ودعوناهم إلى تطهير عقولهم وقلوبهم من العقائد الفاسدة المخالفة لما في هذه الكتب وبذلك يسهل علينا وعليهم تحقيق وحدة الصَّف.

وإن عجزتَ عن ذلك -ولابد أن تعجز- فلن تجد مؤلفات وعقائد ومناهج الصوفية موافقة لمؤلفات وعقائد ومناهج أهل السنة والجماعة، وحينئذٍ فما عليك إلَّا أن تتوب إلى الله من هذه الدعاوى الباطلة وأن تنصح للمسلمين على طريقة الأنبياء والمصلحين بوجوب تصحيح عقائدهم ومناهجهم وعباداتهم وذلك لا يتم إلَّا بالاعتصام الجادِّ بالكتاب والسنة لا بالدعاوى الفارغة التي يدَّعيها حتى القاديانية والرافضة ولن تُغني عنهم شيئًا لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا ينفعهم التلبيس ولا أقوال الملبسين بأنهم من صميم أهل السنة والجماعة.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وكتب:

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

-كان الله له-

مكة: ١٤٢٦/٥/١٤ هـ

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم

الردّ على
لطف الله خوجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فقد اطلعت على مقال للدكتور / لطف الله خوجه، نشرته جريدة المدينة في ملحقها المسمى بـ«الرسالة» في يوم الجمعة ٥/ ٨/ ١٤٢٥هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠٥م يتحدث عن التصوف والصوفية، فرأيت أنه أصاب المحز أو قارب في أول مقاله حيث رد القول بأن أصل التصوف صحيح موافق للكتاب والسنة ورد دعوى تقسيم التصوف إلى محمود ومذموم وأن الكلام المنسوب إلى أئمة الصوفية مثل الجنيد والسري فيه ما يخدم التصوف الفلسفي المذموم ونفى أي وجود لطريقة صوفية محمودة، ونفذ إلى قوله: «فالحاصل والواقع أن طريقة هؤلاء الأئمة الذين أعلنوا التقيد بالشريعة مجهولة غير معروفة فإذا كان هذا هو الحال فكيف يمكن أن يقال: إن تصوف هؤلاء الأوائل هو التصوف الصحيح. وقد أجاد في هذا، سددنا الله وإياه في كل قول وعمل، غير أنه بعد هذه الإجادة ذهب يفرق بين أهل التصوف الحقيقي وبين أهل التصوف المجازي، ويعتبر الأخير من أهل السنة ولي معه وقفات، أسأل الله التوفيق فيها لبيان الحق.

١- قال الدكتور / لطف الله -لطف الله بنا وبه-:

« وبعد هذا التقصي لأصل التصوف: هنا نأتي للتساؤل المنطقي بعد هذا العرض والتقرير: إذا بطل تقسيم التصوف، فكان فكرة فلسفية غالية، فكيف يكون حينئذ عموم المتصوفة من أهل السنة؟!

فالجواب أن يقال: هذا التعجب مبني على فكرتين خاطئتين، أولاهما: «تطبيق حكم الفكرة على المنتسبين إليها». فإذا كان التصوف فلسفيًا منحرفًا، فالمتصوفة كذلك. وإذا كان سنيًا خالصًا، فالمتصوفة كذلك. لا، ليس الأمر كذلك، بل البناء الصحيح: التفريق بين الفكرة والمنتسبين إليها. فما كل المنتسبين

متحققون، كما أنهم ليسوا كلهم غير متحققين بالفكرة، بل الأمر بين ذلك».

والجواب: إن حصر التصوف المذموم في الفكرة الفلسفية الغالية وقصر الحكم بالخروج عن السنة على من يتحقق بهذه الفلسفة الغالية ليس بصواب فأئمة السلف حكموا على عموم الخوارج والقدرية والشيعة بالبدعة ولو لم يكن عندهم فلسفة أو محادة لأنهم خالفوا الكتاب والسنة وأحدثوا في الدين ما ليس فيه بأفهامهم الفاسدة لا لقصدهم المحادة ولو قصد المبتدع المحادة لله ومعاندته لكفر ولكن السلف لم يكفروهم لأنهم متأولون وعندهم شبه.

كذلك التصوف كانت بدايته تنطلق من زهد مخالف للزهد الشرعي الذي قرره الكتاب والسنة وعبادة فيها مجاهدات ونظريات ترصد الوساوس والخطرات وتميزٌ عن الأمة بهذا المنهج، يضاف إلى ذلك جهلهم بالشريعة واعتمادهم على الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقول على الله بغير علم وكل هذه مخالفات لهدي الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وفقهاؤها.

فبهذا المنهج المنحرف والتميز به عن الأمة بل عن أهل السنة وارتباطهم به وبشيوخه شذوا عن أهل السنة وحكم عليهم وعلى منهجهم ومؤلفاتهم بالبدعة.

وقد ذكر الكثير من ذلك الإمام ابن الجوزي وهو موجود في مؤلفات الصوفية كالطبقات لأبي عبدالرحمن السُلمي وكالرسالة للقشيري وكالإحياء للغزالي والقوت لأبي طالب المكي والغنية لعبدالقادر الجيلاني، وإذن فالتصوف من بدايته مذموم ومبتدع قبل أن تدخله الفلسفة، فحصر الذم في الفلسفة الصوفية غير صواب فهذا ما يتعلق ببداية التصوف ونشأته وحكم أهله.

أما المتأخرون فقد زادوا على التصوف وفلسفته أشياء وأشياء ليست مقصورة على شيوخهم وزعمائهم بل هي منتشرة في الأتباع كالتعلق بالأولياء وقبورهم ومشاهدهم وكالأوراد المخترعة القائمة على البدع والشركيات والكذب على الله وكالموالد وما فيها من غلو وشركيات أيضًا.

٢- فقول الأخ لطف الله: «وبعد هذا التقصي لأصل التصوف هنا نأتي للتساؤل المنطقي بعد هذا العرض والتقرير إذا بطل تقسيم التصوف فكان فكرة

فلسفية غالية فكيف يكون حينئذٍ عموم المتصوفة من أهل السنة؟ . . . » إلخ

أقول: إن هذا التساؤل والجواب عليه غير صحيح، فلا التصوف في ذاته كله فلسفة إذ هو خليط من بدع شتى ولا الذين انتقدوا التصوف والصوفية حصروه في الفلسفة، ولا أحد من أهل السنة يعتقد في التصوف أنه سني خالص، ولا في المتصوفة أنهم على سنة خالصة فهذا التقسيم لا وجود له.

٣- وقول الدكتور لطف الله: «بل البناء الصحيح التفريق بين الفكرة والمنتسبين إليها فما كل المنتسبين متحققون كما أنهم ليسوا كلهم غير متحققين بالفكرة بل الأمر بين ذلك».

أقول: هذا التفصيل من الأخ مبني على أن التصوف المذموم هو الفلسفة المتمثلة في الحلول ووحدة الوجود فقط التي حكم عليها بالكفر وهو محق مصيب في ذمه والحكم عليه.

ولكن يرد عليه أن التصوف أخلاط وأنواع منها أعمال شركية قبورية وغيرها ومنها أعمال بدعية من صلوات بدعية وأوراد بدعية تخصص بأزمنة معينة وولاءات لطرق معينة ومخاصمات لغيرها ولأهل السنة.

وموالد فيها شركيات وبدع وغلو في شيوخ الطرق وهذه لا شك أنها تخرج العاملين بها عن دائرة السنة إلى دائرة البدع فاتضح أن ما قرره الأخ غير صحيح.

٤- قال الدكتور لطف الله: «فالمتصوفة على درجات:

منهم المتحقق بالتصوف، الذي يصح أن يسمى به حقيقة. ومنهم من هو دون ذلك، يسمى متصوفًا تجوزًا لا حقيقة. وإذا صح هذا التفريق، فيبطل حينئذٍ التسوية بين جميع المتصوفة في الحكم. بل من المتصوفة من هو خارج عن دائرة أهل السنة، وهم المتحققون بالتصوف؛ الصوفية الخُلَّص، الذين يعتقدون بالحلول والاتحاد، والوحدة».

أقول: نعم المتصوفة على درجات ومع أنهم على درجات ففيهم الكافر كالقائلين بالحلول ووحدة الوجود.

ويتفاوتون في الضلال فطريقة صوفية أشد غلوًا وضلالًا من طريقة أخرى

ويتفاوت أهلها في الغلو فيها والالتزام بضلالاتها، وكل طرق الصوفية قائمة على ضلال ولا يصح أن يقال أن هناك صوفية مجازًا أهل سنة حقيقة، لأن أهل السنة هم المتمسكون بالكتاب والسنة في عقائدهم ومناهجهم وعباداتهم على ما قال رسول الله ﷺ حينما تحدث عن الفرق فقال-عليه الصلاة والسلام-: «افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلَّا واحدة. قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي»

فالسني من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وما عدا ذلك من الفرق لا نكفرهم ولكنهم أهل بدع على تفاوتهم في الضلال ومنهم الصوفية على مختلف طرقهم ومناهجهم.

فمن لم يكن على طريق الصحابة في عقيدته ومنهجه فليس من أهل السنة.

وواقع الفرق الصوفية مخالف لهم عقيدة ومنهجًا وعملًا، ويربون أتباعهم على عقائدهم ومناهجهم ويشوهون لهم أهل السنة وعقيدتهم ومنهجهم فينقادون لهم فيصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] فلهم نصيب من هذه الآية لتبعيتهم وتقليدهم الأعمى وإن كان أصلها في الكفار.

٥- وقول الدكتور لطف الله: «ومنهم من هو في دائرة أهل السنة، وهم الذين لم يتحققوا بالتصوف، بل أخذوا ظاهره، من التعبد والزهد، والمجاهدة، ولا إشكال في خروج المتحققين بالتصوف من دائرة أهل السنة، بل من الإسلام، فلا مكان في الإسلام لمن يعتقد بالحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود. إنما الذي قد يستشكل بقاء العموم من المتصوفة في دائرة السنة، مع ما هم عليه من البدع».

أقول: إنَّ المشكلة في حصر الدكتور التصوف المذموم في التصوف الفلسفي المتمثل في الحلول ووحدة الوجود والحكم عليه بالضلال مع حسن ظنه بما عدا ذلك من أنواع التصوف وما لازم التصوف ورافقه من ضلالات تخرج أهلها من دائرة أهل السنة وقد ألمحنا إلى بعضها فيما سلف.

فالدكتور يرى أن التصوف قسمان:

فلسفي فهو ضلال وكفر عنده وهو مصيب في ذلك ولا ينازعه سني صادق فيه.

والقسم الآخر إنما هو تعبد وزهد ومجاهدة»[1].

أقول: ليس هذا فحسب هو واقع عموم الصوفية والتصوف وقد بينت ذلك سلفًا وواقع الصوفية وتاريخهم عامتهم وخاصتهم يؤكد ما ذكرت.

وأنا أدعو الدكتور لطف الله أن يقوم بجولة إلى بلاد المسلمين في العالم وغيرها ليرى بأم عينيه واقع الصوفية العقدي والعملي والمنهجي والسلوكي لعامتهم وخاصتهم، هل هو تعبد وتزهد ومجاهدة فحسب؟ فإن وجده كما ذكر سلمنا له وإن وجده واقعًا مؤلمًا يندى له الجبين كما ذكرت أنا، ويعرفه كل سلفي في العالم، فأرجو من الدكتور أن يغير نظرته هذه وأن يغير حكمه فالأمر ليس بهذه السهولة التي تبدت له وليتذكر قول الرسول الكريم ﷺ: «القضاة ثلاثة...» إلخ.

إن الدكتور يعترف بأن عموم المتصوفة عندهم بدع لكن ما هي هذه البدع؟

إنه يرى أنها تلك التي قد تدخل عليهم في تزهدهم ومجاهدتهم.

وأقول: إن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد كما تصور الأخ إنما هي بدع غليظة تقدم ذكرها أو بعضها فليتنبه لذلك وأرجو أن يدركه بذكائه.

٦- قال الدكتور لطف الله- لطف الله به وبنا-: «وهنا تبرز الفكرة الثانية الخاطئة، وهي: «إطلاق وصف المبتدع على كل من ارتكب بدعة» فهذا خطأ؛ وذلك لأن الأصل في المسلم بقاؤه في دائرة السنة فلا يخرج منها إلا ببرهان، والبرهان ليس مجرد مخالفته للسنة، بل محادته للسنة: فإننا لو أخرجنا كل من خالف السنة بشيء، لما بقي في دائرة السنة أحد؛ فالمخالفة واردة فلا يأمن أحد الخطأ ولا الزلة، سواء في صورة بدعة، أو معصية، حتى الكبار والمتقدمين السابقين. أما المحادُّ، فهو المستحق أن يخرج من دائرة السنة، وهو الذي قد اتخذ منهجًا بدعيًا، وصار عليه، وبنى عليه مذهبه، كمن جعل منهجه العقل، أو الذوق،

---

(١) بل واقع الصوفية عامتهم وخاصتهم ليسوا بهذه الصفات فقد تخلوا عن ذلك من قرون.

يرد بهما النصوص الثابتة فهذا هو المبتدع».

والجواب على هذا المقطع من وجوه:

١- نحن مع الدكتور في تخطئة من يطلق وصف المبتدع على كل من وقع في بدعة «فقد يجتهد المجتهد في طلب الحق مريدًا بذلك وجه الله؛ فيقع في بدعة علمية أو عملية» فلا يجوز أن يبدع بل يعذر عند الله وعند المؤمنين ويصدق عليه قول الله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ويصدق عليه قول الرسول ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

فمن كان على منهج أهل السنة والجماعة عقيدة ومنهجًا ثم وقع في بدعة خفيت عليه أنها بدعة وتخفى على كثير أنها بدعة فلا يجوز التسرع بتبديعه بل ينصح ويبين له أنها بدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته معارج الوصول (ص٤٣):

«وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وفي الحديث الصحيح أن الله قال: «قد فعلت» وبسط هذا له موضع آخر».

وإن كانت من البدع الواضحة كالقول بخلق القرآن أو إنكار رؤية الله أو تعطيل صفات الله ﷻ أو القول بإنكار القدر فقد بدع السلف الصالح وأئمتهم من وقع في هذا الضلال وتبرءوا منهم وكفروا عتاتهم.

وأما من ينشأ في أحضان الروافض أو الصوفية أو الخوارج أو المعتزلة ويترعرع على عقائدهم أو على شيء منها فهذا لا يدخل في دائرة السنة من أصله؛ لأن لهذه الطوائف بما فيهم الصوفية عقائد ومناهج تباين وتناهض عقائد ومناهج أهل السنة فمن هذا حاله لا يقال عنه: «فإننا لو أخرجنا كل من خالف السنة بشيء لما بقي في دائرة السنة أحد»، ولا يقال إنه عنده مجرد مخالفة للسنة.

نعم هناك عوام لا يرتبطون بالصوفية ولا بغيرهم من طوائف الضلال، بل هم

يبغضون بعض الطوائف وما هم عليه من الضلال فهؤلاء -إن شاء الله- من أهل السنة، ولكن البلاء فيمن يرتبط بطرق أهل الضلال ويتولاهم ويحمل شيئًا من عقائدهم الغليظة يوالي ويعادي عليها كما هو واقع عموم الصوفية.

٧- وقول الدكتور: «أما المحاد، فهو المستحق أن يخرج من دائرة السنة، وهو الذي قد اتخذ منهجًا بدعيًا، وصار عليه، وبنى عليه مذهبه، كمن جعل منهجه العقل، أو الذوق، يرد بهما النصوص الثابتة. فهذا هو المبتدع.

وإذا طبقنا هذا الحد في تعريف المبتدع على المتصوفة وجدنا عمومهم يعملون البدعة دون محادة بل ظنًا منهم أنها السنة وآفتهم نقصان العلم ولو علموا لتركوا، ومن هذا حاله لا يخرج من الدائرة».

أقول:

١- إن المحاد المعاند قسمان:

قسم يجعل لنفسه منهجًا بدعيًا يرد به نصوص الكتاب والسنة الصريحة كبرًا وعنادًا لا بالتأويل ولا بالجهل فهذا ليس مبتدعًا فحسب بل هو كافر.

وقسم زين له عمله ومنهجه فرآه حسنًا ويتأول النصوص لأنه يرى نفسه على الحق فهذا يحكم عليه أنه مبتدع لأنه خالف بتأويله سبيل المؤمنين وسلك طرق المبتدعين.

٢- إنَّ هذا التعريف للمبتدع الذي جاء به الدكتور لا أعرفه عن أحد من أئمة الإسلام الذين واجهوا البدع والمبتدعين بعلم وعدل، بل رأيناهم يبدعون من كان على أصول أهل السنة ومنهجهم، ثم وقع في بدعة من البدع الواضحة كبدعة القدر أو الرفض أو بدعة الخوارج، أو المرجئة، أو القول بخلق القرآن، أو حتى التوقف في مسألة القرآن فيقول: القرآن كلام الله ثم يتوقف عن قول أهل السنة: «غير مخلوق» وسموهم الواقفة.

٢- قول الدكتور: «وإذا طبقنا هذا الحد في تعريف المبتدع على المتصوفة وجدنا عمومهم يعملون بالبدعة دون المحادة بل ظنًا منهم أنها السنة وآفتهم نقصان العلم ولو علموا لتركوا، ومن هذا حاله لا يخرج من السنة».

أقول: إن هذا الحد غير مسلَّم وما أعرف أن السلف اشترطوا المحادة في تعريف المبتدع فقد أطلقت البدعة على مرجئة وهم من العباد وعلى غير المرجئة ولكن عندهم تأويلات وشبه.

٢- قولك: «وآفتهم نقصان العلم»

أقول: هذه آفة كل المبتدعة وما ابتدع عالم قط، كما قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ بل «البدعة مشتقة من الكفر» كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- وقول الدكتور: «ولو علموا لتركوا».

أقول: سامح الله الأخ كأنه لم يجرب أهل البدع من الصوفية وغيرهم ولهذا قال: «ولو علموا لتركوا» فليس الأمر عندهم بهذه السهولة ولو كان الأمر بهذه السهولة لما بقي صوفي على صوفيته.

إن أي مبتدع لا يخلو من الهوى الذي يحمله على البقاء على بدعته والتشبث بها ويؤثرها على كل ما قرأ وسمع من الحجج وقوارع الأدلة ولولا هذا الهوى لما بقي في هذه البلاد صوفي، ألا ترى أنهم يدرسون منهج السلف وعقائدهم في كل المراحل الدراسية أو جلّها، ثم لا يرجعون عن باطلهم، وأرجو أن تتصدى لدعوتهم وأن يحقق الله على يديك ما تأمله فيهم:

نعم لا نيأس منهم ولا من غيرهم وارجو أن يقوم من أنعم الله عليهم ووفقهم لاتباع منهج السلف والتمسك به أن ينهضوا بدعوة الصوفية وغيرهم إلى دين الله الحق وصراطه المستقيم.

ولا بد أن يجدوا من كثير من الناس استجابة لا من كلهم، وقد توجد سهولة في قبول الحق والرجوع إليه عند البعض وقد لا يرجع البعض إطلاقًا، وقد يرجع بعضهم بعد جهود وكل ذلك يرجع إلى مشيئة الله الموفق منهم والمخذول.

وقول الأخ: «ومن هذا حاله لا يُخرج من الدائرة».

يقصد به عموم المتصوفة وقد تبين لك حالهم أنهم ليسوا كما تصورهم الأخ وقد بيناه على الوجه الصحيح المطابق لواقعهم وتاريخهم، وأزيده هل عموم التيجانية والرفاعية والنقشبندية والسهروردية والمرغنية والبريلوية وغيرهم من

المتعلقين بالقبور يستغيثون بأهلها ويذبحون لهم ويقدمون لهم القرابين والنذور ويؤمنون بما يمليه عليهم سادتهم وشيوخهم من أوراد وخرافات ورقص يعتبرون من أهل السنة؟!

وهل هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان؟

وأطلب منه مرة أخرى أن يقوم بزيارة بعض البلدان ليرى ماذا يجري من عموم الصوفية عند قبر البدوي والجيلاني وزينب ونفيسة والعيدروس وغيرهم، وماذا يجري عند القبور في الهند وباكستان وغيرهما، وعليه أن يستعين بأهل السنة في هذه البلدان ليُعرِّفوه حقيقة ما يجري ليزداد بصيرة وإني لأكاد أقطع بأن الأخ سوف يغير رأيه وحكمه.

٨- قال د/ لطف الله -لطف الله بنا وإياه-: «قال ابن تيمية: «فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة، فهو مخطئ ضال مبتدع، ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور: مذمومًا معيبًا ممقوتًا فهو مخطئ ضال مبتدع» (الفتاوى ١١/ ١٥).

وبهذا يتبين أن عمومهم لا يستحق وصف المبتدع ومن ثم فهم باقون في دائرة أهل السنة».

أقول: كلام شيخ الإسلام هذا حق ولكنه في العلماء المجتهدين في طلب الحق ومعرفته فإذا بذل العالم المجتهد أقصى وسعه في طلب الحق فعجز عن إدراكه فوقع في الخطأ وهذا حاله فإن هذا معذور مأجور ومن ذمه ومقته فهو المستحق للذم والمقت والتبديع.

وأدلة هذا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد أسلفنا الآية القرآنية والحديث النبوي في هذا، ولكن هذا لا ينطبق على أهل الأهواء ولا على عوام الصوفية وجهالهم الذين يعملون بكل ما هبَّ ودبَّ ويقبلون ما يمليه عليهم شيوخ الصوفية من عقائد وأعمال وأوراد وعندهم هوى، ولا على من يجتهد فيقصر في اجتهاده أو عنده شوب هوى.

قال شيخ الإسلام في القواعد النورانية (ص١٥١- ١٥٢) في بيان الفرق بين أهل العلم والأهواء:

«وسبب الفرق بين أهل العلم وأهل الأهواء- مع وجود الاختلاف في قول كل منهما: - أن العالم قد فعل ما أمر به من حسن القصد والاجتهاد، وهو مأمور في الظاهر باعتقاد ما قام عنده دليله، وإن لم يكن مطابقًا، لكن اعتقادًا ليس يقيني، كما يؤمر الحاكم بتصديق الشاهدين ذوي العدل، وإن كانا في الباطن قد أخطآ أو كذبا، وكما يؤمر المفتي بتصديق المخبر العدل الضابط، أو باتباع الظاهر. فيعتقد ما دل عليه ذلك، وإن لم يكن ذلك الاعتقاد مطابقًا.

فالاعتقاد المطلوب هو الذي يغلب على الظن مما يؤمر به العباد، وإن كان قد يكون غير مطابق، وإن لم يكونوا مأمورين في الباطن باعتقاد غير مطابق قط.

فإذا اعتقد العالم اعتقادين متناقضين في قضية أو قضيتين، مع قصده للحق واتباعه لما أمر باتباعه من الكتاب والحكمة: عذر بما لم يعلمه وهو الخطأ المرفوع عنا، بخلاف أصحاب الأهواء. فإنهم ﴿إن يتبعون إلَّا الظن وما تهوى الأنفس﴾ ويجزمون بما يقولونه بالظن والهوى جزمًا لا يقبل النقيض، مع عدم العلم بجزمه. فيعتقدون ما لم يؤمروا باعتقاده لا باطنًا ولا ظاهرًا، ويقصدون ما لم يؤمروا بقصده، ويجتهدون اجتهادًا لم يؤمروا به. فلم يصدر عنهم من الاجتهاد والقصد ما يقتضي مغفرة ما لم يعلموه، فكانوا ظالمين، شبيهًا بالمغضوب عليهم، أو جاهلين، شبيهًا بالضالين.

فالمجتهد الاجتهاد العلمي المحض ليس له غرض سوى الحق، وقد سلك طريقه، وأما متبع الهوى المحض: فهو من يعلم الحق ويعاند عنه.

وثَمَّ قسم آخر- وهم غالب الناس- وهو أن يكون له هوى، وله في الأمر الذي قصد إليه شبهة، فتجتمع الشهوة والشبهة. ولهذا جاء في حديث مرسل عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات».

فالمجتهد المحض مغفور له، أو مأجور وصاحب الهوى المحض مستوجب

للعذاب، وأما المجتهد الاجتهاد المركب على شبهة وهوى: فهو مسيء. وهم في ذلك على درجات بحسب ما يغلب، وبحسب الحسنات الماحية.

وأكثر المتأخرين- من المنتسبين إلى فقه أو تصوف- مبتلون بذلك «فهذا شيخ الإسلام يفرق بين المجتهد وصاحب الهوى بل يجعل الاجتهاد أشكالًا فإذا كان الاجتهاد غير مشروع وفي غير موضعه التحق بأصحاب الأهواء».

أقول: لو حكمنا لهذه الأصناف بأنهم من أهل السنة لخالفنا النصوص الداعية للأمة جميعًا إلى الاعتصام بالكتاب والسنة والداعية إلى طاعة الرسول ﷺ واتباعه ذلك واجب على عموم المسلمين.

ولخالفنا الآيات والأحاديث الناهية عن مخالفة ما جاء به محمد ﷺ والناهية عن البدع فمن اجتهد في طلب الحق وتحراه ولو بسؤال الثقات من أهل العلم سلم -إن شاء الله- من الذم والعقاب، ومن تهاون في طلب الحق ومشى على ما ورثه عن الآباء وما عليه أهل الأهواء والبدع وتقرب إلى الله بالبدع وإلى القبور وأصحابها بالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء فكيف يرفع من هذا شأنه إلى مصافّ العلماء والأتقياء المجتهدين؟! ومعاذ الله أن يقصد ابن تيمية هذه الأصناف.

وأذكر الأخ لطف الله والقارئ الكريم بما سلف من حال المتصوفة والصوفية على وجه الأرض الآن وقبل الآن.

٩- قال الدكتور لطف الله: «لكن إذا قيل: كيف حكمت أن هذا حال عمومهم، لم لا يكون العكس؟ قيل: دليلنا على أن الكثرة غير متحققة بالتصوف:

١- إن التحقق يحتاج إلى تعلم وذهن قادر على فهم المسائل الصوفية الفلسفية المعقدة، وليس كل المتصوفة لديهم الاستعداد

٢- إن المتحققين بالتصوف يعملون على تعمية حقيقته عن العموم؛ لأن هؤلاء العموم لو أدركوا حقيقة التصوف، لما ترددوا في رفضه لما فيه من الكفر والإلحاد؛ لأن الأصل فيهم فطرة الإسلام، ولأن فيهم صدق التدين.

٣- أنك لو سألت عمومهم عن حقيقة التصوف، ما أجابوا إلّا بما يفيد أنه ذكر

وعبادة، ليس إلا . . !

إذن فالمتحققون قلة، وغير المتحققين هم السواد الأعظم، ومن هنا قلنا: عموم المتصوفة من أهل السنة والجماعة.

وهذه النتيجة المجتناة من هذا البحث، هي عينها ما يقرره ابن تيمية -رحمه الله تعالى- . . !!».

أقول: تقدم الكلام على قوله: «التحقق بالتصوف».

التحقق بوحدة الوجود والحلول:

وأقول: إنه لا يتوقف وصف عموم الصوفية على التحقق بوحدة الوجود والحلول لأن التصوف يشتمل على بدع كثيرة عقائدية وعبادية، والصوفية واقعون فيها قد مر ذكرها.

٢- إن المتحققين بالتصوف وإن عملوا على تعمية الناس عن حقيقة فلسفتهم فإنهم يوقعون أتباعهم في ضلالات وبدع شركية وغيرها وهذا أمر مشهود وواقع ملموس لا يجوز إنكاره أو إغفاله.

٣- وقوله إنك لو سألت عمومهم عن حقيقة التصوف ما أجابوا إلّا بما يفيد أنه ذكر وعبادة ليس إلا . . !

أقول:

أ- قد يعجز الكثير منهم عن الإجابة على هذا السؤال، لأن أئمة الصوفية اضطربوا في تفسير التصوف فكيف بأتباعهم.

ب- وإن أجاب متحذلق منهم بما ذكره الأخ فإنه لا يصدّق فواقع الصوفية بخلاف ما تنطوي عليه الإجابة وقد مر ذكر واقعهم ثم ما هي عبادتهم وذكرهم؟

أليست حتى العبادات والأوراد والأحزاب الصوفية فيها البدع والشركيات واللعب والرقص بل حتى وحدة الوجود قد يسربها شيوخهم إلى عقائدهم.

وقوله: «إذن فالمتحققون قلة، وغير المتحققين هم السواد الأعظم، ومن هنا قلنا: عموم المتصوفة من أهل السنة والجماعة.

وهذه النتيجة المجتناة من هذا البحث، هي عينها ما يقرره ابن تيمية -رحمه الله تعالى-..!!».

أقول: إنَّ هذه النتيجة التي قرَّرها الدكتور مبنية على ما قرَّره فيما سلف من أنَّ التصوف محصورٌ في فلسفة وحدة الوجود والحلول، وقد تبيَّن للقارئ أنَّ هذا التقرير غير صحيح وأنَّ الصوفية تشمل بدعًا كثيرة وشركيات وضلالات غير وحدة الوجود لا حصر لها. ويشهد لما قلته سلفًا وأقوله واقع الصوفية وطرقها سابقًا ولاحقًا.

وأخيرًا؛ ما قرَّره الدكتور يختلف عمَّا قرَّره ابن تيمية وغيره من أهل السنَّة -رحمهم الله- فإنَّ شيخ الإسلام لا يقصد بكلامه إلَّا المجتهدين الاجتهاد المشروع لا هذه الأصناف من الصوفية؛ حيث قال خلال كلامه عن الباطنية وأتباعهم: «وهذا الذي ذكرته حال أئمتهم وقادتهم العالمين بحقيقة قولهم، ولا ريب أنه قد انضم إليهم من الشيعة والرافضة من لا يكون في الباطن عالمًا بحقيقة باطنهم، ولا موافقًا لهم على ذلك، فيكون من أتباع الزنادقة المرتدين، الموالي لهم، الناصر لهم بمنزلة أتباع الاتحادية الذين يوالونهم، ويعظمونهم، وينصرونهم، ولا يعرفون حقيقة قولهم في وحدة الوجود، وأنَّ الخالق هو المخلوق. فمن كان مسلمًا في الباطن وهو جاهل مُعظِّم لقول ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم من أهل الاتحاد فهو منهم، وكذا من كان مُعظِّمًا للقائلين بمذهب الحلول والاتحاد، فإن نسبة هؤلاء إلى الجهمية كنسبة أولئك إلى الرافضة والجهمية، ولكن القرامطة أكفر من الاتحادية بكثير». اهـ

فهذا الكلام في الاتباع الذين لا يعرفون حقيقة عقائد المتبوعين سواء من القرامطة أو من أهل وحدة الوجود والحلول وهذا يخالف ما قرره الدكتور لطف الله ونسبه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية بل لا يعرف سلف للدكتور؛ غفر الله لنا وله وأسأل الله لنا وله التوفيق والسداد ورزقنا وإياه حب الحقِّ واتباعه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

١٥/شعبان/١٤٣٦هـ

حكم الإسلام في شد الرحال
إلى قبور الأنبياء والصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإني قد اطلعت على ما دار بين معالي الشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وبين أناس خالفوه في موضوع شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ ورأيت ما في كلامهم من المخالفة للحق ولما قرره السلف الصالح ورأيت أنهم ليس لهم مستند صحيح من الكتاب والسنة ولا من أقوال أئمة الإسلام السابقين أهل القرون المفضلة، وإنما يتعلقون بهفوات المتأخرين التي لا سند لها من نصوص القرآن والسنة الصحيحة ولا أقوال ولا أعمال السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ولا أقوال أئمة العلم والهدى ومنهم الأئمة الأربعة.

وقبل الخوض في هذه المسألة أقول:

إن محبة الرسول الكريم وخاتم النبيين وإجلاله وتوقيره وطاعته واتباعه والإشادة بمنزلته العظيمة عند الله لمن أوجب ما افترضه الله على الناس عمومًا؛ لأنه رسول رب العالمين إلى الناس والجن أجمعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] فعلامة محبة الله الصادقة اتباع رسول الله ﷺ.

وقال الله تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] فجعل طاعته طاعة له وقرن طاعته بطاعته فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

ومن أعظم طاعته التمسك بما جاء به، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] ومن أعظم التجاوز لحدود الله الابتداع في دين الله.

ومن صحيح سنته ﷺ قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

فلا يكتفى في حقه بمجرد الحب بل لابد من حب يفوق حب الأبناء والآباء والأقربين والناس أجمعين.

وبرهان ذلك: الحرص على اتباع كل ما جاء به وتصديقه وعدم تحريفه أو معارضته بقول أحد كائنًا من كان، فلا يعارض قوله بقول أحد ولا يقدم على هديه هدي أحد ﷺ وهذا مطلوب من كل مسلم فما ثبت من قوله أو فعله أو تقريره أخذناه وتقربنا به إلى الله، وما لم يثبت من قوله وتقريره في أبواب القرب فلا يجوز لمسلم أن يتقرب به إلى الله لأنه من الدين الذي لم يأذن به الله.

فزيارة القبور مشروعة وشد الرحال إليها غير مشروع لا بقول النبي ﷺ ولا بفعله ولا بتقريره بل الصواب أنه منهي عنه ونهى عنه أصحابه بناء على نهيه وتوجيهه؛ فلا يكون مشروعًا بحال من الأحوال فقد روى كل من أبي هريرة وأبي سعيد وأبي بصرة الغفاري وابن عمر حديث:

«لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

أما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

وأما حديث أبي سعيد فأخرجه الشيخان وغيرهما بلفظ: لا تشدوا الرحال... إلخ.

وأما حديث أبي بصرة فأخرجه مالك وأحمد وأبو دواد الطيالسي والنسائي والترمذي بأسانيد بعضها صحيح وبعضها حسن.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه الأزرقي في أخبار مكة بإسناد رجاله رجال الصحيح، والطبراني في الكبير وفي الأوسط من طريق أخرى قال الهيثمي: رجاله ثقات.

ولمّا ذهب أبو هريرة إلى الطور قال له أبو بصرة: «من أين جئت؟ قال: جئت من الطور صليت فيه قال: أما إني لو أدركتك لم تذهب إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد..» الحديث

ونهى ابن عمر قزعة عن الذهاب إلى الطور محتجًّا بنهي النبي ﷺ عن شد الرحال إلّا إلى المساجد الثلاثة.

فاتفق فَهم هؤلاء الثلاثة من أصحاب النبي ﷺ على النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لأجل التقرب إلى الله ولا نعرف لهم مخالف من الصحابة، وفقه الصحابة مقدم على فقه من خالفهم مهما بلغوا من العلم ومن الكثرة، هذا مسلم لدى كل من يحترم سنة رسول الله ﷺ وفقه أصحابه وعلمهم، أما من اتبع هواه فله شأن آخر.

ولقد بذل أئمة السنة جهودًا عظيمة في بيان الحق في هذه المسألة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من الكتب، منها: الجواب الباهر، وجولات في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، وسوف أختار من الأخير فقرات كنت علقت عليها أيام تحقيقي ودراستي له في حدود عام ١٤١٢هـ أسأل الله أن ينفع المسلمين بهذه الفقرات القيمة وما يتبعها من تعليقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فإن أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة، لا يعتمد على شيء منها في الدين؛ لهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئًا منها، وإنما يرويها من يروي الضعاف كالدارقطني والبزار وغيرهما.

وأجود حديث فيها ما رواه عبد الله بن عمر العمري، وهو ضعيف، والكذب ظاهر عليه.

مثل قوله: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» فإنَّ هذا كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين، فإن من زاره في حياته، وكان مؤمنًا به، كان من أصحابه، لاسيما إن كان من المهاجرين إليه، المجاهدين معه».

أقول:

عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن

العمري المدني، ضعيف عابد من السابعة/ م. ٤ تقريب (١/ ٤٣٥). وضعف عبد الله عدد من أئمة الحديث مثل يحيى القطان، وعلي بن المديني، وابن حبان.

لكن هذا الحديث الذي نسبه إليه شيخ الإسلام بهذا اللفظ ليس هو حديث عبد الله العمري، وإنما هو حديث حفص بن سليمان عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر. ولفظ حديث عبد الله بن عمر العمري الضعيف هكذا: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وقد أورد الشيخ نفسه الحديثين في الرد على الأخنائي (ص٤٢، ٤٣) بحاشية الرد على البكري ناسبًا كل حديث إلى راويه على الصواب، وكذلك ذكر ابن عبد الهادي الحديثين في كتابه الصارم المنكي، أورد حديث عبد الله العمري في (ص١١) وناقشه مناقشة علمية إلى (ص٢٧). وأورد حديث حفص بن سليمان في (ص٤٨) وناقشه إلى (ص٦٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «لا تسبُّوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» أخرجاه في الصحيحين.

والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة؛ كالحج والجهاد والصلوات الخمس والصلاة عليه، فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين، بل ولا شرع السفر إليه، بل هو منهي عنه.

وأما السفر إلى مسجده للصلاة فيه، والسفر إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه فهو مستحب والسفر إلى الكعبة للحج فواجب. فلو سافر أحد السفر الواجب والمستحب لم يكن مثل واحد من الصحابة الذين سافروا إليه في حياته، فكيف بالسفر المنهي عنه؟!

وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره -صلوات الله وسلامه عليه- أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره بل ينهى عن ذلك.

أقول:

في مجمع الأنهر للشيخ عبد الله بن محمد بن سليمان المعروف بداماد أفندي

الحنفي (١/ ٥٤٧): «ومن نذر بما هو واجب قصدًا من جنسه، وهو عبادة مقصودة (نذرًا مطلقًا) غير معلق بشرط بقرينة التقابل، مثل أن يقول: للَّه عليَّ حج أو عمرة، أو اعتكاف، أو للَّه علي نذر، وأراد شيئًا بعينه كالصدقة؛ فإن هذه عبادات مقصودة، ومن جنسها واجب، وإنما قيد النذر به؛ لأنه لم يلزم الناذر ما ليس من جنسه فرض؛ كقراءة القرآن، وصلاة الجنازة، ودخول المسجد، وبناء المساجد والسقاية وعمارتها، وإكرام الأيتام، وعيادة المريض، وزيارة القبور، وزيارة قبر النبي ﷺ، وإكفان الموتى، وتطليق امرأته، وتزويج فلانة. لم يلزمه شيء من هذه الوجوه؛ لأنها ليس لها أصل في الفروض المقصودة، كما في كثير من الكتب».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولو نذر السفر إلى مسجده والمسجد الأقصى للصلاة ففيه قولان للشافعي.

أظهرهما عنه: يجب ذلك، وهو مذهب مالك وأحمد.

والثاني: لا يجب، وهو مذهب أبي حنيفة؛ لأن من أصله أنه لا يجب النذر إلَّا ما كان واجبًا بالشرع، وإتيان هذين المسجدين ليس واجبًا بالشرع فلا يجب بالنذر عنده.

وأما الأكثرون فيقولون: هو طاعة للَّه». اهـ

أقول: ويحسن أن نورد أقوال الأئمة الأربعة حول هذه المسألة:

١- مذهب الشافعية:

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الأم (٢/ ٢٥٦): «ولو نذر، فقال عليَّ المشي إلى إفريقية أو العراق أو غيرهما من البلدان لم يكن عليه شيء، لأنه ليس للَّه طاعة في المشي إلى شيء من البلدان، وإنما يكون المشي إلى المواضع التي يرتجى فيها البر، وذلك المسجد الحرام وأحبُّ إليَّ لو نذر أن يمشي إلى مسجد المدينة أن يمشي، وإلى مسجد بيت المقدس أن يمشي؛ لأن رسول اللَّه ﷺ، قال: «لا تشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس»، ولا يبين لي أن أوجب المشي إلى مسجد النبي ﷺ ومسجد بيت المقدس، كما يبين لي أن أوجب المشي إلى بيت اللَّه الحرام؛ وذلك أن البر بإتيان

بيت الله فرض، والبر بإتيان هذين نافلة». وانظر حلية العلماء للقفّال الشاشي (٣/ ٣٤٢).

وقال أبو إسحاق الشيرازي في «المهذب»: «وإن نذر المشي إلى المسجد الأقصى ومسجد المدينة ففيه قولان؛ قال في البويطي يلزمه، لأنه مسجد ورد الشرع بشد الرحال إليه، فلزمه المشي إليه بالنذر، كالمسجد الحرام. وقال في الأم: لا يلزمه، لأنه مسجد لا يجب قصده بالنسك، فلم يجب المشي إليه بالنذر كسائر المساجد».

وانظر حلية العلماء (٣/ ٣٤٢).

وذكر النووي هذين القولين في الإيضاح (ص٥١٨- ٥١٩) مع شرح ابن حجر الهيتمي. وقال ابن حجر الهيتمي هنا (ص٥١٩): «ولو نذر زيارة قبره ﷺ لزم الوفاء به؛ لما علمت أنها في القرب المؤكدة، وكذا زيارة قبر غيره ﷺ مما تسن زيارته؛ لأنها قربة مقصودة».

وهذا من العجائب والغرائب، لقد علم ابن حجر أن مذهب الشافعي استحباب الوفاء بالنذر بالذهاب إلى مسجد رسول الله ﷺ وبيت المقدس وتهيبه من القول بالوجوب خوفًا من الله وورعًا، وأكد ذلك النووي في الإيضاح بأن أصح القولين الاستحباب، وأقرهما ابن حجر على ذلك، ثم بعد كل هذا يرى وجوب الوفاء بالنذر بزيارة القبور؛ لأنها في نظره من القُرَب المؤكدة، فهل لا يلزم الوفاء بنذر شد الرحال إلى مسجد رسول الله ﷺ وإلى بيت المقدس لأنه لا يرقى إلى درجة القُرَب المؤكدة، وقد حضنا رسول الهدى ﷺ إلى شد الرحال إليهما مع أعظم بيوت الله المسجد الحرام.

وإني لأخشى أن يكون هذا الكلام مدسوسًا عليه، فإن كان منه فأرجو أن يكون قد رجع عنه.

وله كلام جيد في هذا الباب من الإنصاف أن نذكره:

قال في كتابه الزواجر: «الْكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ وَالسَّابِعَةُ

وَالثَّامِنَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، وَإِيقَادُ السُّرُجِ عَلَيْهَا، وَاتِّخَاذُهَا أَوْثَانًا، وَالطَّوَافُ بِهَا، وَاسْتِلَامُهَا، وَالصَّلَاةُ إِلَيْهَا»

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «عَهْدِي بِنَبِيِّكُمْ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِخَمْسِ لَيَالٍ فَسَمِعته يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَلَهُ خَلِيلٌ مِنْ أُمَّتِهِ وَإِنَّ خَلِيلِي أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ وَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي بَلَّغْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» الْحَدِيثَ. وَالطَّبَرَانِيُّ: «لَا تُصَلُّوا إِلَى قَبْرٍ، وَلَا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرٍ». وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». وَمُسْلِمٌ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ». وَأَحْمَدُ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالْحَاكِمُ: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ». وَالشَّيْخَانِ وَأَبُو دَاوُد: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». وَأَحْمَدُ عَنْ أُسَامَةَ، وَأَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». وَأَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ وَالنَّسَائِيُّ: «أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ أَنَسٍ: «نَهَى ﷺ عَنْ الصَّلَاةِ إِلَى الْقُبُورِ». وَأَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». وَابْنُ سَعْدٍ: «أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ». وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ».

وَأَيْضًا: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ فَلَعَنَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى».

تَنْبِيهٌ: عَدُّ هَذِهِ السِّتَّةِ مِنَ الْكَبَائِرِ وَقَعَ فِي كَلَامِ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ وَكَأَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرْتُه مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَوَجْهُ أَخْذِ اتِّخَاذِ الْقَبْرِ مَسْجِدًا مِنْهَا وَاضِحٌ، لِأَنَّهُ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقُبُورِ أَنْبِيَائِهِ وَجَعَلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقُبُورِ صُلَحَائِهِ شَرَّ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَفِيهِ تَحْذِيرٌ لَنَا كَمَا فِي رِوَايَةِ: «**يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**»: أَيْ: **يُحَذِّرُ أُمَّتَهُ بِقَوْلِهِ** لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَصْنَعُوا كَصُنْعِ أُولَئِكَ فَيُلْعَنُوا كَمَا لُعِنُوا ؛ وَاتِّخَاذُ الْقَبْرِ مَسْجِدًا مَعْنَاهُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ أَوْ إِلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ فَقَوْلُهُ «وَالصَّلَاةُ إِلَيْهَا» مُكَرَّرٌ إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِاتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ الصَّلَاةُ عَلَيْهَا فَقَطْ، نَعَمْ إِنَّمَا يَتَّجِهُ هَذَا الْأَخْذُ إِنْ كَانَ الْقَبْرُ قَبْرَ مُعَظَّمٍ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ كَمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ رِوَايَةُ: «**إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ**» **وَمِنْ ثَمَّ قَالَ أَصْحَابُنَا**: «تَحْرُمُ الصَّلَاةُ إِلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ تَبَرُّكًا وَإِعْظَامًا» فَاشْتَرَطُوا شَيْئَيْنِ أَنْ يَكُونَ قَبْرَ مُعَظَّمٍ وَأَنْ يَقْصِدَ بِالصَّلَاةِ إِلَيْهِ -وَمِثْلُهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ- التَّبَرُّكَ وَالْإِعْظَامَ، وَكَوْنُ هَذَا الْفِعْلِ كَبِيرَةً ظَاهِرٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا عَلِمْتَ، وَكَأَنَّهُ قَاسَ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ تَعْظِيمٍ لِلْقَبْرِ كَإِيقَادِ السُّرُجِ عَلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَبَرُّكًا بِهِ، وَالطَّوَافُ بِهِ كَذَلِكَ وَهُوَ أَخْذٌ غَيْرُ بَعِيدٍ، سِيَّمَا وَقَدْ صَرَّحَ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ آنِفًا بِلَعْنِ مَنِ اتَّخَذَ عَلَى الْقَبْرِ سُرُجًا، فَيُحْمَلُ قَوْلُ أَصْحَابِنَا بِكَرَاهَةِ ذَلِكَ عَلَى مَا إِذَا لَمْ يَقْصِدْ بِهِ تَعْظِيمًا وَتَبَرُّكًا بِذِي الْقَبْرِ، وَأَمَّا اتِّخَاذُهَا أَوْثَانًا فَجَاءَ النَّهْيُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ بَعْدِي**» أَيْ: لَا تُعَظِّمُوهُ تَعْظِيمَ غَيْرِكُمْ لِأَوْثَانِهِمْ بِالسُّجُودِ لَهُ أَوْ نَحْوِهِ، فَإِنْ أَرَادَ ذَلِكَ الْإِمَامُ بِقَوْلِهِ: «وَاتِّخَاذُهَا أَوْثَانًا» هَذَا الْمَعْنَى اتَّجَهَ مَا قَالَهُ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ كَبِيرَةٌ بَلْ كُفْرٌ بِشَرْطِهِ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ مُطْلَقَ التَّعْظِيمِ الَّذِي لَمْ يُؤْذَنْ فِيهِ كَبِيرَةٌ فَفِيهِ بُعْدٌ[1]، نَعَمْ قَالَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ: قَصْدُ الرَّجُلِ الصَّلَاةَ عِنْدَ الْقَبْرِ مُتَبَرِّكًا بِهَا عَيْنُ الْمُحَادَّةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِبْدَاعُ دِينٍ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ لِلنَّهْيِ عَنْهَا ثُمَّ إِجْمَاعًا، فَإِنَّ أَعْظَمَ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَسْبَابِ الشِّرْكِ الصَّلَاةُ عِنْدَهَا وَاتِّخَاذُهَا مَسَاجِدَ أَوْ بِنَاؤُهَا عَلَيْهَا . وَالْقَوْلُ بِالْكَرَاهَةِ

---

(١) أقول: لا بُعد فيه إلا أن التعظيم الذي لم يأذن به الله قد يكون شركًا وقد يكون غلوًا «وإياكم والغلو في الدين وإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ إِذْ لَا يُظَنُّ بِالْعُلَمَاءِ تَجْوِيزُ فِعْلٍ تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَعْنُ فَاعِلِهِ، وَتَجِبُ الْمُبَادَرَةُ لِهَدْمِهَا وَهَدْمِ الْقِبَابِ الَّتِي عَلَى الْقُبُورِ؛ إِذْ هِيَ أَضَرُّ مِنْ مَسْجِدِ الضِّرَارِ؛ لِأَنَّهَا أُسِّسَتْ عَلَى مَعْصِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ نَهَى عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ ﷺ بِهَدْمِ الْقُبُورِ الْمُشْرِفَةِ، وَتَجِبُ إِزَالَةُ كُلِّ قِنْدِيلٍ أَوْ سِرَاجٍ عَلَى قَبْرٍ وَلَا يَصِحُّ وَقْفُهُ وَنَذْرُهُ انْتَهَى.

٢- مذهب المالكية:

في المدونة (٢/ ٨٧): «وقال مالك: ومن قال: لله عليَّ أن آتي المدينة أو بيت المقدس أو المشي إلى المدينة أو المشي إلى بيت المقدس، فلا شيء عليه، إلا أن يكون نوى بقوله ذلك أن يصلي في مسجد المدينة أو في مسجد بيت المقدس. فإن كان تلك نيته وجب عليه الذهاب إلى المدينة أو إلى بيت المقدس راكبًا». وانظر الكافي لابن عبد البر (١/ ٤٥٨).

ويفهم من استثناء مالك الصلاة فقط من صور الأعمال التي يشملها نذر المشي إلى المدينة وإلى بيت المقدس، ومنها مثلًا زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الشهداء في المدينة وقبر الخليل وسائر قبور الأنبياء في بيت المقدس، أنه لا يجب ولا يشرع شد الرحال إلى قبر نبينا محمد ﷺ ولا إلى قبر غيره من الأنبياء والصالحين ولا يجب ولا يستحب الوفاء بالنذر بالمشي إليها ولو كان يرى شيئًا من هذا لاستثناه كما استثنى الصلاة، وهذا يدل على قوة اتباعه للكتاب والسنة وتمسكه بهما وبعده عن الغلو والبدع التي قال الله في شأنها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وقول رسول الله ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». وقوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». فليت أتباعه يقفون حيث وقف لأن الدين توقيفي.

٣- مذهب الحنابلة:

قال ابن قدامة في المغني (١٠/ ١٦): «وإن نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ، أو المسجد الأقصى لزمه ذلك. وبهذا قال مالك والأوزاعي، وأبو عبيد، وابن المنذر، وهو أحد قولي الشافعي، وقال في الآخر: «ولا يبين لي وجوب المشي

إليهما؛ لأن البر بإتيان بيت الله فرض والبر بإتيان هذين نفل».

٤- مذهب الأحناف:

في البحر الرائق (٣/ ٨١): «ولو قال: عليّ المشي إلى بيت الله الحرام، ولم يذكر حجًا ولا عمرة لزم أحد النسكين استحسانًا، فإن جعله عمرة مشى حتى يحلق، إلّا إذا نوى به المشي إلى مسجد المدينة أو مسجد بيت المقدس أو مسجد من المساجد، فإنه لا يلزمه شيء». ويفهم من موقفهم هذا ما يفهم من موقف مالك رحم الله الجميع ووفق الأمة لسلوك منهجهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

وأما السفر إلى زيارة قبور الأنبياء الصالحين فلا يجب بالنذر عند أحد منهم لأنه ليس بطاعة.

فكيف يكون من فعل هذا كواحد من أصحابه؟ وهذا مالك كره أن يقول الرجل: زرت قبر رسول الله ﷺ واستعظمه.

وقد قيل: إن ذلك لكراهية زيارة القبور.

وقيل: لأن الزائر أفضل من المزور.

وكلاهما ضعيف عند أصحاب مالك.

أقول: زيارة القبور مشروعة وكان رسول الله ﷺ قد نهى عنها من باب سد الذرائع؛ لأن الأمم السابقة فتنت بقبور أنبيائها وصالحيها حتى أوقعهم الشيطان كرات ومرات في هوة الشرك بهم واتخاذهم أندادًا مع الله، وأول فتنة من فتن الشرك وقعت لقوم نوح إذ تعلقت قلوبهم بود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وهم رجال صالحون فجعلوهم أندادًا مع الله.

من أجل ذلك وأمثاله نهى رسول الله أولًا عن زيارة القبور، ولما رسخت عقيدة التوحيد في قلوب أصحابه الكرام وأمن عليهم الفتنة رخص لهم في زيارتها، وبين لهم الغاية من زيارتها وهي أنها تذكرهم الآخرة، هذه واحدة، والأخرى ليستفيد الأموات من دعاء إخوتهم الأحياء.

وإذا كان الأمر كذلك، والهدف الأول وهو تذكرة الآخرة، أمر يتحقق بزيارة القبور القريبة والمجاورة، حتى ولو كانت قبور قوم مشركين اكتفى الشارع الحكيم بالحد الأدنى الذي يحقق الغرض الشرعي مع تحفظات كثيرة تسد ذرائع الفتنة والشرك:

منها: ألَّا يقولوا هجرًا، ومنها: ألَّا تتخذ مساجد، ومنها: ألَّا يبنى عليها، ولا تجصص، ولا يصلى عليها ولا إليها، اكتفى بالحد الأدنى مع هذه الاحتياطات والتحفظات. ولم يشرع أبدًا السفر إليها وشد الرحال إليها، لا بقوله ولا بفعله.

وآية ذلك: أن هذا الأمر لم ينزل فيه قرآن، ولم يثبت فيه حديث من قول رسول الله أو فعله، فلو كان مشروعًا لتحقق فيه كل ذلك وَلَسَنَّ لنا رسول الله ذلك برحلات ورحلات إلى قبور الأنبياء والصالحين. ولملئت الدواوين برحلات الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، ونحن نجد دواوين الإسلام من صحاح وسنن ومسانيد وكتب فقه السلف الصالح قد سجلت كل حقوق الأموات من عيادتهم وهم مرضى إلى غسلهم وتحنيطهم وتشييعهم ودفنهم وزيارتهم والاستغفار لهم والدعاء لهم والنهي عن الجلوس على قبورهم، ومن جهة أخرى لحماية عقيدة الأحياء من المسلمين نهى عن البناء على قبور الأموات بأي شكل وبأي صورة لا مساجد ولا مطلق بناء ولا بتجصيص.

كل هذا قد طفحت به دواوين الإسلام التي نوهنا عنها، خالية خلوًا كاملًا من حديث نبوي صحيح أو حسن، ومن أقوال الصحابة والقرون المفضلة، ومن أقوال أئمة الهدى من شيء له تعلق بقضية السفر إلى القبور؛ فهذا الإمام مالك لا تجد له كلمة في موطئه تشير إلى السفر وشد الرحال إلى قبر رسول الله ﷺ ولا إلى قبر غيره، وهذه كتب تلاميذه التي دونوا فيها فقه هذا الإمام لا تجد فيها بابًا ولا فصلًا ولا حديثًا يحث المسلمين على شد الرحال والسفر إلى قبر النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين.

وهذا الإمام الشافعي يدون فقهه العظيم في الأم وغيرها، فلم يعقد بابًا

ولا فصلًا، ولم يذكر حديثًا واحدًا بشأن السفر إلى قبور الأنبياء. وهذا الإمام أحمد بن حنبل وهذا مسنده العظيم ومسائله التي دونت في كتب لا تجد لهذه المسألة فيها أثرًا ولا خبرًا.

وهذان الصحيحان، وبقية الأمهات الست وأخواتها من دواوين الإسلام المعتبرة، خلت خلوًا كاملًا عن قضية شد الرحال والسفر إلى قبر النبي ﷺ أو إلى قبور غيره من الأنبياء.

وهذه كتب أبي حنيفة وأصحابه أبي يوسف ومحمد نبحث فيها، فلا نجد فيها ذكرًا لهذه المسألة.

فما هو السر إذن في عمل هؤلاء الصحابة والتابعين والأئمة من الفقهاء والمحدثين؟

ويجب أن يقف جميع العقلاء متسائلين: هل ينقصهم حب رسول الله ﷺ؟ هل كان هناك مادة خصبة وأحاديث وآثار ثرة أهملوها بل كتموها ودفنوها كما فعلوا بوصية علي في نظر الباطنية وغلاة الرفض؟ إن المنتسبين إلى السنة على اختلاف اتجاهاتهم بحمد الله لا يظنون بسلفهم هذا الظن السيئ، ولكنها الغفلة ودغدغة شياطين الإنس والجن لعواطف الحب العمياء التي لا تميز بين حق وباطل، وبين جفاء وإفراط وإطراء، إنه ليس بأيدي المتحمسين لهذه المسألة مسألة شد الرحال إلى القبور التي يبالغون فيها وقد يكفرون من يخالفهم إلا غثاء وسرابٌ من الأحاديث الباطلة لا يدعمها كتاب ولا سنة، ولا قول صحابي ولا إمام من أئمة الإسلام.

إنا نقول لهؤلاء ما نقتبسه من قول الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، نقول لكم: قوموا مثنى وفرادى وجماعات وشكلوا لجانًا واعقدوا مؤتمرات وفكروا في كل ذلك وقلبوه بطنًا لظهر، لماذا أهمل سلفكم الصالح -وأقصد بهم القرون المفضلة- هذه القضية المهمة؟ ولماذا لم يحتفوا بها ويسجلوها في دواوينهم الفقهية والحديثية والعقائدية؟

هل أصابتهم جنة أو جفاء أو أن القضية لا أساس لها؟ لعل احترامكم لسادة هذه الأمة وسلفها الصالح وحسن ظنكم بهم يدفعانكم إلى الاعتراف بالحقيقة.

والواقع أن رسول الله ﷺ لم يفعل ولم يأمر بشيء من هذا، بل عمل عكس هذا تمامًا من الاحتياطات والتحفظات التي ذكرناها، وما أروعها وأنصفها وأوضحها وأكثرها وأبركها على الأمة! ونؤكد هذا بقوله ﷺ «لا تجعلوا قبري عيدًا». وفعل أصحابه تنفيذًا لهذا التوجيه السديد وأمثاله؛ حيث دفنوه في حجرته خشية أن يتخذ قبره مسجدًا، كما قالته عائشة ورواه الشيخان وغيرهما.

وما كانوا يأتون قبره، كما روى ذلك عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع قال: «كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه وأخبرناه عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر».

فهذا الإمام عبيد الله بن عمر من كبار البيت العمري وكبراء علماء المدينة لا يعلم أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ كان يفعل مثل فعل ابن عمر من إتيانه قبره ﷺ للسلام عليه وذلك لأنهم كانوا يكتفون بالسلام عليه عند دخول مسجده وعند خروجهم منه وفي أثناء الصلوات المكتوبة والمسنونة في المساجد والبيوت وغيرها ويكتفون بالصلاة عليه في كل مكان ويعلمون أن من صلى على النبي ﷺ صلاة واحدة في أي مكان أو زمان صلى الله عليه بها عشرًا.

هذا بالإضافة إلى ما سمعوه من قول النبي ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وصلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»

وسمعوه يقول: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة: «يحذر ما صنعوا».

وقال مالك إمام دار الهجرة لما سمع أن أناسًا يترددون على قبر النبي ﷺ: «ما علمت أحدًا فعل ذلك ممن مضى ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»

ولا يجوز للمسلمين أن يغلوا في قبر النبي ﷺ ولا في قبر غيره فيتشبهوا باليهود

والنصارى فيستحقون ما استحقوه من اللّعن نعوذ بالله من ذلك.

وفّق الله الأمة الإسلامية للاحتكام إلى كتاب ربّها وسنّة نبيها واتّباع سلفها الصالح.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

ربيع بن هادي المدخلي

٢٨/ذي القعدة/١٤٢٥هـ

براءة الصحابة الأخيار

من التبرك بالأماكن والآثار

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم

بوزيد بلقاسم



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب للدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، سماه بـ «الآثار النبوية بالمدينة المنورة ووجوب المحافظة عليها وجواز التبرك بها»[1].

وهذا فيما يبدو لي أن من بواعثه حب النبي ﷺ لكن هذا الحب جر القاري ومن على مذهبه في التعلق بالآثار إلى ما يبغضه الله ورسوله ألا وهو: الغلو في حب النبي ﷺ وحب آثاره والتعلق بها والحث على تتبعها والتبرك بها، والحق أن حب الله وحب أنبيائه ورسله والمؤمنين أمرٌ أوجبه الله وشرعه لعباده، والله تعالى يُحَبُّ لذاته، والأنبياء والرسل والملائكة والمؤمنون يحبون من أجل الله.

لكن هذا الحب قد ضبطه الله ورسوله ﷺ بالتوسط والابتعاد عن الغلو، والغلو: هو الزيادة في الأشياء عمّا شرعه الله وحدَّه.

فالمؤمن يحب الله تعالى، ويقبل على عبادته من صلاة وصيام وذكر وغير ذلك.

فإذا زاد في هذه العبادات عمّا شرعه الله على لسان رسول الله ﷺ تقربًا إلى الله وحبًا فيه، اعتبرت هذه الزيادة غلوًا، ولو كان باعثها حب الله وطلب الزلفى لديه.

فعن أَنَس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي ﷺ

---

(١) صدر هذا الكتاب في هذا العام ١٤٢٧ هـ.

يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبي ﷺ فلما أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي ﷺ؟! قد غُفِرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قال أَحَدُهُمْ: أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقال آخَرُ: أنا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ وقال آخَرُ: أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رسول اللَّهِ ﷺ فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا والله إني لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ له لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

فالذي يحب الله ويخشاه لابد أن ينضبط بهدي محمد ﷺ وسنته في عبادته لله المعبرة عن حبه وخشيته لله ﷻ، فإن زاد عن ذلك كانت هذه الزيادة مؤذنة عن رغبته عن سنة رسول الله، ومن رغب عن سنة رسول الله ﷺ فليس هو من رسول الله ﷺ، ورسول الله بريء من هذا الغلو.

وحب رسول الله ﷺ من أوجب الواجبات، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[2].

ومع ذلك فقد نهى رسول الله ﷺ عن إطرائه، فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[3].

ولما قال بعض أصحابه: أنت سيدنا وابن سيدنا، قال ﷺ: «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان»[4].

فهذه بعض الضوابط التي وضعها رسول الله ﷺ لضبط هذا الحب قولًا كان أو فعلًا.

وللزجر عن الغلو المُهلك الذي أهلك من قبلنا قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ في الدِّينِ، فإنه أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ في الدِّينِ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٦) ومسلم (١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، حديث (٣٤٤٥) وأحمد (١/ ٢٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١) وأبو داود في الأدب (٤٨٠٦).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢١٥-٣٤٧) والنسائي في المناسك (٥/ ٢٦٨/ رقم: ٣٠٥٧) وابن ماجه في المناسك حديث (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس، وإسناده صحيح.

ومن الغلو الذي أهلك اليهود والنصارى: قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابنُ الله أو هو الله أو ثالث ثلاثة.

ومن غلوهم المُهلك: اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، قال ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1].

ومن غلوهم المهلك: تتبعهم لآثار أنبيائهم وجعلها كنائس وبيعًا.

وقال الله تعالى زاجرًا لهم عن هذا الغلو بكل أصنافه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي هذا زجر شديد لهذه الأمة المحمدية.

ومن هنا جاء زجرُ النبي ﷺ أمته عن الغلو.

فمن غلا من هذه الأمة في عبادته لله، أو تعظيم رسول الله أو غيره من الأنبياء والصالحين فإنما سلك طريق اليهود والنصارى الباطل المؤدي إلى الهلاك.

فهل يعتبر المسلمون بذلك فينضبطوا بهذه الضوابط الإلهية والنبوية فيبتعدوا عن الغلو ويسلكوا سبيل الرشاد والتوسُّط الذي مدح الله به هذه الأمَّة فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإنِّي لأرَى الدكتور عبد العزيز القاري في كتابه هذا قد خرج عن هذا المنهج الوسط فكتابه هذا دعوة صارخة إلى الغلو الذي سلكه أهل الكتاب فهلكوا بسببه، فماذا يريد عبد العزيز القاري ؟!.

الظاهر أنه لا يريد إهلاك أمَّة محمد ﷺ، ولكنه أُتي من جهله بهذا المنهج أو من غفلته ونسيانه له إن كان قد فهمه واستوعبه من دراسته للمنهج السلفي فأنساه الشيطان ذكره.

وإني لأرجو له العودة الجادة لهذا المنهج الذي هو سفينة النجاة لهذه الأمَّة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٢٩).

مناقشة العنوان

عنوان الكتاب كما أسلفت: «الآثار النبوية بالمدينة المنورة ووجوب المحافظة عليها وجواز التبرك بها».

أقول:

١- إنَّ كلًّا من الوجوب والجواز من الأحكام الشرعية، والإيجاب والتحريم والتحليل من حق الله وحده والرسول مبلغ عنه.

فهل القاري تلقى هذا الوجوب والتحليل عن الله تعالى، أو عن رسوله ﷺ !؟.

لم يأت بدليل عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ على وجوب المحافظة على هذه الآثار وجواز التبرك بها.

٢- يواجه القاري إشكال كبير وهو: إذا كان الحفاظ على هذه الآثار من الواجبات فلماذا لم يقم الصحابة الكرام بهذا الواجب؟!!

فهل يرى القاري أن الصحابة جهلوا هذا الحكم وعلمه هو ومن يرى رأيه؟!!

أو أن الصحابة علموا هذا الحكم، لكنهم تهاونوا في القيام به وقصروا فيه ونهض به القاري لقوة إدراكه وشعوره بأهمية وجوبه.

المآخذ الإجمالية

أما الكتاب فعليه مآخذ أساسية منها:

١- من جهة تأصيله للتبرك غير المشروع.

٢- ثم رتب على هذا التأصيل تفريعات وقياسات فاسدة لم يسبقه إليها أحد.

٣- مخالفته للنصوص النبوية والأصول الشرعية التي انطلق منها الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب ﷺ ومعه الصحابة الذين نهوا عن تتبع الآثار النبوية وتابعهم على ذلك العلماء الواعون لما يترتب على تتبع الآثار من مفاسد وكذلك

البناء عليها والصلاة فيها .

٤- حماسه في الدعوة إلى التبرك بهذه الآثار، فأداه ذلك إلى :

٥- الاستدلال بالأحاديث و الآثار الضعيفة والشديدة الضعف .

٦- وإلى معارضته للأحاديث الصحيحة أو تجاهلها .

٧- وإلى معارضته لأصل أصيل ألا وهو سد الذرائع .

٨- وإلى أخطاء في الاستدلال ببعض الأحاديث الصحيحة وإنزالها غير منازلها .

٩- وإلى قياسه التبرك بالأمكنة -التي نزلها رسول الله ﷺ أو صلّى فيها والتي لا يثبت غالبها- على ما انفصل من جسده الشريف مثل : شعره و ريقه و عرقه ﷺ وقد فرق بين النوعين أفقه الناس وهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان .

١٠- إنه لا فرق عنده بين التأسي بأعمال رسول الله ﷺ في الأماكن التي نزلها أو صلى فيها بحكم الاتفاق والأماكن التي قصدها بالتعبد وقصد إلى تخصيصها بتلك العبادة كالطواف بالبيت وبين الصفا والمروة والوقوف بعرفة وسائر المناسك، الأمور التي يجب التأسي به فيها ومنها ما يسن .

لا فرق عنده بين هذه الأماكن المقصودة منه ﷺ وبين الأماكن التي نزلها أو صلى أو جلس فيها بحكم الاتفاق .

١١- عدم تفريقه بين التأسي المشروع والتبرك البدعي الممنوع .

١٢- حملته الشديدة على العلماء الذين أفتوا بهدم بعض المساجد التي شيدت على آثار مزعومة والتي اتخذها أهل البدع أعيادًا يرتكبون فيها من البدع والأعمال الشركية ما يحتم هدم تلك المساجد التي هي من جنس المساجد التي لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارى من أجلها ومن جنس القبور التي أمر الرسول ﷺ بهدمها .

وشدد الحملة على جهات مسئولة لتنفيذها فتاوى العلماء تعاونًا منها على البر والتقوى وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المناقشات التفصيلية للكتاب

تصنيف القاري للآثار

- قال القاري (ص١):

«الآثار في رأيي ثلاثة أصناف:

١- آثار تاريخية يهتم بها دارسو التاريخ والحضارة والمهندسون.

كأنواع المباني القديمة، والمدن القديمة، والأدوات الحضارية التي تكشف عنها الحفريات، من أوان ونقود وأسلحة ونحوها، وأوضح مثال لهذا النوع مدائن صالح في الشمال الغربي للمملكة والأخدود في نجران في الجنوب الغربي».

ثم أعطى هذا الصنف حكمه فقال: «وهو نوع من الدراسات التاريخية والحضارية وربما الهندسية لا يلامون عليه فلكل علم أهله».

أقول:

١- العناية بالآثار في هذا العهد على الوجه الذي يسلكه الآثاريون لم يكن معروفًا على عهد الصحابة -رضوان الله عليهم- والسلف الصالح -رحمهم الله-.

وإنما يقلد فيه المسلمون الأوروبيين والأمريكان الذين من أعظم أهدافهم من دراسة الآثار في بلدان المسلمين إنما هو إحياء القوميات الجاهلية من فرعونية وبابلية وفينيقية... إلخ.

ونجحوا إلى حد بعيد في تحقيق كثير من هذه الأهداف ونشأت في بلاد الإسلام النعرات القومية الجاهلية والاعتزاز بهذه القوميات.

٢- وإني لأتعجب من تمثيلك بمدائن صالح والأخدود التي هي من مواطن غضب الله!!.

قال الإمام البخاري[1] رحمه الله: حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي حدثنا

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث (٤٤١٩-٤٤٢٠).

عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر ﷺ قال: لما مرَّ النبي ﷺ بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين» ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم».

دل الحديثان على:

١- خطورة دخول مواطن من غَضِبَ الله عليهم وأهلكم بسبب كفرهم وتكذيبهم للأنبياء وما جاءوا به.

٢- لم يُجِز النبي ﷺ دخولها إلا لمن يخاف الله ويخشى عذابه فيدخلها عند الحاجة باكيًا.

٣- يُخشى على من يدخل ديار المعذبين أن يصيبه من العذاب ما أصاب هؤلاء المعذبين.

٤- مشروعية الإسراع لمن أتى على هذه الديار مع تغطية وجهه تأسيًا برسول الله ﷺ.

فهل يفقه المسلمون، ومنهم الآثاريون ومشجعوهم ما في هذا التوجيه النبوي الصادر من الذي لا ينطق عن الهوى.

وكذلك شرع رسول الله ﷺ الإسراع لمن يمر بوادي مُحَسِّر؛ لأن الله أهلك فيه أصحاب الفيل.

فالذين يُنَقِّبُون عن آثار عادٍ وثمود وأصحاب الأخدود، وعن آثار الفراعنة وآثار البابليين هل ينطلقون من توجيهات رسول الله ﷺ أو هم مقلدون لأعداء الله الذين نصبوا لهم شراك التنقيب عن آثار الهالكين ليعتزوا بها اعتزاز الجاهليين؟!

ثم يقوم على ذلك التفرق والتعصبات القومية والجاهلية والعداوات والبغضاء والحروب.

ولقد قرأت أنا وغيري افتخار كثير من المسلمين أو المنتسبين إلى الإسلام بمثل قول بعضهم «فافخر أيّها المصري ببناة مجدك حينما كان الناس نومًا»، يفتخر بالآثار الفرعونية كالأهرامات وغيرها!!

ويقول أحمد شوقي في تمجيد الفراعنة:

أين الفراعنة الذين استذرى	بهم عيسى ويوسف والكليم المُصْعَقُ
الموردون الناس منهل حكمة	أفضى إليها الأنبياء ليستقوا
الرافعون إلى الضحى آباءهم	فالشمس أصلهم الوضيء المعرقُ
وكأنما بين البلى وقبورهم	عهدٌ على أن لا مساس وموثقُ
فحجابهم تحت الثرى في هيبة	كحجابهم فوق الثرى لا يُخرقُ
بلغوا الحقيقة من حياة علمُها	حُجب مكثفة وسرٌّ مُغلقُ
وتبينوا معنى الوجود فلم يروا	دون الخلود سعادة تتحققُ

أي: أنه يفتخر بالفراعنة الذين يدّعي أن هؤلاء المرسلون عاشوا في ظلالهم!

وانظر إلى هذا الغلو الشديد في تمجيد الفراعنة والغلو في صفاتهم وأحوالهم وإلى أي مستوى رفعهم شوقي.

ومع خطورة الاهتمام بهذه الآثار فقد أعطى القاري هذا الصنف حكمه فقال: «وهو نوع من الدراسات التاريخية والحضارية وربما الهندسية ولكل علم أهله» ونسي ما تؤدّي إليه هذه الدراسة!

وأقول:

ألا ترى أن في موقف الرسول ﷺ من آثار ثمود ومصرعهم، وموقفه من مصرع أصحاب الفيل، ما يفيد المسلم الفقيه: الزهد والانصراف عن الاهتمام بهذه الآثار والدعاية لها والازدراء لمن يعتني بها.

وقل مثل ذلك في آثار قوم لوط، وقوم شعيب، وقوم فرعون، وآثار هؤلاء الدالة على غضب الله عليهم.

وقولك: «فلكل علم أهله» ماذا تعني؟!

ألا ترى أن الشريعة الإسلامية شاملة لكل الأحكام على كل الناس في دينهم ودنياهم وتصرفاتهم؟! وهل معظم هؤلاء الآثاريين يعرفون أحكام هذه الآثار ويلتزمونها؟.

ثم استدرك القاري فقال: مع أن الكشف عن آثار من قبلنا من الأمم داخل في معنى الاعتبار المأمور به في القرآن.

ثم ساق قوله تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ.....﴾ الآيتين.

فهل يريد القرآن هذه الطريقة التي يسلكها الأوربيون لإحياء آثار الجاهلية والكشف عن آثار الأمم عن طريق الحفريات والتخرصات عن تواريخها الخيالية والتقديرات بملايين السنين[1].

أو أن الإنسان إذا مر بها ينبغي له أن يمر وفرائصه ترتجف خوفًا من أن ينزل به ما نزل بأهل هذه الآثار كما علمنا الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-؟!

رأي القاري في الصنف الثاني ومناقشته فيه

قال القاري (ص١):

«(٢) آثار خرافية وهذه يُعنى بها (الخرافيون) وأكثرها يدور حول القبور وما يقام عليها من أضرحة ويبنى عليها من مساجد وأوضح مثال له في المملكة: ضريح آمنة أم الرسول ﷺ بالأبواء، وكان قائمًا إلى عهد قريب وضريح «علي العريضي» بحرة العريض بالمدينة النبوية عليه مسجد ومنارة وكان يأتي بعض الخرافيين من حضرموت وغيرها فيعكفون عنده أيامًا، وعكف أحدهم شهرًا، «وعلي العريضي» هذا من آل البيت من أحفاد جعفر الصادق، وقد تم هدم المسجد والضريح، وبالغ من هدمهما فنبش القبر، وأخطأ في ذلك، ولو اكتفى بهدم البناء الذي عليه وأبقاه مسوى بالأرض لكفى لأن النبي ﷺ قال لعلي: «.. وألا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته» لم يقل: (نبشته)!!.

---

(١) لقد حمل القاري نصوص القرآن ما لا تحتمله.

وذكر حكم هذا الصنف في (ص٥) فقال:

«أما الصنف الثاني فهو ما يجب أن نحاربه ونعلن النكير عليه لما فيه من ذريعة الشرك ولمخالفته الصريحة للنصوص الثابتة الدالة على تحريم البناء على القبور وذم شأن من فعل ذلك من اليهود والنصارى وتحذير هذه الأمة من تقليدهم».

أقول:

كنت أتمنى للقارئ أن يتوسع في الكلام على هذا الصنف ويبين ما يفعله الخرافيون عند القبور في مختلف البلدان من الشركيات الكبرى، كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد وشد الرحال إليهم والتقرب بالذبائح والنذور لهم وإقامة الأعياد لهم واجتماع ألوف الألوف في أعياد بعض أهل هذه المشاهد والمساجد من رجال ونساء وارتكاب المنكرات في هذه المناسبات.

وتمنيت أن يذكر النصوص النبوية في شأنها ويبين فقهها ومدى مخالفات الخرافيين لها.

بل أتمنى أن يحقق كتابًا من كتب التوحيد ويجول فيه بتعليقات قوية واضحة تدل على حبه للتوحيد وبغضه للشرك!!

أما أن يمر مرور الكرام عند الحكم على هذا الصنف فيشير إشارة إلى النصوص دون

أن يذكرها ويقف عندها طويلًا كما وقف عند الكلام عن الآثار التي يزعم أنها نبوية وساق ما يراه أدلة وشدد النكير وأرغى وأزبد على من يهدمها.

وكذلك اكتفى بالحديث عن البناء على القبور بقوله: «إنها من ذرائع الشرك» ولا يدري أن أكثر من يرحبون بكتابه وينشرونه لا يعرفون ما هو الشرك وما هي ذرائعه؟!

كنت أتمنى للقارئ أن يتحدث عن كثرة المشاهد والمساجد التي بنيت على القبور في العالم الإسلامي ويشدد النكير على من يبني هذه المساجد والمشاهد وعلى رواد هذه المساجد والمعابد ويبين حكم الله فيها وفي أهلها، وينادي بهدمها قبل أن ينادي ببناء الآثار التي لا يتباكى على هدمها إلا الخرافيون ولا يفرح بالإشادة بها والمناداة ببنائها إلا الخرافيون!!

رأي القاري في الصنف الثالث

قال القاري (ص٧):

«أما الصنف الثالث فهو ما ينبغي أن نُعنى به ونحافظ عليه تأسيًا بالصحابة والتابعين الذين فعلوا ذلك بمحضر من بعض الصحابة وعلى رأس التابعين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ الذي كان أول من تتبع المواقع النبوية وبنى عليها المساجد عندما كان أميرًا على المدينة وقد شاور في ذلك من حضره من الصحابة وشاور كبار التابعين بالمدينة فدلوه على هذه المواقع».

أقول:

١- إن أمور الدين أو الأمور المتصلة بالعقيدة لا تبنى على الحكايات التي لا تثبت.

٢- في كلامك اضطراب!

فأولًا تقول: «فهو ما ينبغي أن نُعنى به ونحافظ عليه تأسيًا بالصحابة والتابعين الذين فعلوا ذلك».

ثم تقول: «بمحضر من بعض الصحابة وعلى رأس التابعين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ الذي كان أول من تتبع المواقع النبوية... إلخ.

وتقول في موضع آخر: «بمحضر خمسة من صغار الصحابة»! والواقع أن كلّ ذلك لا يثبت!

فهلا قلت لنا: قال رسول الله ﷺ: اعتنوا بمواقعي وحافظوا عليها. أو فعل رسول الله ذلك بهذه المواقع التي تقول: إن عمر بن عبد العزيز تتبعها وبنى عليها المساجد.

أو قلت: فعل ذلك الخلفاء الراشدون المهديون ومعهم باقي الصحابة الكرام وسقت الأدلة الصحيحة على هذه الدعوى العريضة؟!

ثم من هم الصحابة الذين حضروا فعل عمر بن عبد العزيز وهو يبني المساجد على هذه المواقع، وهل كانوا يشاركون في بناء هذه المساجد كما شاركوا في بناء

مسجد رسول الله ﷺ وشاركوا في حفر الخندق؟!

ومن هم كبار التابعين الذين شاوروا عمر بن عبد العزيز ببناء هذه المساجد؟!

ومن هم الصحابة والتابعون الذين دلوا عمر بن عبد العزيز على هذه المواقع على كثرتها بدقة؟!

وأين هؤلاء الصحابة وكبار التابعين من المشورة على الخلفاء الراشدين ليقوموا بهذا العمل وهذه المحافظة على هذه الآثار؟!

أليس في انصراف الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين وصحابته الأكرمين عن العناية بهذه الآثار دليل واضح على عدم مشروعية العناية بالآثار؟!

٣- أحال الدكتور القاري بهذا الكلام على تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٧٤) فوجدنا فيه الحكاية الآتية:

«قال أبو غسان: وقال لي غير واحد من أهل العلم من أهل البلد: إن كل مسجد من مساجد المدينة ونواحيها مبني بالحجارة المنقوشة المطابقة، فقد صلى فيه النبي ﷺ، وذلك أن عمر بن عبد العزيز ﷺ حين بنى مسجد رسول الله ﷺ سأل - والناس يومئذ متوافرون - عن المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة».

أقول:

الكلام على هذه الحكاية من وجوه:

الوجه الأول: راوي هذه الحكاية هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني أبو غسان المدني، قال فيه أبو حاتم: «شيخ». الجرح والتعديل (٨/ ١٢٣).

وقال النسائي: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما خالف، وقال أبو بكر بن مفوز: كان أحد الثقات المشاهير يحمل الحديث والأدب والتفسير.

قال هذا الكلام ردًّا على ابن حزم الذي قال فيه: مجهول[1].

وقال السليماني: «حديثه منكر». قال الحافظ: «ولم يتابع على هذا».

وقال الدارقطني: «ثقة» انظر تهذيب التهذيب (٩/ ٥١٨) وتهذيب الكمال (٢٦/ ٦٣٧-٦٣٨).

وقال الذهبي في الكاشف: «صدوق، خ».

وقال الحافظ ابن حجر: «ثقة، لم يصب السليماني في تضعيفه من العاشرة خ».

والظاهر أن القول الوسط هو قول الذهبي: «صدوق».

الوجه الثاني: على قول أبي غسان: «وقال لي غير واحد من أهل العلم من أهل البلد... إلخ».

أقول: هؤلاء أناس مجهولون فلا تقبل روايتهم عند أهل العلم من المحدثين والفقهاء وما أظن القاري يجهل هذا، وحتى لو قال إمام أكبر وأوثق من أبي غسان: حدثني الثقة، لا يقبل منه هذا التوثيق ولا تقبل رواية الموثَّق، لأنه يجوز أن يكون ثقة عنده مجروحًا عند غيره من أهل العلم والنقد.

ولو قال: كل من أحدثكم عنهم ثقات، لا يؤخذ بهذا التوثيق فكيف وأبو غسان ليس من أهل النقد ومع ذلك لم يوثق من حكى عنهم.

الوجه الثالث: قال هؤلاء المجهولون: «سأل والناس متوافرون» ولم يقولوا: والصحابة متوافرون. ولم يذكروا كبار التابعين.

ولم يقولوا: وقد شاور في ذلك من حضره من الصحابة.

ولم يقولوا: وشاور كبار التابعين.

ومع جهالة هؤلاء الرواة - وقد يكونون اثنين - لم يجرءوا أن يقولوا ما قاله القاري!!

ولقد حمل حكايتهم هذه على ضعفها ما لم تحتمل وما هو فوق طاقتها!!

---

(١) وفي كلام ابن محرز نظر!

وهل يجوز للقاري أن يفعل هذا في أمر يتعلق بالعقيدة، بل لو كان في أمر مباح فهل يجوز له هذا؟!

الوجه الرابع: إنّ عمر بن عبد العزيز من صغار التابعين؛ من الطبقة الرابعة ولم يرو إلا عن اثنين من الصحابة، وهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي وهذا قد توفي سنة ثمانين من الهجرة قبل أن يُوَلَّى عمر بن عبد العزيز على المدينة بسنوات.

والثاني: سهل بن سعد الساعدي، توفي عام ثمانية وثمانين وقد جاوز المائة ومات قبل أن يقوم عمر بن عبد العزيز بهذا العمل المزعوم!

وأدرك أنس بن مالك الذي لا يعرف إلا أنه صلى وراء عمر بن عبد العزيز أيام إمرته بالمدينة ولم يرو عنه عمر ولم يذكر أحد أنه كان من مستشاريه بل كان أنس يسكن البصرة قبل إمرة عمر للمدينة وبعدها[1].

فهل بعد هذا يجوز الأخذ بقول القاري: «أما الصنف الثالث: فهو ما ينبغي أن يعتنى به ويحافظ عليه تأسيًا بالصحابة والتابعين الذين فعلوا ذلك بمحضر من الصحابة».

لقد برأ الله الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أعمال أهل الكتاب بقبور أنبيائهم وآثارهم الذين استحقوا اللعن بهذه الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2]، فإذا استحقوا اللعن بسبب بنائهم المساجد على قبور الأنبياء أفلا يستحقون اللعن إذا بنوا المساجد على آثارهم؟!

فماذا يستحق الخرافيون إذا بنوا المساجد على القبور والآثار؛ يتبركون بها ويستغيثون بأهلها؟!

الوجه الخامس: قد نهى رسول الله ﷺ عن زخرفة المساجد واعتبر ذلك من

---

(١) وأدرك ثلاثة من صغار الصحابة اللذين توفي النبي ﷺ ولم يبلغوا سن التمييز، وهم محمود بن الربيع ومحمود ابن لبيد والسائب بن يزيد.

(٢) تقدم تخريجه.

علامات الساعة، فكيف يفعل هذه البدعة عمر بن عبد العزيز ويؤيده عليها الصحابة؟!

أيا عبد العزيز القاري! يجب أن تتوب إلى الله من نسبة هذه الأعمال إلى دين الله وإلى أصحاب محمد ﷺ.

وعليك أن تدرك أن طريق إصلاح المسلمين غير الطرق التي تسلكها أنت.

والخرافيون ليسوا بحاجة إلى من يزيدهم خرافات على خرافاتهم، وإنما يحتاجون إلى من يبدد ما عندهم من الخرافات والضلالات بنشر العقائد الصحيحة والمناهج الصحيحة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكرات البدعية والشركية.

هذا هو طريق الإصلاح الذي يحبه الله ورسوله وأهل العلم الناصحون.

ما يزعمه من فوائد المحافظة على هذه الآثار ومناقشته فيه

ثم قال (ص٨): «وقد نقل ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح[1] وشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الأخنائي[2] كما سيأتي بيانه».

أقول:

وهل يفيدك نقلهما وهي حكاية تالفة، وهل التزم الرجلان الصحة فيما ينقلانه؟!

ثم قال: «وفائدة المحافظة على هذا الصنف من الآثار النبوية:

أولاً: «الاعتبار» نص على ذلك بعض الصحابة وكبار التابعين بالمدينة، وبيانه فيما يأتي:

لما هدم عمر بن عبد العزيز بيوت أزواج النبي ﷺ، وكانت ملتصقة بجدار المسجد النبوي وأدخلها في المسجد عند توسعته بأمر من الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، ومنها بيت أم المؤمنين عائشة وفيه القبور الثلاثة: قبر النبي ﷺ وقبرا

---

(١) فتح الباري (١/ ٥٧١).

(٢) طبعة دلهي على هامش الرد على البكري.

الصاحبين، فصارت القبور الثلاثة الشريفة داخلَ المسجدِ، وحَزِنَ الناس حزنًا شديدًا، قال عطاء الخراساني:

أدركت حجرات أزواج النبي ﷺ من جريدٍ على أبوابها المسوح من شَعر أسود، قال: فحضرت كتاب الوليد يقرأ فأَمَرَ بإدخالها في المسجد فما رأيت يومًا كان أكثر من ذلك اليوم باكيًا، فسمعت سعيد بن المسيب يقول: والله لوددتُ أنهم تركوها على حالها ينشأ ناس من المدينةِ ويقدم قادم من الأفق فيرى ما أكرم به النبي ﷺ في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر.

وفي رواية ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، قال سعيد بن المسيب: وددتُ لو تركوا لنا مسجد نبينا على حالِهِ وبيوت أزواجِهِ ومنبره ليقدمِ القادم فيعتبر.

وقال عمران بن أبي أنس: رأيتني وأنا في المسجد فيه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وخارجة بن زيد وإنهم يبكون حتى أخضل الدمع لحاهم، وقال يومئذ أبو أمامة:

ليتها تُركت حتى يَقصُرَ الناس عن البناء ويَرَى الناس ما رضي الله لنبيِّهِ وخزائن الدنيا بيده.

وأحال في الحاشية على الرد على الأخنائي (ص١٩٠) في الموضعين».

أقول: هذه الحكاية لا تثبت لأن في إسنادها عِلّتَين:

الأولى: محمد بن عمر الواقدي:

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «كذاب» وقال ابن معين: «ليس بثقة» وقال مرة: «لا يكتب حديثه» وقال البخاري وأبو حاتم: «متروك».

وقال ابن المديني: «الواقدي يضع الحديث».

وقال ابن راهويه: «هو عندي ممن يضع الحديث».

وقال أبو داود: «بلغني أن علي بن المديني قال: كان الواقدي يروي ثلاثين ألف حديث غريب». وقال البخاري: «سكتوا عنه ما له عندي حرف».

وقد تساهل بعض الناس في توثيقه مثل محمد بن إسحاق الصاغاني ومصعب

وغيرهم. انظر: الميزان (٣/ ٦٦٣-٦٦٥).

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: «متروك مع سعة علمه».

وقال الذهبي في الكاشف: «متروك». وقال الذهبي في المغني: «مجمع على تركه».

وقال النسائي: «كان يضع الحديث».

الثانية: عبد الله بن زيد الهذلي، لم أقف له على ترجمة.

وفي الإسناد الثاني: الواقدي وقد تقدمت ترجمته وشيخه فيه معاذ بن محمد الأنصاري.

قال فيه الحافظ: معاذ بن محمد بن معاذ بن ابن أبي بن كعب، وقيل بإسقاط محمد الثاني، وقيل بإسقاط معاذ الثاني، مقبول من الثامنة ق.

وقال الذهبي في الكاشف: «وُثِّق». والمراد به توثيق ابن حبان وهو يوثق المجهولين.

وعطاء الخراساني هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني قال فيه الذهبي في الكاشف: «أرسل عن معاذ وطائفة من الصحابة». وقال الحافظ في التقريب: «صدوق يهم كثيرًا ويرسل ويدلس من الخامسة م ٤»، وانظر المراسيل لابن أبي حاتم (ص١٥٧) رقم (٥٧٥).

فظهر أن هذه الحكاية في غاية الضعف والوهاء إن لم تكن مكذوبة، والذي يتعلق بها وينسبها إلى الصحابة ويبني عليها أحكامًا عظيمة وينادي بالعمل بمضمونها فإنما يجني على نفسه في الدنيا والآخرة.

وهذا شيخ الإسلام يشك فيها فيقول: «قلت: قوله في هذه الرواية: إن فيهم نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، إن كان هذا محفوظًا فمراده من كان صغيرًا في عهد النبي ﷺ مثل أبي أمامة بن سهل بن حنيف ومثل محمود بن الربيع ومثل السائب بن يزيد وعبد الله بن أبي طلحة.

فأما من كان مميزًا على عهد النبي ﷺ، فلم يكن بقي منهم أحد، لكن في سهل

بن سعد خلاف، قيل توفي سنة ثمان وثمانين فيكون قد مات قبل ذلك أو سنة إحدى وتسعين».

وقال الذهبي في الكاشف: «عُمِّر ومات سنة ثمان وثمانين أو إحدى وتسعين ع».

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: «مات سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها وقد جاوز المائة ع».

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر من الرد على الأخنائي (ص١٣٨-١٣٩-ط: المكتبة المصرية) بعد كلام له: «وكان المقصود أن المسجد لما زاد فيه الوليد وأدخلت فيه الحجرة كان قد مات عامة الصحابة، ولم يبق إلا من أدرك النبي ﷺ ولم يبلغ سن التمييز الذي يؤمر فيه بالطهارة والصلاة، وقال النبي ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع».

ومن المعلوم بالتواتر أن ذلك كان في خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان بعد بضع وثمانين وقد ذكروا أن ذلك كان سنة إحدى وتسعين وأن عمر بن عبد العزيز مكث في بنائه ثلاث سنين.

وسنة ثلاث وتسعين مات فيها خلق كثير من التابعين مثل سعيد بن المسيب وغيره من الفقهاء السبعة، ويقال لها سنة الفقهاء.

وجابر بن عبد الله كان من السابقين الأولين ممن بايع بالعقبة وتحت الشجرة ولم يكن بقي من هؤلاء غيره لما مات، وذلك قبل تغيير المسجد بسنين، ولم يبق بعده ممن كان بالغًا عند موت النبي ﷺ إلا سهل بن سعد الساعدي فإنه توفي سنة ثمان وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين، ولهذا قيل فيه إنه آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ كما قاله أبو حاتم البستي وغيره.

وأما من مات بعد ذلك فكانوا صغارًا، مثل السائب بن يزيد الكندي[1] ابن أخت عمر فإنه مات بالمدينة سنة إحدى وتسعين، وقيل: إنه مات بعده عبد الله بن

---

(١) توفي سنة (٩١هـ) وقيل قبل ذلك، قال الحافظ ابن حجر: وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وقال الذهبي. توفي سنة (٩١هـ) وقيل (٨٦هـ).

أبي طلحة[1] الذي حنكه النبي ﷺ، وكذلك محمود بن الربيع[2] الذي عقل مجة مجها رسول الله ﷺ في وجهه من بئر كانت في دارهم وله خمس سنين، مات سنة تسع وتسعين أو سنة ثلاث وتسعين.

وأبو أمامة بن سهل بن حنيف سماه النبي ﷺ: أسعد -باسم أسعد بن زرارة- مات سنة مائة.

لكن هؤلاء لم يكن لهم في حياته ﷺ من التمييز ما ينقلون عنه أقواله وأفعاله التي ينقلها الصحابة، مثل ما ينقله جابر وسهل بن سعد وغيرهما.

وأما ابن عمر فكان قد مات قبل ذلك عام قتل ابن الزبير بمكة سنة ثنتين وسبعين وابن عباس مات قبل ذلك بالطائف سنة بضع وستين، فهؤلاء وأمثالهم من الصحابة لم يدرك أحد منهم تغيير المسجد وإدخال الحُجَر فيه، وأنس بن مالك كان بالبصرة لم يكن بالمدينة وقد قيل إنه آخر من مات بها من الصحابة».

وفي كلام شيخ الإسلام بالإضافة إلى ما بينته في هذه الدراسة ما يدفع قول القاري:

«أما الصنف الثالث فهو ما ينبغي أن يحتنى به ويحافظ عليه تأسيًا بالصحابة والتابعين الذين فعلوا ذلك بمحضر من الصحابة، وعلى رأس التابعين عمر بن عبد العزيز».

فحاشى الصحابة والتابعين من التأسيس للخرافات والبدع.

وصغار الصحابة الذين ذكرهم لا ناقة لهم ولا جمل فيما ينسبه إليهم القاري.

فإذا كان هذا الدفاع من شيخ الإسلام عن الصحابة فيما يتعلق بتغيير مسجد رسول الله ﷺ وإدخال الحجر فيه، فماذا سيقول في تلك المساجد الكثيرة[3] التي يقول في شأنها القاري ما سلف قريبًا ويقول أيضًا عن عمر بن عبدا لعزيز: «وقد

---

(١) توفي سنة (٨٤هـ).

(٢) لم يذكر الحافظ سنة وفاته، وقال الذهبي: سنة (٩٩هـ)، ليكون هو ومحمود بن لبيد اللذان أدركا عمل عمر بن عبد العزيز إن صح، ولكنه لم يصح.

(٣) ذكر القاري في موضع آخر أنها ثلاثون مسجدًا.

شاور في ذلك من حضر من الصحابة وشاور كبار التابعين بالمدينة فدلوه على تلك المواقع، ومع أن الحكاية التي بنى عليها ضعيفة جدًا بل قد تدخل في حد البطلان فقد حملها القاري ما لا تدل عليه ولا تحتمله؟!

نسأل الله لنا وله العافية من الأدواء والأهواء .

قال الدكتور القاري (ص١١):

«وقال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه:

ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمَّره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله».

وأحال القاري على (الشِّفَاء) للقاضي عياض، و(الرد على الأخنائي). والأمر كما ذكر إلا أن فيه ما يؤخذ عليه.

والكلام عليه من وجوه:

الأول: إن الموجود في كل من (الشفاء) و (الرد على الأخنائي): إسحاق بن إبراهيم الفقيه. وليس كما ذكر: ابن راهويه!

فلا أدري أهذا سهو منه أو حصل عن قصد؟!

والظاهر أن هذا الفقيه غير ابن راهويه؛

١- لأن ابن راهويه لم يشتهر بوصف الفقيه، وإنما هو من كبار أئمة الحديث وإن كان من أعظم الفقهاء ويقرن بأحمد.

٢- أن هذا الكلام يستبعد من إسحاق بن راهويه ومن أمثاله كأحمد والشافعي ومالك والبخاري، بل هذا يشبه كلام المتأخرين.

٣- ذكر القاري في الحاشية: ترجمة إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، وذكر أن ابن راهويه من شيوخ أحمد! والواقع أن أحمد وإسحاق قرينان، وإن كان أحمد أعلم وأفضل.

ولا يُمنع أن يأخذ العالم من قرينه وممن هو أصغر منه، ولا يصير بذلك من تلاميذ هذا القرين أو من هو أصغر منه.

ولأحمد شيوخ كُثُر منهم: هشيم ووكيع والشافعي ويحيى بن سعيد القطان وابن مهدي وغيرهم.

٤- يبدو أن المراد بإسحاق بن إبراهيم الفقيه: إسحاق بن إبراهيم بن ميسرة اللخمي الطليطلي ثم القرطبي المالكي المذهب، ممن أخذ العلم عن الباجي وقاسم بن أصبغ وغيرهما توفي: سنة اثنتين، وقيل: أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر (الديباج المذهب) (ص٩٦-٩٧).

٥- الظاهر أن مراد إسحاق بن إبراهيم هذا: الصلاة في المسجد النبوي، والصلاة في الروضة، ومعرفة المنبر والقبر وسائر ما ذكره، لا التمسح بها على طريقة أهل البدع.

والرجل مالكي، ومن مذهب مالك: النهي عن التمسح بالمنبر الذي كان ﷺ يخطب عليه فيجلس عليه ويلمسه فكيف بغيره؟!!

القاري ينسب إلى السّلف آثارًا لم تثبت عنهم

قال القاري (ص١٢):

«هذه النصوص عن السلف تدل على أن الإبقاء على آثار النبي ﷺ (مسجده الذي بناه، بيوت أزواجه، منبره) ونحو ذلك مقصد شرعي فائدته الاعتبار».

أقول:

إن هذه الآثار التي تنسبها إلى السلف لم تثبت في غير مسجده ﷺ الذي ثبت ثبوتًا مقطوعًا به واستمر وسيستمر إن شاء الله إلى يوم القيامة.

أما الآثار الأخرى فما ثبت منها لم يبق، بل جرت عليه سنة الله في خلقه أنه لا يدوم شيء منها في هذه الدنيا.

ومن الأسباب الواضحة: اهتمام الصحابة بتبليغ رسالة محمد ﷺ والاهتمام بالجهاد في نشرها والاهتمام قبل ذلك بالمحافظة على القرآن الكريم الرسالة

المعجزة الخالدة التي تحدّى الله بها الجن والإنس فعجزوا أن يأتوا بسورة من مثله فحافظوا عليه بتوفيق الله لهم ووعده الصادق بحفظه ثم عملهم بذلك وتعليمه ونشره فلم يضع منه حرف واحد.

وحافظوا على سنة نبيهم ﷺ فلم يضع منها شيء، وتبعهم وُرّاثهم بإحسان في المحافظة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحفظهما في الصدور والسطور.

وكان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه بالقرآن والاهتداء به ويوصيهم بسنته وسنة خلفائه الراشدين ويأمرهم بالرجوع إلى ذلك عند الاختلاف.

ولم يوصهم أبدًا بالحفاظ على الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها، بل أنكر الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه على من يتتبع الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ، وتتبع غيرها من باب أولى، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

ولو كان ذلك أمرًا مشروعًا لأنكروا على عمر رضي الله عنه المنع من الصلاة في مكان صلى فيه رسول الله ﷺ.

القاري يرمي إلى الحفاظ على المساجد التي تزعم الحكاية أن عمر بن عبد العزيز قام ببنائها على مواقع الرسول ﷺ، وكان هذا البناء بمحضر من الصحابة أو بعضهم وبمشورتهم ودون إثبات ذلك خرط القتاد.

بطلان نسبة التبرك بالآثار إلى الصحابة والتابعين

قال القاري (ص١٢):

«الفائدة الثانية: التبرك بالآثار النبوية من مساجد، ودور، وآبار... ونحو ذلك.. والتبرك بالنبي ﷺ ومتعلقاته أمر مشروع فعله الصحابة والتابعون، وعليه الأئمة المتبوعون، ونقل عن الإمام أحمد أنه كانت لديه شعرة من شعر النبي ﷺ يتبرك بها.

والتبرك بمتعلقات النبي ﷺ لا يشترط فيه العلم القطعي بثبوت اتصال الأثر بالنبي ﷺ، بل يكفي لثبوته الظن الراجح كما هو الشأن في سائر المسائل الشرعية.

وإلا فكيف توافر للإمام أحمد رحمه الله العلم القطعي بأن تلك الشعرة التي كان

يتبرك بها كانت من شعر النبي ﷺ وبينه وبين النبي ﷺ قرنان ونصف من الزمان[1]، وخبر هذه الشعرة ذكره الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الإمام أحمد من رواية ابنه عبد الله» وأحال على سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢).

أقول:

قد سبق بيان بطلان ما نسبه إلى الصحابة من العناية والحفاظ على الآثار ومشاورة عمر بن عبد العزيز في بناء المساجد عليها.

وفي هذا المبحث يدّعي القاري أن التبرك بالآثار التي ذكرها من المساجد والدور والآثار والآبار أمر مشروع فعله الصحابة والتابعون.

ونحن نطالبه بأمور:

١- إثبات هذه المشروعية من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.

٢- وإثباته من فعل الصحابة بالنقل الصحيح أنهم كانوا يتبركون بالمساجد والدور والآبار، وما هو هذا التبرك، وكذلك نطالبه بإثباته من أقوالهم ودعوتهم الناس إلى ذلك.

٣- ما نوع التبرك بموقع غزوة بدر وموقع غزوة أحد وموقع غزوة الخندق وجبل أحد وجبل ثور وجبل حراء... إلخ؟!

وهل يتبرك بترابها وحجارتها، وهل يتخذ منها قطعًا من الطين والحجارة للسجود عليها والتمسح بها كما يفعل الروافض؟!

إن قلت: لا، فهل تأمن الخرافيين أن يفعلوا ذلك، وهل تستطيع أن تردعهم عن فعل ذلك، وما هي التدابير اللازمة التي ستتخذها لردعهم عن ذلك وقد عملت لهم هذه الدعاية العريضة؟!

٤- هل تدخل الحصون في دعوتكم هذه إلى الاعتبار كحصن كعب بن الأشرف النضري اليهودي، وكذلك الأطام التي ذكرتها، وحصن مرحب بخيبر،

---

(١) بين وفاة النبي ﷺ ومولد الإمام أحمد أربع وخمسون ومائة سنة لا ما ذكره القاري ويصل الإمام أحمد إلى رسول الله ﷺ بوساطة ثلاثة رواة فقط في حوالي ثلاثمائة إسناد تسمى بالثلاثيات.

وهل تقترح على الحجاج وزوار المدينة أن يشدوا الرحال إلى خيبر لمشاهدة حصن مرحب في خيبر للاعتبار به؟!!

وهل تقترح عليهم شد الرحال إلى بدر وحنين وتبوك؟! وهل تبحث عن كل مواقع غزوات الرسول ﷺ والتي بلغت تسع عشرة غزوة؟!

وهل عندك أدلة على مشروعية البحث عن هذه الآثار والحفاظ عليها؟!

يا أخي يكفي المؤمنين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما دوّنه الثقات من سيرة نبيهم ﷺ، ولقد تفقه منها العلماء الجادون فكانوا أعظم الناس تأثرًا وأعظم اتباعًا لرسول الله ﷺ في كل الميادين الإسلامية.

٥- الآثار الإسلامية المتعلقة بما بعد العهد النبوي من عصور التاريخ الإسلامي، ومنها الثلاثون مسجدًا التي بناها عمر بن عبد العزيز، ومنها المدارس والأربطة التي كانت في حارة الأغوات ومكتبة عارف حكمت والتي بنيت في مكان بيت السبط الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هل تهدم البيوت والعمارات التي بنيت في هذه المواطن لنعيد تلك الآثار للاعتبار بها والتبرك بجدرانها وأتربتها أو ماذا نصنع تجاه هذه المشكلة؟! نريد لهذه المشكلة حلًا.

ونقول بعد هذا للقارئ وغيره:

صحيح أن الصحابة - رضوان الله عليهم- كانوا يتبركون بشعر رسول الله ﷺ وريقه وعرقه ووضوئه، وهذه قد انتهت بوفاته -عليه الصلاة والسلام- فلا وجود لها.

أما تتبع آثاره فلم يحفظ عن صحابته الكرام والخلفاء الراشدين تتبع آثاره والأماكن التي صلى فيها أو مواقع الغزوات والجبال التي صعد عليها أو غار ثور أو حراء.

بل ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه نهى قصد الصلاة في مكان صلى فيه النبي ﷺ، وأقرّه الصحابة.

وهذا من عمق فقههم، بل نقول: إنهم استفادوا هذا من قول رسول الله ﷺ:

«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١] رواه ابن عباس وعائشة، وقالت عائشة عند روايتها لهذا الحديث: «يحذر ما صنعوا».

فإذا كان اليهود والنصارى لعنوا لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تكريمًا وحبًّا لهم فما بالك بتتبع آثارهم وبناء المساجد عليها.

إن الهيام بهذه الآثار يؤدي إلى الغلو الذي يطغى على رسالات الرسل ويؤدي إلى تحويلها إلى أوثان!!

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِى دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [سورة النساء: ١٧١]، وقال رسول الله ﷺ حينما التقطت له حصيات ليرمي بها الجمار: «ألا بمثل هذه فارموا وإيَّاكم والغلو إنما أهلك من قبلكم الغلو»[٢].

وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[٣].

استفاد أصحاب محمد الكرام والتابعون لهم بإحسان من هذه التوجيهات الربانية والنبوية: الابتعاد عن الغلو والإطراء، فكفُّوا أنفسهم عن تتبع آثاره ﷺ لأنه من سنن اليهود والنصارى والوثنيين، واهتموا بما جاء به محمد ﷺ من كتاب وسنة فاستقامت عقائدهم ومناهجهم وأعمالهم، ومن خالفهم فإنما ينهج نهج اليهود والنصارى فكان من آثاره ما تراه اليوم ماثلًا في أعمال الروافض والخرافيين من مساجد أو مشاهد على القبور والآثار وما تراه عند هذه المساجد والمشاهد من الضلالات والشركيات.

ماذا وراء هذا التأصيل

ويقول القاري (ص١٢) موصلًا ومقعدًا التبرك بمتعلقات النبي ﷺ:

«لا يشترط فيه العلم القطعي بثبوت اتصال الأثر بالنبي ﷺ، بل يكفي لثبوته الظن الراجح كما هو الشأن في سائر المسائل الشرعية».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

أقول:

ماذا يقصد القاري بهذا التأصيل؟!

هل يريد أن نقبل دعاوى الخرافيين والقبوريين والمتأكلين بالآثار؟ هل نصدق مثلًا دعوى أن أثر قَدَمَيْ النبي ﷺ في المسجد الكبير بدلهي، وأن له شَعَرَات في الهند وباكستان وربما تركيا وغيرها من البلدان، فيشد أهل هذه البلدان الرحال إليها للتبرك بها بناء على فتوى القاري؟!

وإذا قيل: هذا مسجد أبي بكر وهذا مسجد عمر وهذا مسجد علي وهذا مسجد فاطمة وهذا مبرك الناقة، وهذه المساجد الثلاثين التي نقلتها الحكايات الباطلة صدقنا هذه الدعاوى وأقبلنا على التبرك بها، وسلكنا مسلك اليهود والنصارى في تتبع آثار أنبيائهم وصالحيهم!!

وأقول للقاري: إنه لم يشبع نهم الجهال والخرافيين الآثار المنسوبة إلى رسول الله ﷺ، بل ذهبوا يقدسون آثار أناس صالحين ادُّعِيَتْ لهم آثار فقدسوها وعظموها وارتكبوا حولها من الشركيات والبدع ما يندى له جبين الإسلام، بل ذهبوا يقدسون آثار أناس طالحين ومجهولين وحيوانات من حمير وخيل وغيرها ما يبكي كل مؤمن غيور على رسالة محمد ﷺ؛ رسالة التوحيد والإيمان والإخلاص لله رب العالمين.

وأقول:

الذي نعتقده في الإمام أحمد أنه لا يقبل أن هذه الشعرة من شعرات النبي ﷺ إلا عن طريق العدول الثقات الضابطين، وهو من مواليد أربع وستين ومائة، فعهده قريب من عهد النبي ﷺ، وله أسانيد ثلاثية كثيرة؛ أي: بينه وبين رسول الله ﷺ ثلاثة من الرواة، ثالثهم الصحابي؛ فإذا قال الإمام أحمد: ثنا سُفْيَانُ حدثني عبد اللَّهِ بن دِينَارٍ عَنِ ابن عُمَرَ عَنِ النبي ﷺ قال: «لَا تَدْخُلُوا على هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عُذِّبُوا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لم تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عليهم فإني أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصَابَهُمْ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩) والبخاري في الصلاة حديث (٤٣٣) وفي المغازي حديث (٤٤١٩) وفي أبواب أخر ومسلم في الزهد حديث (٢٩٨٠).

فكأنما أخذه الإمام أحمد من في رسول الله ﷺ.

فهل يقاس على الإمام أحمد الخرافيون والمشعوذون في القرن الخامس عشر؟!

وهل تقاس أسانيد الخرافيين الأفاكين على هذا الإسناد؟!

قال القاري (ص١٣):

«ولما سئل الإمام عن التبرك بالمنبر أباحه واستدل بأن الصحابة كانوا يمسحون أيديهم على رمانة المنبر، وكان النبي ﷺ يضع يده الشريفة عليها عندما يخطب».

ثم أحال على سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.

أقول:

رجعتُ إلى سير أعلام النبلاء فوجدت الذهبي يقول: «وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمّن يلمس رمانة منبر النبي ﷺ ويمس الحجرة النبوية[1]، فقال: لا أرى بذلك بأسًا أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع.

أقول للقاري: هذا نص الإمام الذهبي أمامك وليس فيه قولك: «واستدل بأن الصحابة كانوا يمسحون أيديهم على رمانة المنبر».

فأين الأمانة العلمية ولاسيما في هذه الأمور العظيمة؟!

فكم الفرق بين رأي ينسب إلى إمام لم يحتج على عمله بحجة، وبين رأي

---

(١) وهناك رواية عن الإمام أحمد تنقض هذه الفتوى؛ قال أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل: قبر النبي ﷺ يُمَسّ ويُتَمَسح به؟ فقال: ما أعرف هذا. قلت له: فالمنبر؟ فقال: أما المنبر فنعم، قد جاء فيه، قال أبو عبد الله: شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر: أنه مسح على المنبر. قال: ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة. قلت: ويروون عن يحيى بن سعيد أنه حين أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسنه. ثم قال: لعله عند الضرورة والشيء. قيل لأبي عبد الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر وقلت له: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون. فقال أبو عبد الله: نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل. ثم قال أبو عبد الله: بأبي هو وأمي ﷺ». انظر (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/ ٣٦٧) وهذه الرواية أسدّ وأحكم؛ لأنها تتمشى مع منهج الصحابة ولاسيما عمر بن الخطاب ﷺ، بل تتمشى مع عمل ابن عمر الذي نقله الإمام أحمد نفسه.

ينسب إليه أنه احتج عليه بعمل الصحابة، والواقع بخلاف ذلك ؟!

لماذا قولت الإمام أحمد والحافظ الذهبي ما لم يقولاه في هذه القضية ؟!

ولماذا تتعلق برواية عن الإمام أحمد لعله رجع عنها، وتغفل ما عليه الصحابة والتابعون الذين لم ينقل عنهم التمسح بالمنبر ؟!

وهذا سعيد بن المسيب يكره التمسح بالمنبر .

قال أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٦٨٥/ ط: مكتبة الرشد) : ثنا الفضل بن دكين عن سفيان عن عبد الله بن يزيد الليثي عن سعيد بن المسيب : «أنه كره أن يضع يده على المنبر».

وهذا الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ يكره التمسح بالمنبر .

قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٦٨) تحقيق محمد حامد الفقي: «وكره مالك التمسح بالمنبر كما كرهوا التمسح بالقبر .

فأما اليوم فقد احترق المنبر وما بقيت الرمانة وإنما بقي من المنبر خشبة صغيرة محترقة .

فقد زال ما رخص فيه[1] .

وروى الأثرم بإسناده عن العتبي عن مالك عن عبد الله بن دينار قال: رأيت ابن عمر وغيره يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه وعلى أبي بكر وعمر».

قال الشيخ محمد حامد الفقي: «وقول مالك أصح لأن أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة لم يكونوا يتمسحون بالمنبر ولا بغيره، والتمسح بالمنبر فيه نوع أو شبه من عمل أهل الجاهلية في تبركها بآثار الصالحين واتخاذها أوثانًا، ومن هنا كان غضب عمر رضي الله عنه وأمره بقطع شجرة البيعة فجزاه الله خير الجزاء، فما كان أفقهه لدين الله وأحرصه على حماية التوحيد».

فهل يستفيد القاري من قول شيخ الإسلام: «وأما اليوم فقد احترق المنبر وما بقيت الرمانة وإنما بقي من المنبر خشبة صغيرة محترقة».

(١) ولو أن المنبر احترق في عصر الإمام أحمد أو قبله لما تمسّح به .

وهل يستفيد من قول شيخ الإسلام: وقد زال ما رخص فيه؟! لأن القاري يحتج بشيخ الإسلام إذا تصور ولو خطأ أن شيخ الإسلام يوافق رأيه.

والذي يدعو إلى التبرك والتمسح بمنبر رسول الله ﷺ وغيره من آثاره المباركة التي لم يبق لها وجود، فإنما يدعو إلى مخالفة الشرع العظيم والعقل السليم، وإنما يجهد نفسه لنصرة الخرافة والخرافيين من حيث يدري أو لا يدري!!

وبهذه المناسبة أنقل هنا عن الذهبي ما رواه عن ابن عمر حيث قال: «قرأت على أحمد بن عبد المنعم المعمر، عن أبي جعفر محمد بن أحمد، أخبرنا أبو علي الحداد حضورًا أخبرنا أبو نعيم، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا محمد بن عاصم حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر: «أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ». سمعنا جزء محمد بن عاصم بالاتصال» سير إعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٨).

هذا الأثر في جزء محمد بن عاصم الثقفي برقم (٢٧) وتابع محمد بن عاصم يحيى بن معين في أبي أسامة فالأثر صحيح. راجع الرد على الأخنائي (ص ١٧٠).

وقال عبد الرزاق: «عن معمر عن أيوب عن نافع قال. كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، وأخبرناه عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر[1]، فقال: ما نعلم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر»

والشاهد منه ما يؤكد النص الأول من أن ابن عمر كان ينهى عن مس القبر ولو كان يمسه لنقل ذلك عنه نافع الذي كان يشاهد زيارته لقبر النبي ﷺ وصاحبيه.

والشاهد الثاني: أنه ما كان يطيل الوقوف عند قبر النبي ﷺ وقَبْرَي صاحبيه،

---

(١) عبيد الله بن عمر هذا من أكابر علماء المدينة، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته: «ثقة، ثبت، قدمه أحمد ابن صالح على مالك في نافع وقدمه ابن معين في القاسم عن عائشة على الزهري عن عروة عنها، من الخامسة، مات سنة بضع وأربعين ع» أي أنه مات سنة أربعين ومائة، أي أنه أقدم من مالك، إذ هو من الطبقة الخامسة، ومالك من السابعة، وعبيد الله من أعلم الناس بأحوال أهل بيته وأحوال الصحابة، خاصة ما يتعلق بقبر النبي ﷺ.

إنما يسلم عليهم جميعًا تسليمًا خفيفًا ثم ينصرف.

فالذين يطيلون الوقوف عند قبر النبي ﷺ ويدعون كثيرًا ويبكون ويضجون وربما استغاثوا بالنبي ﷺ وصاحبيه، ولا دليل للناس إلا فعل ابن عمر فانظر كيف يخالفونه؟!

والشاهد الثالث: أن ابن عمر رضي الله عنه قد انفرد من بين الصحابة بهذا العمل فالصحابة ما كانوا يأتون قبر النبي ﷺ لا في حال إقامتهم ولا في حال قدومهم من سفر ولا عند إرادتهم للسفر.

فهل الناس -ولا سيما أهل هذا العصر ولا سيما الخرافيون- يحبون رسول الله ﷺ ويجلونه أكثر من أصحاب محمد ﷺ الذين كانوا يفدونه ﷺ بأرواحهم وأموالهم ويحبونه أكثر من أنفسهم وأموالهم وأبنائهم؟!

لقد فهموا - رضوان الله عليهم - من قوله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1]، وقوله: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»[2].

وقوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا وصلوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»[3].

لقد فهموا تحذير النبي ﷺ من التعلق بقبره والغلو فيه فكانوا يصلون عليه وهم في بيوتهم وأعمالهم وفي مساجدهم وفي صلواتهم وعند دخولهم مسجده ﷺ.

فطريقتهم في التعامل مع رسالته أرشد وأهدى، وطريقتهم في التعامل مع آثاره ﷺ أرشد الطرق وأهداها وأشدها حماية لرسالته واحتياطًا لها.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (ح٥٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٢٢٥).

لا يصح قياس البقاع التي صلى فيها النبي ﷺ على وضوئه وما انفصل من جسده

قال القاري (ص١٣-١٤):

«ومنه قصد الآبار النبوية التي نقل أن النبي ﷺ تفل فيها أو صبَّ وضوءه فيها، أو سقط شيء من متعلقاته فيها، كبئر أريس التي سقط فيها خاتمه، بقصد التبرك بالشرب منها فهذا أمر مشروع لأنه متفرع من مسألة التبرك بالنبي ﷺ لا فرق في الحكم بينه وبين وضوئه ﷺ الذي كان الصحابة يتسابقون[1] إلى التبرك به، وكذلك قصد البقاع التي صلى فيها (المساجد النبوية) والتبرك بالصلاة فيها أمر مشروع، لأنه متفرع من مسألة التبرك بالنبي ﷺ، وثبت من فعل كثير من الصحابة والتابعين وفيه نص قطعي مرفوع، وليس مع المانعين سوى حديث موقوف على عمر بن الخطاب ﷺ».

أقول:

١- من سبقك إلى هذه التسمية: «الآبار النبوية»؟!

٢- كم عدد هذه الآبار؟!

٣- لا أعرف أنا إلى الآن من الآبار بئرًا بصق فيها رسول الله إلا بئرًا واحدة هي بئر الحديبية ولم يسمها أحد بالبئر النبوية، ولا نعرف أن الصحابة والتابعين كانوا يسافرون إليها للتبرك ولا دعوا إلى ذلك.

وبئر أريس التي سقط فيها خاتم رسول الله ﷺ في عهد عثمان وعلى قربها من المدينة، فما كان أصحاب رسول الله ﷺ يذهبون إليها ليتبركوا بالشرب منها.

فلو كان الذهاب إليها للتبرك أمرًا مشروعًا فلماذا لم يقم به الصحابة؟!

وهناك عين تبوك، ولها قصة، ومنها: «أن رسول الله ﷺ لما وصل إليها وجد هو وأصحابه ماءها مثل الشراك يبضّ بشيء من ماء، فغرفوا بأيديهم من العين قليلًا

---

(١) هذا قياس باطل، ولو كان لا فرق بينهما لتسابقوا إلى بئر أريس، كما كانوا يتسابقون إلى وضوءه، وإذن فقد فرّق الصحابة حيث لم ينقل عن أحد منهم التبرك بماء أريس فضلًا عن أن يتسابقوا إليه

قليلًا حتى اجتمع في شيء، قال معاذ: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيه فجرت العين بماء منهمر حتى استقى الناس منه»[1].

فلم نسمع أن الصحابة كانوا يسافرون إليها ليتبركوا بالشرب منها، أو إذا مروا بها فعلوا ذلك تبركًا بمائها، فهل تنصح الناس الآن بشد الرحال إليها للتبرك بمائها؟!

وهل يشرع للناس الآن التسابق إلى بئر أريس وإلى عين تبوك وإلى الآبار الأخرى التي في ذهنك؟! هل كان الصحابة يتسابقون إليها كما كانوا يتسابقون إلى وضوئه؟!

الجواب: إنه لم يكن منهم شيء مما يتوهمه القاري، فبطل قياسه!!

ثم هل هناك دليل يثبت أن تفلته باقية إلى يومنا هذا؟!

ثم إن التشريع ليس إلا لله والحكم له وحده، ورسوله هو المبلغ، فهل شرع الله التبرك بهذه الآبار ونحوها وقَصّر الصحابة في القيام بهذا الأمر المشروع، وقصر أئمة الإسلام في القيام به؟!

ومن سبقك إلى هذا التفريع والتسوية في الحكم بين الآبار المذكورة وبين وضوئه ﷺ وعرقه ونخامه؛ الأمور المنفصلة من جسده الشريف؟!

ومن سبقك من الصحابة وأئمة الإسلام إلى القول بمشروعية قصد البقاع التي صلى فيها النبي ﷺ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/ ٣٨٩-٣٩٠): «فيجب الفرق بين اتباع النبي ﷺ والاستنان به فيما فعله وبين ابتداع بدعة لم يسنها لأجل تعلقها به.

وقد تنازع العلماء فيما إذا فعل ﷺ فعلًا من المباحات لسببٍ وفعلناه نحن تشبهًا به مع انتفاء ذلك السبب فمنهم من يستحب ذلك ومنهم من لا يستحبه.

وعلى هذا يُخرَّج فعل ابن عمر رضي الله عنهما، فإنَّ النبي ﷺ كان يصلي في تلك البقاع

---

(١) أصله في صحيح مسلم في الفضائل حديث (٢٢٨٢) وأحمد (٥/ ٢٣٨) ومالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر (١/ ١٤٣).

التي في طريقه لأنها كانت منزله لم يتحرَّ الصلاة فيها لمعنى في البقعة. فنظير هذا: أن يصلي المسافر في منزله وهذا سُنَّة.

فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلَّى فيها اتِّفاقًا فهذا لم يُنقَل عن غير ابن عمر من الصَّحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حُجاجًا وعُمَّارًا أو مسافرين، ولم يُنقَل عن أحدٍ منهم أنَّه تحرَّى الصَّلاة في مصليات النبي ﷺ.

ومعلوم أنَّ هذا لو كان عندهم مستحبًا لكانوا إليه أسبق، فإنَّهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم، وقد قال ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[1].

وتحرِّي هذا ليس من سُنَّة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتدع.

وقول الصحابي وفعله -إذا خالفه نظيره- ليس بحجة فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟!

وأيضًا فإنَّ تحرِّي الصَّلاة فيها ذريعة إلى اتِّخاذها مساجد والتَّشبه بأهل الكتاب مما نُهينا عن التَّشبه بهم فيه؛ وذلك ذريعة إلى الشِّرك بالله.

والشارع قد حسم هذه المادة بالنهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وبالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، فإذا كان قد نهى عن الصلاة المشروعة في هذا المكان وهذا الزمان سَدًّا للذَّريعة فكيف يُستحب قصد الصلاة والدعاء في مكان اتَّفق قيامهم فيه أو صلاتهم فيه من غير أن يكونوا قد قصدوه للصَّلاة فيه والدعاء فيه؟!

ولو ساغ هذا لاستُحبَّ قصد جبل حراء والصلاة فيه، وقصد جبل ثور والصلاة فيه وقصد الأماكن التي يُقال: إنَّ الأنبياء قاموا فيها كالمقامين اللَّذين بجبل قاسيون بدمشق اللَّذين يقال إنهما مقام إبراهيم وعيسى، والمقام الذي يُقال إنَّه مغارة دم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣).

قابيل وأمثال ذلك من البقاع التي بالحجاز والشام وغيرهما .

ثم ذلك يُفضِي إلى ما أفضت إليه مفاسد القبور فإنَّه يُقال إنَّ هذا مقام نبي أو قبر نبي أو ولي بخبر لا يعرف قائله أو بمنام لا تعرف حقيقته ثم يترتب على ذلك اتِّخاذه مسجدًا فيصير وثنًا يُعبَد من دون اللَّه تعالى ، شركٌ مبنيٌّ على إفكٍ واللَّه سبحانه يقرن في كتابه بين الشِّرك والكذب كما يقرن بين الصدق والإخلاص» . اهـ.

وقال شيخ الإسلام في المجموع (٢٦/ ١٤٤) : «وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام؛ كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفح أبي قبيس ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار النبي ﷺ وأصحابه ، كمسجد المولد وغيره فليس قَصْدُ شيء من ذلك من السنة ، ولا استحبه أحد من الأئمة ، وإنما المشروع إتيان المسجد الحرام خاصة والمشاعر : عرفة ومزدلفة والصفا والمروة، وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى مثل : جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال : إنه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك ، فإنه ليس من سنة رسول اللَّه ﷺ زيارة شيء من ذلك ، بل هو بدعة ، وكذلك ما يوجد في الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال أنها من الآثار ، لم يشرع النبي ﷺ زيارة شيء من ذلك بخصوصه ، ولا زيارة شيء من ذلك» . اهـ.

انظر قول شيخ الإسلام ابن تيمية عن المساجد التي بمكة والتي بُنِيت على آثار النبي ﷺ؛ حيث يرى أنَّه ليس قصدُ شيءٍ منها من السنَّة ، ولا استحبَّه أحدٌ من الأئمة وكذلك ذِكْر حراء الذي نزل فيه الوحي على النبي ﷺ .

فإذا كان قصدُ آثار النبي ﷺ الثابتة لا يجوز قصدها بصلاة ولا غيرها فالمساجد السبعة وغيرها من الآثار المزعومة يُنكَرُ قصدها بالصلاة وغيرها من باب أولى .

فليفهم القاري هذا الكلام المتين القائم على فهم شريعة الإسلام وفقهِ غاياتها ومقاصدها وما تدعو إليه من المصالح وسد ذرائع الفساد وسد ذرائع الشرك ، الأمور التي يجهلها الخرافيون أو يحاربونها فيقعون في الجهل والضلال ويقع كثير منهم في شَرَك الشِّرك .

بطلان قياس واستدلال القاري ودعاواه

وقولك في قياسك الموصل للخرافات: «والتبرك بالصلاة فيها أمر مشروع، لأنه متفرع من مسألة التبرك بالنبي ﷺ، وثبت من فعل كثير من الصحابة والتابعين وفيه نص قطعي مرفوع، وليس مع المانعين سوى حديث موقوف على عمر بن الخطاب ﷺ».

عجبًا لهذا الرجل الذي يقيس التبرك غير المشروع بالأمكنة على التبرك بالنبي ﷺ وما نشأ عن جسده!!

ويقول مؤكدًا لهذا القياس العجيب: «وثبت من فعل كثير من الصحابة والتابعين»!

فهل تقصد بقولك: «وثبت من فعل كثير من الصحابة»: أن الصحابة كانوا يتبركون بالصلاة في الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ أو مشى عليها أو جلس فيها؟! هات الأدلة على هذه الدعوى العريضة، وإن كان قصدك غير هذا فبينه لنا!!

وقولك: «وكذلك قصد البقاع التي صلى فيها (المساجد النبوية) والتبرك بالصلاة فيها أمر مشروع، لأنه متفرع من مسألة التبرك بالنبي ﷺ، وثبت من فعل كثير من الصحابة والتابعين وفيه نص قطعي مرفوع، وليس مع المانعين سوى حديث موقوف على عمر بن الخطاب ﷺ وإليك التفصيل».

أقول:

يدعي القاري أن عنده ثلاثة أدلة على مشروعية قصد البقاع التي صلى فيها (المساجد النبوية) والتبرك بالصلاة فيها.

الأول: القياس، ولأهمية القياس تراه يقدمه على النص القطعي وعلى فعل الصحابة!!

والثاني: فعل كثير من الصحابة.

والثالث: النص القطعي المرفوع.

التبرك بما انفصل عن النبي ﷺ كان جائزًا في حينه ثم انتهى فانتهى التبرك به

والجواب عن الأول:

١- أن قياس البقاع التي صلى فيها رسول الله ﷺ على النبي ﷺ، وما خرج من جسده الشريف، وما مسّه جسده، قياس باطل.

ولذا فرّق الصحابة عمليًا وقوليًا بين النوعين.

فكانوا يتبركون بما خرج من جسده الشريف، ولم يفعلوا الثاني لا بناء على القياس ولا اعتمادًا على نص قطعي.

٢- أن ما خرج من جسده الشريف انتهى بانتهاء وقته، فلو قال قائل: إنه لم ينته وإنه مستمر إلى يوم القيامة، قلنا: هذه دعوى باطلة، لم يدّعها الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان، وما لنا ولدعاوى غيرهم!!

ويلزم على هذه الدعوى مشروعية التبرك بريق فاطمة لأنها بضعة من رسول الله ﷺ، وكذلك سائر بناته، ويلزم أن نتبرك بذريتها الذين انفصلوا منها ومن ذريتها إلى يومنا هذا!!

ولا يقول بهذا لا الصحابة ولا علماء الإسلام، ويمكن أن يقوله الروافض!!

فإذا سلمنا أن ما انفصل من جسده كان جائزًا التبرك به في حينه ثم ينتهي، بطل قياس البقاع عليه وبطلت دعوى استمرار مشروعية التبرك بها لو قلنا بمشروعيته فكيف والقياس باطل من أساسه؟!

يؤكد بطلان دعوى استمرار مشروعية التبرك بما انفصل من جسده الشريف من ريق وعرق ونخام وفضل الوضوء منه ﷺ: أن كثيرًا من الصحابة تبركوا بهذه الأشياء المنفصلة منه ﷺ، فلم يذهب الصحابة الآخرون إلى التبرك بهم ولم يفعله معهم التابعون، ولم يقل أحد من علماء الإسلام بمشروعية التبرك بالصحابة لا الصحابة الذين تبركوا به، ولا غيرهم، لا من أجل صحبتهم للنبي ﷺ ولا من أجل تبركهم بما انفصل من جسده الشريف، ولا من أجل مصافحتهم للنبي ﷺ.

واعتقد أن هذا التقرير كاف في بطلان دعاوى القاري في قياس البقاع التي صلى فيها رسول الله ﷺ أو لامسها جسده أو رجلاه.

وبطلان دعوى استمرار مشروعية التبرك بالنوعين.

والجواب عن الثاني: وهو ادعاؤه أنه فعله كثير من الصحابة فقد بينا بطلانه فيما سلف.

وأما الثالث فجوابه: أن الصحابة كانوا يتأسون به في الأماكن التي قصدها بالتقرب إلى الله لا في غيرها من الأماكن التي لم يقصدها بذلك.

فهذا عمر ﷺ قبّل الحجر ثم قال: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[1].

فعمر ﷺ يقبل الحجر تأسيًا برسول الله ﷺ لا تبركًا به وكذلك الصحابة والتابعون ما يقبلون الحجر إلا تأسيًا برسول الله ﷺ لا تبركًا به.

وابن عمر كان يزاحم على الحجر ليقبله تأسيًا برسول الله ﷺ لا تبركًا به ولما قال له رجل: أرأيت إن زُحِمْتُ؟ قال: دع عنك أرأيت باليمن! إني رأيت رسول الله ﷺ يقبله -مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام-، يصلي عنده عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: ١٢٥] وتأسيًا برسول الله ﷺ لا تبركًا.

وروى أحمد[2]: «ثنا مَرْوَانُ بن شُجَاعٍ حدثني خُصَيْفٌ عن مُجَاهِدٍ عَنِ ابن عَبَّاسٍ: أَنَّهُ طَافَ مع مُعَاوِيَةَ بِالْبَيْتِ فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَلِمُ الأَرْكَانَ كُلَّهَا فقال له ابن عَبَّاسٍ: لِمَ تَسْتَلِمُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ ولم يَكُنْ رسول اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا، فقال مُعَاوِيَةُ: ليس شيء مِنَ الْبَيْتِ مَهْجُورًا، فقال ابن عَبَّاسٍ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فقال مُعَاوِيَةُ: صَدَقْتَ».

فرجع معاوية إلى قول ابن عباس تأسيًا برسول الله ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في الحج (١٥٩٧) ومسلم في الحج (١٢٧٠) وأحمد (١/ ٣٤-٣٥).

(٢) في مسنده (١/ ٢١٧- ح١٨٧٧)، وأخرجه الترمذي (٢/ ٢٠٢-ح٨٥٨) من طريق أبي الطفيل عن ابن عباس ﷺ.

فاستلام المسلمين الركنين؛ الحجر واليماني إنما هو للتأسي برسول الله ﷺ لا للتبرك، ويخص الحجر بالتقبيل، ولا يقبل الركن اليماني تأسيًا برسول الله ﷺ لا من أجل التبرك.

والوقوف بعرفة والنزول بِعُرَنَة والمبيت بمزدلفة، والوقوف بالمشعر الحرام، والوقوف على الصفا والمروة، هذه الأماكن كان رسول الله ﷺ يقصدها ويخصّها بالعبادة، وكان الصحابة وسائر المسلمين يقصدونها بالعبادة ويخصونها تأسّيًا برسول الله ﷺ.

ومن هنا ما كان الصحابة الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون والتابعون لهم بإحسان ما كانوا يتتبعون الأماكن التي كان يمشي عليها ويقعد بها ويصلي فيها اتفاقًا، وما أكثر هذه الأماكن، وما بنوا عليها أي مسجد تبركًا وحفاظًا على آثاره ﷺ لأن ذلك داخل في الغلو الذي نهى عنه رسول الله ﷺ وداخلٌ في التشبه بأهل الكتاب الموجب لغضب الله ولعنه، وقدمنا الأدلة على ذلك.

إبطال ما يدعيه القاري من التأصيل

قال القاري (ص١٤-١٧):

«التأصيل الشرعي للمسألة:

مسألة التبرك بما يسمى (الآثار النبوية المكانية) أي الأماكن التي وجد فيها النبي ﷺ أو صَلَّى فيها أو سكن بها؛ أو مكث ولو لبرهة، الأصل فيها ما رواه البخاري ومسلم عن عِتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

ولفظ البخاري: أن عِتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم وَوَدِدتُ يا رسول الله أنك تأتي فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله» قال عِتبان: فَغَدَا

رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟» قال: فأشرت له إلى ناحيةٍ من البيت فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلَّمَ، قال: وحبسناه على خزيرةٍ صنعناها.. الحديث.

والدلالة من هذا الحديث واضحة في قول عِتبان رضي الله عنه: (فأتخذه مصلى) وفي إقرار النبي ﷺ، ومعنى قول عِتبان هذا: لأتبرك بالصلاة في المكان الذي ستصلي فيه.

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ أو وطئها، قال: ويستفاد منه أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة».

وقد علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على هذه الفقرة بقوله: «هذا فيه نظر، والصواب أن مثل هذا خاص بالنبي ﷺ لما جعل الله فيه من البركة وغيره لا يقاس عليه؛ لما بينهما من الفرق العظيم؛ ولأن فتح هذا الباب قد يفضي إلى الغلو والشرك كما قد وقع من بعض الناس نسأل الله العافية، وقد كرر الشيخ ابن باز الكلام بأنه لا يُقاس على النبي ﷺ غيره من الصالحين سدًّا لذريعةِ الغلو والوقوع في الشرك في موضع آخر، لكنه يفهم من كلامه هذا الإقرار بدلالة حديث عِتبان على مشروعية التبرك بالمكان الذي صلى فيه النبي ﷺ وهو المقصود.

وقال النووي في شرحه على مسلم عند حديث عِتبان:

«.. وفي هذا الحديث التبركُ بآثار الصالحين..» فوافق البغويَّ على قياس التبرك بالصالحين على التبرك بالنبي ﷺ».

أقول:

لا دلالة في الحديث على مسألة التبرك لعموم الناس بهذا المكان.

وقوله: «والدلالة من هذا الحديث واضحة من قول عِتبان رضي الله عنه وفي إقرار النبي ﷺ.

ومعنى قول عِتبان هذا لأتبرك بالصلاة في المكان الذي سيصلي فيه.

أقول:

لا يدل قول عِتبان ﷺ ولا إقرار النبي ﷺ لقول عِتبان على مسألة التبرك.

فلم يقلها عِتبان - أي: جملة (لأتبرك)- وإنما قالها القاري!!

إنما قال عِتبان: (لأصلي)، ولو كان القصد التبرك لطلب من النبي ﷺ أن يمسح بيده المكان الذي يريد أن يتبرك به هو وغيره ودعا أهله وجيرانه وغيرهم إلى التبرك بهذا المكان.

وسياق القصة هو: «أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى».

فالرجل أنكر بصره وبسبب ذلك تفوته الصلاة بقومه في مسجدهم للعذر الذي ذكره، فلو كان يريد التبرك لطلب من رسول الله ﷺ أن يمسح على عينيه ليعود بصره فيتمكن من الصلاة بقومه في مسجدهم وذلك خير له وأكثر بركة بمراحل دون شك.

والذي ينبغي أن يفهم من طلب عِتبان: أنه يقصد أن يتأسى برسول الله ﷺ وأن يتأكد من صحة قبلة هذا المصلى.

وهذا التفسير هو اللائق بالصحابة وحرصهم على التأسي برسول الله ﷺ ومتابعتهم له.

وهو الذي حثهم عليه ربنا -تبارك وتعالى- بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

والآيات في حثهم على طاعته واتباعه كثيرة معلومة.

وليس هناك آيات تحثهم على التبرك به، فيجب أن تفسر تصرفاتهم في ضوء هذا المنهج الواضح، ولا نتكلف التفسيرات الغريبة!

ولو كان هدف عِتبان ما يدّعيه القاري لوجدت الصحابة يتنافسون على دعوة النبي ﷺ للصلاة في بيوتهم لينالوا البركة بدخوله في بيوتهم وصلاته فيها ولأكثروا التمسح والتبرك بملامس يديه وأقدامه ﷺ ولشاع ذلك وذاع عنهم وهذا مما يهدم

فكرة التبرك بالأمكنة.

وكلام الحافظ - مع علمه وخدمته الكبيرة للسنة - غير صحيح لأنه في باب العقيدة عنده أخطاء ومخالفات خالف فيها عقيدة السلف في إثبات صفات الله وفي التوسل غير الشرعي وفي التوسع في التبرك بالصالحين، جرى فيها على طريقة شيوخ الأشاعرة وعلى طريقة البيئة التي عاش فيها.

واعتراض الشيخ ابن باز وجيه وفي محله.

وقولك: «لكنه يفهم من كلامه هذا الإقرار بدلالة حديث عِتبان على مشروعية التبرك بالمكان الذي صلى فيه النبي ﷺ وهو المقصود».

أقول: هذا الفهم منك خطأ على الشيخ ابن باز رحمه الله، والدليل على خطأ فهمك ما قرّره الشيخ في الموضع الذي أحلت عليه، حيث صرح بمذهبه في هذه القضية فقال معلقًا على قول الحافظ ابن حجر في الفتح(١/ ٥٦٩): «وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيث عِتبان وَسُؤَاله النَّبِيّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ لِيَتَّخِذَهُ مُصَلًّى وَإِجَابَة النَّبِيّ ﷺ إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ حُجَّةٌ فِي التَّبَرُّكِ بِآثَارِ الصَّالِحِينَ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعليقًا على كلام الحافظ:

«هذا خطأ، والصواب ما تقدم في حاشية (ص٥٢٢)، وغير النبي ﷺ لا يقاس عليه في مثل هذا.

والحق أن عمر رضي الله عنه أراد بالنهي عن تتبع آثار الأنبياء، سدّ الذريعة إلى الشرك وهو أعلم بهذا الشأن من ابنه رضي الله عنه.

وقد أخذ الجمهور بما رآه عمر، وليس في قصة عِتبان ما يخالف ذلك، لأنه في حديث عِتبان قد قصد أن يتأسى به ﷺ في ذلك، بخلاف آثاره في الطرق ونحوها فإن التأسي به فيها وتتبعها لذلك غير مشروع. كما دلّ عليه فعل عمر، وربما أفضى ذلك بمن فعله إلى الغلو والشرك كما فعل أهل الكتاب. والله أعلم»[1].

وفي كلام الشيخ ابن باز رحمه الله ما يأتي:

١- بيان مقصود عمر رضي الله عنه من النهي عن تتبع الآثار النبوية وأن هذا النهي لسدّ

(١) ويقال في كلام النووي ما قيل في كلام الحافظ ابن حجر -غفر الله لنا ولهما-

الذريعة إلى الشرك.

٢- ترجيح الشيخ إنكار عمر على ما فعله ابنه لأن عمر أعلم من ابنه بهذا الشأن وقد أخذ به الجمهور -يعني ومنهم الصحابة-.

ولا شكَّ في قوله.

ويضاف إلى ما ذكره الشيخ: استناد عمر رضي الله عنه وغيره على لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وقوله ﷺ على سبيل التحذير: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع» رواه البخاري من حديث أبي هريرة[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ حتى لو سلكوا جحر ضَبٍّ لسلكتموه. قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[2].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم»[3].

٣- قوله: «وليس في قصة عِتبان ما يخالف ذلك لأنه قصد أن يتأسى بالنبي ﷺ».

فقوله هنا «للتأسي» يبطل ما استنبطه القاري من كلام الشيخ بأنه يرى مشروعية التبرك بالمكان الذي صلى فيه النبي ﷺ.

---

(١) البخاري (٧٣١٩).

(٢) البخاري (٧٣٢٠)، مسلم (٢٦٦٩).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢١٨) والترمذي في الفتن (٢١٨٠) وصححه، ورواه غيرهما.

ثم انظر استنباط البخاري وفقهه العملي النافع من حديث عِتبان حيث أورده في عدة أبواب:

١- ترجم له في كتاب الصلاة في الباب الخامس والأربعين بقوله: «باب إذا دخل بيتًا يصلي حيث شاء أو حيث أمر ولا يتجسس» حديث (٤٢٤).

وفي الباب السادس والأربعين قال: «باب المساجد في البيوت: وصلى البراء بن عازب في مسجده في داره»، ثم ساقه بطوله.

وفي الباب الأربعين من أبواب الأذان بوَّب لمقطع منه بقوله: «باب الرخصة في المطر والعلة أن يصلي في رحله» حديث (٦٦٧).

وفي الباب الخمسين من الأذان قال: «باب إذا زار الإمام قومًا فأمهم» حديث (٦٨٦).

وفي الباب الثالث والخمسين بعد المائة ترجم لقطعة من هذا الحديث فقال: «باب يسلم حين يسلم الإمام» حديث (٨٣٨).

وفي الباب الرابع والخمسين بعد المائة من الأذان قال: «باب من لم يرد السلام على الإمام واكتفى بتسليم الصلاة» حديث (٨٤٠)، ويبوب له في كتاب التهجد بقوله: «باب صلاة النوافل جماعة» حديث (١١٨٦).

وأورده في المغازي، في «فضل من شهد بدرًا» حديث (٤٠٠٩-٤٠١٠).

وأورده في الرقاق ٦- باب العمل الذي يبتغى به وجه الله حديث (٦٤٢٢).

وأورد قطعة منه في استتابة المرتدين ٩- باب ما جاء في المتأولين حديث (٦٩٣٨).

ولم يورده ولو مرة تحت باب التبرك، ولو كانت مسألة التبرك من مضامين هذا الحديث لبوب له البخاري بابًا خاصًا لاسيما إذا كان يعتقد كما يعتقد القاري أن التبرك أعظم مقاصد الحديث!!

ثم أقول للقاري:

يبدو أنك توافق النووي والحافظ ابن حجر في مشروعية التبرك بآثار

الصالحين، أما هما فيعذران إن شاء الله لأنه لم ينبهما أحد على خطئهما.

وأما أنت فدرست في المدارس السلفية على مختلف مراحلها وعايشت السلفيين أكثر عمرك وعرفت منهجهم الحق ثم بعد كل هذا وذاك تفرح بما قرره الحافظ والنووي من منهج الصوفية! أليس هذا فتحًا لباب فتنة في بلاد أكرمها الله بمنهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة وفقهها من كتاب الله وسنة رسوله على طريقة السلف الصالح؟!

فوا حسرتاه عليك لشدة اهتمامك بالصوفية والتصوف!!

البخاري لا يرى مشروعية التبرك بالأماكن ولا ابن عمر

قال القاري (ص ١٧): «وقد بوَّب البخاري في صحيحه فقال: «باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ» وذكر فيه أحاديث فيها تتبُّع عبد الله ابن عمر ﷺ لهذه المواضع والتبرك بها، ومثله سالم ابنه كان يتحرى هذه المواضع.

ويفهم من تبويب البخاري وذِكرِه لهذه المواضع أنه يرى مشروعية التبرك بذلك».

أقول:

ساق البخاري حديث ابن عمر مرات في هذا الباب، ولم يرد في الحديث إلا أن ابن عمر كان يصلي في تلك المواضع.

ولا يفهم من تبويب البخاري أنه يرى مشروعية التبرك، والذي يدل عليه فعل ابن عمر وواقعه أنه يقصد التأسي برسول الله ﷺ، ولا يجوز أن ينسى قضية القضايا في الإسلام، وهي اتباع الرسول ﷺ والتأسي به ولا يجوز أن نعتقد فيه أنه يقصد ما يقصده الصوفية وهو التبرك.

على أن فعل ابن عمر هذا في تحريه المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ ليصلي فيها أمر انفرد به من بين أصحاب محمد ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الخلفاء الراشدون وباقي العشرة المبشرين بالجنة.

فلو كان هذا أمرًا مشروعًا لقاموا به ولتواتر عنهم نقله كما في سائر الأمور المشروعة.

يؤكد عدم مشروعيته أنه لم يأمر بهذا ولم يرشد إليه رسول الله ﷺ الذي ما ترك خيرًا إلا دل أمته عليه ولا شرًا إلا حذر أمته منه.

وللمسلم أن يأخذ المنع من نهيه ﷺ عن اتباع سنن من قبلنا الذين كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم فيجعلون منها كنائس وبيعًا.

ومن قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١).

وإذا كان هذا التشديد قد وقع بالنسبة لقبورهم فكذلك آثارهم.

ومن هنا نهى عمر رضي الله عنه عن تتبع المواقع التي صلى فيها رسول الله ﷺ وأيد فهمه الصحابة الحاضرون، ويدخل في هذا النهي التتبع للأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ اتفاقًا لا قصدًا للصلاة فيها ومنها هذه المواقع.

وابن عمر مجتهد له أجر اجتهاده، وإن كان أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران، والصواب مع كبار الصحابة وسائرهم وهديهم هو الموافق لتوجيهات رسول الله ﷺ التي أسلفناها.

والرسول ﷺ يقول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»(٢).

ولشيخ الإسلام كلام جيد في مثل فعل ابن عمر رضي الله عنه في التوسل والوسيلة (٢١٩- ٢١٠- ط الفرقان) حيث قال رحمه الله:

«وكذلك ابن عمر كان يتحرى أن يسير مواضع سير النبي ﷺ، وينزل مواضع منزله، ويتوضأ في السَّفر حيث رآه يتوضأ، ويصب فضل مائه على شجرة صبَّ عليها. ونحو ذلك مما استحبه طائفة من العلماء ورأوه مستحبًا، ولم يستحب ذلك جمهور العلماء، كما لم يستحبه ولم يفعله أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم لم يفعلوا مثل ما فعل ابن عمر ولو رأوه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

مستحبًا لفعلوه كما كانوا يتحرون متابعته والاقتداء به.

وذلك لأن المتابعة: أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلًا على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصَّصناه بذلك، كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة وأن يلتمس الحجر الأسود وأن يصلي خلف المقام وكان يتحرى الصلاة عند أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما.

وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده مثل أن ينزل بمكان ويصلي فيه لكونه نزله لا قصدًا لتخصيصه بالصلاة والنزول فيه.

فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين، بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب.

كما ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن المعرور بن سويد قال: «كان عمر بن الخطاب في سفرٍ فصلى الغداة ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون: صلى فيه النبي ﷺ. فقال عمر: إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتَّبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعًا فمن عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض»[1].

فلما كان النبي ﷺ لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه، بل صلى فيه لأنه موضع نزوله، رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي ﷺ في الصورة ومتشبه باليهود والنصارى في القصد الذي هو عمل القلب». اهـ.

وقال شيخ الإسلام أيضًا في مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٣٤-١٣٦): «وأما قول السائل: هل يجوز تعظيم مكان فيه خلوق وزعفران لكون النبي ﷺ رُئي عنده؟

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ١١٨-١١٩) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٦٧، ٣٦٨/ طبعة مكتبة الرشد).

فيقال: بل تعظيم مثل هذه الأمكنة واتخاذها مساجد ومزارات لأجل ذلك هو من أعمال أهل الكتاب اللذين نُهينا عن التشبه بهم فيها. وقد ثبت «أنَّ عمر بن الخطاب كان في السَّفر فرأى قوما يبتدرون مكانًا فقال: ما هذا؟! فقالوا: مكان صلَّى فيه رسول الله ﷺ فقال: ومكان صلى فيه رسول الله؟! أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟! من أدركته فيه الصلاة فليصلِّ وإلا فليمض».

وهذا قاله عمر بمحضر من الصحابة.

ومن المعلوم أنَّ النبي ﷺ كان يصلي في أسفاره في مواضع، وكان المؤمنون يرونه في المنام في مواضع، وما اتخذ السلف شيئًا من ذلك مسجدًا ولا مزارًا ولو فُتح هذا الباب لصار كثير من ديار المسلمين أو أكثرها مساجد ومزارات؛ فإنهم لا يزالون يرون النبي ﷺ في المنام وقد جاء إلى بيوتهم ومنهم من يراه مرارًا كثيرة وتخليق هذه الأمكنة بالزعفران بدعة مكروهة.

وأما ما يزيده الكذَّابون على ذلك مثل أن يرى في المكان أثر قدم فيقال: «هذا قدمه» ونحو ذلك فهذا كله كذب والأقدام الحجارة التي ينقلها من ينقلها ويقول أنها موضع قدمه كذب مختلق، ولو كانت حقًّا لسنَّ للمسلمين أن يتخذوا ذلك مسجدًا ومزارًا، بل لم يأمر الله أن يتخذ مقام نبي من الأنبياء مصلى إلا مقام إبراهيم بقوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة:١٢٥]، كما أنَّه لم يأمر بالاستلام والتقبيل لحجر من الحجارة إلَّا الحجر الأسود، ولا بالصلاة إلى بيت إلَّا البيت الحرام، ولا يجوز أن يقاس غير ذلك عليه باتفاق المسلمين بل ذلك بمنزلة من جعل للناس حجًّا إلى غير البيت العتيق أو صيام شهر مفروض غير صيام شهر رمضان وأمثال ذلك.

فصخرة بيت المقدس لا يُسَنُّ استلامها ولا تقبيلها باتفاق المسلمين، بل ليس للصلاة عندها والدعاء خصوصية على سائر بقاع المسجد. والصلاة والدعاء في قبلة المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب للمسلمين أفضل من الصلاة والدعاء عندها وعمر بن الخطاب لما فتح البلد قال لكعب الأحبار: أين ترى أن أبني مصلَّى المسلمين؟ قال: ابْنِه خلف الصخرة. قال: خالطتك يهودية يا ابن اليهودية! بل

أبنيه أمامها ؛ فإنَّ لنا صدور المساجد. فبنى هذا المصلَّى الذي تُسمِّيه العامة (الأقصى). ولم يتمسَّح بالصخرة ولا قبَّلها ولا صلَّى عندها، كيف وقد ثبت عنه في الصحيح أنه لما قبَّل الحجر الأسود قال: «والله إنِّي لأعلم أنَّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك».

وكان عبد الله بن عمر إذا أتى المسجد الأقصى يُصلِّي فيه ولا يأتي الصخرة. وكذلك غيره من السَّلف. وكذلك حجرة نبيِّنا وحجرة الخليل وغيرهما من المدافن التي فيها نبيٌّ أو رجل صالح لا يُستحب تقبيلها ولا التمسُّح بها باتفاق الأئمة ؛بل منهيٌّ عن ذلك.

وأما السجود لذلك فكفرٌ، وكذلك خطابه بمثل ما يخاطب به الرب مثل قول القائل:

(اغفر لي ذنوبي أو انصرني على عدوي)، ونحو ذلك». اهـ.

سلمة بن الأكوع لا يقصد إلا التّأسي بالنبي ﷺ ولا يقصد التبرُّك

قال القاري (ص١٧-٢٠):

«وثبت عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه كان يتحرى المكان الذي كان يصلي فيه رسول الله ﷺ بين المنبر والقبلة:

ففي الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه أنه كان يتحرَّى موضعَ مكانِ المصحفِ يسبِّح فيه، وذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرَّى ذلك المكان[1].

وفي رواية في الصحيح أيضًا، قال يزيد: كان سلمة يتحرَّى الصلاةَ عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: رأيت النبي ﷺ يتحرَّى الصلاة عندها.

قوله في الرواية الأولى: «يسبح فيه» أي يصلي النوافل وتُسمَّى صلاة الضحى أيضًا بالسبحة..

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة (٥٠٢) ومسلم في الصلاة (٥٠٩).

وقوله في الرواية الأخرى: «عند الأسطوانة» هي التي جُعلت عَلَمًا على مُصَلَّى النبي ﷺ وهي التي على يمين الواقف في المحرابِ النبويِّ، وهي اليوم على يمين المحرابِ المبنيّ نفسِهِ ملتصقةً به، وتُسمَّى «الأسطوانة المخلقة» من الخَلُوق أي الطيب، وكلُّ الأسطوانات ثَمَّ كانت تُخَلَّق، لكنهم كانوا يُعْنَوْنَ بهذه من بينها فيُخَلِّقُونَهَا كلَّهَا من أسفلها إلى أعلاها، وكان الصندوق الذي فيه المصحف إلى جانبها.

فمَن أحبَّ أن يوافق المكانَ الذي كان النبي الله ﷺ يُصلِّي فيه فليجعل هذه الأسطوانة نُصْبَ عينهِ والمنبرَ على يمينه ولْيقتربْ قَدْرَ إمكانِهِ منها.

وورد النص عن بعض الفقهاء في استحباب الصلاة في هذا المكان.

نقل المرجاني: أن في العتبية ما لفظه: أحبُّ مواضع التنفل في مسجد رسول الله ﷺ مُصلَّاه حيث العمود المخلق، وقال ابن قاسم: أحبُّ مواضع الصلاةِ في مسجده ﷺ في النفل العمود المخلق، وفي الفرض في الصف الأول.

وروى ابن وهب عن مالك أنه سُئِلَ عن مسجد رسول الله ﷺ وقيل له: أيُّ المواضع أحبُّ إليك الصلاةُ فيه؟ قال: أما النافلة فموضع مُصَلَّاه، وأما المكتوبة فأولُ الصفوف».

أقول:

تخليق هذا العمود وغيره ليس من عمل الرسول ﷺ، ولا من عمل أصحابه والتابعين لهم بإحسان، وإنما هو من عمل المتأخرين، وهو وسيلة للغلو في هذه الأعمدة والتمسح بها والاعتقاد فيها، وهذا يشبه عمل أهل الكتاب الذي نهى رسول الله ﷺ عنه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها.

وأقول:

إن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لم يقصد بفعله هذا إلا التأسي برسول الله ﷺ وانظر إلى قوله: «وذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرى ذلك المكان».

فهل يؤخذ من تحري رسول الله ﷺ لهذا المكان أن رسول الله كان يتبرك بهذا المكان؟!

أعتقد أنّ القاري وغيره لا يستطيعون أن يقولوا هذا؛ فنقول: وكذلك سلمة وابن عمر لا يتبركان بالأمكنة، وإنما غاية عملهما التأسي برسول الله ﷺ الذي حث المؤمنين عليه اللهُ تعالى وحثهم عليه رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى مخاطبًا الناس جميعًا: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فالاهتداء إلى الحق في كل مجال إنما هو في اتباع رسول الله ﷺ وطاعته ومحبته بدون غلو في كل أمر نتبعه ودون تقصير.

ويقول ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1] فعلى المسلمين أن يتحروا اتباعه في الصلاة في أركانها وواجباتها ومستحباتها وكيفياتها.

وقال ﷺ في شأن الحج ومناسكه: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذه»[2].

والمناسك تشمل الطواف والسعي والوقوف بعرفات والمبيت بمزدلفة ورمي الجمار والمراد أن نفعل مثل أفعاله وأن نقول فيها مثل أقواله.

ولا يقصد رسول الله ﷺ التبرك بهذه الأماكن، ولا فهمه أحد من أصحابه ولا أحد من علماء الأمة الأعلام، فتحري سلمة للصلاة في هذا الموضع إنما هو للتأسي برسول الله ﷺ، كما يتحرى هو وغيره الصلاة في مقام إبراهيم، ويراجع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي سبق نقله قريبًا[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان حديث (٦٣١) وفي الأدب (٦٠٠٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (الحج ١٢٩٧) وأحمد في المسند (٣/ ٣٣٧) وأبو داود (مناسك ١٩٧٠) والنسائي (مناسك الحج ٣٠٦٢).

(٣) انظر (ص ٣٤- ٣٥) من هذا الكتاب.

تكثير القاري من الأسطوانات بغير أدلة توسعٌ في الفتنة

قال القاري (ص٢٠-٢٢):

«ومن الأماكن النبوية في الروضة الشريفة الأسطوانات الأخرى، وهي: أسطوانة السرير وأسطوانة الحرس، وأسطوانة الوفود، وأسطوانة التوبة، وأسطوانة التهجد، وأسطوانة عائشة، وأسطوانة عائشة كانت تسمى أسطوانة المهاجرين حيث كانوا يجتمعون عندها، وكان الصحابة يتحرون الصلاة عندها، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح لكنه رَحِمَهُ اللَّهُ التبس عليه الأسطوانة المخلقة التي هي عَلَم على مصلى النبي ﷺ بأسطوانة عائشة.

روي في أسطوانة عائشة أنها عند المكان الذي قام فيه ﷺ يصلي الفرائض بعد تحويل القبلة، صلى عندها بضع عشرة ثم تقدم إلى مصلاه المعروف وكان يجعلها خلف ظهره وأن أبا بكر وعمر والزبير وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، وكان يقال لها مجلس المهاجرين».

أقول:

لم يقم القاري دليلًا على مشروعية التبرك بأسطوانة السرير وأسطوانة الحرس وأسطوانة الوفود وأسطوانة التوبة وأسطوانة التهجد.

وأمّا قوله:

«وأسطوانة عائشة كانت تسمى بأسطوانة المهاجرين حيث كانوا يجتمعون عندها وكان الصحابة يتحرون الصلاة عندها. ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ».

أقول:

لم يقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان الصحابة يتحرون الصلاة عندها، وهاكم كلام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ متحدثًا عن الأسطوانة التي كان سلمة بن الأكوع يتحرى الصلاة إليها.

قال: «والأسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في

الروضة المكرمة، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين، قال: ورُوِيَ عن عائشة أنها كانت تقول: «لو عرفها الناس لاضطربوا عليها بالسهام» وأنها أسرتها إلى ابن الزبير فكان يكثر الصلاة عندها، ثم وجدت في تاريخ المدينة لابن النجار وزاد: «أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها». وذكره قبله محمد بن الحسن في «أخبار المدينة». فتح الباري (١/ ٥٧٧).

وقد أحال القاري إلى هذا الموضع من الفتح، فأنت ترى أن الحافظ لم يقل: وكان الصحابة يتحرون الصلاة عندها.

وأن كلامه يفيد المراد بهذه الأسطوانة: الأسطوانة التي كان سلمة بن الأكوع يتحرى الصلاة عندها.

ولا يريد ما يسمّيه القاري بأسطوانة عائشة، ولا أدري لماذا يُكثر من عدد الأسطوانات وبغير أدلة، ولعل القصد توسيع دائرة التبركات للخرافيين!

وقوله: «وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين».

أقول: لم يسم لنا الحافظ شيخه ولا دليله!

وقول الحافظ: «ثم وجدت ذلك في تاريخ ابن النجار وزاد أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها وذكره قبله محمد بن الحسن في أخبار المدينة».

أقول: لا يبعد أن عمدة ابن النجار إنما هو محمد بن الحسن، ومحمد بن الحسن هذا هو ابن زبالة.

قال الذهبي في ترجمة محمد بن الحسن: «قال أبو داود: كذاب».

وقال يحيى: «ليس بثقة». وقال النسائي والأزدي: «متروك». وقال أبو حاتم: «واهي الحديث». وقال الدارقطني وغيره: «منكر الحديث». الميزان (٣/ ٥١٤).

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: «كذبوه».

ومن المنكرات ما ينسب لعائشة: «أنها أسرتها إلى ابن الزبير» فحاشاها من ذلك.

وقول القاري: «لكنه كَثَلَلهُ (يعني الحافظ) التبس عليه الأسطوانة المخلقة التي هي علم على مصلى النبي بأسطوانة عائشة».

أقول: قد سبق لك أن ما يسميه القاري بأسطوانة عائشة خطأ، وأن الحافظ لا يفرق بينهما، وليس للقاري دليل على إثبات أسطوانة عائشة ولا على اجتماع المهاجرين إليها وليس له دليل على الأسطوانة المخلقة، وقد التبست عليه الأمور، ولا أقول: إنه يلبس على الناس.

وقول القاري: «وروي في أسطوانة عائشة أنها عند المكان الذي قام فيه النبي ﷺ يصلي الفرائض بعد تحويل القبلة صلى عندها بضع عشرة.

ثم تقدم إلى مصلاه المعروف، وكان يجعلها خلف ظهره.

وأن أبا بكر وعمر والزبير وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها، وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، وكان يقال لها مجلس المهاجرين».

أقول: لا يثبت شيء يُسمّى أسطوانة عائشة.

ثم لماذا لم يأت لنا القاري بأسانيده لإثبات هذه الأسطوانة؟!، وأسانيده أنَّ الصحابة: أبا بكر وعمر... الخ كانوا يصلون عندها ؟!، وأسانيده أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، وكان يقال لها: مجلس المهاجرين؟!

لماذا لم يأت بالأسانيد ويكتفي بقوله: رُوي؟!، وهل تثبت عند طلاب الحقيقة والحق هذه الأمور العظيمة بـ(رُوي)؟! لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء!!

وكيف تتفق هذه الدعوى التي فيها أن الصحابة كانوا يعلمون هذه الأسطوانة ويصلي بعضهم عندها ويجتمع المهاجرون عندها مع الدعوى أن عائشة أخفتها عنهم وأسرتها على ابن الزبير.

اعتماد القاري على رواية راوٍ متروك وآخر مجهول

قال القاري (ص٢٢):

«روى الطبراني في الأوسط عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمسجد لبقعة قِبَل هذه الأسطوانة لو يعلم الناس ما صلّوا فيها إلا أن تُطير لهم قرعة» وعندها جماعة من أبناء الصحابة وأبناء المهاجرين فقالوا: يا أم المؤمنين! وأين هي؟ فاستعجمت عليهم، فمكثوا عندها ثم خرجوا، وثبت عبد الله بن الزبير، فقالوا: إنها ستخبره بذلك المكان، فارمقوه في المسجد حتى ينظروا حيث يصلّي، فخرج بعد ساعة فصلّى عند الأسطوانة التي واسطة[1] بين القبر والمنبر عن يمينها إلى المنبر أسطوانتان وبينها وبين المنبر أسطوانتان وبينها وبين الرحبة أسطوانتان وهي واسطة بين ذلك وهي تسمى أسطوانة القرعة. أقول: وسميت أسطوانة عائشة لأجل هذا الخبر».

أقول:

هذا الحديث رواه الطبراني قال: «حدثنا أحمد يعني بن يحيى الحلواني ثنا عتيق بن يعقوب ثنا ابنا المنذر عبد الله و محمد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ به، وفي إسناده محمد بن المنذر، وهو متروك».

قال ابن حبان: «لا يحل كتب حديثه إلا على سبيل الاعتبار».

وقال الحاكم: «يروي عن هشام بن عروة أحاديث موضوعة».

وقال أبو نعيم: «يروي عن هشام أحاديث منكرة». الميزان (٤/ ٤٧) واللسان (٥/ ٣٩٤).

وأخوه عبد الله لم أقف له على ترجمة!

وشيخهما عتيق بن يعقوب الزبيري وثقة الدارقطني، وذكره ابن حبان في الثقات لكنه لم يعرف نسبه، وقال الساجي: روى عن هشام بن عروة حديثًا منكرًا،

(١) كذا (!) ولعله سقط هنا كلمة: (هي).

وروى حديثًا عن مالك في السفر ووهم فيه». لسان الميزان (٤/ ١٣٠)، وانظر الحديث في مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٣/ ٢٩٤).

فهذا هو حال حديث عائشة في هذه الأسطوانة، ولا أدري هل عند القاري معرفة وقدرة على دراسة الأحاديث التي يحتج بها في هذه الموضوعات التي يتحمّس لها وينادي بها أو هو يفقد ذلك؟! وعلى كلا الأمرين يقال له:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وقد تقدم الكلام على الأسطوانة التي ينسبها القاري إلى عائشة فلا نعيد الكلام عليها.

اعتماد القاري على حديث جابر ﷺ وفيه علل في إسناده ومتنه

قال القاري (ص٢٣):

«وثبت عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه كان يأتي مسجد الفتح الذي على الجبل يتحرى الساعة التي دعا فيها النبي ﷺ على الأحزاب ويتحرى المكان - أيضًا - ويقول: «ولم ينزل بي أمر مهم غائظ إلا توخيت تلك الساعة فدعوت الله فيه بين الصلاتين يوم الأربعاء إلا عرفت الإجابة».

أقول:

كيف يثبت هذا الحديث وفيه عدة علل:

الأولى: في إسناده كثير بن زيد الأسلمي، قال أبو زرعة: «صدوق فيه لين». وقال النسائي: «ضعيف».

وروى ابن الدورقي عن يحيى: «ليس بذاك، ومرة قال: صالح».

وروى ابن أبي مريم عن يحيى: «ثقة».

وقال ابن المديني: «صالح وليس بقوي».

وقال ابن عدي: «ولم أر بحديث كثير بأسًا». انظر: الميزان (٣/ ٤٠٤) وتهذيب الكمال (٢٤/ ١١٥).

وقال الذهبي في الكاشف: «قال أبو زرعة: صدوق فيه لين».

وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ».

الثانية: في إسناده عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال ابن أبي حاتم: «عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك روى عنه عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت أبي يقول ذلك».

وقال أيضًا: «عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري: روى عن عمه معقل، روى عنه عبد الله بن قدامة الجمحي سمعت أبي يقول ذلك. قال أبو محمد: روى أيضًا عن جابر بن عبد الله». الجرح والتعديل (٥/ ٩٥).

وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ في التاريخ الكبير: «عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه روى عنه عبد الله بن محمد بن عقيل وعاصم بن عبيد الله».

وترجم له ابن حبان وقال: «يروي عن أبيه وعاصم بن عبيد الله». الثقات (٧/ ٣).

فهذا حال عبد الله بن عبد الرحمن هذا عند البخاري وأبي حاتم وابنه وعند ابن حبان.

وقال البخاري: «عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مالك الأنصاري سمع معقلًا روى عنه عبد الملك بن قدامة»، وهذا رجل آخر عند البخاري.

وظاهر من ترجمة هؤلاء الأئمة لهذا الرجل: أنه مجهول الحال (مستور).

وإسنادٌ هذا حاله يقال في متنه: ضعيف، ولا يقال فيه: ثبت!!

والعلة الثالثة: الاختلاف عليه في الإسناد؛ فتارة يرويه كثير بن زيد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، وتارة يرويه عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر. انظر الطبقات لابن سعد (٢/ ٧٣).

وكذلك يرويه عبد الملك بن عمرو عن كثير بن زيد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بنحوه. التمهيد (١٩/ ٢٠١).

والعلة الرابعة: اضطرابه في المتن؛ فهو مرة يقول: إن دعاء النبي ﷺ كان في مسجد الفتح، وتارة يقول: في مسجد قباء، وثالثة يقول: في مسجد الأحزاب، وراجع كتاب المساجد السبعة لأبي جابر عبد الله بن محمد الأنصاري (ص١١-١٥).

فقد ذكر كثيرًا من مصادر هذا الحديث وأوجه الاختلاف على كثير بن زيد في الإسناد والمتن، وقد راجعت بعض مصادره للاطمئنان.

وإذ قد تبين للقارئ الكريم ضعف هذا الحديث إسنادًا ومتنًا وما فيه من علل، فهل يجوز لأحد الاحتجاج به في قضية فرعية، فضلًا عن أن تكون عقدية (التبرك) طالما حذر من مثلها رسول الله ﷺ وحذر منها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بموافقة من حضره من أصحاب محمد ﷺ وطالما حذر منها العلماء الناصحون؟!

وظهرت الآثار السيئة لمخالفاتها من تصرفات الكثير من أهل البدع وجهّال مقلديهم!!

استنتاج باطل لا يجوز نسبته إلى أصحاب محمد ﷺ وتابعيهم

قال القاري (ص٢٣-٢٥):

«فإذن من الصحابة ﷺ عبد الله بن عمر وأبوه عمر بن الخطاب كان مع النبي ﷺ هو وأبو بكر في بيت عِتبان بن مالك وشهدا الواقعة وفيها أقر النبي ﷺ عِتبان على التبرك بالمكان الذي صلى فيه ﷺ ولذلك لم ينقل أن عمر أنكر على ابنه عبد الله شدة تتبعه للأماكن النبوية وتبركه بها، بل لم يرد عن أي أحد من الصحابة أنه أنكر عليه ذلك فهم وإن لم ينقل عنهم أنه كانوا يفعلون ذلك مثله لكن عدم إنكارهم يدل على مشروعية فعله ﷺ ومن الصحابة أيضًا سلمة بن الأكوع كما بينا وجابر بن عبد الله ورد عنه النص بالتبرك بالمكان الذي دعا فيه النبي ﷺ وصلى فيه واستجيب له كما ذكرنا آنفًا وبهذه النصوص الثابتة يبدو لنا أنه مذهب سائر الصحابة وإن لم يرو عنهم بالتفصيل.

ومثله القول في تابعي المدينة، فقد ورد في البخاري أن سالم بن عبد الله بن

عمر كان مثل أبيه يتحرى تلك الأماكن النبوية.

ولما تتبع أمير المدينة عمر بن عبد العزيز عام (٨٩هـ) أو بعدها هذه الأماكن النبوية لم ينكر عليه أحد من التابعين بالمدينة، ولا من الصحابة وكان بقي منهم ستة من صغار الصحابة[1]، بل نقل أنهم أعانوه على ذلك ودلوه على تلك الأماكن.

ومشروعية التبرك بالأماكن النبوية هو مذهب البخاري كما ذكرنا ومذهب البغوي والنووي وابن حجر بل هو مذهب الإمام أحمد رحمه الله وقد استدل الإمام على ذلك بأن الصحابة كانوا يمسحون أيديهم برمانة المنبر يتبركون بالموضع الذي مسته يد النبي ﷺ، وهو مذهب الإمام مالك فقد روى أبو نعيم في الحلية أن هارون الرشيد أراد أن ينقض منبر النبي ﷺ ويتخذه من جوهر وذهب وفضة فقال له مالك: «لا أرى أن تحرم الناس من أثر النبي ﷺ، وسبق نقل كلامه في استحباب صلاة النافلة في مكان مصلاه ﷺ من مسجده».

أقول:

١- قد سبق بيان عدم مشروعية التبرك بالأماكن وبيان بطلان استدلال القاري وضعف أدلته وبيان بطلان تعلقه بالصحابة في مسألة التبرك بالأماكن وأن ما فعله ابن عمر وسلمة بن الأكوع وعِتبان بن مالك إنما هو من باب التأسي.

وأن مشروعية التأسي به ﷺ في الأمكنة ليس على إطلاقه وإنما في الأمكنة التي قصد الرسول ﷺ التعبد فيها، وأن تتبع ابن عمر للأماكن التي نزل رسول الله ﷺ فيها اتفاقًا لا قصدًا أمر قد انفرد به ابن عمر من بين أصحاب رسول الله ﷺ؛ أكابرهم وأصاغرهم، وذلك من الأدلة الواضحة على عدم مشروعية هذا التتبع من ابن عمر، وهو اجتهاد منه في غير محله. وتقدم أن عمر بن الخطاب الخليفة الراشد قد أنكر ذلك على من يفعله وأقره الصحابة الحاضرون.

(١) ما كان موجودًا عند بناء عمر بن عبد العزيز لمسجد رسول الله من أصحاب رسول الله إلا ثلاثة من صغار الصحابة، وأما المساجد فلم يثبت أن عمر بن عبد العزيز قام ببنائها كما تقدم بيان ذلك فضلًا عن حضور بعض الصحابة والتابعين لهذا البناء المزعوم ومعاونتهم لعمر بن عبد العزيز

٢ -لم يقم القاري دليلًا على حضور ابن عمر مع بعض الصحابة الذين حضروا صلاة النبي ﷺ في بيت عِتبان.

٣- طلب عِتبان بن مالك من النبي ﷺ أن يصلي في بيته ليجعل ذلك مسجدًا، لا يدل على أن قصد عِتبان التبرك بالصلاة في هذا المسجد، وإنما يقصد التأكد من قبلة هذا المسجد حسب ما يظهر من حاله، كما يقصد التأسي بالنبي ﷺ، وقد تقدم بيان ذلك.

والنبي ﷺ لم يقر عِتبان على التبرك وإنما أقره على التأسي.

٤-وقوله: «ولم ينقل أن عمر أنكر على ابنه عبد الله» فيه نظر من وجوه:

أ- عدم نقل إنكار عمر على ابنه لا يدل على أنه أقره، وكيف ينكر على من يفعل مثل فعل ابنه ويقر ابنه؟ حاشاه وحاشى من هو دونه من هذا الفعل.

وهذا يؤدي إلى اتهام عمر ﷺ بالمحاباة لابنه وهو الصَّدَّاع بالحق، ولا يسلك فجًا إلا سلك الشيطان فجًا غير فجه، فلا يجوز أن ينسب إليه ما يدعيه القاري.

ب- ومنها: احتمال أن عمر ما كان يعلم أن ابنه يفعل هذا، بل قد يكون الصحابة جميعًا لا يعلمون هذا، فقد يعمل الإنسان العمل الذي يرى أنه يقربه إلى الله ولا يطلع عليه غيره، كما كان أبو هريرة ﷺ يفعل، فقد روى مسلم بإسناده[1] إلى أبي حازم قال: «كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يديه حتى تبلغ إبطه، فقلت: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ! أنتم هاهنا، لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

٥- يحتمل أن ابن عمر ما كان يفعل هذا في أول حياته في عهد أبي بكر وعمر ثم طرأ له نوع اجتهاد أن يفعله وهذا احتمال معقول لأن الرجل طال عمره بعد أبيه حيث توفي عام ثلاثة وسبعين بينما توفي أبوه في عام ثلاثة وعشرين، فالفرق بين

(١) في الطهارة حديث (٢٥٠)

وفاتيهما خمسون عامًا.

وربما ما كان يحب أن يُقتدى به في هذا الفعل، ولذا لم يطلع على عمله إلا سالم ابنه ومولاه نافع، هذا مع أن قصده التأسي وحاشاه أن يكون على سنن من قبلنا في الغلو والتبرك بالآثار المؤدي إلى الضلال والشرك.

وقوله: «ولم يرد عن أحد من الصحابة أنه أنكر عليه.. إلخ».

أقول:

هات الدليل أن الصحابة قد اطلعوا على فعل ابن عمر هذا ثم أقرّوه، واحتمال أنه كان يخفي هذا العمل وارد وقد سبق.

ومَن مِن الصحابة كان يرافقه في سفره ويراقب حركاته؟! هذا شيء بعيد فقد يسافر الرجل ويعمل أعمالًا لا يطلع عليها غيره، لاسيما هذا العمل الذي زجر عنه أبوه ثم اجتهد في فعله.

٦- وقولك: «وعدم إنكارهم (يعني الصحابة) يدل على مشروعيته».

أقول: سبحان الله!! أمر مشروع يعرض عنه الصحابة إعراضًا كليًا ثم يهتم به الخلوف ويقومون به ويدافعون عنه، سبحان الله مرة أخرى وافهم مؤدى كلامك!!

وتعلقه بعمل سلمة بن الأكوع من تحريه الصلاة عند أسطوانة المصحف التي كان يشاهد رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها قد تقدم أن عمله هذا من التأسي والاقتداء المشروع لا من باب التبرك الممنوع.

وأما تعلقه بعمل جابر فقد تقدم بيان ضعف حديثه وعلله، ثم على تسليم ثبوته فليس عمله من باب التبرك المزعوم.

وقوله: «وبهذه النصوص الثابتة يبدو لنا أنه مذهب سائر الصحابة وإن لم يرو عنهم بالتفصيل».

أقول: هذه دعوى كبيرة تقدم بطلانها وبراءة الصحابة منها، وأن ما تعلق به من حديث ابن عمر وحديث سلمة بن الأكوع وإن صحا فليس فيهما دلالة على التبرك الذي نهى عنه عمر لأنه من اتباع أهل الكتاب، ونهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره

مسجدًا ولعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وقول النبي ﷺ لمن طلبوا منه ذات أنواط: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»[1]

فهذه الأحاديث يفقه الفطن منها تحريم تتبع الآثار للتبرك بها وأنه من سنن من قبلنا بل أشدها خطرًا وأقواها تشبهًا بمن قبلنا فكيف يكون هذا مذهب سائر الصحابة؟!

نزههم الله عما ينسبه إليهم القاري!!

وقوله: «ومثله القول في تابعي المدينة، فقد ورد في البخاري أن سالم بن عبد الله بن عمر كان مثل أبيه يتحرى تلك الأماكن».

أقول:

سبحان الله، كيف تنسب فعل شخص واحد إلى تابعي المدينة كلهم وهل يجوز هذا شرعًا وعقلًا ولغة؟!

ثم ليس عندك دليل على أن سالمًا كان يفعل هذا تبركًا.

وقوله: «ولما تتبع أمير المدينة عمر بن عبد العزيز عام (٨٩هـ) أو بعدها هذه الأماكن النبوية لم ينكر عليه أحد من التابعين بالمدينة ولا من الصحابة وكان بقي منهم ستة من صغار الصحابة، بل نقل أنهم أعانوه ودلوه على تلك الأماكن».

أقول:

تقدم أن هذا النقل لم يثبت؛ ومع هذا فليس فيه أن الباقين من صغار الصحابة أعانوه، وليس فيه أن التابعين أعانوه، والظاهر أنّه لم يكن في عهد ولاية عمر بن عبد العزيز من صغار الصحابة على قيد الحياة إلا ثلاثة وهم:

١- السائب بن يزيد، ت (٩١هـ).

٢- ومحمود بن لبيد، ت (٩٦هـ).

---

(١) تقدم تخريجه.

٣- ومحمود بن الربيع، ت (٩٩هـ).

ولو ثبت هذا النقل الغريب فليس هناك دليل على أنهم دلوا عمر بن عبد العزيز على هذه الأماكن وأعانوه.

قوله: «ومشروعية التبرك بالأماكن النبوية هو مذهب البخاري كما ذكرنا، بل هو مذهب البغوي النووي وابن حجر، بل هو مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ».

أقول: لا يجوز نسبة تجويز التبرك بالأماكن إلى البخاري من نقله لعمل ابن عمر وقصة عِتبان بن مالك!

فنقله إن دل على شيء فإنما يدل على أنه يرى مشروعية التأسي بالصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ.

وأما الإمام أحمد فلم يعرف عنه إلا تجويز مس رمانة المنبر[1]، ولا يجوز أن ينسب إليه جواز التبرك بهذه المساجد ومنها المساجد السبعة.

وأما مالك فقد ظلمته بقولك: «وهو مذهب مالك» مع أن مذهبه كراهة التمسح بالمنبر والقبر!! وتقدم النقل عنه وعن علماء المدينة أنهم كانوا يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار بالمدينة، وتقدم النقل عن ابن تيمية إنكاره تتبع الآثار والبناء عليها، بل تقدم النقل عن عمر بن الخطاب ومن معه من الصحابة الإنكار على من تتبع آثار النبي ﷺ.

وما أعتقد أنك نقلت عنه من مصدر موثوق!

قولك: «واستدل الإمام على ذلك بأن الصحابة كانوا يمسحون أيديهم برمانة المنبر».

أقول: فإن كان عندك نقل صحيح عنه فبين لنا مصدرك بالجزء والصحيفة وإلا فالمأخذ عليك كبير!

وقصة إرادة الرشيد نقض المنبر وتوجيه الإمام مالك إلى تركه بقوله: «لا أرى أن تحرم الناس من أثر النبي ﷺ».

---

(١) وقد احترق منبر النبي ﷺ وعُمل منبر آخر بدله، لم يمسّه النبي ﷺ ولا خطب عليه، فمن يتبرك اليوم بالمنبر الموجود فإنما يتبرك بآثار غيره!!

لم تثبت هذه القصة لأن أبا نعيم[١] رواها من طريق المقدام بن داود متكلم فيه .

قال ابن أبي حاتم : «سمعت منه بمصر وتكلموا فيه» . الجرح والتعديل (٨/ ٣٠٣) .

وقال الذهبي فيه : «قال النسائي في الكنى : ليس بثقة . وقال ابن يونس وغيره تكلموا فيه . وقال محمد بن يونس البيكندي : كان فقيهًا لم يكن بالمحمود في الرواية ت (٢٨٣هـ)» . الميزان (٤/ ١٧٥-١٧٦) .

وقولك : «وسبق نقل كلامه في استحباب صلاة النافلة في مكان مصلاه ﷺ من مسجده» .

أقول :

إذا أجاز الإمام مالك الصلاة في مصلى النبي ﷺ الذي كان يتحرى الصلاة فيه كما في حديث سلمة بن الأكوع تأسيًا بالنبي ﷺ .

فهل يجوز لك أن تنسب إلى هذا الإمام أنه يجيز التبرك في المساجد الكثيرة والأماكن غيرها التي تدّعى أن النبي صلى فيها أو مشى فيها أو وجد فيها؟!

لقد توسعت كثيرًا في نسبة هذا المذهب إلى الصحابة أحيانًا وإلى بعضهم أحيانًا وإلى التابعين أحيانًا وإلى كبارهم أحيانًا ، وكل ذلك لا يثبت عنهم ، وما هكذا يا سعد تورد الإبل!!

قال القاري (ص٢٥-٢٦) :

«ومما يلاحظ في هذا الباب أنه منذ بنى عمر بن عبد العزيز المساجدَ النبويةَ على المواضع التي صَلَّى فيها النبي ﷺ وذلك عام (٨٩) من الهجرة ، وأجيالُ العلماء تترى بالمدينة النبوية منذ عصر التابعين لم ينقل أن أحدًا أنكر التبرك بالصلاة في هذه المساجد أو طالب بهدمها وإزالتها بأي ذريعةٍ كانت لم يحدث شيء من هذا إلا اليوم ، وجد من ينادي بذلك من المشايخ ، ويؤلف فيه الرسائل» .

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١١٦).

أقول:

١- تسمية غير مسجد رسول الله ﷺ بالمساجد النبوية لا أعرفها إلا عن القاري!

٢- قوله: «وذلك في عام (٨٩) من الهجرة».

أقول: قد تكرر منه ذلك وفيه نظر من جهتين:

الأولى: هذا التحديد بعام (٨٩هـ).

والثانية: جزمه بأن عمر بن عبد العزيز قد بنى هذه المساجد الكثيرة في عام (٨٩هـ) والمعروف الثابت المتواتر عن عمر بن عبد العزيز هو بناء المسجد النبوي فقط بأمر الوليد ابن عبد الملك الخليفة آنذاك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن المعلوم المتواتر أن ذلك كان في خلافة الوليد بن عبد الملك وكان بعد بضع وثمانين وقد ذكروا أن ذلك كان سنة إحدى وتسعين وأن عمر بن عبد العزيز مكث في بنائه ثلاث سنين» كتاب الرد على الأخنائي (ص١٣٨).

وقول القاري: «وأجيال العلماء تترى (يعني من التاريخ السابق) بالمدينة النبوية منذ عصر التابعين لم ينقل أن أحدًا أنكر التبرك بالصلاة في هذه المساجد أو طالب بهدمها وإزالتها بأي ذريعة كانت، لم يحدث شيء من هذا إلا اليوم وجد من ينادي بذلك من المشايخ ويؤلف فيه الرسائل».

أقول:

لم توجد هذه المساجد في عصر التابعين ولم يثبت أن عمر بن عبد العزيز قام ببنائها وهذا التاريخ الذي ذكرته وذكر شيخ الإسلام خلافه إنما هو تاريخ بناء مسجد الرسول ﷺ.

ولا تستطيع أن تثبت بالأسانيد الصحيحة متى بنيت هذه المساجد خاصة في القرون المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعدهم أناس يشهدون ولا يستشهدون وينذرون

ولا يوفون ويكثر فيهم السمن»(١).

ويمكن وجود أولها على أيدي الروافض، مثل مسجد علي ومسجد سلمان ﷺ ثم قلدهم الصوفية فأكملوا المساجد السبعة في العصور المتأخرة.

وقولك: «لم ينقل أن أحدًا أنكر التبرك بالصلاة في هذه المساجد».

أقول:

إن هذا الكلام غير صحيح.

فقد حذر رسول الله ﷺ أمته من أن تسير على سنن من قبلنا من الأمم كاليهود والنصارى.

ونهى عمر بن الخطاب ﷺ من يتتبع مثل هذه الآثار وأقره كبار الصحابة وغيرهم.

قال الإمام محمد بن وضاح القرطبي ﷺ في كتابه ما جاء في البدع (ص٩١-٩٢) ما نصه:

«وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجِدِ وتلك الآثار للنبي ﷺ بالمدينة ما عدا قباء وأحدًا.

قال: وسمعتُهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثارِ ولا الصلاةَ فيها، وكذلك فعل غيره أيضًا ممن يقتدى به. وقَدِمَ وكيع أيضًا مسجدَ بيتِ المقدسِ فلم يَعْدُ فعِل سفيان.

قال ابن وضاح: فعليكم بالاتباع لأئمةِ الهُدى المعروفينَ، فقد قال بعضُ مَنْ مَضى: كَمْ مِن أمْرٍ هو اليومَ معروف عند كثيرٍ من الناس كان منكرًا عند مَنْ مضى ومتحبِّبٍ إليه بما يُبْغِضُه عليه ومتقرب إليه بما يُبعِدُه منه، وكلُّ بدعةٍ عليها زينة وبهجة».

وقال زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي ﷺ في كتابه شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٣٠١-٣٠٢) ما نصه:

---

(١) أخرجه البخاري في الفضائل حديث (٣٤٥١) ومسلم في الفضائل حديث (٢٥٣٣).

«وقال محمد بن وضاح: كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان المساجد وتلك الآثار بالمدينة ما عدا قباء وأحدًا، ودخل سفيان الثوري بيت المقدس وصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها، فهم كرهوا ذلك مطلقًا.

وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ وسائر السابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجًا وعمارًا ومسافرين ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ.

وقد قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»[1].

وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين بل هو مما ابتدع.

وأما من احتج بفعل ابن عمر ﷺ؛ فما فعله ابن عمر لم يوافقه أحد عليه من الصحابة، ولم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من المهاجرين والأنصار أنه كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي ﷺ لأجل العبادة فيها».

أقول: انظر كيف كان العلماء يكرهون إتيان هذه الأماكن للتأسي بالنبي ﷺ واعتبروه من البدع فكيف إذا كان تتبعها للتبرك الذي يدعو إليه القاري؟!!

وكيف إذا كان المتتبعون لهذه الآثار للتبرك بها هم أهل البدع والغلو؟!!

ولا يتصور أن هذه الأمة التي لا تجتمع على باطل أن تسكت عن بكرة أبيها فلا تقول كلمة إنكار لمثل هذا العمل الذي حذر من مثله رسول الله ﷺ ونهى عنه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ وأقره كبار الصحابة وغيرهم ولاسيما وفي هذه الأمة الطائفة المنصورة التي لا تزال على الحق.

وكيف تسكت هذه الأمة عن المنكرات التي ترتكب عند هذه المساجد من اتخاذها أعيادًا والتمسح بها والأخذ من تربتها وكون سبعة مساجد منها تبنى في موضع لا يجوز أن يُبنى فيه إلا مسجد واحد.

(١) تقدم تخريجه

ولم يطلب العلماء من أهل السنة المعاصرين هدمها لأنها مساجد رسول الله ﷺ ونعوذ بالله أن يفعل مسلم ذلك مهما بلغ في الفجور.

وإنما يرى ويفتي بعض العلماء بهدمها لأن وضعها غير شرعي، ومقاصد من بنوها يبدو أنها غير شرعية.

فلعل بعضهم بناها من منطلق عقيدة فاسدة كالروافض أو غلاة الصوفية الذين يفتعلون آثارًا ويبنون عليها المساجد والمشاهد ويجرون الناس بأعمالهم هذه إلى الخرافات والضلال والتبرك بجدران هذه المساجد وأتربتها.

وممن سبق إلى إنكار التبرك بالصلاة في هذه المساجد وأمثالها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري.

قال رحمه الله في «اقتضاء الصراط» (ص٤٢٥-٤٢٦-الفقي): «والمسألة الثالثة ألَّا تكون تلك البقعة في طريقه بل يعدل عن طريقه إليها أو يسافر إليها سفرًا طويلًا أو قصيرًا مثل من يذهب إلى حراء ليصلي فيه ويدعو أو يسافر إلى غار ثور ليصلي فيه ويدعو أو يذهب إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غير هذه الأمكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء وغيرهم أو مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء، مثل مكان مبني على نعله ومثل ما في جبل قاسيون وجبل الفتح وجبل طور سيناء الذي ببيت المقدس، ونحو هذه البقاع، فهذا ما يعلم كل من كان عالمًا بحال رسول الله ﷺ وحال أصحابه من بعده أنهم لم يكونوا يقصدون شيئًا من هذه الأمكنة ..». اهـ.

ثمَّ تحدَّث عن حراء ومجيء جبريل بالوحي إليه ثم قال رحمه الله: «فتحنثه وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث، ثم إنَّه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته، وفرض على الخلق الإيمان به وطاعته واتِّباعه: أقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأوَّلين الذين هم أفضل الخلق، ولم يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء، ثم هاجر إلى المدينة واعتمر أربع عُمَر: عُمرة الحديبية التي صدَّه فيها المشركون عن البيت الحرام -والحديبية عن يمينك وأنت قاصد مكة إذا مررت بالتنعيم عند المساجد التي يقال إنها مساجد عائشة والجبل الذي عن يمينك يقال له

جبل التنعيم والحديبية غربيه- ثم إنه اعتمر من العام القابل عمرة القضية ودخل مكة هو وكثير من أصحابه وأقاموا بها ثلاثًا، ثم لمَّا فتح مكة وذهب إلى ناحية حنين والطائف شرقي مكة فقاتل هوازن بوادي حُنين ثم حاصر أهل الطائف وقسَّم غنائم حُنين بالجعرانة ، فأتى بعمرته من الجعرانة إلى مكة ، ثم إنَّه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع ، وحج معه جماهير المسلمين لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله وهو في ذلك كلّه لا هو ولا أحدٌ من أصحابه يأتي غار حراء ولا يزوره ولا شيئًا من البقاع التي حول مكة ، ولم يكن هناك عبادة إلّا بالمسجد الحرام وبين الصَّفا والمروة وبمنى ومزدلفة وعرفات، وصلّى الظهر والعصر ببطن عُرنة وضربت له القبة يوم عرفة بنمرة المجاورة لعرفة .

ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من السابقين الأوَّلين لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصَّلاة فيه والدعاء .

وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى : ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ وهو غار بجبل ثور بيمان مكة ، لم يشرع لأمته السفر إليه وزيارته والصلاة فيه والدعاء ، ولا بنى رسول الله ﷺ بمكة مسجدًا غيرَ المسجد الحرام ، بل تلك المساجد كلها مُحدَثة؛ مسجد المولد وغيره، ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى ، وقد بُنِيَ هناك مسجد . ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعًا مستحبًّا يُثيب الله عليه ، لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك ، وأسرعهم إليه ولكان يُعلِّم أصحابه ذلك ، وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم ، فلمَّا لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك عُلِم أنَّه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة ، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتَّبع غير سبيلهم وشرع من الدِّين ما لم يأذن به الله .

وإذا كان حكم مقام نبينا ﷺ في مثل غار حراء الذي ابتدئ فيه بالإنباء والإرسال وأنزل عليه فيه القرآن مع أنه كان قبل الإسلام يتعبد فيه وفي مثل الغار المذكور في القرآن الذي أنزل الله فيه سكينته عليه .

فمن المعلوم أن مقامات غيره من الأنبياء أبعد أن يشرع قصدها والسفر إليها لصلاة أو دعاء أو نحو ذلك إذا كانت صحيحة ثابتة فكيف إذا علم أنها كذب أو

لم يعلم صحتها؟!». اهـ.

قال القاري (ص ٢٦-٢٧):

«ويشدد هؤلاء المشايخ في هذه المسألة محتجين بحجتين:

الأولى: حديث رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة عن المعرور بن سويد قال: كنت مع عمر بين مكة والمدينة فصلى بنا الفجر فقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾. و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ثم رأى قومًا ينزلونَ فيصلُّون في مسجدٍ فسألَ عنهم فقالوا: مسجد صلَّى فيه النبي ﷺ، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعًا، مَن مَرّ بشيءٍ من المساجد فحضرت الصلاة فليصل وإلا فليمضِ»[1].

فهذا أثر موقوف على عمر ﷺ فكيف يناهض حديثَين مرفوعَين مقطوعًا بهما رواهما البخاري ومسلم وهما حديث عِتبان، وحديث سلمة بن الأكوع المتفق عليه. ومع ذلك فإنه يمكن الجمع بأن عمرَ كَرِهَ زيارتَهُم لهذه الأماكن بغير الصلاةِ، أو خَشِيَ أن يُشكِلَ ذلك على من لا يعرف حقيقةَ الأمرِ فيظنه واجبًا، ذكره ابن حجر في الفتح»[2].

لا تعارض بين نهي عمر وعمل سلمة بن الأكوع:

قوله:

«فإذا لم يُقبل هذا الجمع فالترجيح، هذا هو مَسلك العلماء عند تعارض النصوص، وبلا تردُّدٍ تُرجَّح الحديث المرفوعَ المتفق عليه».

أقول: قولك عن حديث عمر: «فهذا أثر موقوف فكيف يناهض حديثين مرفوعين مقطوع بها رواهما البخاري ومسلم».

لا ينبغي التهوين من حديث قاله هذا الخليفة الراشد انطلاقًا من منهج ومن فقه عظيم لرسالة الإسلام ومقاصدها ومعرفة المصالح والمفاسد والذرائع الموصلة

---

(١) وأحال بهذا النص عن عمر ﷺ إلى مصنف عبد الرزاق (٢/ ١١٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦).

(٢) وأحال على فتح الباري (١/ ٥٦٩).

إلى المفاسد الكبرى الموصلة إلى الشرك.

إن نهي عمر عن التبرك بالأماكن مستقى من منهج إسلامي حكيم، ومن مسلك رسول الله ﷺ في محاربة الشرك ووسائله ومحاربة اتباع ضلال أهل الكتاب الذين أهلكهم الغلو وتتبع آثار الأنبياء وبناء الكنائس والبيع عليها.

كلام عمر ليس مجرد رأي ومجرد اجتهاد قد يكون خطأ، وإنما هو كما ذكرت لك مستمد من منهج ومن توجيهات رسول الله ﷺ الحكيمة المقطوع بها، وقد ذكرت النصوص التي استند إليها عمر وغيره وأنها تؤيد موقف عمر، وعمر منطلق منها وكذلك من ينكر بناء هذه المساجد والتبرك بها من السابقين واللاحقين منطلق من منهج إسلامي ومن موقف عمر الذي انطلق من هذا المنهج.

وحديث سلمة بن الأكوع لا حجة لك فيه؛ فإنه في واد وأنت في واد آخر؛ هو في وادي التأسي برسول الله ﷺ وأنت في وادي التبرك الممنوع الذي يدندن حوله الروافض والصوفية الغلاة ثم يمكن أن يقال: إن فعل سلمة اجتهاد منه في هذا التأسي والتحري للصلاة في المكان الذي كان يتحراه رسول الله ﷺ فيصلي فيه أما غيره من الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة المشهود لهم بالجنة، فلم يفعلوا ذلك مع علمهم بتحري رسول الله ﷺ للصلاة في هذا الموضع المعروف، فلماذا لم يتحر هؤلاء الصحابة الكرام الذين هم أعلم وأفضل واحرص على التأسي برسول الله ﷺ من سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؟!

ولو كان رسول الله ﷺ شرعه لسبق هؤلاء الصحابة الكرام سلمة بن الأكوع وغيره إلى تنفيذه ولو كان رسول الله ﷺ أمر بالتبرك بهذا المكان لصحت دعوى القاري أن هذا أمر مقطوع به.

أما والأمر كما ذكرت فهذه الدعوى بقطعية أدلة التبرك تصبح لا أساس لها فضلًا أن تكون من القطعيات.

وأقول: لا تعارض بين فعل سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ونهي عمر رضي الله عنه وما يدعمه من منهج ونصوص نبوية.

فإن فعل سلمة رضي الله عنه للتأسي، وهذا التأسي لا علاقة له بعمل أهل الكتاب الضالين. أي: تتبعهم للآثار غلوًا وتبركًا ممنوعًا.

ونهي عمر ﷺ إنما هو عن التبرك المهلك الذي أهلك أهل الكتاب فجرهم إلى الشرك وعبادة الأنبياء بعد اتخاذ آثارهم كنائسَ وبيَعًا .

والجمع الذي ذكره الحافظ ابن حجر لا يُسَلَّم له؛ لأنه بعيد عن المنهج الصحيح وعن البراهين الواضحة -في هذا الباب- التي انطلق منها عمر ومن يسير على نهجه .

وما ذكره القاري من الترجيح فهو أبعد وأبعد من جمع الحافظ إذ كيف يرجح فعل سلمة ﷺ على قول عمر المستند إلى نصوص ومنهج وأصول الإسلامية منها سد ذرائع الشرك .

سد الذريعة إلى الشرك والبدع أصل عظيم وموجبه قائم ومنه انطلق عمر والأئمة بعده

قال القاري (ص٢٧-٢٩) :

«والأخرى : قاعدة سَدِّ الذرائع ، فهؤلاء المشايخ جزاهم اللَّه خيرًا رأوا أن قَصْدَ هذه الأماكن النبوية للتبرك بآثار النبي ﷺ ذريعة للغلو والشرك .

فنقول : إن هذه الذريعة المتوهمة معدومة ، أو هي ضعيفةٌ مرجوحةٌ غيرُ مُعْتَبَرةٍ ؛ لأنها في زمن النبوة لم تكن معتبرة كما يدل عليه حديثُ أنه ﷺ فرقَ شعرَهُ بين الصحابة ليتبركوا به وحديث عِتبان بن مالك أنه صلَّى في داره ليتخذه مُصَلى ؛ مع أن الذريعة موجودة لقُرب عهدهم بالشرك ، كما قال ﷺ لأم المؤمنين عائشة : «لولا أن قومك حَدِيثُو عهدٍ بشركٍ لهَدَمْتُ الكعبةَ ثم أقَمْتُهَا على قواعد إبراهيم» .

وإن كان كبار الصحابة وفقهاؤهم لا يخاف عليهم من ذلك ، لكن كان في الصحابة من يخاف عليه ، مثل أولئك الذين قالوا للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .

فقال ﷺ : «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾» .

وكذلك هذه الذريعة لم تكن معتبرة في عهد الصحابة مع قرب عهد كثير من

الناس بالشرك ، والردة في عهد الصديق أكبر دليل على ذلك .

وكذلك لم تُعتبر هذه الذريعة في زمن التابعين وهاهو عمر بن عبدا لعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يتتبع المواضعَ التي صلَّى فيها النبي ﷺ ويبني عليها المساجد، بمحضَرٍ ممن بَقِيَ من صغار الصحابة وبمحضَرٍ من التابعين».

أقول:

إن تهوين القاري من قاعدة سد ذريعة الشرك أمر عجيب لاسيما قوله: «لكن كان في الصحابة من يخاف عليهم من ذلك واحتج بحديث ذات أنواط . . . إلخ .

أقول: كيف لا يؤمن إلا على كبار الصحابة في زمن النبي ﷺ ويخاف على من عداهم، ولا يخاف القاري على هذه الأمة في العصور المتأخرة وفي هذا العصر بالذات وهو يعلم حال أهل هذه العصور من عهد ابن عقيل الحنبلي وإلى عهد أبي شامة الشافعي وعلماء الأحناف وابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وتلاميذه والشوكاني والصنعاني والسهسواني والآلوسي، وهذه مؤلفاتهم وعصورهم تشهد أن هذه الأمة بأشد الحاجة إلى سد الذرائع ولاسيما في عصورها المتأخرة وفي هذا العصر بالذات، وسيأتي شي من بيان حال هذه الأمة المُحَتِّم للأخذ بأصل سد الذرائع.

وحديث عِتبان لا يتصادم مع المنهج الإسلامي والنصوص التي تدعم عمر، ومنها انطلق؛ لأنه من باب التأسي بالنبي ﷺ، وللتأكد من صحة قبلة مسجده كما يؤخذ من حديثه وواقعه؛ فإنه فاقد البصر أو ضعيفه يحتاج إلى ثقة يدله على القبلة، ولا أوثق من رسول الله ﷺ ولا أعدل منه عند الله وعند المسلمين.

فلا تعارض بين حديثه وموقف عمر على الوجه الذي ذكرته .

الذريعة محققة ورُوَّاد هذه المساجد والآثار هم الروافض والقبوريون:

وقوله: «إن هذه الذريعة المتوهمة معدومة».

من أعجب العجائب كيف وهو يعلم والناس خاصهم وعامهم يعلمون أن رواد هذه الآثار والمساجد والعيون والآبار إنما هم الروافض وصوفية القبور والخرافات الذين يشيدون المساجد والمشاهد على قبور الأولياء وغير الأولياء

بل ويتبركون بالأشجار والأحجار ويتعلقون بالأولياء ويطوفون حول قبورهم ويقيمون لهذه القبور الأعياد والاحتفالات ويتقربون إليهم بالذبائح وهذه الأصناف يشكلون طرقًا صوفية ورافضية لا تحصى في العالم الإسلامي وغيره وهم لا يعلمون معنى لا إله إلا الله ولا يرون الشرك إلا في عبادة قريش لأوثانهم أما هذه الأعمال الشركية التي ترتكب عند القبور من دعاء لأهلها وذبح لهم ونذور فهي عندهم من الإسلام.

فهؤلاء هم رواد هذه الآثار التي يتباكى عليها القاري مع أنها آثار مفتعلة، لا يصح نسبتها إلى رسول الله ﷺ، ولا يدخل فيها مسجد رسول الله ومسجد قباء.

وأعتقد أن القاري يعرف تمامًا أفعال هؤلاء الرواد ومنها التمسح بجدران مسجد رسول الله ﷺ ومنها ما يفعلونه عند مقبرة البقيع ومقبرة الشهداء بأحد والمساجد السبعة، هذا بالإضافة إلى معرفته بأحوالهم في بلدانهم وتعلقهم الباطل بالقبور والمشاهد والمساجد التي بنيت عليها.

فكان من واجبه أن يقف إلى جانب هؤلاء العلماء الذين يبخل عليهم بكلمة علماء ويسميهم بالمشايخ، كان عليه أن يقف إلى جانبهم يؤيدهم بأقواله وكتاباته، لا أن يعارضهم بشبهاته وإلغاء حججهم وأصولهم الإسلامية التي ينطلقون منها ومن الأصل الأصيل الذي هو سد الذرائع إلى الشرك، ويحكم عليها بأنها متوهمة ومعدومة.

وإذا كان سد الذرائع قائما في عهد رسول الله ﷺ وفي القرون المفضلة، فكيف بعصور الجهل التي ساد فيها الرفض والتصوف الغالي وصار الدين الحق فيها غريبًا كما قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء»[1].

فهل ترى أيها القاري أن عهد رسول الله يحتاج إلى سد الذرائع بينما عصور الجهل بحقيقة الإسلام ولاسيما هذا العصر لا تحتاج إلى سد الذرائع؟!

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث (١٤٥) وأحمد (٢/ ٣٨١) والترمذي في الإيمان حديث (٢٦٢٩) كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ وأخرجه أحمد (١/ ٣٩٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

بل سد الذرائع معتبر على امتداد التاريخ الإسلامي،

قال القاري (ص٢٩-٣٠):

«ولم تعتبر هذه الذريعة طيلة تلك العصور منذ القرون المفضلة إلى اليوم، مع توافر العلماء لم نسمع أن أحدًا منهم أنكر على المواضع النبوية (مساجد، وآبار، وغيرها) أو طالب بإزالتها - وقد كانت قائمة - وذلك خوفًا من ذريعة الشرك، بل صنفوا الكتب في تحديدِ هذه المواضع واعتنوا بذلك مما يدل على أن هذه الذريعة التي يحتجُّ بها المشايخ متوهمة، وقد وقعوا في المبالغةِ لِعَدَمِ معرفتهم بأحوال الناس..

أنا أعيش وسط هذه الآثار النبوية بالمدينة الشريفة وأَدْرُسُهَا منذ أربعين سنة، وأكاد أجزم أنَّ مُعْظَمَ الناسِ الذين يرتادونها إنما يفعلون ذلك بنيةِ التبرك بالنبي ﷺ وآثاره؛ وهذه نية صحيحة.

فإن وقع من بعض المسلمين غيرُ ذلك عند هذه الآثار فهذا بسبب الجهل، فهم بحاجة ماسَّة لتعليمهم أمور دينهم، وليس بسبب وجودِ هذه الآثار، وهذا هو ما يُفْهَم من صنيع السلف الذين أقرُّوا هذه الآثار ولم ينادوا بهَدْمها وإزالتها مع وقوع الشرك من بعض الناس في مختلف العصور».

أقول: على هذا الكلام ملاحظات:

الأولى: على قوله: «ولم تعتبر هذه الذريعة طيلة تلك العصور منذ القرون المفضلة مع توافر العلماء لم نسمع أحدًا منهم أنكر على المواضع النبوية (مساجد وآبار وغيرها) أو طالب بإزالتها وقد كانت قائمة».

أقول:

هذه الذريعة معتبرة على امتداد التاريخ الإسلامي، والإنكار على تتبع الآثار قائم من عهد رسول الله ﷺ إلى عهد عمر والصحابة إلى عهد مالك وغيره من علماء المدينة إلى عهود ما قبل ابن تيمية وبعده إلى يومنا هذا والجهل بالواقع والحقائق لا يُعدّ علمًا.

وقوله: «بل صنفوا الكتب في تحديد هذه المواضع واعتنوا بذلك مما يدل على أن هذه الذريعة التي يحتج بها المشايخ متوهمة وقد وقعوا في المبالغة لعدم معرفتهم بأحوال الناس».

أقول:

من هم العلماء الذين صنفوا الكتب في تحديد هذه المواضع؟! أهم ابن المسيب وسالم بن عبد اللّٰه بن عمر وعبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة بن مسعود وغيرهم من الفقهاء السبعة والعلماء من طبقتهم؟ أم هم مالك بن أنس وعبيد اللّٰه بن عمر العمري وربيعة بن عبد الرحمن وابن أبي ذئب وأمثالهم من أتباع التابعين من محدثي الأمة وفقهائها؟!

أم هم الثوري والأوزاعي وشعبة بن الحجاج وأبو حنيفة وسفيان بن عيينة من هذه الطبقة من الفقهاء والمحدثين؟!

أم هم ابن المبارك ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي؟!

أم هم أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وأقرانهم من فحول الفقهاء؟!

أم هم البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وأقرانهم وتلاميذهم من كبار الفقهاء والمحدثين؟!

هل أحد من هؤلاء ألف كتابًا في بيان هذه الآثار أو زارها متبركًا بها؟!

الجواب: لا أحد منهم ألف كتابًا أو روى حديثًا أو أثرًا عن هذه المساجد والآثار أو زارها غير مسجد رسول اللّٰه ﷺ ومسجد قباء.

إن الذين كتبوا في هذه الآثار أناس أخباريون لهم عناية بالعلم لكنهم يتلقفون الأخبار من كل حاطب ليل، لا يبالون أن يرووا عن الكذابين والضعفاء والمجاهيل وليسوا على طريقة أهل الحديث في التحري في نقل الأحاديث والآثار، هؤلاء مثل ابن شبة المتوفى سنة (٢٦٢هـ) وابن النجار المتوفى سنة (٦٤٣هـ) والسمهودي المتوفى سنة (٩١١هـ)!!

تطبيق أصل سد الذرائع ضروري وموجبه قائم وليس وهمًا:

وقوله: «مما يدل على أن هذه الذريعة متوهمة».

أقول:

في هذا الكلام مكابرة وإنكار لواقع مر.

فكل إنسان يعيش في المدينة وعنده أدنى حد من فهم الإسلام وعقيدة التوحيد يرى ويسمع عند هذه الآثار من الروافض والصوفية ومن يقلدهم من الجهال ما يندى له جبين المؤمن ويؤرق مضجعه من الأفعال والأقوال المخالفة لما جاء به محمد ﷺ من توحيد وإخلاص الدين لله من التشريعات والآداب ولاسيما عند البقيع والمساجد السبعة، الأمور التي تؤكد ضرورة مراعاة هذه القاعدة العظيمة (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، وتزداد هذه الضرورة ويتحتم الأخذ بها وتنفيذ كل ما تتطلبه من إزالة المنكرات التي تجري فيها وفي ساحاتها.

فمن السفسطات والمكابرات القول بأنها ذريعة متوهمة.

قوله: «وأنا أعيش وسط هذه الآثار النبوية بالمدينة الشريفة وأدرسها منذ أربعين سنة وأكاد أجزم أن معظم الناس الذين يرتادونها إنما يفعلون ذلك بنية التبرك بالنبي ﷺ وآثاره وهذه نية صالحة.

أقول:

إن أضعف الناس علمًا وعقيدة لو جال مرة واحدة أيام احتشاد الروافض والصوفية القبورية في المواسم يدرك ما لا يدركه القاري خلال أربعين سنة وهو يعيش وسط هذه الآثار ويدرسها من المخالفات الشنيعة لعقيدة محمد ﷺ وهديه.

وكيف تكون أعمالهم تبركًا بالنبي ﷺ وقد اختار الرفيق الأعلى.

وكيف يتبركون بآثاره، ومنهجُهُ وعقيدتُهُ وتوجيهاتُهُ تبغض وتنكر هذا التبرك وتحذر منه وكيف يتبركون بآثار لا يعرفها أصحاب محمد ﷺ، ولو عرفوا لأنكروها أشد الإنكار بل لهدموها كما تهدم القبور المشيدة والمساجد التي تبنى عليها.

وأخيرًا كيف يتبركون بآثار لم تثبت نسبتها إليه ولا يجوز أن تنسب إليه.

وكيف علمت أن نيات الروافض والقبوريين صحيحة ولو صحت فهل هي

موافقة لهديه ﷺ؟ أما تعلم أيها القاري أن العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا لله موافقًا لما جاء به محمد ﷺ.

إن هؤلاء المتهالكين على ما تزعمه من آثار بالإضافة إلى فساد عقائدهم في هذه الآثار والقبور التي يتعلقون بها في بلدانهم لهم حظ من قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

أيا قاري هل تريد أن تغالط من يعرفون هذا الواقع ويدركونه أكثر منك وقد تكون لا تدرك هذه المخالفات فيصدق عليك قول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

السلف لم يقروا هذه الآثار

وقوله:

«فإن وقع من بعض المسلمين غير ذلك عند هذه الآثار فهذا بسبب الجهل، فهم بحاجة ماسة لتعليمهم أمور دينهم، وليس بسبب وجود هذه الآثار وهذا هو ما يفهم من صنيع السلف الذين أقروا هذه الآثار ولم ينادوا بهدمها وإزالتها مع وقوع الشرك من بعض الناس في مختلف العصور».

أقول:

عجبًا لهذا الرجل فتارة يقول عن القاعدة العظيمة: أن هذه ذريعة متوهمة وتارة يقول: مع وقوع الشرك من بعض الناس في مختلف العصور.

فهو يعترف بوقوع الشرك من بعض الناس في مختلف العصور، فهل ترى أن وقوع هذا الشرك لا يستدعي الأخذ بهذه القاعدة والاحتجاج بها على إزالة الآثار المزعومة كما أمر رسول الله ﷺ بهدم الأوثان وهدم القبور المشرفة وتسويتها؟.

أليس العلة واحدة وهي خشية وقوع الشرك بالقبور؟ فكيف إذا تحقق وقوعها من بعض الناس كما اعترفت أيها القاري بوقوع الشرك من بعض الناس في مختلف العصور.

أسباب التعلق بالقبور والآثار

وقولك: «فهذا بسبب الجهل فهم بأمس الحاجة لتعليمهم أمور دينهم وليس بسبب وجود هذه الآثار».

أقول:

لا يحق لك أن تجعل سبب هذه المخالفات هو الجهل فحسب، فهناك تربيات على الرفض وهناك تربيات على التعلق بالقبور والآثار، مما يجعل هؤلاء أو غالبهم لا يقبل النصيحة والتوجيه والتعليم لما عندهم من التعصب والعناد الذي سببه التربية الماكرة ضد دعاة التوحيد والسنة.

وأنا أسألك كم علّمت خلال هذه الأربعين سنة التي عشتها وسط هذه الآثار من هؤلاء الجهال؟ وكم تاب منهم على يديك خصوصًا من الروافض؟.

ألا يحق لمن يقف على كلامك من العقلاء أن يقول إن القاري هو الذي يعيش في الأوهام.

قال القاري (ص٣٠):

«لماذا لا نستغل وجودَ هذه الآثار وارتياد الناس لها (خاصة الحجاج) فتنشئ عندها أنشطة لتوعية الناس؟ هذا أنفع للمسلمين وأكثر بركة».

أقول:

١- ما الفرق بين قولك هذا وبين من يعارض في هدم القبور المعبودة التي أمر رسول الله ﷺ بهدمها بشدة فيقول بمثل قولك: (لماذا لا نستغل وجود هذه المقابر وارتياد الناس لها(خاصةً الحجاج) فتنشئ عندها أنشطة لتوعية الناس، فهذا أنفع للناس وأكثر بركة) ويشن حملة شعواء على من يرى هدم هذه القبور ويحاربهم في أخذهم بقاعدة سد الذرائع.

ألا ترى أن السعي في سلامة المسلمين من الفتن وإبعادهم عنها من الإحسان إليهم، وأن من الشرور المطالبة بالحفاظ على ما يضرهم ويوقعهم في الفتنة.

٢- الأنشطة لتوعية الناس موجودة - والحمد لله - بكثافة حيث تجند وزارة

الشئون الإسلامية عشرات المدرسين ودعاة كثر ومترجمين بلغات شتى في داخل الحرمين وخارجهما في المساجد والمراكز يبصرون الناس بالعقائد الصحيحة وكيف يؤدون المناسك ويعلمونهم آداب زيارة النبي ﷺ وصاحبيه والزيارة الشرعية لأهل البقيع وشهداء أحد، ويحذرونهم من البدع والشركيات كما يعلمونهم في مجالات الإسلام الأخرى.

وما أدري هل يعلم القاري بهذه الأنشطة أو لا .

اتهامات ظالمة ومغالطات مُضَخَّمة ومكابرات

قال القاري (ص٣١):

«لكنهم (يعني العلماء) اختاروا بديلًا عجيبًا يوارون به تقاعسهم وكسلهم وعجزهم، وهو هَدْمُ هذه الآثار النبوية واستئصالُ شأفتها . .

هذا البديل الذي اختاروه بحجة مفسدة مظنونة هي وقوعُ الناس في الشِّرك أدّى إلى مفسدة مُحَقَّقَة وهي تغييرُ الطابَع الإسلاميِّ للمدينة النبويةِ فطغى عليها التغريب والفرنجة حتى اختفت المعالم النبوية، وارتفعت بدلًا منها الأبراجُ على الطريقة الغربية ، وتحملُ أسماء يهودية: «الشيراتون» (الهيلتون) (الإنتركونتنتال) . . وسيأتي مزيد بيان لذلك».

أقول:

هذا الكلام غير صحيح وغير لائق.

ويا أخي هؤلاء لم يهدموا آثارًا نبوية ولا استأصلوا شأفتها وإنما هدموا مصايد نصبها الخرافيون للتأكل بها ولإفساد عقائد الناس، فإزالة هذه المصايد مما يرضي الله ومما أمر بإزالته وأمثاله رسول الله ﷺ.

فيستحقون الشكر على إزالة ما يضر بالمسلمين وبعقائدهم، وعلى تنفيذ أوامر الله ورسوله في تغيير المنكرات.

مفسدة الشرك لا يعدلها مفسدة

وقولك:

«وهذا البديل الذي اختاروه بحجة مفسدة مظنونة هي وقوع الناس في الشرك أدى إلى مفسدة محققة وهي تغيير الطابع الإسلامي للمدينة النبوية فطغى عليها التغريب والفرنجة حيث اختفت المعالم النبوية... إلخ».

أقول:

١- إن المفسدة محققة وهي وقوع الشرك من بعض الناس باعترافك وهو أمر معروف عند الناس.

ثم كيف تعارض سد ذريعة هذه المفسدة بما تسميه بالحفاظ على الطابع الإسلامي، أيترك الشرك ولا يغير ولا تغير أسبابه حفاظًا على الطابع الإسلامي المزعوم.

العلماء لم يغيّروا الطابع الإسلامي وفتاواهم هي ذات الطابع الإسلامي:

٢- الذي أعرفه ويعرفه الناس أن فتاوى العلماء إنما صدرت لهدم مسجد العريض والمساجد السبعة وتم هدمها أو بعضها، وهذا لا مأخذ على العلماء فيه بل يشكرون عليه لأنهم أزالوا ما يتضمن مفسدة كبيرة محققة فجزاهم الله خيرًا.

والذي لا أفهمه ولا أصدقه ولا يصدقه العقلاء المنصفون أنهم اختاروا تغيير الطابع الإسلامي للمدينة النبوية، ويظهر من كلامك أنك تريد بالطابع الإسلامي الذي تم تغييره هو إزالة حارة الأغوات وبيوت النخاولة والسوق وكلها كانت ملاصقة للمسجد النبوي ولا تعطي الطابع الإسلامي الذي كانت عليه المدينة في عهد رسول الله ﷺ وعهد أصحابه من المهاجرين والأنصار، فاقتضت المصلحة إزالتها من أجل توسعة المسجد النبوي واستتبع ذلك وجود ساحات وخدمات ضرورية لهذا المسجد الشريف الذي تشد إليه الرحال كما قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد

الأقصى»[1]، وقام هذا المسجد العظيم وملحقاته وساحاته على مساحة واسعة تبلغ آلاف الأمتار وذلك يعطي المدينة طابعًا إسلاميًّا عظيمًا يستوجب الشكر لله ثم لمن قام به من آل سعود - وفقهم الله - ورزقهم البطانة الصالحة، ولا يستوجب التباكي والأراجيف الباطلة.

وأنا أسأل القاري: لو تمت المحافظة على الآثار التي ترتكب عندها البدع الشركية بماذا سيرجع الحجاج والزائرون، ولو تمت المحافظة على حارة الأغوات وحي النخاولة كآثار إسلامية تعطي المدينة طابعًا إسلاميًّا -كما تزعم- كيف سيكون حال مسجد رسول الله وحال زواره والمصلين فيه؟ وكيف ستكون انطباعاتهم؟! أرجو الإجابة.

مبالغة خطيرة:

وقولك: «فطغى عليها التغريب والفرنجة حيث اختفت المعالم النبوية وارتفعت بدلًا منها الأبراج على الطريقة الغربية... إلخ».

أقول:

هل يدخل في هذا الطغيان التغريبي بناء المسجد النبوي وما يتبعه من ساحات؟!

وهل بيوت الأغوات والنخاولة بشكلها المزعج المظلم من المعالم النبوية؟!

وهل الأبراج التي قامت على الطريقة الغربية كما تقول أقامها المشايخ الذين تحملهم هذه المسئوليات والتبعات؟!

أم الذين أقاموها هم غيرهم من أبناء المدينة -في الدرجة الأولى- وغيرهم؟!

ولماذا لم توجه اللوم إلى هؤلاء الذين حملت أبراجهم الأسماء اليهودية «الشيراتون» «الهيلتون» «الإنتركونتنتال» والذين ما قامت أبراجهم بفتاوى العلماء ولا بمشاورتهم ولا بتشجيعهم؟!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح ١١٨٩)، ومسلم في صحيحه (ح ١٣٩٧).

ثم لماذا لا تذكر اتساع عمران المدينة في هذا العصر وترامي أطرافها شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا يتخللها الشوارع الجميلة والخدمات الجيدة ولماذا لا تذكر ما فيها من كثرة المساجد القائمة على السنة الخالية من القبور والبدع؟!

ولماذا لا تذكر ما فيها من المدارس والمعاهد والجامعات وانتشار المكتبات العلمية فيها وانتشار العلم والخير فيها وكثرة العلماء وطلاب العلم والعناية فيها بالحجاج وشادي الرحال إلى المسجد النبوي والعناية الكبيرة بالحرمين الشريفين بما لم يسبق له نظير في عصر من العصور بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين؟!

القاري لا يتباكى على آثار الصحابة وبيوتهم:

قال القاري (ص٣٥):

«إن في بقاء هذه الآثار الإسلامية: من مساجد نبوية وحصون وآطام وقصور وآبار، ونحوها.

ثم في بقاء الآثار الإسلامية الأخرى من مراحل التاريخ الإسلامي التالية: كالقلعة التركية التي كانت على جبل سليع بوسط المدينة، وسور المدينة، ومبنى سكة حديد الحجاز، ومبنى التكية المصرية، ومكتبة عارف حكمت، وغير ذلك من المعالم الأثرية الإسلامية، ليس زينة للمدينة فحسب، بل هي ملامح طَابَعِهَا الإسلاميّ، فأُزِيلَ أكثرُ هذه المعالم الإسلامية».

أقول:

لقد قامت هذه المباني على أنقاض آثار الصحابة فلماذا لم تبك على هدمها وإزالتها؟!

ولا أدري هل يُعدها آثارًا إسلامية أو لا، وإذا كان يُعدها آثارًا إسلامية فأين التباكي عليها ولماذا يتباكى على غيرها مما ذكره هنا وهناك؟!

قال القاري (ص٣٥):

«وحلت محلها الأبراج الضخمة والمباني الشاهقة على الطراز الغربي، فتغيَّر الطابع الإسلامي للمدينة، تَغَرَّبت المدينة النبوية وتَفَرْنَجت، ومما زاد الطين بِلَّة أنه

رُفِعَ على بعض هذه الأبنيةِ العاليةِ الأسماءُ اليهوديةُ: «الشيراتون»، «الهيلتون» «الإنتركونتننتال»، ونحو ذلك».

أقول:

هذا تعبير سيئ جدًّا فيه إساءة إلى المدينة النبوية نفسها.

كيف تقول عنها: إنها تغربت وتفرنجت، فهل تحولت إلى دار كفر والعياذ بالله؟!

وهل تستطيع أن تقول: إن الله حرم هذا البناء على الطراز الحالي؟!

وقولك هذا يذكرني بقول صوفي لما رأى المدينة وما فيها من قصور قال هذه مدينة من؟ فقيل له هذه مدينة رسول الله ﷺ قال: لا، هذه مدينة فرعون!!

ويا أخي إن بيتك الذي تسكنه وبيوت أصدقائك ليست على غرار بناء بيوت رسول الله ﷺ وأصحابه بل هي على الطراز الغربي، فلماذا تنكر شيئًا أنت تفعله!!

إشادة وغمط

قال القاري (ص٣٨):

«ومن أفضل ملوك المسلمين الملك الأشرف السلطان قايتباي، وهو ممَّن أسهم في توسعة المسجد النبوي، وتوسعته بعد توسعة الوليد الأموي هي من أحسن التوسعات، لما حج سنة أربع وثمانين وثمانمائة بدأ بالمدينة النبوية لزيارة خير البرية».

أقول:

كيف تشيد بتوسعة هذا السلطان لمسجد النبي ﷺ وتنسى توسعتي آل سعود وهي التوسعة التي لا يماثلها ولا يقاربها توسعات الملوك لا التي قام بها الوليد ولا هذا السلطان ولا من جاء بعدهما؟!

ثم أين التعليق على هذه العبارة: «بدأ بالمدينة لزيارة خير البرية»؟!

وهل هذا الملك شد الرحال إلى مسجد رسول الله ﷺ كما حث على ذلك

رسول الله ﷺ حيث قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» أو شد الرحال لزيارة القبر النبوي.

وهل أمر رسول الله ﷺ بشد الرحال لزيارة قبره؟!

إن المسألة طويلة الذيول والقول الصحيح: أن شد الرحال يكون إلى مسجده ﷺ وزيارة رسول الله وصاحبيه تابعة لذلك.

ولم يصح أي حديث في الترغيب في زيارته ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

هل هذا التباكي قائم على التعصب المذهبي أو على أغراض أخرى؟!

قال القاري (ص٤٠):

«بأيِّ ذنبٍ هُدِمَتْ؟!.

هَدَموا مبنى التكية المصرية في العنبرية وكان من أجمل المباني التاريخية بالمدينة، وصار مكانُهَا مواقفَ للسيارات؛ أي لم تكن هناك ضرورة لهَدمِهَا؟!!

وهَدموا قلعةَ باب الشامي، بل وكشطوا جَبَلَ (سُليع) حتى كاد يختفي؟!!

وهدموا جسر سكة حديد الحجاز الذي يمر على وادي العقيق شرقي الجامعة الإسلامية مع أنه كان يمكن ترميمه.

ولا أستبعد أنهم يخططون لهدم محطة سكةِ حديدِ الحجاز بالعنبرية وغيرها من المعالم القليلة الباقية».

أقول:

هل يكون هدم هذه الأشياء هدمًا للمعالم النبوية؟! وهل هدمها هذا أمر انتقامي محرم؟! وهل يحرم هدمها لمصالح المسلمين؟! وهل هذه الآثار هي بيوت رسول الله ﷺ وأصحابه التي لا نراه يتباكى عليها!

قال القاري (ص٤٠):

«إن هَدْم المدينةِ المنورة القديمة كُلِّها؛ بطرقاتها وأحواشها ومبانيها التقليدية الجميلة كان تصرفًا غريبًا».

أقول:

لم تهدم المدينة كلها وهدم الكثير منها لمصلحة كبرى وضرورية ألا وهي توسيع مسجد رسول الله ﷺ وإيجاد ما يستلزمه هذا المسجد من ساحات وخدمات، وهذا العمل الجليل مما يذكر ويحمد فاعله ولا ينكر ويذم فاعله ويهول ويهوش عليه.

والظاهر أن الرجل لا يفرق بين المصالح والمفاسد ويحكم على الأشياء بهواه.

قال القاري (ص٤٥):

«ثانيًا: الحجاج والزوار الذين يتقاطرون بالملايين إلى الحرمين الشريفين، إذا جاءوا إلى المدينة المنورة جاءوا وفي قلوبهم شوق إلى رسول الله ﷺ، ولهفة لِمُشَاهَدَةِ مسجِدِهَ ومدينتِهِ، وفي أذهانهم تصوُّرٌ عن مدينته مُسْتَوْحى من السيرة النبوية ومن التاريخ حسبما قرءوا أو سمعوا».

أقول:

هذا أسلوب صوفي يناغي به عواطف الصوفية، ثم هل هؤلاء الملايين الذين يتقاطرون إلى الحرمين من العالم سيتسع لهم المسجد النبوي القديم إذا أخذ المسئولون بآرائك في المحافظة على الطابع القديم الذي تسميه بالمعالم النبوية وأبقوا المسجد محاصرًا بحارة الأغوات وحارة النخاولة والسوق، وهل هذا الوضع يشبع لهفة ولوعة الزوار؟ وهل هذه البيوت بناها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أو قامت على أنقاض بيوت أصحاب محمد ﷺ بل هدمت منذ قرون وقام على أنقاضها بيوت ثم هدمت تلك البيوت وقام على أنقاضها بيوت وهكذا دواليك إلى عهد النخاولة والأغوات والمزورين.

لعل المغرضين يوهمون الأغبياء أن هذه البيوت التي هدمت في هذا العصر هي بيوت رسول الله ﷺ وأصحابه، ولعل القاري يريد أن يوهم الأغبياء بما يوهمهم به المزورون، فتكون توسعة المسجد النبوي التي قامت على أنقاض بيوت الأغوات والنخاولة خطأ فادحًا.

قال القاري (ص٤٥):

«فهل يصح في الأذهان شيء إذا فُجِئُوا بأبراج ضخمةٍ شاهقةٍ من الخرسانة المسلحة كالتي في بلادهم؟! مدينةٌ حديثة خَرْسَاءُ من هذه الأبراج، تحمل على رءوسها تلك الأسماءَ اليهوديةَ والمجوسيةَ؟!».

أقول:

هل بيوت المدينة كلها أبراج شاهقة وعليها أسماء يهودية ومجوسية؟!

إن بيوت المدينة تمتد من قريب من المطار شرقًا إلى أقصى حي العزيزية غربًا، ومن أحد شمالًا إلى قرابة ذي الحليفة جنوبًا، فكم بيتًا من ألوف البيوت عليه هذه العلامات؟!

كلامك هذا يوهم الأغبياء أن حكومة هذه البلاد هدمت المعالم النبوية لأجل أن تقيم فيها هذه الأبراج، وإلا لماذا لم تقل الحقيقة؟ ولماذا تطمس معالم هذه الحقيقة؟ لماذا لم تقل للناس أن المصلحة العظمى للمسلمين اقتضت توسعة مسجد رسول الله ﷺ فأزيل ما حولها لأجل هذا الغرض النبيل وهذا مسجد رسول الله بمساحاته الواسعة ومرافقه الضرورية ماثلة أمام أعينكم فيدعون ويستغفرون لمن نهض بهذا العمل الجليل.

الآثار المفتعلة التي يتباكى عليها القاري تقضي الشريعة بهدمها

قال القاري (ص ٤٨):

«من هي الجهات الحكومية التي تقوم بذلك؟ إنهم يهدمون بليل متسترين بجنح الظلام في الغالب.. لا نشك في مسئولية من يأتي:

المشايخ الذين يفتون بهدم هذه الآثار النبوية، مع أن المسألة من حيث الحكم الشرعي كما أوضحنا سابقًا لا تؤيدهم، فالدليلُ المقطوعُ به المرفوع إلى النبي ﷺ، وفعلُ الصحابة وفعل التابعين، والعلماء السابقين، ومواقفهم، كل ذلك يدل على مشروعية الإبقاء على هذه الآثار..

لا يسلم لهم ادعاؤهم أن مذهب السلف يقضي بهدمها، أي سلف هذا والذي بنى المساجد النبوية هم التابعون بالمدينة، وإذا لم يكن تابعو المدينة، ولا الإمام أحمد ولا مالك والبخاري، والبغوي والنووي وابن حجر صاحبُ الفتح سلفًا فمن هم السلف؟

من هم العلماء الذين يعارضون هؤلاء؟

عند التحقيق نجد أنها مجرد آراء شخصية من هؤلاء المشايخ واجتهادات فردية غير ملزمة، بنيت على تقديرات خاطئة، لا يسوغ نسبتها إلى الشريعة، ولا إلى النصوص الشرعية، والمؤسف أنه ترتب عليها إجراء تنفيذي متهور بهدم معالم ومساجد نبوية في المدينة، مع أن مثل هذه الفتوى وما بني عليها من هدم كان ينبغي مشاورة علماء العالم الإسلامي قبل الإقدام عليهما».

أقول:

١- إن هؤلاء العلماء لم يفتوا بهدم أي أثر من آثار رسول ﷺ وإنما أفتوا بهدم آثار مفتعلة لا يصح نسبة شيء منها إلى رسول الله ﷺ وإنما يلصقها برسول الله ﷺ الخرافيون والمتأكلون بها.

لأن هذه المساجد المزعومة إنما اخترعت لممارسة البدع الشركية وغيرها فأصبحت مثل المساجد التي تبنى على القبور.

وقد لعن رسول الله ﷺ من يبني مثل هذه المساجد وحذر من اتباع الذين يفعلون ذلك من اليهود والنصارى.

٢- ليس عندك أي دليل صحيح لا مقطوع به ولا غير مقطوع به على هذه الآثار التي تنسبها إلى رسول الله ﷺ وتحمل مسئولية هدمها العلماء وغيرهم ولا علاقة للصحابة والتابعين بها أو بشيء منها.

٣- وقولك: «لا يسلم لهم ادعاؤهم أن مذهب السلف يقضي بهدمها».

أقول: إن نصوص الرسول ﷺ ومنهجه ومنهج الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه والصحابة الذين أيدوه في المنع من تتبع الآثار آثار النبي ﷺ هي مع هؤلاء العلماء فكيف إذا كانت هذه المساجد قامت على دعاوى لا تثبت، وكيف إذا كان في

وجودها مفاسد كبيرة تفسد العقول والعقائد ويصطدم وجودها وما يحدث حولها بعقيدة التوحيد التي جاء بها محمد ﷺ.

وقولك: «والذي بنى المساجد النبوية هم التابعون بالمدينة».

أقول:

وأين ذهبت دعواك أن الصحابة أو بعض الصحابة كانوا ممن شاور عمر بن عبد العزيز ببناء هذه المساجد المزعومة.

ولم يثبت بناء هذه المساجد عن الصحابة ولا عن التابعين.

وقولك: «وإذا لم يكن تابعو المدينة، ولا الإمام أحمد ولا الإمام مالك، والبخاري والبغوي والنووي وابن حجر صاحب الفتح سلفًا فمن هم السلف».

أقول:

وإذا لم يكن تابعو المدينة، ولا الإمام أحمد ولا الإمام مالك، والبخاري والبغوي يدعون إلى الحفاظ على هذه الآثار والتبرك بها، حاشاهم.

فبدهي أن تقول: إنهم لا علم لهم بهذه المساجد والآثار التي تتباكى عليها، ولم يدعوا إلى الحفاظ عليها ولو أدركوا ما يفعل بها وعندها لأفتوا بهدمها.

وأما النووي وابن حجر فإنما أفتيا بجواز التبرك بآثار الصالحين، وذلك خطأ منهما ومع ذلك فإنهما لو علما واطلعا على ما يفعل الروافض والخرافيون عندها وبسببها لأيّدا من يفتي بهدمها.

كيف لا والنصوص النبوية وموقف عمر والصحابة تقتضي هدمها.

ثم قال كلامًا يقتضي أن فتوى هؤلاء العلماء إنما هي اجتهادات فردية وتقديرات خاطئة لا يسوغ نسبتها إلى الشريعة ولا إلى النصوص الشرعية.

أقول:

بل هي فتاوى صحيحة نابعة من عين الشريعة الغراء وقائمة على نصوصها ومنهجها.

واعتراضك عليها قائم على دعاوى وأوهام لا تمت إلى الشريعة الإسلامية

بصلة وقد بينا بطلان هذه الدعاوى فيما سلف من هذا البحث.

ثم قال: «كان ينبغي مشاورة علماء العالم الإسلامي قبل الإقدام عليها».

أقول: علماء العالم الإسلامي قسمان: أهل سنة سلفيون يبغضون الشرك ووسائله فهؤلاء لا يشك عاقل في تأييدهم لفتاوى علماء هذه البلاد.

وعلماء بدع وضلال من روافض وقبوريين فهؤلاء لا شك أنهم سيعارضون في هدم هذه المساجد والآثار المنسوبة ظلمًا إلى رسول الله ﷺ.

بل هم يتباكون على المشاهد التي كانت على القبور فهدمت.

وأقترح على القاري أن يفاوض الروافض في أخذ لبنة واحدة من لبنات مشاهدهم ثم يأتينا بالنتيجة.

لكني أذكره بأفاعيلهم ومواقفهم تجاه هدم مشهد واحد في العراق كم هدمت من المساجد وكم أريقت من الدماء من أجله ؟!!

فكيف يطلب من العلماء مشاورتهم ومن يسير بسيرهم وينسج على منوالهم؟!

قال القاري (ص ٥٦-٥٨):

«مساجدُ الفَتح (المساجد السبعة):

مساجدُ الفَتح كما يسميها السمهودي، وهو الصواب وهي في موقع قيادة النبي ﷺ

في غزوة الخندق حيث جعل سَلْعًا خلف ظهره والخندقَ أمامهُ، والعدو وراءَ الخندق شماليّهُ.

ومع أن هذا الموقع يمثل أهميةً تاريخيةً فائقةً خاصةً لدارسي مغازي النبي ﷺ وسيرتِهِ فإنه تم العبث ببيئتها التاريخية بتكسير الجبل وحفره بالآلات الضخمة لبناءِ جامعٍ حديثٍ وسط مساجد الفتح، ولا أدري لم اختيرَ له هذا الموقع؟ هل هو تمهيدٌ لإزالةِ مساجدِ الفتح، ولِمَ سُمِّيَ بهذا الاسم (جامع الخندق)؟ مع ما في هذا الاسم من تلبيس على الحجاج والزوار، لأنه يوهمهم أنه من المساجد التاريخية القديمة فيقصدونه، وأن له تعلقًا بالنبي ﷺ فيتبركون به، وهذا بدعة عند وزير الأوقاف

صالح آل الشيخ ومن أفتى بذلك من المشايخ، فهل هي بدعة سعودية مكان بدعةٍ أموية؟!

من أجلِ هذا الجامع المُحْدَثِ هدموا جميع المساجد التي بالوادي: مسجد أبي بكر الصديق وأقاموا مكانه (صراقًا ربويًا؛ أي: بنكًا) -ياللأدب الرفيع- يهدمون مسجدًا ويبنون مكانه بنكًا ربويًا؟!».

أقول:

١ - قد تقدَّم أنَّ هذه المساجد لا تثبت نسبتها إلى رسول الله ﷺ ولا إلى أصحابه ولا يعقل أن رسول الله وأصحابه يبنون سبعة مساجد في موضع واحد لا يجوز أن يبنى فيه إلا مسجد واحد فتصبح مساجد ضرار.

٢ - لماذا خص رسول الله وأصحابه غزوة الأحزاب بسبعة مساجد ولم يبنوا مساجد فيما هو أذكر وأفضل منها؟! مثل غزوة بدر وأحد وحنين والفتح والحديبية! ألا يدل هذا على أن هذه المساجد إنما بنيت للتأكل والخرافات؟!!

٣ - على قوله: «ومع أن هذا الموقع يمثل أهميةً تاريخيةً فائقةً خاصةً لدارسي مغازي النبي ﷺ وسيرته».

أقول: إذا كانت سيرة النبي ﷺ ومغازيه لا تفهم إلا من خلال مساجد مفتعلة بنيت للتأكل أو إفساد عقائد المسلمين! فلا أفهم الله من يتوقف فهمه لسيرة النبي ﷺ وغزواته إلا من خلالها، وهل احتاج كبار المؤرخين مثل ابن جرير وابن الأثير وابن كثير إلى بناء مساجد مفتعلة لكل غزوة؟! ومنها غزوة الأحزاب؟!!.

ألا يكفي فيها القرآن الكريم والروايات الصحيحة لقوم يعقلون؟!

٤ - الظاهر أن هذا الجامع الذي تلوم عليه إنما بني لأهل الحي ثم لتهدم تلك المساجد التي لا يقرها الشرع لأن وضعها سبعة مساجد في موضع واحد من البدع في الإسلام، ثم إن موقع النبي ﷺ وموقع الأحزاب معروف وعندهما أكبر علامة وهو ذلك الجبل الشامخ جبل سلع.

٥ - سمي هذا المسجد بجامع الخندق لا لأجل التبرك به، بل لأجل أن يصلي فيه أهل الحي ولم يبنَ مصيدة للتأكل كما هو واقع المساجد التي تتباكى عليها!

وسيأتي في كلام الحافظ ابن حجر ما يدل على أنه ما كان موجودًا في زمنه إلا مسجد واحد فمن أين جاءت الستة الأخرى ؟!.

وقولك عن المسجد الجديد : «فهل هي بدعة سعودية مكان بدعة أموية»!

مغالطة كبيرة ؛ فلا دخل للأمويين في المساجد السبعة ولا قصد السعوديون تأسيس بدعة وإنما قصدهم القضاء على البدع، ولماذا تغفل دعاة البدعة وحكوماتها الذين بنوا المساجد السبعة لجرّ الناس إلى البدع والخرافات !

٧- وقولك : «من أجل هذا الجامع المحدث هدموا جميع المساجد التي بالوادي : مسجد أبي بكر الصديق وأقاموا مكانه صرافًا ربويًا أي بنكًا -ياللادب الرفيع- يهدمون مسجدًا ويبنون مكانه بنكًا ربويًا؟!».

أقول :

١- الذين أفتوا بهدم هذه المساجد لم يقوموا ببناء هذا البنك ولم يُفتوا ببنائه بديلًا عن المسجد، فبأيّ حق تنسب إليهم بناءه؟! ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

٢- وصفت مسجد السنة والتوحيد الذي قُصد به إبعاد الناس عن الشرك والبدع ؛ وصفته بالمحدث!

فهل هذه المساجد السبعة قامت عندك الأدلة على أنه بناها رسول الله ﷺ والصحابة : أبو بكر وعمر وعلي وسعد بن معاذ وسلمان الفارسي ﷺ في موضع واحد؟!

وهل هم يستجيزون حشد هذه المساجد في رقعة صغيرة لا يجوز أن يبنى فيها إلا مسجد واحد عند العلماء والعقلاء ؟!

وهل كان دافعهم إلى هذا البناء هو التنافس أو التحاسد ؟!

ولا أدري لماذا لم يُدخل عثمان وبقية العشرة في هذا التنافس ؟!

أيا عبد العزيز! إذا كانت الخرافات التي لا يقرها شرع ولا يقبلها عقل تنطلي على الخرافيين، فكيف تنطلي عليك ؟!

وإذا كان الخرافيون يسمون البدعة سنة والسنة بدعة فكيف تقع أنت في هذه الهوة؟! اللّهم رحماك.

وهاكم الآن كلام الحافظ ابن حجر الذي أشرت إليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ذكر عمر بن شبة في (أخبار المدينة) المساجد والأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ بالمدينة مستوعبًا، وروى عن أبي غسان عن غير واحد من أهل العلم أن كل مسجد بالمدينة ونواحيها مبني بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبي ﷺ وذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد المدينة سأل الناس -وهم يومئذ متوافرون- عن ذلك ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة. وقد عين عمر بن شبة منها شيئًا كثيرًا، لكن أكثره في هذا الوقت قد اندثر وبقي من المشهورة الآن مسجد قباء، ومسجد الفضيخ وهو شرقي مسجد قباء، ومسجد بني قريظة، ومشربة أم إبراهيم وهي شمالي مسجد بني قريظة، ومسجد بني ظفر شرقي البقيع ويعرف بمسجد البغلة، ومسجد بني معاوية ويعرف بمسجد الإجابة، ومسجد الفتح قريب من جبل سلع، ومسجد القبلتين في بني سلمة.

هكذا أثبته بعض شيوخنا، وفائدة معرفة ذلك ما تقدم عن البغوي والله أعلم»[1] اهـ.

تعليق على كلام الحافظ:

١- قد عرفت أنه لم يثبت بناء عمر بن عبد العزيز لهذه المساجد.

٢- قول الحافظ: «لكن أكثره في هذا الوقت قد اندثر» فعلى مذهب القاري بوجوب الحفاظ على هذه الآثار، من هم المسئولون عن التفريط في هذه المساجد التي اندثرت؟!

وهل يجب البحث عنها وبناؤها من جديد؟!

ونسأل القاري: لماذا لم يتحمس لهذه المساجد أحد من العلماء حتى الصوفية ويصبّ اللوم على من فرّط فيها؟!

---

(١) الفتح (١/ ٥٧١).

لقد تأبّط القاري فتنة كبيرة انفرد بها في هذا العصر ولاسيما ضد العلماء الذين سلكوا في فتاواهم المسلك السديد والمنهج الرشيد الذي قام على الأصول الإسلامية والنصوص النبوية وعلى موقف الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد.

٣- قول الحافظ ابن حجر: «ومسجد الفتح قريب من جبل سلع» يدلّ على أن هذه المساجد السبعة لم يكن موجود منها قبل زمن الحافظ ابن حجر إلا مسجد واحد وليس على الجبل وإنما هو قريب منه.

والحافظ كانت وفاته في منتصف القرن التاسع أي سنة (٨٥٢هـ) فلا يبعد أن تكون هذه المساجد من بناء الأتراك، لاسيما وهي دولة تعظم الصوفية وتعظم المشاهد!!

قال القاري في (ص٥٧-٥٨):

«يقول بعض الجهال: إن هذه المساجد لا أصل لها، إنّما أحدثها الأتراك

وإليك الدليل على أنها من عهد الصحابة، وأن بعضها من البناء العمري -أي من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز عام (٨٩) من الهجرة بالحجارة المطابقة، وهو مسجد (الفتح) الذي على الجبل، فإنه بالحجارة المطابقة فيغلب على الظن أنه من البناء العمري، فيكون قد مضى على بنائه أكثر من ثلاثمائة وألف عام، وإن جدد في بعضِ الأزمنة».

أقول: تقدم لك كلام الحافظ الذي يفيد أنه لم يكن إلى وقته من المساجد السبعة إلا مسجد واحد هو مسجد الفتح، وقد علمت أن وفاة الحافظ كانت سنة (٨٥٢) أي منتصف القرن التاسع.

ثم لم يأت القاري بدليل ثابت على أن بناءها تمّ من عهد الصحابة ﷺ، بل ساق أدلة واهية أقواها حديث جابر، وقد بينا علله واضطرابه فيما سلف!!

ومنها قوله عن الحارث بن فضيل: أن النبي ﷺ بدأ فصلّى أسفل من الجبل يوم الأحزاب ثم صعد فدعا على الجبل (ص٦١).

وهذا النص -على ضعفه- لا يدل على أن النبي ﷺ صلّى في موقع المساجد السبعة، بل يجوز أن يكون في الجهة المقابلة لتجمع الأحزاب، ولم يذكر فيه أنه

صلّى في مسجد لا الفتح ولا غيره.

وفي إسناد هذا الحديث علتان:

الأولى: أنه معضل لأن ابن فضيل من أتباع التابعين.

والثانية: فيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وهو متروك، قاله الحافظ.

وقال يحيى القطان: كذّاب. وقال أحمد: قدري معتزلي جهمي، كل بلاء فيه.

قال القاري (٥٩-٦٠):

«وروى ابن شبة عن أسيد بن أبي أسيد عن أشياخهم أن النبي ﷺ دعا على الجبل الذي عليه مسجد الفتح وصلى في المسجد الصغير الذي بأصل الجبل».

أقول:

في إسناد هذا الحديث إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى وصف بالكذب وبالقدر وبالتجهم والاعتزال.

وفيه أشياخ أسيد بن أبي أسيد مجهولون.

ولعل قوله عن أشياخهم من قول ابن أبي يحيى.

ولا أدري لماذا حذف القاري ابن أبي يحيى؟!

قال القاري (ص٦١):

«وذكر ابن النجار عن معاذ بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد الفتح في الجبل وفي المساجد التي حوله».

أقول:

أين إسناد ابن النجار - المتوفي سنة (٦٤٣هـ) - إلى معاذ بن سعد؟!

ثم من أين لك أن معاذ بن سعد في هذا الإسناد هو الصحابي؟!

فقد ذكر الحافظ معاذ بن سعد وقال: ذكره ابن منده وغيره في الصحابة.

ثم ذكر الحافظ بعده ثلاثة ممن يسمى بمعاذ بن سعد، فقال:

١- «معاذ بن سعد السكسكي: مجهول من الرابعة، تمييز».

٢- «معاذ بن سعد ويقال سعيد: مجهول من السادسة، تمييز».

٣- «معاذ بن سعد أو سعد بن معاذ: مجهول من الثالثة، تمييز».

فهؤلاء أربعة ممن يسمى معاذ بن سعد، ثلاثة منهم مجهولون والرابع صحابي.

فمن أين للقارئ أنَّ معاذ بن سعد في هذا الإسناد هو الصحابي؟! واحتمال أن يكون واحدًا من المجهولين أقوى.

وفرح القاري بقوله في هذا الحديث الواهي «والمساجد حوله» أي أنه زاد عدد المساجد في رواية ابن النجار على ما في روايات ابن شبة .

وهل يثبت شيء بهذا الإسناد الواهي؟! أضف إلى ذلك بعد المسافة التي تستغرق قرونًا بين ابن النجار وبين معاذ بن سعد الذي لا يدري من هو!!

وهذه نماذج من أدلة القاري التي وعد بها، فهو مولع بروايات المجهولين والكذابين والمتهمين بالكذب، وهذا يذكرني بقول الإمام البخاري في ابن كرام: «اختار من المذاهب أرداها ومن الأحاديث أوهاها».

وما هكذا يخدم الإسلام، وما هكذا تخدم العقيدة المحمدية!!

ملحق يتضمن فوائد

قال الشيخ محمد بن درويش الشهير بالحوت في كتابه أسنى المطالب (ص٢٨٦-٢٨٨):

«فائدة في ذكر قبور وأمكنة منسوبة للأنبياء وغيرهم ولم تصح تلك النسبة إليهم:

منها: أن قبر نوح صلوات الله وسلامه عليه في جبل لبنان، فقد حدثت نسبة هذا القبر لنوح ﷺ في المائة السابعة، ومن المفتريات جعل صورة قبر آدم ونوح بجنب قبر علي ﷺ، مع أن قبره كرم الله وجهه ليس بثابت وإنما بني على أمر منامي.

ومنها : المشهد المنسوب لأبي بن كعب بالجانب الشرقي من دمشق مع اتفاق العلماء على أنه لم يقدمها فضلًا عن دفنه فيها .

ومنها : المكان المنسوب لابن عمر بالمعلاة بمكة لا يصح نسبته إليه من وجه وإن اتفقوا على أنه توفي فيها .

ومنها : المكان المنسوب لعقبة بن عامر ﷺ في قرافة مصر وإنما نسب إليه لمنام رآه بعضهم بعد مدة طويلة .

ومنها : المكان المنسوب لأبي هريرة بعسقلان فقد جزم بعض الحفاظ الشاميين بأنه قبر حيدة بن خشينة ولكن جزم ابن حبان بالأول .

ومنها : المكان المشهور بالمشهد الحسيني بالقاهرة إذ ليس الحسين ﷺ مدفونًا به بالاتفاق لأن القاهرة بناها عبد القاهر الفاطمي العبيدي[1] ودولتهم كانت في القرن الرابع فلعل الفاطميين هم الذي عمروا المشهد الحسيني لأنهم عظموا أهل البيت ونسبوا أنفسهم إلى الحسين وهم كاذبون أما جسم الحسين ﷺ فبكربلاء من أرض العراق محل قتله وأما رأسه الشريف فقيل في المشهد ولم يصح لما علمت وقيل حمل رأسه إلى الشام وجهزه يزيد بن معاوية وأرسله إلى المدينة ليدفن عند أهله فدفن بقبة العباس عند أمه وأخيه الحسن وقيل وضع يزيد رأس الحسين في قبر أبيه معاوية وقيل في المسجد على عمود ستره وقيل على سور البلد وستره والله أعلم وأما قول أهل الباطن أن الميت في البرزخ كالحجر في تيار الماء يريدون أنه ينتقل من مكان إلى مكان وأن الحسين نقل في البرزخ إلى المكان المشهور فهذا لا يثبت لا بحجة صحيحة ولا حجة بذلك فلا يلتفت إليه ومنها المكان المعروف بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ﷺ فقد ذكر بعض أهل المعرفة أن خصوص هذا المحل الذي يزار ليس هو قبرها ولكنها في تلك البقعة والله أعلم .

(١) الذي بناها إنما هو : جوهر القائد؛ بناها للمعز لدين الله أبي تميم معد العبيدي حينما دخل مصر . انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١ / ٤٠٨).

فائدة:

نقل القاري عن الجزري: أنّه لا يصح تعيين قبر نبي غير نبينا ﷺ، نعم سيدنا إبراهيم -صلوات الله عليه- في الخليل لا بخصوص تلك البقعة.

فائدة:

قبور الصحابة -رضوان الله عليهم- موجودة بمكة لكنها غير معروفة كما ذكره الأعلام حتى قبر السيدة خديجة إنما نسب إليها على ما وقع لبعضهم في المنام».

أقول: والآثار التي يستنكر هدمها القاري ويدعو إلى الحفاظ عليها من هذا الباب تقوم على أخبار ودعاوى لا تثبت!

والأهداف من تحديد مقابر الأنبياء وغيرهم، كقبر علي والحسين ونفيسة والبناء عليها والتعلق بها وشد الرحال إليها هي الأهداف من بناء المساجد على الآثار المزعومة والدعاية لها والإشادة بها وربطها برسول الله ﷺ!

فيقال عنها الآثار النبوية والمساجد النبوية والآبار النبوية، فهذه وتلك كلها من باب واحد وتهدف إلى غاية واحدة، وموقف الشرع منها واحد يعاملها معاملة واحدة كمعاملة آثار بني إسرائيل، سلَّم الله المسلمين منها ووقاهم من شرها.

* * *

الخاتمة

وختامًا أقول:

إنني قد ناقشت ما تيسر لي مناقشته من كتاب القاري وتركت أشياء ابتعادًا عن المهاترات.

والذي ناقشته فيه الكفاية لأن فيه بيان ما عند القاري من تأصيلات فاسدة وقياسات باطلة واعتماد أعمى على أحاديث ضعيفة وواهية ورواة ما بين مجهول ومتروك وكذاب.

وما ذكره من أحاديث صحيحة هي قليلة يخطئ في الاستدلال بها ويحرفها عن مقاصدها ثم هو لا يفرق بين ما هو مشروع من التبرك وما ليس بمشروع ولا بين الاقتداء بالنبي ﷺ حين يشرع للتأسي ولا بين التبرك الممنوع، وهو التبرك بالأماكن الذي يدخل في نهي النبي ﷺ، حيث نهانا عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب ونهانا عن السير على سننهم وذلك واضحٌ من أخباره الثابتة التي تتضمن نهي الأمة وتحذيرها من أسباب الضلال والهلاك وقد قدمنا بعضًا منها.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الجهد المتواضع.

إنَّ ربي لسميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من كتابة هذا الجهد المتواضع في اليوم الخامس عشر من شهر ذي الحجة عام سبعة وعشرين وأربعمائة بعد الألف من التاريخ الهجري.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

١٥/ذي الحجة/١٤٢٧هـ

فهرس الموضوعات

فهرس «انقضاض الشهب السلفيَّة على أوكار عدنان الخَلَفيَّة»

فهرس «دفع بغي عدنان على علماء السنة والإيمان»

* * *

* * *

فهرس «كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها»

فهرس أقوال علماء السنة في جماعة التبليغ

* * *

فهرس «كشف زيف التصوف وبيان حقيقته وحال حَمَلته»

* * *

فهرس «براءة الصحابة الأخيار من التبرك بالأماكن والآثار»

* * *